محمد حسنين هيكل

أحاديث في العاصفة

دار الشروق

أحاديث
في العاصفة

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا: شروق
تلكس: 93091 SHROK UN

بيروت: ص. ب. ٨٠٦٤ - هاتف. ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا. داشروق
تلكس: SHOROK 20175 LE

SHOROUK INTERNATIONAL: 316/318 REGENT STREET, LONDON W1, UK, TEL.: 6372743/4
TELEX: SHOROK 25779 G

مُحمّد حَسنين هَيكل

دار الشروق

صمم الغلاف الفنان : حلمى التونى

مقـــدمة

فكرة هذا الكتاب لم تخطر لى ، وإنما خطرت لغيرى ، وبعد تفكير لم يطل رحبت بها

صاحب الفكرة الأصلى هو « دار الشروق » ـ ناشرة هذا الكتاب ـ وملخص الفكرة هو جمع ونشر أحاديث صحفية أجرتها معى بعض الصحف العربية والأجنبية ونشرت خارج مصر فى أيام لم يكن مسموحا لى أن أنشر ـ فضلا عن أن أكتب ـ داخلها

وحينما تأملت الفكرة ثم رحبت بها كانت دوافعى كما يلى :

أولا ـ أن نشر هذه الأحاديث يسد فجوة زمان حوصرت فيها آرائى فى شئون الساعة وأحداثها ، وصحيح أنها شئون وأحداث سبق توقيتها ومع ذلك فقد بدا لى أن جمعها ونشرها بين دفتى كتاب يجعل السجل كاملا وواضحا . وهذا فى حد ذاته مطلوب

ثانيا ـ إنه وإن كان التوقيت الذى صدرت فيه هذه الأحاديث قد سبق زمانا فإن موضوعات هذه الأحداث لاتزال حالة وربما أيضا لاحقة . فبعض الأحداث قد يذهب عنها وهجها الإخبارى المرتبط بالتوقيت ، لكن بعض قيمتها يظل باقيا لأن الأحداث الهامة تتحول فى كثير من الأحيان من أخبار إلى قضايا .

وثالثا ـ وهذه نقطة مهمة تستحق بعض الإفاضة ـ فإن مجموعة الأحاديث التى أدليت بها لتنشر خارج مصر ـ وخصوصا فى العالم العربى ـ كانت هى الذريعة التى وقع الإستناد إليها فى تلك الأيام للترويج لتهمة غريبة وجهت إلىّ ـ كتابة وخطابة ـ تدعى بأننى « أسأت إلى سمعة مصر خارجها » !! وتذرعا بها جرى سحب جواز سفرى . ومنعى من مغادرة مصر ، وتحويلى إلى المدعى الاشتراكى للتحقيق معى طوال ثلاثة شهور من صيف سنة ١٩٧٨ .

ووقتها كان المناخ المحيط بى غريبا وممعنا فى غرابته .

- من ناحية كان هناك من نشطوا للترويج بأننى هاجرت من مصر وأقمت خارجها (ولم يكن هذا بالطبع حقيقى) .

ولقد بلغت عملية الترويج لهذه المقولة حدا أصابني بشئ من الحساسية فى بعض اللحظات . ولابد أن أعتذر الآن لكثيرين قابلتهم تلك الأيام فى مصر ، فإذا هم يبدأون تحيتى تهنئة بسلامة العودة ، ويفاجأون منى برد تحمل نبراته معنى العتاب ــ متسائلا : « العودة من أين ؟ » ويبدو الإرتباك على السائلين بحسن نية فيستوضحون بتردد : « ألم تكن مقيما خارج مصر؟ » .

وربما كان يجب أن أفهم أكثر وأن أعذر ، فحملة الترويج كانت قوية تم أن ملابساتها كانت محيرة ، فقد وجد الناس فجأة أننى لا أقول شيئا وإنما يقال عنى الكثير دون اعتراض من جانبى يظهر أمامهم . ولم يخطر ببالهم أن القول من جانبى مصادر ، وأن القول عنى مباح ، أو لعله مستباح .

● ومن ناحية أخرى فقد وجد الناس أن رئيس الدولة نفسه فى ذلك الوقت يقود حملة الهجوم علىّ . ولم يتصور أحد منهم أن مواطنا عاديا يستطيع أن يعيش فى بلد ــ أى بلد ــ تحت سلطة رئيس دولة يناصبه العداء شخصيا وعلنيا . ولا يترك مناسبة عامة يتكلم فيها دون أن يشير إليه تلميحا أو تصريحا باتهامات وصلت أحيانا إلى « الخيانة العظمى » ! !

وإذن فلابد أن هذا المواطن بعيد . مطمئن هناك فى ابتعاده . ولابد أيضا أن رئيس الدولة معذور فهو لايستطيع أن يطول بيده واحدا من رعايا دولته . وإذن يناله بالكلام مادام غير قادر على أن يطوله بالفعل .

ومن الغريب فى تلك الأيام أن بعض الذين كانوا يعرفون حقيقة وجودى طوال الوقت فى مصر لم يجدوا تفسيرا لإصرارى على البقاء فيها رغم جو العداء الموجه إلىّ من « أعلى المستويات فى الدولة » ــ إلا تفسيرا واحدا وهو « أننى لابد أملك من الأوراق والمستندات ما يعطينى حصانة تردع هذه « المستويات العالية » عن أن تمد يدها نحوى بأذى » ــ ولم يكن هذا صحيحا . والصحيح فيما أظن أنه كان هناك تحسب من ردود فعل خارج مصر خصوصا فى أوروبا وأمريكا . وحيث كانت تنشر كتاباتى الممنوعة فى وطنى . ومع ذلك فان هذا التحسب انتهى مفعوله عند لحظة معينة وجدت نفسى فيها مع آلاف غيرى ضمن حملة اعتقالات سبتمبر ١٩٨١ .

ولعلى أجازف وأقول أن هناك كثيرين ــ على اختلاف النوايا والأساليب ــ كانوا

يريدوننى خارج مصر وليس داخلها ــ وصامتا إذا أمكن . وحتى لو تكلمت من خارج مصر فالأصداء بعيدة والقول مردود لأن إيثار السلامة فى الأوقات الصعبة مرادف للهرب

ولقد أشرت إلى اختلاف النوايا والأساليب لأن بعض النوايا بدت لى سليمة ، ولازالت تبدو لى كذلك .

وعلى سبيل المثال فان القرار بابعادى عن « الاهرام » وتعيينى مستشارا لرئيس الجمهورية صدر يوم الجمعة الأول من فبراير سنة ١٩٧٤ . ونشر صباح يوم السبت ٢ فبراير ، وفى نفس هذا اليوم قررت أن أذهب إلى « الاهرام » وأسلم بنفسى كل أموره إلى الدكتور « عبد القادر حاتم » الذى عين رئيسا له خلفا لى ، وكان ذلك مثار دهشة ولعلها كانت ظاهرة غير مسبوقة وغير ملحوقة أن يذهب مسئول عن عمل أبعد عنه إلى المسئول الذى تلاه ــ ليقضى معه ساعات طويلة يسلمه فيها كل خيوط المسئولية ويضع تحت تصرفه حقائقها وأدواتها .

وتصور كثيرون أننى أتصرف بهذا « الإنضباط » من باب الحرص على إبقاء « الصلات » وثيقة و « الأبواب » مفتوحة . وهكذا توقعوا أننى سوف أخرج من « الاهرام » حيث مكتبى القديم لأذهب إلى قصر عابدين حيث أعد لى مكتب جديد وربما من هنا أيضا اتصل بى وزير شئون رئاسة الجمهورية وقتها يخطرنى بعدد حجرات الجناح الذى أعد لى فى عابدين ويسألنى « إذا كنت أرغب فى انتداب أحد من سكرتاريتى الخاصة إليه معى من « الاهرام » » . وفوجئ الرجل الكريم ــ السيد « عبد الفتاح عبد الله » ــ حينما قلت له « إننى لا أنوى الذهاب إلى قصر عابدين وإنما أنا خارج من « الاهرام » إلى بيتى حتى أعثر على مكتب أعمل منه كصحفى وكاتب مستقل »

ثم تأكد موقفى حين أدليت بتصريح لكل وكالات الأنباء ومندوبى الصحافة العالمية الذين أحاطوا بى يسألوننى تعليقا على ما حدث ، وكان ردى ــ وهو مسجل على أجهزة عشرات الوكالات ومنشور بنصه فى الصفحة الأولى من جريدة « التيمس » وفيه قلت « إننى استعملت حقى فى التعبير عن آرائى بصراحة . ثم إن الرئيس السادات استعمل سلطته فى اخراجى من الاهرام ، وهذا هو كل شئ ، وفى كل الأحوال فلقد تركت منصبا ولم أترك مهنة » !

وبعد ظهر هذا اليوم جاء إلى بيتى عدد من الأصدقاء المتصلين وقتها بالرئيس « السادات » وبى ، وضمنهم المهندس « سيد مرعى » والسيد « إسماعيل فهمى » والسيد « أشرف مروان » ، وكان رأيهم جميعا « أنه من الضرورى أن أنفذ قرار الرئيس وأن أتسلم العمل مستشارا له فى قصر عابدين » . ولم يكن ذلك رأيى .

ولم تمض غير أسابيع حتى بدأت محاولات اقناعى بـ « الود » أن أبتعد عن مصر ولو شهور قليلة . وكان بين ماطرحوه علىّ فى تلك الأيام منصب السفير المصرى فى لندن . وقال لى الشخص الذى حاول اقناعى بالقبول حرصا فى ذلك الوقت ــ كما أظن ــ وكرما « إن العلاقات بينى وبين الرئيس (السادات) عائدة إلى مجاريها فى يوم من الأيام . والمشكلة هى « عنادى » وأننى « أضع رأسى برأسه » . « وحاولت أن أشرح بصدق أن اقتناعى برأى فى قضايا مصير مثل فك الارتباط مع إسرائيل والتحرك نحو صلح منفرد معها لايمكن أن يكون عنادا وإنما قصاراه أن يكون موقفا تؤكد الحوادث صحته أو خطأه ــ فإذا ثبتت صحته فقد قلت كلمتى . وإذا كان خاطئا فالتبعة علىّ وحدى . وفى كل الأحوال فإننى أفضل أن أقول رأيى ــ حتى ولو ثبت خطأه ــ على أن أساير كل قرار يصدر عن السلطة بصرف النظر عن اقتناعى أو عدم اقتناعى به ــ وأما أننى أضع « رأسى برأس الرئيس » فهذا تجنٍ على الحقيقة ، فأنا رجل طوف بالدنيا وبالحياة طولا وعرضا وهذا وحده كاف ليظهر أمام كل ذى عينين أن هناك حدودا لابد من احترامها ، وإن كان لابد أن أقول إن رؤية الحدود واحترامها ليس معناه الوقوف أمامها بالعجز أو الخضوع لها بالتسليم !

وقيل لى ــ والقائل لطيف ورقيق ــ « أن الرئيس يعتقد أننى أريد أن أفرض عليه آرائى » ــ وقلت « إننى لا أعرف كيف يستطيع صحفى لايملك غير قلمه وما يستطيع هذا القلم أن يقنع به ــ أن يفرض رأيا على رئيس الدولة . أن القلم ليس جيشا ولا بوليسا ولا حزبا ولاتنظيما حتى يستطيع أن يرغم رئيس دولة على أن يقبل كرها بما لم يكن مستعدا للقبول به طوعا ؟! »

وتمسك القائل بفكرة سفارة لندن « فلك فى العاصمة البريطانية أصدقاء كثيرون . والناشرون الدوليون لكتبك هناك . ثم إن لندن عاصمة حافلة وحيه وتستطيع أن تختار معك وزيرا مفوضا يحمل عنك عبء الأعمال الرسمية والاستقبالات والذهاب إلى المطارات

وأتذكر أننى قلت « إننى مضطر للدفاع عن تمثيلنا فى لندن . سفارتنا لدى بلاط سان جيمس . لقد أصبحنا نعامل هذا البلاط بطريقة لاتليق . أصبحنا نرسل إليه سفراء من رجال

وضعناهم فى منطقة الظلال بين الرضا والغضب أعنى هؤلاء الذين انقلب الأمير عليهم لكنه لايريدهم أن ينقلبوا عليه !

(قبل عرض سفارة لندن علىّ كان فيها السيد «كمال رفعت» ، وبعد العرض

علىّ كان الذى عين لها هو الفريق «سعد الدين الشاذلى» !)

المهم .. كانت المحاولة لابعادى عن مصر فى ذلك الوقت ودية بل وأظن ـ كما قلت ـ أن الباعث إليها كان حرصا وتعاطفا.

لكنه كان هناك آخرون ـ فى ذلك الوقت ـ وجدوها فرصة . وكان بينهم من حاول بوسائل متعددة ـ منها التخويف ـ أن يقنعنى بالخروج ولم تجد الوسائل كلها . ولعلى أقول الآن أننى لم أخرج ليس عن شجاعة بقدر ماكان عن تمسك بالحياة لأننى كنت أعتقد ـ ولا أزال ـ أن حياتى هنا !

وربما جاء الوقت الآن ـ وفى صدد نشر هذه الأحاديث فى مصر بين دفتى كتاب ـ لكى أوضح بعض زوايا رؤيتى لتلك الحقبة الحرجة من عملى وحياتى :

١ ـ إننى اختلفت مع السياسة الرسمية للحكومة المصرية بعد حرب أكتوبر وكان إختلافى بالتحديد فى موضوع فك الإرتباط الأول الذى وجدته من وجهة نظرى مؤديا بالحركة الذاتية للمواقف ـ إلى صلح منفرد مع اسرائيل . كذلك كان اختلافى مع مجمل توجهات سياسة مصر العربية والخارجية ـ بما فيها الإعتماد الكامل على الولايات المتحدة الأمريكية . وإلى جانب ذلك فقد كنت واثقا أن هذه التوجهات جميعا سوف تكون لها ـ على نحو أو آخر ـ تأثيراتها على السياسة الداخلية فى مصر.

وأبديت آرائى وأسباب خلافى بصراحة فيما كتبته فى «الأهرام» وقتها وجمعته ـ بعد ذلك ـ فى كتاب تحت عنوان «عند مفترق الطرق» وكان مفترق الطرق فعلا. فقد تركت مكانى فى رئاسة تحرير «الأهرام» ولم أقبل منصبا آخر مما عرض علىّ وقتها مؤمنا بأننى لا أستطيع أن التزم بمسئولية خارج قناعاتى . ولم أغير موقفى من يومها وإلى الآن.

٢ ـ وفى الوقت الذى اتخذت فيه هذا الموقف فقد كنت أعى مقدما ومسبقا أن المشاكل تنتظر على أول ناصية على الطريق ، ذلك أننى ـ بحكم الواقع العملى والإنسانى ـ

لست « موظفا » استغنى بنفسه أو استغنوا هم عنه فإذا ابتعد أو أبعد فظلال التقاعد مكانه . والصمت نفسه صوته . وإنما أنا صحفى وجوده فى الكلمة ودوره فى الحرف مكتوبا أو مسموعا .

ولقد قلت ذلك بالضبط فى لقاء مع الرئيس الراحل « أنور السادات » فى شهر نوفمبر ١٩٧٤ (بعد قطيعة شهور) قلت له بالحرف :

ـ « إننى أطلب سعة صدره فأنا لن أتقاعد عن الكتابة والكلام خصوصا وأن هناك فى الموضوع قضية » .

وقلت :

ـ « إننى آثرت الصمت منذ تركت الأهرام ـ ٢ فبراير ١٩٧٤ ـ حتى الآن ـ نوفمبر ١٩٧٤ ـ لأنى كنت مشغولا بالانتهاء من كتابى « الطريق إلى رمضان » ولكنى بعده سوف أعود إلى التعرض للشئون الجارية وسوف أبدى رأيى فيها فى صحف خارج مصر تريد أن تنشر ما أكتب ، ومناى أن لايتسبب ذلك فى صدام ـ لاسمح الله ـ أو صراع ، مع العلم بأننى فيما سوف أكتبه سأظل ملتزما بالموضوعية وبما أراه من منظورى الخاص محققا للصالح العام للأمة . »

وأشهد على أن رده علىّ فى ذلك اللقاء كان وديا فقد قال لى :

ـ « هذا حقك وأنا لا أعترض حق أحد » !

لكن الأمور تطورت لسوء الحظ بعد ذلك على غير ما أبدى وعلى غير ماقصدت

٣ ـ ولقد رحت بعد لقائنا أكتب وأتحدث من مصر ، وكنت أعتبر أن هذه شهادة للنظام . من ناحية فهذا هو معارض لسياساته يبدى رأيه من داخل سلطته ، وكنت فخورا بذلك معيدا ومزيدا فى ذلك الوقت بأن « هذه الظاهرة الحضارية لايمكن أن تحدث فى العالم العربى إلا فى مصر » .

ومن ناحية أخرى فقد ظللت على اعتقاد بأن بقائى فى مصر وتحت سلطة نظامها يعطى مصداقية لما أقول كتابة وكلاما ـ فالقول لابد أن يكون مسئولا لأنه ليس فقط فى ظل القانون وإنما أيضا فى مطال السلطة

وربما من ناحية ثالثة فقد تصورت أن قولا يصدر من مصر ومن منطلق قومى وخلافا مع سياسة رسمية ضيقت على نفسها ـ ولا أقول الآن أكثر ـ يمكن أن يصلح كرسالة موجهة إلى العالم العربى بأن مصر كلها لم تتغير ولم تنقلب بين يوم وليلة من النقيض إلى النقيض ، وظننت ـ وليس كل الظن إثما ـ أن ذلك قد يكون نافعا .

---

٤ ـ وحين توالت الشواهد على الغضب مما أكتب وأقول ولاحت بوادر الخطر فى حملات تشهير منظمة واسعة النطاق ـ فإن فكرة الخروج من مصر ظلت بعيدة عن خواطرى كما كانت منذ أول لحظة . فأنا لا أحب وضع اللاجئ السياسى وبالذات لصحفى لأنه إذا ابتعد عن جذوره وعن مناخه الطبيعى انتقل من عالم الحقائق إلى عالم الأوهام ، ومن دنيا الناس إلى دنيا الأشباح ، وذبلت الأفكار فى رأسه كما تذبل الزهور حتى وإن وضعت فى أوان من الذهب !

وهكذا فإنه عندما منعنى المدعى الاشتراكى من السفر ـ ١٩٧٨ ـ وجدنى فى مصر . وحينما أراد سحب جواز سفرى وجده فى درج مكتبى . وحتى حين أرادوا اعتقالى بعد ذلك فى سبتمبر ١٩٨١ لم يذهبوا إلى أبعد من الاسكندرية لكى يجدونى على شواطئها ، ومن هناك نقلت إلى السجن .

٥ ـ خلال هذا كله ـ الحملات وتحقيق المدعى الاشتراكى والسجن ـ فلقد كان الاتهام الموجه الىّ وبدون تفاصيل أو أسانيد هو « أننى بما كتبت وقلت خارج مصر أسأت إليها » ـ ولهذا وجب الحساب والعقاب !

ولقد تم الثانى ولم يسبقه الأول ـ أى حل العقاب ولم يقع الحساب .

وشاءت المقادير أن يختصر العقاب قبل أن يأخذ مداه ويستوفى ما كان مكلفا به . وانقضى عصر ، واختلف جو ، وتغيرت آفاق .

وطوال الوقت فقد كان مناى أن ينشر فى مصر شئ مما قيل أننى أسأت به إلى سمعتها لكى يحكم الناس !

ومع ذلك فلم يخطر ببالى على الفور وقتها أن أبادر بتصحيح أو توضيح ، فقد ظننت أن الأيام كفيلة بأن تضع كل أمر فى نصابه وترد كل حق إلى موضعه .

وأنا فى العادة عزوف عن استعمال حق الرد خصوصا فى ظروف لاتسمح بالحق من أصله. ومن ثم تصبح ممارسة الفروع ـ أو محاولة ذلك ـ نوعا من ضرب الرؤوس بالجدران ، وحتى لو لم تكن كذلك فان القول المأثور عن « برنارد شو » يبدو مقنعا لى : « إنهم يقولون ـ ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون » !

٦ ـ وفى تلك الفترة صال وجال كثيرون ـ أسميهم فى العادة « فرسان الساحات الخالية » ـ هؤلاء الذين يرمحون فى ميادين يعرفون مقدما أنه ليس فيها « عدو » وبالتالى ليس عليها قتال .

وحين وصلت إلى من بعيد صرخات « فرسان الساحات الخالية » التى كان مقصودا بها إرهاب « العدو » قبل ملاقاته لم أجد فيها ما يغرينى أو يدعونى إلى الاصغاء لاصواتها ، أو انتظار أصدائها !

لقد خرجت مرتين اثنتين بالعدد عما آثرت الالتزام به .

● مرة حين نشرت إحدى الصحف عنوانا رئيسيا فى صفحتها الأولى تعليقا على رأى أبديته خارج مصر بمعارضة « رحلة القدس » قالت فيه بالحرف « واحد ضد مصر » ـ كان ردى على ذلك كلمة واحدة فى نهاية مقال نشر أيضا خارج مصر جاء فيها « بل واحد من مصر » !

● وفى المرة الثانية كان ردى كتابا عنوانه « بين الصحافة والسياسة » وهو يحكى بنفسه قصته ولا أريد أن أعود إليها لأن القصة فى حد ذاتها مؤلمة وحزينة . وقد كنت أفضل أن أكتم تفاصيلها فى نفسى ولكن أصحابها لسوء الحظ لم يتركوا لى خيارا غير أن أروى الحقيقة كاملة وبوثائقها !

٧ ـ وخلال هذا كله لم يكن يراودنى شك فى أن الظروف سوف تتغير وأنه سوف يجئ يوم ينفذ فيه ولو شعاع ضوء يكشف لكل الناس ما لابد أن يروه .

ومن الحق أن أعترف أن صحف المعارضة فى مصر ـ وبالتحديد « الاهالى » و « الشعب » ـ حاولت ما استطاعت أن تصلنى بالقارئ المصرى ـ لكن صحافة المعارضة مظلومة فوسائلها محدودة ومجال حركتها مقيد ، ومن ناحية أخرى فقد كنت أشعر طول تلك

الفترة أن المساحات التى تخصصها هذه الصحف أحيانا لما أقول أو أفعل هى عملية خصم من حقوق أحزابها وكتابها الذين هم أصحاب الحق قبل غيرهم فى مساحات صفحاتها

ثم تحوّل شعاع الضوء إلى نافذة تفتحت كاملة للشمس من حيث لم أحتسب وأتوقع وهذه مفارقة غريبة .

فقد كانت النافذة هى جريدة « أخبار اليوم » ورئيس تحريرها الأستاذ « إبراهيم سعدة »

ولابد أن أعترف له أننى تشككت فى نواياه حينما زارنى فى مكتبى فى أواخر سنة ١٩٨٥ ليقول لى أن صفحات « أخبار اليوم » مفتوحة أمامى إذا أردت .

ولقد كان مبعث تشككى هو اختلاف آرائنا وتوجهاتنا .

وربما من هنا فإننى وضعت عرضه موضع الإختبار العملى . وأشهد أنه كان عند وعده وتحمل بسببه راضيا ما جعلنى ـ رغم اختلاف الآراء والتوجهات ـ أعتبره صديقا يتحتم علىّ أن أعفيه من مآزق قادته اليها جرأته

لقد قبلت عرضه بالكتابة فى « أخبار اليوم » متشككا فيها

ثم أعفيته من حرج الكتابة فى « أخبار اليوم » متعاطفا معه لأن ماكتبته أغضب أكثر مما أرضى !

ثم طرأت فكرة هذا الكتاب لدار الشروق . واستمعت لها وفكرت ورحبت أملا أن تملأ ثغرة وأن تستكمل السجل كما قلت .

وكان ماكتبته أو نشرته فى فترة الحظر علىّ فى مصر يندرج تحت عدة بنود :

١ ـ بند الكتب الكاملة التى نشرتها باللغة الانجليزية وترجمت عنها إلى عشرات اللغات بينها العربية . ومن نماذجها مثلا « وثائق القاهرة » و « الطريق إلى رمضان » و « القوميسار وأبو الهول » و « عودة آية الله » و « خريف الغضب » و « ملفات السويس » .. إلى آخره ـ وهذه موجودة مطبوعة ومنشورة

٢ ـ بند المقالات المكتوبة بلغات أجنبية والتى نشرت فى صحف مثل « التيمس »

و « الصنداى تيمس » و « النيويورك تيمس » وغيرها ـ وهذه تحتاج إلى ترجمة للغة العربية قد تسنح لها فرصة ذات يوم

٣ ـ بند المحاضرات فى جامعات عالمية (مثل جامعة « أوكسفورد ») أو محافل دولية (مثل « اليونسكو ») ـ وهذه أيضا تحتاج إلى ترجمة للغة العربية عليها أن تنتظر دورها

٤ ـ وأخيرا فقد كانت هناك الأحاديث الصحفية التى أدليت بها خارج مصر وبالذات صحف العالم العربى على أراضيه نفسها وفى مهاجره البعيدة . ولقد كان ذلك بالتحديد هو جوهر الفكرة التى طرأت لـ « دار الشروق » ورحبت بها شاكرا ومقدرا

ولقد رجوت الصديق الأستاذ « فهمى هويدى » أن يتولى إختيار الأحاديث التى يضمها هذا الكتاب من بين كم هائل جمعته « دار الشروق » ، ورجوته أن يكون نشر الأحاديث بنصوصها كما كانت لاتتغير كلمة ، ثم أن يظهر مع كل حديث تاريخ نشره والصحيفة التى نشرته ثم اسم الزميل أو الزميلة التى أجرته معى وعندما اطّلعت على النتيجة النهائية للاختيار كان عرفانى للصديق الذى قام بهذه الأمانة صادقا وعميقا

وبعد فهذه نماذج من أحاديث قيلت فى وجه العاصفة وكل أملى من نشرها ـ كما أسلفت ـ أن تطرح موضوعها . وأن تستكمل السجل ، ثم أن تجلو وجه الحقيقة .

محمد حسنين هيكل

«ستقع حرب خامسة . وسادسة»

قبل أن يبدأ جولته فى المشرق العربى بزيارة بيروت التى يصلها اليوم (١٤ يناير ١٩٧٥) . تحدث الأستاذ محمد حسنين هيكل عن سبب هذه الجولة . قال أنه فى صدد وضع كتاب عن العالم العربى « أحكى فيه رؤيتى لهذا العالم إلى الرأى العام فى الخارج » . وتحدث أيضاً عن أزمة الشرق الأوسط قائلاً أنه يتوقع حرباً خامسة وسادسة ، وأن السلاح النووى لن يستخدم لا فى المنطقة ولا فى غيرها . وتطرق إلى سلاح النفط . فقال إن البترول استفاد من أزمة الشرق الأوسط أكثر من استفادة هذه الأزمة منه .

● جريدة الأنوار اللبنانية (١٤/ ١/ ١٩٧٥) ـ هدى الحسيني.

عن أسباب الجولة العربية التي قام بالجزء الأول منها إلى المغرب مروراً بالجزائر ثم تونس، قال محمد حسنين هيكل: السبب أنني أضع كتاباً عن العالم العربي. الفكرة؟ نحن الآن في الربع الأخير من القرن العشرين ونشرف على القرن الحادي والعشرين بكل تحدياته. العالم العربي بارز كقوة من القوى التي ستؤثر في الربع الأخير من القرن العشرين وسيكون لها دور كبير في تشكيل لقرن الواحد والعشرين، لأن المنطقة منطقة صدام ليس فقط صداماً محلياً ولكن صدام قوى كبرى، أقصد صداماً محتملاً.

المنطقة، كما ترين، فيها مصالح حساسة جداً للغرب، وهي مهمة جداً بالنسبة إلى الشرق. المنطقة تولد أكبر كمية نقد موجودة في العالم أكبر طاقة مالية، وتؤثر تأثيراً كبيراً.

وبالإضافة إلى أن دول الشرق الأوسط مقر حضارات وممر استراتيجي، فهي أيضاً مهمة في الفترة المقبلة. كانت مهمة وستزداد أهميتها أكثر وأكثر. ونتيجة لهذه الأحوال، وجد تشوق كبير لمعرفة كل ما يتصل بالعالم العربي.

للعالم العربي، عدة صور منعكسة في الخارج وكلها فيما يبدو بعيدة عن الحقيقة. منها صورة العربي الإرهابي وهذا ليس العالم العربي. منها صورة العربي البدوي التي ساهم في رسمها لورنس، ومنها صورة العالم العربي الذي يسافر للمقامرة في الكازينوهات. وكلها صور غير صحيحة. والسؤال: أين هو العالم العربي الحقيقي وسط هذا كله؟

أوروبا الغربية كلها تعتقد أن العالم العربي سبب أزمة الطاقة وسبب أزمة النقد. هذه الصور موجودة.

كيف جاءت فكرة الكتاب؟ كنت موجوداً في لندن أضع مقدمة كتابي الذي يصدر في فبراير (شباط)، وحدث مرات كثيرة أن اشتركت بمناقشات عن العالم العربي، وبعض الناس، بعض الناشرين وبعض كبار الصحافيين الغربيين بدأوا يظهرون اهتماماً كبيراً بالعالم العربي. ثم حدث أن وجه إلي اقتراح: «لماذا لا تكتب عن العالم العربي؟ نحن مهتمون ونعتقد أن هناك الكثير من الناس المتشوقين، فما رأيك لو تكتب عن العالم العربي؟».

أنا كنت أضع تصوراً آخر، لكتاب آخر، فأعطينا الأسبقية لكتاب العالم العربي. هذه هي الفكرة. وفعلاً هناك تشوق كبير عند الناس لمعرفة ماذا يحصل في العالم العربي.

● **بالنسبة لجولتك، كيف تقيم العالم العربي الآن؟**

■ سأقول لك.. أولاً لماذا أقوم بالرحلة؟ أعرف كفاية عن العالم العربي. وكنت أستطيع البقاء في القاهرة والكتابة عن العالم العربي، خصوصاً وأن المطلوب ليس تاريخاً للعالم العربي أو تقييماً لدوره. المطلوب مني، رؤيتي أنا للعالم العربي.. وسأحكي كيف أراه، للرأي العام في الخارج.

● **هل تختلف وجهات النظر أو الفكرة التي تريد أن توجهها للعالم الغربي عن فكرتك للعالم العربي؟ وهل هناك فكرتان؟.**

■ لا وجود لفكرتين. إنما كما يقولون «مراعاة مقتضى الحال» هكذا تعلمنا في المدارس. على سبيل المثال: لو كنت راغباً بالكتابة عن العالم العربي داخل العالم العربي، لكنت وضعت كتاباً يفجر الدنيا كلها، لأنني سأضع التناقضات التي أنا طرف فيها، مع أطراف عربية أخرى موجودة. لكن، عندما أكتب كعربي للعالم الخارجي، فأحاول أن أعكس العالم العربي كما هو، وكما أريد أن يراه الناس في الخارج، ليس بكذب أو زيف أو دعاية. لا أحد يقبل منا هذا الكلام. إنما جنب الحقيقة، لكن تشعرين أن هناك أشياء لا تخوضين فيها.

وعندما أرغب أن أكتب عن العالم العربي.. تجربتي فيه.. العالم العربي كما رأيته في العشرين سنة الماضية، أو ما أتصور أنه آتٍ، فيجب أن أدخل في

مشاكل كبيرة. وهذا في رأيـي نوع آخر. الواحد عندما ينتهي من كل ما يرغب في كتابته للعالم، يستطيع عندئذ أن يتفرغ فيجلس ويثرثر ويفرقع الـدنيا، «مش مشكلة».

● **نعود إلى تقييمك للعالم العربي.**

■ كما قلت لك، أنه باستطاعتي الكتابة وأنا في القاهرة. لكن هناك شيئاً غريباً، سأقوله. أنا كنت أفكر في القيام بهذه الرحلة قبل أن تأتي حكاية الكتاب. لماذا؟ مضت فترة بعدت خلالها عن العالم العربي. بعدت بالملامسة المباشرة، بالرؤية الذاتية وبعدت عن الناس. ظهرت قيادات أنا لا أعرفها. مثلاً: أكاد لا أعرف أحداً في العراق. أكرر ظهرت قيادات جديدة آخر مرة دخلت فيها سوريا كانت في فبراير (شباط) ١٩٦١. لهذا شعرت وأنا أكتب عن العالم العربي وقضاياه أن الأمر إلى جانب المتابعة، وكوني أرى الكثير من الناس وأقرأ باستمرار.. شعرت مثلاً، أنه من الضروري «وضع الأصبع» على نبض العالم العربي. كنت أفكر في القيام بالرحلة دون أية أسباب ثانية.

شعرت أنني ابتعدت عن العالم العربي ومن المفيد أن أسافر وألقي نظرة، طالما أنني أفكر بالكتابة.

لم يكن في ذهني أن أضع كتاباً عن العالم العربي. إنما قضية الكتابة التي أنا متمسك بها. ولما أتت هذه الفكرة، أصبحت مصراً على الخروج للقيام بهذه الرحلة ضمن إطار الكتاب.

ما هو تقييمي للعالم العربي؟ أنا أتصور، بلا جدال، أن العالم العربي يتغير بسرعة. العالم العربي فيه ثروة كبيرة، والعالم العربي هو في منطقة صراع واحتكاك، والصراع والاحتكاك يصحيان الدنيا كلها. إذن العالم العربي هو منطقة على الحركة العنيفة.

انظري إلى العالم العربي الداخلي عنده صرخة كبيرة اسمها التنمية. الكل يصنع أو يحاول التصنيع. البعض الأول خطأ، الثاني يذهب هدراً في البحر. وفي البعض، الناس يضحكون علينا لكن في النهاية هناك جزء كبير من هذه التجارب

باق. العالم العربي متجه بأقصى قوة للتصنيع. العالم العربي متجه بأقصى قوة للتعلم. هناك قوى وتيارات تاريخية تجعل العالم العربي يتحرك حتى لو لم يشأ. وهو من أكثر المناطق تحركاً في العالم في رأيي.

بالنسبة لانطباعي، أقول إننا فعلاً في عالم يعيش على الحركة، مليء بالتفاعلات، وبالتالي يتغير باستمرار. أنا كنت في الجزائر، والجزائر تتغير تغيراً قوياً.

● **بعد انتهاء جولتك، ما هي مشاريعك، كتاب آخر؟**

■ بالنسبة للكتب، أعتقد في الفترة حيث عملي فيها مطلوب للسوق الخارجي، أظن أنه واجب قومي أن أخاطب العالم الخارجي..

عندما أقول شيئاً، أكون حذراً. لكنني أقول أن العالم الخارجي عادة لا يطلب منا كتباً سياسية. لا يطلب من العالم العربي كتباً سياسية إذا كان العالم الخارجي هذه الأيام شاعراً أنه يرغب كتباً سياسية عن العالم العربي، ويرغبها من كاتب عربي بالتحديد الظروف ساعدت أن يبقى له اسم في الخارج بشكل ما معروف.. فأتصور أنه من المهم الانتهاء من جزء منها.

أي كاتب في العالم، سواء غربي أو شرقي، له عمر معين، وفترة محدودة. مثلاً، العالم الخارجي سيحتاج إلى كم كتاب مني عن الشرق الأوسط. أربعة كتب، خمسة، سبعة، أنا من أنصار أن أتممها كلها، طالما أن العالم الخارجي يطلب مني كتاباً، ويطلبه ملحاً ومهتماً وجدياً، فيبقى من الواجب أن أؤدي.

أنا سأنهي كتابي الرابع إن شاء الله للعالم الخارجي، وأتصور أن هناك كتباً أخرى.. هناك كتاب آخر، تكلمنا عنه..

● **عن؟**

■ أظن عن الشرق الأوسط أثناء الحرب الباردة.. القوتان الأعظم في الشرق الأوسط في الفترة ما بين الحرب العالمية الثانية لغاية الوفاق..

● لنترك الكتاب قليلاً. هل الدور الذي يعلبه النفط العربي حالياً كاف؟ كاف لخوض حرب دبلوماسية و إثبات قوة العرب؟

■ إذا كان من ناحية إثبات قوة العرب، أعتقد أننا عن طريق النفط أثبتنا هذه القوة. لكن السؤال: هل استعملنا هذه القوة لقضايانا العربية أم لا؟ أعتقد أنه للآن، كلا.

الافتراض الأول صحيح، إننا أثبتنا قوة النفط، أثبتنا قوته جداً كعنصر ضغط. في المقابل أنا أتصور أننا لم نستعمل هذه القوة لصالح القضايا العربية حتى الآن. ربما استعملنا جزءاً واحداً منها، وهو الجزء الخاص بالدعم والمساعدات التي يمكن لدول البترول أن تقدمها لدول المواجهة أو للدول الإفريقية أو لدول أخرى. فيما عدا هذا أنا أتصور أن الدور الذي لعبه النفط سياسياً هو دور المساعدة، لكن بالمقدار نفسه، نحن كنا نطلب من النفط أن يساعد على حل عربي لأزمة الشرق الأوسط.

. لكنني أتصور، أن أزمة النفط استفادت من أزمة الشرق الأوسط أكثر مما استفادت أزمة الشرق الأوسط من أزمة النفط. يعني، كانت هناك مشكلتان، كل واحدة فيهما تبحث عن حل. كانت هناك أزمة نفط وكان هناك أزمة شرق أوسط. المهتمون بأزمة الشرق الأوسط كان أملهم أن يستعملوا النفط كعنصر ضغط من أجل تهيئة السبيل لإيجاد حل معقول لأزمة الشرق الأوسط إلى جانب عوامل أخرى طبعاً، منها الحرب.

في الوقت نفسه، كانت هناك قوى أخرى، المهتمة بأزمة النفط تتصور أنها تستعمل أزمة الشرق الأوسط وبما فيها الحرب لخلق ظروف مؤاتية أكثر لموضوع النفط في حد ذاته.

وأتصور أنه في هذا الدور، كان لأزمة النفط رصيد أكبر جداً من أزمة الحرب. بمعنى أن النفط استعمل الحرب أكثر مما الحرب استعملت النفط.

● ما هي إذن بنظرك الطريقة كي يلعب النفط دوره الأهم؟

■ سأقول بأمانة، الدور الأساسي للنفط العربي هو أن يبني عالماً عربياً قوياً. أنا

أعتقد أن سعر النفط الحالي دفع فيه دم أناس، أي هناك دماء دفعت كي يصل سعر النفط الحالي إلى ما هو عليه. وبالتالي، الدخل المتولد عن هذا النفط هو بالدرجة الأولى ملك أصحابه، لكنهم يملكونه ملكية اجتماعية، أو قومية، وهذا يرتب عليهم مسؤوليات أوسع جداً من الحدود الوطنية أو حتى من حدود المساعدات التي تعطى بدافع الأخوة.

حالياً، الأمن العربي واحد. لا يستطيع أحد إنكار هذه الحقيقة. والرخاء العربي بنفس المقدار واحد. ولا يمكن أن يحيطنا رخاء في منطقة وإلى جانبها منطقة ثانية، منطقة جوع. فمع التفاعلات العربية ومع وحدة العالم العربي. سنجد أنفسنا أصبحنا وسط صراع داخلي عربي بين الفقراء والأغنياء، وأعتقد أن هذا الصراع سيؤدي بالعالم العربي إلى مشكلة كبيرة.

مسؤولية النفط:

١ ـ بناء عالم عربي قوي يقدر على المواجهة.

٢ ـ بناء عالم عربي، المتناقضات الاجتماعية فيه أقل، مجتمع عربي ينمو بنفس المقدار.

٣ ـ بلا أنانية، يجب وضع الجهود في التنمية حيث الظروف أكثر مؤاتاة لها.

وإلا سنجد أنفسنا نقوم بأعمال متعارضة. ما يحصل هذه الأيام، هو أن العالم العربي يخلق أسباباً للتعارض فيما بينه داخلياً أكثر مما يخلق أسباباً من أجل الوفاق وليس الوحدة. وسنجد عندنا مصالح متعارضة بدل المصالح المتوافقة. والمصالح المتعارضة ستؤدي إلى صراعات عربية حتى صراعات بالمعنى الدولي العادي، وبدل أن نبني قوة ذاتية لأمة بحالها نبني شظايا أو نزيد التراكمات التي وراء الحدود.

النفط العربي كما أتصور يستطيع أن يقوم بأعمال كبيرة.

● **هل تعتقد أن الحل السلمي أو الحوار الديبلوماسي سيؤديان بالفلسطينيين للعودة إلى الضفة الغربية وقطاع غزة؟**

■ لا يوجد ما يسمى بالحل السلمي العمل السلمي تسول دون نتيجة. ما كنت أحاول قوله، وأرجوكم جميعاً فيه، هو أن تتكلموا عن العمل السياسي..

ما معنى العمل السياسي؟ يعني أن أذهب وأرجو واحداً، أو إذا أضفت لكلمة السلمي كلمة ديبلوماسي يعني أذهب وأقول القانون الدولي. قواعد القانون الدولي تقول.. لا يوجد في العالم محكمة تمنع حكماً لأي واحد. العالم يعترف بالقوة السياسية، القوة الحقيقية لأي طرف من الأطراف هي التي تكون وزنه وتحدد مجال حركته وتمنحه رقعة ما يستطيع تحقيقه من آمال أو من خطط.

أما إذا قلنا الحل السلمي أو الديبلوماسي، فكأننا نتكلم عن طلب الرأفة أو عن التمسح بحجج القانون الدولي ومحكمة العدل، والاثنان لا مجال لهما. ما أتكلم أنا عنه، هو العمل السياسي.

العمل السياسي هو عمل تدخل فيه جميع الوسائل.

في العمل السياسي، يوجد العنصر الدعائي العنصر الديبلوماسي، العنصر القانوني، العنصر الاقتصادي، العنصر العسكري. وعندما نتكلم عن العنصر العسكري، يدخل فيه العسكري التقليدي والعسكري غير التقليدي، استعمال العنف المشروع في استعادة حق من الحقوق اعتدي عليها بالعنف.

وعندما تسألين هل سيرجعون بعمل ديبلوماسي أو سلمي.. أجيبك لن يرجعوا حتى إلى أي مكان. لكن إذا سألت هل سيرجعون بعمل سياسي أقول لك: نعم سيرجعون حيث يكون للديبلوماسية مجال جيد، ومجال للقتال ومجال للاقتصاد عن طريق أطراف عربية أخرى... وهكذا.

● **بعض المراقبين السياسيين يقول أن الحرب الخامسة ستقع مع ربيع ٧٥ . . ما هي توقعاتك؟ وهل الحالة الاقتصادية المتدهورة في إسرائيل تسمح لها بحرب خامسة؟**

■ أنا واحد من الناس الذين يعتقدون أن هناك حرباً خامسة، وأقول هناك أيضاً حرب سادسة وأعتقد أيضاً بوجود حرب سابعة، ليس لأني داعية حرب. . أبعد حد عن تصوري أو طبعي أو منطقي أن يتهمني أحد بأنني داعية حرب، إطلاقاً.

لكن الحاصل أنني أرى المنطق الإسرائيلي. هذا المنطق سيجر المنطقة إلى حرب، لأن إسرائيل حتى الآن، غير قابلة للنتائج السياسية للأيام الخمسة الأولى من حرب أكتوبر هذا يترتب عليه أمور كثيرة جداً.

إسرائيل غير قابلة لانبعاث الكيان الفلسطيني مرة ثانية أمامها، متجسداً كحقيقة دولية. أنا أتصور أن إسرائيل إزاء هذا كله لن تقبل سلاماً في المنطقة إلا سلامها. وهنا يوجد تعارض تماماً بين السلامين.

أنا أتصور أن أقصى ما نستطيعه أن نكون فيها معتدلين، وأنا ذكرت لكن قبل مرة، أن عندنا خياراً في حاجتين: إما قرار التقسيم ٤٧ ، وأما دولة علمانية.

أنا أتصور أن إسرائيل سترفض الدولة العلمانية إذن نصل إلى قرار ٤٧ ، إسرائيل لن تقبله.

وبسبب كل هذه الظروف التي ذكرتها لن يبقى لإسرائيل إلا اللجوء للقوة. منذ فترة قصيرة أعلن كاتزير رئيس دولة إسرائيل، أن إسرائيل عندها الإمكانية لصنع قنبلة نووية وستفعل إذا اضطرتها الظروف ولو أنه أضاف بعد ذلك على أنها لن تكون البادئة.

لن تكون البادئة؟ هذا كلام يغطي الكلام الذي قاله: إذن نحن داخلون في نوع آخر من التشهير، ولعلك تذكرين مقالاً من مقالاتي كتبتها السنة الماضية وكان عنوانه «القنبلة»، لأنني كنت أتصور أن إسرائيل في رفضها لسلام معقول قد تلجأ إلى التشهير النووي كخطوة أولى. . وها قد بدأت هذه الأيام.

إذن، سنجد أنفسنا داخلين في صدام قد لا نريده، ولكن سيظل مفروضاً علينا. ظروف توازن القوى بيننا وبين إسرائيل. أتصور أن السلاح النووي لن يستخدم في المنطقة ولو أنني من الناس الذين كانوا السنة الماضية يطالبون بأن العالم العربي لا بد أن يبقى عنده رادع نووي على الأقل ليقيه مخاطر التشهير فقط وليس للاستعمال. القنابل الذرية في اعتقادي لن تستعمل لا في الشرق الأوسط ولا في غيره. وأظن أنها إذا استعملت، فستكون في ظروف أخرى، وليس الآن. ولكنني ما أزال أطالب أن تكون عندنا قوة ردع عربية نووية مشتركة، على الأقل تمنح العرب الطمأنينة من التشهير الذري فقط.

إذا استبعدنا الحرب النووية، تبقى موازين القوى الموجودة حالياً وبينها الأسلحة التقليدية، التي أشك كثيراً جداً أن تسمح لطرف من الأطراف أن يقوم بحرب تنهي كل الحروب. . وماذا يبقى إذن؟ ستكون هناك جولة ولكن غير نهائية.

وبعدها، لا أتصور مهما كانت نتيجتها أن إسرائيل ستغير من صلابتها أو عنادها أو عماها. في الصهيونية نوع من العمى. . مثلاً غولدا ماير كانت تقول «أين الفلسطينيون؟ هل هناك شيء اسمه فلسطين. . لا يوجد». . في التفكير الإسرائيلي، شيء غريب جداً، قدرة على الرغبة أو إقناع النفس بالنسبة لأشياء حقيقية وموجودة، ولكن لأنه يتخوف منها، فمن الأوهام يلغي وجودها. الحقيقة موجودة إنما كأنه لا يراها.

ربما أكثر حاجة تنرفز إسرائيل من الأعمال التي يقوم بها الفدائيون أحياناً أنهم يفكرون بأن هناك شيئاً اسمه كذا. .

الإسرائيلي يريد أن يقفل هذه الحقيقة. الوجود غير موجود إطلاقاً، لأن هذا يريحه، يريحه ضميرياً وتاريخياً وسياسياً وعسكرياً وكله، لأن حتى من ناحية الضمير وهو سارق، ومغتصب بيت وأرض يشعر كإنسان أن فيه جزءاً معذباً، فيفضل أن يقفل عليه كي لا يراه إطلاقاً. وعندما يقوم الفلسطينيون بعمل يذكر إسرائيل إنهم موجودون، أظن أن الإسرائيليين يشعرون بأزمة ضمير، وهذا ظاهر من تصرفات بعض الناس داخل إسرائيل. أقول هذا كي نبقى منصفين أيضاً.

نعود لما كنت أقوله، فبسبب موازين القوى لا يوجد معركة حاسمة وإسرائيل لن تغير بسهولة. إذن، أتصور الجولة الخامسة ستحصل والجولة السادسة. . بقي فقط مسألة التوقيت. . لا أحد يعرف متى.

. . إن القضية الفلسطينية بعد كل الذي حصل، بعد أكتوبر وبعد النجاح الذي حققته القضية الفلسطينية بالاعتراف العالمي، ربما هناك من يقول: ما أهمية الأمم المتحدة أتت بفلسطين كمراقب. هذا الاعتقاد غلط جداً، لأنه لو تصرفنا هكذا، فيعني أننا ننظر للأمور نظرة سطحية جداً. هذه حقيقة سياسية مسألة في منتهى الأهمية أن فلسطين أصبحت موجودة في الأمم المتحدة.

العالم تعود أن يسمع كلمة فلسطين. تعود أن يرى ممثلي الشعب الفلسطيني. تعود أن يسمع كلمة حق فلسطين، تعود على أشياء كثيرة جداً ويجب أن ننميها.

أنا، ماذا أريد أن أقول؟ أتمنى أن كل الأطراف، كل الفصائل في القضية الفلسطينية يعرفون أنهم بسبب مجهود الأمة العربية كلها، وبسبب تضحيات من ناس من عندهم هم، فالعالم كله حالياً مستعد أن يتقبل. في وقت، هناك عالم مستعد أن يتقبل وأن يسمعك. فهذه فرصة لن تتاح.

وأتصور أن أي فلسطيني ينسى أن العالم يسمعه هذه الأيام وينسى أنه يجب فعلاً أن يكسب أكبر كمية ممكنة من الأرض أمام العالم. وأنا أعتقد أن الفلسطينيين سيكسبون من أرضهم بمقدار ما يكسبون من اهتمام العالم بهذه الأرض.

بالتالي، أنا لا أعرف ما هم فاعلون إنما أتصور أن الوقت جاء ليحاول الفلسطينيون أن يجمعوا أنفسهم، ويعثروا على أرضية مشتركة ويتوجهوا أكثر فأكثر صوب العالم.

حجر زاوية الدور العربي
التنسيق بين مصر وسورية

لم يتقيد الأستاذ محمد حسنين هيكل، تماماً بعزمه على «ان أسمع كثيراً وأتكلم قليلاً، أو لا أتكلم أبداً» في زيارته للبنان، وهو ما أعلنه عند وصوله إلى مطار بيروت في الأسبوع الماضي، بادئاً جولته العربية الثانية لاستكمال صورة الأحداث والآراء والقيادات، قبل إعداد كتابه عن العالم العربي حسب اتفاق وقعه مع صحيفة «الصنداي تايمز» اللندنية، يلزمه بتسليم الكتاب في شهر أيار (مايو) المقبل.

فقد تحدث في نقابة الصحافة اللبنانية وفي «دار الصياد» وفي مكاتب «النهار». وللصحافيين عند خروجه من لقاءات مع عدد كبير من السياسيين.

الجولة العربية الأولى لهيكل، في الاعداد لكتابة، شملت المغرب والجزائر وتونس، حيث قابل الملك ورئيسي الدولتين. الجولة الثانية بدأت في بيروت بالاسبوع الماضي، وتشمل دمشق، عمان، بغداد، الخليج العربي والسعودية. أما الجولة الثالثة فستشمل السودان، ليبيا واليمنيين الشمالي والجنوبي.

في بيروت استقبله الرئيس سليمان فرنجية، الذي دعاه بصحبة عقيلته إلى تناول طعام الغداء. واستقبله السيد ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية.. كما عقد لقاءات مع رئيس مجلس النواب كامل الأسعد، رئيس الحكومة رشيد الصلح والإمام موسى الصدر.

والتقى رؤساء تحرير وكبار محرري «دار الصياد» ـ بعدما زار سعيد فريحة في مكتبه.

● مجلة الصياد اللبنانية ـ ٢٣/١/١٩٧٥

بدأ الحوار بترحيب من عميد «دار الصياد» سعيد فريحة ثم طرح سؤالا على هيكل عن مستقبل أزمة الشرق الأوسط. فأجاب هيكل:

■ لا أرى أن السلام مقبل. الحل المرهون هو الخيار العسكري الذي أراه بعيداً، ولكنه يبقى موجوداً في الأزمة.

لا أتصور أن اسرائيل على استعداد لأن تعيد أراضي بأي نوع من أنواع التفاوض، لا التفاوض الثنائي ولا التفاوض في جنيف. اذن لا بد من ممارسة الضغط، والوسيلة الوحيدة هي الاحتمال العسكري الذي يجب أن يبقى قائماً، إما لمجرد وجوده أو لاستعماله إذا اقتضى الأمر.

في الوضع الحالي، الاحتمال العسكري الوحيد الموجود، أو الجبهة الوحيدة الساخنة والمليئة بالحركة هي الجبهة اللبنانية. والجبهة اللبنانية لا تستطيع أن تحارب وحدها بسبب ظروفها، وهو سبب جوهري.

الجبهة السورية لا تستطيع أن تتحرك حركة مؤثرة دون الجبهة المصرية.

إذن الجبهة المصرية هي المفتاح.

لا أتصور أن اسرائيل على استعداد لتقديم حل. تقدم الحل لماذا؟ لا مبرر. ثم، حالياً تمارس ضد المنطقة سياسة خلخلة الأمور، طبقاً لنظريات الدكتور هنري كيسينجر التي تستهدف تخلخل الأوضاع الموجودة.

وأضاف: ربما تصل الرئيس أنور السادات خلال أيام مقترحات اسرائيلية عن طريق أميركا. وهذه المقترحات مرهونة بالضغوط. ولكنها لن تكون كافية.

وعن الدور السوفياتي، والأميركي والسوفياتي ـ الأميركي الذي يمارس منذ حرب تشرين في المنطقة، قال هيكل:

■ من غير تحيز، أنا لا أرى أن السوفيات ارتكبوا أخطاء معنا. ربما جرحهم أنه بعد أكتوبر التي حاربنا فيها بأسلحة روسية، قبلنا بسرعة مشروع حل أميركي، أو دورا أميركيا مفضلا على غيره.

من الناحية المصرية قد يكون هناك ما يبرر ذلك، لأن أميركا هي الوحيدة القادرة على الضغط على اسرائيل. ولكنني أختلف مع هذا الرأي، لأن أميركا لا تستطيع أن تمارس أي ضغط بسبب ظروفها: اقتراب الانتخابات الرئاسية، فضيحة ووترغيت، وضع الرئيس جيرالد فورد ونظرة كيسينجر للصراع العربي ـ الاسرائيلي وللاتحاد السوفياتي.

ملخص موقف السوفيات:

اننا ساعدنا وأنتم حاربتم بأسلحتنا، ثم نظرتم باتجاه آخر.

وجدوا أنفسهم مستبعدين من جنيف . . . ثم قالوا: إذا كان تصوركم أن الأميركان سيقدمون شيئاً، فاننا ننسحب جانباً، ولكن ليس من كل المنطقة. وهم يقولون في الوقت الحالي: جربوا، ولعبتهم هي: «ننتظر لنرى».

اللعبة الأميركية، صورت للناس أن الأميركيين سيفعلون أشياء كثيرة، ولم يستطيعوا. أسباب ذلك أن لاسرائيل ارادة مستقلة. لأن الوضع الأميركي الداخلي ضعيف، واسرائيل تستطيع الضغط على أميركا أكثر مما تستطيع أميركا الضغط على اسرائيل، فاسرائيل تستطيع أن تحرك قوة كبيرة جداً في الولايات المتحدة. كما ان اسرائيل في وضع عسكري لا بأس به. ثم الوضع الاسرائيلي الداخلي ضعيف، واسحق رابين نفسه لا يملك قاعدة سياسية، وتستمر حكومته بأصوات معدودة جداً.

إن الأميركيين، بعد التصورات التي كانوا يعدون بها بدأوا يتراجعون. . . باتجاه تغيير النظام، باتجاه وجود رئيس أميركي «ما يعرفش راسو من اجريه» ومركز

كيسينجر يضعف وفشل الاتفاقية التجارية الأميركية ـ السوفياتية، التي كان يجب أن تتم، يجعل الوضع الأميركي يدخل أكثر في المشكلة.

أما اللعبة الأميركية ـ الروسية في ما يتعلق بالشرق الأوسط، فاعتقد أن الأميركيين والسوفيات فيها متفقون على أن لا يحصل في الشرق الأوسط انفجار، قد يجر أحدهما أو يجرهما معاً إلى حرب، لأن روسيا تملك امكانات التحريك العسكري، وأميركا تملك امكانات التحريك السياسي. إلا أن منطقة الشرق الأوسط تظل بالنسبة إلى كليهما منطقة مبارزة.

وحول السلام بالمفهوم الأميركي، والسلام بالمفهوم السوفياتي قال هيكل:

■ أميركا ترغب في فرض وضع معين في الشرق الأوسط، بينما يهم روسيا أن يقف الصراع السياسي بشكل أو بآخر كصراع مسلح، لتبدأ مرحلة التفاعلات الاجتماعية.

ولكن، ما دور العرب، وسط الالعاب الدولية في المنطقة:

أجاب هيكل:

■ أولاً لا بد من تنسيق مصري ـ سوري، تماماً كما كان في الساعة الواحدة ظهر السبت السادس من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣. وإذا لم يكن هذا التنسيق موجوداً أشعر بخوف.

لنلق نظرة على العالم العربي في وضعه الحالي، لا نجد أنه يعكس ارادة واحدة، ولا وجود لطرف يعكس ارادة مؤثرة، أو دولة عربية تملك ارادة غالبة.

ثم أن مصر لا تستطيع أن تحارب وحدها ولا سورية. ربما تستطيع احداهما القيام بمعركة دفاعية، لكنها لا تؤثر التأثير المطلوب.

ثم بالنسبة لأسعار النفط يبدو كأنك عاقبت من وقف إلى جانبك، وكافأت من وقف إلى جانب اسرائيل!

لغاية الآن، لا أشعر أننا طرف وأن لنا تأثير عربي فعال. وكي نعيد الوضع العسكري إلى المكان الصحيح علينا أن نحاول التفاهم مع روسيا.

وعن امكانية وقوع حرب جديدة، قال هيكل:

■ أجل ستقع حرب خامسة. لأن هدف اسرائيل الغاء القيمة المعنوية لاكتوبر. فانتصار أكتوبر يهدد نظرية الأمن الاسرائيلي. ورغبة اسرائيل في تفريغ مخزن السلاح السوري، وأيضاً كسب وقت أو الهاء العرب بمشكلة أخرى وبمضاعفات أخرى.

ثم أوضح هيكل: إن الخطالسياسي الرسمي المصري لا يتصور اطلاقاً امكان استبعاد الاتحاد السوفياتي عن تحقيق أي حل نهائي.

وسئل هيكل: لقد تضمنت كتاباتك في «الأهرام» نظرية: لا نستطيع أن نحارب أميركا؟ فكيف تفسر ذلك؟ فأجاب:

■ قلت بعدم مناطحة أميركا مباشرة. ولكن هذا لا يعني أن لا امكانية هناك لمواجهتها جانبياً. المهم أن لا يكون هناك تطابق بين أميركا واسرائيل، وعندئذ تستطيع الضرب على منطقة عدم التطابق. ولا تستعمل في ذلك صدرك.

الموقف من أمريكا أصل خلافي مع السادات

كانت الشائعات قد انتشرت عن اعتقال محمد حسنين هيكل، وتناقلتها الألسن قبل وكالات الأنباء. فقررت القبس أن تستطلع الأمر، وذهب مندوبها الى بيت هيكل بغير موعد، يحمل إليه نسخة من العدد الذي نشر فيه النبأ، ويسأله عن هموم الحاضر والمستقبل العربي.

جريدة القبس الكويتية (١٩٧٦/٢/٢١) ـ السيد الشوربجي

قال هيكل: حسناً، لقد تأكدت الآن أن الخبر مدسوس ولا أساس له من الصحة.

وقلت له: نعم تأكدت. . لكنني لا أريد أن أكتفي بهذا. . هناك أسئلة كثيرة حول موقفك وأقاويل عديدة تتردد عنك وحكايات وروايات. . لماذا لا ننتهزها فرصة كي تضع النقاط فوق الحروف، ونوضح الحقيقة حول ما يقال ويشاع عنك في كل مكان. . ثم نسمع رأيك في كثير من أمورنا الحاضرة.

أجاب: حسناً. . سأتحدث معك في كل شيء. . عندما نتقابل سنقول كل شيء. .

عندما حان موعد اللقاء الثاني، بادرني هيكل قائلاً: أرني أسئلتك أولاً قرأها، ثم شطب على واحد منها وهو يقول: هذا السؤال لن أجيب عليه.

كان سؤالي الذي شطبه هو:

«ما هو رأيك في عودة الأستاذين علي ومصطفى أمين لميدان العمل الصحفي في الخط الذي ينتهجانه الآن في صحف أخبار اليوم. .»

ـ وسؤال آخر شطب عليه بقلمه الأسود. . . كان السؤال هو:

«قرأنا أن هناك من يتاجر بك ويبيع مقالاتك وكتاباتك في دول البترول، وإنك تتقاضى ستمائة دينار عن المقال الواحد. . ما هو ردك على هذا الكلام. . .».

قلت له: معذرة لهذا السؤال. . ولكني أريد وضع كل ما يقال أمامك. . فقد كتب ونشر أنك تقاضيت نصف مليون جنية استرليني عن كتابك الأخير «الطريق إلى حرب رمضان».

قال: لو افترضنا أن هذا صحيح، فما هو العيب وما هو الخطأ الذي ارتكبته... حسناً.. سوف أريك شيئاً...

وأخذني الأستاذ هيكل من يدي وقادني إلى أحد أرفف مكتبته حيث كانت هناك مجموعة من الكتب بأحجام مختلفة متراصة بنظام.. وبدأ يطلعني عليها واحداً واحداً... هذه هي بعض الطبعات التي صدرت عن كتابي المذكور.. هذه هي الطبعة الانكليزية... وهذه هي الطبعة الفرنسية.. النرويجية.. اليابانية.. الألمانية.. الهولندية.. السويدية.. التركية.. الايطالية.. الأميركية.. وهذه طبعة انكليزية شعبية، وتلك طبعة فرنسية شعبية.. حوالي سبع عشرة طبعة اطلعني عليها... وقال إن الكتاب ترجم إلى ٢٢ لغة عالمية، وطبع وصدر في كل هذه اللغات.. فلو فرضنا أن دار النشر التي اشترته مني دفعت لي نصف مليون جنيه استرليني عنه... هل يكون هذا كثيراً... ومع ذلك فالحقيقة بعيدة كثيراً عن هذا الرقم.. يا ريت...

وضحكت وسألته: ما هو الرقم بالضبط؟

سألني: كم تقدر أنت؟

قلت: لو كان نصف مليون فعلاً لكانت دار النشر هي الرابحة أيضاً..

قال الأستاذ هيكل:

ـ لنعد إذن لما هو أهم.. دعنا من هذا كله، ولنبدأ بالسؤال الأول:

وكان سؤالي الأول عن تفسيره لحكاية اعتقاله هذه.. وهل حدث شيء من هذا القبيل أم مجرد تهديد بالاعتقال، وما إذا كانت هناك أية قيود على حريته أو ما إذا كان ممنوعاً من السفر للخارج. وكان رده:

ـ «أظنها إشاعة.. والدليل أننا قاعدون الآن وهذه ليست المرة الأولى التي يقال فيها هذا الكلام، الذي لا أعرف دوافعه في التنقل والسفر فلا قيود على الاطلاق، وأنا لا أسافر إلا إذا كان هناك عمل أو مصلحة تدعوني للسفر.. رحلتي الأخيرة مثلاً بدأت في ١٣ سبتمبر الماضي بزيارة باريس... رحت لندن ١٨ سبتمبر، وفي ١٠ أكتوبر وصلت أميركا ورجعت إلى القاهرة يوم أول نوفمبر. يعني الرحلة كلها استغرقت شهراً ونصف الشهر. ومن أول نوفمبر وأنا موجود في مصر

وأزاول نشاطي العادي. . لا اعتقال ولا شيء على الاطلاق. . وكما قلت لك أنا لا أسافر إلا إذا كان فيه حاجة أسافر لها. . . وسفراتي كلها لمدد محدودة أعود بعدها لمصر التي اعتبرها مقامي الأول والأخير. . . وقد كتبت وأعلنت دائماً أنني غير مستعد أن أعيش خارج مصر وغير مستعد أشتغل خارج مصر، وأيضاً غير مستعد أموت خارج مصر إلا إذا جاء أمر الله رغماً عني، لكني أدعو الله ألا يكون موتي في أرض أخرى غير مصر. . . وأنا إذا كنت باكتب عن العالم العربي فأنا أكتب عنه كما أتصوره وأراه من القاهرة لا من خارج القاهرة. . .

عقود حتى ١٩٧٧

● **ماذا تعمل الآن وما هو برنامجك اليومي. . .**

■ أنا راجل منظم جداً بطبيعتي. . الساعة الثامنة صباحاً تجدني جالساً إلى مكتبي هذا حتى الساعة الثالثة بعد الظهر. . . خلال هذه الفترة لا أرتبط بمواعيد أو مقابلات عادة. . . مقابلاتي ومواعيدي واتصالاتي كلها بعد الظهر. . . أقوم بالاتصالات التي يباشرها أي صحفي عادة. . . أما في فترة الصباح فأنا باشتغل في كتبي. . زي ما الناس عارفة خلصت كتاب عن العالم العربي باقدم فيه «بانوراما سياسية» معاصرة للعالم العربي. . هذا الكتاب سيصدر في سبتمبر المقبل في وقت واحد، فعادة تصدر خمس طبعات بخمس لغات عالمية في الأول، ثم يترجم ويطبع بعد ذلك لباقي اللغات. .

الكتاب اللي باشتغل فيه الآن عن الاتحاد السوفيتي في الشرق الأوسط من الحرب الباردة إلى عصر الوفاق. . . متعاقد عليه وميعاد تسليمه مارس ١٩٧٧ عشان يطلع في خريف ١٩٧٧ . . من غير ذلك فأنا باكتب مقالات تنشر في العالم العربي مرة كل شهر. . هذا عملي وبرنامجي. . . وأنا مستريح جداً لهذا الوضع لأني بازاول عملي كصحفي وكاتب. وأنا قلت وكتبت قبل كده اني إذا ما قدرتش أكتب في مصر فسأكتب خارج مصر. . وهذا هو حافزي على كتابة مقالاتي الشهرية في العالم العربي. . ما يهمني هو أن أكتب وأقول رأيي. . .

● قرأنا أنك هاجمت اتفاقية سيناء الثانية وهاجمت الرئيس السادات أثناء وجودك في أميركا وقبل زيارة الرئيس الأخيرة لها. . . ما هي حقيقة ما حدث؟

■ كلمة هجوم لا أوافق عليها. . لازم نتعلم اننا ندير حوارنا ونناقش قضايانا من غير ما تبقى المسألة هجوم على حاجة أو على شخص. . . أما انني انتقدت اتفاقية سيناء الثانية فهذا صحيح لأنها من وجهة نظري لم تكن تحقق مصلحة مصرية ولا مصلحة عربية. . . وهذا رأيي. . . أما الهجوم على السادات فأمر خارج تماماً عن منطقي. . . فالسادات بالنسبة لي سيظل ـ وبصرف النظر عن أية خلافات ـ هو الرجل الذي اختاره جمال عبد الناصر خليفة له. . . وهو الرجل اللي اتخذ القرار في أكتوبر. . .

ليست لدي فكرة عما إذا كان هذا هو السبب أم لا. لكن الذي أعرفه أنني منذ تركت الأهرام، لم أقبل أي منصب آخر. وكنت ساعتها مختلفاً في الاتجاه السياسي. ولم يغضبني اطلاقاً أن يقال لي اترك الأهرام لكن أين أذهب بعد ذلك، هذا قراري أنا. أنا لا أعتبر أنني أحلت إلى المعاش، لأنني منذ خرجت من الأهرام، وأنا أعرف أني متمسك بصفتي الصحفية. وأعرف ماذا أفعله، والباقي يملكه أصحابه.

خلافي مع الرئيس السادات وسبب خروجي من «الأهرام» برضه ما عرفش. . لكن اللي اعرفه أني انتقلت لمنصب مستشار صحفي للرئيس فاعتذرت ولم أستلم عملي هذا على الاطلاق. . بعد ذلك عرض علي الرئيس السادات اني أتولى مناصب صحفية بشرط الالتزام، فاعتذرت لأن أي إنسان لا يستطيع أن يلتزم إلا بما هو مقتنع به. . ثم عرض علي منصب نائب رئيس الوزراء في ابريل الماضي. . أعني في وزارة ممدوح سالم الحالية فاعتذرت. . ثم عرض علي اني أتولى منصب مدير ديوان رئاسة الجمهورية فاعتذرت أيضاً. . اعتذرت عن هذا كله لأني متمسك بصفتي الصحفية، وبارفض تماماً أي منصب رسمي. . مرة واحدة اللي قبلت فيها منصب رسمي. . مرة واحدة اللي قبلت فيها منصب وزير الاعلام ودي كانت في ظروف الكل يعلمها وتمت دون رغبتي وارادتي وبضغط من الرئيس الراحل

عبد الناصر وكتبت عن هذا كله في حينه، ثم تنحيت عن المنصب الرسمي في أول مناسبة سنحت لي. .

● **أشرت إلى خلافك مع الرئيس السادات. . . هل لي أن أعرف بالضبط ما هي أبعاد هذا الخلاف والقضايا التي اختلفتما عليها. .**

■ خلافي أساساً كان يدور حول حجم الدور الأميركي في حل مشكلة الشرق الأوسط. فالرئيس السادات يرى أن كل مفاتيح اللعبة في يد الأميركيين، وأنا اختلفت معه في هذا. . . فرغم أني كنت وما زلت أرى اننا يجب أن نسعى لتحييد أميركا. . . لكن التحييد يفرض ولا يطلب. . . لما تطلب يبقى الكلام عن الحياد، والمسألة في هذه الحالة تكون في يد الطرف الآخر الذي تطلب حياده. . . لكن التحييد يختلف عن ذلك تماماً. . . التحييد فعل من جانبك وليس من جانب الطرف الآخر. . . تحييد أمريكا ليس معناه اطلاقاً أن كل مفاتيح الموقف في يد الأميركيين. . لكن معناه أن مفاتيح الموقف في يدنا نحن. . ونحن الذين نستطيع أن نفرض على أميركا. . وهذا معنى التحييد. . يبقى سؤال: كيف نستطيع ذلك. .؟ والإجابة بسيطة. . في حرب اكتوبر ظهر تحالف بين عناصر متعددة كان قادراً على مواجهة تجربة الحرب. . ونفس هذا التحالف هو القادر على فرض السلام. . . وعناصر هذا التحالف كما ظهرت أثناء حرب اكتوبر تتكون من:

١ ـ نواة من مصر. .
٢ ـ اطار كامل حول هذه النواة من الأمة العربية كلها. .
٣ ـ امكانيات الأمة العربية كلها من نقطة الدم إلى نقطة البترول. .
٤ ـ صداقات دولية أولها بالتحديد العالم الثالث ـ دول الثورة الوطنية ـ الاتحاد السوفيتي ـ أطراف دولية مهتمة بالشرق الأوسط بينها الولايات المتحدة ذاتها وأوروبا الغربية. . .

هذا هو التحالف اللي استطعنا نجرب الحرب في اطاره، وأهم عناصره طبعاً مصر والتضامن العربي حولها. . . إذا اختل هذا التحالف أنا باعتبر ليس فقط أننا أسأنا لفرص السلام بل نكون قد قللنا من قيمة تضحياتنا في الحرب. . .

● استاذ هيكل. . . اسمح لي أن أقول. . أن إمكانية تجمع هذا التحالف بهذا الشكل وبتلك الصلابة وقت الحرب ممكنة. . . لكن بعد الحرب. . . الصورة تختلف. . . طبيعي أن يحدث تفكك لأن سخونة الموقف انتهت. . . فكيف لنا أن نضمن بناء هذا التحالف واستمراره لفرض السلام كما تقول. . لقد حدث شرخ حقيقي مثلاً في التضامن العربي، لكن كيف ومن هو المسؤول، وما الذي كان يجب أن يحدث؟ . . .

■ إذا انفرط هذا التحالف فأنا باعتبر أن فيه شيء غلط. . لكن فين الغلط، هذه ليست قضيتي الآن أو على الأقل. ولا هي مسؤوليتي وحدي أن أقولك فين الغلط. . . دي مسؤوليتنا كلنا. . . من الرئيس السادات حتى أصغر عسكري في الخندق. . . من أول مصري حتى أي مواطن عربي في أي بلد عربي. . . أننا نبحث ونشوف ونعرف فين الغلط ونحاول نتلافى هذا، ونرجع التضامن والتحالف. . . لكن الذي ليس فيه شك فيه ـ في رأيي ـ ان الولايات المتحدة كانت تسعى جاهدة لفك هذا التحالف وده هو المخطط اللي اشتغل عليه كيسنجر طول الوقت. . .

● كيف. . .

■ سأقول لك. . . كيسنجر طول الوقت لم يكن يعمل لكي يحل مشكلة الشرق الأوسط أو النزاع العربي الاسرائيلي. . . دي قضية لم تكن تشغله. . الأرضية اللي كان يعمل لها كيسنجر طول الوقت أنه ليمنع احتمال أي صدام في الشرق الأوسط يمكن أن يؤدي إلى احتمال صدام بين الكتلتين الأعظم. . . يبقى الحل ايه؟ . . لكي يمنع الحرب لازم يعمل حاجتين. . . لازم يخرج مصر من وسط القضايا العربية ولازم يخرج الاتحاد السوفيتي من الشرق الأوسط.

● قرأنا أنك تنوي اصدار جريدة يومية في مصر، وانك قدمت طلباً للتصريح لك بإصدارها. . ما مدى صحة هذا الخبر، وما هو المنهج السياسي والفكري الذي ستعبر عنه هذه الجريدة إذا كان الخبر صحيحاً؟ .

■ الخبر الذي نشر غير صحيح. . فلم يحدث أنني طلبت التصريح لي بإصدار جريدة يومية. . . لكنني أتمنى أن يحدث. . مش حاكون أول واحد يطلب. . . لكن إذا أقروا المبدأ فبالتأكيد سأقدم. . . مش عاوز أحرج أحد أبداً. . .

● إذا أقروا المبدأ وقدر لك أن تصدر الجريدة. . فما هو منهجها السياسي والفكري؟ . .

■ لا نريد أن نسبق الحوادث. . لما يقرروا أبقى أقولك. . .

● ما رأيك في ما يثار اليوم في الساحة الداخلية حول المنابر والأحزاب. . . هل تؤيد قيام الأحزاب؟ . .

■ أنا قبلت صيغة التحالف وتحمست لها من قبل ودافعت عنها. . . ولا أنوي أن أكون أول واحد يتخطى تصوراته السياسية التي دافع عنها من قبل. . . لكن صيغة التحالف مرهونة بوجود سلطة وطنية تقدمية تقود عملية التحول الاجتماعي باستمرار. . . إذا توقفت عملية التحول الاجتماعي فهذا معناه فك تأميم الصراع الطبقي اللي حصل. . .معناه أن التحالف يفقد أهميته وضرورته لأننا عملنا التحالف عشان نعمل التحول الاجتماعي في ظروف أكثر ملاءمة. . . بتأميم الصراع الطبقي لمصلحة ولحساب التحول الاجتماعي اللي احنا كلنا متفقين عليه. . . إذا توقفت عملية التحول الاجتماعي هذه يبقى ما فيش مبرر للتحالف ولا مبرر لتأميم الصراع الطبقي ويبقى لا مفر من أن كل مصلحة تعبر عن نفسها. . . وإذا تصورنا أن الحزب في النهاية هو الطليعة السياسية لطبقة من الطبقات يبقى لازم تقوم أحزاب. . . يعني أنا مع التحالف طالما أن الظروف اللي فرضته قائمة. . لكن إذا تغيرت الظروف فسأقبل العمل في ظل هذه الظروف المتغيرة، وأقبل صيغة الأحزاب. . . طبعاً. . .

● قيل إنك كنت واحداً من المتصارعين على السلطة ورئاسة الجمهورية بعد وفاة الرئيس عبد الناصر. . ما هي حقيقة ما حدث في تلك الفترة، وموقفك من حكاية الصراع على السلطة هذه؟ .

■ لم أتصارع في حياتي على سلطة ولا على منصب. . لو كان ذلك في ذهني كنت من أول ما عرض علي جمال عبد الناصر وزارة الارشاد في يونيو ١٩٥٦ كنت قبلت. . . على الأقل كنت اكتسبت اقدمية وبقيت أقدم واحد في الوزارة. . . وبعدين سلطة ايه اللي حا تصارع عليها. . أنا طول الوقت أقول لك اني مش بتاع

سلطة ولا عاوز أي منصب رسمي وبارفض وأعتذر عن كل منصب يعرض علي. . يبقى ازاي حا تصارع على السلطة. . .

رئاسة الجمهورية بعد وفاة عبد الناصر، الرئيس السادات نفسه يشهد اني أنا اللي اقترحت أن تكون هناك قاعدة من الدستور تتبع بعد عبد الناصر والا المسألة تبقى فوضى. . وقلت بما أن الرئيس السادات هو نائب رئيس الجمهورية فحسب الدستور يكون هو اللي يحل محل عبد الناصر. . وكلامي هذا مسجل وثابت في محاضر اجتماعات مجلس الوزراء بعد وفاة الرئيس. . . يبقى كيف اتصارع على السلطة. . . وطبقاً لأي قاعدة أو على أي أساس سأطمع في رئاسة الجمهورية زي ما قيل وما كتب. . . أنا كنت رئيس تحرير «الأهرام» وقتها وكنت وزير إعلام. . . يبقى كيف اتصارع على منصب الرئاسة. . .

● لنعد إلى الوراء قليلاً ونفتح ملف الرئيس الراحل عبد الناصر. . . في البداية أريد أن أسألك عما كتبته من قبل من أنك تنوي كتابة تاريخ عبد الناصر باعتبارك من أقرب الناس إليه وأكثرهم معرفة بكل أسراره. . هل بدأت في تنفيذ هذه الفكرة. . .

■ بعد رحيل عبد الناصر كتبت هذا فعلاً، وكنت مقدراً لنفسي خمس سنوات أبدأ بعدها الكتابةلكي أقدر أكتب كتابة متجردة من غير ما تكون متأثرة بعاطفة أو صداقة، وكنت باعتقد أن كتابتي لازم تكون شهادة للتاريخ. . . شهادة مبرأة حتى من مشاعري نحوه. . . لكن لما أثيرت الحملة على عبد الناصر أجلت كتابتي لأني تصورت اني إذا كنت حاكتب حاجة تعمل تقييم موضوعي لتجربته كلها فيبقى لازم يكون فيها السلبي والإيجابي. . مع العلم أن الايجابي في تجربة عبد الناصر أكثر مئات المرات مما هو سلبي فيها. . لكني تصورت أن الظروف السائدة الآن مع تصاعد الحملة عليه حاتخلي بعض الناس، يعني اللي بيشتغلوا في هذه الحملة، حايستغلوا كلامي خصوصاً عن السلبيات ويقول هذه شهادة أقرب الناس إلى عبد الناصر. . سيهملون الكثير الإيجابي ويركزون على القليل السلبي، وبالتالي يستغلوا أي حاجة أكتبها عن جمال عبد الناصر بما يناسب أغراضهم. . لهذا قررت

أنتظر لما الكل يخلص ما عنده. . لما يبقى فيه مناخ ملائـم للتقييم الموضوعـي المتجرد للتجربة. . لأني لا أريد الكتابة لا في مجال الدفاع عن عبد الناصر ولا في مجال نقده.

● **هل تعتقد أن عبد الناصر كان يعلم وكان مسؤولاً ولو بالصمت والرضا عن عمليات التعذيب الرهيبة التي كانت تتم ضد المعتقلين السياسيين في عهده. . وإذا كان ما يقال وما ينشر صحيحاً. . فماذا كان موقفـك ورأيك الشخصي. .**

■ أعتقد أن هذا الكلام فيه مبالغات كثيرة جداً وعلى أي حال باتمنى ـ وأنا طالبت بهذا كتابة ـ يتعمل تحقيق نزيه ويرصد الوقائع واقعة واقعة ويقولوا لنا عشان نعرف ونحكم. . لكن الضجة اللي حاصلة دلوقتي، وكل واحد ينتهزها فرصة عشان يقول ويحكي ويبالغ ويعمل من نفسه بطل من غير أساس، هذا كلام غير صح. . يتعمل تحقيق بواسطة لجنة محايدة. . لجنة برلمانية. . لجنـة تاريخية وتحقـق الوقائـع وتعلنها على الناس بعد الاستقصاء والبحث العلمي النزيه. .

وفيما يتعلق بموقفي أظن موقفـي واضـح قدام النـاس. . واقعـة تعـذيب الدكتور عبد المنعم الشرقاوي. . الأستاذ الشرقاوي جاءني وعبد الناصـر موجـود وكتبت عما حدث له واستنكرته بشدة وقلبنا الدنيا في ذلك الوقت. . قلت وكتبت في حياة عبد الناصر مش بعد وفاته وغيابه. . أيضاً كتبت سلسلـة من المقـالات بعنوان «زوار الفجر» وهو التعبير اللي نقلوه عني وأصبح شائعاً بعد ذلك للدلالة على المخابرات. . كانت هناك بعض التجاوزات في المخابرات وانتقدت هذا الوضع في حياة عبد الناصر. . ليس هذا فقط. . أنا سمحت بنشر كل روايات توفيق الحكيم ونجيب محفوظ التي كانت بتنتقد المخابرات والاتحاد الاشتراكي والسلبيات اللي ظهرت في حياة عبد الناصر. . نشرت للحكيم «بنك القلق» في نقد المخابـرات ونشرت لمحفوظ «ثرثـرة فوق النيل» و«السمان والخـريف» و«اللص والكلاب». . كل ده في حياة عبد الناصر. . لم أنتظر حتى يموت لكي أتكلم. . ومش عارف الناس اللي بيكتبوا دلوقتي ونازلين قوالة كانوا فين وقتها. . أنا عاوز لجنة تحقق لنا موضوع

المعتقلات والتعذيب. . وعيب أنهم يوصل بينهم الأمر لدرجة اتهام عبد الناصر بأنه سمم الدكتور المفتي وقتل عبد الحكيم عامر. . ده عيب وما يصحش يتقال وأسلوب حقد وتهريج. . كما بيتقال النهار ده أن عبد الناصر سرق ١٥ مليون وهرب ما عرفش ايه. . كلام غريب جداً. . مع أن عبد الناصر مات مديون بستة وعشرين ألف جنيه باقي تكاليف انشاء البيتين اللي عملهم لبناته. . وبعد وفاته الدولة هي اللي سددت ديونه دي تكريماً له ووفاء لذكراه. .

● أخيراً يا أستاذ هيكل. . ومعذرة إذا كنت قد أثقلت عليك وأخذت من وقتك الكثير. .

■ لا يهمك. .

● شهادة التاريخ أطلبها منك. . نكسة يونيو ٦٧. . ما هو مدى مسؤولية الرئيس عبد الناصر عن هزيمة يونيو ٦٧ ومسؤولية الآخرين؟. .

■ أنا لي كتاب حيصدر في بيروت اليومين دول اسمه «الشرق الأوسط١٩٦٧» ودي الطبعة العربية لأن الأصل نشر بالانكليزية في جريدة «الصنداي تلغراف» في أكتوبر ١٩٧٣ وما حدش انتبه له لأن وقتها كانت حرب اكتوبر مشتعلة وكانت كل الأذهان مشدودة لها. . في هذا الكتاب أنا أوضحت كل الحقائق المتعلقة بنكسة يونيو ١٩٦٧. . رأيي بخلاصة أن هزيمة ٦٧ لا يمكن أن ينظر لها فعلاً على ضوء المعركة العسكرية الخاسرة اللي خضناها. . لأنها كانت جزء من حركة الصراع بين القومية العربية والاستعمار. . لكن ما فيش شك أن حجم الهزيمة كان مزعجاً. . ما كانش طبيعي وما يرجعش بالضرورة لحركة الصراع اللي بنقول عنها. . لكن بيرجع لمسؤولية وأخطاء القيادة ولاعتبارات وتراكمات كثيرة. . إذا أردت تحديداً أكثر فقد كان حجم الهزيمة راجعاً لعاملين أساسيين وقت المعركة. . ضربة الطيران. . وقرار الانسحاب. .

● ده اللي أنا عاوز أعرفه بالضبط. . مين اللي أصدر قرار الانسحاب. .؟

■ مش عبد الناصر طبعاً. . المشير عبد الحكيم عامر هو اللي أصدر قرار الانسحاب. . لكن اللي يهمني بعد كل اللي حصل أن عبد الناصر رغم الهزيمة

وحجمها البشع لم يسلم ارادته السياسية، بل عاش بعد ذلك وليس له هدف سوى إزالة أثار العدوان . . بناء الجيش وإعادة التسليح والاستعداد للحرب . . كل ده كان معناه ايه . . انه ما سلمش ارادته السياسية وأنه عاش أيامه كلها بعد كدة لهدف واحد هو تصحيح ما حدث وإرجاع ما ضاع . . لكن القدر لم يمهله ومات قبل أن يحقق أمله وحلمه الكبير في أن يرد للعرب اعتبارهم وما فيش شك أن الرئيس السادات استفاد من كل ده وعمل معركته الكبيرة بعد ذلك.

● **استاذ هيكل . . أعتقد أن هذا يكفي، فقد أخذت من وقتك الكثير . .**

■ أشكرك . . .

مؤتمر جنيف مجرد وسيلة لكسب الوقت

في بيتـه المطـل على النيل كان الحـوار مع محمـد حسنـين هيكل حول عدد من النقاط المحددة، التي ترتبط بقضية التسوية الشاملة لأزمة الشرق الأوسط بصفة عامة، وبمؤتمر جنيف واحتمالاته المختلفة بصورة خاصة.

● القبس - ٢٦/ ٩/ ٧٧ - يحيى حمزة.

● **سبق لك أن قلت أن مؤتمر جنيف قد أصبح هدفاً في حد ذاته يسعى إليه العرب. . فما هي احتمالات انعقاده في رأيك على ضوء الزيارات والجولات والاتصالات التي حفلت بها المنطقة؟ ومتى يعقد في رأيك. . . إذا انعقد؟**

وأجاب هيكل وهو ينفث دخان سيجارته:

■ بالنسبة لاحتمالات انعقاد مؤتمر جنيف فأنا واحد من الناس الذين لم يكونوا مقتنعين بأن هناك جنيف. . على أقل تقدير في الشهور التسعة الأولى التي انقضت من عام ۱۹۷۷ . ولم يكن ذلك موقفاً جديداً فقد توقعته وكتبته في العام الماضي. وكان رأيي أن الآمال العربية كلها معلقة على أميركا وعلى الحل الأميركي. وسنة ۱۹۷٦ كانت سنة انتخابات في أميركا وبالتالي فإن الموقف كان متجمداً تماماً بالنسبة لقضية الشرق الأوسط. . التركيز كله على أميركا وأميركا مشغولة بالانتخابات. . وبالتالي فإن الطريق الذي يسلكه العرب للتسوية السلمية لم يكن جاهزاً بعد. ربما لو كان هناك طريق آخر أو مساع أخرى عن غير طريق الحل الأميركي لقلنا أن هناك احتمالات لتحريك القضية أما الوضع كما سبق أن شرحته فإن الموقف ظل متجمداً.

ثم جاء عام ۱۹۷۷ . . ولو افترضنا جدلاً أن الطرف الأميركي مستعد لممارسة الضغط على الطرف الإسرائيلي، فإن الطرف الإسرائيلي لم يكن مستعداً بسبب ظروف الانتخابات الإسرائيلية. .

واستطرد هيكل قائلاً:

ـ في أواخر ٧٦ وأوائل ٧٧ بدا أن هناك تحولاً في الموقف العربي واهتماماً إلى حد ما بالشكل السياسي أكثر من المضمون السياسي، حتى أصبح مؤتمر جنيف هدفاً في حد ذاته أكثر منه وسيلة عملية لتحقيق التسوية السلمية الشاملة.

وبعد ذلك وبتأثير من هذا الموقف العربي مضافاً إليه تأثير دول العالم الثالث صدر قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة بضرورة انعقاد مؤتمر جنيف قبل نهاية شهر مارس ١٩٧٧ وذلك بناء على طلب الجانب العربي (ومع ذلك لم ينعقد المؤتمر في هذا الموعد!)

ورغم أنني ما زلت أؤكد أن قضية الشرق الأوسط تحتل المكانة السادسة أو الخامسة ضمن اهتمامات الرئيس الأميركي جيمي كارتر، وأن أميركا لا ترى أن هذه المشكلة عاجلة بالدرجة الساخنة التي تستلزم إعطاءها اهتماماً بارزاً، إلا أن أميركا رغبة منها في الاحتفاظ بموقف طيب مع العرب لا تخسر معه شيئاً في علاقاتها الدولية الأخرى لم تجد مانعاً في أن تؤكد هي الأخرى عقد مؤتمر جنيف. . . إن أميركا ليس لديها شيء حقيقي تعطيه حالياً لقضية الشرق الأوسط فما الذي يمنعها من إعطاء «الشكل السياسي» الذي يطالب به العرب وهو جنيف. . على الأقل فإن ذلك سيحقق لها حسن النية عند العرب ويجعلها تظهر بشكل المستجيب لرغبتهم. . دون أن تخسر شيئاً!

لقد كان العرب هم الذين حركوا الجمعية العامة للأمم المتحدة لتصدر قرارها بعقد مؤتمر جنيف قبل نهاية مارس. وكان العرب أيضاً هم الذين دعوا سكرتير عام الأمم المتحدة الدكتور فالدهايم للقيام بجولته. . ولكن إلى ماذا انتهى كل ذلك؟ لقد صرح فالدهايم في نهاية جولته بأن المؤتمر لا يمكن عقده في الوقت المقرر، وأن هناك عقبات عديدة تحول دون ذلك.

الرسول الثاني إلى الشرق الأوسط كان وزير الخارجية الأميركية سايروس فانس. . . ماذا يريد. . . ؟ الاستماع إلى وجهات نظر أطراف النزاع في أزمة الشرق الأوسط، ثم توجيه دعوات إلى الرؤساء والملوك العرب لزيارة واشنطن. . ؟ وبدأت

بعد ذلك «مواكب» من المسؤولين في المنطقة تتجه إلى واشنطن. . لكن ماذا حقق ذلك كله. . . لا أكثر من أن أميركا أو بمعنى أدق النظام الجديد في أميركا يستطلع وجهات النظر المختلفة. . . مجرد ملء للوقت أو تضييع له بمعنى أو بآخر.

ألا يعطي ذلك كله انطباعاً بأن مؤتمر جنيف والحديث المبالغ فيه عنه هو مجرد وسيلة لقطع الوقت. . لا أكثر. إنني أشبه هذا الوضع بمن يجلس في الظلام فلا يجد ما يقطع به وقته ويسلي به نفسه بموضوع ما. . يتحدث عنه ويبني عليه كل حديثه واجتماعاته واتصالاته رغم علمه بأنه لن يوصل إلى شيء. . لكنه في نظره أفضل من الجلوس وحيداً في الظلام والفراغ والصمت. فالصمت مزعج. . والحديث حول أي موضوع حتى ولو كان وهماً هو قطع لهذا الصمت المزعج!

● وهل المسؤولين العرب يعلمون تماماً أن جنيف مجرد وسيلة لقطع الوقت، وهم يستغلونها - في رأيك - على هذا الأساس، أم أنهم يجهلون ذلك؟

■ كلا الأمرين وارد، وكلاهما ليس شهادة في حق الأطراف العربية. . إن كنت تدري فتلك مصيبة وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم. وقد تعلمنا من التاريخ العربي أن العقلية العربية تعتمد دائماً على الكثير من المبررات والأعذار التي تبدو واضحة في عباراتنا المأثورة. . . لعل له عذراً وأنت تلوم. . . ومن قال لا أدري فقد أفتى. . إلى غيرها من نواحي القصور في التفكير إلى حد السذاجة أحياناً.

● في رأيك إذن أن مؤتمر جنيف سيعقد أم لا؟

■ قد ينعقد جنيف كمجرد وسيلة لقطع الوقت كما قلت، طالما أن الأطراف العربية مصرة عليه لمجرد الشكل السياسي. لكن هناك عقبات عديدة أمام انعقاد مؤتمر جنيف.

● وما هي أبرز هذه العقبات؟

■ هناك عقبات حقيقية إلى جانب عقبات شكلية أمام انعقاد مؤتمر جنيف في وقت قريب.

العقبات الحقيقية أبرزها عقبة تمثيل الفلسطينيين في المؤتمر. فالدول العربية المتحمسة لجنيف لم تستطع أن تجعل الرأي العام العربي يبتلع سوى طبقة من السكر حاولت أن تجمل بها «كعكة» جنيف وهي حضور الفلسطينيين له. وهذه الطبقة من السكر ليست متاحة بهذه البساطة والسرعة. وتحلية كعكة جنيف بهذه الطبقة من السكر ليست موجهة فقط إلى الرأي العام العربي لإقناعه بجنيف، بل هي موجهة أيضاً للفلسطينيين.

ويصمت الأستاذ هيكل قليلاً ثم يستطرد قائلاً:

ـ ونسأل أنفسنا بعد ذلك.. هذه بعض العقبات والأهوال. إلى مؤتمر جنيف.. وهي ليست سهلة.. والطريق الصعب وفضلاً عن ذلك وأهم من ذلك أنه نفق طويل ليس فيه مجرد ضوء في نهايته.

فحتى إذا انعقد جنيف.. ما الذي سيحققه؟ لا شيء! وماذا بعده.. سيقدم السكرتير العام للأمم المتحدة تقريراً للجمعية العامة وتجتمع الجمعية وتصدر قراراً قوياً في صالح العرب، ويجتمع مجلس الأمن ويعقد جلسة وجلستين وينتهي الأمر، ونعود من حيث أتينا ويصبح «جنيف» ـ كما سبق أن قلت ـ مجرد وسيلة لقطع الوقت!

● **إذن ما هو الحل؟ أليست هناك من وسيلة لتحقيق الحل السلمي؟**

■ إن وجود القوة العسكرية في لغة العصر الحديث قد يكون البديل لعدم استخدامها. لقد قابلت منذ فترة أحد كبار العسكريين العرب وسألني نفس السؤال.. وكان جوابي عليه أنه هو الذي يملك الرد أكثر مني.. وقلت له:

ـ هل تريد أن تعرف متى يمكن لجنيف أو لغير جنيف أن يحقق الحل السلمي.. إن ذلك مرهون بما إذا كنت قادراً الآن على استخدام الحل العسكري في صراعك مع إسرائيل.. فهل تستطيع ذلك؟

وأضاف هيكل قائلاً:

ـ وسكت محدثي العسكري الكبير ولم يجب.. واستطردت قائلاً له:

ـ إن مائدة المفاوضات السلمية هي صورة لحقيقة الأوضاع خارجها. ولو كانت لديك القوة العسكرية على فرض الحل العسكري فإنك ستفرض الحل السلمي على خصمك وعدوك دون أن تلجأ إلى استخدام هذه القوة العسكرية، لأنه يعلم أنها البديل لفشل محاولات الحل السلمي.

وسألت الأستاذ هيكل:

● **لقد سبق لك أن كتبت عن «الطابع الرسولي» لسياسة الرئيس الأميركي جيمي كارتر.. فما هي انعكاسات وتطبيقات هذا الطابع على السياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط؟**

■ أولاً ينبغي أن تدرك أن السياسة الأميركية تحكمها استراتيجية وطريقة ممارسة. والاستراتيجية الأميركية تحكمها عوامل تاريخية حقيقية ثابتة ومصالح عليا لا يملك كارتر الخروج عنها. وكل مجال الاختلاف هو في الأسلوب الذي تعالج به هذه الاستراتيجية.

وكما يقولون أن كل قصة في النهاية هي رجل وامرأة سواء كتبها شكسبير أو كتبها أي هاو صغير. فكذلك استراتيجية السياسة الأميركية سواء تصدى لها نيكسون أو كارتر، والمصالح الأميركية لا تتغير بسهولة، وكل ما هنالك هو أن اختلاف الأسلوب يعطي أولويات معينة لبعض الموضوعات أو يسلط الأضواء عليها في طريقة المعالجة، دون اختلاف جذري في مقومات السياسة الأميركية.

وبقي سؤال أخير في ختام الحديث مع الأستاذ محمد حسنين هيكل حول جنيف والتسوية السلمية لقضية الشرق الأوسط. سؤال صريح:

● **هل تعتقد أن منظمة التحرير الفلسطينية راغبة فعلاً في الوصول إلى تسوية للقضية أم لا؟**

وأجاب هيكل قائلاً في تأكيد:

■ الطرف الفلسطيني راغب فعلاً في الحصول على تسوية عادلة للقضية.. لكن ليس أي تسوية وليس بأي ثمن.. وهاتان نقطتان أساسيتان وسلبيتان إلى حد كبير وبعيد.

الوحدة بين مصر وليبيا أكبر من السادات والقذافي

يأتي حديث محمد حسنين هيكل في وقته تماماً، بعدما كثرت الأسئلة عن الدور الذي يلعبه أو الذي يمكن أن يلعبه في هذه الفترة بالذات، وبالتالي عن علاقته بالسياسة المصرية الحالية وعن رأيه فيها، وهو الأقرب والأبعد في الوقت نفسه.

والصحافي الكبير، برغم العزلة الظاهرية التي أحيط وأحاط نفسه بها، بعد جولته الأخيرة في العالم العربي، والتي جعلته موضع تكهنات وحكايات لا علاقة لها بالواقع، ظل مفتوحاً على الجميع، ويندر أن يزور مصر سياسي عربي أو أجنبي لا يزوره. ربما لأن الصحافة التي بدمه تأبى إلا أن تجعله باستمرار في قلب الأحداث. وهذا الدور لا يزال هو متمسكاً به ومصراً عليه أكثر من أي شيء آخر. من هنا، ربما، رفضه لرتبة نائب رئيس الوزارة الحالية.

وهو يعترف بأنه يقف في صف المعارضة، لكنها المعارضة التي يقول أنها «توسع دائرة الاختيار أمام الرئيس السادات»، وليست ضد سياسته التي «تخطيء وتصيب».

وإذا كان ثمة اختلاف، فهو اختلاف أولاً حول دور أميركا. حيث أن الاحتكام لها كلياً يحول مشاكل الشرق الأوسط من أزمات إلى مآس. وثانياً حول «الديمقراطية» و «الليبرالية» و «الناصرية» وسياسة الانفتاح الحالية «التي ليست سوى عمليات استهلاكية وربحاً سريعاً تدفع ثمنها التنمية المصرية».

كما يدافع هيكل بحرارة عن جمال عبد الناصر ضد ضراوة الحملة عليه، والكبيرة «بحجم المصالح الموجودة على الأرض العربية»، وعن عهده «المعادي للديمقراطية» الذي ظلت فيه صحافة لبنان حرة.

وفي هذا الحديث يعلق هيكل بشمول وباختصار، على أبرز الأحداث العربية والعالمية، لا سيما ما يتعلق منها بمؤتمر جنيف الذي يأتي في المرتبة السادسة من اهتمامات الادارة الأميركية الجديدة.

● مجلة الوطن العربي - ٢/ ٣/ ١٩٧٧ - هدى الحسيني

● **ما محور العلاقة بينك وبين الرئيس السادات؟ والسبب الذي يتركك تكتب معارضاً سياسته؟ وما هو تقييمك لهذه السياسة ايجابياً وسلبياً؟**

■ كما أتصور، العلاقة بين الرئيس السادات وبيني، هي العلاقة بين صحافي مهتم وملتزم وبين رئيس دولة.

الصحافي في ظروف العالم الثالث، وبالذات في ظروف بلد كمصر، حيث نواجه قضايا مصيرية، لا يستطيع أن يكون فقط مجرد مسجل لما يجري. انما يكون التزامه أكبر وأوسع، ويكون اهتمامه بما يجري أكثر من اهتمام زملائنا في أوروبا وأميركا، لأننا هنا لا نتكلم فقط في تفاصيل الأشياء، انما نتكلم في اساسيات الأشياء، وهذا هو شاغلنا في هذه المرحلة من التطور.

هذا يجرني إلى الجزء الثاني من سؤالك، «انني أكتب معارضاً سياسة السادات»، أنا لست معارضاً. مرة أتاني بعض الناس، قالوا لي: انك ترتب نفسك كي تبقى زعيم معارضة أو تتصرف كأنك معارض.. وهذا غير صحيح. أنا لست زعيم معارضة ولا معارضاً. لماذا؟ هناك ثلاثة شروط للمعارضة. وكلاسيكياً، هذه الشروط معروفة: كي تعارض يجب أن تتوفر لديك ثلاثة أمور. أولاً: أن يكون عندك تنظيم. ثانياً: أن يكون عندك سياسة بديلة تطرحينها. وثالثاً: أن يكون هدفك الوصول إلى السلطة. وهكذا، بمساعدة تنظيمك تفرضين سياستك أو تنفذنيها. أنا رجل لا تنظيم عندي، ولا سياسة بديلة كاملة. عندي تصورات، وليس هدفي الوصول إلى الحكم. أنا متمسك تماماً بدوري كصحافي، واعتذرت عن كل العروض التي عرضت عليّ كي أعمل في السياسة التنفيذية أو في الحكم. اعتذرت عنها وأنا شاكر لكل الناس الذين قدموها وكنت عند حسن ظنهم. آخر هذه

العروض منصب نائب رئيس الوزراء في وزارة السيد ممدوح سالم الحالية. وكما قلت لك، هذا ليس هدفي.

ثم أنا لا أعارض سياسة الرئيس السادات، تقولين: لكنك تكتب أشياء مختلفة. صحيح، لكن هدفي أن أوسع دائرة الاختيار أمامه. لا يعني هذا انني أقول رأياً معارضاً له، أنني أقول رأياً آخر. وليس في كل قضية. الهدف في الدرجة الأولى أن أوسع دائرة الاختيار أمام صانع القرار المصري أو صانع القرار العربي.

وما هو تقييمي لسياسة السادات إيجابياً وسلبياً؟ أنا أعتقد ان أنور السادات، مثله مثل أي سياسي في أية مرحلة من التاريخ، في سياسته أشياء «صح» وأشياء «غلط». هناك أمور ايجابية وهناك أمور سلبية كما في كل تجربة، وهو نفسه لا يستطيع أن يقول شيئاً آخر.

● **ما هي تصوراتك السياسية؟**

■ اختلافنا كان بسبب ثلاثة أشياء، وهذا يعني اختلافاً كثيراً. اختلفت في قصة «أميركا فقط» وأنا واحد من الذين تعرضوا للمشاكل في العالم العربي لأنني قلت: «أميركا أيضاً»! استثناء أميركا غلط، والاعتماد على أميركا غلط أيضاً. اذن حكاية أميركا فقط، أنا أقول إنها غلط، وبدون أميركا اطلاقاً أقول إنها أيضاً غلط. لكننا سرنا في سياسة أميركا فقط، وهذا لست موافقاً عليه أو على الأقل لا أعتقد ان هذا هو الصح، وقلت رأيي في هذا.

ثانياً: المسألة العربية. أنا أعتقد بأن مصر لا تستطيع أن تمشي وحدها. سياسة مصر وحدها أو مصر أولاً، أنا لا أؤمن بها، انما مصر مع بقية الدول العربية في الوقت نفسه وفي اللحظة نفسها. وأنا واحد من المقتنعين بالفكرة القومية، ولا أحد اطلاقاً سيجعلني أقتنع بفكرة مصر الصغيرة المحتاجة. ليس هذا هو الصحيح. مصر وحدها، هي فعلاً مصر المحتاجة. المعزولة الضعيفة، لكن مصر في وسط الأمة العربية هي فعلاً الطليعة والقوة الخ. .

الاختلاف الثالث: القضية الاجتماعية في مصر. أنا لا أعتقد أن مشكلة مصر يمكن أن تحل بما يسمى الانفتاح، وبالطريقة التي يمارس فيها هذا الانفتاح. هذه

هي القضايا التي لي فيها آراء مختلفة وليست بالضرورة معارضة، وهدفي من آرائي المختلفة كما قلت انما توسيع دائرة الاختيار أمام صانع القرار المصري وأمام الرأي العام المصري والعربي.

● ما وراء الديمقراطية في مصر حالياً؟

■ لا أعرف إذا كان ما يحصل في مصر هذه الأيام من الممكن أن يسمى ديمقراطية. أستطيع أن أسميه تجاوزاً، انه محاولات في سبيل تصورات الديمقراطية.

حصلت محاولات في فترة سابقة، في وقت الرئيس عبد الناصر، تعطي الأولوية للديمقراطية الاجتماعية، باعتبار انه ليس هناك ديمقراطية سياسية الا مترتبة على ديمقراطية اجتماعية، وأنا من المقتنعين بأن الأساس الاجتماعي هو الأساس الأول للديمقراطية، رغم انني انتقدت التجربة السابقة، لأنني كنت أعتقد ان السعي نحو ديمقراطية اجتماعية واعطاء الأولوية اللازمة للديمقراطية الاجتماعية لا يتنافى مع حق التعبير أو مع تعبير القوى. لكن من هم الذين عبروا؟ اعتقادي كان ولا يزال بأن التعبير ليس تصورات واجتهادات، التعبير هو مصالح الناس، مصالح قوى الشعب العاملة. وكنت ادعو باستمرار لكي تبني قوى التحالف للاتحاد الاشتراكي مجتمعها المفتوح وليس الانفتاح. كل خلافاتي مع الذين يطلقون عليهم مراكز القوى آتية من هذه النظرة.

حالياً هناك نظرة أخرى تتكلم عن نوع من الديمقراطية الليبرالية. ببساطة أنا غير مقتنع، وغير مقتنع حتى بوجود الأسباب أو حتى المقاييس الليبرالية. هناك مقاييس ليبرالية معينة، مثلاً درجة النمو الاجتماعي لمجتمع معين تحدد بشكل أو بآخر ممارسات الديمقراطية. لذلك **أنا** لست مقتنعاً أن الليبرالية كما نتكلم عنها، أو كما نمسخها، هي الحل لقضية الديمقراطية في مصر. على أي حال إنها محاولة في سبيل اكتشاف تصورات الديمقراطية، وأنا لا مانع عندي من أن تأخذ مداها، إذا نجحت «كويس». لكنني لست معتقداً إن هذا هو الحل لمصر.

● لبنان القضية الأساسية الآن في الشرق الأوسط بالاضافة إلى القضية الفلسطينية. أما من حل..؟.

■ ليس من الداعي أن أتكلم عن التناقضات الأساسية في لبنان والتي أدت تفاعلاتها إلى ما وصلنا إليه، وبصرف النظر عن آرائنا كلنا واجتهاداتنا كلنا، فإن قضية الفلسطينيين، وليس قضية فلسطين، تشابكت مع قضية لبنان، تشابكت لأن لبنان بقي المحطة الأخيرة الموجودة على خط المواجهة، يستطيع الفلسطينيون أن يتوقفوا فيه ويعملوا عملاً مستقلاً. وبالتالي، وجودهم في لبنان حالياً، في اعتقادي، مرتبط بمشكلة حل قضية الفلسطينيين، بمعنى انه ممكن أن أتصور ان هناك حلاً لأزمة الشرق الأوسط كما تصور بعض الناس إن هناك حلاً لقضية فلسطين حتى بالتصفية، لكن هذا لا يحل قضية الفلسطينيين... تبقى هناك مشكلة لا تزال موجودة في لبنان وسندخل من خلالها في مشاكل لا حدود لها.

شئنا أو لم نشأ، لبنان ارتبط بهذا الوضع. لكن المهم كيف يمكن أن نتعاون جميعاً لنجعل من هذا الوضع وضعاً محتملاً. أنا لا أتصور حلاً نهائياً. ثم ان جمع الأسلحة والتعهدات المتبادلة ووجود قوات الردع، كلها في رأيي محاولات، نجاحها مرتهن بأن تجعل وجود الفلسطينيين في لبنان وعملهم وعمل الثورة الفلسطينية السياسي وإلى حد ما العسكري من لبنان، تجعله محتملاً بالنسبة إلى الشعب اللبناني. والحقيقة ان المسألة غير عادلة اطلاقاً، كما يرى الجميع، ان يتحمل لبنان وحده، وهو أضعف جبهة في خط المواجهة العربية، يتحمل وحده ولعدة سنوات المشاكل الناجمة عن تحوله إلى النقطة الوحيدة الساخنة على خط الجبهات بينما كل الجبهات هدأت.

الشعب اللبناني حمل أكثر مما يحتمل، والحقيقة ان الثورة الفلسطينية وضعت في اختبار، وهي غير قادرة على ادارته، أي انها لا تستطيع أن تدير الصراع.

تناقض الثورة الفلسطينية الأساسي موجود مع اسرائيل، وصراعها مع اسرائيل قد لا تديره بنجاح، لأن الواحد يستطيع أن يدير صراعاً حيث التكوين والأهداف مهيأة للتوجه إليه، لكنه لا يستطيع أن يدير غيره بالصراعات.

الفلسطينيون ظلموا بمقدار ما ظلم اللبناني في ما حصل في لبنان، وإذا كان لا

بد من عمل شيء حالياً فعلينا أن نعرف إنه لا حل اطلاقاً في خروج الفلسطينيين من لبنان. هذا غير ممكن وصعب جداً ومستحيل، والمسألة ـ الحل، هي كيف نجعل من الوجود الفلسطيني في لبنان أمراً محتملاً بالنسبة إلى الشعب اللبناني، أمراً معقولاً، تكاليفه معقولة وليست فوق حد الاحتمال كما حصل فعلاً.

أما من حل؟ باعتقادي أن الحل مرهون بتطور الحركة العربية العامة وبتطور المواجهة.

● ما هي الأخطاء التي ارتكبها كل طرف في حرب لبنان داخلياً وخارجياً (عرب وغرب) وهل كان من الممكن تفادي هذه الحرب؟

■ حسب ما أعتقد، كان من الممكن تفادي حدوث هذه الحرب، بمعنى أن تنشأ مشاكل في لبنان بسبب الأوضاع الموجودة ويتحول بعضها إلى صراعات دموية. هذا محتمل وقائم في أي وقت وقد حصل.

حصل عام ٥٨ وعام ٦٨ وحصل في سنوات أخرى. احتواء هذا كان يجب أن يحصل. لكن الحقيقة، هي إن لبنان دفع ضريبة الوضع العربي العام، وضريبة هذه المرحلة من المواجهة التي هي بظروفها وطبيعتها مرحلة مائعة جداً، ودفع أيضاً ضريبة من نوع آخر، وهي كوننا دخلنا في أزمة بعيدة جداً خارج الصدام في القمة الدولية وخارج الوفاق أيضاً. كيف؟ لنأخذ مثلاً عمان ١٩٧٠. كانت هناك أزمة وكانت هناك مشكلة بين سلطة محلية في بلد عربي وبين المقاومة الفلسطينية. الحكاية نفسها حصلت في لبنان. هناك مظاهر مشتركة تقريباً بين الأزمتين.

أولاً: هناك الوجود الفلسطيني. ثانياً: الاصطدام مع سلطة محلية. ثالثاً: هناك تدخل عسكري سوري. رابعاً: هناك تربص اسرائيلي، خامساً: هناك اهتمام غربي بالتدخل العسكري السوري مهما اختلفت الظروف.

سنة ١٩٧٠ اهتم العالم كله، وانحصرت الأزمة، وكانت المواجهة في حدود معينة. سنوات ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧، جلس العالم يتفرج. ما هو الفرق بين الاثنين؟ الذي حصل في عمان سنة ١٩٧٠ كان أزمة، لأنه بسبب وجود علاقات بين طرف عربي أو بين أطراف عربية وبين القمم الدولية احتويت الأزمة بسرعة وحلت

المشكلة أو على الأقل أحيط بها.

في لبنان هذا لم يكن موجوداً. حصلت ظروف في العالم العربي سمحت لدولة واحدة بالوجود، وهي الولايات المتحدة، وظلت الدولة الثانية بعيدة أو مستبعدة.

تعالي نقول ان ما حدث في لبنان لم يكن دولياً، إلا إنه لم يكن أزمة، كان مأساة. في المآسي يقف الناس، ليتفرجوا ويتمنوا الخير لهذا وذاك... في الأزمات، لا يستطيع أحد أن يترك المسائل تجري في تفاعلاتها من غير محاولة السيطرة عليها.

نخطىء إذا حاولنا أن نبعد الصراع العربي الاسرائيلي خارج الحركة الدولية، فنحصره في مجال واحد. نأخذ أقرب مثل على هذا، تركيا واليونان. تقع معركة بينهما لكنهما لا يشكلان أزمة دولية. تركيا غزت قبرص، الأميركيون كناس في معسكر واحد، وكرب اسرة، اتصلوا بالطرفين «واختشي يا أخينا، وانت اختشي يا أخينا» ولفلفت القضية للوصول إلى حل، أو على الأقل تظل هكذا محتوية ولا أحد يهتم. لكن لتأتي أزمة أقل حتى من أزمة قبرص، لكنها تمس العلاقات الدولية، تمس الصراع الدولي على القمة فلا يستطيع أحد أن يتحملها. نحن ارتكبنا غلطة، وهي بسبب الظروف التي دخلنا وبسبب تصوراتنا، جعلنا عدداً كبيراً من أزماتنا يتحول إلى مآس لأنه بعيد عن حركة الصراع الدولي على القمة.

● هل سمعت تصريحات كيسنجر الأخيرة، بأن سياسة الخطوة خطوة ما هي الا كذب بكذب لكسب الوقت، وبأنه منع اسرائيل من أي تراجع في حرب اكتوبر. هذا يؤكد وجهة نظرك ضد كيسنجر. ما رأيك؟

ثم بناء على استنتاجاتك السياسية، ما هو مستقبل الشرق الأوسط في كل السياسة الأميركية الجديدة؟

■ اسمحي لي أن أختلف معك. «هذا يؤكد وجهة نظرك ضد كيسنجر». أنا عندي وجهة نظر ازاء كيسنجر وليس ضده. مهمة الكاتب السياسي لا أن يبقى ضد أو مع، مهمته محاولة درس المواقف وتحليلها. في الواقع أنا ككاتب معجب في الذي قام به كيسنجر، وأعتقد أنه حقق أكبر

نجاحاته في هذه المنطقة، حقق أكبر نجاحاته في هذه المنطقة، حقق أهدافه كاملة، رغم انني وغيري تنبهنا مبكراً، لما يعمل، وقلنا مبكراً «ماذا يعمل كيسنجر»، ومع ذلك فقد نفذ ما يريده بالضبط، وبنظرة إلى خريطة الشرق الأوسط نجد فعلاً ان الرجل حقق كل ما يريد. ثم ليس هناك من سر. وكي نعطي حتى الشيطان حقه نقول ان الرجل لم يخف اطلاقاً نواياه التي كانت واضحة للذي يريد قراءتها، أو للذي يريد دراسة كيسنجر قبل أن يزورنا، أو للذي يريد أن يسمع كلامه وهو عندنا. لما جلست معه، وكتبت يومها مقالين «مناقشة مع كيسنجر» الرجل حدد أهدافه على الوجه التالي:

١ ـ أمن وسلامة اسرائيل.

٢ ـ اخراج الاتحاد السوفياتي من المنطقة.

٣ ـ بترول رخيص متدفق باستمرار.

٤ ـ لا تفاوض مع جبهة عربية واحدة. إنما التفاوض مع كل دولة عربية على حدة.

٥ ـ استعادة نفوذ أميركا في المنطقة.

كل هذا في اعتقادي نفذه. أنا كقومي عربي سأجن من الذي عمله، ولكن كواحد مهتم بالفكر السياسي أقول فقط إن الرجل وضع تصورات ونفذها. وكما قلت، لقد نجح في الشرق الأوسط أكثر من أي مكان آخر.

أقواله الأخيرة ليست جديدة. أي واحد كان يتابع أعمال كيسنجر يعرف ببساطة أنه كان يريد كسب الوقت، كسب الوقت كي تضيع تفاعلات حرب اكتوبر في اسرائيل وفي الوضع الدولي كله، خاصة من ناحية خطر البترول.

نصل إلى الادارة الجديدة. أقول للمرة الثانية الموضوع ليس ادارة جديدة أو ادارة قديمة. في الدرجة الأولى: ما هي القدرة التفاوضية العربية؟ وعندما أقول القدرة التفاوضية العربية، يجب أن أضع في ذهني باستمرار، ان أول سلاح للتفاوض هو السلاح، هو القوى المسلحة.

اليوم هناك ادارة أميركية. وسأذهب لمواجهتها، وعندي موقف ورأي وقضية معلقة مضى عليها سنين طويلة، عملت لأجلها الكثير، وواجهتني ظروف كثيرة لعبت أيضاً دوراً، ووصلنا إلى موقف جديد. في الدرجة الأولى، قبل عمل أي

شيء، يجب أن ننظر لموقف التفاوض العربي الذي يقرر العلاقة مع الادارة الأميركية الجديدة، وعندما أقول التفاوض، لا أعني التفاوض بالكلمات إنما بكل أسلحة التفاوض وأولاً: أين أنا من القوة؟

● هل سيعقد مؤتمر جنيف هذه السنة أم انه أكذوبة؟

■ جنيف ليس أكذوبة. لكنني قد اختلف مع بعض الناس الذين يتصورون ان مؤتمر جنيف من الممكن أن يعقد قبل آخر اذار (مارس) كما يقال على لسان بعض المسؤولين، وفي بعض الخطب والبيانات. هذا صعب جداً، والسبب ببساطة ان للإدارة الأميركية الجديدة أولويات وقضايا معلقة كثيرة ولسنا الاهم بالنسبة اليها خصوصاً اننا منطقة مهدأة، وتفاعلاتها في الوقت الحالي مآس وليس أزمات. ومن الممكن أن ننتظر. لكن لا أحد يتصور أن أميركا التي أصبح لها استثمارات سياسية في الشرق الأوسط، ستترك كل شيء ينهار ويقع، بالتأكيد ستقوم بعمل ما، بمعنى أن أميركا ستهتم؟ أجل ستهتم. لكن متى؟ هذا هو السؤال. وأي نوع من الاهتمام؟ هذا سؤال آخر.

أتصور ان أميركا لن تستطيع الاهتمام بطريقة معقولة قبل نهاية الانتخابات الاسرائيلية وقبل أن يكون الرئيس الأميركي قد كون فكرة عن أزمة الشرق الأوسط لأن أمامه مشاكل ملحة وبالذات في المجال الاقتصادي سواء الأميركي أو العالمي. فمشكلة الاقتصاد العالمي وتأثيراته في أميركا أو تأثير أميركا فيه، موضوع في منتهى الأهمية، واعتقد انه أول الأولويات بالنسبة إلى كارتر. وهناك قضايا ملحة ثانية. إذا أردنا معرفة الأولويات عند كارتر نجد: الموقف الاقتصادي والموقف الداخلي في أميركا. موقف الاقتصاد العالمي بما فيه موقف الجنيه الاسترليني وموقف اوروبا الغربية والسوق الاوروبية المشتركة. ثم لا بد لكارتر أن يهتم بالمعسكر الآخر، الاتحاد السوفياتي، خصوصاً انه يسمع الكلام عن تفوق الاتحاد السوفياتي بأسلحة معينة. لا بد أن هذه الأمور تزرع نوعاً من القلق عند صانعي الاستراتيجية الغربية، وبالتالي لا بد لكارتر، كما تصور وقال، في مقابلة بريجنيف قبل أيلول (سبتمبر) المقبل.

بعد هذا ستواجهه مشكلة حقيقية كبيرة وهي جنوب أفريقيا. بعد كل هذا،

ممكن أن يصل لأزمة الشرق الأوسط، وهكذا كما أتصور اننا، بالنسبة إلى ترتيب أولوياته، نحتل الأولوية السادسة.

نحن نلح على مؤتمر جنيف، وأظنه يريد أن يوقف الأزمة أو يسكتها عند هذا الحد. ومن أجل هذا يبعث برسله إلى المنطقة للدراسة، ولا أستبعد أن يوجه دعوات للساسة العرب للذهاب إلى واشنطن، فيقابلهم ويتكلم معهم. ولا أستبعد أن يحصل نوع من جنيف وليس كل مؤتمر جنيف في هذه الفترة. وكل هذا في اعتقادي، من أجل كسب الوقت لغاية أن تنتهي الانتخابات الاسرائيلية ويتبلور الموقف العربي أكثر، والأهم ما يتبلور عنه الموقف الأميركي ازاء هذا كله، وبالتالي، أتصور انه ممكن جداً ان جنيف تعقد في أوائل ايلول (سبتمبر) أو تشرين أول (اكتوبر) أي في أواخر السنة.

ثم إنني أعتقد ان هناك الكثير من الكلام يدور في المنطقة سواء من ناحية اسرائيل أو من ناحية العرب، ولا يزال كل هذا الكلام في الدائرة التي تسمونها في لبنان «حوار الطرشان»، كل طرف غير فاهم ماذا يتكلم الطرف الثاني. وبالتالي أكرر لك، ان جنيف ليست خدعة أو أكذوبة، هناك شيء اسمه «جنيف»، لكن هذه هي الظروف المحيطة به.

● **ننتقل إلى موضوع آخر، ما رأيك في مصر وليبيا؟ وهل مبادرة احدى المجلات المصرية اليسارية تعكس تعاطف اليسار المصري مع القذافي أم هي خبطة صحافية فقط؟**

■ بالدرجة الأولى هي خبطة صحافية كما أتصور. وأنا لم أتابع تفاصيلها. أما بالنسبة إلى وجود وساطة، فأنا من الناس الذين يتمنون باستمرار وجود وساطة تجمع بين مصر وليبيا، لأنني كنت وما أزال مقتنعاً بامكانية الوحدة بين مصر وليبيا، وهذا موضوع أكبر من معمر القذافي وأكبر من أنور السادات، لأنه متعلق بأمور كثيرة جداً هي أكبر من شخصين.

● **ألا يمكن أن تلعب أنت دور الوساطة بين مصر وليبيا؟**

■ اسمحي لي أن أقول بأنني لم أحاول لعب هذا الدور ولن ألعبه، رغم ان أطرافاً كثيرة جداً طلبت مني هذا. بعض أعضاء مجلس الثورة الليبي، وهم يرون تردي

الأحوال في العلاقات بين البلدين، ارسلوا إليّ جوابات خطية. الحقيقة رديت نفسي عن هذا التدخل. لأنه، لغاية وجودي في «الأهرام» حيث كنت قريباً من الرئيس السادات، كنت أسمح لنفسي القيام بهذا العمل. لكنني تركت «الاهرام» ثم انني آخر مرة رأيت فيها معمر القذافي كانت في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٣ قبل الحرب. بعد ذلك لم أره اطلاقاً، حتى وأنا أقوم بجولة في العالم العربي بسبب كتابي، لم أذهب إلى ليبيا؟ لأنني لا أريد. السبب: العمل السياسي يتكلم عنه العاملون فيه، الموجودون داخل الصورة السياسية، لكن الذين خرجوا، ليس من حقهم في اعتقادي أن يقحموا أنفسهم في أوضاع يجهلون تفاصيلها.

هناك فرق كبير بين أن أكون قريباً من الرئيس، سواء الرئيس السادات، أو الرئيس عبد الناصر، وأقوم بدور في أمر أنا مؤمن به. وبين أن أكون بعيداً. أنا ابتعدت واخترت أن أنتظر وأحافظ على دور مراقب الأحداث.

وأنا أفضل أن يكون الوسيط من داخل الصورة وبرضى الطرفين وبطلبهما. ثم إن الوسطاء برأيي يعقدون أكثر مما يقربون.

● بعض الناس ينظرون اليك انك صديق القذافي وتحلم أن تؤدي معه الدور الذي أديته مع الرئيس عبد الناصر. ما رأيك بسياسة القذافي؟

■ لنأخذ السؤال بأطرافه المختلفة. من جهة انهم ينظرون إليّ كصديق القذافي، أنا أقبل بهذا. وأعتبر نفسي صديقه. وإذا كان هو يعتبر الشيء نفسه، فإنني أكون سعيد، أعتقد أن القذافي رجل وطني وقومي، وشاب مليء بالحماسة. ثم أن له داخل ليبيا ايجابيات، وله ايجابيات خارج ليبيا، كما أن له مشاكل أو سلبيات في الداخل والخارج، لكنني أعتقد أنه في مجمل ممارساته، من الظواهر الشابة في العالم العربي.

اما أن أقوم بالدور نفسه الذي قمت به مع عبد الناصر، فهذا لم يخطر ببالي ولا يمكن أن يخطر. لأن الانسان لا يكرر نفسه. تعرفين، عمل تجربة مع عبد الناصر ثم تكرارها مع أي انسان آخر، غير ممكن. قمت بهذا الدور مع عبد الناصر لأننا من بيئة واحدة، من داخل وطن عربي واحد، من ظروف واحدة، من اتصال يومي مستمر.

أنا لن أستطيع العيش في ليبيا، لأنني لن أعيش الا في مصر، في بيتي. ثم إنني لا أعرف ظروف ليبيا بالقدر الكافي ولا أعرف عقلية ونفسية القذافي، ولا الاعتبارات التي تحركه. أحياناً من بعيد، أتساءل كيف يقوم القذافي بهذه الأعمال، وأحياناً ومن بعيد أيضاً أعجب بأعمال يقوم بها.

ثم هناك فرق بين العمل كصحفي والقيام بدور ما عبر التزام معين، وبين أن يتحول هذا الدور إلى حرفة. لست مستعداً أن أقوم بدوري مع عبد الناصر، لا مع معمر القذافي ولا مع أنور السادات ولا مع أي شخص آخر. هذا موضوع مرهون بظروف تاريخية معينة غير قابلة للتكرار إلا إذا حولت القناعات إلى ارتزاق، وهذا يعني مصيبة.

● **نعود إلى مصر. رأيك في الانفتاح؟ في حركة الطلبة؟ الأحزاب الجديدة. وهل أنت مع السماح بالحزب الشيوعي ما دام هناك أحزاب؟**

■ بالنسبة إلى الانفتاح، أنا أعتقد ان مستقبل مصر مرهون بالتنمية الزراعية والصناعية، ولا أعتقد انه يمكن عمل هذه التنمية الزراعية الصناعية داخل مصر بالانفتاح أو برأس مال أجنبي.

رأس المال الأجنبي لن يأتي مصر ولو انتظرنا مليون سنة، وذلك لأسباب عملية.

قبل الثورة لم يكن هناك من رأس مال أجنبي كانت هناك مصالح أجنبية موجودة من بقايا العصر الاستعماري لم يضف اليها رأس مال أجنبي.

رأس المال الأجنبي لا يأتي إلى بلاد العالم الثالث ليواجه المخاطر السياسية، إلا إذا أمن نسبة أرباح عالية بين ٤٠ و ٥٠ بالمئة تبرر المخاطر السياسية. لا موارد عندنا في مصر تؤمنها. لأنها لا تؤمن إلا بالمواد الخام، بترول، نحاس، الخ.. ثم ان مصر محتاجة لبناء لهيكل التحتي الاقتصادي، محتاجة للصناعة والزراعة، ومن المستحيل أن يأتي رأس المال الأجنبي لاستثمارات زراعية مثلاً. ممكن أن يعطينا خبرة تكنولوجية أو معلومات تكنيكية، وهذه ندفع ثمنها ولا تسمى انفتاحاً.

لنحول السؤال هكذا: هل كنا منغلقين على الخبرة الأجنبية لهذه الدرجة؟ لقد

كانت هناك شركات بترول في مصر. الميثاق الذي كان موجوداً كان يقول اننا نستطيع التعاون مع رأس المال الأجنبي في ظروف معينة لا نملك فيها الخبرة الوطنية.

في السيارات مثلاً، تعاونا مع شركة «فيات» وهي شركة غير مصرية. وهذا ليس انغلاقاً، وكذلك في صناعة الأدوية تعاونا مع شركة «سيبا» وشركات أميركية أخرى.. ثم شركات البترول التي كان لنا معها رأس مال مشترك. اذن كان هناك مجالات يستطيع من خلالها رأس المال الأجنبي أن يستثمر المجالات التي تدر ربحاً وعائداً سريعاً. لكن هذه ليست كلها مشروعات مصر. التنمية المصرية لن تقوم إلا على الزراعة والصناعة. وبناء مجتمع جديد لا يمكن اطلاقاً أن يتم من غير قاعدة زراعية صناعية ثابتة. وللظروف التي شرحتها لن يأتي رأس المال الأجنبي. ثم إنني أسأل: إلى أي بلد في العالم الثالث ذهب رأس المال الأجنبي؟ ممكن أن يأتي على شكل مصارف أو تصدير سلع استهلاكية.

وهذا ما رأيناه: مصارف برأس مال صغير جداً، تعمل بالودائع المصرية وتشتغل خارج مصر أو مع غير المصريين، وتحقق أرباحاً خيالية وتحول أرباحها وهي مطمئنة جداً لأي طارىء. ثم اننا رأينا اغلاق استيراد البضائع الاستهلاكية. أين هو المصنع صاحب القيمة الحقيقية الذي انشيء باستثمارات أجنبية؟ الممكن هو وجود استثمارات عربية ومعونات عربية وموارد مصرية تضاف إلى هذا كله من أجل القيام بخطة.

هل سيدخل رأس المال الأجنبي في خطة؟ في تخطيط بعيد المدى إذا تكلمنا مثلاً عن الحديد وصناعة السفن؟ لم يحصل، افهم أن نقول اننا بحاجة لرأس مال عربي كما حصل في تصنيع السلاح. أن تقولي مثلاً نريد الدخول في صناعة سفن عربية، سكة حديد، صلب عربي، بترو ـ كيمياء عربي متكامل. هذا ممكن ومعقول ومقبول. لكن أن نقول أميركا ستجلب لنا؟ من أين؟ لن يأتونا بشيء. وبالتالي الكلام الذي يقال عن الانفتاح هو في النهاية وفي اعتقادي عمليات استهلاكية وعمليات ربح سريع تدفع ثمنها التنمية المصرية. هذا هو رأيي في الانفتاح، وأرجو أن أكون مخطئاً.

ـ حركة الطلبة: باختصار، أنا أعتقد انه ليس هناك نظام له شرعية ويحرص على

هذه الشرعية يستطيع أن يتناقض مع الشباب، لأنه إذا حصل هذا، فقد النظام مستقبله. لكن لا يعني هذا، انني أقول ان الطلبة على حق في كل شيء. لكن الأسلوب الوحيد الممكن مع الطلبة ليس الوسائل البوليسية ولا وسائل المخابرات أو المباحث الخ.. إنما أسلوب الحوار. هذا كان رأيي وما يزال.

الأحزاب الجديدة: أنا لم أفهم جيداً الكلام الذي قيل عن الحزبية في مصر. لأن الاشتراطات الموضوعة لقيام هذه الأحزاب، أن لا تقوم على أسس طبقية، ولا أستطيع أن أتصور الحزب إلا باعتباره الطليعة المتسيسة للطبقة.

لكنني أتصور على أي حال، انه لا مفر لنا من تجربة الأحزاب، طالما فكت تجربة تحالف قوى الشعب العامل التي كانت موجودة في الاتحاد الاشتراكي والتي كان لها السيطرة على وسائل الانتاج. وطالما سمح لطبقة من الطبقات أن تبرز بمصالحها المتميزة، يبقى اذن الحق لكل الطبقات أن تبرز وتدافع عن مصالحها وتعبر عن نفسها سياسياً.

ضمن هذا كله، أتصور انه من غير الممكن القول ان هناك ديمقراطية حقيقية في الوقت الذي نمنع فيه رأياً معبراً عن مصالح طبقة من أن يقول رأيه، وبالتالي فالحزب الشيوعي كحزب اليمين وحزب الوسط لا بد أن يعبر عن طبقة. ومن الممكن أن يقول الحزب الشيوعي إنه يعبر عن الطبقة العاملة، وتختار الطبقة العاملة حزباً آخر، لأنها لا تريد الحزب الشيوعي. لكن لا نستطيع أساساً أن نمنع ظهوره ووجوده، وبالتالي عندما نقول: أحزاب، نقول ديمقراطية، أي كل المصالح تعبر عن نفسها.

● مع عظيم احترامي لشخصية عبد الناصر هناك أقوال متضاربة وكثيرة ضده، مثلاً موقف عبد الناصر من الديمقراطية؟ وخطأه عدم ايجاد حزب يضم كل أنصار الثورة؟

■ نأخذ أولاً الأقوال المتضاربة. أنا أعتقد ان جزءاً كبيراً جداً من الحملة ضد عبد الناصر موجه. وليس صحيحاً انها حملة لا مثيل لها في التاريخ، لأنها حصلت، على سبيل المثال نأخذ كروموبل في انكلترا الذي قاد ثورة ضد الملك، وطارت

الأسرة المالـكة. . ثم مات. وعندمـا رجـع الملك جيمس الثانـي أخـرج هيكل كروموبل العظمي من القبر وشنقه وشوهوه، وحاكموه ثم علقوا هيكله العظمي. . هذا ما تتعرض له الثورات وأبطال الثورات والشـخصيات التـي تبـرز في ظروف الثورات، تتعرض لتشويه من العناصر المعادية للثورة التي مع أول فرصة تنقض على الثورة. وهذا ما حدث في الثورة الفرنسية الكبرى. تعرض عبد الناصر لحملة عاتية جداً لأنه هو تعرض في حياته لقوى عاتية جداً، والحملة ضارية جداً بمقدار حجم المصالح الموجودة على الأرض العربية، لأن عبد الناصر حجـب ومنـع قوى كثيرة. هذا طبيعي، وهذا يدعو إلى مزيد من التنبه بالنسبة إلى الناس الذين حاولوا الدفاع عن عبد الناصر بأن لا يتراجعوا أمام بعض الأخطاء.

أما أن نقول ان لا أخطاء عند عبد الناصر، فلا أحد في الدنيا من قال هذا. ومن ناحية ثانية ان الديمقراطية كانت في أخطاء عبد الناصر، أنا أعتقد انها فعلاً كانت من أخطائه. لأنه جاء بعد تجربة حزبية فاشلة في مصر، وجاء عبر وضع طبقي معين في مصر، وجاء في وضع يفرض الحرية الاجتماعية أولا ويمنحها الاولوية. وأنا مع اعطائها الاولوية لكن السؤال: هل تقـومين بهـذا من فوق أو بالحـوار بين قوى الشعب؟ نصل إلى مرحلة التطور التي كان يعيشها الشعب المصري والأمة العربية كلها. والضغوط التي كانت موجودة على عبد الناصر والحرب التي تعرض لهـا، ونسأل هل كان في مقدوره أن يتصرف بوجه آخر ازاء المهمة الأساسية التي كان كرس نفسه لها وهي قضية التحول الاجتماعي والاقتصادي في العالم العربي وقضية حرية هذا العالم السياسية ازاء الاستعمار. ومع ذلك أريد أن أقول انه اثناء الثورة في الوطن العربي كله، كانت هناك حرية التعبير فظهرت الصحافة اللبنانية والصحافة الكويتية، أما العصر الحالي الذي يسمى «ليبرالـي» فإن صحافـة لبنـان أسكتـت وكذلك صحافة الكويت. أليس هذا أمراً غريباً؟

من ناحية الحزب وعبد الناصر. الحقيقة ان عبد الناصر تصور صيغـة ثانية، ليس صيغة الحزب الواحد، انما صيغة التحالف، وهذه الصيغة في اعتقادي لم تجرب في مصر قط، لأن فكرة الاتحاد الاشتراكي في الحقيقة، كاطار لقوى الشعب العامل لم تجرب تجربة حقيقية، انما باستمرار أوكلـت إلـى أشخـاص أو تركت

لظروف سلبت جوهرها وحولت التنظيم إلى اداة للدولة بدلا من **أن تعمل العكس**

لا أعرف إذا كان على عبد الناصر أن يؤلف حزباً، إنما أتصور انه كان عليه أن يتفرغ أكثر لقضية تنظيم التحالف. وثم ان ظروف العالم الثالث وقضية التنمية والصراع الأولى في عصر الحرب الباردة أو عصر الوفاق، أظنها تقتضي نوعاً من الوحدة الوطنية داخل الوطن العربي الواحد.

● يقال ان المدافعين عن عبد الناصر حالياً هم فئات قليلة مختلفة من الناصريين والشيوعيين غير الموحدين في حزب أو تنظيم ولا يملكون قوى تنظيمية حقيقية. ما رأيك؟

■ ما تقولينه غير صحيح، لأن المدافعين عن جمال عبد الناصر هم غالبية شعب مصر. والصراع الحالي الدائر: من يمثل عبد الناصر. الرئيس السادات قال: «أنا أمثل عبد الناصر».

الشيوعيون يمثلون الناصرية من جهة نظرهم، وهناك بعض الشباب الناصري المتجرد. لكن الواقع يقول ان القاعدة العريضة غير المنظمة في مصر هي ناصرية.

● حزب التجمع الوطني القومي الوحدوي الذي يقال انه يضم الشيوعيين والناصريين، هل تعتقد انه حل المشكلة؟ وهل يستطيع أن يضم كل أنصار ثورة ٢٣ يوليو؟ ولماذا لا تنضم أنت اليه.

■ أنا أعتقد إن الناصرية أكبر جداً من طاقة هذا التجمع.

أما لماذا لا أنضم أنا لأحزاب؟ أنا قلت وأقول انني أعمل كصحافي فقط ولا أريد القيام بأي عمل آخر.

● هل تفكر في تنظيم حزب جديد؟

■ أبداً، لا أفكر، لا يستطيع أحد أن يمد نظره أبعد من الواقع، ثم انني غير مقتنع بتجربة الأحزاب التي أتمنى لها النجاح. ثم أنا أتصور ان الأيام ومستقبل الأيام ستبرز تنظيماً ناصرياً مختلفاً عما نراه اليوم.

جاءني بعض الشباب الناصري يطلب مني الانضمام للناصريين أو لليسار أو القيام بعمل آخر. كان رأيي الدائم، انه من الأفضل جداً أن يتصدى للتجربة

الناصرية بعض الناس المؤمنين بها والذين قامت التجربة من أجلهم وعاشت لهم وليس الذين عاشوا فيها.

هذا الجيل الناصري الجديد ينبغي أن يتصرف من دون وصاية من الحرس القديم مهما كانت مفيدة، لأن على هذا الجيل أن يفتح الطريق، وفي النهاية إذا دافع عن عبد الناصر الذين ارتبطوا به فقط فإن القضية لا بد خاسرة.

ثم أن يقود القدامى الجيل الجديد فهذا سيدخلنا في مشاكل العمل السياسي في هذه المرحلة. مثلاً أنت تريدين شباباً ينفعل ورؤيته جيدة، ان المداخلة معهم ستسهل على أجهزة الأمن أن تقول إنك تحرضين الشباب، أو نجد الشباب يقول: هؤلاء يفرضون أنفسهم علينا.

لنترك الحركات السياسية تنضج وتتفاعل من تحت، من الشارع. ثم إنني ضد أي تصور يدعو إلى اختصار مراحل التطور. هذا كان ممكناً في قيادة كقيادة عبد الناصر، لكن في غياب هذه القيادة، على التطور أن يأخذ مجاله ومجراه وأن ينشأ نشأة قوى حقيقية تقوده وتظل مصالحها مرتبطة به وكذلك مستقبلها.

● **عام ١٩٧٠ كنت واحداً من المرشحين كي تخلف عبد الناصر. هل تعد نفسك حالياً لرئاسة الجمهورية؟**

■ نأخذ الجزء الأول من السؤال، لأقول: هذا ليس صحيحاً.

● **بعض المراقبين رشحك وكذلك الاذاعات الأجنبية.**

■ كانوا يتكلمون بعيداً عن الواقع. شيء طريف أن يقال عن الواحد انه رشح نفسه لرئاسة الجمهورية وأيضاً شيء لطيف أن يرشحه الآخرون.. لكن... لنتكلم عن الترشيح. كيف يمكن أن يكون هناك مرشح لا تسنده قوى حقيقية من القوى الفاعلة في الحركة السياسية في بلد من البلاد.

المؤسسات التي كانت موجودة يوم وفاة عبد الناصر في ٢٢ ايلول (سبتمبر) هي الاتحاد الاشتراكي وفيه بعض الناس المختلف معهم، لأنني أعتقد انهم افرغوا الاتحاد الاشتراكي من مضمونه. ثم القوات المسلحة التي كانت في ذلك الحين

وبظروفها مشغولة بمعركة . . وعلى أي حال، أنا لست من القوات المسلحة ولا من التنظيم السياسي، كل الذي كان، انني صحافي أكتب، وآرائي بشكل ما كانت تلقى الصدى، ثم انني كنت صديقاً وقريباً من جمال عبد الناصر . فقال البعض: «يلا نرشحه» . ثم انني لم أكن موجوداً في الادارة الحكومية ولم أكن نائب الرئيس. ثم لا تنسي انه في الواقع والحقيقة، كان هناك دستور مصري، وكنت أنا مع احترام التقاليد الدستورية، لأن أي خروج عليها في ذلك الوقت كان من الممكن أن يؤدي إلى حرب أهلية، لذلك بعد الوفاة عندما نزلنا من غرفة عبد الناصر، سألني الرئيس السادات يومها: «رأيك ايه»؟ وكان رأيي أنه لا بد من العمل بالدستور، لأنه لا بد من الاحتكام إلى قاعدة وضعت سلفاً، لأنها الضمان. وكان الحل الوحيد أن يتقدم الرئيس السادات، وكان يومها نائب الرئيس، ويملأ الفراغ ويجري استفتاء بعد ستين يوما . . ولم يعترض أحد على هذا، لأننا أتينا بقاعدة وضعت فعلاً لمثل هذا الظرف كي يحتكم اليها.

● **وحالياً هل تعد نفسك لرئاسة الجمهورية؟**

■ أبداً . . أبداً.

● **لماذا؟**

■ أولا أنا خارج كل التنظيمات . . ثم أعمل ايه في الرئاسة؟ . . ثم هي بحاجة لشيء آخر مختلف تماماً . . ثم هناك التطور، تطور الظروف . . . أتصور انها بحاجة لأمر مختلف تماماً . . .

● **هل لك علاقة بالناصريين في مصر؟**

■ طبعاً. خاصة وانني من الذين يتمنون للحركة الناصرية أن ترسخ وتزدهر في المجتمع المصري، فضلا عن اعتقادي بأن المصلحة الفكرية للتجربة الناصرية لا تزال مناسبة وقائمة لمواجهة التطور المصري ومطالبه. أكثر من هذه العلاقة لا أريد، ثم انني أريد أن أضرب مثلا لغيري، ليس من الضروري أن يتصدر الحرس القديم التجربة الجديدة. يجب على هذه التجربة أن تكبر للتأكيد على اليقين بالمبدأ . . في النهاية، أنا مهما قلت فإنني أدافع عن دوري، أدافع عن ماضيي. أنا

لا أريد هذا، أنا أريد انساناً يتكلم عن مستقبله ومستقبل بلده من خلاله.

● ما هي الأسس الثابتة المطلوبة لوحدة عربية جديدة شاملة وناضجة، بعد أن أصبحت الوحدة تدعو إلى الخوف؟

■ بلا جدال، الوحدة تدعو إلى الخوف. نحن أمام عدة أمور. في اعتقادي، ان دواعي الوحدة موجودة في العالم العربي وقوية جداً، لكن المشكلة ان دواعي الانفصال أيضاً في هذه المرحلة موجودة وقوية جداً، واعتقد انه علينا في الفترة المقبلة أن نبحث عن نوع من الوحدة يحقق وحدة الارادة، ويبقى أو يذيب على مهل وعلى مسافة طويلة جداً الظروف التي تدعو للانفصال. اليوم، من الممكن أن تبقى قضية الوحدة العربية معارضة للمصلحة الوطنية في بلاد كثيرة جداً. بلاد البترول مثلاً. كيف يمكن العمل على وحدة إرادة تبقي لهم بالدرجة الأولى الكلمة الأولى في ثروتهم وفي الوقت نفسه تبقى ظروفهم السياسية مع الوحدة.

في هذه الفترة أتصور أننا بحاجة أن نجد الصيغة المعقولة التي تلبي دواعي الوحدة وضرورتها وأهمها، وحدة الارادة السياسية، وتأخذ هذه الوحدة في الاعتبار ظروف تفاوت الثروة وظروف الطبقية في العالم العربي، وتحاول مع برنامج طويل أن تذلل كل عقبات الوحدة..

● بعد خروجك من «الأهرام» خف بريقها صارت باهتة ومهذبة جداً. ما هي في رأيك وسيلة انقاذها، لاستعادة مجدها؟

● ربما يكون هذا هو السؤال الوحيد في كل أسئلتك، الذي لن أجيب عليه.. لكنني أقول لك شيئاً، إن بيني وبين «الأهرام» رباطاً قوياً جداً شئت أنا أم أبيت، عمر «الاهرام» مئة سنة، ومن عشرين سنة كنت رئيس تحريرها لمدة ١٨ سنة، أي تقريباً سدس عمر «الاهرام» وتشكل هذه الفترة إعلامياً ووطنياً وعربياً بدور أنا شخصياً راض عنه ثم في هذه الفترة قمنا في «الأهرام» صحافياً وعلامياً ووطنياً وعربياً بدور أنا شخصياً راضي عنه وسعيد به، واعتقد ان خروجي من «الأهرام» اضاف لهذا الدور ولم يأخذ منه، لأنه أثبت أمام كل الناس انه ليس موضوع تكنولوجيا أو صلات بالسلطة أو موضوع تأثير، لكنه في النهاية موضوع قناعات تصطدمين في

قناعاتك بأوضاع معينة، فترفضين تبديل هذه القناعات بأمور أخرى، أي بمنتهى التواضع تقولين: لا أستطيع.

لذلك، أنا أحزن جداً وأتضايق، إذا تكلم أحد عن «الاهرام» حتى اليوم، واتمنى إذا كان هناك من أوجه تقصير أن تتجاوزها «الاهرام» لأن. . .

● **لأن الموضوع يمسك؟**

■ لا يمسني، بل لأنه أنا، في حجارته كلها، في حكايته كلها لوحة وضعتها أنا في مكانها، في كل ماكينة في كل مكتب في كل خدمة معينة تؤمنها «الاهرام».

● **هل صحيح أنك رفعت قضية ضد مجلة «المصور» لاتهامها لك بالثراء غير المشروع؟ . .**

■ «المصور» لم تتهمني بثرائي غير المشروع. لكنها اتهمتني بأنني اشتريت قطعة أرض من رجل موضوع تحت الحراسة مستغلاً فيها سلطتي. وأنا رفعت قضية، وبالرغم من المحاولات الكثيرة جداً لتشويهي والتي حصلت ومستمرة، فأنا لا أتكلم فيها أو عنها اطلاقاً، لكن لأن الموضوع يمس الذمة المالية، فلم أتركه بل ذهبت بسرعة إلى القضاء وقاضيت «المصور» و«وكالة الأنباء الفرنسية» التي نقلت عن «المصور» هذا الخبر. وفي المحكمة، وبعد ان قدمت وثائقي اعتذرت «وكالة الأنباء الفرنسية» وسجلت اعتذارها في المحكمة وأخرجتها من القضية.

تقول «المصور» إنني اشتريت قطعة أرض من أجنبي تحت الحراسة. أنا اشتريت قطعة أرض على دفعتين. الجزء الأول اشتريته من عضو في مجلس ادارة «الاهرام» وهو الذي عرضها عليَّ. وحصل إنني أخذت مكافأتي من «أخبار اليوم»، وذهبت لأشتري أسهماً أضعها في شركة «ايسترن للدخان»، وكان هو يهتم حينذاك في هذه الشركة، فقال لي: لماذا الأسهم وليس قطعة أرض.

أنا عندي قطعة أرض أخذتها بدل أتعاب في قضية، أبيعها لك. . وكان هو أهمل هذه الأرض بعد وفاة زوجته. لما رأيت الأرض تحمست لها، وكان ذلك عام ٥٦ ولم يكن هناك من حراسات اطلاقاً. ثم انني اشتريت الأرض بسعر أغلى من المعروض لأنه سمح لي بالتقسيط. وكل هذه الأمور اطلعت المحكمة عليها،

وأطلعتها على كل الايصالات المالية، لدرجة ان آخر فاتورة أرسلها لي كانت فاتورة برسم التحصيل، بما فيها ثلاثين قرشاً لثلاثة شهود أتوا بهم من على باب المحكمة.

الجزء الثاني من الأرض اشتريته من ناس مصريين ليسوا أجانب ولم يكونوا تحت الحراسة. انهم ورثة عزمي باشا الذي كان جاري وعنده قطعة أرض قرب منزلي، من ضمن أرضه، فاشتريت منها قطعة بسعر أغلى من السعر المطلوب. وهؤلاء قدموا شهاداتهم.

طيب. يقولون من أين أتى بالمال! في المحكمة أنا وضعت كل إقرار ذمتي المالية، الأرض الأولى كانت بعشرة آلاف جنيه دفعتها على ثلاث سنوات وقبلي كان كذا واحد يريدون شراءها بينهم الدكتور جمال العطيفي. وآخر سعر وصلت اليه الأرض كان ٨ الاف جنيه. وبسبب التقسيط دفعت ١٠ الاف جنيه.

كانت مكافأتي من أخبار اليوم ٧ آلاف جنيه، ولأنني أعرف حساسية المسائل المالية، طلبت أن تكون المكافأة في «شكين»، الشك الأول بخمسة آلاف جنيه أخذته وعلى ظهره حولته لصاحب الأرض وقبض المبلغ على شك صادر باسمي من «أخبار اليوم». القسط الثاني حولت له اسهماً في شركة «الخزف الصيني»، وكانت بثمن الفي جنيه، وأرسل لي الايصال من عند رجل البورصة. الجزء الثالث، بعت أسهمي في شركة «شاهر» وكانت لأقرباء لي، بعتها في البورصة بألفي جنيه.. والألف الأخير كان من السهل أن أدبره..

قطعة الأرض الثانية كان ثمنها ٢٣ الف جنيه اشتريتها بعد كتابي «عبد الناصر والعالم»، وقبل أن أشتريها كان تحول لي من فلوس هذا الكتاب خمسون الف جنيه استرليني.. والبنك الأهلي موجود.. إذا سألتني عن حالتي أقول الحمد لله كويسة قوي. خذي أول كتاب، إنه طبع بـ ٢٦ لغة.. لما يطلع لأي كاتب في العالم كتاب بـ ٢٦ لغة، ويأخذ من كل لغة ٥ تعريفة يطلع له في النهاية مبلغ..

لذلك، أنا مستعد أن أسكت عن كل الكلام الذي يقال من ناحية الحياة السياسية، لكن الذمة المالية، لا، أذهب المحكمة بسرعة.. «وكالة الأنباء

الفرنسية» أرسلت لي رئيس مجلس ادارة الوكالة في باريس، للاعتذار، بعد أن رأوا الوثائق قلت لهم: لكنني أريد اعتذاراً كاملاً يسجل في المحكمة.. وحصل.. وهذا الموضوع.

● ماذا تفعل حالياً وقد سمعت ان مواعيدك مزدحمة أكثر مما كانت في «الاهرام»؟

■ أكتب، أنا من حين مغادرتي «للاهرام» انتهيت من كتاب «الطريق إلى رمضان» وكتاب «العالم العربي» سيصدر هذه السنة في أيار (مايو) واعمل حالياً في كتاب عن «الاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط من الحرب الباردة إلى الوفاق» ومتعاقد بعده على كتاب عن أميركا حول الموضوع نفسه.. يعني دور روسيا من بعد الحرب العالمية الثانية حتى الوفاق، ودور أميركا.. روسيا في كتاب وأميركا في كتاب آخر. عقد هذين الكتابين معي، ومعي لغاية سنة ١٩٨٠، كي انتهي في آخرهما. وكل كتاب سيترجم إلى عشرات اللغات. ثم انني أكتب أربع مقالات شهرية أقول فيها رأيي بقضايا العالم العربي، ولا أقصد من خلالها العمل في الصحافة بل القصد أن يبقى رأيي موجوداً ومسموعاً. وإلى جانب هذا، أعمل أحياناً في مجال الخدمة العامة. الجامعة العربية مثلا جاءتني قائلة انه لو كان بامكاني أن أستلم مشكلة الاعلام العربي في العالم الخارجي، وافقت، أخذ مني هذا العمل ثلاثة أشهر قدمت للجامعة في النهاية تقريراً مطولاً شاملا..

ثم بعد ذلك وقبله، أنا أقابل الكثير من الناس وبرنامجي في اليوم العادي انني أصحى باكراً في الصباح، اذهب النادي الساعة السابعة ألعب الغولف، في التاسعة إلا ربعاً أكون في المنزل أفطر وأدخل مكتبي، يستمر عملي من التاسعة صباحاً حتى الثالثة بعد الظهر. وفي حوالي الخامسة اما أن أواصل عملي، أو أقابل الناس. كل الشخصيات العربية التي تأتي مصر تزورني ويأتيني صحافيون من العالم كله، أنا على اتصال بالصحافة في العالم كله.. أشوف هنا في مصر كل الناس، أتكلم أناقش وأقول رأيي..

في يومي الخميس والجمعة أذهب إلى بيتي في الريف مع أولادي نلعب «بنغ بونغ» وكرة القدم وكل ما تتصورينه...

رد من هيكل على الدكتور محمد عصفور :
هناك نوعان من الديمقراطية
ديمقراطية بالموافقة- وديمقراطية بالمشاركة

بين عودة من سفر وتأهب لسفر يقتضيه عملي في كتابي الجديد عن «الثورة الايرانية» اطلعت في عدد جريدة «الشعب» الأخير بتاريخ ٢٣ ديسمبر ١٩٨٠ على مقال للاستاذ الكبير الدكتور محمد عصفور تحت عنوان «ديمقراطية . . آمين» .

ولقد وجدت في هذا المقال اشارة لي ولبعض ما قيل أنه من «تنظيري السياسي»، ووجدت من حقك علي وحق جريدة «الشعب» وحق الاستاذ الكبير الدكتور عصفور . . أن أخرج على مألوف عادتي وأن أرد .

ان كل ما أقصد اليه هو وجه الحق والحقيقة .

ودعني أؤكد لك أنه لو كان المقال في غير «الشعب» لما اهتممت، ولو كان كاتبه غير الدكتور عصفور لما رددت .

ومع صادق التحية أرجوك أن تقبل عظيم تقديري لهذا الدور الذي تقومون به جميعاً في تأكيد وتعميق حق الرأي الآخر .

هيكل

● جريدة الشعب المصرية . ٣٠/ ١٢/ ١٩٨٠

■ لقد عودت نفسي منذ زمن طويل أن أتجنب الرد على الكثير مما يمكن أن ينشر عني أو يذاع. ولم يكن ذلك ـ فيما أرجو ـ عن بلادة حس أو عن مركبات غرور، وانما كان دافعي اليه انني أعرف من واقع الحال وعن طبائع الظروف ما يغنيني وأكاد أقول يرضيني!

إنني تمثلت بنصيحة الفيلسوف القديم، «قل كلمتك وامشِ».. وقد قلت كلمتي ومشيت، ولم أسمح لنفسي أن أتلكأ على باب أو أن أقف في انتظار دقة جرس. وهكذا فانني منذ أن تركت مكاني القديم في الاهرام، في ظروف ليس هذا مجالها الان، كان قراري ـ ولم أحد عنه ـ أن تكون حياتي في مصر وليس خارجها، وأن يكون عملي لها حتى وان حكمت الايام عليه بأن يظهر في بلاد أخرى غيرها.

وتفرغت منذ ذلك الوقت لاربعة كتب صدرت لي حتى الان في سوق النشر العالمية، فضلاً عن خامس يلحق بها في ظرف شهور، إلى جانب تحقيقات وتعليقات سياسية أكتبها في «التيمس» و«الصنداي تيمس» و«النيويورك تيمس» التي تصدر في لندن ونيويورك على التوالي.. وفي بعض الاحيان سمحت لنفسي أن أكتب مجموعات أحاديث في الشئون الجارية تنشر في بعض الصحف العربية ولكني توقفت عن ذلك مؤقتاً منذ عام لاسباب تتعلق بالأوضاع الطارئة في المنطقة كلها. وكنت والحمد لله راضياً دور قضية.. وكل مهنة مسئولية عارضة ـ بأن كل رجل موقف.. وكل ولا أزال. مقتنعاً ـ برغم أية مصاعب.

وأعترف انني هممت في بعض المرات أن أرد على القائلين وأن أصحح. لكني في معظم المرات نجحت في أن أتغلب على نوازعي ـ وهي انسانية ـ وأن أتنازل

عن حق الرد ـ وهو شرعي، أو على الاقل ينبغي أن يكون كذلك!

لكني هذه المرة ـ وازاء ما نسبه إلي الاستاذ الدكتور محمد عصفور في عدد «الشعب» الاخير تحت عنوان «ديمقراطية . . آمين!» ـ أخرج على مألوف عادتي وأحاول مجرد محاولة ـ قد تصيب وقد تخيب ـ أن أمارس حق الرد. . ربما لاني أعرف للشعب دورها في هذه المرحلة وربما لاني أعرف للدكتور محمد عصفور قدره بين كتابها. ولعلي لا أقبل لها ولا له خطأ في حق الواقع والتاريخ لا مبرر له ولا سبب يدعو اليه. وأغلب الظن أنه النسيان وابتعاد الايام وتشابك الروايات واختلاطها، إلى جانب الضباب الذي يكثفه الحاح الدعايات والدعاوى والادعاءات!

لقد كتب الدكتور محمد عصفور في مقاله بالحرف ما يلي:

«على الرغم من مناهضة نظام الحكم الناصري الديمقراطي أيا كانت التبريرات التي سيقت في هذا الشأن فلقد أصر مناصرو النظام على أنه نظام حكم ديمقراطي من نوع خاص. ولست أنا الذي وصف نظام الحكم في عهد عبد الناصر بأنه «ديمقراطية الموافقة» أو ديمقراطية آمين وانما أعطى هذا الوصف الاستاذ «هيكل» أحد كبار منظري النظام، فالاستاذ هيكل أنكر أن حكم عبد الناصر كان دكتاتورياً وإنما هو في نظره كان ديمقراطية فريدة في نوعها: «ديمقراطية الموافقة».

● ثم استطرد الدكتور عصفور مؤسساً على ذلك قوله:

«وهذا النظر غير صحيح. . ومرفوض تماماً بحكم المنطق وبحكم أصول الديمقراطية نفسها»

وربما يأذن لي الدكتور عصفور أن أقول أن ما نسبه إلي ليس هو ما قلته، وبالتالي فإن النتيجة التي أسسها عليه تستحق منه نظرة مراجعة. وأرجو أن أضع تحت عنايته مجموعة النقط التالية:

١ ـ ان الدكتور عصفور وصفني بأنني أحد كبار منظري نظام عبد الناصر.

وهذا شرف لي أتمنى أن أستحقه. ان تجربة جمال عبد الناصر كانت تجربة عظيمة في العالم الثالث كله. ولقد كانت أبرز قسمات عصر بأكمله في التطور العالمي الحديث، وهو عصر التحرر الوطني وأبطاله العمالقة. وليس يضير تجربة عبد الناصر أن تشوبها أخطاء، فالخطأ طبيعي كما هو انساني. ومن سوء الحظ أن تجربة جمال عبد الناصر التي يهتم العالم كله بدراستها الآن وتعود إليها كبريات الجامعات في الدنيا ـ وبينها الجامعات الأمريكية نفسها ـ بالدرس والتقييم، تدان إجمالاً في وطنها ويحكم عليها في غيبة الحق والحقيقة معاً!

تلك على أية حال قضية أخرى أوسع وأكبر من موضوع هذا الرد.

٢ ـ لم يحدث اطلاقاً أنني وصفت نظام حكم عبد الناصر بأنه كان «ديمقراطية فريدة في نوعها: ديمقراطية الموافقة».

كان ما قلته شيئاً آخر.

قلت، وما قلته منشور على الناس ومسجل علي ومحفوظ، اننا قد نستطيع القول بأن هناك نوعين من الديمقراطية. . . «ديمقراطية بالموافقة» و «ديمقراطية بالمشاركة».

وقلت أنه يشترط «للديمقراطية بالموافقة» أن يكون موضوعها تحقيق أهداف وطنية أجمعت عليها الشعوب المعنية حتى أصبحت هذه الاهداف من رموز نضالها الغالية. وضربت لذلك مثلاً محدداً هو قرار تأميم قناة السويس، شارحاً أن ظروف قرار التأميم خصوصاً على المستوى الدولي لم تكن تسمح بطرحه علانية للمناقشة المفتوحة.

قلت أيضاً أن هذا النوع من «الديمقراطية بالموافقة» محصور ومحدود، وأن التوسع فيه محفوف بالضرر، بل محفوف بالخطر.

٣ ـ انني استطردت من ذلك إلى القول بأنه مهما يكن من أمر «فإن عصراً مثل هذه القرارات قد مضى في مصر، وأنه لم يعد هناك بديل لمصر الآن ـ كان ذلك في الستينات ـ غير التوجه نحو «الديمقراطية بالمشاركة» وليس «الديمقراطية بالموافقة».

لعلي اتجاوز وأقول أنه كان بين عناوين ذلك المقال الذي تعرضت فيه لموضوع الديمقراطية عنوان يقول بالنص:

«لا بد أن ننتقل من الديمقراطية بالموافقة إلى الديمقراطية بالمشاركة». .

وأظن ـ وأتمنى أن يراجع الدكتور عصفور النص وأن يراجع نفسه ـ ان هذا الذي قلته من وقتها يختلف تماماً مع ما نسبه إلي في مقاله في العدد الاخير من «الشعب». .

٤ ـ اني أتمنى لو وجد الصديق الكريم الدكتور عصفور فسحة وسط شواغله لكي يراجع بعض ما كتبت أيام عبد الناصر في الدفاع عن الديمقراطية. . وأظنني أستطيع توفير بعض الوقت عليه إذا أثبت هنا نص خطاب قدمته ـ ضمن ما قدمت ـ للمدعي الاشتراكي أيام حولت للتحقيق السياسي أمامه في صيف سنة ١٩٧٨ . . بين ما يشجعني على ذلك هو أن العبارة المختلف عليها الآن، واردة في صلبه في سياقها الصحيح. كان نص هذا الخطاب الذي وقع عليه المدعي الاشتراكي بامضائه اثباتاً لاستلامه وضمه إلى ملفات التحقيق كما يلي بالحرف:

السيد الوزير أنور حبيب المدعي الاشتراكي. .

بناء على طلب هيئتكم الموقرة أتشرف بأن أرفق مع هذا الخطاب ملفاً يحوي نسخاً لبعض المقالات التي تناولت فيها موضوع الديمقراطية وما يتصل بها من قضايا. .

وربما سمحت لنفسي أن أقول أن «الاهرام» على عهد رئاستي لتحريره كان واحداً من أصلب قلاع الدفاع عن الحرية، ولم يكن ذلك جهدي وحدي، ولكنه كان جهد آخرين شاركوا معي وتحملوا الكثير من الصعاب. . ولا بد لي أن أضيف ـ أمانة وصدقاً ـ أن الرئيس جمال عبد الناصر بحسه التاريخي المرهف لم يعترض حقنا جميعاً في تحمل مسئولية القلم رغم اننا خالفناه في عديد من الأمور. . وفي مجموعة المقالات المرفقة فانكم سوف تجدون «مواقف» ثابتة ومستمرة بقدر ما هي واضحة ومحددة ـ ومن ذلك مثلاً:

ـ انه لا سبيل للبناء ولا للتحرير غير الديمقراطية. والديمقراطية لا تتحقق إلا في مجتمع مفتوح. .

ـ ان الدولة الديمقراطية لا بد أن تكون بالضرورة دولة مؤسسات قادرة على الحركة الذاتية بارادة الجماهير وليس باشارة من أعلى. وأن سيادة القانون يجب أن تتأكد فوق مراكز القوى وأعلى من ارادات الافراد. .

ـ ان الانسان المصري يجب أن يتحرر من الخوف، ويجب أن يرفض منطق

العقوبات الشخصية، وأن لا تكون هناك عقوبة إلا بقانون، وانه لا بد من وضع نهاية لاجراءات الفصل والاعتقال والحراسة، وان كل مواطن لا بد له أن يجد غطاء يحمي رزقه في وقت سيطرة الملكية العامة.

ـ ان بعض المؤسسات لها أهمية خاصة وحساسة، ولا بد لها من ضمانات كاملة، وبين هذه المؤسسات الجامعات والقضاء والصحافة . .

ـ ان المناقشة لا يمكن أن تزدهر في ظلال الخوف حتى ولو كان من الخوف نفسه، ولا بد لنا أن نرفض المشيئة المطلقة لأي فرد . . وحرية المناقشة لا تتأتى بالحديث عن مشاكل الاسكان والمواصلات وما إلى ذلك وإنما حرية المناقشة لا يمكن أن يكون لها محك إلا القدرة على مناقشة القرار السياسي، ومن الذي يحكم ولصالح من يحكم، وما هو اسلوب الحكم ودستوره وقانونه وضوابطه وضماناته إلى آخره وان المناقشة في السياسة هي صميم الديمقراطية، وأما المناقشة في المشاكل فهي مسألة فرعية . .

ـ تفرقة بين الالزام والالتزام، وتحذير من مخاطر اخفاء الحقائق عن طريق إثارة الحماسة والانفعال وتحويل الشعارات إلى حبوب للبلع السريع، وأن حرية المناقشة ليست مجرد تنفيس وإنما هي قدرة على المشاركة في صنع القرار السياسي.

ـ نقد لتجربة الاتحاد الاشتراكي مع ايمان بصيغة التحالف والحاح على أن مهمة التنظيم الشعبي هي أن يستولى على السلطة بقوة الجماهير وعملها الديمقراطي وان الخطر يجيء حين تقع التنظيمات في الخلط، فإذا هي بدل أن تستولي بالجماهير على السلطة تستولي بالسلطة على الجماهير . .

ـ وان الاتحاد الاشتراكي يحاول أن يكون حكومة فوق الحكومة أو حكومة إلى جانب الحكومة، وهذا يصنع ازدواجية في السلطة . وان الاتحاد الاشتراكي اغرق نفسه في متاهات فكرية تعبر عن اشخاص ولا تعبر عن فكر جماعي . .

ـ وأن التنظيم السياسي يتعرض لمخاطر شديدة عندما يولد في أحضان سلطة الدولة ويتصور تلقائياً وفورياً أنه المعبر عن كل جماهير الشعب وبالتالي فهو قائدها بغير منازع، ومن هنا فهو يقع في خطأ لا يقل خطورة عن خطأ الحق الالهي عند الملوك . .

ـ ادانة لعمليات الارهاب الفكري، وأن الذين يمارسونه ليسوا أصحاب عقائد مهما ادعوا، وان تاريخ مصر لم يبدأ بثورة ٢٣ يوليو، وأعظم قيمة في ثورة ٢٣ يوليو

انها حلقة في سلسلة ممتدة، وان الوطنية المصرية هي تاريخ هذا الشعب كله، ولا يحتاج فيها إلى معلمين جدد. .

ـ ضرورة الانتقال من ديمقراطية بالموافقة إلى ديمقراطية بالمشاركة، ورفض أي منطق يعتبر أن خروج جماهير ٩ و ١٠ يونيو تفويض مطلق لجمال عبد الناصر وإنما هو تفويض للتغيير، ولم تخرج الجماهير لتقول له ابق وليبق كل شيء كما كان. . وإنما خرجت لتقول له أبداً في التغيير ونحن معك ـ ثم الحاح بعد ذلك بأن التغيير المنشود لم يقع في جوانب كان لا بد فيها من التغيير ـ ثم تحذير من خطر الاعتماد على الفرد ومن أن الخطر يجيء حين يصمت كثيرون عن الكلام في الوقت المناسب.

ـ تعقب دائم لنشأة مراكز القوى، وشرح لكيفية ظهورها، والظروف التي تسمح بذلك. .

ـ تحذير متواصل من مخاطر طول البقاء في السلطة، وما يحدث من ترهل في المقاييس، وبالذات في مقاييس العفة السياسية والانفتاح على الجديد، ومخاطر الاستعاضة بالاوامر عن العمل السياسي، ومحظور القطيعة مع المثقفين، والدعوة إلى انشاء مجالس علمية متخصصة تساعد القرار وتساعد الحوار حوله. .

تلك مجرد اشارات سريعة لما حوته هذه المجموعة من المقالات التي يضمها الملف المرفق والتي تتكون من أربعة عشر مقالاً. .

بقي أن أضيف ـ للامانة والصدق أيضاً ـ ان نقد هذه التجاوزات وغيرها في التجربة المصرية كما حدث في الصدام الذي وقع بين «الاهرام» على عهد رئاستي لتحريره وبين جهاز المخابرات، وهو الصدام الذي انعكس فيما كتبت تحت شعار «زوار الفجر» أو في حادثة تعرض الدكتور عبد المنعم الشرقاوي أثناء اعتقاله لما لم يكن ينبغي أن يتعرض له، هذا إلى جانب ما كتبه زملاء لي في «الاهرام» أبرزهم الاستاذ توفيق الحكيم الذي نشرت له قصة «بنك القلق»، والاستاذ نجيب محفوظ الذي نشرت له العديد من اعماله التي تعرضت بالنقد الشديد لبعض تجاوزات التجربة ـ كل ذلك لا يستطيع أن يطغى على المنجزات العظيمة للتجربة الناصرية التي كانت وسوف تظل علامة ضخمة وبارزة في سجل حركة التحرر الوطني حتى انها لتعتبر ثورة العالم الثالث بمقدار ما أن الثورة الفرنسية كانت ثورة الغرب وبمقدار

ما أن الثورة الروسية كانت ثورة الشرق. . فضلاً عن أنه ليست هناك تجربة تحول عميق وواسع بعمق واتساع الثورة المصرية خلت من تجاوزات سلطة، ونماذج التاريخ البعيد والقريب شهود. . ذلك ان التحولات الكبرى خصوصاً في المجال الاجتماعي لا يمكن أن تخلو بالضرورة من عنف. . ومما يشرفني أنه مع رؤيتي للابعاد التاريخية الضخمة لحركة التحولات الاجتماعية ـ فإني كنت واحداً من الذين رفعوا صوتهم مبكراً بالتحذير من تجاوزات السلطة ولم ينتظروا الموت حتى يحرر السنتهم وأقلامهم. .

وتفضلوا بقبول صادق الشكر وموفور الاحترام

وبعد. . فلقد قلت ـ بعد صمت طويل في مصر ـ كلمة. . قلتها داعياً إلى الله أن تصل. .

قلتها، مستأذناً بعد قولها أن أعود إلى الحكمة المأثورة القديمة: «قل كلمتك وامشِ». . .

محمد حسنين هيكل

«افهم ما دار قبل الثورة وخلالها . . أما الآن فلا أفهم الوضع القائم»

قد تتفق مع محمد حسنين هيكل أو تختلف معه وقد تؤيده أو تعارضه، ولكن أحداً لا يملك أن يتجاهله أو يستطيع هذا الترف . . إلا حكومة حزب الوسط وجرائدها .

وهيكل مقالاته وكتبه تنتشر بطول هذا العالم وعرضه، وتقرأ بأكبر قدر من الشغف والاهتمام . . وهي تدخل «خلسة» وبكثرة إلى بلده مصر ويسلك كثيرون طرقاً غير مألوفة في الحصول عليها! . .

وهذا وضع شاذ قررت «الأهالي» أن تخاطر بتصحيحه، ولهذا وجهت إليه الدعوة لكي يشارك في الحوار معنا وقبل «أن نتقاسم المخاطرة» أجاب:

● جريدة الأهالي - ١٢/ ٤/ ١٩٧٨

● **لماذا لا تكتب في مصر في ظل الحرية والديموقراطية وسيادة القانون؟**

■ لم يبلغني أحد رسمياً أنني ممنوع من الكتابة ولكن تركت لي حرية أن أفهم بما لا يقبل الشك أنني ممنوع من الكتابة.

وقد كانت لي دائماً ثلاث صفات أولها رئيس مجلس إدارة الأهرام، ويشهد مبنى الأهرام عليَّ وما أمكن انجازه بهذه الصفة، ثم رئيس تحرير جريدة الأهرام وتشهد عليه المكانة التي وصلت إليها الأهرام مصرياً وعربياً وعالمياً والصفة الثالثة كاتب مقال أسبوعي وأظن أن هذه الصفة التي وجه إليها قرار إبعادي عن الأهرام.

ولم يكن إبعادي عن الأهرام لأنني كنت كما يقول البعض ضمن مراكز القوى. فمواقف الكل معروفة والأسباب التي اختلفت من أجلها مسجلة على الورق ومراكز القوى خرجت سنة ١٩٧١ وبقيت أنا حتى بعد حرب اكتوبر وحتى سنة ١٩٧٤ - ثم أنه لا يتفق أن أكون من مراكز القوى ثم يعرض عليَّ في نفس يوم خروجي من الأهرام منصب مستشار رئيس الجمهورية ثم يعرض عليَّ بعد عام كامل من خروجي منصب نائب رئيس الوزراء للإعلام في وزارة السيد ممدوح سالم الأولى وفي كل عرض يكون موقفي موقف الشاكر المقدر. . . والمعتذر في نفس الوقت.

أقول ذلك لكي لا يختلف أحد في أن المشكلة كانت مقالات وليس أي شيء آخر.

وعلى أي حال فإن خروجي في الوقت الذي خرجت منه لم يكن شيئاً سيئاً وربما العكس وهذا أمر يطول شرحه. وقد عرضت عليَّ مناصب عديدة منها منصب نائب رئيس الوزراء؛ ولكنني اعتذرت وتمسكت بصفتي الصحفية

وتمسكت أيضاً بصفتي «المصرية» وبقيت هنا ولم أحترف أي عمل صحفي خارج مصر وأنا أكتب ولا أتنازل عن حقي في إبداء رأيي في القضايا القومية والدولية؛ وأنا أجد خارج مصر مجموعة من الصحف العربية تنشر ما أكتبه؛ وتعنى بها العناية الكافية؛ وهذه لا تصل إلى مصر لأنها تصارد بانتظام وهي قد تصل بطريقة أو أخرى ولكن ليس عن الطريق المشروع . .

واعتماداً على المنع والمصادرة، توجه لي هنا وأنا في حالة الحصار؛ حملات محمومة يستباح فيها كل شيء ويعرف أصحابها مقدماً إنني لا أملك حق الرد ولا أستطيعه هنا؛ ولهذا أسكت وإن كان لا بد أن أعترف أنني لا أجد في هذه الحملات ما يحفزني على الإصرار على الرد . .

● **أنت كاتب مخضرم، عشت ثلاث عصور مختلفة العصر الملكي والعصر الثوري والعصر الحالي . . وكنت شاهداً بارزاً عليها جميعاً فما هي الفروق؟**

■ في العصر الأول كانت القضايا واضحة تستطيع أن تحدد موقفك منها ولا بد أن تفعل كانت هناك قضية وطنية هي الاحتلال والاستعمار وما يتفرع عنه . . من قواعد وأحلاف. وهناك قضية اجتماعية هي الفقر والاستغلال والتخلف . . وهما يواجهانك في كل لحظة وفي كل ركن لا بد أن تحدد موقفك . .

في العصر الأول كانت القضايا أيضاً واضحة . . كانت هناك إرادة تحقيق الاستقلال الوطني. وتأكيد الانتماء العربي . . ثم التغيير الاجتماعي في صالح الأغلبية . . ولا بد أن تتخذ موقفاً أما الآن فإنني بصراحة لا أفهم . . تختلط القضايا والحقائق بحيث لم أعد أفهم.

وأنا شخصياً عاجز حتى الآن عن تحديد الهوية الاجتماعية للوضع القائم كنت أستطيع أن أحدد الوضع القائم قبل الثورة والوضع القائم خلال الثورة. ولكني لا أستطيع أن أفهم الوضع القائم الآن . . ربما كان هذا اختراعاً جديداً لا أعرفه.

● **هل نستطيع القول بأن الحكم كان باسم الفقراء وأنه الآن باسم الأغنياء؟**

■ أي نظام هو التزام اجتماعي باسم طبقات معينة ؛ ولم يغب عن عبد الناصر لحظة

واحدة سؤال كان يردده دائماً، من يمثل وباسم من يحكم. . وكانت إجابته تحدد كل شيء. .

وهذا هو السؤال الأساسي لكل نظام. . من يمثل. . ولصالح من يحكم. وأنا شخصياً لا أستطيع تحديد هوية الوضع القائم. . وإن كنت أستطيع أن أجزم أن الطبقة السائدة في مصر اليوم لا علاقة لها بالانتاج. في انجلترا حزب العمال يمثل العاملين وحزب المحافظين يمثل الرأسماليين. . حزب العمال يعتمد على النقابات وهي عموده الفقري وحزب المحافظين يعتمد على أصحاب المصانع ورأس المال وأنا لا أستطيع أن أكتشف من يمثل حزب الوسط. وأي التزام وانتماء يلتزم به. . إلا إذا كان يعبر عن الطبقات التي ظهرت نتيجة للانفتاح. . وأنا لا أعتبر هؤلاء طبقات وإنما فئات وجماعات خارج عملية الإنتاج وهم لا ينتمون إلا لمصالحهم. . وكقوة ضاغطة على الاستهلاك. . وكثيرون منهم يجمعون ثرواتهم في مصر ليودعوا معظمها في الخارج.

● **أنت الشاهد الأول ـ ككاتب ـ على عصر عبد الناصر. . فهل لك أن تحدد لنا، ما هو خط عبد الناصر وأفضل تعريف له.**

■ هناك خطة جمال عبد الناصر وهناك التراجعات التكتيكية التي اضطر إليها في ظل ظروف دقيقة. ثم هناك التحول عن خط عبد الناصر وهذه ثلاث حقائق لا بد من الفصل بينها كان خط عبد الناصر واضحاً في الداخل وفي الخارج ومصرياً وعربياً ودولياً. . ثم اجتماعياً. . ويبدأ خط عبد الناصر بتحرير الإرادة المصرية تحريراً كاملاً. وتأكيد هذا الاستقلال التام. . وذلك ليس عن طريق الانطواء ولكن بالحركة الدائمة بمواجهة العالم وانتزاع دور مؤثر في أحداثه ومساره. . وأفضل ما يتحقق به هو الانضمام إلى كل قوى التحرر والاستقلال والعمل الجماعي معاً. . كان هناك إيمان بأن الثورة المصرية جزء لا يتجزأ من ثورة التحرر الوطنية في العالم وأن حركة هذه الثورة. . تكون أفضل ما تكون في إطار مجموعة متضامنة متكاملة هي مجموعة عدم الانحياز. . أو المجموعة الآسيوية الافريقية.

كان هناك وعي عميق بأن العالم يخوض معركة تقف منها قوى التحرر الجديدة ضد قوى الاستعمار والسيطرة القديمة. . وأنه لا بد من العمل معاً خلال تجمعات اقليمية أو فكرية أو دولية. . خلال الجامعة العربية أو الجبهة الآسيوية الافريقية أو الأمم المتحدة. .

وكان خطعبد الناصر. . يقوم على إيمان أن هناك حقيقة قد لا تكون قائمة الآن ولكنها كامنة لا بد أن تؤكد ذاتها، وهي الأمة العربية ولديها كل المقومات التاريخية والجغرافية والحضارية والاقتصادية بين مصالح ولغة ودين وتراث الخ. . كان هناك إيمان أن الدول والشعوب العربية. تشكل في حقيقتها أمة واحدة عليها أن تكافح في ظل كل الظروف وضد محيط من عقبات وتناقضات لكي تحقق وحدتها أن تتغلب على آثار التجزئة والتقسيم وأن تسعى سعياً مضطرداً نحو هذه الوحدة.

وفي الداخل. . كان خطعبد الناصر هو التغيرات الاجتماعية الجذرية والعميقة والتي تهدف إلى تذويب الفروق بين الطبقات وأن تعنى قوى مصر الحقيقية وشعبها العامل ومحفزة نحو تنمية شاملة وتتدارك بهذا التخلف وتلحق بحضارة العصر الحديث تبني زراعة وصناعة عصرية. . تكون أساس الكيان الاجتماعي. . الانساني. . كان خطعبد الناصر يقوم أولاً على تحديد أهدافه ومن ثم يحدد أعداءه وأصدقاءه كان الاستعمار العدو الأساسي وكانت اسرائيل والصهيونية. صورة وشكل فريد لهذا الاستعمار المعادي. .

وكان الاستغلال هو الامتدادالداخلي للاستعمار. .

هذا هو خطعبد الناصر في مجمله ونتيجة لكارثة سنة ٦٧ ـ اضطر هذا الخطإلى بعض التراجعات التكتيكية. .

حدث هذا في مواجهة الغزو الاستعماري؛ وفي مواجهة قوى عربية معينة وذات فطرة اجتماعية مخالفة كان لا بد لخطعبد الناصر من عقد هدنة. . بعد مؤتمر الخرطوم. .

وعدنا إلى ما كنا نسميه وحدة الصف العربي. . بعد ما كنا تجاوزنا هذه المرحلة إلى مرحلة وحدة الهدف العربي اقتضت مرحلة ما بعد سنة ١٩٦٧ بعض

التراجعات ولكنها ظلت تكتيكية وفي هذا الإطار ولم يغب قط الهدف الاستراتيجي. .

ولكن التحول عن خط عبد الناصر شيء مختلف تماماً هو نقيض كل هذا. .

● كيف تفسر الحملة الشرسة الدائمة على عبد الناصر والتي لا تهدأ؟

■ عبد الناصر رحل عن هذه الدنيا بخيرها وشرها منذ ثمان سنوات تقريباً ولا يمكن أن يكون الهجوم عليه هجوماً شخصياً لأن الشخص غائب ولم يعد موجوداً بيننا؛ والهجوم إذن موجه إلى ما يمثله عبد الناصر مبادئه وأفكاره وسياساته. .

وأنا لا أعد الهجوم على عبد الناصر أحد الأخطاء السياسية الكبرى التي نرتكبها ولكنني أراه خطأ أخلاقياً لا في حق عبد الناصر فحسب ولكن في حق مصر وشعبها.

وكل ما تفعله الحملة ضد عبد الناصر وأقصى ما ترمي إليه هو أن تصور مصر في عهده وكأنها معسكر اعتقال نازي وأنها لم تكن شيئاً آخر سوى هذا المعتقل؛ هذا هو جوهر الاتهام مهما أخذ أشكالاً متعددة!

ولقد كنت أحد الذين انتقدوا تجاوزات السلطة والأجهزة أيام عبد الناصر؛ وأدعي أنني أول من استعمل تعبير «زوار الفجر» وأول من أثار قضية «سيادة القانون» «ودولة المؤسسات. . والمجتمع المفتوح» واستعملت هذه الاصطلاحات وناديت بها، وكان عبد الناصر موجوداً ويحكم ولم يعترض ولم يضيق صدره لحظة. .

ومن الصحيح أنه كانت هناك تجاوزات في عصر عبد الناصر ولم ينكرها أحد ولا يدافع عنها أحد؛ ولكن حينما تثار مشكلة هذه الأخطاء. . فلا بد وأن توضع في إطارها الحقيقي؛ ولا بد من نقدها ومن الحساب عنها ولكن بموضوعية ونزاهة وبتحقيق سليم لكل وقائعها.

وأشد ما يحزن ويقلق في الحملة على عبد الناصر؛ أنها تفاقمت ولم تعد تتعلق بشخصه أو بعصره بل أصبحت قضية كل الشعب.

لم يعد مجرد الافتراء على عبد الناصر وأن تنسب إليه جرائم وخطايا لم تحدث وإنما أصبحت قضية وجدان هذا الشعب وضميره . . وأقسى ما تفعله هذه الأكاذيب التي تنسج كل يوم هو أنها تشوه هذا الوجدان وتسمم ضمير الأمة . .

إما أن يصدق الشعب . . وسوف يرسب في أعماقه أنه شهد كل هذه الجرائم وقبلها وسكت عنها ولم يعرف بها . . وهذه محنة .

وإما أن لا يصدق الشعب ويتشكك في كل ما يروى وسوف تقوم فجوة عميقة ومخيفة من عدم الثقة ومن الشك في كل شيء . . وفي كل عصر . .

وتعيش الشعوب كما تعيش الأفراد بالثقة والإيمان . . ولكل شعب . . ولكل فرد أيضاً بديهيات ومسلمات ثابتة ويقين راسخ . . يكون أهم مصادر قوته ـ ومواجهته للحياة . . أنك مثلاً تنتمي إلى أسرة أو أنك تنتمي إلى حضارة وثقافة أو أنك حققت شيئاً في حياتك وستظل تحقق أشياء أفضل . .

الشعب . . يستمد قوته وصموده وقدرته من يقينه من أنه قد حقق أمجاداً في ماضيه القريب والبعيد وأنه سوف يظل يضيف إليها .

وفي يقين الشعب المصري وأعماقه تعيش عشرين سنة حافلة ومجيدة . .
في حرب السويس واجه ثلاث دول وانتصر عليها انتصاراً لا شك فيه حرك الشعب المصري بإرادته القوية العالمية والعربية . . وواجه بقواه العسكرية الغزو الثلاثي واستطاع أن يحقق انتصاراً وضع حداً ـ لعصر كامل من التاريخ هو عصر الاستعمار وباعتراف العالم كله . .

وفي يقينه أنه واجه ذلك بشجاعة . الشعب والجيش وقفا معاً . . فلماذا إذن نفقده هذا الشعور بالجد وتحقيق الذات . . ولماذا يقول: إن هذا لم يكن انتصاراً . .

وقبل هذا استقر في يقين الشعب المصري ووجدانه أنه أسقط النظام الملكي وأعلن الجمهورية أو أنه تحدى العالم وأمم قناة السويس وأدارها بنفسه ، وفي يقينه أنه بنى السد العالي وصمم على بنائه ولو «بالمقاطف» وبناه بأحدث تكنولوجيا . .
في يقين الشعب المصري أنه خاض تجارب كبيرة عظيمة ـ حقق بعضها ولم يحقق الأخرى ولكنه أثبت قدراته ومواهبه وأنه يستطيع خوض كل التجارب وأشدها مشقة

ولكن يأتي من يحطم كل هذا ويقول له أن السويس كانت هزيمة وأن السد العالي كان كارثة ـ وأنه كان مستعمرة سوفيتية وأن الصناعة كانت عبئاً . .

هذا لا يعني سوى أنك تجرد الشعب المصري من كل بطولاته.

لم يعد ممكناً لأحد أن يجرد عبد الناصر من دوره وبطولته في معركة السويس . . هذا أصبح حقيقة ثابتة من حقائق العصر.

ولم يعد ممكناً لأحد أن ينكر أن السد العالي ـ إنجاز من أعظم انجازات العلم والتكتيك الحديث ـ هذا ما يعترف به الجميع ـ ولكن هناك من يريد أن ينتزع من الشعب المصري ثقته ويقينه بقدرته دائماً على أعظم الانجازات.

إن الحملة على عبد الناصر مقصود بها الشعب . . إفقاده الثقة بنفسه وبتاريخه وإنجازه ولدفعه إلى الاحساس بالنقص وبالعجز واليأس لتفريغ الشعب المصري من أصلب مقوماته.

وأستطيع أن أدعي أن ما يحدث هو شيء لا مثيل له وليس له أي سابقة في التاريخ . . الذي نعرفه على الأقل . . وحتى ستالين حينما وقف خروشوف هاجمه انصب الهجوم على قضايا معينة وحدث هذا في جلسة سرية ووسط قيادات الحزب . هذا مع أن ما نسب إلى ستالين لم ينسب مثله قط إلى عبد الناصر وحينما عرف العالم بعدئذ؛ لم ينكر الاتحاد السوفيتي ولكن ليس هناك أحد يمكن أن ينكر أن ستالين هو الذي بنى الاتحاد السوفييتي ونظامه الجديد ولكن ما يحدث عندنا شيء غريب غير معقول؛ ولم يحدث مثله قط في أي مكان.

وهذه الحملة موجهة لضرب كل شيء إيجابي في الشعب المصري نفسه . . وأنا أذكر أن الحملة التي وجهت إلى الملك فاروق بعد سقوط النظام الملكي لم تكن أكثر من واحد من الألف . . من هذه الحملة على عبد الناصر وقد استمر الهجوم بعض الوقت وربما كان ضرورياً يومئذ لأن الثورة كانت اسقاطاً للنظام الملكي كله ولكن حين نعلن أن ثورة يوليو هي الثورة الأم وأننا استمرار لها فإنه يصبح غير معقول ولا معقول أن تشن الحملة وأن تصل إلى هذا المدى.

واني أذكر أنني بعد شهر واحد من ثورة يوليو كتبت مقالاً في آخر ساعة . طالبت

فيه أن نكف عن الحملة وأن نترك الماضي ونتطلع إلى المستقبل. . ونـاديت بهذا. .

وفيما يتعلق بالملك فاروق جرت تحقيقات وبحثت التجاوزات وتشكلت محكمة الغدر ومحكمة الثورة ولكن ضد عبد الناصر تلقى التهم جزافاً وبلا حدود وتظل معلقة وعالقة بضمير ووجدان هذا الشعب.

ولهذا فإنني أطالب بتحقيق نزيه محايد. . وفي كل القضايا التي نريد أن نحاسب عليها جمال عبد الناصر. . ولأنني لا أستطيع أن أطمئن إلى تحقيق يجري في مصر في هذا المناخ.

فإنني أطلب مثلاً بتحقيق تجربة «منظمة العفو الدولية» أو أي لجنة تحقيق عربية أو دولية وليشرف عليها مثلاً اتحاد المحامين العرب ولا يمكن أن يقبل استمرار هذه الحملة أو أن يسكت عنها.

إنني أثق تماماً أن خط جمال عبد الناصر مهما كانت التجاوزات التي حدثت كان في صالح أغلبية الشعب وتعبيراً عنها وهو لم يتحقق في غيابها ولكن كانت طرفاً فيه وإذا كانت هناك تجاوزات فلتحقق فيها ولتكشف كل الحقيقة.

ولتأخذ قضية المعتقلات مثلاً. وأنا أذكر أن وزير الداخلية المصري وقف من عامين وقال أن مصر كان فيها ١٢ أو ١٤ ألف معتقل. . ولكن هذا حدث خلال عشرين عاماً طويلة اعتقل هذا العدد. . وبين هؤلاء من تكرر اعتقاله ومنهم من اعتقل لمدة يوم واحد ومنهم من قضى أربع أو خمس سنوات أو أكثر في الاعتقال وأنا لا أدافع عن هذا: أي مصري يعتقل هو بالنسبة لي قضية حرية ولكن لا بد من وضع الأمور في إطارها الحقيقي أي الإطار السياسي؛ ولا بد من مقارنتها بما حدث في بلاد أو تجارب أخرى قريبة أو بعيدة لا بد أن نحاسب على هذا؛ ولكن نحاسب المسئول ونحافظ على ما هو صحيح. . وجوهر الخط الناصري أن نفصل بين الأخطاء وبين التجربة، أن تحافظ على الفكر والتيار وأنا لست مؤرخ العصر الناصري ولكني أحد شهوده. وقد كتبت في هذا كتاباً باسم «لمصر لا لعبد الناصر» وتسربت بعض النسخ منه إلى مصر وقلت إن ما يحدث في مصر شيء مخيف

وعجيب ولا ينظر له ـ أن تسخر صحف وأجهزة اعلام ودعاية دولة بكاملها للحملة على عبد الناصر وفي ظل نظام يقول ويعلن أنه استمرار لثورة يوليو. . !!

إنني أحد الذين ساهموا في صنع ١٤ مايو؛ ولكنني لا أعتقد أن ١٤ مايو ثورة وأعتقد أنها كانت حركة تصحيح ضرورية وقد كتبت وقلت أنه لا يمكن اعتبار أن إسقاط بيريا في الاتحاد السوفييتي ثورة جديدة ولا يمكن اعتبار أن إسقاط رانكوفيتش في يوغوسلافيا ثورة. هذه عمليات تصحيح مما تقوم به دول النظام الواحد. أن تسقط عناصر تجاوزت وأخطأت ولكن لا تعد هذه ثورة. .

و١٤ مايو هي استمرار لثورة ٢٣ يوليو وليست ثورة جديدة عليها ولهذا لا بد أن نسأل لماذا نلقي التهم ولماذا نجد هناك من يريد أن يهدم كل شيء.

ولنأخذ أيضاً موضوع الحراسات وكنت أنا أحد الذين وقفوا في موضوع الحراسات هذا وأستطيع أن أستشهد بمئات من الناس وعشرات من الحالات ومنهم فؤاد سراج الدين وغيره. كانت الغالبية العظمى من حالات الحراسة. . توقع على أجانب يهود أكثرهم في إسرائيل الآن. . وكلهم كانوا يهود بلا جنسيات. ايطاليين اسبان وفرنسيين وانجليز الأصل وفرضت عليهم الحراسة. . لأسباب سياسية وحقيقية. . وللأسف بعضهم يرجع الآن إلى مصر ويسترد مصالحه كاملة.

وقد طبقت الحراسة على بعض المصريين لأسباب اجتماعية وهذه مسألة يمكن أن يثور الجدل فيها. . وقد نتفق أو نختلف عليها. وحصل تجاوز في بعض الحالات وأثرت أنا هذا الأمر وبذلت ما استطعت. ولكنني هنا أيضاً أستطيع أن أؤكد أن ما حدث من تجاوز لم يكن يزيد عن نسبة ضئيلة جداً جداً.

وأنا أطالب بالتحقيق وأن يشمل كل حالات وقوائم الحراسة وأن تنشر نتيجة التحقيق كاملة.

ولعل أغرب ما في هذه الأحداث أن أكبر تجاوز قامت به أجهزة القمع كان ضد الشيوعيين، ومع هذا نسوا ما حدث؛ لأن القضية أصبحت أكبر بكثير من قضية فرد أو جماعة ولكن هذا البلد ومستقبله. .

ولنأخذ مسألة السيادة والاستقلال الوطني حتى هذه أيضاً: وهي كانت كل

رسالة حياة عبد الناصر وكفاحه، اتهم فيها، وأنه أقام ستارا حديديا على مصر؛ وأغلقها وحجبها عن العالم ثم سلمها للسوفييت لتصبح مستعمرة خالصة لهم.. أليس هذا أقصى ما يصل إليه العبث..

كانت مصر تقيد السفر إلى الخارج ـ نعم..

وكانت تبالغ أحياناً في تقييده نعم، ولكن هل يعني هذا أنها أسدلت ستاراً حديدياً على نفسها أو أنها قد بيعت إلى الاتحاد السوفيتي.

إنني أستطيع أن أدعي أن مصر لم تنفتح على العالم.. كل العالم. مثلما فعلت في عصر عبد الناصر.. ألم نرسل أفواجاً وأفواجاً من البعثات إلى كل بلاد العالم شرقاً وغرباً.. لكي نتفتح على أفضل ما لدى الاثنين.. وأنا أذكر ذات يوم أن مصر اختلفت مع الاتحاد السوفيتي سنة ١٩٥٨ حول الطريقة التي عاملوا بها بعثاتنا.. وفي اليوم التالي مباشرة كان ٢٥٠ من أعضاء البعثات التي تدرس في الاتحاد السوفيتي قد حولوا إلى الجامعات الأمريكية.. وكيف يمكن أن يكون هذا انغلاقاً أو سيطرة وراء ستار حديدي..

وكيف يمكن أن يكون مصر قد تحولت إلى مستعمرة سوفيتية إذا كان ممكناً استدعاء السفير السوفيتي لنطلب منه أن يرحل كل مستشاريه وخبرائه، في ظرف عدة أيام.. وينفذ على الفور.. أي نوع من الاستعمار هذا.. إنني أذكر أن مصر هي التي كانت تلح وتلح حتى يبعثوا لنا بهؤلاء. وأنهم كانوا يترددون ألف مرة ومرة قبل أن يقرروا المجيء.

وأنهم كانوا يستعجلون دائماً أداء مهماتهم لكي يعودوا.. فكيف تسمى هذه سيطرة وتبعية..

وإذا كان هناك ما حققه عبد الناصر فهو أنه قد أخرج مصر من العزلة ومن الحصار الذي فرضه عليها الاستعمار.

إن قضية الانفتاح تثار اليوم ويقال إنها ضد الانغلاق الذي ساد في عصر عبد الناصر.. وهذه ليست أكثر من نكتة..

ولنأخذ أعظم رمز لعصر عبد الناصر أو واحد من أعظم الرموز وهو السد العالي

لقد اشتركت في إنجازه أحدث خبرة وتكنولوجيا في الشرق وفي الغرب أيضاً. . وهذه القاعدة الصناعية العريضة الممتدة بكل طول مصر وعرضها. اشتركت في إنجازها مؤسسات وشركات من كل أنحاء العالم. . من الشرق ومن الغرب صناعة الأدوية. . صناعة السيارات الكشف عن البترول. . صناعة الأسمدة. . اشتركت فيها شركات أمريكية وألمانية غربية وإيطالية وفرنسية وبريطانية. . وذلك في نفس الوقت الذي كانت تعمل فيه مؤسسات سوفيتية أو تشيكية أو هندية ويابانية. . كيف يسمى هذا انغلاق تفتح بسببه مصر لكل السماسرة والمغاربة. لأن الحملة ضد جمال عبد الناصر حملة متعمدة مقصودة هدفها الأول هو الشعب المصري أولاً وأخيراً.

ولا يدري ما يصدقه أو لا يصدقه. . وقد يرفض كل شيء ويسوده الاشمئزاز العام. . ويقف مهلهلاً بلا تاريخ ولا تراث ولا امجاد. .

ونسأل ونلح في السؤال لمصلحة من يتم هذا. .

● هل الانحسار الحالي مؤقت أم خروج من التاريخ ومن خريطة العالم؟

■ التاريخ بالنسبة لنا لا يقف ليس هناك نهاية لتاريخ شعب. خاصة شعب عريق مثلنا. . ربما يكون في حالة ركود أو في أزمة عصيبة ولكن لها أسبابها ولها علاجها. . وما نعانيه هو مجموعة فرص ضائعة وآمال خائبة كنا نحن سبب الضياع والخيبة. . ولكن عناصر الثورة لا زالت حية وقائمة في سنة ١٩٥٢ كان عدد العمال الصناعيين عندنا لا يتجاوز ١٢٠ ألف عامل أما الآن فهناك ثلاثة ملايين عامل على الأقل؛ وفي سنة ١٩٥٢ كان عندنا ٤٠ ألف طالب وطالبة في الجامعة ولكن لدينا الآن ٦٥٠ ألف شاب وفتاة في جامعات وكليات منتشرة في أرجاء مصر؛ وهناك نمو لا يقف في الوعي الوطني والاجتماعي وبين كل الطبقات والفئات الشعبية.

وحتى الرأسمالية الوطنية استيقظ وعيها وبدأ أصحاب المصالح والمصانع المصرية يدركون أن الانفتاح يجرفهم ويغرقهم. . هناك قوى تولد وتنمو كل يوم في مصر. . وهي لا بد تشق طريقها. . ونحن نعيش في عالم يتغير ويتطور كل يوم. . عصر التغيرات والتطورات المتلاحقة، ولو وقف التاريخ لحظة عندنا، فهو في

حركة مضطربة حولنا؛ ولا نستطيع أن نغلق دونه أبوابنا. . سوف ينفذ الينا ويشدنا ويؤثر فينا. .

● **ما هو الخلاف أو الاختلاف بينك وبين اليسار:**

■ الناصرية يسار وحركة مضطردة نحو اليسار. .

وحينما نتكلم عن خلافات اليسار فإنني أعتقد أننا نعني رواسب مراحل وتجارب ماضية. . اليسار في رأيي مبدأ من الوطنية ولم تعد هناك وطنية مجردة. . الوطنية الآن وخاصة في البلاد المتحررة لا بد وأن تكون ذات محتوى اجتماعي؛ الوطنية هي وطنية الأغلبية لهذا لا بد وأن تكون ديموقراطية لا بد وأن تكون ديموقراطية اجتماعية.

الوطنية والوطن لمن؟ للجماهير الشعبية العريضة؛ ولهذا فهي بالطبع تتجه إلى اليسار.

وحينما نتكلم عن اختلافات اليسار فإنما نتكلم عن رواسب باقية لم تذب لأنه لم يقم حوار كاف بين كل الأطراف وهذا كل ما في الأمر.

ولنتصور مثلاً ما هي الخلافات التي يمكن أن تكون بين الناصريين وبين اليسار التقليدي في مصر. أنا لا أشك أنه لو جلس الطرفان وأزالا العقد القديمة وتخلصا من عدد من المصطلحات والقوالب اللفظية فسوف يجدان كل الخلافات ليست أكثر من رواسب ربما يبقى هناك خلاف حول قضية المنهج والدين. وقضايا مثل ديكتاتورية البروليتاريا ولكن حتى هذه تطورت وتغيرت. .

إن اليسار التقليدي في تغير وتطور مستمر ولم يعد هو اليسار ذو الاتجاه الواحد والتنظيم الشامل الصارم وأصبح هناك يسار صيني ويسار يوغسلافي وهناك يسار جورج مارشيه في فرنسا ويسار فرانسوا ميتران، وبرنامج اليسار الموحد وهناك يسار برلينجوير في إيطاليا. . واليسار الاشتراكي وحتى اليسار الديموقراطي المسيحي.

وحينما كنت أراجع برنامج اليسار الموحد في فرنسا وجدت أشياء كثيرة أخذنا بها وطبقناها في التجربة الناصرية قبلهم. . مثل المشاركة العمالية في الادارة والأرباح.

وقد أسهمت تجربة عبد الناصر وأضافت إضافة فكرية وتطبيقية أصيلة ربما لم تصل إلى حد النظرية الكاملة ولكنها أضافت للفكر والتطبيق اليساري إضافة تاريخية. وكل التجاوزات لا تقلل في شيء من قيمة الاسهام. .

المسألة الأساسية الآن هي
من نحن؟ وماذا نريد؟ وأين مصلحة مصر؟

في الوقت الذي كنا نفكر فيه في المصور في اجراء حوار شامل مع محمد حسنين هيكل، كان اختيار الرجل واضحاً، أن يكون لقاؤه الأول. مع القارىء المصري. . بعد غيبة تصل إلى ثماني سنوات على صفحات المصور أيضاً. فرغم أنه رفض الادلاء بأحاديث صحفية. ولزم الصمت التام إزاء الصحافة المصرية. إلا أنه جاء بنفسه إلى قاعة الاجتماعات الكبرى في دار الهلال. وعلى مدى ٤ ساعات متواصلة. من ليلة شتوية. نزلت فيها الأمطار لأول مرة هذا العام. بددت حرارة حديثه برد هذه الليلة وأحال الحوار الساخن الصقيع إلى توهج وحضور نادر.

كان من المفروض أن يحضر اللقاء عدد محدود من محرري المصور. ولكن عدداً ضخماً من شباب الصحفيين الذين يعملون تحت التمرين في المصور. ومن المحررين في مجلات أخرى. بل والعاملين أصروا على أن يحضروا هذا اللقاء الفريد.

وقد رحب هيكل بحضور الكل. .

ورغم أن إجراء حوار مع صحفي كبير مثل محمد حسنين هيكل. يبدو مسألة صعبة. ورغم سيل الأسئلة المقدمة. والتي تعدت الخمسين سؤالاً. إلا أنه رد على كل التساؤلات.

وكانت نتائج الحوار مفاجأة حتى لمن شاركوا فيه. فهي المرة الأولى - ربما - التي يتكلم فيها هيكل. في السنوات الثماني الماضية. بكل هذا القدر من الليبرالية. والرغبة في الالتقاء. في منتصف الطريق. مع وجهة النظر الأخرى.

ومن المؤكد. فإنه مهما كانت درجة الخلاف. فإن كافة الأطراف المختلفة يمكنها أن تجد مساحة من الاتفاق تقف عليها في مواجهة هذه الخلافات لو أرادت ذلك. ولقد كان محمد حسنين هيكل واضحاً ومحدداً في ذلك عندما قال بصورة قاطعة: إن الوضع الراهن في مصر يتطلب من كل مصري، أن يحدد موقفه وبوضوح تام.

● ندوة عقدتها مجلة المصور في ٤ / ١٢ / ٨١

الرجل خارج من السجن. ٩٦ ساعة فقط تفصله عن ٩٠ يوما قضاها هناك ومع هذا، فقد عبر تراكمات المرارة في نفسه. وارتفع فوق كل الجزئيات.. ووصل إلى الموقف الذي يقول فيه: مصر أولاً. ومصر قبل كل شيء آخر.. ومن أجل هذا الموقف كان هذا الحوار، الذي لولا الصفحة الجديدة في عمر مصر. لكان حواراً مستحيلاً.

● رئيس تحرير المصور: يشرفني أني أقول أنه عندما دخلت إلى الأهـرام محرراً للحوادث كان الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيساً لتحرير الأهرام فقد عملت معه ٢٤ عاماً وأعتقد أنني من الذين أتيحت لهم فرصة معرفتـه عن قرب، لقد تعلمنا منه الكثير وعندما جاء الأستاذ هيكل إلى الأهرام استطاع بالفعل أن ينشىء مدرسة صحفية جديدة في مصر والمدرسة كانت تجمع بين الرصانة والالتزام وفي نفس الوقت الجدة والحداثة.

في هذه القاعة حضر للحوار معنا المهندس ابراهيم شكري رئيس حزب العمل كما شهدت حواراً ثانياً مع قيادات حزب التجمع والمصور سعيد بأن يأخذ هذا الدور واليوم يحضر لنا الأستاذ محمد حسنين هيكل بحوار مفتوح من جانبه لا قيد فيه على أي سؤال وهو على استعـدادا للإجابـة عن كافـة الأسئلة.

ومن جانبنا سنكون ملتزمين بأمانة النشر ونرجو أن يكون الحوار مثمراً ونشكر للأستاذ هيكل استجابته.

■ الأستاذ هيكل: أنا مش حعرف أرد على الأستاذ مكرم أنا بقى لي قبل كده ٩٠ يوم في الزنزانة، أخشى أن أكون قد فقدت عادة الحوار مع الناس المتحضرين. كان قدامي ناس طيبـون، لطـاف، ظراف، لكن مكانـوش بيتكلمـوا في الثقافـة والسياسة من أول الشاويش عبد التواب للشاويش عبد الجبار لكن في التسعين يوم فقدت عادة الاتصال وفقدت عادة القراءة، لكن أنا بالفعل باعتبر أن مجيئي هنا ويمكن بشكل ما أن يكون كلمة ضرورية لي في الصحافة المصرية وبعدها أنا لست طرفاً في لعبة الصحافة المصرية وأنا جيت هنا سعيداً جداً بدار الهلال وفيها مكرم

محمد أحمد وفيها هذه المجموعة من الشباب وجاي أقول كلمة وبعدها لست طرفاً في لعبة الصحافة المصرية وتحت أمركم.

● **المصور: قلت بعد الافراج عنك أنك ستؤيد الرئيس مبارك بكل قواك. أين الجانب الموضوعي في هذا الموقف وأين الجانب الشخصي وكيف سيكون تأييدك للرئيس مبارك.. كيف ستمارس هذا التأييد؟**

■ الأستاذ هيكل: نبتدي بالجانب الشخصي والجانب الموضوعي لازم نشوف الصورة السياسية قبل مجيء الرئيس حسني مبارك كان شكلها ايه.. أنا بادعي أن احنا في هذا الخريف ـ وده عنوان مجموعة من المقالات أحاول أكتبها دلوقتي أنا أقدر أسمي الخريف اللي فات أنه كان «خريف الغضب في مصر» لو بصينا للخريطة السياسية والاجتماعية في مصر نلاقي ان كان فيه أربعة أطراف: كان فيه نظام بدا أنه يتصرف بغضب وكان فيه جماعات اسلامية بدا انها تتصرف بغضب وعنف، وكان فيه إحساس أو شعور قبطي بدا انه يتصرف أيضاً بغضب وكان فيه رأي عام بشكل ما أو بسبب المشاكل الاجتماعية والاقتصادية بدا أيضاً أنه غير مستريح وبالتالي دخلنا هذا الخريف فعلاً خريف غضب، وبالفعل كل التيارات تجمعت وإذا بنا أمام انفجار وأمام عاصفة ولحظة البرق الصاعق جاءت على المنصة في يوم ٦ أكتوبر البلد كان فيها ما بدا أنه موجات غضب وقلق ثم تصادمت هذه الموجات، ماذا فعلت؟ أولاً كشفت القشرة اللي كانت موجودة على السطح وعرت مشاكلنا الحقيقية، طرحتها في الساحة وبدا أن هناك مشكلة عنف وبدا أن هناك مشكلة طائفية وبدا أن هذه المشكلة الطائفية أو مشكلة الارهاب هي في الواقع وجه آخر لمشكلة أكبر وأعوص وهي الوضع الاقتصادي والاجتماعي في البلد وبدا أيضاً أن فيه أزمة معارضة وأزمة ديمقراطية.

تكشفت أشياء كثيرة في ضوء اللحظة الصاعقة اللي كلكم شفتوها. أنا مشفتهاش لكن على المنصة ظهرت صورة للحقيقة في مصر. محدش في الدنيا يقول إن الارهاب ظاهرة منعزلة أنا لا أتصور هذا.. الارهاب يحدث باستمرار ـ مع الأسف الشديد ـ عندما يتهيأ مناخ العنف.. لما تلاقي مثلاً عشرين واحد

مشتركين في عملية الاغتيال ولما تلاقى فيه جماعات تسلح نفسها إلى هذه الدرجة. . حدث هذا في إطار أطلق عليه اسم الفتنة الطائفية ولكن الواقع كان أشد خطراً من ذلك، والحقائق قد أكدت أن الوضع في مصر ليس كما كان يبدو لنا أو على الأقل كما يبدو على الواجهة.

عندما يجيء رجل جديد لتحمل المسئولية، دفعته الظروف للمسئولية ويقول فلنفتح صفحة جديدة من تاريخ مصر وعندما يقول لكل القوى فلنتعاون من جديد وعندما يقول لكل القوى أنه على استعداد لقبول المشاركة والرأي الآخر - في تقديري أنا - كيف يستطيع أي مواطن مصري يحترم نفسه ويحرص على بلده أن يحجب عنه هذه الفرصة أو يحجب عنه هذه الثقة أو يحجب عنه هذا التعاون.

تسألون عن الجزء الذاتي والجزء الموضوعي في موقفي من الرئيس الجديد أنا أقول أنني سوف أعزل نفسي ذاتياً تماماً عن هذا الموضوع الذي كان موضوع مناقشة في السجن. تقدر تتصور أن في - أول أسبوع - لم يسمح لنا بالخروج من الزنزانة. معلش أنا حطول لكن يمكن أنا بغطي بهذه الإجابة أسئلة كثيرة قوي. . أول يومين رحنا حاجة اسمها سجن الاستقبال وأنا في سجن الاستقبال لقيت نفسي مع بعض الجماعات الدينية جنب ناس تانيين مش في الجماعات الدينية قلت على طول أشتغل صحفي وأعمل رحلة في عقل هؤلاء الشباب وبالفعل بدأت مع شاب منهم بالنسبة لي أنا كان مثير جداً وقعدت معاه ٣ أيام في حوار متصل، من زنزانة إلى أخرى إلى ثالثة وكان ماشي الحديث وفي الحقيقة أنا كنت بحاول أتابع وبحاول أدرس. وعلى الفور أدركت أن ده جزء من عملية كبيرة. جت لنا الفرصة دي في سجن الاستقبال بعدها رحنا حاجة اسمها ملحق مزرعة طره، في الأول قعدنا أسبوع لا نخرج من الزنزانات بعدها سمح لنا بربع ساعة كل يوم الصبح على دفعتين وبعدين سمح لنا بربع ساعة الصبح وبعد الظهر حوالي شهر وبعدين بقينا نطلع ساعة الصبح وساعة بعد الظهر وفي الشهر الأخير الأمور بدأت تتغير تماماً، السجن تحول إلى مناقشات وبقينا نتناقش مع كل التيارات. لمعلوماتك قد تدهش أنني قلت داخل سجن الاستقبال، قلت لمدير السجن وقلت لمندوب الأمن القومي وقلت لمندوب المباحث العامة أن أنا مش متحمس أبداً للطريقة اللي بتواجهوا بيها

هذه الجماعات وأنا أخشى من الارهاب الفردي من فكرة الاغتيال. طلعت خارج طريقي وخارج حدودي كمسجون وقلت أنا أخشى أن تكون المشكلة أكبر من هذه الرؤية وأنا أخشى الارهاب الفردي. بعد كده، تسألني عن موقفي من الرئيس حسني مبارك. أنا استغربت جداً لما شفته بعد خروجنا من قصر العروبة وهو بيقول لنا أنه بعد الاغتيال بـ ٣ ساعات كان يحس داخله بالرثاء للرجل الذي سوف يحمل المسئولية بعد أنور السادات دون أن يدرك لمدة ٣ ساعات أنه هو هذا الرجل.

وعندما تبين له ذلك لم يكن راغباً في المنصب وأنا أصدقه في كل ما قاله.

نحن إذن أمام رجل جاء في ظروف صعبة دون أن يكون راغباً في ذلك ثم هو يعلن بعد مجيئه أنه يريد صفحة جديدة. هل تتصور أن أي وطني يمكن أن يحجب عنه ما طلب. بقول لك في السجن سألني زملائي عن رأيي بعد خطابه الأول وبعد خطابه الثاني وقلت هذا الرجل يريد أن يعطي نفسه بداية جديدة وواضح في كل كلامه أنه رجل رأى الحقيقة بنفسه وقلت لهم هذا رجل أعيدت ولادته مرتين من خلال عاصفتين من الدم والنار مرة في دراما حرب أكتوبر والمرة الثانية في المأساة الاغريقية اللي وقعت على المنصة يوم ٦ أكتوبر، فأنا كنت شايف ظروفه أنه رجل عاوز يدي نفسه بداية جديدة لأن كل القوى في عواصف الغضب التي بدأت في الخريف كانت تبدو وكأنها على مفترق طرق متباعدة.

عندما خرجنا وسمعناه في قصر العروبة أنا حسيت أنه بيتكلم بطريقة مباشرة كلام صريح وواقعي.

لا بد أن الرئيس مبارك لديه قدر هائل من الشجاعة الأدبية ومن القدرة على الادراك الشامل عندما استقبلنا في قصر العروبة.. برغم أن هناك من صوروا مواقفنا على أننا خصوم للنظام، أستطيع حقيقة أن أقول أن عدداً كبيراً من هؤلاء كانوا محاورين للنظام أقدر أقول عدد كبير ويمكن ناس منهم غير مستعدين لصدام. يعني فؤاد سراج الدين لو أرسلوا إليه من يطلب منه أن يجلس في بيته ويوقف أي نشاط له ولو مرحلياً لقبل عن طيب خاطر وعبد الفتاح حسن كذلك نموذج واضح للإنسان الرصين والعاقل.. أنا لاحظت أن فيه بعض اخواننا زعلوا

قوي لما كان فيه تصريح للرئيس حسني مبارك بيقول فيه البريء خيطلع وهم كانوا بيقولوا العكس، صحيح لا ينبغي أن نبقى تحت التحفظ حتى تثبت براءتنا وأنا كنت بقول لاحظوا أن قرارات التحفظ كانت قبل توليه سلطة المسئولية، ونحن الآن نمثل إحدى المهام المعلقة في جدول أعماله خصوصاً وأن الواقع السياسي له أحكامه.. وعندما تكلم في خطابه الثاني في افتتاح الدورة البرلمانية كان بالغ الأهمية وكانت في الخطاب ايماءات اجتماعية واضحة وأنا واحد من الناس اللي بيعتقدوا أن مشكلة مصر بالدرجة الأولى اقتصادية اجتماعية.

● **المصور: هذا عن الظروف الموضوعية ماذا عن الجانب الذاتي؟**

■ هيكل: أستطيع أن أقول: أن ما فعله حسني مبارك معنا، لم يحدث من قبل. أنا أخذت من بيتي الساعة ٢,١٥ صباحاً... وجه رئيس القوة وكان راجل لطيف وأنا قلت له الساعة كام.. الساعة ٢,١٥ قلت له ده أنا اللي كاتب تعبير زوار الفجر أنا كنت وحدي في اسكندرية وكان معايا ابني الثاني أحمد وهو اللي جه صحاني في الساعة ٢,١٥ وقالي فيه بره على الباب ضباط من مباحث أمن اسكندرية قالوا عاوزينك.

عندما فتحت الباب طلبت منهم عشر دقائق أجهز نفسي وآخذ شنطة.. ثم ييجي يفرج عنك في القصر الجمهوري وتبص تلاقي نفسك بتقابل رئيس الجمهورية.

أنا سألت واحد من الياوران هناك وبعدين حنعمل أيه بعد كده قال خلاص روح بيتك، طيب أروح ازاي لأننا جئنا بسيارات البوليس.. فتحي رضوان قال خلاص سأذهب إلى منزلي سيراً على الأقدام.

احنا قلنا عربية البوليس توصلنا ونرجع تاني قصر العيني ناخذ حاجتنا، وننزل، فؤاد سراج الدين كان مش مستعجل على الخروج قال حيروح قصر العيني يتغدى وينام ويروح الساعة ٥.. قلت له يا أخي سوف أذهب على الفور إلى بيتي.. أنا مش عاوز أثبت حاجة أبداً. عبد الفتاح حسن لقى عربية البوكس بتاعة البوليس متعطلة وبعد شوية قلنا له الباب حيتسمكر.. قال يتسمكر ازاي وخد بعضه وراح

يدور على تاكسي لكن فعلاً كان منظر فيه جزء مضحك لأنه نروح في القصر الجمهوري ونقول للبوليس وصلونا أقرب مكان. قول لي أين يحدث هذا لو قارنت بين ظروف القبض وظروف الافراج؟!

معرفش اذا كنت تعرف والا لأ احنا ماكناش بنشوف تليفزيون ولا بنسمع راديو ولا بنقرأ جرايد وإنا يوم ما عرفنا أن الرئيس السادات حدث له ما حدث، سألنا إذا كان ممكن نسمع راديو وقلنا أن الأمر كله يتعلق ببلدنا ما كانش ممكن. وأنا رحت لضابط من ضباط السجن وكان رجل ظريف وقلت له عاوز تجاوبني على سؤال واحد. . . انت اتفرجت على التليفزيون قال آه قلت له جاوبني على سؤال واحد قل لي الرئيس حسني لابس ايه في الجنازة، دهش الرجل لسؤالي. . قلت له معلش ده يعني بالنسبة لي الكثير وأنا كنت عاوز أطمئن ولما جه قال ده لابس بدلة كحلي وكرافتة سودة رحت لزملائي في السجن قلت لهم أنا متفائل قالوا لي ليه قلت لهم الرئيس ظهر في الجنازة ببدلة كحلي وكرافت سوداء، قالوا لي طيب يعني ايه ده قلت لهم يعني أننا أمام رجل لا يريد أن يتظاهر بشيء. أنا كنت خايف أنه يلبس التشريفة العسكرية المشهورة. .

سألني مراسل الجارديان مش ذهابكم للقصر الجمهوري بهذا الشكل فيه عنصر مسرحي قلت ما اتصورش لسبب واحد أنا باعتقد أنه فيه أكثر من ذلك ـ فيه فوق صدق النوايا ذكاء سياسي لأن الرئيس السادات حاول ابعادنا أو إبعاد بعضنا ومعرفش ليه بالقوة لكن ده نزع سلاحنا جميعاً باللطف والحوار واقدامه على فتح صفحة بيضاء. . هل تعرف ماذا يعني هذا اللقاء في قصر العروبة بالنسبة لي؟ لقد أغلقت صفحة الماضي ولن أتحدث عن ما حدث في تجربة ٩٠ يوماً في السجن ولكنني أسأل نفسي هل كان في وسعي أن أكتم تجربتي لو لم يكن قد قابلني؟ وقال علينا جميعاً أن نطوي صفحة لنبدأ صفحة أخرى إذن فهذا على ما فيه من شجاعة أدبية فيه أيضاً ذكاء سياسي.

● **المصور: ما هي حقيقة خلافاتك مع حزب التجمع داخل السجن؟**

■ **هيكل:** لقد ناقشت بعض اخواننا في حزب التجمع والواقع أنه كان حواراً أكثر

منه أي شيء آخر وأنا باحترم كثيرين منهم وأنا كان رأيي أن التجمع أخذ موقف اختلف معه بإعلانه عدم تأييده للرئيس مبارك ومهما كانت تحفظاتهم ومهما كانت تحفظات غيرهم لم يكن أمام مصر خيار غير أن تقول نعم لحسني مبارك وكان ينبغي أن تقول له نعم. . كان في وسعهم أن يقولوا بعض التحفظات ولكن أي خيار آخر لمصر إذا لم تكن قد اجمعت على حسني مبارك. . أنا باعتقد أن التجمع ربما يكون أخطأ في هذا أو على الأقل من وجهة نظري وكان لا بد أن يقول نعم وأن تكون نعم مشروطة إذا أراد.

● **المصور: هل أثيرت قضية تأييدكم للرئيس مبارك داخل السجن؟**

■ الأستاذ هيكل: عشان أبقى رجل أمين أثيرت طبعاً. تقدر تتصور أنه في داخل السجن طلب إلينا أن نتوجه بالرجاء إلى الرئيس السادات قبل الحادث ولم يقبل منا أحد. . . وعندما جاء الرئيس مبارك أنا باتصور أن بعض الناس تطوعوا بالنصيحة على أساس أن هذه فرصة نستطيع خلالها شرح موقفنا وقد يساعد هذا على الافراج إذا بدت حسن النوايا. من جانبنا وكان رأيي ورأي عدد كبير من اخواننا إن احنا مع إحساسنا بالظرف الخطر اللي فيه البلد ومع تقديرنا لكلام الرئيس في أول خطبة إلا أن رأي أي واحد منا وهو داخل القضبان هو رأي مشبوه من جانبنا لأنه قد يبدو دليلاً على الضعف أو دليل اكراه، ولم يكن هناك اكراه أن نصدر بياناً بالتأييد. . معرفش أنا يمكن تطرقت بره الموضوع كثير قوي لكن يمكن أكون أجبت على أسئلة كثيرة.

● **المصور: كيف يمكن إقامة علاقات مصرية عربية على أسس أكثر نضجاً وأكثر صحة؟**

■ هيكل: أعتقد أن الرئيس مبارك بدأ بداية صحيحة، ومن حقه على العالم العربي كما أنه من حق مصر أن تجرب الرهان إلى مداه. . ان من حق مبارك أن يقول له العالم العربي الآن: سيدي تفضل أكمل المشوار وأكمل الرهان إلى مداه لأنه من غير المعقول أن يطالب أحد بالغاء المعاهدة قبل ٦ أشهر من الانسحاب، لا بد لكل الأصوات أن تسكت، ومهما كان خلافنا حول المبادرة فإن أحداً لا يستطيع أن يطلب من الرئيس مبارك شيئاً لأن مصر قد دفعت ثمناً غالياً لهذا الطريق.

● **المصور: ما حدث أخيراً في فاس يؤكد صحة النظرة المصرية من أن العالم العربي غير قادر حتى الآن على أن يحسم قضية الحرب أو قضية السلام، لا هو قادر على الحرب ومستعد لها ولا هو قادر على السلام.**

■ هيكل: هذا تكريم لمصر أمام العالم العربي الذي علمته وصاغت له رؤاه فالعالم العربي تعود أن يعيش بك وأن يكون قراره معك.. وتعود أن تكون حاميه.. هذا قبل الجامعة العربية.. وتعود بعد ذلك أن يراك على رأس الجامعة العربية وتعود على أن يكون القرار قرارك.. وتعود أن يعتمد عليك في كل شيء في الدفاع والاقتصاد والتعليم وفي الصحافة وفي الثقافة!

هذا العالم العربي تعود أن يراك دائماً على رأسه.. ويتصرف بك.. وإذا بالرأس بعيد وجسم يتحرك وحده..

علينا أن ندرك أهمية مصر في العالم العربي وبالعالم العربي أيضاً.

● **المصور. ماذا حدث عندما علمت باغتيال الرئيس السادات؟**

■ هيكل: سالت الدموع في عيني وشاهدي على ذلك مأمور سجن طره العقيد «محمود الغنام» وضابط المباحث العقيد «صلاح شلبي». لقد أبلغاني نبأ اغتيال السادات بقصد معرفة رد الفعل.. قلت لهما: كيف تم ذلك؟ قالا: هذا كان في العرض العسكري.. وفي هذه اللحظة لم استطع أن أذكر إلا أنه كان صديقاً.

لقد كان صديقاً لي منذ فترة طويلة وإذا بالدموع في عيني..

لقد عشت معه عشرين عاماً كأصدقاء وابني حسن أصغر أبنائي.. أنا أعرف كيف كان ضعف أنور السادات تجاهه.. كنا نتبادل الزيارات، أولاده كلهم يقولون لي: يا عمي.

«نهى» زوجة حسن ابن المهندس سيد مرعي أنا الذي قمت بخطبتها عندما طلب مني سيد مرعي ذلك قلت لحرم الرئيس إن سيد يريد نهى لابنه.. وقالت لي: كلم الرئيس في هذه الخطبة.

ورغم كل الخلافات التي كانت بيننا «نهى» عندما رأتني في الصيف الماضي أخذت تقبلني أمام الناس لأنني أعتبرها بنتي . .

● **المصور: هل تعتقد أن الخلاف على كامب دافيد هو القضية الملحة الآن أمام بعض من فصائل المعارضة أو أمام بعض من الدول العربية؟**

■ هيكل: هناك قوى تقول لا لكامب دافيد والنظام يقول نعم وجميع المسائل متداخلة . . ولكن هناك قضية تكاد تكون مبدئية للأسف الشديد إن علينا من جديد أن نعيد بحث عدد من القضايا الأساسية:

- من نحن وماذا نريد وكيف نحقق ما نريد. حكاية كامب دافيد ثانوية، القضية الأشمل هي أمن مصر وماذا تريد وما هي هويتها، نحن دولة تقع جغرافياً في افريقيا ولكنها ترتبط في أمنها بمحورين أساسيين، محور جنوبي هو وادي النيل، ماء الحياة بالنسبة لنا وهو محور آمن لا ينبغي أن نسمح بأي تنشيط عليه ولا ينبغي أن نقبل أي تهديد فيه لأن به يتعلق ماء النيل.

والمحور الشرقي أو الجسر البري الذي يربط مصر بآسيا وهي القضية الحيوية في الأمن المصري من تحتمس الثالث حتى جمال عبد الناصر.

وبهذا المحور يتعلق أمن مصر وأمن عالمها العربي ونحن والعالم العربي شركاء في المسئولية . . وإن مصر لم تمد يدها لأحد وعلى العالم العربي أن يحمي نفسه وهو لا يستطيع ذلك بعيداً عن مسئولية مصر ودورها القيادي، قضية مصر هي قضية الكل . . مصر بالانتماء العضوي ومصر بالتاريخ وبالجغرافيا . . عربية الانتماء وإذا كان أمنها هو أمن العالم العربي، فإن رخاءها ينبغي أن يكون من رخاء العالم العربي.

عندما كنت أتحدث مرة مع كيسنجر، قال لي كلمني عن مصر قلت له إذا تحدثت معك عن مصر وحدها . . فمصر تحتاج إلى أمريكا - وإذا كلمتك عن مصر العربية مصر تحتاج إليها أمريكا . .

لمصر دور لا ينبغي أن تفرط فيه ومصر هي التي علمت الدول العربية ونحن

الطرف الأقوى وإذا كنا شركاء في الأمن العربي فلا بد أن نكون شركاء في التنمية الشاملة.

● المصور: المشكلة أن عديداً من هذه الدول لم تفطن لأهمية التنمية داخلها، فكيف تساعدني على التنمية.

■ هيكل: أستطيع أن أزعم أن أيّاً من الدول العربية لا تقدر أن تنمي نفسها بنفسها وبمعزل عن مصر. .

علشان ننمي لا بد أن يكون لديك بشر. . . الكل يتصور أن الدول العربية غنية بالبترول ولك أن تتصور أن جميع دخل الدول العربية من البترول يكاد يساوي دخل إيطاليا. ومع ذلك فالتنمية في العالم العربي مرهونة بمصر.

● المصور: سوف نعود مرة أخرى إلى تلك الحزازات القديمة حول الزعامة؟

■ هيكل: ليس هناك أحد في العالم العربي على أي مستوى لا يقبل زعامة مصر. . هناك شيء واحد: الزعامة تكون بمقدار ما تستطيع أن تعبر عن آمال الجميع. .

الزعامة دور يعطى ويمارس إذا ما نهضت بمسئولياتي ولم أتخل عنها.

لا نريد أن نكرر في مصر ما حدث لتركيا عندما أدارت ظهرها للعالم الاسلامي فقدت الخلافة والدور والهوية وأصبحت ذيلاً لأوروبا الآن ماذا يحدث في تركيا.

لقد كان لمصر دوران أساسيان في العالم العربي دور التحديث ودور التوحيد وعندما توقفت مصر عن مسئولياتها، ماذا حدث، هذا الذي نراه الآن في العالم العربي، نزوع إلى الكيانات الاقليمية الصغيرة المتناقضة.

إنني أستطيع أن أزعم أيضاً أن العالم العربي قد قدم لمصر الكثير.

لقد أعطى العالم العربي لمصر ما بين ١٢، ١٦ بليون دولار دون شرط أو قيد يجب أن نضع الأرقام أمامنا. حتى نحدد رؤيتنا الاستراتيجية على ضوء الحقائق.

كيف نحل مشكلة مصر. . كيف نصنع؟! كيف ننمي؟ . . في الزراعة لدينا ٦ ملايين فدان وحدود التوسع الزراعي وهدفه وحجم المياه المحدودة حتى لو أحدثنا انقلاباً شاملاً في أساليب الري المصري.

لا حل إلا التنمية الشاملة في العالم العربي.

● **المصور: المشكلة هي في التفاوت الحضاري بين الدول العربية والذي يزيد حتى من صعوبة الحوار ناهيك بالاتفاق على خطط التنمية الشاملة؟**

■ هيكل: أعرف أن هناك دولاً عربية لم تتعد بعد نطاق الشرعية التقليدية القائمة على النظام القبلي أو الأسري أو شبه الديني ومصر أكثر الدول العربية تقدماً في مرحلة الانتقال إلى الشرعية الدستورية.

ولكن لدينا مشكلة اجتماعية اقتصادية مهمة ولا نستطيع بدون حلها أن نصل إلى مرحلة الديمقراطية أو إلى مرحلة الشرعية الدستورية. . وليس هناك حل غير التنمية الشاملة في العالم العربي، وإذا كانت مصر تعترضها مشكلات الكثافة السكانية التي تفرض عليها التنمية طريقاً وحيداً إلى حل مشكلاتها الاجتماعية فإن دول العرب البترولية تعترضها هي الأخرى مشكلة نضوب مواردها البترولية مع الزمن والتي تفرض عليها ضرورة التنمية، اعتماداً على مصادر غير البترول ولا تستطيع الدول العربية البترولية أن تفعل ذلك دون مصر.

● **المصور: لماذا وصلت علاقاتك مع الرئيس السادات الى هذا الدرب المغلق بالرغم من صداقتكما التي استمرت ٢٠ عاماً ربما لأنك خلطت بين دورك الصحفي ودورك السياسي. هناك أيضاً من يقولون أنك احتكرت لنفسك أن تصبح الصحفي الأوحد في مصر خلال فترة الرئيس عبد الناصر.**

■ هيكل: أنا حتى هذه اللحظة لا أعرف لماذا ضاق بي الرئيس السادات إلى هذا الحد أنا بقول لك بصحيح وهذا سر ما زلت أحاول تقصيه ويمكن أكبر فشل صحفي في حياتي هو عدم معرفتي لهذا السر أنا يعني باعتبر نفسي صحفي مش بطال ولكن باعتبر نفسي صحفي مخبر صحفي قبل أي شيء آخر لكن هذه القصة لم

أستطع استجلاء غوامضها حتى هذه اللحظة يعني أنا باتصور لعبت دوراً مهماً في انتقال سهل جداً للسلطة سنة ٧٠ وبادعي أنه استجيب لكامل اقتراحاتي ـ لأنه مكانش فيه غيرها ـ ولأني قلتها وأنا متجرد من كل الأطراف اللي كانوا موجودين في بيت الرئيس عبد الناصر ليلة رحيله. لما نزلت تحت في الصالون نصف ساعة بعد اللحظة الحزينة الرئيس السادات سألني رأيك ايه يا محمد وأنا كنت أول المتكلمين قلت نلتزم بقاعدتين، القاعدة الأولى أن نحتكم للدستور ولا شيء غير الدستور والدستور واضح بيقول ايه. والقاعدة الثانية لكيلا تكون هناك مساومات لا نتكلم في موضوعين في نفس الوقت إذا كنا حنتكلم في رئاسة الجمهورية يبقى محدش يتكلم في رئاسة الوزارة إذا كنا حنتكلم في رئاسة الوزارة محدش يتكلم في سكرتارية الحزب لا بد أولاً أن نبحث في رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزارة وكنت باتكلم في هذا بوصفي وقتها أولاً كصديق ثانياً وهذا مهم بوصفي وزيراً للارشاد وعضواً في مجلس الأمن القومي وجدت أنني كنت موجوداً في هذه اللحظة، وبعدين وقفت مع الرئيس السادات في هذه الفترة وكنت لفترة طويلة ـ من أقرب الناس إليه على الأقل لثلاث سنوات واحنا اختلفنا في هذه الفترة خلافات كبيرة جداً وأنا لم أخف رأيي. أنا وأنتم تعلمون كنت على علاقة طويلة بالرئيس عبد الناصر وأنا بادعي أنها كانت علاقة حوار متواصل ويمكن لما اعتذرت عن مناصب واتعرض عليّ وزير إرشاد لأول مرة بالتحديد سنة ٥٦ رجوت أن أبقى طرفاً محاوراً أنا عارف ظروف السلطة في العالم الثالث لا يمكن تفكر في العالم الثالث من غير ما تاخذ التاريخ في حسابك يبقى ده ضرب من الهذيان وأنا عارف الوحشة اللي على قمة السلطة وأنا عارف أهمية وجود طرف محاور للمسئول الأول اللي عنده سلطة القرار وعارف أنه في العالم الثالث لم تكن المؤسسات قوية بالقدر الكافي وأنه في النهاية هناك رجل يتخذ القرار قعدت ١٨ سنة طرف محاور مع عبد الناصر وقعدت ٣ ونصف سنة طرف محاور مع الرئيس السادات لا ده كان سهل ولا ده كان سهل لكن باشهد أن الرئيس عبد الناصر كان واثق إني بكلمه من داخل النظام وعلى أساس استراتيجي واحد. ومع الرئيس السادات أنا لم أخف عنه رأياً واحداً ولما جه في لحظة الافتراق عند خلافنا المبدئي في موضوع فك الارتباط الأول قبلت قراره بالطبع وبدون مرارة أنا بلغني القرار بالليل لم يكن القرار مفاجئاً لي أنا كنت واخد

له الرئيس ميتران وكان ضيفنا وقتها على «الأهرام» وكان معانا لمدة عشرة أيام.

وقعدنا اتناقشنا لمدة ساعتين واحنا نازلين نركب العربية سألني الرئيس السادات على درجات السلم «محمد قرارك ايه الرئاسة ولا الوزارة» لأنه كان قال لي أن بقائي في الأهرام مع المقالات بقت مسألة صعبة لأن الناس بدأت تحس أنه فيه خلاف كنا قد تقابلنا قبل ذلك - في نادي الرماية وحاولنا نتكلم وقلت لا أريد سوى أن أكون صحفياً، وإذا لم يكن في الأهرام فأعتقد أن في وسعي العمل في أية صحيفة خارج مصر، سألني الرئيس السادات بعد لقاء ميتران ما هو قرارك قلت له لا مستشار في الرئاسة ولا عضو في الوزارة قال لي ده قرارك الأخير قلت له مش مسألة قرار ده خارج طاقتي وهو على السلم قال لي خلاص يا محمد مفيش فايدة.. يوم الجمعة بلغوني بتعيين الدكتور حاتم رئيس مجلس إدارة الأهرام وتعييني مستشاراً لرئيس الجمهورية قلت لهم في الأهرام انشروه بطريقة طبيعية وأنا رحت الصبحية الأهرام وعملت اجتماع لمجلس الادارة واللجنة النقابية والاتحاد الاشتراكي ودعوت الدكتور عبد القادر حاتم ليتسلم الأهرام لأنني مش باعتبر نفسي رجل طرد وإنما اعتبر نفسي رجلاً اختلف وقبل تحمل مسئولية الخلاف.

قعدنا ٦ أشهر لا نتقابل طبعاً لغاية ما الرئيس ذات يوم في أكتوبر وأنا قاعد أشتغل في كتاب عن حرب اكتوبر اسمه «الطريق إلى رمضان» اتكلم في التليفون من نفسه لقيت التليفون وأظن كان فوزي عبد الحافظ قال لي سيادة الرئيس عاوز يكلمك. ايوه قال لي بتعمل ايه يا محمد قلت له قاعد باشتغل قال لي بتشتغل في ايه قلت له باكتب كتاب قال لي سيب الكتاب وتعالى قابلني في استراحة الهرم رحت واخد بعضي ورايح استراحة الهرم وقعدنا اتكلمنا، وقتها كان كيسنجر بيلف في المنطقة عشان فك الارتباط الثاني أول محاولة قعدنا اتكلمنا والراجل كان لطيف جداً وسمع كل كلامي سألني حتعمل إيه قلت له أنا باشتغل في الكتاب وعندي عقود بكتب أخرى وكويس كده أنا مبسوط باشتغل قال لي أنا مسألتكش حتعمل ايه في نفسك أنا بسألك حتعمل ايه معايا أنا قررت تعيينك مستشار أنا عندي استقالة حافظ اسماعيل ايه رأيك في مستشار الأمن القومي قلت له حقول لك حاجة أنا بعيد عن الصورة بقى لي ٦ أشهر.

قلت له عاوز مكان ومكانة الصديق راح ضارب على الترابيزة وقال لا لا لا دي بلبلة على أي حال قعدنا أصدقاء لغايـة ما طلع كتاب «الطريــق الى رمضان» يدهشك ان أنا كنت جانبه في هذه الفترة في مفاوضات فك الاشتباك في أسوان يدهشك ان أنا كنت جانبه باعتقد والشهود موجودين أحياء.. أنا كتبت له على سبيل المثال خطاب البرلمان اللي أعلن فيــه فشل المفاوضات على فك الارتباط الثاني وأنا اللي قدمت فيــه اقتراح فتح قناة السويس وهو كان من رأيــه الاغلاق وكــان رأي مستشاريــه الاغلاق ناقشني في الاقتراح ٣ أيــام وبعد كده قبل وبعدين كتبت الخطاب بتاع التغيير الوزاري واتناقشت فيه وتلاحظ أنه في خطاب التغيير الوزاري أنا ارتجيته ان احنا نضيف كذا نقطة وهي الأسعار وكيف يستطيع أحـد بمرتـب كذا أنـه يعيش وناقشنا مسألة الفساد دول القضيتين اللـي أنـا فاكرهـم قضية الأسعـار وتـكاليف المعيشة وقضية الفساد ومع ذلك لما جيت سافرت العالم العربي ـ أنا بشتغل في كتاب عن العالم العربي ـ لم يطلع لأن الظروف تغيرت خدت منه رسائل لبعض الناس.. وأنا حاولت مع الرئيس حافظ الأسد والرئيس حافظ الأسد موجود حاولت أزيل الجفوة اللي كانت موجودة بينهم وجت بعد حرب اكتوبر وناقشت الـرئيس الأسد بطريقة لم تحدث لدرجة إني قلت له سيادة الرئيس احنا عرفنـا عنـك من الرئيس السادات وأنا لا أخفي عليك أني كنت باستمرار متشـكك في البعـث في سوريا والرئيس السادات كان يؤكد أنك شخص من نوع آخر لدرجة أن أنا قلت للرئيس يا سيادة الرئيس أنت عمال تقول حافظ الأسد حافظ الأسد يعني حافظ الأسد حيطلع ايه ما هو برضه بعثي وضابطوعلوي فالرئيس الأسد قال «العمى هيك قلت له» قلت له الحقيقة حصل. لكن حاولت ازيل الجفوة بكل الوسائل وبعدين رحت إيـران في هذه الفترة ورحت شفت الشاه وناقشته ورجعت لقيــت حملة شعواء في الأهرام عليَّ بسبب كتاب «الطريــق الى رمضان» بحجة أنني تجاهلت دور الرئيس السادات ولم يكن هذا صحيحاً على الاطلاق كل الناس اللي قرأوا هذا الكتاب وما زال هذا الكتاب موجوداً كل النقاد أجمعوا على أن الرئيس السادات كان بطل هذا الكتاب

محدش يقدر ينكر على الراجل دوره في حرب أكتوبر أبداً، لكن أنا لقيت نفسي متهم بتزييف التاريخ وبعد هذا اتهمت إن أنا رحت أمريكا عشان أبوظ رحلة أمريكا وهذا لم يحدث على الاطلاق قد تدهش أن الدعوة إلى رحلة أمريكا عشان أتكلم في مؤتمر اتحاد الخريجين العرب من الجامعات الأمريكية جات لي في شهر مارس وكنا أصدقاء وأنا استأذنته قلت له جت لي دعوة في أكتوبر قال لي لازم تروح ورحت شيكاغو وكان طبيعي أني أرجع إلى نيويورك وأبص على واشنطن فقيل له ان أنا رحت أبوظ رحلته كيف يستطيع صحفي أن يبوظ رحلة رئيس جمهورية وبعدين رجعنا من هذه الرحلة فإذا حملات وحملات.

أنا لا أنكر أنه كان فيه خلافات وان أنا عندي آراء اختلفت أنا قلت لك أنا طرف محاور ومعنى أنك طرف محاور أنه كان فيه اراء مختلفة لكن قلت باستمرار كصحفي أنا واجبي وأعتقد أن مهمتي تقتصر عند تبيان وجهة نظري ولا أذكر أني كتبت كلمة تجاوزت فيها أنا عايز واحد يدلني على كلمة واحدة فيها تجاوز وأنا فخور بكل اللي عملته فيها لكن ده مختلف دي قضية ثانية لا عمري شتمت ولا عمري هاجمت أنا بعبر عن خلافاتي في حدود تحليل موضوعي وقد أخطىء وقد أصيب.

● **المصور: ألم يحدث مثل هذا الخلاف مع الرئيس عبد الناصر.**

■ هيكل: بعض الناس تتصور أن علاقتي بالرئيس عبد الناصر كانت سهلة الرئيس عبد الناصر تقريباً مكانش بيقرا مقالاتي لكي نتجنب أي خلاف هو بيعرف إن أنا بصفة عامة موافق على الخط الاستراتيجي ولكن لم نكن نناقش المقالات مع بعض اطلاقاً. مرة واحدة ناقشني في مقالة وكان عنوانها التغيير وكنت بقول فيها إذا لم يستطع النظام أن يغير إذن فلا بد أن يتغير كان مقدمة المقالة كده وهو ضرب لي يومها تليفون وكلمني بالليل وقال لي:

مقاتلك مكتوبة بأسلوب غسان تويني مع شارل الحلو بس أنا مش شارل الحلو وأرجو أن متبقاش أنت غسان تويني قلت له نتقابل على أي حال نتكلم في الحكاية دي واتقابلنا واتكلمنا وانتهى الموضوع.

● **المصور: كمراقب: ما هي ملاحظاتك من مسلك الأغلبية والمعارضة قبل حادث الاغتيال؟**

■ هيكل: أنا كنت شايف. ان هذه الخناقة ملهاش لزمة، بمعنى ايه، أنا باطلع نفسي بره الموضوع، بتقولي كمراقب، باعتقد كلنا دخلنا في مسائل فرعية من أول النظام إلى المعارضة وبقينا بنتكلم في شكليات يمكن أنا قلت الكلام ده للأستاذ ابراهيم شكري أما جه يكلمني وعايزني أكتب في صحيفة حزب العمل قلت له أنا متردد في الكتابة وقلت له إنني كنت أتصور أنكم سوف تطرحون قضايا مصر الحقيقية، على سبيل المثال رؤية استراتيجية لمصر، إلى أين، وما هويتها ولكننا جميعاً مشتبكين في خناقة وأنا أعتقد مع تسليمي الكامل بكفاءة عدد من الناس اللي بيكتبوا في العمل لكن أنتم بتكتبوا بأسلوب يحتاج إلى ربط احنا سيبنا القضية الأساسية لمصر ودخلنا نتخانق في مسائل فرعية ولم تحدد القضية الأساسية فأنا بصراحة لم أكن متحمساً لسياسات الأغلبية ولا كنت متحمساً لمواقف المعارضة وكنت باتصور أن البلد في حاجة وما زلت أتصور أن البلد في حاجة إلى مناقشة كليات المسائل، مع الأسف احنا محتاجين إلى أن نعيد تحديد استراتيجية مصرية وعلينا أن نقرر هل احنا عرب ولا مش عرب وأسئلة تبدو بديهية جداً لكن احنا رجعنا لها تاني أين أمن مصر أين هوية مصر ـ كيف يمكن أن ننمي مصر ـ لازم نرجع نبت في هذا وإذا لم نبت فيه فإننا سنظل في حلقة مفرغة.

لا أقول أن الوقت الآن مهيأ لهذه المناقشات ولكنني أتصور أن الرئيس مبارك لا بد وأن يضع مثل هذه الأسئلة الكبيرة ومثل هذه القضايا الضخمة للمناقشات عندما يفرغ من مهامه العاجلة ليس معقولاً لغاية النهاردة أن احنا لم نبت في قضايا هامة جداً زي هوية مصر وعلاقة الدين والدولة. . والسبيل إلى تنمية شاملة. .

● **المصور: كيف كان حوارك مع هؤلاء الشباب من الجماعات الدينية تحت التحفظ. ماذا يحكم عقول هؤلاء؟**

لقد أبديت نوعاً من الحماس عندما التقيت بحراس الخميني في السفارة الأمريكية أثناء حصارها في طهران وقيل أنك أبديت انزعاجاً شديداً عندما

دخلت في حوار مع شباب الجماعات الدينية الذين كانوا معك تحت التحفظ في طرة.

لماذا اتحمست في طهران ولماذا انزعجت في طرة؟

■ هيكل: عندما دخلت إلى السجن كان نصيبي الزنزانة ١٤، كنت فيها وحدي تركت حاجاتي خارج الزنزانة، أخذت فقط فوطة وفرشة ومعجون أسنان، جلست وحدي على كومة من ٥ مراتب بعد ساعة فتح الشاويش ودخل قال قروانتك.

قلت له: قروانة ايه..

قال: قروانتك.

قلت: ما عنديش قروانة.

قال: اهه.. عشان تاخد جرايتك.

وكان معاه صفيحة عسل أسود و٣ أرغفة قال فطارك وغداك وعشاك هتاخدهم ولا لأ.

قلت: لا.

قال: مش هتاخدهم هابلغ واغلق الباب ومشى.

جلست ٤ ساعات أو خمس ساعات لوحدي وبعدين جاءني ضابط الحقيقة ظريف وقال لي يا أستاذ هيكل ربنا معاك قلت له ربنا يحفظك بس إيه الحكاية - ايه هو أنا قاعد في حبس انفرادي قال لا في زنزانة جنبك تحب تروح تشوف فيها ايه.

رحت لقيت عمر التلمساني وكمال أحمد وابراهيم طلعت والزنزانة مليانة إلى آخرها قلت هارجع الزنزانة الأولى بس شوفوا حد يتطوع ويقعد معايا، تطوع ابراهيم طلعت وكمال أحمد وجم وبعد شوية كده وإذا بشبان من التكفير والهجرة.

جاء الضابط وقال بيقولوا عايزين نتناقش مع الأستاذ هيكل - قلت له هاتهم وجاءوا وقعدت اتناقش معاهم قلت فرصة أكتب مقالات عن «خريف الغضب في مصر» كل التصرفات في الحقيقة غضب. قطعت المناقشة حوالي الساعة ٤ وكنت جوعان لأنني لم آكل العسل الأسود، أنا خسيت ١٢ كيلو، وإذا بهم جم الساعة ٤ ياخدوني وقالوا هنفتش البيت والمكتب والمزرعة - حاضر - رحنا فتشوا البيت

والمكتب والمزرعة ـ ورحنا المزرعة فيه واحـدة ست مرات واحـد في المزرعـة عملت طبق بيض بالسمن وطبعاً ماكنتش أقدر أكله! .

أعطتني ٥ أرغفة و٦ بيضات وعندما عدت حاولت أن أقنع مأمور السجن عشان أدخل الأكل والمياه في الآخر أذن لي وكان فيه شاب اسمه أكمل هو الذي جاء إلى زنزانتي مرة أخرى لاكمال المناقشات؟

● **المصور: ما فكر هؤلاء وما مدى الخطر الذي يمثلونه على مصر؟**

■ هيكل: أعتقد أن الاسلامبولي هو الوجه الآخر لنفس العملة التي يمثلهـا هذا التاجر الذي استطاع أن يصنع عشرات المـلايين من المخـدرات لا بد أن أكون صريحاً لأقول أن التناقضات الاجتماعية كانت قد وصلت في هذا البلد إلى حد الخطر خصوصاً مع غياب الحلم المصري، مع غياب الأمال القومية الضخمة.

الحلم المصري تحول إلى أن كل شاب مصري يتخـرج من الجامعـة يروح يشتغل في العالم العربي حتى يتمكن من الحصول على الشقة ومن تكوين أسرة هذه الفرصة ليست ميسورة للجميع. . خذ واحد شاب مصري عادي أتخرج في الجامعة وعايز يشتغل وعايز يتجوز وعايز يفتح بيت ومعندوش قرايب يودوه بنك تشيز مانهاتن ويجيبوا له مرتب ٤٠٠ أو ٥٠٠ دولار هيطلع يشتغل بالطريقة الطبيعية في شركة صناعية أو تجارية أو شركة قطاع عام وهياخـذ ٤٠ أو ٥٠ جنيه يتجـوز ازاي؟ . حلمه الوحيد أنه ياخد بعضه ويسافر العالم العربي.

في وقت من الأوقات كنت باقول فيه حلم عربي شامل وفيه تصورات اشتراكية وتبني ونصنع. . أنا أكثر حاجة خايف عليها مجموعة القيم التـي ذهبـت. . لمـا تحولت الفلوس لتصبح القيمة الوحيدة في المجتمع.

طب أنا حاقولك حاجة. . واحد بيقول لي في الأسئلة المكتوبة أمامـي: إن دخل كتبك كبير قلت له، الحمد لله لكن بيخفف عليَّ انني أعلم أن كل قرش عندي جاي من قلمي إذا كنت أستغـل وهذا غير مطروح فأنا أستغل القارىء الياباني أو الأمريكي أو الانجليزي أو الفرنساوي.

فيه شاب بيسألني العالم الخارجي بيديني كام، أقول له باخد جنيه استرليني للكلمة الواحدة من أي كتاب وأنا فخور بهذا وباعتقد أنه يشرف كل صحفي مصري وأنت تعرف أن نظام النشر في العالم فيه كذا تصنيف.

هناك الزعماء، نيكسون بيكتب مذكراته كيسنجر ايزنهاور ديجول دي قضية مالناش دعوة بيها ييجي بعد كده سياسيين أو صحفيين من الدرجة الأولى وأن الناشرين اللي يتعاملوا معايا يضعوني في تصنيف فيه ١١ صحفي في العالم وبيدوهم جنيه على الكلمة وتلاقي واحد يزعل. . أنا أحاسب لو عملت ثلاث حاجات: ١ ـ إذا كنت أسأت لمصر بكلمة واحدة ولقد اتهمت بأني أسأت لمصر دون أن ينشروا كلمة واحدة مما أسأت فيه لمصر. . ٢ ـ إذا كنت لا أؤدي واجبي الاجتماعي، لكن أنا بأؤدي واجبي الاجتماعي كأحسن ما يكون. ٣ ـ إذا كنت لا أدفع الضرائب وأنا أدفع ما علي من استحقاق.

يا أخي كتابي الأخير عن إيران تمت ترجمته إلى ٣١ لغة، السجن نفعه مع الأسف الشديد لما دخلت السجن كان لـ ١٧ لغة خرجت من السجن بلغوني أنه ترجم إلى ٣١ لغة.

● **المصور: نرجع تاني لفكر الشباب المتطرف.**

■ هيكل: غير صحيح انني كنت سعيداً بهؤلاء الشبان في السفارة الأمريكية لقد وصلت مع هؤلاء الشباب في النقاش لدرجة من الحدة قلت لهم أنتم تتصورون أنكم تخدمون الثورة الإيرانية. . أنا آسف أقول لكم أنكم حولتم الثورة في ايران من ظاهرة انسانية إلى ظاهرة اسلامية إلى ظاهرة شيعية إلى ظاهرة شيعية في ايران فقط. قلت لهم الكلام ده في السفارة الأميركية. . أنا حاولت أفسر ما حدث للعالم. .

لقد كان دوري في الكتابة أن أشرح للعالم لماذا حدث ما حدث في ايران ما كنتش بادي الثورة الايرانية تعاطف غير مشروط، أنا أعجبت بها كظاهرة انسانية. . أعجبت بالخميني حتى كشخصية ولكنني وصفته في مقالاتي بأنه زي الرصاصة اللي انطلقت من القرن السابع تخش في قلب القرن العشرين، رجل مقطوع من

حقائق الدنيا حقائق العصر الحديث لكنه يمثل شيئاً خاصاً في تاريخ الشيعة يعني أنا حاولت أشرح ماذا حدث في ايران، أنا لا يهمني الدفاع عنها لكن يهمني أشرح ظروف الثورة الايرانية. أنا شايف المشاكل اللي مرت بها، وطبيعة التناقضات التي تعيشها، والأخطاء الفظيعة اللي وقعت فيها وارتكبتها لقد ارتكبت أخطاء بشعة، ولكن هذه طبيعة التاريخ. لو حد قدر ياخد التاريخ ويدخله في غرفة معقمة يبقى كويس. لكن هذا لم يحدث حتى الآن. هذه حركة تاريخية ووقعت في أخطاء ولكن تعالى تصور معي لو كان فيه صحافة وتليفزيون وراديو وجرايد وقت الثورة الفرنسية، ماذا سوف يكون مظهر الثورة الفرنسية ومع كل فإنني لم أحاول الدفاع عن الشباب الايراني، ولم أتجن على الشباب المصري.

● **المصور: إننا نرى أن الثورة الايرانية قد أكلت نفسها، بل أنها تبدو لنا عملاً خارج التاريخ وخارج العصر ومع هذه المذابح والقتل والانهيار الداخلي ماذا يمكن أن نتوقع منها؟**

■ هيكل: ايران بلد مشكلته أنه أخطر بلاد العالم. ايران بؤرة.. مهمة جداً وسط الصراع بين الدولتين الكبيرتين.

ايرن هذا العازل بين الاتحاد السوفيتي وبين منابع البترول والمياه الدافئة في المحيط الهندي هو أقرب نقطة يصل بها الاتحاد السوفيتي للمحيط الهندي.. ايران في قلب الصراع. هذا وطن ممزق لديه ظروفه الخاصة مزيج متفجر من قومية أقلية، ومذهب أقلية، الشيعة والوطنية الفارسية، الوطنية الفارسية محصورة بين شبه القارة الهندية والعالم العربي. والمذهب الشيعي محاصر.

لقد امتزجت عقيدة الأقلية، ووطنية الأقلية امتزجوا وبقوا حاجة واحدة. دولة بعقيدتها بدينها بأقلياتها تمثل مشكلة حقيقية جاء الشاه والأسرة البهلوية ليغطوا كل ذلك، حاولوا تغطية التناقضات دي كلها لكنها انكسرت مع الثورة.

● **المصور: إننا نعتقد أن أخطر ما في الثورة الايرانية هو استيلاء رجال الدين على السلطة باسم الحكومة الاسلامية التي أهدرت كل مؤسسات الدولة؟**

■ هيكل: أنا معرفش حاجة اسمها حكومة اسلامية، لكنني أستطيع أن أقبل وجود حزب اسمه حزب إسلامي يعمل في العلن كحزب سياسي وفق شروط الأحزاب السياسية.

عليهم أن يقولوا لنا برامجهم، أنا شفت في السجن بعضهم أستطيع أن أقول أن الخميني أكثر استنارة وفي باريس قلت للخميني: إنك بالدين قد تستطيع بمدافع الدين أن تدمر النظام القديم. . . لكن لكي تحقق النصر لا بد أن يكون لك مشاتك المشاة التي تحتل مواقع عدوك، وبدون ذلك لن تستطيع أن تبني الدولة ومشاة الدولة هم الكوادر السياسية والتكنيكية والادارية، الفنيون المهنيون والاخصائيون، وفي الآخر قال الخميني رداً على سؤالي، إن الدولة الإسلامية هي العدل والمساواة والحرية. فقلت له إذا وصلنا للحرية والعدل والمساواة اتفقنا.

هنا أيضاً يقولون دولة اسلامية وتنمية إسلامية، مفيش حاجة اسمها تنمية إسلامية، وسياسة دولية اسمها إسلامية، السؤال كيف تحققها ومع ذلك أنا أقول أني لا أتصور شيئاً اسمه حكومة إسلامية، والإسلام في النهاية يعني مبادىء. فيه مبادىء إسلامية وهذه المبادىء رموزها واضحة وعندها يقول أحد أن رموز الدولة ينبغي أن تكون العدل والحرية، فأنا أقبل ذلك. ولكن المهم أن يتقدموا ببرنامج، الحزب السياسي يعني برامج حقيقية تقدم للجماهير، برامج تجيب عن أسئلة ومشاكل التنمية والديمقراطية، عندما يتحدثون عن الشورى في الإسلام بدلاً من التمثيل النيابي فاننا نسألهم كيف يحققونها؟

● **المصور: ماذا أزعجك على وجه التحديد في حوارك مع شباب التكفير داخل السجن؟**

■ هيكل: عارف هاقولك نموذج عملي، احنا دخلنا في الزنزانة ومعنا «أكمل» هذا الشاب الذي تحدثت عنه بعد شوية قعدنا نتناقش مع بعض ولقيته قافل تماماً وابتدى

يتكلم يا بني بتعمل ايه ما هو دورك في الحياة قال باعبد ربنا طيب يا بني بتعبد ربنا ازاي؟ قال بالصلاة طب يا بني ما تقدر تعبد ربنا بالصلاة والعمل والاتصال مع المجتمع بدأ يقول﴿ **وماخلقت الانس والجن إلا ليعبدون**﴾طيب يا راجل أنا باعتقد أن ربنا خلق الانسان في الأرض ليعمل مهمة اكبر من كده، ليعمر الأرض، ليطور الحياة لأن في الانسان جزءاً من نور الله، مش قادر يفهم، بعدين ابراهيم طلعت أثار مناقشة معايا عن السياسة فالشاب تركنا وراح نايم على المرتبة، حاولت أن أشده إلى حديثنا. قال هذه أمور دنيا لا أناقشها. طب يا بنيّ مصر هتعمل ايه؟ قال لا هذه أمور دنيا لا أناقشها وهو شاب في كلية الهندسة.

ولما تيجي تحللها تلاقي أنه شاب اتسد أمامه الطريق فآثر هو أن ينسحب.

● **المصور: هل حقاً لديك مشروع لإنشاء صحيفة يومية، وأين ستكون؟**

● أنا خارج لعبة الصحافة المصرية في هذه المرحلة تماماً أنا راجل مواطن آثر دائماً أن يعيش في وطنه ما بعدتش عن مصر أبداً أكثر من شهر واحد في أي وقت ومع الأسف بقيت شأني شأن أي فلاح أول ما بيطلع بره مصر بعد أسبوع يحس أنه هيموت عايز يرجع مصر.

● **المصور: أين تضع نفسك على خريطة المعارضة؟**

■ هيكل: أنا رجل تربطه صداقات بأطراف المعارضة ولكن لا أعتبر نفسي معارضة، أنا كنت مع بعضهم في السجن! أنا راجل بادعي أنني صحفي مهمته أن يقول رأيه ورؤيته وأنا أقول رأيي ورؤيتي باتفق مع الكل أحياناً وباختلف أحياناً، أنا عمري ما مضيت عريضة، يا راجل أنا في وقت جمال عبد الناصر وأنا من أقرب الناس إليه لم أكن عضواً في التنظيم الطليعي أبداً، كنت عامل استمارة اتحاد اشتراكي بقرشين صاغ في الشهر زي التانيين كلهم لكن لم أقترب من الاتحاد الاشتراكي وكانت مشاكلي كلها وأنت تذكر مع الاتحاد الاشتراكي أو مع التنظيم الطليعي. . .

● **المصور: كنت عضواً في اللجنة المركزية؟**

■ هيكل: تحب أقول لك بقيت عضو لجنة مركزية ازاي؟ طلب مني الرئيس عبد الناصر أن أدخل اللجنة المركزية بعد هزيمة ٦٧ لأن الظروف تقتضي تفاعل كل الآراء. وقدموا ورقة ترشيحي بخط غير خطي وحصلت على أصوات ولقيت نفسي منتخب ورحت عملت مشاكل في اللجنة المركزية أكثر مما حليت مشاكل.

● **المصور: إن ما نراه حولنا في العالم العربي يؤكد لنا في بعض الأحيان أن العرب لا يريدون أن يجهدوا أنفسهم في فهم مصر؟**

■ هيكل: أنا قلت الكلام ده للرئيس معمر القذافي في آخر زيارة له لمصر سنة ٧٣ بعد حرب اكتوبر وهو كان بيلف على الدنيا بيحاول يقنعها بالوحدة كنت أقول له يا أخ معمر أنت يمكن بتحب مصر لكن لم تستطع أبداً فهم مصر. ويمكن دي مشكلة ناس كتير من اللي حبوا مصر. العالم العربي كله بيحب مصر لكن مع الأسف الشديد لم تجىء فرصة للعالم العربي ولناس كثيرين يعرفوا مصر الحقيقية لكن للأسف الشديد احنا عندنا مشكلة العالم العربي بيشوف في مصر واجهات غلط. يا أما بيشوفوا المصريين رايحين هناك طالبين عمل يا أما يزوروا مصر مع الأسف الشديد. وأنت عارف بيروحوا فين وبيصرفوا فلوسهم فين وهنا أو هناك ليست مصر الحقيقية العرب بييجوا هنا يعيشوا على حافة المجتمع ما بيشوفهش بيعرفوا دور مصر ويحبوا ثقافة مصر ويأنسوا إلى مصر وبيموتوا عشان ييجوا مصر لكن يبقى أنهم لا يعرفون مصر.

● **المصور: الرئيس مبارك قال ما فيش أي قيد على أي فكر. هل تتوقع أن تفرج الرقابة عن كتبك الستة التي صدرت خلال السنوات الخمس الأخيرة والسؤال الثاني هل تتوقع أن الصحفيين الموجودين في الخارج يرجعوا مصر ويمارسوا دورهم في ظل الوضع الجديد.**

■ هيكل: أنا أول من يقدر ظروف بلده وأنا محدد اختياري أني باق في هذا البلد، وأنا جزء منه.

ولائي له ولن أتركه أنا لم أغب عن مصر طوال هذه المدة أكثر من شهر واحد

رغم أن ناس كثير تصوروا إن أنا قاعد بره لم أقبل ولن أقبل أبداً حكاية لاجىء سياسي دي أبداً وقلتها كتابة في الأهرام ليس لي عمل خارج مصر وليس لي بيت خارج وليس لي قبر خارج مصر أما أن كتب تمنع أو لا تمنع هذه مسألة لها تقديرها للظروف لكن أنا أتكلم فيما يتعلق بي. أنا في الوضع الموجود حالياً زي ما أنا شايفة كده من الأفضل أن أكون خارج لعبة الصحافة المصرية.

أنا أتحرق شوقاً أن أعود للقارىء المصري وأرجع للناس يتفقوا ويختلفوا معايا، يضعونني على صليب ليلاً وينزلوني منه صباحاً ولكنني أعتقد وأنا مشفق على أوضاع مصر في الفترة القادمة أن من الخير أن أكون خارج لعبة الصحافة المصرية أما مشكلة الصحفيين في الخارج أنا باتمنى والرئيس مبارك فتح لهم صفحة جديدة وأنا باتمنى أن يعودوا لأن الدعوة صادقة. وسوف أعطيكم نموذجاً آخر، من ساعة الفريق الشاذلي ما طلع من سفارتنا في لندن وأنا ما شفتوش وأنا تجنبت لقاءه وكان رأيي أنه لو كان عمل أي حاجة عايزها وجاء إلى مصر وقدم نفسه إلى مجلس عسكري.. فقضيتنا جميعاً في هذا المجتمع تبدأ وتنتهي هنا اللي عايز يتكلم واللي عنده رأي ييجي يقول هنا وليتعرض في سبيله إلى ما ينبغي أن يتعرض له.

أما إذا كانت دولارات البترول سهل تشتري ده وتشتري ده وده يقعد هنا وده يقصد هناك ونفتح دكاكين برة هذا مرفوض، فضلاً عن أن على الجميع أن يعرفوا أنه لا مجال للتأثير من الخارج.

بالنسبة لي القضية مختلفة، أنا هنا ولكنني ببساطة أوثر في هذه المرحلة أن أقول للكل أنا لست عائداً إلى شيء إطلاقاً إذا ما تحملتني صحيفة التايمز فسوف أكتب لها.

● **المصور: نريد أن نعود مرة أخرى لكتاب الثورة الإيرانية؟**

لم أقرأ الكتاب ولكنني قرأت المقالات الخمس التي نشرتها في التايمز وكانت محلاً لمناقشة مع بعض الايرانيين قالوا لي إنك منحاز للنظام الايراني؟

■ هيكل: كل كاتب في الدنيا بياخد موقف ما فيش كاتب في الدنيا محايد وأنا

باعترف أن الثورة الايرانية بهرتني في أيامها الأولى وحاولت أن أفسرها وأن أشرحها للعالم لكنك لو عدت إلى الفصول الثلاثة الأخيرة تلاقيني توقعت ما حدث وللأسف فلقد صدقت توقعاتي عن خلافات الداخل والخارج وعن رجال الدين والسياسيين والدور الذي سوف يلعبه الجيش والارهاب والارهاب المضاد.

علينا أن نعرف أيضاً أن وسائل الاعلام والتجسيد التليفزيوني قدم نقلة كبيرة جداً في الأخبار وتأثير التليفزيون على صنع القرار السياسي أصبح خطيراً.

انتقلت المهمة من المخبر الصحفي الى المخرج والمخرج عاوز لقطة دراماتيك تقدر تقول كل الحكاية في لقطة واحدة وهو اللي بيدور الرؤية كلها وهو اللي جايب العلم الأمريكي وبيديه للشباب يحرقوه وبينقل الصورة لأمريكا بعد الظهر والرأي العام الأمريكي بيتفاعل بصورة مصنوعة وكارتر يتفاعل بالرأي العام المتأثر بصورة مصنوعة والقرار الأمريكي بيتأثر وبيؤثر في ايران وهكذا الدورة.

بصرف النظر أنت أمام ثورة في التأثير. التليفزيون بيسرق منك المنظر والرؤية وبيؤثر على القرار السياسي. والسلطة تنتقل من رئيس التحرير إلى مخرج التليفزيون.

● المصور: دون أن نسعى إلى توسيع أو زيادة حد الخصومة مع بعض الصحفيين المصريين ألا تعتقد أنك سعيت إلى أن تكون الصحفي الأوحد في مصر؟

■ هيكل: إنني أقول ابتداء أنني لا أسعى إلى أي مكان في الصحافة المصرية بالرغم من حرصي الشديد على العودة إلى قارئي الطبيعي، لقد بقيت ٨ سنوات أكتب خارج مصر الآن لأنني لست على استعداد لأن أشارك في معارك تبدو من وجهة نظري مصطنعة كما أن مصر في الفترة القادمة لا تستطيع أن تتحمل مثل هذه المعارك التي لا تقدم ولا تؤخر.

إن كان لي خصوم ـ وهذا يدهشني حقيقة ـ في الصحافة المصرية فلقد تركت المسرح كاملاً للجميع ولكني أود أن أقول:

لقد سعيت جهدي إلى أن أساعد الصحافة المصرية ولقد سعيت جهدي إلى أن أقف إلى جوار العاملين فيها.

لقد سعيت إلى خلق صحافة حديثة عندما توليت الأهرام وأقول ببساطة هذا هو الجهد الذي قدمته، وإن رأيتم أنه أقل مما ينبغي فأطلب منكم أن تكونوا متوازنين. أما حول قضية احتكار الصحافة أيام الرئيس عبد الناصر. أقول أن العلاقة بين الصحافة والسلطة علاقة حوار وصراع وهي في نفس الوقت علاقة اعتماد متبادل فيه صراع بينكم، إنت عايز منه حاجات كتير قوي وهو عاوز منك حاجات كتير. وهو عاوز ياخد منك خدمات أكبر ويديك أخبار أقل إنت عاوز العكس. العلاقة متشابكة وعلاقة معقدة لكن يبقى معيارها في النهاية هو إلى أي مدى اللي أنت ممكن تعمله سياسياً يمكن أن يتحول في النهاية إلى عمل إخباري. إلى أي مدى يخدم صحافتك وإلى أي مدى يخدم جريدتك إلى أي مدى يساعدك على الاحتفاظ باستقلالك وبحريتك.

● **المصور: ماذا تقول للصحفيين الشبان؟**

■ هيكل: مكرم التجربة هي اللي طلعته في الأهرام سنة ٥٨ أخذنا مجموعة شبان كثيرة جداً هم الشباب اللي شالوا الأهرام لكن أنا سعيد جداً أنه يكرر التجربة في المصور بهذه المجموعة الكبيرة من الشباب أنا كنت دائماً ويفتكر مكرم كنت باقول أن أكتر حاجة مخوفاني في الصحافة المصرية هو اليوم الذي يمكن فيه أن ينتقل الرقيب من طرف المائدة أمامي إلى أن يكون داخلي لأن الرقيب طول ما هو أمامي أنا عارف مين هوه وأنا طرف معاه في الحوار لا ينبغي للرقيب أن يصبح هاجساً داخلياً.

● **المصور: هل لديك شكوك في أن الاسرائيليين سينسحبون في ابريل؟**

■ هيكل: لا أستطيع أن أعرف لأنني بعيد عن الصورة منذ تسعين يوماً يمكن قبل ذلك كنت أقابل ناس وأتحدث معهم لكن في الفترة الماضية أنا لم أطلع على جرائد ولم أقابل أحداً وأنا ما زلت أقول أن اسرائيل غير قادرة على السلام وما زلت أقول أن أمن مصر في الجسر البري بين مصر وآسيا.

● **المصور: ماذا إذا اتصل هذا الجسر بالسلام؟**

■ هيكل: ليس لدي عناد شخصي في الموضوع طالما أن في ذلك أمن مصر وأمانها وأنا مستعد أن أعترف بالخطأ إذا رأيت الدليل. أنني أسأل نفسي دائماً هذا السؤال هل اسرائيل مستعدة أن تذوب في المنطقة. اسرائيل في مأزق تاريخي.

● **المصور: ما الذي وضع اسرائيلَ في هذا المأزق. أليس هو وضع السلام؟**

■ هيكل: المأزق التاريخي أثبتته حرب اكتوبر. وحرب أكتوبر أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن هناك إمكانية انهاء ما يسمى بالفجوة الحضارية وأن مصر قادرة على الحرب. وأنا الذي وصفت حرب أكتوبر بأنها نصر استراتيجي وأن معنى ذلك أن العرب قادرين على تحمل المسئولية.

● **المصور: لقد قلت قبل حرب أكتوبر، أنك تريد حرباً محدودة تنتج آثاراً سياسية غير محدودة، معنى ذلك أن تقبل التفاوض والحوار؟**

■ هيكل: من غير ما ندخل في تفاصيل دعني أذكرك بأن فيه حروب محدودة. ممكن تجيب آثاراً سياسية غير محدودة وليس ضرورياً أن تنتهي بالتفاوض وأمامك النموذج وهي حرب السويس اللي أنا باعتبرها أنجح حرب في تاريخنا سياسياً.

● **المصور: لماذا نصحت الرئيس السادات إذن بفتح قناة السويس؟**

■ هيكل: علشان قناة السويس كانت مهددة بأنها ستفقد قيمتها والعالم كان حيبطل استخدام القناة إذا استمرت مغلقة لفترة طويلة والعالم كله كان مشارك في تطهيرها وعصر بناء الناقلات العملاقة كان قد بدأ ثم أن فتح قناة السويس مع فشل المحاولة الأولى من مفاوضات المرحلة الثانية في فض الاشتباك كان ظرف مثالي. يؤكد لكل الأطراف أن فتح قناة السويس تم بإرادة مصرية وليس نتيجة صفقة! أنا لست ضد السلام لكن إذا لم يكن لديك السلام الذي تريده فليس البديل الضروري لذلك هو الحرب الفورية، ومع ذلك أنا أتصور أننا نضيف إلى إمكانياتنا في كل مواجهة وهم كانوا يخسرون. كل مواجهة دخلتها استفدت منها وتعالى

نشوف موقفك في حرب أكتوبر كنت في اللحظة المثالية تاريخياً. اسرائيل معزولة وأمريكا مهتمة بالمشكلة والاتحاد السوفيتي معاك. العالم العربي معاك. سلاح البترول الرأي العام الدولي معاك نجاح عسكري ودخول الحرب أعطى إشارة أنك قادر وأنك تستطيع وأنت عملت تحالف ضخم جداً وكان لا بد أن تضغط بهذا التحالف.

أنا باعتبر أننا كنا نستطيع عمل سياسة متوازنة تعالى شوف التحالف اللي عمل نصر اكتوبر. لا بد من علاقة متوازنة مع القوتين. المنطقة بالجغرافيا مسألة مهمة القوتين لا بد أن يكون لك سياسة معهم. ولا بد أن تكون هذه السياسة متوازنة ولا بد من توازنها أن يتحقق لك أكبر مصلحة مع الاثنتين.

لم يكن عبد الناصر طبعة* رخيصة* من عصر النازيين (١)

عندي من الأسباب، ثلاثة، تثير شهيتي وتدفعني دفعاً لأجري حواراً مع . . هيكل!

● السبب الأول: مهني. فالأستاذ محمد حسنين هيكل، سواء اتفقت معه أو اختلفت، قيمه صحفية غير قابلة للجدل. انه «النجم الساطع» دوماً في سماء الصحافة العربية الذي أعطاه جهده واخلاصه المهني تأشيرة دخول إلى العالمية.

ولقد كان الصحفي هو «المتلقي» فقط للاحداث، وجاء هيكل وأصبح «مساهماً» في صناعة الحدث. إذ دخل «معمل» السياسة ولم يخرج بعد. كنا نقرأ مقالات هيكل، وكأنها قراءة في كف الدولة. وبعده، عرفنا وجع الأوراق التي لا تجد من يقرؤها!

● السبب الثاني: قومي، فمنذ احتجب اسم «هيكل» عن قلعته الشهيرة الاهرام، وهو «متهم» بالكتابة خارج مصر بما أساء إلى سمعتها وقدم إلى المدعي الاشتراكي، وبعد «عشر جلسات وثلاثين ساعة وثلاثة شهور. . استغرقت موسم صيف بأكمله» برئت ساحته وأن اسءة واحدة لمصر لم تصدر عنه. ثم جاءت ظروف عصيبة زج فيها بهيكل مع آخرين في السجن. وقضي داخله ٨٥ يوماً. حتى صدر قرار بالافراج عن كل من زج بهم . . . وخرجوا من السجن ليقابلوا رئيس الجمهورية ذات صباح، خطف الانتباه وأثار الدهشة وحدد معالم طريق.

● السبب الثالث: شخصي، فأنا مدين لهيكل باشتغال بالصحافة. وحين اتسلق شجرة الذاكرة، أتذكر أني وقعت في غرام كتابه الأول «إيران فوق بركان». لقد زلزلني السيناريو الفريد الذي يكتب به تحقيقاته وتحليلاته أشعرني أن الكتابة عشق. عناق بين قلم وورق. ومن صفحات كتابه التقطت «الجرثومة» والعدوى وأصابني مرض الصحافة، أجمل أمراض الدنيا، هذا الحبر الأسود المسافر في الدم ولا يعرف الارتواء!

. . . .

● مجلة صباح الخير - ١٤/١/١٩٨٢ - مفيد فوزي

لهذا سعيت إلى لقائه .

كانت ضجة ما بعد الافراج قد هدأت وعاد يرتب أوراقه بعد أن عاش تحت وطأة النظرات واللفتات والظنون!

كنت أعرف أني سألتقي بانسان نصف وزنه، ثقة بالنفس.

كنت اعرف اني سألتقي بانسان، رياضته المحببة، القفز فوق المتاريس واستيعاب الصعاب واحتواء المشاكل بل وتحويل مسارها ـ أحياناً ـ لخدمته!

كنت اعرف أني سأتقاسم حواراً مع رجل، كان يلهث وراء الاخبار، فأمسى هو «خبراً» حياً. . يلاحق اينما ذهب وتحاصره عيون العالم واذانه.

وانا ذاهب اليه، تذكرت عبارة رددها لي في التليفون «خارج مصر ليس لي قبر. . . ». تذكرت أيضاً أنه قال لي «أنا بالدرجة الاولى مخبر صحفي لا أكثر»!

اعطاني «مفتاحين» للحوار. . واحد عن «ابعاد» انتمائه لمصر والثاني عن «ابعاد» انتمائه للمهنة.

ها انذا أمامه وجهاً لوجه. أضافت اليه «السنون» ولم تأخذ منه. تبادلنا بضع كلمات. كنت أبدأ واشد خيوط انتباهه. وان كنت لا أخفي ان الكلمات تخلت عن لساني في لحظة، لأن الحديث الصحفي بين اثنين من ابناء المهنة يبدو اكثر صعوبة. تماماً كما يتولى طبيب علاج طبيب اخر وعندما «اشتعلت» اللمبات في رأسي عاد لساني إلى صوابه.

● **أستاذ هيكل، قبل بداية حوارنا المسجل، أرجو أن ترشدني إلى الممنوعات في حديثنا فأعبرها. . والمسموحات فنجلس معاً على مائدتها. لا اريد ان انزلق إلى موضوع لا تود الكلام فيه. باختصار ما هي «المحاذير» عبر هذا الحوار؟**

■ اعتدل هيكل في جلسته. تماماً كجندي في حالة تأهب وراء مدفع سريع الطلقات.

ـ لا محاذير على الاطلاق واعتقد ان احداً لا يستطيع ان يتوجـه الـى الافـق الانساني الاوسع الا من نقطة بداية محددة هي وطنه وما عليه من الناس والقضايا وهذا يحقق لقاءه بالعالم الاكبر. اسال ما تشاء ShooT/ أي. . انطلق. .

دار الشريط داخل المسجل ليحفظ حتى همهمات هيكل من الضياع!

وفي الحقيقة لم اكن اريد ان «انطلق» وكأني اؤدي مهمة جافة كلفت بها. هناك فارق كبير بين «الواجب» و«الرغبة»!

لقد تمنيت ان اعيش عبر الحوار قصة حب على الاقل خلال الوقت الذي حدده لي الاستاذ هيكل! ذلك اني اؤمن ان الحديث الصحفي كقصة حب. نعم، فيه من قصة الحب بعض عناصرها. الموعـد. اللهفـة. اللقـاء. الابحـار. المغامـرة. الكلمات. الشطآن المجهولة. الغموض. اللمسات. الوعد بلقـاء اخـر. ثم. . الفراق!

المهم. تركت الاشياء الصغرى تقودنا قبل ان نضبط «موجة» الحوار. لاحظت ان الاستاذ هيكل يختلس النظرات لكتاب بغلاف مصقول جذاب موضوع امامنا. وعينا هيكل ـ بالمناسبة ـ تفضحه. هما شاشة داخلية في دائرة تليفزيونية مغلقة، تستطيع ان تقرأ عليها احاسيسه ومشاعره!

ـ الكتاب جديد. انه احدث كتبي. عنوانه بالانجليزية معناه «عودة اية الله». كنت قد انتهيت منه قبل ان ادخل السجن، وحين افرج عني وجدته مطبوعاً «وكانت أجمل هدية».

قالها هيكل بسعادة موزعة ـ بالعدل ـ على كل أعضائه فهو «صورة وصوت و. . رأي»!

● **قلت لهيكل وانا اختار عبارتي بعناية. «قلمك هاجر بعض الوقت» ربما لان الكتابة عندك وظيفة لا ارادية. كالدورة الدموية. كالتنفس، كالجوع. كالعطش! لقد كنت اقرؤك خارج الحدود واشتري كتبك الغالية الثمـن. . خارج الحدود. و. .**

■ وقاطعني هيكل بطريقته: «بين قوسين، ليس لي علاقة بتحديد ثمن كتبي. هذه مهمة الناشر» استمر، ماذا كنت تريد ان تقول؟

● **قلت ـ بعد الجملة الاعتراضية ـ بنفس النبـرة الحميمـة: كنت أريد أن اقول، ألم يشتق قلمك لمصر؟ تنهد هيكل. التنهيدة لهـا الف معنى ومـا تمنيت ان اجري حواراً مع أحد على شاشة التليفـزيون الا مع.. هيكل. اجاباته تسبق صوته!**

■ اكتب على لساني ما أورده دائماً: خارج مصر ليس لي قبر وليس لي عمل وليس لي مكتب وليس لي أي شيء. بل أنا لا أطيق البعد عن مصر وقلت مرة للصديق جوردون بروك شبرد مدير تحرير صنداي تلغراف وهو يغريني بالبقاء في لندن.. «لقد غبت عن وطني أكثر من شهرين وهذا أقصى ما أطيقه في فراقه». وأتذكر أني سألته «ما الذي يتبقى من شجرة تخلـع من تربتهـا؟ لوح خشـب!!» هذه أرضية للاجابة عن سؤالك لتكن الاطار، وتبقى الصورة. لقد قيل يومـاً أن الصـحفيين المصريين يكتبون خارج مصر ضد مصر. ولم يكن هذا الكلام دقيقاً بالنسبة لي على الاقل. ان الناس على قناعة أني فيما كتبته لم أقل كلمة واحدة في حق مصر. بل اصارحك أني في وقت من الاوقات تمنيت أن يلتقط أحد مقالاً واحداً أسأت به إلى مصر وينشره هنا، ليقدم الدليل على ادانتي. ويكتب بالمـانشيت الأحمر أو الأصفر: «هذا ما يقوله هيكل بعد تاريخه» لكن شيئاً من هذا لم يحدث.. وظل الطنين!

● **قلت: لكنك اختلفت في الرأي، وبلغتك (لم يعجبـك الـطقس)، فكان الصدام، مع انك تعترف أن «التقاليد الحضارية في مصر تستطيع أن توفر ـ في بعض الأحيان ـ قدراً من الأمان لرأي مخالف أو مختلف وهذا أصعب في أي مكان خارج مصر في العالم العربي..».**

■ قال هيكل بسرعة الضوء.. «نعم قلتهـا انصافـاً، ونعـم اختلفـت. اختلفـت كصحفي هناك قضايا تحل بالحوار وتقول رأيك فيهـا بكل الأدب وكل الـذوق، وهناك قضايا تشعر أنها مسألة مبدأ ومفترق طرق.. وربما كنت مخطئاً وربما كنت على صواب، لكن يبقى الحاكم هو صاحب القرار في النهاية فهو الرجل المنتخب دستورياً وهو الذي يملك سلطة القرار. ولم يكن هناك مناص من أن أقول رأيي واتحمل مسئوليته حتى النهاية، وأعترف أني تصرفت ـ كمـا يجـب أن يتصـرف

الصحفي ـ صاحب الرأي في أي مكان في الدنيا وفي العالم الثالث على وجه الخصوص. وهنا وقع الصدام. لقد كان الحوار مفتاحاً لعديد من القضايا الواردة.

● و. . فجأة قفز هيكل إلى موضوع اخر. ربما كان متصلاً ـ في ذهنه فقط ـ بما يرويه لي لكنه قفز. فقفزت بانتباهي معه. أصغي له!

■ ـ «أنت تذكر في عام ٧٣، حاولت السلطة أن تضع مقالاً لي تحت الرقابة. كان عنوان المقال «كيسنجر وأنا مجموعة أوراق». أنت عشت هذه الايام وعايشت الظروف الملازمة للمقال، فما زال لك ذاكرة لم تصدأ بعد! يومها رفضت أن تحال أوراق المقال إلى. الرقيب! ربما كان الاخرون يقبلون وبكل استسلام أن يقرأ الرقيب ما يكتبون، وليس هذا شأني. كان هذا أيضاً واحداً من أسباب الصدام فقد قيل لي «كتاباتك بتعمل لي بلبلة»!

● كل أجهزة هيكل «الداخلية في خدمته. ذاكرته، مرصده، ذكاؤه». واستطرد يقول. .

■ ـ لقد قيل يوماً أنه في وقت من الأوقات كانت الصحافة مغلقة علي بالضبط في زمن عبد الناصر. وقيل أني كنت أحتكر الأخبار لنفسي. قيل ما قيل. وفي نفس الوقت كان احسان عبد القدوس يكتب وأحمد بهاء الدين يكتب وجلال الحمامصي يكتب ومصطفى أمين حتى عام ٦٥ يكتب ويوسف السباعي يكتب. وعندما كنت رئيساً لمجلس ادارة أخبار اليوم قمت بعدة خطوات أعتز بها وأنت شاهد وموجود. عينت جلال الحمامصي مشرفاً عاماً على التحرير. أعطيت موسى صبري سلطات رئيس تحرير. طلبت من أنيس منصور أن يكتب باباً ثابتاً واخترت بنفسي عنوانه. جاء أنيس بثلاثة عناوين وكان متردداً فاخترت «مواقف» الذي يكتبه حتى هذه اللحظة. قل لي كيف تغلق الصحافة على صحفي. انني في حيرة من أمر بعض الأقوال التي أحاطت بي. لقد كنت أحافظ على كرامتي كصحفي. ثم أنه كانت هناك ثقة بيني وبين عبد الناصر. ودخلنا معاً في مناقشات لم أحجب رأيي عنه فيها. لعلك تذكر أيام الاتحاد الاشتراكي الذي حاول أن يكون حكومة فوق

حكومة، أو حكومة إلى جانب حكومة وأغرق نفسه في متاهـات فكرية تعبـر عن أشخاص ولا تعبر عن فكر جماعـي. في تلك الاثنـاء كنـت أنـادي في مقالاتـي بـ «تحييد أمريكا» فماذا حدث؟ خرج أربعة كتاب في «الجمهورية» بأربع مقالات كل مقال صفحة، تهاجمني: فاين الصحافة المغلقـة علـى هيكل؟! لقـد كنـت بالنسبة لعبد الناصر صديقاً. كان يثق في خطي الاستراتيجي وفي سلامته. كنـت اكتب، ولا يقرأ مقالي كما كان بعض الناس يتصورون.

● **قاطعته همساً: أرجو أن تصحح معلوماتي ـ للتاريخ ـ كنت أعرف أنك تقرؤها له يوم الثلاثاء ظهراً. وأنك تمنع دخول أحد مكتبك في هذا الوقت لتأخذ براحك في الحديث التليفوني. وأتذكر الآن أني عندما غضبت السلطة عليَّ عام ٦٤ في منتصف أكتوبر على وجه التحديد، لجأت لك، ففتحت قلبك وصدرك واحتملت عبارات سخطي وامتصصتها حتى دق تليفون بيتي لتبلغني بعودتي إلى موقعي في روز اليوسف. أتذكر أنك طلبت تأجيل الموعد من الثلاثاء إلى الأربعاء!**

● قال هيكل: للتاريخ أيضاً، لم يكن يقرأ عبد الناصر ما أكتب لا يوم الثلاثاء ولا يوم الأربعاء ولماذا تذهب بعيداً، ألم يقولوا أن عبد الناصر كان يفرك في جيوبـه ويعطيني أخباراً. أنني أعترف لك، ربما لأول مرة، أني شاركت في «صناعة أخبار» ولم أكن مجرد صحفي أجري وراء خبر، إنني صاحب فكرة فتح قناة السويس عام ٧٥ صارحت بها الرئيس السادات ولقيت «قبولاً» لديه. وأنا الذي كتبـت الخطـة وقتئذ. ولو كنت وقتئذ في «الأهرام» أليس طبيعياً أن أنشرها قبل أي أحـد آخـر. ولكني أعرف الخطوط الفاصلة للأشياء.

● **قلت لهيكل: أظن أنه مضى على احتجاب اسمك عن الاهرام سبع سنوات؟**

■ قال بسرعة: هل ابتلعني الصمت؟ لقد فتحت دكاناً صغيراً وأخرجت للعالم الخارجي بعشرات اللغات مجموعة كتب. نقلت نفسي من السوق المحلي إلى السوق الدولي واستطعت أن أثبت أنه من الممكن لكاتب مصرى أن يكتب في

التايمـز والنيويورك تايمز والصاندي تايمز. أدعي أنني كنت مخلصاً لمهنتي قدر استطاعتي!

● **قلت معلقاً على تواضعه الجم: انت صحفي مزروع كالرمح في زمـن الكلمة العربية.**

● اجاب معلقاً على تعليقي: مصر ـ وحدها ـ هي التي أهابها اجلالاً و «ملء عين حبيبها» كما يقول بيت الشعر المشهور!

● **قلـت لهيكل: لهـذا لم يكن غريباً أن أسمعـك تقـول أن موقـع «الجرنالجي» لديك هو الموقع الاثيري. لهذا أدرت ظهرك للمناصب دون قطرة «ندم».**

● قال هيكل: الذاكرة الانسانية ليست مسطحاً من الماء الاسن العـكر. لسـت احلم بمنصب مهما تعالى قدره. لقد عرض عليّ الـرئيس الراحـل عبد الناصـر «الوزارة» عام ٥٦. وعرض على الرئيس السادات مناصب اكثر من الوزارة. وكنت طول حياتي ارفض واعتذر لا لاني متعفف على «المنصب المرموق» ولكن لان لي فلسفة بسيطة للغاية وهي أن كل انسان ميسر لما يقوم به من دور أنا اعتقد انه مرسوم لي أن اؤدي دور الجرنالجي. عيناك تسألني لماذا أصر على كلمة «جرنالجي» لاني أشعـر برائحـة حبـر المطبعـة فيه وأراه مناسبـاً لاحلامـي أريد أن أكون دائمـاً مجرد مخبر صحفي Reporter بالدرجة الأولى!

● **قلت لهيكل ـ وفي رأسي ـ هذا الحب والوله للمهنة الذي «اورثه» لبعض تلاميذه الذين دلفوا إلى مواقع مرموقة: صلاح جلال ومكرم محمد أحمد..**

ـ دعني اسألك عن معنى «الصراحة» التي استخدمتها في مقالاتـك.. هل هو كشف النقاب عن أشياء لا نعرفها. هل هي معلومات تعرفها انـت ونجهلها نحن.. ماذا بالضبط؟

■ قال كاتب بصراحة: ليس للصراحة مفهوم اخباري.. الصراحـة ـ رأي ـ أولاً واخيراً. الصراحة أن تعرض أمام قارئك قضية، وتحللها وتقول رأيك، كما تعتقد، وتتحمل شجاعة معتقداتك!!

● صمت هيكل قليلاً. شرد مني لثوان. عقله الكومبيوتر في حالة عمل. . اجهزة ارساله واستقباله لم تتوقف رغم صمته!! كان لا بد أن «استعيده» بسرعة. اضطررت أن أسأله سؤالاً شخصياً. (لماذا كنت تقابل زوارك في فندق المريديان بعد الافراج عنك؟) لقد قرأت في صحف العالم عبارة طريفة تقول ان الجناح رقم ٨٢٧ في الفندق تحول إلى «مزار اعلامي»!!

■ ضحك وقال: بيتنا ـ كأي بيت مصري ـ كان في حالة بياض. زوجتي اقترحت أن «نجدد» شيئاً بعد عشرات سنوات. كان المقاولون يعملون بهمة ونشاط حتى قبض عليَّ ذات ليلة، وما زلت اعتبر بالمناسبة أكبر فشل في حياتي، انني ما زلت عاجزاً عن سر حملة الاعتقالات الأخيرة التي أودت بي إلى السجن!! نعود للموضوع. كانت زوجتي خلال عملية «البياض» في بيت إبني «علي» فلما افرج عني قالت أن بيت علي مثل علبة السردين، لا يسع أكثر من خمسة أشخاص واقترحت هي الاقامة في فندق ريثما ننتهي من البيت!!

● تأكدت أن الأستاذ هيكل عاد إلى «موجة» حوارنا المشترك. فقلت له، أريد شهادتك على عصر عبد الناصر؟

■ قال وقد لمعت عيناه: السؤال كبير، الاجابة عليه ستكون في كتابي القادم، لكني قلت لك أن مصر قد صورت في عصر عبد الناصر وكأنها تجولت إلى معسكرات اعتقال وكأنها كانت طبعة رخيصة لعصر هتلر في عهد المانيا النازية، وفي هذا تجن كبير على الحقيقة. لقد كنت الصحفي الوحيد الذي شهر قلمه في «التجاوزات» التي حدثت في عصر عبد الناصر وهي تجاوزات تحدث في مراحل التحول التاريخي. لم انتظر وفاة عبد الناصر لاشعر أني صحافي حر. .

● قلت: في وقت من الاوقات، كنت أشعر انك «تملك» وحدك، حق التصدي للتجاوزات. لم يكن باستطاعة أحد أن يستأصل حنجرتك!

■ قال هيكل وقد ارتفع باجابته إلى ما هو أكثر شمولاً: تتحقق وقائع التاريخ وحقائقه عن طريق نشر وثائقه وعن طريق شهادات الذين عاشوا تفاصيله وعن طريق فتح باب الدراسة والمناقشة والحوار والتحليل. هذا ما تفعله الدول

المتقدمة لتجلو الحقيقة. . بدلاً من منطق الادانة المطلقة. منطق شجب عصر بأكمله!!

● **قلت لهيكل: عندي سؤال، كان مفروضاً أن أبدأ به الحوار لأنه يلح علي منذ رأيتك. اريد أن أسألك كيف استقبلت «طعنات» الأصدقاء والزملاء وفي رأسي حكايات نشرت ليلة القبض عليك وكأنها «انتصارات» صحفية. . مع أن القبض على «كاتب» حادث يهز الضمائر. قل لي، ما هي «العبرة» التي تشعل شموعها في عتمة المحن؟**

● قال: لقد كنت أحس بدين في عنقي لمشاعر صامتة أبداها كثيرون في مصر أصالة ونبلاً، كذلك كنت أحس بنفس الدين في عنقي لاهتمام عربي وعالمي أنستني أصداؤه في جو مرهق وموحش. هذه حقيقة، أما الحقيقة الثانية فانا عندي قناعة انه (لا يصح الا الصحيح). وعندي قناعة أن (كل رجل موقف) اما لعبة الصحافة المصرية فلا دخل لي بها: أنا عاكف على كتابة كتب. ولعبة السياسة المصرية، أراقبها من بعيد وأرجو التوفيق للرئيس حسني مبارك، فهو رجل دوغري وصريح ويتكلم بوضوح وبدون مسرحة ما يقول. إننا نساعده كثيراً في هذه المرحلة بصمتنا، الايجابي.

● **شعرت أن هيكل لم يرد على سؤالي. زاغ مني ربما شعر أنه فوق هذه الجراح الصغيرة. ربما تسامى على الحديث فيها. ربما!!**

لكني عدت وسألته عن «هيبة» الصحافة المصرية، كيف نستعيدها؟

صمت هيكل واكتسى وجهه بشيء ما من الضيق والألم وقال:

■ ـ للاسف أنا مجروح من المهنة. . صحافة العالم كله وقفت معي. أنا اعتقد أني أديت دوري المهني واديت دوري لزملائي. إن رصيدي بدون تشويه، يثبت لك قدر وحجم العطاء المهني. وأنا قابل للحساب عن كل ما كتبت وعن كل موقف اتخذته. وعندما انظر للوراء لا أشعر بما يثقل ضميري. لقد حاولت أن أكون أميناً مع نفسي. لقد كتبوا عني الكثير، فهل قرأت لي رداً. أنا لم أرد ولن أرد، لن أدخل في حوار مع أحد. أنا أعرف قيمة نفسي ولا أغفل قيمة الاخرين، ولا اقلل من قيمتهم!!

● قلت لنفسي همساً: لا يمكن أن يكون هذا الرجل صلباً إلى هذا الحد. إنه انسان قبل كل شيء. لقد كان هنري ميللر يقول: «حتى في أعتى رجال السياسة بصيص من الانسانية». وكان برتراندراسل يرى أن الانسان «حزمة أعصاب وأحاسيس هيكل في منطقة الجفاف». هل حزمة احاسيس هيكل في منطقة الجفاف، فسوف اسأله: ما موقفك ازاء «غدر» البعض بك..

ويبدو أن السؤال جاء في توقيته النفسي والتسلسل المنطقي للحديث..

■ فقد قال: أنا أعطي دائماً العذر للطبيعة الانسانية. هناك موقف لم أفهمه.. حين كنت في السجن لم أقرأ شيئاً. وحين خرجت جمعوا لي ما كتب، فوضعته في ملف مكتوب عليه «قراءات مؤجلة» ثم قرأتها اكتشفت أن صحافة العالم وقفت معي فيما عدا «الصحافة المصرية».. ثم بدأت أسمع «أعذاراً». من يقول لك «كان مضغوطاً علينا» و«كنا مضطرين» و.. «أنت عارف الظروف» و«سامحنا»!! واعترف لك أني أقفلت هذه الصفحة عملاً بمبدأ «أعط العذر للطبيعة البشرية».

● كان لا بد من تغيير الموضوع. لاحظت أن الحوار أخذنا وكنت قد اشتقت لفنجان قهوة مضبوط ولكني كتمت رغبتي حتى أستنفد الوقت الذي حدده لي هيكل عن آخره. ذلك أن كل دقيقة معه «حبلى» بمفاجأة أتوقعها.

قلت له: صحافة معارضة مستنيرة، ما معناها في ذهنك!!

■ قال: اسمع يا مفيد. الصحافة في كل العالم جزء من الحياة السياسية. فإذا كان هناك تعدد سلطات في أي بلد، فمن الممكن أن تكون الصحافة سلطة مستقلة. الصحافة في العالم الثالث أمرها مختلف. هناك سلطة واحدة وأنت تعلم ظروف هذه الحقيقة نحن ننتقل من المرحلة القبلية التقليدية الى مرحلة الشرعية الدستورية القانونية. ومروراً، يبرز بالطبع دور «الرجل الواحد» وهي مرحلة الانتقال. في أوربا مثلاً، برز كرومويل وبسمارك ونابليون. نحن نمر بهذه المرحلة وعندنا شخصيات على مقاسنا يقف في أولهم عبد الناصر الذي ما زلت أكرر وأقول أنه فعل شيئاً ضخماً في منطقتنا وأعاد صياغتها وقلب مفاهيمها. هذه الشخصيات التاريخية لا تشترى من «السوبر ماركت»!! نتاج ظروف تاريخية. الصحافة في العالم الثالث هي جزء من الحياة السياسية، فاذا كانت سلطة واحدة،

فالصحافة متصلة بهذه السلطة الواحدة. وعلى الصحفيين أن يقرروا هل هم «ذيل» لهذه السلطة أم هم بقرب رأسها؟ أنا اعتقد أن مكاني بقرب رأسها وأعلم مقدماً أني متناقض مع السلطة وليس بالضرورة ضدها. أنا طرف محاور للسلطة. لا يمكن أن نتكلم سياسة خارج التاريخ. لا بد أن تعرف طبيعة المرحلة فاذا كانت طبيعة هذه المرحلة «الأحادية». فانت كصحفي تتعامل مع السلطة بقيمتك. لا أحد يعطيك قيمتك.. أنت وحدك الذي يفرض قيمته. لقد كان وما زال عندي قناعة أنه لا صحافة خارج السياسة. وقلت رأيي.. قلته بأدب أحياناً، وقلته بالهمس أحياناً، وقلته بالايماءة أحياناً، ثم قلته بما هو أبعد من الهمس.. وحين صارت المسألة، مسألة مبدأ ومصير.. قلت رأيي ومضيت!! لقد اختلفت مع الرئيس السادات في قضايا كثيرة. اختلفت معه في قضية «نقل الصحفيين». اختلفت معه في آرائه حول «عام الحسم». اختلفنا في «تحييد أمريكا». اختلفنا حول مفهومي لدور «الاتحاد السوفيتي» المستفيد من حالة اللا سلم واللا حرب. كنا بالحوار نتفاهم.

وكان هو صاحب الحق في اتخاذ القرار وتكوين المعتقد. كنت فقط أقوم بدوري المهني وأغطي الجرنال اخبارياً. حين جاءت قضية «فك الارتباط».. اختلفنا ولم ينفع الحوار. فكان الصدام. انتهى بأن قال عبارة من كلمتين «سيب الأهرام». قبلت رأيه وتركت الأهرام. عرض عليَّ بعدها أربعة مناصب: نائب رئيس الوزراء، مستشاراً للأمن القومي، رئيساً للديوان ثم الصحافة بشرط الالتزام، واختلفنا على مفهوم الالتزام. لقد اختلفت حتى الصدام لأن القضية كانت «مصير» و«مفترق طرق»..

● **قلت لهيكل هل تتصور ـ في مرحلتنا القادمة ـ الغلبة لصحافة الخبر أم.. صحافة الرأي؟**

■ قال بسرعة وكأنه حسم الأمر قبل سؤالي: سواء كان خبراً أم رأياً: فما ينبغي أن يسود هو صحافة الاستنارة. لقد كنت سعيداً برأي الرئيس مبارك حين قال ان العمل الوطني الجاد يحتاج أن نفتح صفحة جديدة معنى ذلك أن البلد مقبلة على مرحلة خطرة. والخطر عندي ليس فقط مسألة الإرهاب فما حدث على المنصة ـ يوم

٦ أكتوبر ٨١ ـ ليس حادثاً فردياً. . ولو تصورت هذا. تقع في خطأ كبير. ليس هناك «إرهاب» إلا في مناخ يهيىء له. على الأقل يسهل. على الأقل يعطي الجو المناسب. على الأقل يمهد. ونحن لدينا مناخ اقتصادي واجتماعي يمهد. ويهيىء!! نعم، ليس هناك إرهاب إلا في مناخ يمكن من الإرهاب!!

● واعتدل هيكل، وأشعل سيجاراً وقال: دعني اسألك سؤالاً محدداً.

ـ لماذا نتكلم عن الفساد، وندير ندوة للنفاق ـ فقط ـ بعد حادث المنصة لا بد أن للحادث عمقاً. إن حادث المنصة. مزق القناع الذي كان يغطي وجه الحقيقة في مصر. صحيح لقد كان هناك أضرار. ولكن وهج الرصاص نبه إلى ما هو أخطر. .

ثم صمت هيكل وقال وهو يتنهد: هذا هو الجزء الظاهر من «عائمة الجليد» والمختفي أكثر!! و..........

وللحوار بقية.

عمق حادث المنصة (٢)

للشاعر الانجليزي «شيللر» قصيدة، تقول بعض أبياتهـا . . «انهض بجسـارة بجناحين . . . ».

«وحلق فوق عصرك . . ».

وأنا لا أعرف متى قيلت القصيدة وما مناسبتها لكنني تذكرت هذين البيتين : وأنا أقابل «هيكل» للمرة الثانية . . ربما لأنه يعطيني احساساً انه بعد احتجاب فرض عليه ولـم يكن باختياره . . «نهض بجســارة . . بجنــاحين» . . و «يحلــق فوق عصره» !

ان هيكل، ينطبق عليه المثل الاسباني القائل «ان تعيش بدون هم، فهذا هو الهم»، وتظل هموم مصر . . بالدرجة الأولى ـ هي قدر هيكل ومحطات صدامه!

صباح يوم أربعاء، كان الموعد، زرته في مكتبه بشقته المطلة على النيل، إذ كان بيننا حوار . . انقطع أياماً . . ويشتاق للوصل!

● مجلة صباح الخير ـ ١٩٨٢/١/٢١ ـ مفيد فوزى

كان هيكل يقول: «ما حدث على المنصة يوم ٦ أكتوبر عام ٨١ هو الجزء الظاهر من عائمة الجليد. . والجزء المختفي أكثر» قالها كحقيقة ثم سكت!

تبنيت نظرية الراحل د. محمود فوزي الخالدة والمشهورة عنه: الصمت، مؤمناً بالمثل الانجليزي «الاصغاء الجيد حديث جيد»!

صمتي المتعمد أغرى هيكل بالتدفق كان مهماً أن أعرف رؤيته للحادث وأسجلها فربما لفرط «الجوار» من الأشياء نفقد الرؤية السليمة والحكم الصحيح لقد كان هيكل يراقب. . ويرى أن. .

فماذا رأى؟!

■ عمق حادث المنصة أنه مشكلة اقتصادية اجتماعية، أنا أرى شباباً مصرياً في حالة With drawal انسحاب من المجتمع. ينسحب سواء بالهجرة إلى العالم العربي ليحسن أوضاعه المالية أو بالهرب إلى الجماعات الدينية المتطرفة، لأنه فقد الحلم، وعندما يضيع الحلم تحدث عملية هروب إلى كهوف الغرائز، لقد كتبت هذا الكلام يوماً ما، قلت بالحرف الواحد «عندما يهرب الناس من شمس العقل يدخلون كهوفاً معتمة. . . » لقد حاولت أن أنبه الانظار إلى مدى خطورة «غياب» الحلم أمام الشباب قبل أن تتفاقم مشكلة الجماعات الدينية ويصل تطرفها، ذلك المدى!

● قلت لهيكل: وأنت تتحدث عن الأحلام في حياة شبابنا، أعلم أنك تتحدث عن واقع محسوس، ليس شعراً فيه أمطار حزن أو شلالات شجن.

■ قال: هو واقع محسوس حقاً، فأنا أدعي أن مصر الخمسينيات والستينيات كان عندها أحلام، كانت تقود حركة تحرير وطني، زعيمة الأمة العربية، تقيم سياسة تصنيع، تبني السد العالي، تخوض معركة السويس، تتزعم دول عدم الانحياز، كل

شاب يخرج من الجامعة إلى ميدان الحياة العملية يعرف أنه سيجد وظيفة وبيتاً بسعر معقول، كان هناك محاولات تثبيت أسعار، إذا كان هناك أمام الشاب تضحية ومعاناة، فلا بأس ما دام ليس هناك أصحاب ملايين، وإذا كان هناك «صاحب ملايين». فهو يخفي «ثروته» لكنه لا يظهر في الشارع المصري بهذه الصورة السوقية VULGAR وعلى أي حال، كان عدد أصحاب الملايين في الستينيات قليلاً جداً.

● **استأذنت الأستاذ هيكل في جملة اعتراضية قصيرة! أعطاني اذنه فقلت «كان هناك أيضاً في مصر الستينيات ـ أيام عبد الناصر ـ فساد فلم يكن العصر منزهاً أو غارقاً في البراءة والطهارة. . .».**

■ قال هيكل. . «لكنه كان فساداً من نوع آخر، فساد في حدود الرشوة! أن ترشو موظفاً لاستعجال مصلحة ما لديك. . أن ترشو «عسكري مرور» قبل أن يحرر لك مخالفة كانت رشوة في حدود اجتماعية ضيقة، لكنها لم تكن بهذا الاتساع الهائل الذي يصم أذنيك طنينه!

ثم صمت هيكل كلاعب الكرة الماهر الذي يتوقف بالكرة لحظة ليسددها داخل المرمى وقال لي: هل تعرف عدد أصحاب الملايين اليوم ـ وأنت تعيش داخل الوسط الصحفي ـ ولك أذنان للسمع؟

إنهم عشرة آلاف واحد! تعال نتساءل: كيف حدث هذا؟! أنت تعيش في بلد متوسط دخل الفرد فيها (٣٥٠ دولاراً في السنة) في بلدك خمسة ملايين أسرة بمتوسط دخل قدره (٣٠ جنيهاً في الشهر) فكيف تستطيع أسرة أن تعيش بهذه القروش؟! ضع في اعتبارك أن متوسط عدد أفراد الأسرة في مصر خمسة أشخاص: فكيف تحيا قل لي!!

كانت مصر الستينيات ـ وليس هذا تحيزاً ـ عامرة بالأحلام، كان الحلم يتمثل في «اعتزاز بوطن وتجربة»، و «اعتزاز بالانتماء لقومية»، لقد كانت مصر تقود حركات سياسية في العالم، مثلاً، كان مطلوباً من مصر يوماً ما حل مشكلة فيتنام، كانت مصر طرفاً فعالاً في كل قضية عبر زعامتها للعالم العربي، وسط هذا المناخ كان الشاب المصري يحس بكيانه الاعتباري، لم يكن قد وصل لحالة الذل،

عندما ينسحب من الميدان فاراً إلى بلد عربي يجمع قرشين ويعود ليشتري شقة أو يدفع مهراً لعروس تنتظره!

الحلم المصري الذي كان في الستينيات سواء في تجسيده أو في رموزه المعنوية ضاع من الشباب المصري.

● قلت لهيكل: لقد ضاع «الحلم» أيضاً يوم هبت رياح النكسة وعصفت بكل شيء وأظن أن نسمات الحلم عادت بعد عبور ٧٣.. فهل بالغت في التقديرات؟

■ قال هيكل: إنصافاً للحقيقة، فأنا أعتقد أنه بعد حرب أكتوبر استعيد كل ما ضاع بعد ١٩٦٧، وقد كنا في حرب أكتوبر نملك كل عناصر القوة، وكان العالم العربي يحارب معنا بسلاح البترول، وكانت الدنيا تنتظر، أمريكا ترقبك.. الاتحاد السوفيتي معك كطرف، ثم كانت لدينا فرصة استعادة الحلم، والمضي أكثر لتحقيقه..! ومع الأسف لم يحدث ما تمنيت! لقد شعرت وقتئذ أننا على مفترق طرق (الرئيس السادات، وأنا) ومصر ـ قبلنا ـ كانت على مفترق الطرق، لقد كتبت مقالاً أعبر فيه عن رأيي، وكنت أعلم مقدماً أنها ستؤدي إلى صدام ولكن لم يكن هناك حل آخر أمامي! كنت أعلم أن هذا موقف تاريخي، لا بد أن يقول الكاتب فيه كلمته، كنت مؤمناً أن كل واحد ـ في مصر ـ يجب أن يقف و«ينعد صوته» To stand up and be counted وكانت محطة صدام!

■ قال هيكل: لقد وضعتني الظروف لفترات طويلة بالقرب من صانع القرار المصري، كانت هناك صداقة ربطتني بالرئيس جمال عبد الناصر وبالرئيس أنور السادات بعده وكنت ألخص مهمتي كصديق بالقرب من صناع القرار في عنصرين لا ثالث لهما، وأعتقد أنهما العنصران اللازمان لكل من تضعه الظروف التاريخية بقرب صانع القرار في أي بلد من البلدان.

ـ أولهما: أن لا يفاجأ صانع القرار بأي تطور أو بأي تيار فكري.

ـ ثانيهما: عندما يقع أي تطور أو يبرز أي تيار، فلا بد أن تكون هناك بدائل متعددة الحركة بحيث لا يجد صانع القرار أنه أمام خيار واحد لا مناص من قبوله!

● قلت لهيكل: يبدو أننا ابتعدنا بقارب الحوار عن الشاطىء الذي كنا نرسو عنده، لقد كنت أطلب تخيلك لحادث المنصة!

■ قال بابتسامته التي تبدو فيها الثقة أكثر من الابتسامة: نحن لم نبتعد عن الموضوع، إنها «روافد» متعددة تصب في قضية واحدة، وهي قضية غياب الحلم من حياة الشباب المصري.. مما جعلهم ينسحبون أو يدخلون الكهوف المعتمة أياً كانت التسميات. وأريد أن أتساءل أمامك: هل يعقل أنه في خريف ٨١ يزج ببلد بأكمله في السجن؟ بكل اتجاهاته: اليمين واليسار والوسط وقبل ذلك مشايخ مسلمين وبابا الأقباط؟! ويطرح التساؤل تساؤلاً آخر: هل يعقل أن يستفتي على مصير «بابا الأقباط» في شعب فيه أغلبية مسلمة؟ هل يعقل أن تستفتي أقلية في مصر على مصير الجماعات الدينية الاسلامية؟! معنى ذلك أن هناك «تراكمات» كثيرة خاطئة أدت إلى حادث المنصة! إن مشهد المنصة كان «ختاماً» وليس «بداية». إن الحادث هو «قمة» ما جرى ولكن الخلفية عبارة عن أخطاء وتعقيدات لا حدود لها. أخطاء وتعقيدات اقتصادية واجتماعية وفكرية وسياسية.. حتى في «الانتماء»!

والتفت لي هيكل فجأة وسألني: ألست تريد الصراحة؟ هل نلف وندور حول الموضوع دون أن ندخل إلى صميمه وجوهره؟

أومأت برأسي بشدة فاستطرد يقول: كيف نقول لشبابنا أن عصر ما قبل ٢٣ يوليو، كان عصر فساد، ونقول له في نفس اللحظة وعصر جمال عبد الناصر كان فيه تجاوزات، والوجه المضيء على مدى مشوار مصر يبدأ فقط من عصر الانفتاح حتى كامب دافيد! هل يعقل هذا؟! كان هناك خلل، فما حدث على المنصة كان ومضة برق أو صدام رعدي إن جاز لي التعبير، كشف أشياء كثيرة عليك أن تتنبه لها.. وتعيد ترتيب أوراقك!

● قلت همساً: هل هذا مطلوب في هذه اللحظة من تاريخ مصر مع الرئيس مبارك؟

■ قال هيكل: نعم، واحد من المطلوبات الأساسية، لا بد من دراسة ما حدث بعمق كبير، لأن نتيجة هذه الدراسة تقودنا حتماً للأسئلة الحيوية الكبيرة وأهمها ـ وأنا أشعر بخجل وأنا أقولها ـ من أنت؟! لا بد من تحديد هويتك في هذا العالم

وماذا تريد وما هي وسائلك لتحقيق ما تريد، وهل هي في مقدورك أو تعجز طاقتك عنها، وكيف يمكن «مرحلتها» بالزمان والمكان إذا كانت فوق طاقتك؟!

● **قلت لهيكل: أنا لا أشك لحظة في أنك تعادي هذا الأسلوب المحتقن من الحوار. . حوار الرصاص؟**

■ قال بسرعة: لا أحد في الدنيا يقبل الحوار بالرصاص، ولكن لا تنس أن الحوار بالرصاص كان رداً على «عنف» زادت حدته وأصبح من الصعب أن تحدد من الذي بدأ بالعنف! وتعال نبحر إلى الوراء قليلاً بقاربنا إلى ١٨ و ١٩ يناير يوجد حكم صادر من المحكمة يقول «كان الناس على حق عندما ثاروا». لقد أصدر القضاء المصري حكماً في تلك الفترة لا أذكر نصه الحرفي ولكن فحواه أن الناس فوجئت بتصرفات غير طبيعية أعقبها ارتفاع في الأسعار وجد فيه أغلب المواطنين أنهم غير قادرين على الحياة، فلماذا أطلقنا عليها ثورة حرامية ثم قمعناها بعنف عام ١٩٧٧ إن هناك شاهد إثبات على ما قلت هو المهندس سيد مرعي، لقد قلت له أنه من الممكن قمع ما جرى هذه المرة في الشارع ولكنه سوف يتحرك بعد ذلك إلى تيار عنف فردي قلت هذا الكلام في يناير ١٩٧٧، وقد كان حادث المنصة «الترجمة الفعلية» للمأساة أنا لا أقول تنبأت به، ولكن حاولت أن أدق الجرس!

تساؤلات هيكل ذكرتني بقول فولتير «تستطيع اكتشاف انسان من نوع أسئلته لا من اجاباته فقط. .» إن هيكل يشعر دائماً أن هناك اتفاقية شرف بين الكاتب وقرائه. . ومن أهم بنود هذه «الاتفاقية» المصارحة بالحقائق. . وأسلوب هيكل في المواجهة بسيط للغاية، إنه يتساءل بغضب، لكنه غضب الغيور على بلده. . و!

وقطع تأملاتي فنجان قهوة، اشتقت إليه، فجاء في لحظة الشوق العارمة.

على مكتب هيكل لفت نظري مسودات كتاب جديد، وربما مقالات، لكن هناك في ركن قصي «كروت معلومات»، إنه يكتب على ضوء المعلومات، وفي غيابها تصبح الكتابة هشة وينقصها الدقة!

■ قال هيكل بعد أن قرأ فضولي: هذه مسودات كتاب بالفعل عن حياة جمال عبد الناصر، وبمعنى أدق عن مصر في تلك الفترة، بين ٤ فبراير عام ٤٢ . . إلى حرب أكتوبر. أنا أعتقد أن هذه الحقبة تمثل جذور عبد الناصر.

لم أمرر كلام هيكل بسهولة، صحيح. . لن يعترض جهاز التسجيل لأنه يسجل كل شيء دون غربلة حتى دق وخبط همال البياض في الغرف المجاورة، لكنني أملك الاعتراض إذا أردت، فلست ـ رغم حبي واحترامي لهيكل ـ أقيم حفل تكريم له فوق الورق، إنه لا يحتاج إلى مساهمتي ولذلك سألته الايضاح عن تصوره أن «جذور عبد الناصر ممتدة إلى حرب أكتوبر».

■ قال هيكل: ليس في الأمر أي غموض، نعم، لقد ظل دور عبد الناصر ممتداً حتى حرب أكتوبر عام ٧٣ رغم رحيله، لقد كان عبد الناصر طرفاً أساسياً في مرحلة الاعداد لحرب ٧٣، لا أحد ينكر هذا، لقد كان الرئيس حسني مبارك قائد الطيران وقتئذ، وكان يعلم أن هناك شيئاً اسمه «خطة جرانيت واحد عبور» ويعلم أن حائط الصواريخ مبني في عهد عبد الناصر، وجاء الرئيس السادات وله فضل، فأضاف إلى هذا وتحمل مسئولية القرار.

● قلت لهيكل: هناك مثل عامي يقول: البعيد عن السلطان، سلطان، هل طرحته على نفسك مرة؟

■ ضحك هيكل وفهم مرمى سؤالي وقال: الغني هو الغني عن الناس، الموضوع ـ في نهاية الأمر ـ أن تكون نفسك وتجد سلامك الداخلي وتعرف جيداً ماذا تريد!

● قلت: أريد شهادتك على الصحافة المصرية!

■ قال: سؤالك مباشر وأنا أحب المقدمات قبل الدخول في الموضوع مباشرة.

● قلت لهيكل: لا يحتمل السؤال مقدمات إنني أقتحم مرصدك!

■ صمت. . وبعد لحظة تفكير قال: ما يفزعني في الصحافة المصرية «التسطيح اللي حاصل» تكتب كتابة إنشائية، لقد كنا نناقش في أوائل هذا القرن قضايا لا نجسر على مناقشتها الآن، في مصر كانت هناك مناقشات عن الدين وعن الديمقراطية وعن العلمانية، كان نقاشاً حراً وجريئاً وأكثر حرارة.

● لأن الحقيقة لا تقبل القسمة على اثنين، قلت لهيكل: لماذا لم تنضم لأي حزب من أحزاب مصر، هل هذه شهادة صامتة على الأحزاب؟!

■ قال وهو يسند ظهره إلى الوراء في مقعده: الانتماء لحزب معناه التقيد بأفكار

الحزب في كل الظروف وأنا لا أعتقد أن هذا دوري هنـاك صحفـي حزبـي، لا اعتراض، وهذه صحافة رأي، لكن الصحافة التي أؤمن بها وهي صحافـة الخبـر وترجمة هذا الخبر للناس والتعليق عليه وتحليل أبعاده، هذه العملية مطروح منها الحزبية وبالتالي لست حزبياً!

● **قلت لهيكل: هذا الاخلاص الكبير لمهنة الصحافة يجعلني أتساءل: لقد كنت في يوم من الأيام بقرب رأس السلطة وليس بقرب ذيلها، ألم يكن ممكناً أن تقدم للمهنة «خدمة» أكثر، أنا لا أقصد بالخدمة الجهد المهنـي البحـث فأنت أعطيت المهنة كمهنة ـ عبر الاهرام ـ الكثير، وأرسيت قيماً صحفية في الاهرام، ولكنني أقصد أبناء المهنة، ألم يكن ممكنـاً أن تضيف إلـى قوانين الصحافة شيئاً، إنتصاراً لمهنة أحببتها وقدمت شبابك لها ودخلت السجن يوماً من أجلها؟ !**

● قال هيكل: أعتقد ـ والسجل شاهد ـ إنني قدمت للمهنة ولأبناء المهنة قدر ما أستطيع، ولا أريد الدخول في تفاصيل لكي لا أنكأ جراحاً قديمة! لكن الواضح أنني قدمت للمهنة سواء للأفراد أو للجماعات أو حتى للمؤسسات الشيء الذي لا يستهان به، لعلك تذكر عندما كنت «وزيراً للاعـلام» كان أول هدف حققتـه هو «اتحاد الاذاعة والتليفزيون». ورجوت الدكتور مصطفى خليل أن يتولى مسئولية هذا المنصب الجديد، وكنت سعيداً بقبوله، وربما كان الهدف من هذا الاتحاد هو كيف نقيم (بي. بي. سي عربية). وكنت أحضر اجتماعاته تحت رئاسته! كنـت حريصاً على الاستقلال الكامل لجهازي الاذاعة والتليفزيون وتكون مفتوحة لكل اتجاه.

وليس سراً أن د. مصطفى خليل ذهب إلى لندن ليدرس نظام الـ بي بي سي، ولا أدري على وجه الدقة الحال الذي وصل إليه هذا المنصب الآن، هناك شيء آخر كنت أطرحه أمام الرئيس السادات بحضور الرئيس عبد الناصر وهـو تحـويل المؤسسات الصحفية إلى جمعيات تعاونية تنتخب مجلس ادارة وهو الذي «يعين» رؤساء التحرير. وحاولت «تطبيق» ما حلمت به في الأهرام ولكن ظروفاً وقفت في

طريقه. . كسد منيع! المهم أن موقفي للمهنة وأبناء المهنة، موجود والسجل ـ كما قلت لك ـ شاهد.

خذ مثلاً آخر، أقرأ القانون الذي صدر بتنظيم الصحافة العربية المتحدة (أخبار اليوم والأهرام). لقد كان الخطوة الأولى في انشاء جمعيات عمومية واستقلال كامل للصحف بعيداً عن الاتحاد الاشتراكي، أنت تذكر جيداً أن المعركة مع الاتحاد الاشتراكي كانت من أجل أن يرفع يده عن الصحافة وأنا الذي وقفت في وجهه وحدي، بالنسبة للجهد المهني، قدمت في الأهرام تجربة أعتقد أنها كانت جديدة، والأهرام ليس ملكي ففي عام ٥٨ اخترت ٥٤ شاباً وشابة من الجامعة وفتحنا كتاباً من الكتاتيب! وتخرجت من هذا الكتاب المجموعة المرموقة في الصحافة المصرية، لقد حاولت اقامة أعمدة مدرسة جديدة في الصحافة تعتمد على الخبر الصحيح وما تسبق به من أنباء ولعله يلفت نظرك أن أغلب الذين اعتقلوا في عهد عبد الناصر كانوا من الأهرام وأنا أقرب الناس له! معنى هذا أننا كنا نحاول أن نستقل.

هل تنسى أني صاحب عبارة «زائر الفجر» ومع ذلك قبض عليَّ منذ شهر واحد من زوار الفجر! أنا مؤمن بتجربة عبد الناصر وأسوأ ما في الوجود هو الايمان الأعمى! أعود وأتذكر أن ما قدمته للمهنة وزملاء المهنة كثير. . ولكن أكبر عيوبنا هو النسيان!!

في بعض الأحيان وهيكل يرد على أحد أسئلتي، أشعر أنه يكتب مقالاً. وأشعر بمنهجه في الكتابة، إنه لا يريد أن يقدمه لقارئه «لفة جاهزة»، إنما يريد أن يطرح أمامه مادة للتفكير، والمشاكل في مقالاته تبدأ بعد قراءتها لأنها تشد إلى الحوار وتحرك بحيرة العقل الراكدة!

● كان طبيعياً أن أسأله عن دوره الآن في السياسة هل هو متفرج أم مساهم لكن صيغة السؤال ـ هكذا ـ ينقصها تقليم أظافر الجفاف فيها على أي حال حاولت وفشلت وألقيت عليه السؤال كما هو بلحمه ودمه؟

■ قال هيكل: أعترف لك أني لست مساهماً ولست مجرد متفرج، تستطيع أن تقول أني «مراقب» أنا أتابع ما يجري أمامي بعين ومسام مفتوحة بكل الاهتمام،

لماذا؟ لأن بلدي تعنيني وهي مرة أخرى عند مفترق طرق وأنا في موقف المتابعة الصامتة حتى الآن.

● **سألت هيكل: عندي تعريف للكاتب المصري، هل توافقني عليه؟**

■ قال: هات ما عندك! قلت: الكاتب المصري هو الذي يكتب عن مصر من داخل مصر وجوهر مادته هموم مصر، قال هيكل بسرعة البرق: ماذا تريد أن تقول هات نهاية السيناريو!

● **قلت دفعة واحدة ودون توقف كقطار ديزل فوق قضبان حديدية: يا أستاذ هيكل، أنت تخاطب الآن القارىء الغربي، كلمتك موجهة إلى الوجدان الغربي!**

■ قال: أرجوك أولاً أن تقرأ أي كتاب كتبته أو أي مقال نسخته لتكتشف أن مادتي الأولى هي هموم مصر وهموم العالم العربي، لكن حينما تعجز أن تقول رأيك بحرية أمام جمهورك الأصلي وقاعدتك الحقيقية ولم تستطع أن تتكلم له، فعلى الأقل تتكلم عنه! وأنا أتصور أنه لفترة من الفترات في تاريخي، لم أستطع أن أتكلم لقارئي فصرت في العالم الخارجي أتكلم عنه!

وهذا وضع أنا لم أختره كما تعرف، لكن كان علي أن أقبل إما أن تحال مقالاتي إلى.. الرقيب، أو «أساير» ما هو مخالف لقناعتي.. وقد كان ممكناً أن أخدم النظام أكثر من غيري لو سايرت ولكن كيف أعادي قناعاتي، كان علي أن أكتب فاخترت ـ بدلاً من أن أكتب لهذا القارىء أثرت أن أكتب عنه، وفي كل ما كتبت، لم تغب عن بالي لحظة هموم الانسان المصري أو العربي بل معي «حاضرة» وسط الصفحات! لم أكتب في التجريد بل كتبت عن «الشعب المصري» وعن قضاياه.

لقد حاولت ـ وأنا أكتب في الخارج ـ ألا أمس المشاكل الداخلية لكي لا أفتح باباً يدخل منه ريح لا أستريح لها!

إن مصالح مصر الاستراتيجية وآمالها وأحلامها.. كانت «مدادي» الذي أغمس فيه قلمي حتى لو كنت بعيداً عن الوطن بالجسد!

● قلت لهيكل: هل تسمح لي أن أوجه لك بعضاً مما يلصق باسمك دوماً أو لنقل أحياناً؟!

■ ضحك هيكل وقال: هل ترتدي ـ الآن ـ ملابس المدعي الاشتراكي؟

● قلت: لا . . ولكن فضولي يريد أن يحسم هذه الأشياء الصغيرة . . الكبيرة في آن واحد.

■ قال هيكل بحنان شديد: اسأل لا تخشَ شيئاً ولا محظورات في حوارك!

● تشجعت وقلت له: هل أثريت من كتبك

قال بسرعة:

■ إنني أكره كلمة ثراء وأعتقد أنها توحي بمعان لا أريدها لنفسي، لكني أستطيع أن أقول لك باختصار وبصراحة أن كتبي للعالم الخارجي أعطتني ما يكفيني والحمد لله. لقد قلت مرة مستشهداً بالحكمة المشهورة أن الغنى الحقيقي هو الغنى عن سؤال الناس، وإذا كان هذا ما تقصده إذن فإن كتبي للعالم الخارجي أعطتني ما أريد دون فطنة استغلال أحد . .

● قلت لهيكل: هل أنت صديق الملوك والرؤساء؟

■ قال: وهل هذه جريمة؟! ٧٥٪ من ساسة العالم أصدقائي والـ ٢٥٪ لم أتعرف عليهم بعد!

● قلت له ما مدى إيمانك الديني؟

■ قال: علاقة الإنسان بربه ليس من حق أحد أن يناقشها.

● قلت: نعم!

عدت أسأله: هل ستكتب في الأهرام الناس تريد أن ترضي فضولها؟

■ قال: أهم من فضول الناس، قناعتي بالكتابة، ومرة أخرى لأسباب شخصية وذاتية وعن عفة وليس عن خوف، لا أحب الحديث عن الصحافة المصرية . . فما زلت ـ حتى هذه اللحظة خارج حلبتها، وإذا كنت قد فقدت منصبي الصحفي، فأنا لم أفقد بعد هويتي الصحفية.

ودق جرس التليفون بجواز هيكل، دقات خافتة تستأذن في الازعاج، رد هيكل بسرعة، بحضوره الشديد.

أغلقت جهاز التسجيل، وأخذت أتأمل هيكل بالقميص الكاروهات والبلوفر البني ريثما تنتهي المكالمة!

كان قارب الحوار «يبحر» نحو الشاطىء، من حيث بدأنا، واكتشف أن ما أثاره هيكل في نفسي من أسئلة، أكثر مما أجابه!

وجدت نفسي أطرح تساؤلات وتصورات من واقع استقرائي المتواضع لهيكل عبر حوارين، امتدا إلى أكثر من ٤ ساعات!

● مثلاً: ١ ـ هل قال هيكل كل ما يريد؟

.. وأتصور أنه في وضع «المراقب» لم يقل «كل» شيء، قال.. بعض ما يريد!

● مثلاً: ٢ ـ هل كان متحفظاً في حواره؟

.. واتصور أنه أعطى «الصورة» بظلالها، الصورة التي يريد أن يعطيها للجماهير المصرية والعربية في هذه الآونة، لكنه كان مخلصاً في «التصوير».

● مثلاً: ٣ ـ هل لهيكل دور ما في المستقبل ولو كان هذا من خلال قلمه؟

.. وأتصور أن هناك له دوراً ما، ولكن طبيعة هذا الدور لم تتحدد بعد في ذهنه، ولكن هيكل سيظل «مراقباً» (بكسر القاف).. حتى اشعار آخر!

● مثلاً: ٤ ـ هل يفضل هيكل منصباً قيادياً في الصحافة المصرية؟

.. وأتصور أنه يفضل أن يكون كاتباً «غير مقيد».. لكنه ـ في الوقت الحاضر ـ يقف على تماس الحلبة.. متابعاً ما يجري بحياد تام!

● مثلاً: ٥ ـ هل يفتح هيكل الصحفي «ملفات» سابقة؟

.. واتصور أنه أسدل الستار على مشاهد مضت وان ظل شاهد اثبات على عصره.

● مثلاً: ٦ ـ هل يتخلى هيكل عن «السوق العالمية» التي عبر إليها بكتبه؟

.. وأتصور أن الانسان ـ بمقاييس النجاح والطموح البديهية ـ لا يعود للخلف!

كان هيكل قد انتهى من حديثه التليفوني حين سألني: ماذا سيكون عنوان حوارنا؟

قلت دون تفكير: عمق حادث المنصة! وابتسم هيكل وقال: ظننتك ستكتب: مغزى ما جرى ذلك الخريف!

حوار مصر والعرب يجري بالإشارات والرموز

لم يأخذ منه السجن سوى ٨٩ يوماً و١١ كيلوغراماً من وزنه، ودمعتين فقط، عندما علم باغتيال أنور السادات ولكن محمد حسنين هيكل يدرك في أعماقه أنه لولا مجيء الرئيس حسني مبارك الى الحكم، لكان هو والذين أمر الرئيس الراحل أنور السادات باعتقالهم، سيمضون في السجن سنوات طويلة.

الأسبوع الماضي وصل محمد حسنين هيكل إلى لندن، كان كعادته يتأجج حيوية، أما معنوياته النفسية فإنها تعتبر قلعته الحصينة التي لا تمس.

مجلة الحوادث اللبنانية ـ ٥/ ٣/ ١٩٨٢ ـ هدى الحسيني

خلال لقائي معه، تذكر الماضي القريب. كانت الساعة حوالي الثانية بعد منتصف الليل عندما قرع «زوار الفجر» منزله في الإسكندرية، ومن خلف الباب قال لهم ابنه أحمد، «تعالوا في الصباح فأبي نائم». اعتقد أحمد أن الأمر بهذه البساطة، هم أصروا، فاستيقظ هيكل وفتح الباب ليجد اثنين من رجال الأمن يطلبان منه المجيء معهما. كانت ردة فعله الأولى: «أنا الذي تكلمت عن زوار الفجر فلماذا لا تنتظران إشراقة الشمس؟»... طلبا منه تحضير حقيبة صغيرة مع ترديدهما باستمرار أن «الحكاية بسيطة»...

صافح ابنه أحمد باليد ولم يقبله، يقول: «أردت أن أتجنب اللحظات الإنسانية الجياشة».

المفاجأة كانت تنتظره في الخارج، عندما اكتشف أن البناية التي يسكنها مطوقة من قبل رجال الشرطة المدججين بأسلحتهم الرشاشة. ولما خرج إلى الشارع وجد شاحنتين عسكريتين تسدان الطريق. هنا ازدادت المفاجأة وقال للمسؤول عن اعتقاله: «لماذا هذا العرض غير المقبول. لو اتصلتم بي هاتفياً وطلبتم حضوري ليتم اعتقالي، لأتيت فوراً، حتى لو كنت في لندن أو باريس لقطعت رحلتي ورجعت فوراً لأعتقل»...

يقول هيكل: «كنت أعرف أن الرئيس السادات لن يتركني حراً، ولكن لم أكن أتصور أن يتم اعتقالي تحت شعار «الفتنة الطائفية»...

وأسأله ألم يحدث أن التقيتما بعد رحلته إلى القدس؟» ويجيب «أبداً»... ويتذكر: «أثناء تقبل العزاء بشقيق سيد مرعي، وقف السادات يتقبل التعازي

باعتباره واحداً من أفراد العائلة، فانسحبت أنا ولم أقدم تعزيتي، لأنني لا أريد أن أصافح اليد التي صافحت بيغن»...

أما عن السجن و«لياليه» الطويلة فيقول: «كنا عشرة في زنزانة صغيرة» والكل يعرف ما يوجد داخل الزنزانة، عند الساعة العاشرة من صباح كل يوم، كان الشرطي يفتح طاقة الزنزانة ويرمي لكل واحد برغيف خبز والقليل من العسل الأسود، ويأتي ثانية عند الساعة الثالثة بعد الظهر فيرمي برغيفي خبز وقطعة جبنة بيضاء لكل سجين. ستون يوماً عشناها في ظلام حقيقي، منقطعين عن العالم، لم نكن نعرف أي خبر حتى عن عائلاتنا...

«بعد رحيل السادات بأيام، وأثناء المحاكمات، يتذكر هيكل، إن فتحي رضوان استطاع أن يهرب عدداً من مجلة «الحوادث» فطلب هيكل أن يستعيرها لساعة واحدة كي يقرأ ماذا يجري في الخارج»...

والآن، خارج السجن وخارج مصر في لندن، كان لـ «الحوادث» لقاء طويل مع هيكل، الذي تحدث «بصراحة» عن كل ما يشغل العالم العربي الآن، وهذا نص الحديث:

● **«الحوادث»: كيف ترى العالم العربي بعد ٢٥ نيسان (ابريل) المقبل، موعد الانسحاب من سيناء، يقول الجميع، لننتظر هذا التاريخ، وأنا أسألك ماذا سيحصل؟**

■ محمد حسنين هيكل: لن يحصل أي شيء. في تواريخ الأمم أو الشعوب، يقع أحياناً ما يشبه الوهم، فعندما يحتار الناس في موقف معين، ويعجزوا عن تحليله، يتعلقون بشيء «ميتافيزيقي»، شيء غير مرئي، مجهول، ويعلقون عليه كل الهموم والكسل.

العالم العربي بعد ٢٥ ابريل (نيسان) هو نفس العالم العربي قبل ٢٥ ابريل (نيسان) ولعلي واحد من الذين يقولون، إن ما سوف يحدث قبل ٢٥ أبريل (نيسان) أهم ألف مرة مما سيحدث بعد هذا التاريخ.

لماذا إسرائيل تتصور أنها تساوم بما تبقى من سيناء، وتتصور إن هذه هي الفرصة الملائمة كي تضغط إلى أبعد مدى وتأخذ كل التنازلات التي تريدها من مصر. في الحقيقة هي تريد تنازلاً واحداً أساسياً، ومن تاريخ «كامب دايفيد» حتى الآن. مطروح شيء واحد فقط على مصر: صداقة مع إسرائيل أو هوية عربية. والاثنان لا يلتقيان مع بعض، وأي واحد يقول غير هذا، فإن كلامه غير طبيعي.

مذ وجدت إسرائيل، وهي ترغب بتحييد مصر وإخراجها من المعركة. وإذا خرجت مصر ينتهي تأثير القوة البشرية العربية المؤثرة القادرة في يوم من الأيام أن تخوض صراعاً. وهدف كيسنجر من أول مرة جاء المنطقة، مثل هدف إسرائيل منذ تأسيسها، هو إخراج مصر من المعادلة العربية.

إذا حققت إسرائيل خطتها بإبعاد أكبر دولة عربية وجعل الوزن السكاني بثقله الإنساني والحضاري خارج المعادلة، يبقى عليها مواجهة جبهة واحدة. أي أنها تواجه، مع كل احترامي، مجموعة دول عربية، حتى إذا لم تكن شظايا فهي قابلة سواء بالخلافات الطائفية أو المذهبية أو الجغرافية أن تنقسم وتتفتت وتصبح مجموعة من الكيانات، سهل ابتلاعها من غير مشكلة.

وما يحدث في لبنان هو نموذج لهذا الواقع (. . .) وقد حدث هذا بعد أن تأكدت إسرائيل أنها تواجه جبهة من جهة واحدة. وأنا أعتقد أن الخطأ السياسي للرئيس أنور السادات، لم يكن مجرد «كامب دايفيد»، ولم يكن في ذهابه إلى إسرائيل. فقد بدأ الخطأ منذ فك الارتباط الأول المنفرد، لأنه عندما حدث فك الارتباط المنفرد على الجبهة المصرية ـ الإسرائيلية في ديسمبر ويناير وفبراير (كانون الأول وكانون الثاني وشباط) من سنة ١٩٧٣ و١٩٧٤، بدأت إسرائيل تدرك أنه بقي عندها جبهة واحدة، ، لأنه وقع أمران في تلك الفترة، إذ قرر الرئيس السادات أولاً: أن ينفرد وحده بعمل سياسي. ثانياً: عندما قرر أن أميركا هي القوة الوحيدة من خارج المنطقة، التي تستطيع القيام بدور.

بهذا، خرجت مصر من المعركة، وبالتالي خرج الاتحاد السوفياتي، أي السلاح السوفياتي، أي السلاح الوحيد القادر على مواجهة إسرائيل في يوم من الأيام(. . .)

إذن، الذي حصل كان كما ذكرت أن انفرد أنور السادات بعمل سياسي. ثانياً: اختار أميركا وحدها. ثالثاً: أخرج الاتحاد السوفياتي بأسلحته.. وكل هذه العوامل مجتمعة أدت إلى فك الارتباط الثاني على الجبهة المصرية، وأدت إلى قضايا أخرى، كانت نهايتها أن ذهب إلى القدس.

قبل القدس كان هناك اجتماع ثنائي سري عند تشاوشيسكو في بوخارست، واحتمال اجتماع ثنائي سري في المغرب. حيث اجتمع موشيه دايان وحسن التهامي. ولكن، اختيار السادات الذهاب إلى القدس مباشرة جاء من ضمن لعبة الإخراج والإحساس المسرحي الموجود عند السادات (...) لكن سواء ذهب إلى القدس أو إلى بوخارست، فإن فك الارتباط الأول هو الذي أدّى إلى صلح منفرد، بصرف النظر أين تم توقيعه وكيف؟

نأتي إلى ما تتحدثين عنه. أمامنا هذا التاريخ ٢٥ ابريل (نيسان)، وكأن كل العفاريت والأشباح ستظهر في ذلك اليوم... لن يحدث شيء في ذلك التاريخ. إن كل قلقي من الآن وحتى ذلك التاريخ يكمن في أن إسرائيل تتصور أنها مقابل هذا الجزء من سيناء تريد أن تبتز من مصر كل ما يمكن ابتزازه، وتضع أمام مصر خياراً واحداً من اثنين: نحن أي إسرائيل، أو العودة إلى الأمة العربية، ولا توجد وسيلة للتوفيق بين الاثنين، لأن العالم العربي لن يأتي إلى مصر وإسرائيل موجودة بهذا الشكل، ولا مصر قادرة على الذهاب إلى العالم العربي إذا كانت ستثقل نفسها بضمانات.

على كل، ربنا يساعد الرئيس حسني مبارك والمجموعة التي معه، كي يديروا هذا الموقف الصعب من الآن حتى أبريل (نيسان).

وأنا قلت لكل الناس، لكل من سألني، من اللورد كارينغتون إلى كل الصحافيين، قلت: «ليس عندي شك، إذا خيرت إسرائيل مصر بينها وبين العرب، فاختيار مصر التاريخي، وبصرف النظر عن أي شخص في الدنيا، هو اختيار عربي ولا يمكن أن يكون غير ذلك.

- **«الحوادث» : إذن لن تنسحب إسرائيل؟**

■ محمد حسنين هيكل: إذا أردت رأيي أنا شخصياً، أقول لك، القضية ليست قضية بقعة من أرض، بالطبع، أنا أتمنى وأريد أن يتم الانسحاب، ولا بد أن كل عربي حريص على دور مصر، الذي هو دور أساسي وحيوي، من مساعدة هذا الرجل (حسني مبارك) كي يسير في هذا الاختبار ـ لأن هذا الاختبار وليس اختياراً ـ إلى مداه، ويأخذ الأرض. ولكن إذا كانت المسألة المطروحة هوية مصر ووجودها وأمنها أو هذه البقعة من سيناء، فأنا بقدر ما أريد بقعة الأرض وبقدر حرصي على التراب الكامل، أقول لا يمكن لمصر أن تسترجع بقعة أرض وتضحي بهويتها ومستقبلها، هذا رأيي الشخصي. .

- **« الحوادث » : وكيف ستعود مصر مع كل الشروط والضمانات الإسرائيلية، هل هناك إمكانية لعودة مصر إلى العرب؟**

- محمد حسنين هيكل: أولاً ليست هناك إمكانية لعزلة مصر عن العرب. . .

- **«الحوادث» : ولكن انفراد السادات بعقد حلف مع إسرائيل؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنور السادات استغل لحظة معينة أسميها أنا **باستمرار** / Metal Fatigue (تعب المعادن) أحياناً تقع الطائرات من دون سبب. . . في مصر، حصل تعب المعادن هذا فوجد أنور السادات فرصة ملائمة بعد حرب أكتوبر (تشرين الأول) وضمن أحلام أنه حصل انتصار استراتيجي، وضمن أوهام السلام، وخلال فترة تعب وإرهاق عند الشعب المصري على أساس: السلام ومن ثم الرخاء. وتم استغلال بعض النزعات المحلية والإقليمية، الموجودة عند كل بلد عربي، لتزكية الفرقة. لكن أنا أعتقد أن هذا أيضاً أدى إلى نتيجة إيجابية.

في حياتي، لم أر الشعب المصري على المستوى العادي، مدركاً لقيمة وحقيقة عروبته كما هو الآن، وهذا ليس مجرد كلام. . .

أسألك، لماذا يرفض المصريون التطبيع؟ يقول المصري: لا، لن أذهب إلى

إسرائيل. لقد استغلت لحظة اختلاط الألوان بالنسبةِ إلى الشعب المصري، فعقد هذا الشعب معاهدة سلام في المطلق. ولكن الإنسان المصري، رفض الذهاب إلى إسرائيل رغم كل محاولات التطبيع التي قامت بها حكومة الرئيس السادات. ومحاولة استغلال السادات إقليمية مصر، أدت إلى جعل عروبتها تتأكد على مستوى الشارع. الآن في مصر يدور حوار حول هوية مصر وهذا ما عجزنا عن القيام به في السابق. لقد فرض عبد الناصر اختيارات كثيرة على مصر، وقد تكون هي الاختيارات التاريخية الصحيحة ومنها عروبة مصر. لكنه فرضها ومشى، ولم تتعمق على مستوى الشعب العادي لأنها لم تناقش. اليوم ولأول مرة هناك نقاش حول هوية مصر.

● **«الحـوادث»: نعود إلى كيفية تصورك لعودة مصر إلى العرب مع تركة «كامب دايفيد»؟**

■ محمد حسنين هيكل: هناك حاجتان في السياسة، ما أريده وما يريده أي طرف، وخططه لتحقيق ما يريد.

تقولين، هناك معاهدة «كامب دايفيد»، وتاريخ ٢٥ أبريل (نيسان)، والجزء المرتهن من سيناء، طيب على عيني ورأسي، لكن هناك الجغرافيا والتاريخ والشعب المصري وأمنه ومصالحه ومطالبه. وأسألك أيضاً: لماذا حصل لأنور السادات ما حصل؟ ضمن أية خطة جاء هذا الاغتيال؟

هل قرأت ما قاله الجنرال هيغ في اجتماعاته السرية؟ بدأ منذ فترة يشعر بالقلق رغم أن الرئيس مبارك لم يلفظ أية كلمة تبعث الشكوك عند الأميركيين بأنه يريد تغيير أي شيء، وهو ينوي هذا... لكن الأميركيين صاروا يقيسون الأمور بمواقف يمكن أن تحصل.. أنا أقول، لو لم يحصل ما حصل لأنور السادات، لكان واجه ثورة شعبية على مستوى الشارع، بانفجار ضخم جداً في مصر في نهاية السنة. لكن، الحوادث، والتفاعلات المتأججة هي التي دفعت أشخاصاً على مستوى أفراد لإطلاق النار عليه... وإلا، كان واجه بعد إبريل (نيسان) موقفاً متمجراً.

حقائق الموقف الاجتماعي والفكري في مصر، حقائق الإحساس بالهوية

والانتماء، وحقائق التاريخ والجغرافيا هي التي تفرض إرادتها، خططي كما تريدين، إنما خذي هذه القاعدة: ليست هناك سياسة خارج التاريخ، غير ممكن... ثم لا يوجد شيء اسمه السياسة الداخلية لأي بلد خارج تطوره السياسي والاجتماعي، وليست هناك من سياسة خارجية خارج موازين القوى التي تصنعها حقائق الجغرافيا والتاريخ. لا يستطيع أحد الكلام كما يشاء، أو كما فعل أنور السادات، أن يعمل ضد التاريخ، لأنه ينتهي بمأساة، هناك ما هو أقوى...

● **« الحوادث »: إذن، حسني مبارك مضطر للعودة بمصر إلى الدول العربية؟**

■ محمد حسنين هيكل: لا أريد أن أقول إنه مضطر. أنا أريد القول، إن مصر لا تستطيع كما لا يستطيع أحد أن يهرب من قدره. وقدر مصر عربي، وأتمنى أن يكون اختياره، متفقاً مع التاريخ والجغرافيا، لأنهما الأساس. أول ما نعلم أولادنا: أين هم، ومن هم؟

● **« الحوادث »: حتى الآن ما زلت تؤكد أن مصر جزء لا يتجزأ من العالم العربي، وحصل أنك طالبت بعودة الجامعة العربية من تونس إلى مصر...**

■ محمد حسنين هيكل: أنا لم أطالب بهذا. بالعكس، أنا كنت واحداً من المتفهمين تماماً، أنه مع، «كامب دايفيد» لا يمكن بقاء الجامعة العربية في مصر. إنها مسألة بمنتهى الصعوبة، وبالتالي لم أطالب بهذا أبداً. وأنا أدرك أنه لا يمكن في ظل ما فعله الرئيس أنور السادات، لا يمكن أن يطرح موضوع عودة العرب أو عودة مصر. وهذا، لا أقوم به أنا... إنما، الرئيس حسني مبارك تصرف تصرفاً مهماً جداً كما أعتقد... ومع الأسف لم تنتبهوا لذلك التصرف العربي.

أنا واحد من الذين يقولون إن هناك حواراً صامتاً وبالرموز بين مصر وبين بقية العالم العربي. الطرفان لا يتكلمان في هذا الحوار... على سبيل المثال، كانت مصر قد حشدت فرقتين على الحدود الليبية، فأمر حسني مبارك بسحبهما، والنتيجة، صار الليبيون يتكلمون لغة مختلفة.

قام الرئيس السادات بعمل غريب، وهو «جامعة الشعوب الإسلامية والعربية» وأعطاها مبنى الجامعة العربية. أصدر حسني مبارك قراراً، من أهم القرارات في اعتقادي، قال للمخلوق الهزيل الأبله هذا، جامعة الشعوب الإسلامية والعربية، أخرجوا من مبنى الجامعة العربية، هذا ليس لكم. . . ابحثوا عن مبنى آخر. هذا مبنى الجامعة العربية. وكل قضايا الجامعة العربية فيه. ليس هذا فقط، بل صار مسموحاً للجامعة العربية في تونس، أن تطلع على أرشيفها في مبنى القاهرة، وترسل أشخاصاً يطلعون على الملفات. . . هذا تطور في منتهى الأهمية.

الحاجة الغريبة، أن الإسرائيليين تنبهوا لهذا القرار، ولكن العالم العربي لم يتنبه بأن هذا كان جزءاً من الحديث بلغة الإشارة.

وأكمل هيكل:

قد تكون الظروف هي التي تمنعنا من الدخول في حوار مفتوح. لا نحن، أقصد النظام، قادر على الكلام مع الفلسطينيين، أو مع السعوديين بوضوح، أو مع العراقيين بوضوح. لكن، بسبب العجز عن الكلام، صار هناك لغة جديدة في العالم العربي وهي لغة البكم. بمعنى أن تعملي بالإشارات حاجات يفهمها الآخرون ويرسلون الجواب. لكن هناك مشكلة أن أطرافاً أخرى تراقب هذه اللغة. أنا أعتقد أن حواراً دائراً اليوم بين مصر والدول العربية. إنما حوار البكم بالإشارة.

● **«الحوادث»: ذكرت أن معك رسالة من ياسر عرفات؟**

■ محمد حسنين هيكل: أولاً، لم أقل هذا. . . أنا لم أذكر اسم حسني مبارك. هذا نص حديثي في «الصانداي تايمس». . بعض الصحف العربية أساءت الترجمة. أنا قلت، لدي رسالة. تقول هذ الرسالة إن منظمة التحرير الفلسطينية مستعدة للقيام بأي عمل لتسهيل عودة مصر إلى الدول العربية. إذن، أنا أقول، هناك رسالة من أبو عمار ومن زعماء عرب آخرين. . . كلهم يقولون إنهم على استعداد للقيام بأي شيء.

● **«الحوادث»: هل تسلمت هذه الرسالة أنت شخصياً؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا لا أدخل في التفاصيل. . . وكما تعرفين، أنا

أتحاشى أن أقول كلاماً غير مسؤول. أنا لست في منصب، لكن أحاول أن أبقى باستمرار رجلاً نافعاً في إطار قناعاتي.

أقول: في علمي، أو عندي، ما يدعوني أن أؤكد أن أبو عمار والملك حسين والرئيس صدام حسين وأكثر من طرف عربي، كلهم على استعداد للقيام بأي شيء في نطاق الممكن لتسهيل عودة مصر إلى العالم العربي. لأن كل مسؤول في العالم العربي يدرك تماماً أنه بدون عودة مصر إلى وضعها الطبيعي والعربي فإنه لا أمل.

أنا عندي أكثر من هذا. عندي أن صدام حسين يقول: إن العراق لا يطمح ولا يريد أن يرث دور مصر، وأن دور مصر لا يملأه إلا وجود مصر وحركة مصر، وأنه هو والعراق مستعد للقيام بأي شيء في نطاق المبادىء لتسهيل عودة مصر إلى العالم العربي.

صدام حسين يقول هذا، وأبو عمار أيضاً، والملك حسين. وأنا أعلم أن السعوديين يقولون أكثر من هذا...

● **«الحوادث»: يعني أنك متفائل برغبة العرب بالنسبة إلى عودة مصر إلى الأمة العربية؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا أتصور أن الرغبة موجودة لدى الطرفين. أنا أتصور أن العالم العربي يتوق لعودة مصر إليه، كما أن مصر تتوق أن يعود العالم العربي إليها، وأن ترجع هي إليه. ولكن تبقى عندنا قضية كيف يحدث هذا؟

● **«الحوادث»: وكيف سيحدث هذا؟**

■ محمد حسنين هيكل: لم تعد المشكلة من سيبدأ الخطوة الأولى، لأن هذه الخطوة بنظري قد بدأت فعلاً بالحوار الأخرس. لو جاز لي أن أتصور، فأستطيع أن أتصور هذا الحوار سيأخذ شكل اتصالات:

أولاً، الفترة من الآن حتى إبريل (نيسان) هي المهمة، وتتوقف عليها أمور كثيرة. وأنا أعتقد أن هذه الفترة بالنسبة إلى الرئيس مبارك، قد تكون الأصعب

خلال رئاسته كلها. لأن عليه إدارة أزمة معقدة جداً، لا دخل له فيها، «ربنا يكون في عونه»، بحيث يستطيع أن يخرج منها دون أن يفرض عليه أحد ما لا يريد. أتصور، أنه مترتب على ما سوف يحدث من الآن وحتى إبريل (نيسان) وما بعد إبريل (نيسان)، بفترة أن تبدأ اتصالات. . ولا أستبعد أن تكون الاتصالات قد بدأت فعلاً. . .

لقد اتخذ مبارك موقفين واضحين جداً، وعبر عنهما ضمن الحوار غير المباشر، وليس الحوار الأخرس. قال: أنا لا أتكلم باسم الفلسطينيين، ولن أوقع ورقة فيما يتعلق بالحكم الذاتي فيها موضوع الفلسطينيين. وإذا أرادت إسرائيل أن تتكلم في موضوع الحكم الذاتي وتطلب أي شيء، حتى إعلان المبادىء، فلتذهب إلى الفلسطينيين.

سأخبرك حكاية، أخبرني إياها سناتور أميركي كان حاضراً الاجتماع الذي عقده حسني مبارك في مجلس الشيوخ مع مجموعة شيوخ، كانوا يكلمونه عن الحكم الذاتي فقال لهم: أنا لا أستطيع أن أفعل شيئاً في هذا الأمر، ووجه كلامه إلى أحد الشيوخ قائلاً: هل أستطيع أنا أن آخذ البدلة التي ترتديها أنت الآن، وأعطيها للسيناتور تشارلز بيرسي، رئيس لجنة الشؤون الخارجية؟ فأجابه: تستطيع إذا وافق هو. . عندها قال له حسني مبارك: عال. . . في هذه الحالة، البدلة يرتديها الفلسطينيون. اذهبوا واسألوا الفلسطينيين إذا كانوا يوافقون. فإذا أعطوكم البدلة فهم أحراراً. . . أما أنا فلن أوقع. وهذه مسألة مهمة جداً. . .

ثانياً: قال حسني مبارك، أنا لن أعطي قواعد. وهذه أيضاً مسألة مهمة جداً. . .

● **« الحوادث »: نعود إلى حسني مبارك الذي رفض التوقيع عن الفلسطينيين ورفض إعطاء القواعد.**

■ محمد حسنين هيكل: هذا جزء من الحوار الساكت. . . أنت مهتمة بالعودة، وأنا أتصور أن طريق العودة حصل، أو أنه يحصل.

أولاً: ثبت أن كل مغامرات «كامب دايفيد» لم تؤد ولا يمكن أن تؤدي منذ بدايتها حتى الآن إلا إلى صلح منفرد مع إسرائيل، وقد حدث.

ثانياً: الشعب المصري يرفض هذا الصلح، ويرفض نتائجه، ومن أبرزها التطبيع. صحيح أنه يريد استرجاع بقعة أرض، لكنه ليس مستعداً لما هو أكثر.

ثالثاً: لا يتكلم الرئيس حسني مبارك باسم الفلسطينيين، وهو واضح جداً في هذه الناحية.

إذن، كل عملية «كامب دايفيد» لن تؤدي إلا إلى شيء يعجز عن القيام بأي عمل. وأنا أعتقد أن «كامب دايفيد» سقط. أي أن بديل انتماء مصر العربي سقط، وأكد، حتى عن طريقة نفي النفي، انتماء مصر العربي. ثم بدأ حوار بالإشارة بدون صوت. . وفي بعض الأحيان حصل حوار مسموع: «أنا لن أوقع شيء بالنيابة عن الفلسطينيين». «أنا لن أعطي قواعد لأميركا كي تهدد أية دولة». ويجب أن نلاحظ أمراً مهماً آخر، ما هو معنى التشكك الأميركي الذي ظهر عند هيغ والإسرائيليين بالنسبة إلى الوضع الجديد في مصر، هذا يعني ببساطة، أنه إذا كان أحدهم نسي حقائق الجغرافيا والتاريخ وسار شوطاً أكثر من الاحتمال، فقد جاء رجل جديد، وقد تفرض حقائق الجغرافيا والتاريخ نفسها أمامه، وقد يأخذ خيارات مختلفة. مع العلم أن مبارك قال «أنا أسير في خط السادات». وفي بعض التصرفات فإنه ينفذ ذلك الخط. إذن، لماذا التخوف؟ للتخوف سببان، إما أنك ترين شواهد لأمر بدأ يقع، أو أن عندك مخاوف إمكانية حصول شيء، فتحذرين منه مبكراً. وكلا الحالتين جديرتين بأن تلتفت الأمة العربية إليهما.

ويستطرد هيكل قائلاً:

أريد أن أقول أكثر من هذا. السعودية لم تضغطبالشكل الكافي في مؤتمر فاس كي تحضر كل الأطراف العربية، وكان باستطاعتها أن تضغط وكان بإمكان السوريين المشاركة، لولا أن السعودية رأت وضعاً جديداً في المنطقة منه: أولاً، أن مصر ممكن أن تلعب دوراً في المستقبل القريب. وثانياً، لو قبلت مبادرة الأمير فهد، وتحولت إلى مشروع عربي وافق عليه كل العرب، فستصبح السعودية

مسؤولة عنه، وتدخل بسببه في مواجهة مع الأميركيين. ففضلوا الانتظار، لأن هذه مرحلة متغيرات في المنطقة. وأنا مستعد أن أراهن أن مشروع فهد لن ينبعث مرة أخرى، ولن يعقد مؤتمر قمة عربي آخر، إلا بعد شهر نيسان (ابريل)، لأن الكل يدرك أن متغيرات كثيرة تحصل منذ فترة، والآن، وحتى ابريل (نيسان). . .

● «الحوادث»: **مع تركيزك على ما سيحصل من الآن وحتى موعد الانسحاب، هل تعتقد بإمكانية عمل عسكري تقوم به إسرائيل؟**

■ محمد حسنين هيكل: أريد أن أقول لك أمراً: منذ فترة طويلة قلت كلاماً سمعه كثيرون، لم ينشر. قلت إن إسرائيل لن تخرج مما بقي من سيناء، حتى لو كان السادات حياً. . فإن إسرائيل كانت ستضع أمامه أمرين: أن يوقع اتفاقية حكم ذاتي كما تريده إسرائيل، أي أن يتنازل في القضية الفلسطينية بأكثر مما يملك، المهم أن يوقع. أو أن إسرائيل ستتخذ على الأرض وعلى الطبيعة مجموعة إجراءات عملية تجعل منها أمراً واقعاً، وعليه أن يوقع اتفاق الانسحاب النهائي في ظل هذا الأمر الواقع، كي لا يستطيع القول فيما بعد، أن لا دخل له، أو أن ما حصل، حصل بدون علمه أو رغبته.

إذن، ليس صدفة ما حصل. أولاً ضم الجولان. وأنا أضيف أن ضم الضفة الغربية وقطاع غزة يجري فعلاً، ولا أستبعد مجموعة من الإجراءات القانونية والفعلية في الضفة والقطاع، بالإضافة إلى الاستيلاء على الأراضي. ولا أستبعد قيام إسرائيل بعملية عسكرية في لبنان، مع معرفتي بأنه منذ أربعة أسابيع، كانت هذه العملية على وشك أن تبدأ، والإسرائيليون متشجعون برد الفعل الضعيف والمتهالك الذي حصل بعد الجولان. . . وعلى أي حال، هذه فرصة ذهبية لبيغن كي يحقق كل طموحات إسرائيل.

أمس، قابلت دايفيد أوين وزير خارجية إنكلترا السابق، كان منذ أسابيع يلقي محاضرة عن «بلفور» في إسرائيل، قال لي إن الملفت للنظر أن الجيل الجديد من الشباب الإسرائيلي يرفض الانسحاب من كل سيناء.

أنا أقول، إن حزب العمل الإسرائيلي، وكان البعض يعلق عليه آمالاً. لم يعد

له قيمة حتى في اتحاد النقابات. . . يبقى في إسرائيل، المتصلبون واليهود المتعصبون الذين يسيرون خلف بيغن، لأن حلم بيغن تحقيق إسرائيل الكبرى. . . ومن سيقاومه؟

كنا نتصور أن ينشأ حلف بديل سوري ـ عراقي يواجه غياب مصر. . . لم يحصل. العراق انشغل في الحرب العراقية الإيرانية. سوريا مأخوذة بمشاكل ظروفها، بوجودها في لبنان، وبالصراعات الداخلية فيها، ومصر بعيدة. . . ممن إذن يخاف بيغن؟ من يمنعه من أن يضم؟ الأميركيون لن يمنعونه. ولا نظام أميركي وحتى هذه اللحظة، مع الأسف لا أستطيع أن أذكر تفاصيل، لكن لو دخلتها ممكن أن يغمى عليك، من معرفة حجم ما تستطيع أميركا القيام به في الظروف الراهنة، وأسوأ ما فيها أنها لا تستطيع القيام بشيء، ولا يوجد أي ضغط عربي عليها، ولا توجد حقائق لموقف عربي تفرض عليها شيئاً. . .

مع الأسف الشديد، تستطيع إسرائيل أن تنفذ ما تريده في الضفة والقطاع، وتضع العالم العربي أمام الأمر الواقع.

● **« الحوادث »: لو نفذت إسرائيل هذه الإجراءات، ماذا سيفعل حسني مبارك؟**

■ محمد حسنين هيكل: لماذا تسألين فقط عن حسني مبارك؟ لماذا لا تسألين عما سيفعل مبارك وباقي العالم العربي؟ التحدي مطروح على العالم العربي كله، لا أستطيع القول ماذا سيفعل حسني مبارك أسألك، ماذا سيفعل الأمير فهد، أو الرئيس حافظ الأسد، ماذا سيفعل الملك حسين أو ياسر عرفات؟

اسمعي. . . أنا استشهدت مرتين أو ثلاثاً بكلام قاله لي شو إن لاي في مقابلة أجريتها معه وكانت الأخيرة، بعدها مرض ومات.

ذلك الرجل الحكيم الصيني الرائع، كان في التاسعة والسبعين من عمره، سألته كيف ترى الفترة المقبلة، فقال: «تحالفات جديدة تظهر، تحالفات قديمة تسقط، وفوضى في كل مكان». وأنا، أرى أن أكثر منطقة تحصل فيها هذه الأمور، هي الشرق الأوسط لكونها مركز الثقل في العالم فعلاً. . . أدت ظروف إلى سقوط

التحالفات القديمة، سقط التحالف الثوري وحل مكانه تحالف مالي، اقتصادي، بترولي، صار هو المسيطر. تصورات العالم العربي التي كانت في الجامعة العربية، صارت على الهامش. وما بقي في أحسن الأوضاع، مجموعة الكيانات الاقليمية الصغيرة، منطقة الهلال الخصيب، شبه الجزيرة العربية، وادي النيل والمغرب العربي.

المغرب العربي، مشغول بالتناقض الجزائري ـ المغربي، الهلال الخصيب مشغول بالتناقص العراقي ـ السوري، ما بقي: الخليج، يسير فريداً، ووادي النيل، كما ترينه ساعة يأتي جعفر نميري ليقابل حسني مبارك وساعة يذهب مسؤولون مصريون إلى السودان. . .

إذن، سقطت التحالفات القديمة، برزت تحالفات جديدة هشة، وفوضى في كل مكان، لأن دور مصر غاب.

كان لمصر دوران في العالم العربي: الأول، دور الموحد، وليس بالمعنى السياسي، فقط، والثاني، دور المجدد، الذي يعلم ويثقف. . . بغياب هذين الدورين، وقفت حركة الدوران العربي السريع، عدنا إلى الكيانات الإقليمية الصغيرة المحكومة بالتناقضات الداخلية. . .

● **« الحوادث »: لكن أنور السادات انفرد بمصر وعزلها عن العالم العربي؟**

■ محمد حسنين هيكل: حتى عزل مصر لم يأت هكذا. وإنصافاً لأنور السادات، أريد أن أقول، إنه حصل تقصير في العالم العربي في فهم دور مصر، وفي تقدير دور مصر. . .

وفي وقت من الأوقات، كان جمال عبد الناصر يطلب أربعين مليون جنيه للقليل من الأسلحة البحرية، قوارب طوربيد، لم يجد دولة عربية تقدم له هذا المبلغ.

تعرفين أين يكمن التقصير العربي بحق مصر. لقد تصرفوا مع مصر كما تصرفت

أميركا معهم. أخذوا مصر كقضية مسلم بها. يعني، مصر تحمل كل المسؤولية. في أحد الأيام قال لي حافظ الأسد، أمراً كنت أعرفه، وهو أكده لي. قال: «والله، عندما جاءني خبر وفاة الرئيس عبد الناصر، قلت يا إخوان نحن في مأزق. لأنه كان هناك رجل في ذلك الجزء من العالم العربي، ننتظر دائماً ماذا سيفعل... فكنا نلقي عليه كل شيء»...

ألقى العرب على مصر كل الهموم العربية، وهذا حق، لكن إذا كان علي تحمل كل الهموم، فلا بد أن تشاركوا معي في تحمل المسؤوليات..

أنا آسف أن أقول أنه بدا مع سنة ١٩٦٧ كما لو كانت هناك دول عربية متشفية بأن مصر تعبت في المعركة. ألم يحصل هذا؟

بدا، أن كل ما كانت الدول العربية على استعداد لتقديمه لمصر، ما يجعلها لا تغرق ولا تعوم، أي أن تتخبط..

وقعت أخطاء لكن، جاءت لمصر الفرصة بعد «كامب دايفيد» أن تتحقق من هويتها العربية، وتحقق العالم العربي من أهمية وجود مصر فيه، وقد أدرك الطرفان بالتجربة العملية أنها شركة حقيقية، شركة أمن ومسؤوليات.

● **«الحـوادث»: لو سألك الرئيس مبارك رأيك برحلته إلى إسـرائيل. بماذا كنت تنصحه؟**

■ محمد حسنين هيكل: خيار صعب، لو سألني سأتمنى بقلبي أن لا يذهب. لكن لو ذهب فإنني بعقلي لن أزعل. لسبب واحد، إن هذه الزيارة لن تضيف ولن تأخذ، ولكن، أنا أريد أيضاً أن يصل إلى رهان «كامب دايفيد» إلى مداه، كي يرجع جميع الناس بما لا يقبل الشك، نتائجه.

أنا أتمنى، أن لا يذهب أي مصري إلى إسرائيل، لكنني لن أعارض الرئيس إذا ذهب، وذلك كي لا يعطي أي مبرر لاستفزاز. وأنا واحد من الناس الذين يعطون مبارك كل فرصة. طالما قال لي ولكل الناس إنه لن يوقع أي شيء عن الفلسطينيين، ولن يمنح قواعد لا للأميركيين ولا للإسرائيليين...

● «الحـوادث»: ما دامت إسرائيل كما ذكرت تضم الضفة الغربية وقطاع غزة، وما دام الرئيس مبارك أكد أنه لن يوقع عن الفلسطينيين، فلماذا باعتقادك إصرار إسرائيل كي توقع مصر على محادثات الحكم الذاتي؟

■ محمد حسنين هيكل: لأن المطلوب هو خروج مصر من أية مسؤولية في المشرق. . . لأنه، إذا لم توقع مصر، فهذا يعني أنها مرتبطة بالذي يجري، وبالتالي، فإن حركة ما يحدث في المشرق سيجر مصر إلى أمر معين. . .

سأقول لك ما قاله كيسنجر في أول مرة ونحن نتكلم عن الأرض المصرية، قال ببساطة: «ستأخذون من إسرائيل من الأراضي المصرية، بمقدار ما تتركون لها من الأراضي الفلسطينية».

ودارت بيننا خناقات شديدة للغاية. قلت له: ما دخل مصر؟. . وما ذنب الشعب الفلسطيني الذي فرض عليه أن يدفع ثمن الاضطهاد النازي لليهود، وفرض عليه أن يدفع ثمن العالم العربي الممزق؟ ثم تأتي مصر وتقول سآخذ من أرضي في سيناء، بحجم المساحة التي سأتركها من الضفة والقطاع؟! ما هذا؟ اسمعي . . . إسرائيل تريد من مصر أن توقع على اتفاقية حكم ذاتي أو على إعلان المبادىء قبل الانسحاب، وتريد من مصر أن تواصل مفاوضات الحكم الذاتي كما تريدها من إسرائيل. لا بل، حتى وأنا هنا في لندن، كذا طرف من الأطراف الدولية، لن أذكر أسماء، حاولوا أن يقولوا لي: لماذا الاختلاف؟. أكملوا مفاوضات الحكم الذاتي بعد أبريل (نيسان) لغاية ما تنشأ ظروف في المستقبل تغير في الأمر. إنما دعوا المفاوضات مستمرة. . . لماذا؟ وكيف أفعل هذا؟

● «الحـوادث»: هناك مجموعة في إدارة ريغان تطرح نرية: «فلسطين البديلة» أي الأردن، وهناك من يقول أن حل القضية الفلسطينية سيكون إما على حساب الأردن أو لبنان، فماذا تقول أنت؟

■ محمد حسنين هيكل: هذا ما يطرحه شارون أيضاً. . أنه طرح بلا مستقبل. . . وهو يجرنا إلى المأزق التاريخي الإسرائيلي. أولاً: لا يوجد عند إسرائيل سكان تقيمهم في كل هذه الأرض. ثانياً: لن تقبل إسرائيل بحاجة اسمها

فلسطين حتى في شرق الأردن.

انظري بين الشعب الفلسطيني وهذه المجموعة من المهاجرين تناقض حياة. لا يستطيع الفريقان العيش مع بعض، لأنهما يتنازعان على نفس القصة. وجود أي واحد فيهم نفي الآخر. وهذا هو مأزق إسرائيل التاريخي ومأزقنا أيضاً.

● **«الحـوادث»: الناس يشبهون حسني مبارك بجمال عبد الناصر، هل هذا صحيح؟**

■ محمد حسنين هيكل: من ناحية الاستقامة والتوازن هذا صحيح. لكن، طبعاً أمام حسني مبارك فترة اختبار طويلة. ولكن، في المرات التي رأيته فيها كنت أمام رجل لا يحاول أن يمثل أمراً غيـر موجود فيـه، إذ كان يملك هذه الصفة، وإذا أدرك دوافع التاريخ، فأنا مطمئن، وفي هذا سيلتقي بعبد الناصر، مع العلم أن تكون ممارساته لحقائق التاريخ والجغرافيا طبقاً للمتغيرات الحاصلة في العالم وفي المنطقة حوله.

● **«الحوادث»: وهل أنت على اتصال مستمر معه؟**

■ محمد حسنين هيكل: لا، قابلته أكثر من مرة، ولا أستطيع أن أسمي هذا اتصالاً. . .

● **«الحوادث»: وماذا تفعل في لندن؟**

■ محمد حسنين هيكل: اتفقت مع ناشري كتبي، اندريه دوتش وجماعته، على كتاب: اغتيال السادات «خريف الغضب في مصر» وكتـاب عن قصـة حياة جمال عبد الناصر. . والغريب أنهم طلبوا مني كتاباً عن السويس، لأنها كما قالوا لم ترو من وجهة نظر عربية.

ما هو دور كيسنجر في اغتيال السادات؟

في عصر عبد الناصر كان رئيس تحرير «الأهرام»، والناطق الرسمي وغير الرسمي - وفقاً للظروف - باسم هذه الحقبة المثيرة للجدل من تاريخ مصر. في عصر السادات اكتسب لقب رئيس تحرير «الأهرام» سابقاً. ومع هذا اللقب اكتسب شيئاً جديداً هو أنه أصبح أكثر الصحافيين العرب شهرة في العالم. مقالاته تنتشر في كبريات صحف الغرب ومنها خصوصاً «التايمز» و «الصنداي تايمز» اللندنيتين و «النيويورك تايمز» الأميركية. كتبه تترجم إلى عشرات اللغات. لأنه هيكل، صديق عبد الناصر ورفيق تلك المرحلة الغنية. واكتسب، بسبب ذلك كله، وخصوصاً بسبب شهرته العالمية، عداء السادات. فكانت هذه الشهرة هي السبب الحقيقي الضمني لاعتقاله، مع كل قيادات مصر تقريباً، في ايلول (سبتمبر) ١٩٨١.

في عصر حسني مبارك ماذا يريد هيكل؟ عيناه تبرقان وتتكلمان أكثر مما تنبس شفتاه. هيكل لا يريد أي دور رسمي، بل يريد الاكتفاء بدوره هو: دور الكاتب العميق الثقافة، والصحافي الواسع الاطلاع، الذكي، المراقب الواعي للأحداث - أحداث مصر والمنطقة والعالم وهي المترابطة بعضها ببعض - والمهووس بالتاريخ الذي يعتبره هو «حركة مستمرة وليس مؤامرة مستمرة».

منذ الافراج عنه في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي، أدلى هيكل بعشرات المقابلات والأحاديث إلى الصحف والمجلات العربية والعالمية. وحين التقيناه قبل أيام في فندق «كلاريدج» في لندن، أردنا إجراء حديث معه «مختلف» عن الأحاديث السابقة. وكانت حصيلة هذه الرغبة حديثاً هو الأكثر جرأة وخطورة حتى الآن.

● مجلة «المجلة» ١٩٨٢/٣/٢٦ - عبد الكريم أبو النصر

وهذا هو الحوار مع محمد حسنين هيكل:

● **السؤال الكبير المطروح الآن: كيف تعود مصر إلى العرب؟ ومتى تعود؟ وهل يتحرك الرئيس حسني مبارك في هذا الاتجاه؟ وهل لديك شخصياً، تصور أو «سيناريو» معين لعودة مصر إلى العرب؟ وهل ستتم هذه العودة على مراحل وتدريجياً ومع كل دولة على حدة أم في شكل جماعي؟ وهل هناك اتصالات سرية مصرية ـ عربية؟**

■ أود قبل كل شيء أن أؤكد حقيقة ثابتة: لا قيمة لمصر بلا عالم عربي، ولا قيمة لعالم عربي بلا مصر.

مصر والعرب قضية واحدة وكيان واحد ومصير واحد. ونحن الآن أمام وضع معين، أمام ظرف تاريخي ونفسي واقتصادي وسياسي يتلخص في السؤال الآتي: كيف قدمت معاهدة كامب دايفيد للشعب المصري؟ الواقع الذي لا بد من تأكيده هو أن هذه المعاهدة قدمت للشعب المصرية ليس على أساس أنها اتفاق مع إسرائيل، بل على أساس أنها ستجلب السلام، أي الرخاء لمصر. أذكر يوم عاد السادات من الولايات المتحدة بعد توقيع معاهدة كامب دايفيد، كنت جالساً مع الصحافي الأميركي جوزف كرافت (وهو يهودي) وكنا نتحدث عن المعاهدة. قلت لكرافت: «ستلاحظ أن هناك مليون لافتة ترحب بالسادات وبـ «عودة البطل» وبـ«السلام». لكن ليس هناك ذكر لإسرائيل في أي لافتة». الشعب المصري وافق على السلام مع المطلق، مع الرخاء، ولم يفكر إطلاقاً بإسرائيل، ولم يفكر إطلاقاً إن هذا السلام سيعزل مصر عن العرب. وهنا لا بد من العودة قليلاً إلى الماضي.

انتماء مصر العربي قديم جداً، ولم يخترعه عبد الناصر. لكن عبد الناصر حول هذا الانتماء من مجرد إحساس فكري وتاريخي وثقافي، إلى إرادة سياسية. ومن فوائد معاهدة كامب دايفيد «ونتائجها» إن الشعب المصري تأكد خلال السنوات الخمس الماضية من هويته العربية ومن انتماء مصر العربي. وهذا الشعور ليس ناتجاً عن مصلحة اقتصادية، كما يقول البعض، أو بسبب وجود ثلاثة ملايين مصري يعملون في العالم العربي. لا. إنه شعور حقيقي عميق بهوية مصر العربية. إن أسوأ ما يصاب به أي شعب هو أن يشعر بالنقص في هويته. وهذا ما حدث في فترة عزلة مصر العربية. ولنتوقف قليلاً عند معاهدة كامب دايفيد. ما هي هذه المعاهدة وكيف تمت؟ لقد جرى استغلاله لحظة في تاريخ مصر كان الشعب فيها يشعر بالتعب النفسي وبأعباء سنوات طويلة من الحرب، فجاء من يقدم لهذا الشعب حلماً هو معاهدة ستجلب السلام والرخاء. لكن هذا الحلم هو بلا أساس، إنه حلم «نصب»، حلم «حشيش»، خصوصاً حين اكتشف الشعب المصري أن هذا الصلح المنفرد مع إسرائيل لا يعني السلام ولا يجلب الرخاء. إن توجه الرئيس حسني مبارك العربي سليم وصحيح. لكن يجب التشديد أيضاً على أمر أساسي وهو إن الشعب المصري أصبح يدرك، للمرة الأولى، عن طريق التجربة والخطأ، مدى قوة انتمائه العربي. وفي المقابل لا بد من الاعتراف بأمر مهم وهو إن الشعب العربي أساء أيضاً إلى مصر، إلى مصره. عندما ضربت مصر في حرب ١٩٦٧ لم تكن هذه الضربة لعبد الناصر، بل لكل العرب. كل مشكلة تدخل فيها مصر لا يمكن إلا أن تعني وتمس كل العرب. سأكشف لك هنا أمراً مهماً: بعدما قبل عبد الناصر مبادرة روجرز في صيف ١٩٧٠ لتحقيق وقف إطلاق النار مع إسرائيل، شن الكثيرون في العالم العربي حملات على مصر وزايدوا على رئيسها. لكن الواقع أن عبد الناصر، في الوقت الذي كان يقبل مبادرة روجرز، كان يوقع خطة «جرانيت واحد»وهي خطة عبور قناة السويس على خمسة محاور، وقد نفذها السادات في حرب ١٩٧٣. لقد قصر العرب مع مصر. مثلاً، مؤتمر القمة العربي في الرباط الذي انعقد عام ١٩٦٩ فشل، ولم تحصل مصر على ما طلبته لدعم دفاعها الجوي. وما طلبته كان مبلغاً زهيداً جداً، وهو ٤٠ مليون جنيه استرليني. بعد عشر سنوات

عرض العرب على مصر مبلغ خمسة بلايين (مليار) دولار سنوياً لكي لا توقع معاهدة كامب دايفيد! هناك أخطاء من الجانبين. كلاهما جرب أن يعيش من دون الآخر. . . لكن لا مفر من عودة مصر إلى العرب وعودة العرب إلى مصر.

● **لكن كيف تتم هذه العودة؟**

■ هناك كثير من الأمور الصغيرة التي تشير إلى وجود ديناميكية لعودة مصر إلى العرب. هناك رغبة وإرادة لتحقيق ذلك لدى المصريين ولدى العرب عموماً. لقد اجتمعت بالرئيس حسني مبارك قبل سفري إلى لندن بيوم واحد، ولمست لديه رغبة شديدة في فتح جسور وقناوات اتصال مع العرب. وفي المقابل لمست من خلال اتصالي بعدد من المسؤولين، وغير المسؤولين، في العالم العربي أن هناك رغبة عربية قوية في العودة إلى مصر، إذاً، الرغبة موجودة والشوق كبير إلى هذه العودة. لكن القضية تبقى: كيف تبدأ هذه العودة وكيف تتم وكيف تدار هذه الديناميكية وهذه الإرادة لتتحقق العودة؟ وأستطيع أن أقول، من دون أن تكون لدي معلومات، إن هناك محاولات وأمور تحصل لتحقيق هذه العودة. وليس صحيحاً عدم وجود اتصالات بين مصر والعرب. فأنا أعلم أن الرئيس مبارك قابل، ولو بطريقة غير رسمية، بعض «الناس» في العالم العربي. وأتصور أن الرئيس مبارك اطلع خلال وجوده في سلطنة عمان الشهر الماضي على وجهات نظر عربية معينة تتعلق بعودة مصر. بالنسبة إلى العلاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية أستطيع أن أقول إنه ليست هناك اتصالات بين القاهرة والمنظمة، لكنني على ثقة بأن هناك تحسساً من الجانبين لوجهات النظر تمهيداً لخطوات في المستقبل. متى تتم عودة مصر إلى العرب وتصبح علنية؟ سيتم ذلك في الوقت المناسب، وفي وقت قريب جداً، من دون أن يرتبط ذلك بشهر ابريل (نيسان) الذي يردد الناس أنه شهر حاسم. ابريل ليس شهراً حاسماً. العودة قريبة لكن هناك قضية مهمة جداً لا بد من حلها وهي: كيف تعالج عربياً بعض المتغيرات التي طرأت على الوضع المصري؟ كما أن هناك مشاكل وعقبات في وجه عودة مصر إلى العرب ستبرز من جانب أميركا وإسرائيل.

● هل تعني بالمتغيرات وجود سفارة اسرائيلية في القاهرة؟

■ وجود سفارة اسرائيلية في القاهرة هو بالطبع من هذه المتغيرات التي تحدث عنها. لكن أستطيع أن أقول، وهذا رأيي، بلا تردد، ان لا مستقبل للعلاقة المصرية ـ الاسرائيلية. مستحيل أن يكون هناك مستقبل لهذه العلاقة. ووجود سفارة لاسرائيل في القاهرة هو من «العجائب» و«الغرائب» التي تحدث أحياناً في العالم، لكن هذا الوجود غير طبيعي ولا مستقبل له.

● من الواضح أن مبارك يتبع مع أميركا أسلوباً مختلفاً عن أسلوب السادات. وفي التعليقات المنسوبة إلى ألكسندر هيغ، والتي نشرتها صحيفة «الواشنطن بوست» يقول وزير الخارجية الأميركي إن عهد مبارك مختلف كلياً عن عهد السادات ويبدي قلقه من احتمالات عودة مصر إلى العرب. ولقد سمعت من أكثر من مسؤول عربي في مناسبات مختلفة أن هدف الولايات المتحدة منذ الخمسينات هو عزل مصر عن العرب. فما رأيك في ذلك؟

■ هذا صحيح. فبعدما ورثت الولايات المتحدة بريطانيا وفرنسا في الشرق الأوسط وضعت لنفسها هدفين أساسيين ثابتين:

١ ـ الأول إبعاد مصر عن العرب.

٢ ـ الثاني إبعاد النفط العربي عن القضية الفلسطينية بحيث لا يلعب النفط أي دور في هذا النطاق.

من هنا إن أميركا قلقة ومنزعجة من احتمالات عودة مصر إلى العرب.

● وهل ساهم الدكتور هنري كيسنجر من خلال المفاوضات التي أجراها مع السادات في تدعيم خطط أميركا هذه؟

■ كيسينجر هو المهندس الأكبر لهذه النظرية. وقد كان كيسينجر أنجح المهندسين لأنه حقق نتائج في هذا المجال حيث فشل دالاس (وزير الخارجية في عهد أيزنهاور). ولعل سبب نجاح كيسينجر أن وجوده على ساحة الشرق الأوسط جاء في

وقت واحد مع شعور الشعب المصري بالتعب من سنوات الحرب والنزاع، ومع وجود السادات، الذي هو بلا شك من أغرب الحكام الذين عرفهم العالم العربي. وكان السادات مستعداً ليمثل الدور المطلوب في نطاق خطط أميركا هذه. وقد استغل كيسينجر ذلك إلى أقصى حد.

● ماذا ستفعل اسرائيل، في رأيك لوضع عقبات أمام عودة مصر إلى العرب؟

■ اسرائيل، بالطبع، لن تسكت. وستقوم بكل ما في وسعها لعرقلة عودة مصر إلى العرب: من التأثيرات النفسية، إلى التآمر، إلى شيء من عرض القوة والعضلات. اسرائيل تريد أن يتوقف التاريخ، أن يتجمد التاريخ، أن يدخل في ثلاجة عميقة ويبقى هناك.

● عام ١٩٦٨ لعبت الدور الأساسي في تعريف عبد الناصر بحركة «فتح» والثورة الفلسطينية. فقد كنت أنت الذي حقق أول لقاء بين عبد الناصر وقادة «فتح» في ذلك الحين، إذ نقلت بسيارتك ياسر عرفات وأبو أياد وأبو اللطف إلى القصر الجمهوري لمقابلة عبد الناصر. هل أنت مستعد لأن تلعب دوراً مشابهاً الآن بين منظمة التحرير ومبارك؟ هل أنت مستعد لأن تكون وسيطاً لحوار فلسطيني - مصري؟ وهل طلب منك مبارك أو الفلسطينيون ذلك؟

● ما ذكرته عن العام ١٩٦٨ صحيح. يومها كان عرفات في القاهرة ومعه أبو اللطف وأبو أياد فقمت بتأمين أول لقاء بينهم وبين عبد الناصر. وإذا جاء عرفات إلى القاهرة فليست هناك أي مشكلة لمقابلة مبارك. هناك أود أن أقول إن أحداً لم يطلب مني القيام بأي دور أو وساطة، ولا أنا مستعد للقيام بأي دور. أنا، كما قلت، بعيد عن لعبة السياسة المصرية والصحافة المصرية. لكن هذا لا يمنع كوني مستعداً لخدمة بلدي والقضية الفلسطينية. لقد قمت خلال حياتي بمهمات كثيرة وبأدوار سياسية مختلفة. وأنا لا أريد تكرار ذلك ولا أحتاج إلى دور جديد.

● **نعود إلى مبارك وأميركا. لماذا رفض الرئيس المصري الحالي إعطاء أميركا؟ وهل تتوقع أن تحدث مشكلة أو أزمة في العلاقات المصرية ـ الأميركية في عهد مبارك؟**

■ لقد رفض مبارك اعطاء الأميركيين قواعد عسكرية في مصر، ليس فقط لأنه ضد هذا المبدأ، بل أيضاً لأنه لا يؤمن بجدوى القواعد العسكرية. كما أن مبارك أكد للأميركيين أنه لا يستطيع أن يقرر أي شيء نيابة عن الفلسطينيين، وهذا مخالف مع ما كان يسير عليه السادات. هل ستحدث مشكلة بين مصر وأميركا في عهده؟ لا بد هنا من القول إن أميركا تحاول فعلاً استغلال القوة الدولية لحفظ السلام في سيناء بعد الانسحاب الاسرائيلي الشهر المقبل، لكي تحول هذه القوة إلى طليعة لـ «قوة الانتشار السريع» التي أنشئت في عهد كارتر بحجة «حماية المنطقة من أي تهديد خارجي». إن أميركا تقوم ببناء تسهيلات عسكرية في شرم الشيخ على أساس أن تستفيد منها قوات حفظ السلام الدولية. لكن الواقع أن هذه التسهيلات هي أكثر مما تحتاج إليه قوات حفظ السلام. إن أميركا تريد تحويل شرم الشيخ إلى قاعدة لقوة الانتشار السريع. والرئيس مبارك يعارض وجود قواعد أجنبية في مصر. إذاً، لا بد أن تحدث إشكالات بين الجانبين. لكن لا أستطيع القول إذا كانت ستحدث أزمة مصرية ـ أميركية.

● **يقال إن مبارك سيكلفك، بعد الانسحاب الاسرائيلي من سيناء، بدور ما على الصعيد العربي. هل هذا صحيح؟ وما نوع علاقتك بالرئيس مبارك؟**

■ اجتمعت بالرئيس مبارك منذ الافراج عني في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي. لكن هذه اللقاءات تمت في اطار محدود جداً. هناك بالطبع ود متبادل بيننا، وأنا أتمنى النجاح للرئيس مبارك. لكن ليس صحيحاً إطلاقاً أن أحد كلفني بأي دور. وأنا لا أريد أي دور رسمي. وقد قلت للسادات مرة إنني لا أريد مكتباً أو منصباً أو مرتباً، أي لا أريد أي دور رسمي. وهذا هو موقفي اليوم. والواقع أنه ليس لدي أي سلطة في مصر ما تعطيني اياه، وأنا لست راغباً في ترتيب اجتماعات سرية بين أي طرف وطرف. لكن هذا لا يمنع أنني أستطيع أن العب دوراً، من دون

تكليف ونتيجة قناعاتي وإيماني بمصر وهويتها العربية والقضية الفلسطينية. وليس من الضروري تكليفي بدور رسمي لكي ألعب دوراً. أنا حين أتكلم وأكتب وأشرح للعالم وضع بلادي وأقول للعرب إن مصر عربية، أكون أؤدي دوراً ما. لا حاجة لورقة تكليف رسمية بذلك.

● من قتل السادات فعلاً؟ هل قتله خالد الاسلامبولي ورفاقه حين أطلقوا عليه النار يوم ٦ اكتوبر؟ أم قتلته معاهدة كامب دايفيد؟ أم قتلته أميركا؟

■ الذين شاركوا في قتل السادات كثيرون. هناك أولاً الدكتور كيسينجر ومعه رؤساء أميركا الثلاثة نيكسون وفورد وكارتر. كيسينجر اكتشف أنور السادات واكتشف نقاط الضعف فيه. اكتشف خصوصاً أن السادات يحب المديح وسماع الاطراءات ويحب أن يكون له دور ما في المنطقة. وقد استغل كيسينجر نقاط الضعف هذه إلى أقصى حد، كما أنه ساهم في تعريف رؤساء أميركا على السادات ونقاط ضعفه. كيسينجر، إذاً، هو المتواطىء الرئيسي في عملية اغتيال السادات. وتأتي في الدرجة الثانية شبكات التلفزيون الأميركية الثلاث «أي. بي. سي.» و«ان. بي. سي» و«سي. بي. اس» وخصوصاً المعلقين الأميركيين المشهورين الثلاثة فيها: برباره والترز ووالتر كرونكايت وجون شانسيلور. لقد بالغوا في اطراء السادات وتنمية الغرور فيه وتسليط الأضواء عليه، واستغلوه ـ هم المسؤولون الاميركيون ـ للحصول على التنازلات التي يريدونها منه. لقد كان السادات يتأثر كثيراً بإعجاب الاعلام الاميركي والغربي عموماً به. وأذكره مرة أنه قال لي إن عبد الناصر ظهر على غلاف مجلة «تايم» الاميركية أربع مرات «وأما أنا فقد ظهرت حتى الآن ٦ مرات». اضافة إلى ذلك هناك عدد من الصحافيين الاميركيين والغربيين الذين غمروا السادات باطراءاتهم ومقالاتهم الملأى اعجاباً به وبسياسته. هؤلاء جميعاً شاركوا في قتل السادات، قبل اطلاق الرصاص عليه في ٦ اكتوبر.

● والصحافيون المصريون؟ ألم يلعبوا دوراً مماثلاً في هذا النطاق؟

■ الصحافيون المصريون في عهد السادات كانوا أدوات في لعبة ولم يكونوا اطرافاً فيها.

● **هل تعتقد أن خالد الاسلامبولي ورفاقه سيعدمون؟**

■ هذه القضية دقيقة جداً. لا بد من القول، أولاً، إنني مدين في جزء من حريتي لخالد الاسلامبولي ورفاقه. لقد قالت السيدة جيهان السادات إن الرئيس الراحل كان ينوي الافراج عني في ابريل (نيسان) ١٩٨٢. بالطبع ما قالته لي السيدة جيهان هو في حدود معلوماتها. لكن قناعتي الشخصية أن السادات كان ينوي ابقائي في السجن مدة أطول من ذلك بكثير. وجرى اغتيال السادات. وأطلق سراحي في تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي. أنا شخصياً ضد القتل والاغتيال، لكن ما حدث في ٦ اكتوبر هو نتيجة الحوار بالعنف والعنف المضاد الذي بدأ قبل ذلك اليوم بسنوات. القلائل يعرفون مثلاً أنه يوم حدوث الانفجار الشعبي في مصر يومي ١٧ و١٨ يناير ١٩٧٧ بسبب غلاء المعيشة ـ وهو ما أطلق عليه السادات اسم انتفاضة الحرامية ـ القلائل يعرفون أن ١٦٠ شخصاً قتلوا برصاص قوات الأمن في هذا الانفجار، أليس هذا عنفاً والعنف لا بد أن يجر العنف المضاد. حين ترفع الأسعار دفعة واحدة وتقوم التظاهرات احتجاجاً على ذلك وتواجه بالقمع، أليس هذا عنفاً؟ في سبتمبر (ايلول) الماضي اعتقل السادات كل قيادات مصر تقريباً من كل التيارات من دون أن يكون هناك أي سبب. أليس هذا عنفاً؟ أليس عنفاً أن تزج في السجن ثلاثة آلاف شخص دفعة واحدة؟ اليس عنفاً أن تعتقل شخصيات بارزة تاريخية، أمثال فتحي رضوان (٧٠ سنة) وفؤاد سراج الدين (أكثر من ٧٠ سنة) والدكتور حلمي مراد وعبد الفتاح حسن (٨٠ سنة) وعبد العزيز الشوربجي (٧٠ سنة) نقيب المحامين الذي كان يقوم وهو مرمي على الأرض في زنزانته؟ (توفي الشوربجي في ٧ فبراير الماضي). . . كي لا أذكر الآخرين. نعود إلى سؤالك: هل سيعدم الاسلامبولي ورفاقه؟ الواقع أن الاسلامبولي ورفاقه ينادون بعضهم البعض في السجن بكلمة «الشهيد». إنهم جاهزون للموت. وأنا أكره حدوث ذلك. لكن لا أعرف كيف يمكن ألا يصدر حكم بإعدامهم، ولا اعرف ماذا سيفعل الرئيس مبارك حين يرفع اليه قرار المحكمة العسكرية. اعتقد أن هذه معضلة.

● **نعود إلى معاهدة كامب دايفيد. هل صحيح أن كارتر وعد السادات، قبل توقيع معاهدة كامب دايفيد، بأن يقنع بعض الدول العربية النافذة بهذه المعاهدة ثم أصيب السادات بصدمة حين فشل كارتر في ذلك؟**

■ نعم كارتر وعد السادات فعلاً باقناع بعض الدول العربية النافذة بمعاهدة كامب دايفيد. وقبل توقيع هذه المعاهدة قال كارتر للسادات إن وزير خارجية فانس سيزور السعودية ودولاً عربية أخرى لهذا الشأن. وبعد توقيع المعاهدة وبينما كان السادات يستعد لمغادرة واشنطن، جاءه هيرمان ايلتس سفير أميركا في القاهرة مودعاً. وسأله السادات: هل سافر فانس إلى المنطقة؟ فأجابه ايلتس: نعم وما حدث في الواقع أن أميركا فشلت في اقناع السعودية والدول العربية الأخرى بمعاهدة كامب دايفيد، فوقفت هذه الدول ضد ما قام به السادات.

● **أنت عرفت عبد الناصر والسادات ومبارك. ما سر قوة كل منهم؟**

■ صحيح أنا عرفت عبد الناصر والسادات جيداً، لكنني لا أستطيع القول إنني أعرف مبارك جيداً، وما سأقوله عن مبارك مجرد انطباعات نتيجة لقاءاتي به. سر قوة عبد الناصر أنه أولاً عاش لقضايا مصر والعرب وكان تعبيراً عن لحظة تاريخية في حياة الأمة العربية. وسر قوته، ثانياً، إنه تجاوب مع طموحات أمته، وثالثاً إن عبد الناصر كان شخصاً لا يمكن افساده. بالنسبة إلى السادات، سر قوته الأساسية أنه عاش حياة صعبة جداً، وأنه تعلم من الظروف التي مر بها، التسامح والصبر والاحتمال. وحين فقد السادات هذه الصفات تعب وانهار. لقد فقد السادات هذه الصفات حين أصيب بأوهام العظمة وتصور أنه لا يستطيع الانتظار والاحتمال. فاصطدم بالتاريخ. ما قتل السادات في النهاية ليس فقط معاهدة كامب دايفيد. فالاعتقالات الواسعة النطاق التي قام بها في سبتمبر الماضي جعلته يفقد ميزته الرئيسية وهي التسامح. لقد صدمت هذه الاعتقالات الناس واعطت شرعية لأي عمل مضاد. بالنسبة إلى مبارك تجد نفسك أنك أمام رجل مستقيم وفي رأيي ان أهم ما يعمله مبارك انه لا يمثل دوراً ليس دوره أو يوحي بشيء ليس فيه. شعوره الوطني والقومي والاجتماعي سليم لأن مقوماته سليمة. وما قام به حتى الآن من

خطوات يمكن اعتباره عملاً صحيحاً. وهو يتحرك بهدوء وعلى مهل وبموازين وحسابات معينة. من واجبنا اعطاء مبارك الفرصة الكاملة لكي يعمل. وبعد فترة ستظهر أكثر فأكثر معالم شخصيته وسياساته المستقبلية.

● بعد تسلم الرئيس الحالي السلطة قال البعض إن مبارك مجرد مرحلة مؤقتة. فهل هذا شعورك

■ مبارك ليس مرحلة مؤقتة. لا أعتقد ذلك. يمكن القول إن هذه المرحلة هي مرحلة انتظار وترقب قبل الاختيار. اتصور أن مبارك قابل جداً للاستمرار من حيث إنه قابل للاستجابة للثوابت والمتغيرات في حقائق المنطقة. وأنا لا أرى ما هو البديل من مبارك، أو من هو البديل عنه؟ فالانقلابات في مصر غير مرغوب فيها. واتمنى للذين يرددون مثل هذه الأقوال أن يراجعوا أنفسهم. يجب عدم دفع مصر إلى المجهول. مصر مهمة جداً للمنطقة وللعرب ولنفسها.

● خلال وجودك في السجن تحاورت مطولاً مع الجماعات الاسلامية. وهناك كثيرون يقولون ـ أو كانوا يقولون في نهاية عهد السادات ـ إن مصر قد تتحول إلى ايران ثانية. ما رأيك؟

■ أنا أعرف ايران جيداً منذ الخمسينات. مصر لن تصبح ايران ثانية. هناك فوارق كبية بين ايران ومصر سواء جغرافياً أو اجتماعياً أو بشرياً أو دينياً. ايران تشعر بعزلة قومية ودينية وهذا يخلق توتراً وغلياناً واستعداداً للتفجير. مصر ليست كذلك. مصر واد منبسط. فيها مذهب واحد. المجتمع المصري يحتاج إلى حكومة مركزية قوية. مصر يمكن أن تكون مصدراً للأساطير لكنها في الوقت نفسه تعيش واقع وادي النيل.

● عرفت الامام الخميني وتحاورت معه ووضعت كتاباً عن الثورة الايرانية. هل تشعر الآن بخيبة أمل مما وصلت إليه الثورة الايرانية؟

■ أنا مصاب بشيء من خيبة الأمل تجاه الوضع الحالي للثورة الايرانية. حتى قامت هذه الثورة وتسلمت الحكم في ايران وحدث ما حدث، كنت أقول: «هذه

طبيعة التغييرات الكبرى في التاريخ: دم وقتلى وانقاض واشلاء». كنت أفهم ما يحدث داخلياً في ايران. لكن ما جعلني أصاب بقلق الطريق الذي سارت فيه الثورة الايرانية. لقد جرت نقاشات بين الخميني وبيني اكتشفت خلالها أنه لا يعتقد بفكرة القومية العربية ولا يؤمن بها. وقلت هذا للخميني. قلت إنه حين يقف ضد القومية العربية فهذا يعني أنه يريد تفكيك أمة وتمزيقها، وهذا يهدد بلا شك أمن الأمة العربية ويفتت وحدتها. لقد فتحت الثورة الايرانية جبهات لا لزوم لها. وللأسف أشعر بخيبة أمل تجاهها. الثورة الايرانية كانت في البداية أكبر من ذلك.

● **يقال إن الصحافة المصرية كانت مقيدة في عهد عبد الناصر وتحررت أكثر في عهد السادات. هل هذا صحيح؟**

■ (ضحك هيكل ولم يجب).

● **إلى أين تتجه منطقة الشرق الأوسط في رأيك؟**

■ المنطقة بظروفها السائدة مقبلة على فترة من الفوضى والتوتر والتفجرات والصراعات والحروب الاقليمية. هذه الفترة قد تستمر بين ١٠ و ١٥ سنة... ما لم تحدث معجزة! مثلاً، قيام حزام أمني يشكل ما يشبه قوس الاستقرار أو قوس ضبط التوترات ويشمل مصر ودول الخليج والعراق ويحمي القضية الفلسطينية.

● **هل تفتقد الدور الذي كنت تلعبه في عهد عبد الناصر؟**

■ أفتقد عبد الناصر وعصره، لا الدور الذي لعبته آنذاك. أفتقد هذه الحقبة التاريخية المهمة ولا أفتقد دوري.

● **هل ستعود إلى الصحافة المصرية وتتسلم مسؤوليات فيها؟ وما هي مشاريعك المقبلة؟**

■ لا أستطيع اطلاقاً أن أتصور وجودي في الصحافة المصرية. إذا سمحت لي الظروف بإصدار صحيفة جديدة داخل مصر وليس خارجها، فسأصدرها خلال ٢٤ ساعة! مشاريعي المقبلة؟ اعد كتابين: الأول بعنوان «خريف الغضب» وهو يتناول

أحداث مصر في الأشهر الأخيرة من عهد السادات. والكتاب سيصدر في الخريف المقبل في بريطانيا. والكتاب الثاني عن حياة عبد الناصر وعصره، وسيصدر منه جزء واحد باللغة الانكليزية ثم سيصدر بشكل موسع في ستة أجزاء باللغة العربية. والمهم في الأمر أن الجزء السادس سيتضمن وثائق تنشر للمرة الأولى وبخطيد عبد الناصر، حين جاؤوا لاعتقالي في سبتمبر (ايلول) الماضي، أرادوا مصادرة هذه الوثائق التي كتبها عبد الناصر بخطيده. ضحكت وقلت لهم: «فتشوا المنزل كله فلن تجدوها لأنها محفوظة في مكان آمن في لندن. وإذا أردتم الحصول عليها فاسمحوا لي بالسفر إلى لندن لإحضارها».

خيار مصر الاستراتيجي هو: العرب

كان الموعد قبل ظهر ٢٢ كانون الأول ـ ديسمبر في فندق «ميريديان» في القاهرة. ولاسباب صار في فندق «كلاريدج» الانكليزي مساء الاثنين الفائت.

محمد حسنين هيكل مثل ساعة «بيغ بين» دقيق في مواعيده، حريص على صداقاته. يودع مراسلاً انكليزياً ليستقبل زميلاً عربياً. متقد الذهن دائماً كأنه ما زال في «الأهرام».

تحدثنا تقريباً عن كل شيء. مصر الناصرية. مصر الساداتية. العسكر في العالم الثالث. لبنان ـ بولندا ـ ايران. العلاقات بين العملاقين، وخصوصاً مصير العلاقات المصرية ـ الاسرائيلية.

في كل هذه المسائل كان الاستاذ هيكل واضحاً عليماً صريحاً لم يداور ولم يجامل. قال ما يظن أنه الحقيقة للوقت الحاضر وفي ما يأتي الحوار معه:

● مجلة المستقبل ـ ٦/ ٣/ ١٩٨٢ ـ إبراهيم سلامة

● **صرح الرئيس مبارك اخيراً في أوروبا بقوله: أنا لست عبد الناصر ولا أنور السادات. أنا اسمي محمد حسني مبارك. بماذا تفسر هذا الكلام؟**

■ هيكل: لقد أحب أن يقول، إن الجغرافيا والتاريخ هما الحكم الاساسي في سياسة أي شعب وفي استراتيجية أي امة أو أي دولة. وأن أنور السادات تجاهل الجغرافيا والتاريخ، وأنا اعتقد أن عبد الناصر كان استجابة طبيعية لتاريخ وجغرافية مصر، طبيعة موقع مصر يعبر عن الجغرافيا والتاريخ في تطور مصر. مشكلة أنور السادات، أو ازمته الحقيقية، تصوره أنه «سوبر ستار» وبوهج الدعاية الاميركية التي أعطيت له، تصور أنه يستطيع أن يتخطى التاريخ ولعله لم ير التاريخ. وفي النهاية أن التاريخ هو الذي اغتاله. واتصور أن حسني مبارك أراد أن يقول إن كل سياسي في الدنيا يتفق مع نفسه يجب أن يعبر عن الجغرافيا والتاريخ. لكن كل تعبير يختلف عن غيره. عبد الناصر عبر عن التاريخ كما عاشه في الخمسينات والستينات ضمن حدود معينة. أنور السادات حتى حرب اكتوبر اعتقد أنه سار باتجاه التاريخ وباختياره، بعد حرب اكتوبر، الذهاب إلى القدس، يكون قد سار ضد حركة التاريخ وراح ضحية تجاهله لحركة التاريخ والجغرافيا.

واتصور أن حسني مبارك اراد أن يقول: أنا لست عبد الناصر، ولذلك بالنسبة للتعبير الذي كان يعبر به عبد الناصر. وأما قوله لست أنور السادات، فلا اعرف ماذا يقصد بقوله هذا. وهو كان يقول: أنا تكملة لانور السادات. لكن أنا لست أنور السادات. وما اتصوره أن حسني مبارك بطبيعة تكوينه وطبيعة تركيبته يمكن أن يكون عنده تعبير آخر عن جغرافية وتاريخ مصر.

● يقال إن مفاوضات الحكم الذاتي تتعثر حالياً وأن شامير زار مصر وعاد متشائماً. هل تعتقد أن إسرائيل جادة فعلاً بإعادة سيناء؟ وهل تعتقد أن الرئيس مبارك يهمه هذا الموضوع والعودة إلى المعسكر العربي؟

■ هيكل: أنا لا اعتقد أنه كان في وقت من الاوقات شيء ما اسمه مفاوضات الحكم الذاتي. يمكن القول إنه كانت هناك مسرحية اسمها مسرحية الحكم الذاتي. أنور السادات كان يملك في كامب دايفيد حق الكلام نيابة عن مصر، وهذا سهل جداً لأن الموضوع محصور في ولايته على سيناء، باعتبارها جزءاً من مصر. وإسرائيل عندها فيها ترتيبات امنية يمكن أن تتحقق، وبامكان أنور السادات أن يقبل أو أن يرفض هذا الموضوع. لكن في ما يتعلق بالفلسطينيين، من اللحظة الاولى التي قال فيها الفلسطينيون إنهم لن يحضروا مؤتمر القاهرة، الذي تم بعد المبادرة، لم يعد هناك شيء اسمه حكم ذاتي. اصبح هناك مسرحية اسمها مسرحية الحكم الذاتي، في الواقع كان هذا غطاء شفافاً جداً لحقيقة أن هناك صلحاً منفرداً بين مصر وإسرائيل. وعندما يقول حسني مبارك لريغان: أنا لا استطيع أن اعطي شيئاً باسم الفلسطينيين يكون الرجل قد نفض عن نفسه هذا القناع الزائف.

على الاقل هذه الورقة الشفافة قد سقطت. لنتكلم في حدود سيناء. ومفاوضات الحكم الذاتي حتى في وقت أنور السادات كانت مجرد غطاء. لأنه لا يملك هذا الحق. ليس هناك شيء اسمه مفاوضات حكم ذاتي جارية، ولن تجري هذه المفاوضات. لأن الطرف الاصيل فيها غائب. وإذا حصل أن إسرائيل ضمت فعلاً الضفة الغربية وغزة، وعملية الضم جارية فعلاً، والقدس ضمت بقانون. فليس هناك حكم ذاتي بل نوع من المجالس البلدية. في البداية كان هناك خرافة اسمها الحكم الذاتي. وكانت غلالة رقيقة في الواقع لتغطية أن ما حدث في كامب دايفيد هو صلح منفرد بين مصر وإسرائيل، وهذا ما حدث مع الاسف ابتداء من فك الارتباط الاول. وهذا كان سبب خلافي مع أنور السادات وأنا اسمي هذا حقيقة مفترق الطرق بين وبين أنور السادات. لأن معنى أن توقع فصل قوات أو فك ارتباط منفصلاً هو أنك في طريقك إلى صلح منفرد. وحين وضع، بعد ذلك،

الموضوع الفلسطيني كان ذلك مجرد غطاء لسبب بسيطهو أن مصر لا تملك عملياً أن تتكلم باسم الفلسطينيين بينما إسرائيل تملك عملياً أن تنفذ فوق الفلسطينيين وبالتالي فإنها ليست موجودة الآن - أي مفاوضات الحكم الذاتي - ولن تستمر في المستقبل.

● يوم خروجك من السجن، صرحت عبر مجلة المصور أنه بعد مناقشات مع بعض الاخوان المسلمين المعتقلين، شعرت أن هوة كبيرة تفصل ما بيننا وبين هؤلاء الناس. هل معنى ذلك أن ما يسمى بالردة الاسلامية التي بدأت بالخميني ويتابعها الآن بن بيللا هي تعبير حقيقي عن الحس الجماهيري؟

■ هيكل: أولاً يجب أن تفصل بين ما يجري عند الخميني وبين ما يحصل عندنا في المشرق. (أنت لا تقرأ تصريحات بن بيللا وهذا موضوع آخر، مختلف). ايران عندها مشكلة خاصة بذاتها وهي أنها قومية محاصرة. انظر إلى الخريطة. إيران بلد محاصر، قومية محاصرة بين شبه القارة الهندية من جهة والقومية العربية من جهة. دع الاتحاد السوفياتي، أنا أتكلم عن القوميات التي تنتمي الى نفس الأسس الحضارية الأديان. شبه القارة الهندية فيها باكستان والهند - ومن ناحية أخرى العالم العربي. وإيران قومية أقلية منعزلة، ومذهب أقلية منعزلة، وبالتالي فإن القومية الذاتية لايران هو قومية الأقلية ومذهب الأقلية المحاصرة بين بحرين، معنى هذا أن لها تركيبة خاصة ليست موجودة عندنا، ما يحدث في العالم العربي، أي الظاهرة الإسلامية في العالم العربي وأنا لا أسميها ردة إسلامية، هناك عملية أكاد أسميها تراجعاً بالتاريخ الى المطلق.

● في كتابك الاخير عن الخميني قلت إنها حربة من القرن الرابع عشر دخلت في القرن العشرين.

■ هيكل: ما اكتشفته في السجن كان عندي قبل ذلك ولكن ما هالني في السجن هو أن هناك جيلاً من الشباب فقد ايمانه بحاجات كثيرة. أنور السادات قال لهم إن عبد الناصر «وحش» عبد الناصر قال لهم قبل ذلك إن الملك فاروق «وحش» وبعد ذلك الاشتراكية التي كان يحلم بها هزته والقومية العربية التي كان يفكر فيها ليست

قومية عربية. والانفتاح سبب له الكوارث. هذا الشباب اصيب بيأس في اصالته، بيأس من التاريخ فاراد أن يتراجع إلى اية نقطة. أنت إبراهيم سلامة تمشي في الحياة على أي اساس. أنت تمشي في مجموعة يقينيات. وهي في ذهنك. أنت متعلم تعليماً معيناً، لك اسرة معينة ووطن معين حتى وإن كانت حالته «كرب» وهذه كلها متداخلة مع بعضها هي التي تساعدك على الذهاب والإياب، وتفعل ما تريد. أنت تمثل جيلاً بحاله من الشباب. اسقطت كل هوية له وعندما يفقد الواحد هويته، ماذا يفعل؟ يتراجع إلى أي «حتة» امامه. إلى أمام نسبي. يعني التاريخ، يعني الانسان الذي امامي يهتز. أنا اتراجع إلى الغيب وإلى المطلق. انكمش داخله. وبالتالي هذه الظاهرة الموجودة هي ظاهرة تراجع من التاريخ إلى الغيبي. إلى المطلق.

● **هذا التراجع أو هذه العملية هي نتيجة ماذا برأيك؟ ماذا ستولد عنها؟**

■ هيكل: سيتولد عنها سلطان بشع في مجتمع من مجتمعاتنا وحصل هذا في مصر خذ مثلاً جماعة الجهاد، التي هي فرع من فروع الجماعات الموجودة في مصر. والجهاد هذا تنظيم موجود، وإحدى خلاياه هي التي نفذت وبالجرأة التي شاهدت عملية اغتيال أنور السادات. وهناك مشكلة اكبر من ذلك. في فترة حكم عبد الناصر حصلت اشياء، أنا معترض عليها. أو لست متحمساً لها، فهو ترك الشارع المصري متسيساً باستمرار. الاخطر من هذا أن الشارع اطمأن كثيراً، ثم أنه استيقظ بالرصاص. ثم أنه استيقظ وفيه بؤر عنف، وبقي هذا مع أنور السادات. والسادات في حديثه معي في ١٩٧٥ في أسوان، عندما كان كيسنجر يفاوض، حدث اضراب في المحلة. قال لي إن الشيوعيين هم الذين يقومون بالاضراب قلت له إني اتابع ما يجري في المحلة، وهؤلاء ليسوا بشيوعيين. أنت دائماً تتكلم عن مجتمع مصري مسالم، هناك شحنة من العنف جرُعت في المجتمع المصري. هناك حوالي مليوني مصري دخلوا في دوامة الحرب. من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٤. هناك سبع سنوات، الذين جندوا في هذه الفترة ودخلوا الجيش هم شباب، من كل المناطق. عملوا مشاة و «كوماندوس» وقتلوا وعملوا... هذه هي شحنات العنف. الشعب المصري الذي كان يوصف دائماً بالشعب المسالم الطيب.

الشعب المصري دخلته شحنات من العنف موجودة ومكبوتة. أضيف اليها اخيراً أيضاً عملية التراجع المطلق. اريد أن اسألك سؤالاً. هل من الممكن تصور أن العملية التي نفذت بالذات (مقتل السادات) كانت عملية عسكرية منظمة بكل معنى الكلمة. انت في وسط الجيش، وسط قوة الجيش عربة يأخذها، يسلحها ويدخل بها ثم يطلق النار وينزل ويضرب.. بالصورة التي شاهدتها. ولم تهتز يده. ايه ده، ده ظاهرة ليست فقط تسيس الشارع عنف بالتجربة التاريخية، ثم عنف بالتراجع التاريخي.

● **يقولون إن تصفية السادات ما هي الا مقدمة لتغيير شامل في منطقة الشرق الاوسط العربية. هل برأيك أن ذهاب السادات سيؤثر على الانظمة المشابهة له في المنطقة؟**

■ هيكل: أنا اعتقد أن الموضوع ليس موضوع السادات. أنا اعتقد أن الموضوع أكبر من ذلك وهو غياب مصر. غياب السادات بالطريقة التي حصلت هو نتيجة لغياب مصر. والتأثيرات التي ستحصل في العالم العربي كله ليست نتيجة لغياب السادات. إن أنور السادات كان عاجزاً عن ضبط العالم العربي. نحن باستمرار في الشرق الأوسط في صراع في الصميم هذا ما كان يقوله عبد الناصر. النظام العربي الذي يرتكز على شق الضمان الجماعي العربي. والذي كان عبد الناصر يقول إنه لا يمكن لتركيا أن تدخله ولا ايران ولا باكستان وبالتالي ولا إسرائيل. النظام العربي هذا ضُرب في ١٩٦٧. اصيب بضربة ـ لكن بغياب جمال عبد الناصر، فقدت مصر توجهها العربي أو قدرتها على التأثير في العالم العربي. وجاء أنور السادات وكرس هذا بسياسته. لكن غياب مصر صاحبة الدور التوحيدي ادى إلى جعل كل هذا الموزاييك يهتز. والمطروح الآن هو النظام الشرق الاوسطي.

كان هناك حلم بنظام عربي. جاء عبد الناصر واستطاع أن يحوز على حلم النظام العربي. لم يخترعه اخذ الحلم ونفذه بشكل آخر. لكن الغرب كان يطمح دائماً لمنع هذا النظام العربي. لكن النظام الاقليمي الموجود لا يمكن الا أن يكون

نظاماً شرق اوسطياً، وشرق اوسطي معناه أن تدخل فيه باكستان وتدخل فيه تركيا وايران ثم إسرائيل. ومع الأسف الشديد أن الجامعة العربية قد سعت إلى تحقيق ذلك حتى قبل حرب اكتوبر. وعلى سبيل المثال قبلت القوميات الاخرى. جيبوتي مثلاً ليست دولة من الجامعة العربيــة. الصومال رغم عروبته يستعمل الحروف اللاتينية.

ونستنتج أن عملية كسر النظام العربي موجودة ومستمرة وهي، كحرب، تعتبر الوسيلة الاساسية لكسر هذا النظام. ولكن إلى جانب هذه الوسيلة الاساسية كان هناك وسائل اقتراب اخرى فرعية كأن تعوم الخاصية العربية إلى حاجات اخرى تحت دعوى الاسلام وهذا كان موجوداً في المؤتمر الاسلامي الذي انعقد في السعودية. لكن الكلام عن الشرق الاوسط يعني أن إسرائيل جزء فيه وتركيا جزء فيه. وانسحاب مصر من النظام العربي لم يخلخل فقط النظام العربي ككل وجعل الباقي شظايا لكنه أيضاً فتح الطريق للنظام الشرق ـ اوسطي.

● **حذر وزير خارجية فرنسا كلود شيسون عندما كان في القاهرة مؤخراً، من خطر تقسيم البلاد العربية إلى معسكرين: سوفياتي واميركي طبعاً هذا كلام اوروبي. هل تظن أن كلامه في محله أم أن واشنطن ما زالت كما كان يقول الرئيس السادات تمسك بجميع، أوراق الحل في الشرق الأوسط؟**

■ هيكل: كلا. أنا لا أعتقد ذلك. منذ طرد الخبراء السوفيات من مصر سنة ١٩٧٢ ومنذ إخراجهم من محاولة حل أزمة الشرق الأوسط في أوائل سنة ١٩٧٤ (مؤتمر جنيف) أدرك الاتحاد السوفياتي أنه مني بهزيمة كبيرة في الشرق الأوسط. عندما تحاول أن تعالج تفكير السوفيات تجد أنهم دائماً يتكلمون عن التاريخ. السوفيات يفكرون في ما هو استراتيجي والأميركيون يفكرون في ما هو تكتيكي. السوفيات يعتقدون بحركة دوران التاريخ لمصلحتهم بينما الأميركيون هم ضد أي تغيير في هذا المجال لأنهم يعتقدون أن كل تغيير يأخذ من مكاسبهم.

اعتقد أن الاتحاد السوفياتي يرى التفاعلات الجارية في المنطقة وهو يدرك أنه

مني بهزيمة. إن السوفيات واقعيون من هذه الناحية كثيراً. ليس عندهم قوى ضاغطة. ليس لديهم كونغرس يشرشح الرئيس وليس هناك صحافة. . وبالتالي فهم يستطيعون أن يقوموا بانسحاب وأن يغطوا هذا الانسحاب تحت أي ستار. وهم برأيي تراجعوا وانسحبوا عندما وجدوا أن قضية الاسلام تؤثر في الجمهوريات الجنوبية عندهم. دخلوا افغانستان وانتهى الموقف هناك عسكرياً ووقفوا منتصرين. هم ينتظرون ـ كما أظن ـ تفاعلات هذه المنطقة فتصل بين هذه الشظايا أو تفتت فيما بين هذه التفاعلات كلها عن طريق قضايا اجتماعية ـ اقتصادية ـ سياسية فكرية الخ. هم يعتقدون أنه في المحصلة النهائية لا يوجد شيء يمشي سوى مصلحتهم أما الاميركيون فهم يريدون أن يرتبوا الاوضاع لكي يمنعوا إما تطورها وإما تدهورها وإما تقدمها. وبالتالي فإن موقف هاتين الدولتين ـ باعتقادي ـ لا قواعد له. واحد واقف ينتظر تفاعلات التاريخ وواحد يحاول أن يوقفها. وتفاعلات التاريخ هذه قد تتطلب وقتاً طويلاً وقد تجيء هذه التفاعلات على غير ما يشتهي. أما الذي يحاول أن يوقفها فلا يستطيع أن يوقفها. هو لا يستطيع أن يوقف الشاحنة. لا يستطيع أن يمنع اغتيال أنور السادات. وبالتالي اعتقد أنهم في موقف صعب وحرج للغاية في الشرق الأوسط لأنهم فعلاً يقفون في وجه حركة التطور التاريخي. لا يستطيع أحد منهم أن يقوم فيها بعملية مراقبة «كونترول» في هذه الحركة الحاصلة. على كل حال ليست الدول هي التي تصنع التاريخ. هذا تصور خاطىء. نحن ـ دون شك ـ نساهم أحياناً فيه. لكن التاريخ هو مجموعة احداث. الذي يقرأ حوادث التاريخ يبدو كأنه قرأ أو رأى مسرحية كاملة لكن هذه المسرحية الكاملة لكي تخرج بالطريقة التي يمكن للمشاهد رؤيتها، حصل وراءها مآسي ومشاكل واختلافات وانقسامات.

● كالمسرحية التي تجري وراء الكواليس؟

■ هيكل: بالضبط فيها فوضى وزور وطلوع وسلالم. . . الخ. من يصنع التاريخ؟ ليس فقط السادات! أنا اعتقد أن ولداً مجهولاً اسمه اسلامبولي أثّر في التاريخ أكثر مما اثّر أنور السادات. ألم يكن السادات على شاشات التلفزيون

عندما جاء ولد من المجهول لا نعرفه (وراح ضارب). وغيَر الصورة كلها.

● أنت الصحفي المصري الكبير الوحيد الذي لم يزر لبنـان. وكنـت في الماضي تصرح عندما لم يكن لبنان في حاله الحاضرة بأنك لم تكن بحاجة أن تزور لبنان. بعد الخراب الـذي حل بلبنـان، ما هو في تقـديرك حجـم المساهمـة العـربية في تدمير هذا البلـد؟ ومـا رأيك في حجـم ومساهمـة السادات شخصياً بالموضوع؟

■ هيكل: أولاً ليس صحيحاً أنني لم ازر لبنان لأنني زرت لبنان مراراً. وآخر مرة زرته كانت في سنة ١٩٧٥ وقلت لكم أنكـم على شفا كارثة وقلت ذلك أيضاً من على شاشة التلفزيون في حديث مع عادل مالك. قلت له: أنا لا اعتقد أن لبنان والتركيبة اللبنانية تستطيع أن تتحمل تناقضات المنطقة. اسمح لي أن اقول دون أن تزعل أنت كلبناني إن هناك ثلاثة بلدان اصطناعية في المنطقة هذه البلدان انشأتها ظروف استراتيجية.

أولاً: إسرائيل قائمة على التناقض العربي ـ الغربي.

ثانياً: الاردن قائم على التناقض العربي ـ الإسرائيلي.

ثالثاً: لبنان قائم علـى التنـاقض العربي ـ العربـي، تقـول لي أنـت ما مدى مساهمة العرب في تدمير لبنان. اقول لك إن ذلك يعادل مساهمة العرب في تعمير لبنان. اليس كذلك؟ نفس الحكاية. أنتم كنتم عائشين على التناقضات العربية. وكانت التناقضات العربية مضبوطة بوجود مصر ووجود جمـال عبـد الناصر. ايام عبد الناصر كنتم تتهمونه بالدكتاتورية. . . لأنكـم كنتم عائشون على التناقضات. كويس. جاء عبد الناصر عملها فيكم واختفى. كويس. واختفى النظام العربي. وقواعد التناقضات الموجودة اختلطفيها الحابل بالنابل. وأنور السادات الذي كان يقود أكبر دولة تقدمية ثورية راح وانضم الى معسكـر آخر. الحاجة انتفت الى وجود لبنان مع الاسف الشديد. اقصد الحاجة الاجتماعية الاستراتيجية الدولية. يمكن يزعلوا مني لأني اقول كده. لكن معليش. لبنان كان «كانتون» كان مكانـاً لتهريب الاموال. كان مكاناً للقاء قوى اجتماعية متصادمة واستفاد من ذلك وعمر.

اليس كذلك. العمار في بيروت. انتم يا اخي عملتوه؟ تضحك علي؟ انتم كنتم القاعدة الخلفية لكل عباءة البترول ولكل عباءة الامن المحيط بالبترول في المنطقة. واختلت قواعد اللعبة وبما انكم كنتم ساحة ولم تكونوا اطرافاً في الصراع حصل ما حصل. الذين كانوا يصرفون عندكم ويسهرون عندكم تخانقوا عندكم.

أنا زرت لبنان وقلت كده. قلت في سنة ١٩٧٥ يا إخواننا مش ممكن. الصيغة اللبنانية لم تعد تحتمل. قلت هذا الكلام على التلفزيون اللبناني. قلت هذا في اجتماع حضره معي الامام موسى الصدر وكان موجوداً عدد من الزعماء اللبنانيين. وقلت: يا اخواننا انا قلق جداً على لبنان. الصيغة اللبنانية لم تعد تحتمل.

● **لو اخذنا خريطة العالم الحالية: في السلفادور: حرب. في بولونيا: مجاعة. في كامبوديا: حرب. في لبنان: حرب. في افغانستان: حرب. هل تظن هذه البؤر يمكن تهدئتها أم انها مقدمة لمواجهة شاملة؟**

■ هيكل: لا لا غير ممكن. ليس هناك احتمال مواجهة شاملة. هم يتقاتلون ليس من اجل مواجهة شاملة ابداً. لكن هناك نقاط احتكاك. هناك حاجات فيها خطوط محددة كوضع بولندا مثلاً. أنا اعتقد أن الغرب ارتكب غلطة بشعة جداً في بولندا. افغانستان نقطة تماس. عندما يحتك حجران احدهما بالآخر تحصل شرارة لكن ليس اكثر من كده. لن يحصل صدام. كل الذي تراه هو سبيل اعادة الضبط / (Controle) والصراع بين الاثنين مستمر. واستحالة الحرب بينهما قائمة. لكن سبب الصراع يحصل في تقدم وتأخر في مواقع وفي تأثيرات سواء في التفكير أو في الدعاية أو في التأثير أو في الضغط الخ... كل طرف من الاطراف مضطر لاعادة عملية الـ: / (Controle) على أي حاجة تفلت منه. ونحن للأسف بين المنطقتين. واقعون داخل المنطقة الحيوية لهذا الطرف أو في المنطقة المباشرة له. مثلاً خذ أوروبا الشرقية. الاتحاد السوفياتي لن يسمح لاحد بأن يلعب بها وعند اللزوم يدخل اليها بالقوة. اميركا اللاتينية - بعد كوبا انتهت التجربة. خلاص. كوبا محصورة وراح تروح - لكن بعد فيديل كاسترو ما الذي سيحصل؟ هذه المنطقة مأخوذة للاميركيين ما فيش حاجة ثانية. الاتحاد السوفياتي لا يفكر أن يعمل

فيها مؤامرات ولما حصل فيها نظام تقدمي حتى بالطريقة التي حصلت بواسطة الليندي اندبح (ذبح). اميركا اللاتينية منطقة مقفولة للأمن الاميركي. واوروبا الشرقية منطقة مقفولة للاتحاد السوفياتي أو للكتلة الشرقية. هناك مناطق مقفولة لا احد يقترب منها. وهناك مناطق يمكن الدخول اليها باتفاق. وهناك مناطق مفتوحة مثل مصر وسوريا. والجزائر. . . هناك مناطق قريبة اكثر مما هي مفتوحة لكن لا بد أن تنتظر كبطل زور. عندما يخل احد منهم بقواعد اللعبة أو يشتغل فيها اكثر من بطل زور، يحصل التصرف. .

● **يقول الدكتور كيسنجر الذي لا تحبه ولا يحبك وهذا شيء جميل أنه في اليوم العاشر للحرب لم يبق لدى إسرائيل من عتاد ما يكفيها سوى ليومين فقط وأنه علم بهذا الموضوع ولم يبلغ وزارة الدفاع.**

■ **هيكل**: كلا لا يقول ذلك كيسنجر. الذي يخبئه كيسنجر هو حجم الخسائر الإسرائيلية ٤٠٠ دبابة. مش صحيح. الذي تقوله غير موجود هنا في المذكرات. أنا قرأت مذكراته كلها. كلا لا يقول ذلك. هو يقول إنه خبأ عن وزارة الدفاع حقيقة أن إسرائيل خسرت في الايام الستة الاولى للحرب على الجبهة المصرية وعلى الجبهة السورية ٤٠٠ دبابة وأن هذا كان حجماً مخيفاً. لو قاله في البنتاغون لكانوا وقعوا كلهم لهول الخبر ولو عرف به العرب لكانوا تابعوا الحرب.

● **هل معنى ذلك أن السادات طلب وقف اطلاق النار فجأة في اليوم الخامس عشر من الحرب. هل معنى ذلك أنه ابلغ بهذه المسائل؟**

■ **هيكل**: أنت تخلطين مراحل مختلفة. الحرب جرت في ٣ مراحل:

المرحلة الاولى: كان لدى العرب عنصر المفاجأة لكن عنصر المفاجأة انتهى في اليوم الخامس. وما كان عندنا حاجة نطور بها الامور. خلي بالك إن الموقف على الجبهة السورية كان خطيراً بعد ثلاثة ايام من الحرب. على الجبهة المصرية وفي الايام الخمسة الاولى للحرب كانت المبادرة لنا. لكن في ١٣ اكتوبر/ تشرين الاول حاولنا تطوير الهجوم. ولم ينفع تطوير الهجوم وكيسنجر نوه بذلك. هو يتكلم

حتى ايضاً عن خسائرنا في الدبابات. في يوم ١٤ حدثت معركة كنا نحاول عبرها الوصول إلى طاسة وبلوظة. . حتى المضائق. الخمسة الايام الاولى كانت خيراً. الخمسة أيام التالية كانت غير واضحة ثم جاءت الثغرة وبدأ الجيش الثالث يتعرض لما تعرض له. والجيش الثاني هو موضوع ثان لكن عندما طلب أنور السادات وقف الحرب. وأنا اعتقد (شهادة له) بأن ذلك كان من اصوب قراراته التاريخية رغم أنني عارضته فيه (وهذا للانصاف امام ربنا) أنا اعتقد أن قرار بدء الحرب لم يكن لانور السادات دخل فيه قرار بدء حرب اوكتوبر كان قرار جيش مصر كله.

عايز اقول: إن الجيش المصري والشعب المصري كان متوجهاً إلى معركة لا يمكن ايقافه عنها، بمعنى أنه لو قلت للجيش ارجع قبل أن ينهي حربه لانقض عليك. لا يستطيع. مثل صاروخ الفضاء الذي اطلق كيف ترجعه من الفضاء؟ أنور السادات باعتقادي دخل حرب اوكتوبر جنب الشجاعة في اتخاذ القرار لكن كانت مفروضة عليه وانا عارف كيف دخلها. لكن الذي عمله أنور السادات باختياره (وأنا اعتقد أنه احسن قراراته) هو أنه أوقف اطلاق النار في الوقت الذي اوقف فيه وإن عارضته أنا فيه لأنني كنت حاضراً، كنت شاهد عيان اكثر من كيسنجر على الاقل في الجانب المصري. يوم ١٩ في الليل بدأ أنور السادات يجمع صورة الجبهة ـ صورة الوضع العسكري ثم شدد على امرين:

١ ـ قال: انا مش عايز اخلي جيش مصر يدمّر.

٢ ـ وانا عايز احافظ على شيء من حالة الانتصار بمعنى ان يظل لي وجود على الجانب الشرقي من قناة السويس.

أما أنا فقلت له: طيب اخّر وقف اطلاق النار ولو لست ساعات.

١: لغاية ما تأتي قوات الطوارىء أو مراقبو الامم المتحدة من قبرص. وكنت اقول له لا يمكن أن تقبل القانون دون وجود القاضي الذي ينفذه.

٢: كنت اقول له: اخطر السوريين بلحظة وقف اطلاق النار. هو اخطرهم بفكرة وقف اطلاق النار، لكنه لم يخطرهم بلحظة وقف اطلاق النار.

الموعد اتفق عليه وقال لي السادات إن السوفيات سيبلغون السوريين. وأنا ما رضيت وقلت له بحضور اشرف مروان وسيد مرعي. قلت له: هم عندما دخلوا الحرب لم يتفقوا معك انت. وبالتالي هم لازم يعرفوا اللحظة التي يجري فيها وقف اطلاق النار. لكن قرار وقف اطلاق النار كان ـ باعتقادي ـ قراراً مصيباً جداً ويدخل في التاريخ. أنا اسجل له أنه حافظ على الجيش المصري وحافظ على وجود عسكري مصري في شرق القناة. اخطأ في اعتقادي في شيء واحد أنه لم يخطر السوريين بالموعد المحدد في اللحظة المحددة لوقف اطلاق النار وبالتالي حصل خلخلة على الجبهتين ثم مضى الى عملية فك الارتباط المنفصلة.

● **هل تظن أن الرئيس مبارك يعتقد أن الإسرائيليين سينسحبون من سيناء؟**

■ هيكل: الحديث عن الانسحاب الإسرائيلي او عدم الانسحاب مغامرة. أنا اتصور أن إسرائيل إذا انسحبت، لن تفعل ذلك قبل أن تقطع كل الجسور القائمة بين مصر والعرب. وقد تحملت مصر برئاسة مبارك فوق ما يتحمل البشر من استفزازات إسرائيلية. وقد قلت هذا الكلام مؤخراً في لقاء لي مع السفير الأميركي في القاهرة. قلت ما معناه: «كفى امتحانات لمصر هذه الاستفزازات لا يمكن أن يقبل بها بشر».

هيكل للمصور:
هذا هو موقفي من حادث المنصة

وجه محمد حسنين هيكل هذه الرسالة إلى رئيس تحرير مجلة المصور مكرم محمد أحمد، إثر مقال نشره حول تصريحات لهيكل في صحيفة الصنداي تايمز البريطانية، تناولت حادث المنصة

● مجلة المصور ١٩/ ٣/ ٨٢

● عزيزي مكرم

قرأت مقالك في عدد المصور الأخير وفهمت منه ـ وأرجو ألا يكون فهمي مشوباً بمظنة ادعاء ـ أنني المقصود، سواء في ذلك ما قدمت به من كلمات رقيقة. أو ما ألحقت به من عتاب.

ولست متأكداً من أنني أستحق كلماتك الرقيقة، وإن كنت أعتز بها، ولكني متأكد من أنني لا أستحق العتاب، أو على الأقل فإنني فيما أتصور ـ وكل تصور اجتهاد معرض للصواب والخطأ ـ لم أقل ما يستوجب ذلك العتاب.

إنني أسمح لنفسي أن أناقشك أنت فقط، ودون غيرك من الذين تباروا بينهم للكتابة عني في الأسابيع الأخيرة وذلك لأسباب كثيرة أعفي نفسي، وأعفيك وأعفي قراء المصور من تفاصيلها. . وأحسب أن كثيرين وأنت منهم ليسوا في حاجة إلى هذه التفاصيل، «فأنا» أعرف و«أنت» تعرف و«هو» يعرف و«هم» يعرفون. . إلى آخر الحركات في تصريف الفعل المشتق من مصدر المعرفة!

لقد نسب إليَّ أنني تعرضت خلال حديث أدليت به لصحيفة «الصنداي تيمس» لعملية اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات، وأنني أضفيت على الذين قاموا بها من عندي صفة البطولة واستنكرت أن يلحق بهم من جراء اغتيالهم له أي عقاب. ولم يكن ذلك كله تعبيراً أميناً ولا صادقاً عما قلت. وهو منشور مطبوع. مع ملاحظة أن ما قلته كان حديثاً دائراً بيني وبين الصحفي البريطاني الشهير «سيمون ونشستر»، ولم يكن مقالاً بقلمي كتبته بوزن كل عبارة ومراجعة كل كلمة حتى أتحمل المسئولية الكاملة فيه. أنت تعرف الفارق بين الحديث الصحفي وبين المقال. أولهما قياسه بالروح والمعنى. والثاني حسابه بالنص والحرف.

ومع ذلك فأنا قابل وراض عن كل ما نسب إلي في هذا الحديث شريطة أن يؤخذ به كله، بغير أن يكون هناك انتقاء لعبارة خارج سياقها، أو لكلمة يجري تأويلها على هوى أصحاب التأويل.

ويطرأ على بالي سؤال بسيط وبدهي:

ـ ألم يكن من الحق، والقضية خطيرة ـ على هذا النحو ـ أو هكذا جعلوها! ـ أن يترجم نص الحديث وينشر، لكي يعرف الناس كلهم موضوع القضية ويكون سهلاً عليهم بعد ذلك فهم نقطة الاتهام الموجهة إلى صاحبه؟!

دعني أسألك ملحاً:

ـ ألم نشبع بعد من أسلوب أن فلاناً «أساء إلى مصر» بما كتب، و«أهان شعبها» بما قال، و«عمل ضدها» بما سعى؟ ألم نشبع بعد من هذا الكلام المطلق على عواهنه دون سند أو دليل، دون تقدير للظروف أو للمسئولية؟

ألم نكتشف بعد إلى أين وصل بنا هذا الأسلوب، وألم يكف أصحابه ما صنعوا؟!

ربما تأذن لي بعد هذه المقدمة، أن أبدي لك رأيي في موضوع العنف السياسي.

رأيي كما يلي بوضوح:

إنني لا أحبذه، ولا أقره ولا أدعو إليه تحت أي عذر من الأعذار أو أي تعلة بالظروف والأوضاع.

أسبابي في ذلك لا تقبل حتى أنصاف الحلول:

● إنني أولاً صحفي: مهنته ومهمته ودوره هو الحوار، والحوار كلمة. وحين تتحول الكلمة إلى رصاصة، فإن المهنة والمهمة والدور جميعاً تصبح ريشاً طائراً في مهب ريح عاصف!.

● ثم إنني أيضاً بالطبيعة وبالفكر وبالتجربة لا أؤمن بالعنف الفردي. وبالتالي فأنا لا أعطي لأي إنسان، مهما حسنت نواياه أو مهما علا قدره الحق في أن ينصب

نفسه خصماً وقاضياً ومنفذاً لرأي رآه من زاوية محددة ومحدودة، سواء كانت زاوية السلطة أو الفكرة أو العقيدة.

● ثم إنني كذلك أحترم الحياة إلى حد التقديس، ولا أعطي لأي مخلوق أي حق على حياة مخلوق آخر، فالروح يملكها بارئها، ومشيئته وحده هي التي تحكم المقادير والمصائر.

أما وقد قلت ذلك بوضوح فدعني أضف إليه شيئاً آخر، وهو أن الاغتيال السياسي ظاهرة موجودة في التاريخ من أوله إلى آخره. كما أنه ظاهرة شهدتها كل أمم الأرض من الأفق إلى الأفق... من حيث تشرق الشمس إلى حيث غروبها.

إنك تعرف بالطبع أن ظاهرة الاغتيال السياسي أصبحت مادة تدرس ضمن مجموعة علوم السياسة الخارجية في أكبر الجامعات في العالم الآن. «هارفارد» على سبيل المثال.

في الماضي ـ كما تذكر ـ كان منهج تدريس العلوم السياسية يتركز على شيء من التاريخ وشيء من القانون الدولي وشيء من دساتير المنظمات الدولية إلى جانب المعاهدات الشهيرة في التاريخ.

الآن اختلف الوضع، فهم يدرسون علوم السياسة على أساس منهج واحد هو «الصراع». أصبح «الصراع» وهو علم السياسة الخارجية، وأصبحت هناك مواد مستقلة عن «نشأة الصراعات» و«ادارة الصراعات» و«حل الصراعات»، وأصبحت هناك مادة مستقلة «للأزمة»، تتضمن هي الأخرى مواد فرعية هي «ادارة الأزمات» و«حل الأزمات» و«المفاوضات». وأخيراً تفرعت من هذا كله مادة مستقلة تدرس وحدها بأستاذ كرسي في جامعة «هارفارد» وغيرها، هي مادة «العنف»... تدخل ضمنها ظاهرة الاغتيال السياسي.

وإذن فإن ظاهرة الاغتيال السياسي ليست ظاهرة قديمة فقط وليست ظاهرة عالمية فقط، وإنما هي أيضاً معاصرة اهتم بها العلم الحديث وأتى بها من عوالم الهوس والجنون، حيث كان الناس عادة يضعونها، إلى مجالات الفحص والبحث

الدقيق لأنها أخطر من أن تترك للممرضين في مستشفيات الأمراض العقلية، أو بعض كتاب الصحف!!

أستأذنك في أن أستطرد، وأرجو أن يتسع صدرك وصفحات «المصور» وصبر قرائه لي، فأنا أريد أن أفرغ من الموضوع كله مرة واحدة ولا أعود إليه بعد ذلك، ولا إلى غيره . . .

أستطرد لأقول:

إن وجود الظاهرة في التاريخ والدنيا والعلوم الحديثة شيء وتحبيذها والاقرار بها والدعوة إليها شيء آخر.

وربما كان قصارى ما نستطيع أن نفعله حيال الاغتيال السياسي أن نفهم بحدسنا دوافع أصحابه، لكننا لا نستطيع بعقولنا إلا أن نرفض منطقه، وإلا أن نترك القانون الذي يحكم أي مجتمع يأخذ مجراه ويفرض أحكامه إلى آخر الحدود.

ليس ذلك احتراماً لحق القانون ولحق المجتمع الذي ارتضى القانون، ولكنه أيضاً ـ وفي جزء منه ـ احترام لحق الدافع إلى الاغتيال السياسي ذاته، وهذه نقطة حساسة أرجوك أن تسمح لي بشرح وجهة نظري فيها، ولك بالطبع أن تختلف معي أو تتفق.

دعنا نتأمل الفارق الدقيق بين القتل العادي وبين الاغتيال السياسي:

● القتل العادي هو حكاية انسان يقتل إنساناً آخر لدافع شخصي، طمعاً أو ثأراً، أو دفاعاً عن النفس أو العرض أو لغير ذلك من الدوافع.

وأما الاغتيال السياسي فحكاية أخرى. الدافع الشخصي فيها ليس وارداً على الاطلاق. بل إن الفاعل والمفعول به كلاهما لا يعرف الآخر في معظم الأحيان، بل في كلها. وربما كان لقاؤهما الأول وجهاً لوجه هو لحظة المقادير الدامية نفسها.

الدافع وراء القتل العادي ـ إذن ـ دافع شخصي.

والدافع وراء الاغتيال السياسي دافع من نوع آخر. . . فكرة أو يقين لدى صاحبه، وهو مخطىء في التعبير عنه بالتأكيد، لكن ذلك لا يجرده من كونه فكرة ويقيناً استقر في أعماق الأعماق لدى صاحبه وملك عليه حواسه كلها إلى درجة جعلته يقرر بنفسه ولنفسه: إنه مستعد لكي يضحي بحياته هو في سبيل انهاء حياة رجل آخر!

هذه هي النقطة المركزية في قضية الاغتيال السياسي.

بل لعلي أجازف وأقول أن هذه «القيمة» الواحدة والوحيدة في قضية الاغتيال السياسي المعقدة والمأساوية.

هذه «القيمة» الواحدة والوحيدة هي أن رجلاً بدافع فكره ويقينه وجد نفسه على استعداد للتضحية بحياته هو في سبيل اغتيال حياة أخرى يعلم مقدماً أنها محاطة بالحراس من كل جانب، محمية بالقانون في كل مادة!

إذن فإن الاستعداد للتضحية بالنفس في سبيل فكرة أو يقين يكون هو الخطوة الأولى في الاقدام على الاغتيال السياسي، وهذا هو الفارق بين القتل العادي والاغتيال السياسي، حتى إذا قلنا ـ والقول صحيح ـ أن كلاهما في نظر المجتمع والقانون جريمة.

أكرر مرة أخرى:

«القيمة» الواحدة والوحيدة في قضية الاغتيال السياسي هي السبب العام ـ الفكرة واليقين، مع التسليم بأن التعبير عنهما خاطىء. ثم هي في نفس الوقت الاستعداد المسبق للتضحية بالنفس قبل الاقدام على عمل ضد الغير.

يترتب على ذلك ـ من وجهة نظري ـ أن أية محاولة لالتماس الأعذار أو لطلب الرأفة أو لما هو أكثر في قضية الاغتيال السياسي، تغتال بدورها «القيمة» الواحدة والوحيدة في قضية الاغتيال السياسي. تحولها ببساطة من قضية اغتيال سياسي إلى جريمة قتل عادي ارتكبها أحد الناس أو بعض الناس تحت تصور أنهم يستطيعون تفادي العواقب في حماية قوة قادرة. أو عطف رأي عام مؤثر!

هكذا ترى أنني من موقف مبدئي:

أولاً ـ لا أحبذ ولا أقر ولا أدعو إلى الاغتيال السياسي لأي سبب أو تحت أي ظرف.

ثانياً ـ إنني لا أتصور أن هناك حكماً في قضية الاغتيال السياسي غير حكم القانون وحده، وإلى آخر الحدود.

ثالثاً ـ إن ذلك ليس حق المجتمع والقانون فقط، بل إنه «حق» صاحب الفعل ذاته وإلا تحولت الفكرة واليقين في دوافعه ـ مع التسليم بخطأ التعبير عنهما ـ إلى جريمة قتل عادية!

لعلي استطعت أن أشرح ما قصدت إليه.

أريدك أن تعرف أن هذه النظرة إلى قضية الاغتيال السياسي ليست جديدة بالنسبة لي، ولم تصبح رأيي بعد أن بلغت الثامنة والخمسين.

كان ذلك هو نفسه رأيي في فجر الشباب سنة ١٩٥٦، أي منذ ست وثلاثين سنة!

لم تكن أنت معنا وقتها، ولكنني أرجوك أن تسأل من تعرف من زملائنا المخضرمين والذين كانوا معنا في ذلك الوقت في الدار الصحفية التي كنا نكافح أيامها لكي نبنيها ونثبت دعائم بقائها، وهي والحمد لله ما زالت حية إلى الآن.

في تلك الأيام ـ نهاية سنة ١٩٤٦ وبداية ١٩٤٧ ـ كانت قضية اغتيال «أمين عثمان (باشا)» قضية تشغل الأذهان وتستحوذ على اهتمام الرأي العام بأسره.

أيامها أقدم نفر من الشباب على اغتيال «أمين عثمان (باشا)» لأنه قال في خطاب عام له «أن العلاقة بين مصر وبريطانيا أبدية كالزواج الكاثوليكي!».

من جانبهم ـ هذا النفر من الشباب ـ اعتبروا هذا القول من «أمين عثمان (باشا)» استفزازاً لمشاعرهم الوطنية لا يستطيعون قبوله، ومن ثم قرروا ونفذوا خطة لاغتيال «أمين عثمان (باشا)»، وقتلوه فعلاً.

أكثر من ذلك فإن نفس النفر من الشباب ـ إلى جانب نفر من مجموعة أخرى ـ قرروا اغتيال «مصطفى النحاس (باشا)» زعيم الوفد المصري لما تصوروه من دوره في حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ .

النفر الأول من الشباب حاولوا باطلاق الرصاص على «النحاس (باشا)» ولم ينجحوا .

والنفر الثاني من المجموعة الأخرى حاولوا تفجير سيارة معبأة بالديناميت في الشارع الملاصق لبيته وتحت نافذة غرفة نومه ـ لكنه نجا من المحاولة بشبه معجزة!

لعلك تذكر أن الرئيس الراحل أنور السادات كان مشتركاً مع المجموعتين .

ثم إنه اشترك بنفسه أيضاً ـ وكما هو ثابت في وثائق رسمية ـ مع مجموعة النفر الثاني من الشباب الذين حاولوا ولم ينجحوا في اغتيال «مصطفى النحاس (باشا)» .

وقتها ـ وأرجوك أن ترجع إلى الملفات وحتى إلى قصاصات الصحف القديمة ـ كانت هناك محاولة في بعض الحق لتصوير الاغتيال السياسي ـ الذي نجح مع «أمين عثمان» ولم ينجح مع «مصطفى النحاس» ـ على أنه عمل من أعمال البطولة ، وجرت عملية إعلامية واسعة لاضفاء مسحة من «الواجب المقدس» على المحاولتين .

أكثر من ذلك أنه جرت محاولة لتهريب المتهم الأول في قضية الاغتيال وهو «حسين توفيق» من السجن . وتمت عملية تهريبه فعلاً باشتراك ضباط من الحرس الملكي تلقوا أوامرهم من دوائر القصر العليا .

كان القصر الملكي ورجاله ـ وعلى رأسهم أحمد حسنين (باشا) رئيس الديوان الملكي ـ قد اعتبروا حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ إهانة مذلة للملك وللعرش . ومع أن

القصة الكاملة لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ تحتمل الكثير من التأويلات والتفسيرات، إلا أن القصر ـ وعلى رأسه أحمد حسنين (باشا) ـ كان مصمماً على الانتقام:

● من «مصطفى النحاس» الذي قبل الوزارة من السفير البريطاني ـ كما قيل وقتها.

● من «أمين عثمان» الذي اعتبر صلة الوصل بين رئيس الوفد المصري والسفير البريطاني.

من هنا جاء الوحي بالهالة الوهاجة قاموا باغتيال «أمين عثمان» وحاولوا اغتيال «مصطفى النحاس».

أردت بهذا الاستطراد تنشيطذاكرتك لأيام لم تكن معنا فيها، لكن المهم، وهو ما أقصد إليه الآن، هو أنني في ذلك الوقت، وبمقدار ما كان لي في الدار الصحفية التي كنت أعمل بها، وقفت مخالفاً ومعارضاً لمحاولة التغطية العاطفية والحماسية على قضية اغتيال سياسي وما زلت حتى هذه اللحظة أشعر برجع صدى حالة الأسى التي كنت أشعر بها عندما تمت عملية تهريب «حسين توفيق» المتهم الأول في قضية اغتيال أمين عثمان إلى سوريا بنفوذ القصر الملكي وبتدبير رجاله وبتنفيذ ضباط حرسه.

وكان بودي لو أن زميلي وصديقي الحبيب «كامل الشناوي» ـ الذي حضر معنا وشارك في مناقشات طويلة مضنية ـ كان حياً بيننا لا يزال لكي يروي اليوم وبأسلوبه التصويري، المبدع والفريد، قصة ذلك الخلاف المبدئي والمهني الذي جرى داخل الدار التي جمعتنا في أحلى أيام الشباب وقتها

وكان رأيي في تلك الأيام، وما زالت عالقة بذاكرتي حتى الآن نقاطه، كما يلي:

١ ـ إنه من الخطأ أن يجري التهليل لعملية اغتيال سياسي مهما اختلفت الآراء أو تباينت حول الدوافع أو حول الأشخاص.

٢ ـ إنه من الظلم لـ «حسين توفيق» أن يجري تهريبه إلى سوريا بواسطة الحرس الملكي، فذلك يحوله إلى مجرد قاتل مأجور لا أكثر ولا أقل.

٣ ـ إن التكريم الحقيقي لـ «حسين توفيق» ـ إذا كان هناك داع للتكريم ـ هو حكم القانون وحده، وإلى آخر الحدود.

من سوء الحظ أن السياسة وقتها غلبت على الحق. . . بل وأكاد أقول إنها غلبت على القانون حتى في معقل القانون.

وتلك قصة أو قصص أخرى. . . لكن ما يهمني الآن هو أن أقول لك إن رأيي في قضية الاغتيال السياسي من الألف إلى الياء واضح منذ البداية. . . واضح حتى الآن، أو هكذا أتصور!

أعود بك ـ وباذنك ـ إلى الموضوع الأصلي الذي ثارت من حوله ـ أو من حولي! ـ هذه العاصفة الأخيرة. . عاصفة في فنجان قهوة كما أقول، وليس في فنجان شاي كما يقول التعبير المشهور!

ذلك الحديث الذي أدليت به للـ «صنداي تيمس» ونشرته على اتساع صفحة بأكملها!

أمامي الآن هذا الحديث وأنا أكتب إليك هذه الرسالة، وتحت نظري نصه كاملاً من المقدمة التي قدمته بها الصحيفة البريطانية الكبرى ـ وهي مقدمة يمنعني الحياء من الإشارة إلى ما حوته ـ إلى آخر حرف، بما في ذلك العناوين الرئيسية والفرعية فيه.

أمامي أكثر من ذلك وأنا أكتب اليك هذه الرسالة.

أمامي نصوص أحاديث أخرى غيره في كل صحف العالم الكبرى تقريباً وعلى أمواج كل اذاعاته المؤثرة والواصلة إلى أرجاء المعمورة الدانية والقاصية.

وأمامي عشرات غيره من الأحاديث مع صحف ومجلات عربية، كان كلامي في العديد منها موضوع اليوم الرئيسي، وكان ما قلته هو موضوع الغلاف وصورته.

أمامي هذا كله أقرؤه وأعيد قراءته. . أراجعه ثم أراجعه مرة أخرى.

لا أجد عبارة واحدة أو كلمة واحدة تسيء إلى مصر أو تسيء إلى شعبها.

بالعكس كل عبارة وكل كلمة ـ في كل ما أدليت به من أحاديث خلال ثلاثة أسابيع قضيتها في لندن في مباحثات مع مجموعة الناشرين التي تنشر كتبي في العالم ـ معبأة على الآخر إيماناً بمصر وولاء لشعبها وقضاياه.

ومع أنني لا أجد في ذلك ما يستحق أن أهنىء نفسي عليه أو أتقبل التهنئة فيه من غيري ـ لأنه شعوي الحقيقي قبل أن يكون واجبي ـ لكنني لا أستطيع أن أمنع نفسي من الدهشة أن تبلغ الجرأة بالبعض إلى هذا الحد الذي يجري فيه تحويل الحق إلى باطل بنقطة حبر!

(لاحظ أنني استعملت تعبير الجرأة ولم أستعمل غيره وكان ذلك سهلاً لولا أنني تعلمت طول عمري أن الانسان حيوان متحضر وهو متحضر لأنه مهذب بكل ما يعنيه التهذيب من معان وقيم وسلوك).

أمامي هذا كله كما قلت لك، حديث «الصنداي تيمس» وعشرات غيره.

لا أجد فيه ولا فيها ـ كما قلت لك ـ عبارة أو كلمة واحدة تسيء إلى مصر أو شعبها.

وأكثر من ذلك.

لا أجد فيه كله، في أي كلمة أو عبارة مظنة تحامل أو تجاوز في حق الرئيس الراحل أنور السادات.

دعني أذكرك بواقعة صغيرة أظنك تعرفها.

بعد أن أفرج عني من السجن ضمن من أفرج عنهم في الدفعة الأولى من المتحجزين ـ ! ـ لقيت السيدة الكريمة أرملة الرئيس الراحل أنور السادات لقيتها معزياً ومواسياً.

أنت تعرف أنني اختلفت مع الرئيس السادات سياسياً ولكنك تشهد أنني حاولت بكل جهدي أن أعزل ما هو سياسي عما هو إنساني.

هكذا ظلت عاطفتي تجاه أسرته بمنأى عن أي خلاف.

ظلت هناك مزايا كثيرة في قرينته ـ بينها الذكاء اللامع ـ أقدرها بدون تحفظ.

وظلت بيني وبين بناته الثلاث وابنه الوحيد منها ـ وهم كل من عرفت عن قرب من أسرته ـ علاقة ود لم أنكره في يوم من الأيام.

وليس هناك ما يدعوني إلى أن أقول ذلك اليوم ما لم يكن هو فعلاً ما أشعر به . . فلست بين أولئك الذين يتركون مشاعرهم ومبادئهم لسلطان الرياح تحولها مع الاتجاه السائد مرة على الأقل كل يوم.

حين لقيت السيدة الكريمة أرملة الرئيس الراحل أنور السادات تفضلت فطلبت مني في نهاية لقاء طال أكثر من ساعتين ـ طلباً واحداً ما زالت في أذني نبرته الرقيقة والواعية:

ـ محمد . . إنك لن تهاجم انور؟

وقلت لها بصدق وصراحة:

ـ إنني لم أهاجمه على الاطلاق، إنني اختلفت مع سياسات ولم أختلف مع شخص، ولك أن تثقي أنني لن أقول عن هذه السياسات في غياب صاحبها غير ما كنت أقوله عنها في حضوره.

وأضفت:

ـ أخشى أن الهجوم سوف يأتي، ولن يكون من جانبي ولكن من جانب آخرين.

ولم أزد حرفاً. وكانت الصحف وقتها ملأى تلميحاً وتصريحاً بغمزات وصلت إلى حد التشكيك في السلامة النفسية والعقلية للرئيس الراحل.

أعترف لك ـ ومرة أخرى ليس هناك ما يجبرني على هذا الاعتراف لو لم يكن تعبيراً حقيقياً عن دخيلة نفسي ـ أنني لم أشعر بكراهية في أي وقت من الأوقات ضد أنور السادات، حتى عندما وضعني في السجن وفي ظروف تفوق في سوئها ما يمكن أن يحتمله البشر، وأستشهد في ذلك بزملاء في التجربة كانت لهم فيها سوابق في عهود مضت، وبالتحديد الأستاذ الكبير محمد فؤاد سراج الدين والأستاذ

الكبير محمد فتحي رضوان والأستاذ الكبير عبد الفتاح حسن. هذا إلى جانب جيل آخر من الشباب المخضرم الذي عاشر تجربة السجون وبينهم الدكتور فؤاد مرسي والدكتور اسماعيل صبري عبد الله والدكتور جلال رجب، وكلهم وغيرهم دخلوا السجن مرة ومرات قبلها، ولكنهم جميعاً كانوا يرون هذه المرة بكل المرات جميعاً.

ولم أشعر بكراهية نحو أنور السادات، ولم أخجل من أن أعترف أن الدموع كانت في عيني عندما سمعت نبأ وفاته، وكان ذلك رد فعل إنساني وطبيعي رآه - وربما استغرب له - مأمور السجن ومندوب المباحث إلى جانب رفاق الزنزانة رقم ١٧ التي كنت وراء قضبانها قرابة ثلاثة أشهر.

لم أشعر بالكراهية لأنني أستطيع أن أفرق بين ما هو سياسي وبين ما هو إنساني، وحتى إذا خلطغيري بين الاثنين فلقد كنت حريصاً على ألا أكون من الذين يخلطون.

أرجوك مرة أخرى أن تفسح لي صدرك وصفحات المصور وصبر قرائه لكي أقول ما أريد قوله مرة واحدة ثم أسكت تاركاً المجال لكل هؤلاء الذين أراهم اليوم كراكبي الدرجات، إما أن يتحركوا أو يقعوا على الأرض.. وهم لا يتحركون وإنما يتكلمون. والكلام - أي كلام - هو المبرر الوحيد لوجودهم - لا أقول وقوفهم لأني لست واثقاً أنهم واقفون!!

لا أريد - بعد ما قلت عما هو انساني - أن أتركك لحظة في شك من أمر ما هو سياسي.

نعم لقد كنت مختلفاً مع الرئيس الراحل أنور السادات.. ونعم لقد بلغ خلافي معه درجة القطيعة الكاملة، ومع ذلك قلت مرة - وما زلت أقول إلى الآن - إنني في دهشة من تناوله لي في كل خطاب تقريباً مع أنه كان يعلم أنني لا أملك حق الرد، ومع أنه كان يعرف أنني - وأنا أعيش حياتي كلها في مصر - أقع تحت سلطانه المطلق وغير المحدود.

كان خلافي مع الرئيس الراحل أنور السادات في كل شيء تقريباً.. أقولها مع الأسف!

١ ـ اختلفت معه في فك الارتباط الأول، وكان رأيي أن تلك العملية ـ في نهاية ١٩٧٣ وبداية ١٩٧٤ ـ لن تؤدي إلى سلام في المنطقة وإنما إلى صلح منفرد بين مصر واسرائيل. وقلت ذلك فيما كتبته في الأهرام وقتها أسبوعاً بعد أسبوع. وكانت تلك هي النقطة التي افترقت عندها الطرق. ولم يكن ذلك خياراً سهلاً بالنسبة لي قوتها فقد كنت واثقاً أن ما أكتبه سوف يؤدي إلى خروجي من الأهرام وإلى ابتعادي ربما نهائياً عن المهنة في مصر. لكن الخيار مع صعوبته كان ضرورة لا مفر منها: أن تخرج من مهنة أسهل من أن تخرج عن مبدأ!

٢ ـ اختلفت معه في سياسة الانفتاح، وكان رأيي أن تلك السياسة سوف تؤدي إلى خلل اقتصادي واجتماعي سوف تكون له عواقبه الوخيمة على مصر. وأخشى أن ما تخوفت منه تحقق، وكان مناي لو أثبتت التجارب خطأه. يكفيك أن مصر التي تولى رئاستها أنور السادات كانت مدينة للعالم الخارجي بألفي مليون دولار، معظمها للاتحاد السوفيتي وتدخل ضمنها كل اتفاقيات التصنيع وبناء السد العالي، إلى جانب صفقات السلاح، وبعد أكثر قليلاً من عشر سنوات فإن مصر التي تولى أمورها حسني مبارك كانت مدينة للعالم الخارجي بأكثر من عشرين ألف مليون دولار وذلك غير صفقات السلاح من الغرب والتزاماتها!

٣ ـ اختلفت معه في سياسته تجاه الولايات المتحدة، وأنا الذي كنت ـ ولا أزال ـ أدعو إلى تحييدها. لكن تحييد الولايات المتحدة شيء، وما حدث في علاقاتنا معها شيء آخر.

٤ ـ واختلفت معه في سياسته تجاه الاتحاد السوفيتي، وأنا الذي كنت أقول أن الاتحاد السوفييتي مستفيد من حالة «اللا سلم واللا حرب». لكن ذلك لا يمكن أن يحجب حقيقة أن علاقة ود وصداقة مع الاتحاد السوفييتي هي ضرورة أساسية لحرية حركة مصر، بل ولتنمية مصر بشهادة بناء السد العالي، وأكثر من ذلك لأمن مصر بدليل أن كل مسمار في معداتنا التي حققنا بها ما حققنا في حرب اكتوبر كان سوفييتي الصنع!

٥ ـ وأهم من ذلك، فقد اختلفت معه في سياسته العربية، وكان رأيي ـ ولا

يزال ـ أن أي سياسة تؤدي إلى عزل مصر عن العالم العربي، أو عزل العالم العربي عن مصر ـ هي إنكار للثوابت التي تقوم عليها استراتيجية أي أمة من الأمم، وهي ثوابت الجغرافيا والتاريخ والحضارة المشتركة.

٦ ـ وأخيراً فقد اختلفت معه في الطريقة التي تعامل بها مع «جمال عبد الناصر» والتجربة الناصرية كلها.

لقد كانت للتجربة الناصرية اخطاؤها ككل تجربة انسانية، ولكن هذه التجربة العظيمة في مصر كانت ـ وما زالت ـ في رأيي أعظم تحول شهدتـه المنطقـة في العصر الحديث على كل مستوى اجتماعي وسياسي وفكري.

وربما كان لازماً اعادة تقييم التجربـة واستخـلاص ايجابياتهـا لكن ذلك لم يحدث، وكانت تلك مأساة لمصر وللأمة العربية ومأساة لأجيال حكم عليها بفقدان الذاكرة وفقدان الحلم!

لا أريد أن تتصور أنني أترك الحبل لقلمي على الغارب أدعي بما لم يحدث وأستشهد بالأموات واثقاً أن صمت القبور يمنعهم من الرد علي وتصحيح ما أقول.

أرجوك أن تسأل السيد ممدوح سالم ـ متعه الله بالصحة والعافية ـ فيما قلته له يوم دعاني متفضلاً إلى لقائه في يوم الجمعة الحادي عشر من ابريل سنة ١٩٧٥ ـ أي بعد أكثر من سنة من خروجي من الأهرام مؤثراً مفارقة المهنة على مفارقة المبدأ ـ لكي يعرض علي أن أكون نائباً لرئيس الـوزراء للاعـلام في الـوزارة التـي كلف بتشكيلها في ذلك الوقت.

كان الرئيس أنور السادات قبلها بيوم واحد ـ يوم الخميس العاشـر من ابـريل ١٩٧٥ ـ قد دعاني إلى مقابلته في استراحة القناطر وقال لي إن السيد ممدوح سالم الذي كلفه برئاسة الوزارة قد التمس منه ابلاغي برغبته في أن أكون نائبـاً لرئيس الوزراء ضمن تشكيلته الجديدة.

وأبديت اعتذاري للرئيس على الفور، لكنه أبدى الغضب قائلاً: «ألا تعطي نفسك فرصة للتفكير؟».

وصباح يوم ١١ ابريل اتصل بي السيد إسماعيل فهمي ـ متعه الله بالصحة والعافية أيضاً ـ وأبلغني أن رئيس الوزراء المكلف السيد ممدوح سالم يرغب في لقائي في الساعة السادسة من بعد ظهر اليوم في مكتبه بوزارة الداخلية.

وذهبت إلى الموعد، واستمعت عارفاً بالفضل للعرض، ثم قدمت اعتذاري لرئيس الوزراء المكلف وأبديت له الأسباب.

تلك الأسباب هي نفس الأسباب التي سقتها لك قبل قليل، لا تنقص ولا تزيد.

صحيح.. كانت رقعة الخلاف واسعة كما ترى، ولكن صدقني أن الخلاف على اتساعه من جانبي لم تلحقه شائبة كراهية.

لقد اعتبرتها اختلاف اجتهادات واتجاهات، وليس مدعاة حملات أو اتهامات. قلت ذلك وكررته، وفي وجود الرئيس الراحل نفسه، دون أن أتجاوز قدري أو أتجاوز قدره كرئيس لمصر وكسلطة دستورية لها وحدها القرار.

تحمل معي بعض الشيء، سعة صدرك، وصفحات المصور، وصبر قرائه!

أعرف أنني أطلت وربما شردت طويلاً وبعيداً، ولكن ذلك كله مهم لأنه يضع الأمور في نصابها. إن كل ما أدليت به من أحاديث خلال ثلاثة أسابيع قضيتها في لندن لمسة في صورة.. أو قل إنها نقطة على طريق، ومن سوء الحظ أنه ليست لدي هليكوبتر لكي أحط على نقطة بعينها من طريق طويل، وإنما لا بد ـ بشكل أو بآخر ـ من أن أبدأ من البداية.

لم يكن هناك في البداية خلاف بين الرئيس الراحل أنور السادات وبيني لأكثر من ثلاث سنوات كان بيننا حوار متصل، اختلفنا واتفقنا، ولكن القرار كان دائماً قراره بالطبع لأنه وحده المنتخب من الشعب، وهو دستورياً رأس سلطة القرار في الدولة.

لم أتوقف عن الحوار رغم أنه غضب أحياناً، ولكنني لم أفزع وإنما قلت له بمودة:

ـ إنني معك كما كنت مع جمال عبد الناصر، لا أخاف منك لأنني أحبك . . والذي يحب لا يخاف، والذي يخاف لا يحب.

قلتها له ـ صدقني ـ عشرات المرات من أول يوم في ولايته ـ على حد تعبيره ـ إلى آخر لقاء لي معه حين اعتذرت سنة ١٩٧٥ عن تأييد فك الارتباط الثاني وملحقاته السرية.

أنت نشرت في المصور أجزاء من كتاب الرئيس جعفر نميري عن السادات، ولقد شهد هو في هذا الكتاب أن الرئيس الراحل أنور السادات قال له: إنني كنت الوحيد الذي وقف معه في ١٤ مايو ١٩٧١.

لقد جاءت الشهادة منه، يرحمه الله، وعلى لسان جعفر نميري وهي شهادة حق أعتز بها.

هل أقول لك ما هو أكثر؟

سوف أسمح لنفسي ـ ما دام صدرك وصفحات المصور وصبر قرائه جميعاً تسمح لي ـ أن أقول ما هو أكثر، والشاهد حي قادر على شهادة الحق.

يوم ١٣ مايو ١٩٧١، وكان الرئيس الراحل يستعد لتسجيل خطابه إلى الأمة يشرح فيه قصته مع من سموا في ذلك الوقت بـ «مراكز القوى»، كنت معه في مكتبه في قصر القبة ومعنا السيد حسين الشافعي نائب رئيس الجمهورية في ذلك الوقت.

كان المقرر أن يكون الحديث مرتجلاً.

وشرح الرئيس أمامنا ـ السيد حسين الشافعي وأنا ـ ما ينوي أن يقوله عند بدء التسجيل. ولاحظت أنه يركز تركيزاً شديداً على أن خلافه مع الآخرين كان سببه أنهم منعوه من التفاوض مع «ويليام روجرز» وزير الخارجية الأمريكية الذي كان يطوف بالمنطقة وقتها.

وأتذكر أنني قلت له، بالحرف، وأنقل الآن عن مذكرات كتبتها يومها:

ـ سيادة الرئيس . . الناس لا يهمهم إذا كانوا منعوك أو لم يمنعوك من المفاوضة مع روجرز. إن هناك قضية أخرى تسبق غيرها من القضايا الآن في ضمير الناس كل

الناس وهي قضية الديمقراطية. هذه هي النقطة التي أتصور أن يتركز عليها كل خطابك الآن.

ورحت أجادل الرئيس حتى أقتنع في النهاية بألا يشير على الاطلاق إلى حكاية منعه من التفاوض مع «روجرز»، ويركز بالكامل على قضية الديمقراطية.

وجرت مياه كثيرة تحت جسور النيل وفي قناة السويس حتى بدأ الإعداد لحرب اكتوبر، وكنت إلى جانب الرئيس الراحل في الإعداد السياسي والاعلامي للمعركة، حتى أنه تفضل وعهد إلي بكتابة التوجيه السري الصادر منه إلى القائد العام للقوات المسلحة بتحديد أهداف المعركة والغرض المطلوب تنفيذه بالقوة المسلحة لصالح الاستراتيجية السياسية العامة لمصر وللأمة العربية حين كتبت ذلك التوجيه بخطيدي أخذه الرئيس إلى أحد سكرتيري مكتبه وطلب دقه على الآلة الكاتبة لكي يوقعه ويسلمه بيده إلى الفريق أحمد اسماعيل علي. وبلغ من حرص الرئيس على السرية أنه بنفسه أغلق غرفة في بيته على سكرتير الآلة الكاتبة وتركه فيها حتى بدأت المعركة بعدها بأيام. ثم بنفسه أطلق سراحه وأمر بمنحه علاوة استثنائية.

تسألني ما هو الدليل؟

سألني هذا السؤال قبلك السيد أنور حبيب المدعي الاشتراكي السابق حين حقق معي بتهمة «الإساءة إلى مصر» ـ أيضاً!! ـ سنة ١٩٧٨، وكان ردي عليه هو دعوته إلى أن يقرأ هذا التوجيه ويتأمل أسلوبه. وسوف يكتشف أنني كاتبه لأن أسلوب أي كاتب مثل بصمات الأصابع، دليل لا يمكن تكذيبه ولا يسهل فيه التزييف.

كان ذلك في حياة وسلطة الرئيس أنور السادات.

إلى هذه الدرجة ـ إذن ـ كانت العلاقة وكانت الثقة.

لم تكن علاقة سهلة، ولا كانت ثقة على بياض.

إنك تعرف بالتأكيد، وبتجربتك الخاصة، شيئاً عن علاقة الصحافة بالسلطة في العالم الثالث.

إنك سمعت رأيي كثيراً في قضية الشرعية كلها في العالم الثالث. وأنت تعرف أننا جميعاً نعيش مرحلة انتقال، شرعية مؤقتة نتحرك فيها من الشرعية التقليدية ذات الأساس الديني أو القبلي - كما في السعودية والمغرب مثلاً - إلى الشرعية الدستورية والقانونية ذات الأساس الاقتصادي الاجتماعي الذي يكتمل فيه نمو الطبقات ومن ثم يصبح الحوار الديمقراطي ممكناً بين المصالح المختلفة لهذه الطبقات - كما في بريطانيا وفرنسا مثلاً.

شرعية مرحلة الانتقال - ونحن نمر بها وكذلك معظم دول العالم الثالث - شرعية مرحلية يبرز فيها دور الرجل الواحد. ذلك حدث في الغرب أثناء العملية الشاقة والدامية لنشأة «الدولة الأمة» في أوروبا - «كرومويل» و«نابليون» و«بسمارك» مثلاً . .

في هذه المرحلة هناك رجل واحد عند قمة سلطة القرار. . هناك وحدانية في سلطة القرار السياسي. .

الصحافة - كما تعرف - جزء من الحياة السياسية في أي بلد.

إذا كانت ظروف هذا البلد تسمح بتعدد السلطات، إذن فإن قيام صحافة مستقلة تماماً فيه يصبح إمكانية متاحة.

وأما إذ كانت«الوحدانية» هي طابع الحياة السياسية في هذا البلد، وبالتالي فإن تعدد السلطات مطلب أكثر منه حقيقة - إذن فإن ما يلحق بكل المؤسسات يلحق أيضاً بالصحافة هي جزء من الحياة السياسية، والخيار المطروح أمام الصحفي في هذه الحالة هو أن يكون طرفاً في الحوار الدائر حول القرار السياسي، أو أن يكون ذيلاً تابعاً لأي قرار.

أظنك تشهد لي أنني كنت طرفاً محاوراً لجمال عبد الناصر.

وكذلك فعلت بصدق مع أنور السادات بعده.

الغريب أنني في نفس مجموعة الأحاديث التي أدليت بها في لندن خلال وجودي فيها للأسابيع الثلاثة الماضية، حاولت أن أكون منصفاً مع أنور السادات.

قلت في أحد هذه الأحاديث:

إن الرجل الواحد في العالم الثالث يستطيع أن يرث السلطة أو يستولي عليها، لكن إرث السلطة أو الاستيلاء عليها لا يمنحها حق «الشرعية» وهو أهم وأخطر كثيراً من السلطة ذاتها.

قلت إن أنور السادات ورث السلطة من عبد الناصر لكنه أضاف اليها شرعيته، وكانت لهذه الشرعية قاعدتان بارزتان:

أولاهما: جرعة من الديمقراطية بعد ١٤ مايو ١٩٧١.

والثانية: حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وقلت إن الأزمة الحقيقية وقعت حينما نسي الرئيس السادات بعض الملامح من قواعد شرعيته.

فمظنة الصلح المنفرد بين مصر واسرائيل أثرت فيما استمده من حرب أكتوبر.

ثم إن عمليات القمع منذ سنة ١٩٧٧ ـ إلى حملة الاعتقالات الأخيرة أثرت فيما استمده من جرعة الديمقراطية التي سمح بها سنة ١٩٧١.

الشرعية قضية معقدة، وهي في ظني أكبر بكثير من قضية السلطة.

تستطيع دبابة أو يستطيع كرسي أن يعطي الجالس فيها أو فيه سلطة، لكن الشرعية وهي ـ بصرف النظر عن كل تعقيدات الفقه الدستوري ـ مزيج سحري من القبول والتصديق والثقة المتبادلة بين الحاكم والمحكوم تحتاج ـ خصوصاً في شرعية مرحلة الانتقال.. شرعية مرحلة الرجل الواحد أو السلطة الواحدة ـ إلى انجازات حقيقية وإلى تجارب عامة مشتركة.

قلت ذلك في لندن أيضاً عن شرعية أنور السادات ورصدت انجازاته وأسس شرعيته.

بل قلت ما هو أكثر من ذلك في أحد الأحاديث:

قلت: «كان قرار وقف إطلاق النار يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٧٣ من أعظم قرارات أنور السادات، رغم أنني خالفته فيه».

كان هو على حق، وكنت أنا على خطأ.

طلبت إليه أن يستمر القتال ولو ساعات حتى يصل مراقبو الأمم المتحدة، وقلت له: كيف يمكن أن نقبل القانون دون وجود القاضي الذي ينفذه؟

وكان رده:

ـ«سوف أوقف القتال لأني أريد أن أحتفظ بحجم انتصاري. . لا أريد أن تتمزق قواتنا المسلحة ولا أن يتأثر وجودنا في غرب قناة السويس».

وكان هو على حق، وكنت أنا على خطأ.

ذلك قلته في لندن أيضاً، وهو منشور ومطبوع.

قلت لك إنني لم أشعر في يوم من الأيام بكراهية للرئيس الراحل أنور السادات.

ودعني أسألك بأمانة:

ـ لماذا أكرهه؟

لقد قبلت قراره بإبعادي عن الأهرام، ولكن أرجوك أن تتذكر أن الرجل في نفس اللحظة التي أخرجني فيها من الأهرام أصدر قراراً بتعييني مستشاراً سياسياً له.

ولقد كنت أنا الذي اعتذرت عن قبول هذا المنصب، كما اعتذرت بعده عن قبول مناصب أخرى بينها منصب نائب رئيس الوزراء كما شرحت لك من قبل.

كان الرجل للانصاف يحاول جهده معي ولكن على شروطه هو بالطبع، ولم تكن لي شروط إلا أن أكون متسقاً مع نفسي ومع تاريخي ومع ما أؤمن به.

هل أقول لك شيئاً لأول مرة؟

أعتقد أن الرئيس السادات جلس معي أطول جلسة قضاها مع أي إنسان في حياته كلها.

كان ذلك يوم ٢٢ فبراير ١٩٧٥، وكانت علاقاتنا قد تحسنت بعد اعتذاري عن قبول منصب المستشار السياسي للرئيس وما أعقب ذلك من قطيعة دامت ستة أشهر تقريباً.

ولعلي ـ شهادة له ـ أقول لك الآن إنه كان الأكرم في السبق، فقد بادر هو ذات صباح، ومن وسط «القمر الأزرق» كما يقول التعبير الانجليزي، ودعاني إلى مقابلته في استراحة القناطر. ثم تكررت لقاءاتنا حتى كان ذلك اللقاء الذي أشرت إليه قبل قليل يوم ٢٢ فبراير ١٩٧٥.

ذهبت إليه في ذلك اليوم ومعي الصحفي الأمريكي الذائع الصيت «سيروس سالزبرجر»، وقضينا معه نحن الاثنين ساعة، ثم تهيأنا للانصراف وكان «سالزبرجر» مدعواً على الغداء بعدها في بيتي.

واستوقفني الرئيس الراحل وسألني «الى أين أنت ذاهب»؟ قلت: «معه، فهو ضيف غداء عندي اليوم».

ورد الرئيس: «سوف أرتب من يدعوه بدلك على الغداء لأني أريدك معي هنا لحديث مهم».

ولم ينتظر الرئيس، بل استدعى الدكتور «أشرف مروان» مدير مكتبه للمعلومات وقتئذ، وطلب إليه أن يأخذ «سالزبرجر» إلى الغداء في أي مكان.

وصعدت مع الرئيس إلى الطابق الثاني من استراحة القناطر، وجلسنا نحن الاثنين في غرفة نومه. كانت الساعة الثانية عشرة ظهراً.

انتهى لقاؤنا في الساعة الحادية عشرة والنصف مساء.

أي أن حوارنا استمر إحدى عشرة ساعة ونصف الساعة.

تستطيع أن تسأل السيد «فوزي عبد الحافظ» سكرتير الرئيس الراحل، وتستطيع أن تسأل السيد «أشرف مروان» الذي عاد بعد غدائه الاجباري مع «سالزبرجر» ليعرض على الرئيس أوراقاً، فإذا هو ينتظر إلى منتصف الليل، وتستطيع أيضاً أن تسأل المهندس «سيد مرعي» فقد رجته أسرتي بعد أن نزل الظلام أن يتأكد من وجودي في استراحة القناطر مع الرئيس لأن طريق القناطر في الليل خطر لزحمة المرور عليه، وكان هناك قلق لغيابي إلى هذا الحد عن غداء كان معنا فيه ضيف. . . وسأل «سيد مرعي»، ثم كرر السؤال وعاد إليه حتى قرب منتصف الليل!

إحدى عشرة ساعة ونصف الساعة في حوار مستمر. لا يطول إلى هذا الحد غير حوار حقيقي، حافل ومتدفق.

لن أقول لك ما جرى فيه، فقد كنا وحدنا شهوده، وقد ذهب هو، وفي مجال الشهادة أمام التاريخ وحده أتكلم، وليس في مجال مساجلات العتاب.

المهم في هذا كله أنه ليس عندي ما يدعوني إلى كراهية الرجل.

بل لعلي أعتقد أنني مدين له. فإن خروجي من الأهرام منحني الفرصة لكي أثبت لنفسي وللآخرين أن الصحيفة العربية قد تصبح مملوكة للسلطة، ولكن الصحفي العربي ليس محكوماً عليه بالضرورة أن يكون مملوكاً للسلطة.. إذا كان لديه ما يقوله، وإذا كانت لما يقوله قيمة ـ إذن فالعالم الواسع مفتوح له.

ولقد خرجت من الأهرام، ولكنني استطعت أن آخذ مكاناً أعتز به على صفحات «التيمس» و«الصنداي تيمس» و«النيويورك تيمس» و«الواشنطن بوست»، وأرجوك أن تلاحظ أن هذه كلها هي الصحف الكبرى في الغرب حيث السياسات هناك أقرب ما تكون إلى خط الرئيس الراحل أنور السادات، أبعد ما تكون عن خطي أنا.

ومع ذلك دعني أحمد الله وأمسك الخشب كما يقولون.

وكنت أثناء وجودي في الأهرام قد كتبت كتاباً واحداً للسوق الدولية وبعد الأهرام فلقد أضفت إلى هذا الكتاب سبعة أشقاء جدداً.

وصدقني بأمانة حين أقول لك إنني عندما خرجت من مبنى الأهرام آخر مرة ظهر يوم ٢ فبراير ١٩٧٤، كنت واثقاً أنني لن أعود إليه.. لن أقبل العودة إليه مهما كان أو يكون.. لسبب أساسي ومبدئي.. هو أن عودتي سوف تكون بقرار.. ولقد قلت دائماً إن أي صحفي يستطيع أن يخرج بقرار من سلطة دون أن يفقد صفته الصحفية، ولكنه إذا عاد بقرار فقد الكثير مما كان لديه.. إن لم يكن قد فقده كله.

وفوق ذلك فإنه إذا كانت الصحافة في العالم كله ـ كما قلت ـ جزءاً من الحياة السياسية فيه، وإنه إذا كانت درجة التطور الاقتصادي الاجتماعي لهذا المجتمع

تسمح بالتعدد فيه، فهناك صحافة حرة. وأما إذا كانت درجة تطوره ما زالت في مرحلة وحدانية السلطة إذن فنحن أمام مشكلة معقدة.

إذا كان الصحفي مقتنعاً بالخط الاستراتيجي للسلطة فهذا شيء.

وإذا لم يكن.. إذن فقد تحول الطائر المحلق إلى طائر مقيد، وهو عقاب صعب لا أريده لنفسي مهما كانت درجة حبي للمهنة ودرجة ولائي لقراء تفضلوا علي بحسن ظنهم.

دعني أذكرك أنه حتى الصحافة فيها قضية «شرعية».. تستطيع أي سلطة أن تعطي أي محترف مقعداً وقلماً وورقاً ومطبعة. لكن هذا يعطيه جزءاً من قوة السلطة، ولكنه لا يسبغ عليه شرعية الكاتب.

الشرعية الصحفية هي أيضاً قضية قبول وثقة وتجربة مشتركة، إلى آخره.

السلطة تستطيع أن تعطي أي صحفي مكاناً.. لكن الشرعية وحدها تعطيه «المكانة» وليس «المكان».

نصل الآن إلى بيت القصيد في الحكاية كلها، وهو حديثي إلى «الصنداي تيمس».

أرجوك أن تعرف أن الحديث عن عملية اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات والذين قاموا بها لم يأخذ إلا قرابة عشرة سطور فقط بينما الحديث كله يزيد على أربعمائة وخمسين سطراً تحدثت فيها عن عديد من القضايا المصرية العربية والدولية، وتحدثت فيها عن شواغلي الآن عندما سئلت فيها، وتحدثت فيها عن رأيي في سياسات الرئيس حسني مبارك وشخصيته، وفي هذا كله أجبت برأيي كمراقب للأحداث من بعيد لا يعبر إلا عن رؤيته هو للحوادث وللناس فقط لا أكثر ولا أقل.

في هذا الحديث وصفت الارهاب باسم الدين كـ «وحش»، وإن كنت قد أضفت وأنا أروي ذكريات مناقشة قريبة مع «هنري كيسنجر»: «إن وحش الارهاب الديني ـ فرانكشتين ـ هو وحش خلقوه لأنفسهم».

وهذا رأيي فعلاً مع الأسف.

وفي السياق الطويل الطويل للحديث نفسه، المنشور منه وغير المنشور، ورد ذكر عملية الاغتيال نفسها، وسألني «سيمون ونشستر» عن طول المحاكمة، وقلت له:

- «إنني لا أرى في طول المحاكمة ضرراً، وربما كان ما حدث من طولها هو الخير. فإن محاكمات الاغتيال السياسي قضايا لا تغلق ملفاتها بمجرد انتهاء جلساتها».

ثم أضفت:

- «لعله خيراً أن المحاكمة طالت، لأن هناك على مستوى الشارع المصري اعجاباً بخالد الاسلامبولي ورفاقه».

ثم رحت أشرح وجهة نظري لـ «سيمون ونشستر».

قلت له:

- في الاغتيال السياسي لا بد أن نفرق بين ثلاثة عناصر:

● أولها: العمل نفسه والفكرة الدافعة إليه (شرحت لك هذه النقطة بما يكفيك ويغنيني أن أعيد عليك مرة أخرى ما قلته لونشستر).

● العنصر الثاني: ضحية هذا العمل، أو الرجل الذي وجه إليه الفعل ذاته (شرحت لك رأيي في قضية الاغتيال السياسي عموماً، ومرة أخرى أظنني قلت فيما سبق ما يكفيك ويغنيني عن أن أعيد عليك ما قلته).

● العنصر الثالث: هو الطريقة التي تم بها العمل نفسه، وفي هذه النقطة فلقد قلت إنه بصرف النظر عن الموضوع - وأنا لا أصدر فيه «حكم قيمة» كما يقولون - فإن عملية التنفيذ كانت مشهداً لا شك في جسارته.

اترك العمل جانباً، وانس أهمية ضحيته، وتذكر فقط ذلك المشهد الدرامي والجو العام فيه وما وقع وكيف جرى. هو مشهد لا يستطيع أي مخرج سينمائي في

العالم أن يحلم به مهما شطح الخيال. جسارة لا تخطر على البال حتى في رؤى اللا معقول من أفلام مغامرات طرزان إلى أفلام مغامرات السوبرمان.

هذا المشهد الجسور ترك انطباعه بغير شك على الذين رأوه. وبالتأكيد فقد كان بينهم من أدان واستنكر، ومن غضب وتحسر. لكننا نكون منافقين في فهم الطبيعة البشرية نفسها إذا لم نقل أن جسارة العمل ـ بصرف النظر عن دوافعه وضحيته ـ كانت ملفتة للأنظار خصوصاً على المستوى العام. وأنا لا أتكلم هنا عن خاصة الخاصة، ولا عن هؤلاء الذين يصدق فيهم تعبير «لويد جورج» رئيس الوزراء البريطاني المشهور «بأنهم على استعداد لسلخ جلود بطون أمهاتهم لكي يشدوها طبلة يدقون عليها أناشيد أي سلطان».

في هذا الجو العام كله، وفي هذا السياق، نقل عني «سيمون ونشستر» قولي:

«حيث تذهب في مصر سوف تجد الناس يتحدثون عن الاسلامبولي رئيس جماعة الاغتيال باعتباره بطلاً شعبياً. . .».

ثم قلت مشيراً إلى ما كانت تنشره الصحف في لندن وقتها:

ـ«إن المحاكمة قد تحولت إلى محاكمة للسادات وليس لقتلته. وسوف يكون اليوم حزبنا في مصر إذا تم إعدامهم».

قلت ذلك ثم أضفت إليه بالحرف تحفظاً نشر بنصه:

ـ «إنني أقول ذلك كمراقب محايد. . . مجرد ملاحظ لما يجري».

وسألني «سيمون ونشستر»، وسؤاله منشور:

ـ «وهل سيجري إعدامهم إذا ثبت جرمهم؟ هل سيصدق الرئيس حسني مبارك على الحكم؟».

وقلت، وردي منشور بالحرف:

ـ «أتصور أنه ليس لديه غير أن يصدق على الحكم إذا صدر».

قلت ذلك بغير تردد، وقلته وفي ذهني قضية الارهاب السياسي عموماً. وقضية

القانـون، وقضية حقـوق المجتمـع، بل وقضية حقـوق التضـحية بالنفس لدى الفاعلين. . إلى آخره.

ولست أرى حتى هذه اللحظة فيما قلته تجاوزاً على الحق أو الحقيقة.

أظن أن الاسلامبولي وجماعته كانوا في الشهور الأخيرة حديث كل الناس.

وأظن أن المحاكمة ـ بما حدث من وقائعها فعلاً ـ لم تكن محاكمة للمتهمين وحدهم.

وأظن أن هناك نوعاً من «البطولة الشعبية» يلقي بظله على المتهمين بالاغتيال بسبب جسارة ما فعلوه، بصرف النظر عن خطأ الفكرة أو أهمية الضحية.

وأظن أن هناك لحظة من الحزن سوف تعبـر علـى أحـاسيس كثيرين في يوم التنفيذ.

(يا إلهي !! ـ مستعيراً تعبيراً مسرحياً شهيراً

يا الهي على النفاق السياسي والاجتماعي حين تغلبه الأهواء فيتجاهل حتـى طبائع النفس البشرية: أو حتى غرائزها!!

إن لصاً ـ مجرد لص ـ في أي بلد من بلدان العالم يكتسب نوعاً من «البطولة الشعبية» بسبب جسارته:

«بيجز» الذي خطط ونفذ عملية شبه عسكرية لسرقة ٥ ملايين جنيه استرليني من قطار سكة حديد ثم هرب وما زال هارباً حتـى الآن. . أصبـح بطـلاً شعبياً عنـد الانجليز.

«الخط» الذي اشتهر كمجرم جسور في صعيد مصـر ـ أصبـح شخصية شعبية تظهر حول مغامراتها أفلام سينمائية

وأكثر من ذلك «جي. آر.» الرجل الذي لا يتورع عن عمل ولا يتوقف أمـام عائق، في مسلسل التليفزيون المشهور «دالاس». كانت طبقة بعينها في مصر وما زالت ـ تتابعه بالاعجاب. . وحين ضرب بالرصاص على الشاشة فقط، ظل أفراد

هذه الطبقة ليالي بعد ليال يتساءلون من الذي قتل «جي. آر» بطلهم الأثير، مع أنه كان نموذجاً مخيفاً للشر. لكنه كان جسوراً لا يتردد، وكانت جسارته هي مصدر «شعبيته» خصوصاً لدى الطبقات المدللة بالميراث أو بالانفتاح!

مع أن هذا كله لا يمكن أن يقارن بوقائع المشهد المأساوي ظهر يوم ٦ أكتوبر الأخير!

يا الهي مرة ثالثة!!)

وفي نهاية المطاف فلقد كان ذلك ما رأيته، وقلت بصراحة إنني رأيته كـ «مراقب محايد.. مجرد ملاحظ لما يجري» دون أن يكون ما رآه هو بالضرورة تعبيراً عن رأيه!

ولقد أكون مخطئاً فيما رأيت، لكنني وصفته بغير رياء.

عزيزي مكرم

هذا ما قلته وأنا أتحمل مسئوليته بالكامل، وفي كل الأحوال فهو بسياقه وبنصوصه أبعد ما يكون عما نشر وجرى على أساسه هجوم الآخرين وعتابك أنت الرقيق وعتاب آخرين أعتز برأيهم وأقدره، ومن سوء الحظ أن هؤلاء بنوا حكمهم ليس على أساس ما قلته فعلاً، ولكن على أساس ما قيل إنني قلته، خارج موضوعه وبعيداً عن سياقه.

وألخص لك رأيي ورؤيتي في النهاية.

١ ـ نعم أنا ضد العنف السياسي ـ قلت ذلك وما زلت أقوله ـ لا أحبذه ولا أدعو إليه ولا أحرض عليه.

٢ ـ العنف السياسي ـ والاغتيال من أعراضه ـ ظاهرة معروفة في التاريخ وفي الدنيا.

٣ ـ إن أي مجتمع في لحظة مساره الآني لا يملك تجاه العنف ـ مهما كانت دوافعه ـ سوى تطبيق القانون وإلى آخر الحدود.

٤ ـ إن «القيمة الوحيدة» والواحدة في العنف السياسي هي استعداد صاحبه للتضحية بنفسه أولاً. فإذا أخذت من تضحيته تحت أي سبب من العطف أو الرأفة أو التبرير ـ فإنك بذلك تحول فعلته من قضية تاريخية إلى قضية قتل عادية. . وهذه إساءة للفاعل قبل أن تكون إساء للمفعول به.

٥ ـ إن التقدير النهائي للاغتيال السياسي باعتباره قضية تاريخية هو للتاريخ وحده (ويدهشك على سبيل المثال أنني بعد دراسة طويلة للوثائق السرية لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ أجد نفسي عند تقدير يختلف عن تقديري له في الظروف التي خطط فيها الرئيس الراحل أنور السادات عملية اغتيال أمين عثمان التي نجحت، وعملية اغتيال مصطفى النحاس التي لم تنجح ـ وكان دافع المحاولتين، الناجحة والتي لم تنجح، هو دور الرجلين في حادث ٤ فبراير).

٦ ـ إنني لا أسمح لنفسي ـ لا لأسباب عامة ولا لأسباب خاصة، مع أن ذلك ليس وارداً ـ أن أهاجم الرئيس الراحل أنور السادات. لقد كنت على خلاف سياسي معه،وموضوعات هذا الخلاف واضحة بينه.وأنا لا أقول في سياسات الرئيس الراحل أنور السادات غائباً غير ما كنت أقوله عن هذه السياسات وهو حاضر، في يده السلطان والصولجان.

عزيزي مكرم

ضغطت كثيراً على سعة صدرك، وعلى صفحات المصور، وعلى صبر قرائه.

فلتغفروا لي جميعاً. أنت والمصور وهم.

سلمت، وسلموا جميعاً، ومع كل التقدير والاحترام. .

محمد حسنين هيكل

هذه هي اخلاقيات الخلاف السياسي

أشعر ـ ولست وحدي ـ أن صوتاً قد تخلف عن الحضور يسبقه اعتذار مقبول، ولكن لا سبيل لسماع صوته إلا باستنطاقه ـ عفواً ـ عبر حوار صحفي!!

وأدعي لنفسي أنني قريب منه مهما كان بعيداً ومحلقاً. هناك بيني وبينه هذا «الاقتراب النائي» الذي يضعني معه على خط عرض مهنة واحدة. خصامه للصحافة، مبعثه أنه «مجروح منها». ليكن هذا موقفه ولكن رأيه بالقطع يضيف للصورة بعداً ثالثاً. وفي بعض الأحيان يفتقد القارىء «قلماً» يقول كلمته، لأنه ليس مرتبطاً بكرسي يخاف عليه ويناضل سلباً أو ايجاباً من أجل البقاء عليه مدة، أطول!!

ولست أتصدى للدفاع عن الأستاذ محمد حسنين هيكل، فهو يملك جيداً كل وسائل الدفاع عن نفسه، إذا كان فيما ينشره «لومة لائم». هو أيضاً يعرف خصومه ربما أكثر مما يعرفون أنفسهم. لكنه على حد تعبيره (بين كتبي ومقالاتي لا أجد فراغاً أضيعه في عتاب الناس أو عتاب الزمان)!!

مجلة صباح الخبر ـ ٢٥ مارس ١٩٨٢ ـ مفيد فوزي

ومن حق هيكل ألا يلتفت وراءه. ومن حقه أيضاً أن يختار زميلاً عمل معه ويعتز به (مكرم محمد أحمد) ويخصه برسالة طويلة (من ٨ صفحات أي ٦٧٦٠ كلمة) تنشر على صفحات المصور ليوضح للرأي العام ما التبس على «البعض» فهمه من موقفه المحدد ـ غير المشوه ـ من جريمة المنصة!

وعندما أذهب إلى هيكل «أستطلع» ما عنده، أكون قد قمت مهنياً بأداء دوري، ولست أذهب للحصول على حصة تموينية من أحاديثه الصحفية!!

إن تجاهل آراء هيكل ليست عنترية، فإذا لم نعرفها ـ في مصر ـ أطلت علينا من الصحف الأجنبية والاذاعات العالمية. وهيكل، فيما أعلم، من النادرين الذين لا يتخيلون حياتهم خارج مصر. وقد فرضت عليه الظروف أن يكتب خارج مصر يوم اختلف ـ في الرأي ـ مع الرئيس الراحل السادات. الآن تغير الطقس والمناخ، ومن البديهي أن يجد قلم هيكل طريقه للكتابة عن مصر من داخل مصر، فتسكت أو تهدأ زوابع الخماسين التى تهب محملة بالأتربة. وبالبلدي الذي لا يحتمل تفسيراً ثانياً (مصر أولى بأولادها).

وهيكل بعد كل هذا مواطن مصري يحمل الجنسية المصرية ويعيش تحت سماء مصر ويملك قلماً ورأياً، حتى ولو كان بعيداً عن مواقع القيادة.. ولعبة الكراسي!!

. . . .

. . . .

هذا التمهيد، كان ضرورياً قبل أن أدخل في الموضوع وأنقل وقائع الحوار بيني وبين هيكل ـ للمرة الثالثة ـ خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة.

كان أن التقينا في الرابعة بعد الظهر في مكتبه. ومكتب هيكل يحتل غرفتين من

شقته المطلة على النيل المجاورة لفندق شيراتون، القريبة من بيت السادات، إحدى الغرفتين له، والثانية للسكرتيرة. وهيكل يدخل مكتبه في الثامنة صباحاً كما اعتاد.. وبكامل ملابسه.. وفي الثانية تماماً، يغادره ويعود إليه في الرابعة. وأمامه دائماً بطاقة زرقاء مكتوب عليها بالانجليزية /(Remember) أي تذكر وتضم «مواعيد اليوم» وما يجب أن يعمله ذلك الصباح!

المكتب هادىء. الأرضية موكيت أخضر فاتح. هناك جلد نمر ملون كأنه جاء من الغابة. ولقي قدره مصلوباً على الأرض. آية شريفة من القرآن الكريم ﴿ اقرأ باسم ربك... ﴾ تزين أحد الأركان، هدية من زوجته، والاية لم تفارق مكتبه في الأهرام. أزهار حمراء تتوسط«فازة» في قلب المكتب. وعلى الحائط ثلاث خرائط للعالم. وهناك موسيقى سوناتا شوبير تنبعث من أحد الأركان ـ بجواره ـ تبدو خلفية هامسة ومريحة، فهو إذا أراد الاستماع الى السيمفونيات تفرغ لها تماماً كانه يقرأ كتاباً هاماً. فهذا المعيار الرفيع في الموسيقى لا يجب أن يشاركه شيء آخر!!

واعترف أنها كانت المرة الأولى ـ خلال زياراتي له ـ التي ألقي فيها نظرة فاحصة على المكان.

وتسللت في الحديث. دون خطة مسبقة للحوار. لكني تسللت واخترقت. هو سمح بهذا التسلل المشروع، وأنا استثمرته!!

● ربما كان سؤالي الأول عدوانياً. قلت لهيكل «خصومك يا سيدي يقولون إنك رجل تبحث عن «دور»، وإلا ما معنى هذه المواصف الرعدية التي تثيرها أحاديثك في الخارج؟

■ خفض هيكل من صوت الموسيقى واشترك معنا في الحوار رفيقي الصامت المهذب «جهاز التسجيل» !!

قال هيكل: لقد أعطيت جهدي لثلاثة عصور، وفي هذا العصر الرابع، أوثر مخلصاً دور المراقب، مؤمناً من داخلي بأن تجربتي تعطيني الحق كمواطن مصري أن أقول رأيي في الوقت

الـذي أريد: فكيف يتصـورون أننـي أبحـث عن دور؟! هذه واحدة. والثانية لقد أعطيت مهنتي ما فيه الكفاية وأعطيت العمل السياسي مع جمال عبد الناصر وأنور السادات ما أشبعني تماماً. لقد رافقت عبد الناصر في أخطر رحلاته السرية وهذا شرف لي وثقة وكنت قريباً من السادات لأكثر من ثلاث سنوات، لقد استكفيت أدواراً، فكيف يتصورون أنني رجل أبحث عن دور؟

أظن أنه آن الأوان بحق لظهور وجوه جديدة تأخذ «دورها». وأنا بكل وضوح لا أبحث لنفسي عن دور في ساحة السياسة أو ساحة الصحافة.

أحياناً، أنظر إلى أوضاع الصحافة المصرية وأحمد الله كل صباح أنني بعيد. ومن العدل أن أقول أيضاً أنه لا بد أن هناك آخرين يشعرون بنفس شعوري ولكن في اتجاه عكسي. أي أنهم يحمدون الله أنني بعيد. وهذا حقهم ولا أجادلهم فيه. فلقد كان بينهم من تصور أن دوري طال. بأكثر مما ينبغي وأن دورهم قد آن أوانه مع أني أعتقد أنه ليس في مقدور أحد أن يحجب غيره!.

قلت لهيكل: قلت لي إنك قانع تماماً بدور المراقب.

إلى متى ستظل داخل حدود هذا المربع؟

قال «ألست القائل في أحـد حديثيك معـي يا راجـل إنه بمقـاييس النجـاح والحسابات لن أعود إلى الوراء؟»

● قلت: لماذا تصدر فرماناً تصادر به حركة الأيام والمتغيرات؟

■ رد بايجاز: هناك حالة واحدة تجعلني أفكر في العودة للصحافة المصرية. ضع خطاً تحت كلمة «أفكر» لأكون أميناً مع نفسـي وهـي التصـريح باصـدار صحف جديدة. فاذا سمحت الظروف ـ وأظنها لا تسمح الآن ـ سوف أصدر (جرنال) في ٢٤ ساعة!!

رددت وراءه كلمة «وأظنها لا تسمح». ففهم هيكل أنني أريد أن استوضحه رأيه. فقال ـ نعم اعلم أن الظروف الموسوعية لا تسمح ـ الآن ـ باصدار صحف جديدة. يا ريت تسمح! يكفي أن تصدر الأحزاب القائمة فعلاً، صحفاً تعبر عنها

وأبعد من هذا يصبح مطلباً غير عادل. وفي هذه المرحلة بالذات! أنا أشعر أني «مسئول». أسارع وأشرح لك معنى الكلمة حتى لا يلتبس الفهم على البعض. أنا مسئول لأني أشعر جيداً بأوضاع البلد. وليس بالضرورة أن أكون في موقع ما. إن حديثي عن اصدار صحف جديدة يظل عندي في مرحلة الحلم أو دائرة الامنية. ولكن هناك فرقاً بين «المثال» والواقع. وأنا لا استطيع أن اتصور لنفسي شيئاً خارج اطار الظروف وإلا كنت كمن يحلم.

● سألت هيكل بلا مناسبة، وبلا تسلسل طبيعي لحوارنا: الوردة الحمراء التي كانت تصلك مع وجبة الغداء إلى السجن. . ممن؟

■ خافت عينا هيكل قليلاً وأدهشه السؤال بل فاجأه وقال كمن يشعر أنه يرد على محقق «الوردة دي من مراتي قصتها. . أنه بعد ٥٥ يوماً انقطاع كامل عن العالم، سمح لنا بأن نتلقى سلال غداء. كان يصل عندنا في ملحق طره ٣٣ سلة، وسلة غدائي كانت تزينها وردة حمراء تذكرني بورد مكتبي الذي هو أول ما أطالعه كل صباح وكان لها معنى عطري عندي». .

خجلت، وتابعت الحوار، وانتقلت بسرعة بالكاميرا إلى لقطة أخرى. .

● قلت لهيكل: أكثر من مرة سمعت منك أنه لا صحافة خارج السياسة وأن الصحافة نوع من الأداء السياسي: فكيف تقول لي إنك «تؤثر» موقف المراقب، أنت شئت أو لم تشأ داخل الحلبة؟!

■ لمعت عينا هيكل (دليل الاهتمام). اشعل السيجار، الولاعة لا تستجيب. يهزها قليلاً لا تجيب بشعلة، يشعل السيجارة بالكبريت، ويرد!!

«إنها معادلة صعبة، فأنا مراقب محايد وأنا طرف «مهتم» في نفس الوقت لكني لست متفرجاً بالقطع. أنا واحد من الناس، اخترت أن أقول في هذه الرحلة رأيي حين يكون عندي، ما أريد أن أطرحه. لست ملتزماً بكتابة دورية أو يومية! ولست فريداً في هذا الموقف. تعال ننظر حولنا ونتأمل في العالم مثلاً. دعني أسألك هل هناك من يفوق أهمية وشهرة «ولترليبمان»؟ لا أظن هذا الرجل جاء في سن الستين

وقال سأكتب مرة واحدة في الأسبوع وكان يكتب بابه مرتين /dayont و Dayin وفي الخامسة والستين قال، سأكتب مرة واحدة كل شهر وبعد عامين أعلن أن الواجب يقتضي أن يكتب كلما ألح عليه خاطر ما أو رأى ما. هذا الرجل ـ ولترليبمان ـ هو سيد الصحفيين في القرن العشرين.

● **قلت لهيكل: أريد أن اسألك عن الصحافة المصرية، كمراقب، وربما يدفعني للسؤال رغبتي في سماع تعليقك على «بيان» نقابة الصحفيين الذي نادى بضرورة تجاوز خلافاتهم.**

■ قال هيكل: أقولها لك من قلبي «يا ريت» إن أحوال المهنة ـ كما أراها الان ـ لا تسر. أرى المهنة منهمكة للغاية في تصفية حسابات شخصية وأعترف لك أن المهنة تنزف! إنني أتمنى أن يذهب الصحفيون الكبار والصحفيون الشبان إلى مبنى النقابة ويجلسوا معاً يتدارسوا أمور المهنة، كمهنة. القارىء الذي عايشنا جميعاً من حقه أن نقدم له خدمة صحفية لا أمور شخصية صحفية، لقد عبرت بقلمي حدود بلادي لأن لي قاعدة أساسية في مصر. لولاها لما التفت لي القارىء الانجليزي أو الأيطالي أو الأسباني. أوضاع المهنة منعكسة ـ في نهاية الأمر ـ على الخدمة التي تقدمها للقراء بل على علاقتها بالسلطة لدرجة أن يقول الرئيس مبارك في أحد مؤتمراته «فاض بي من خلافات الصحفيين». من يرضيه حال الصحافة المصرية.. اليوم؟

● **قلت لهيكل بنفس النبرة والايقاع: ما أزمة الصحافة المصرية.. اليوم؟**

■ **أجاب وأفاض. قال هيكل.. «في مصر ظاهرة غريبة اسمها التراكم، تماماً مثلما تكتشف أن في دولابك ملابس قديمة، تطلب منك زوجتك أن تخلي الدولاب منها وتحتفظ بالجديد فقط ولكنك ـ دون أن تدري وهذه خاصية نفسية ـ تحتفظ بهذا القديم.. فيحدث تراكم! تعال ننقل هذا المثل البسيط للصحافة من يجلس الآن على قمة الصحافة؟ مجموعتان. مجموعة قديمة عاشت مصر (العصر الملكي وعصر عبد الناصر وعصر السادات) والمجموعة الثانية، جاءت بظروف** السلطة. ما نتيجة هذا كله؟.. نصف خائف من ماضيه، والنصف الاخر خائف على مستقبله!

هذه مشكلة تراكم أجيال. فلم تحسم بعد مشكلة القديم والجديد. على الأقل في مصر! حين دخلت «السلطة» الصحافة المصرية، أتت معها بوجوه لا سند لها الا: السلطة. تلك هي الأزمة وهذا مجملها وهكذا تراها أبعد من مجرد اصدار بيان.

المفروض أن أزمة الصحافة المصرية كمؤسسة تتعدى كل الحساسيات. لأن هناك. في الواقع أزمة في «بنية» الصحافة المصرية. إنني أدعو - نقابة الصحفيين - لعمل حوار واسع يحل مشاكل الصحفيين لتلتفت إلى المهنة. أنا أدعي أن الصحافة المصرية غائبة عن تطور المهنة في العالم الخارجي. كل ما نفعله - لنجدد شباب المهنة هو شراء ماكينات جديدة. وهذا أضعف الايمان. نحن لا نستثمر العقول التي هي عصب الفكر في الصحافة. نحن نستثمر ماكينات.. وآلات!!

● **قلت لهيكل: ماذا بعد أن جلس أئمة الاقتصاد في مصر لعلاج حالة الاقتصاد المصري.. هل سيلوح في الأفق هذا «الرخاء».**

■ قال هيكل وهو يخطط بقلم جاف فوق ورقة بيضاء.

- ليس هناك اقتصاد بعيد عن الاجتماع. أهم ما جاء في هذا المؤتمر في نظري هو خطبة الرئيس مبارك في بدايته. لقد كانت تشير إلى «النبرة» الاجتماعية. هناك سؤال عام يفرض نفسه وهو إذا أردنا أن نبني اقتصاداً، فلمن؟ ولصالح من؟ هذه مسألة أساسية. بالمناسبة، أذكر عندما دعاني ذات مرة الرئيس السادات ليعرض منصب «نائب رئيس وزراء» أن سألته وغضب من سؤالي! قلت له «أليس من حقي أن أسأل من نحن وماذا يمثل هذا النظام.. وما قاعدته الاجتماعية؟» أذكر أنه كان جالساً وممدداً على فوتيل كبير ومريح في استراحة القناطر الخيرية وقلت له «كان المفروض - يا أفندم - أن تكون سيادتك اللواء أركان حرب أنور السادات بالمعاش. فلماذا أنت الآن، الرئيس أنور السادات؟ وأصغى لي الرئيس السادات.. فقلت: (لأن هناك معنى اجتماعياً برز في ٢٣ يوليو. حدث تغيير لا لمجرد التغيير. التغيير كان له ابعاد اجتماعية واسعة. وكل النظم - باستثناء الدول

التي فيها الحكم حق إلهي للملوك، لا يحكمها إلا «اختيار اجتماعي» دعنا نتسأل ما هو الحزب؟ انه الطليعة المتسيسة لطبقة. تعبر عن مصالحها وتسعى للسلطة لكي تحقق هذه المصالح) هل ابتعدت عن الموضوع؟ أنا أقول لا يوجد اقتصاد إلا إذا كان هناك «اجتماع» من أنت، وماذا تمثل!

قلت همساً. . وحينئذ يلوح في الأفق: الرخاء!

فجأة قال هيكل. وكأن كلمة رخاء لا تريحه «سيبك وحياتك من كلمة رخاء دي. هذه الكلمة ابتذلت. هناك كلمات كالخمسة صاغ القديمة، من فرط الاستعمال، تصبح ممسوحة: فكلمة رخاء عندي لها نفس الانطباع»!

● قلت لهيكل: هناك سؤال وددت لو أبدأ به الحوار، لكني أجلته حتى تململ داخلي ويطالبني. . بالخروج!

أصغى هيكل ووضع فوق عينيه نظارته الطبية.

قلت: أنت تقول إن الشارع المصري يعيش لحظات من، بعد صدور الأحكام. . وقاطعني هيكل: أنا لم أقل. هناك فرق بين ما «أقول» و «ما أرصد»؟

■ قال: فرق كبير. عدت أقول غير عابىء بصدى السؤال عنده «هل من الممكن أن يكون ما ترصده ـ يا أستاذ هيكل ـ حتى ولو جاء على سن قلمك، ليس جزءاً من رأيك أو نسيجاً في معتقداتك؟»

قال هيكل: عندما أرصد ظاهرة العنف، فهل أنا مع العنف؟ بالقطع لا. وعندما أرصد ظاهرة الحزن التي أشرت أنت إليها، فهل أنا أوافق على «الفعل» وعندما أرصد ظاهرة الفساد، فهل أنا مع الفساد؟ وعندما أرصد ظاهرة ازياد النفوذ الأمريكي في المنطقة، فليس بالضرورة أن يكون هذا رأيي شخصياً. هناك فرق بين أن ترصد ظاهرة وتكون هذه الظاهرة معبرة عن رأيك. من الممكن أن أرصد شيئاً واختلف معه جملة وتفصيلاً.

● **قلت مرة اخرى: أعلم أنك تعارض الحوار بالرصاص ولا تضفي شالات البطولة على القتلة. وأعلم أنك لا تتعاطف مع تيار الارهاب. لقد تعرض عبد الناصر في المنشية عام ٥٤ لمحاولة اعتداء آثمة. والأهرام نفسه ـ كمبنى ـ تعرض للاعتداء. أنت ضد هذه «اللغة» وترفض العنف أسلوباً للتفاهم. فهل أخطأت في هذه التقديرات؟**

■ قال هيكل وهو يؤميء برأسه بعد كل عبارة قلتها: لم تخطىء.

وانتقلت إلى الموضوع العربي حتى لا أفقد ذبذبات الموجة التي نتحدث من خلالها سوياً سألت هيكل عن عودة مصر للصف العربي أو عودة العرب إلى حضن مصر.

قال هيكل: عندما تسلم الرئيس مبارك السلطة، قام بعمل «خيارات» أستطيع أن أقول إنها كلها ـ حتى هذه اللحظة ـ خيارات سليمة. بعضها كان يتعلق بإلغاء بعض ما كان قد حدث. وهذه في واقع الأمر لم تكن خيارات تستطيع أن تقول إنها مقتنيات. إن الرئيس مبارك يعكس نفسه ببساطة رأيته منذ أيام على شاشة التليفزيون يتجول في المعرض الزراعي الصناعي. إنه يتصرف كانسان بسيط، يتفرج على البضائع. يشعر بسعادة أمام مصنوعات مصرية. يقلب بيديه صوف مصر المحلة. أكثر ما يريحني في الرئيس مبارك أنه رجل لا يريد أن يكون إلا نفسه هناك خيارات أخرى واجهها. مواقف معينة طرحت نفسها عليه، فاختار منها موقفه المحدد والواضح من زيارته للقدس.

● **قاطعته: بالمناسبة؟ ماذا يقول مرصدك عن سيناء؟**

■ قال هيكل ضاحكاً «ماذا يقول مرصدي» على أي حال في السياسة كما في الطقس فإن العوامل المؤثرة في أحداث الغد يمكن رصدها من اليوم ومتابعة حركتها المتجهة إلينا دون أن يكون ذلك تطاولاً على الغيب. عن سؤالك أقول: نعم ستنسحب إسرائيل في الموعد المحدد. الضغوط الدولية والظروف الدولية وملابسات التوازن الاستراتيجي في المنطقة والاهتمام الأمريكي سيؤدي إلى انسحابها.

● **قلت: إن الطقس أحياناً يفاجيء المتنبئين الجويين بما ليس في الحسبان؟**

■ قال هيكل: هذا وضع وضع جديد ومعادلة مختلفة تفرض عليك مراجعة كل حساباتك.

شربت عصير البرتقال بنهم، ربما لمداعبات معدية يعرفها مرضى السكر، مثلي. وقلت لهيكل: كلي اصغاء. أريد أن أعرف تقييمك لموقف الرئيس مبارك من إعلانه عدم زيادة القدس.

قال هيكل: بالمناسبة الفترة من الآن وحتى الانسحاب أهم من الفترة بعد الانسحاب لماذا؟ لأن شكل ما هو قادم يتحدد اليوم. غاية في الأهمية موقف الرئيس مبارك من زيارة القدس. إذا كان يقول السادات قد ذهب، فقد كان ذلك في اطار المبادرة ولم تكن القدس ـ بعد ـ عاصمة موحدة. هذا الموقف من الرئيس مبارك فيه اختيار وله معنى.

أولاً ـ إنه قبل التحدي بموقف. ثانياً ـ اعتقاده وهو على حق أنه قادر على اتخاذ هذا الموقف. ثالثاً ـ رفضه لأي شيء يضعه على حافة الاستفزاز. لقد رفض الزيارة وهو معرض لابتزاز إسرائيل ولن يتوانى عن الرفض مستقبلاً. ونعود، إلى تساؤلك: مصر والعرب إن عدم زيارة الرئيس مبارك إلى القدس، هي رسالة بالرموز إلى العالم العربي. إنني أرى أبعد من هذا، أرى أن مؤتمر فاس لم يفشل وأعتقد انه أوجل بالتحديد لكي يعطي مصر فرصة أفسح للمشاركة. دعني أصارحك لقد قال «فهد» لوزير خارجية أمريكا عندما التقيا في أسبانيا: فلتأخذ مصر كل أراضيها فلسنا نريد أن نقف عائقاً. مهما كان خلافنا مع مصر القرار، فنحن نريد أن تكمل مصر بقية الرهان. وتعال نتأمل هذه الاشارة معاً:

حين طلب حسني مبارك إخلاء الجامعة العربية من (منظمة الشعوب العربية والاسلامية) أليست هذه رسالة بالرموز للعرب معناها: داركم مفتوحة لكم في القاهرة؟ هناك ـ أيضاً ـ ما هو أخطر. قول حسني مبارك: أنا لن أوقع كلمة نيابة عن

الفلسطينيين. هذه اشارة للفلسطينيين أن هناك طرفاً يستطيع أن يتكلم في قضاياهم بمشورتهم وإذا شاءوا. من هنا أرى أن هناك حواراً ـ بالرموز والاشارات حوار حقيقي بين مصر والعالم العربي.

● قلت لهيكل: كيف ترى الرئيس مبارك، كمراقب محايد؟

■ قال: لقد اجتمعت به مثلما اجتمع به الآخرون. ولكنني لست من أنصار الالحاح على وقت الرجل ولا على شواغله ولا على مستشاريه. أعتقد أن الرئيس مبارك يواجه الآن أصعب «خيارات» في تاريخ مصر وأتمنى له النجاح وأود أن يعرف مصر كلها عن قرب وتعرفه مصر عن قرب. ألفت نظرك إلى أنه يواجه تراكمات كثيرة. أزمات اقتصادية. فراغات سياسية. أزمات انتقال. مشاكل مع إسرائيل. محاولة اعادة صياغة الدور المصري. معنى هذا أن الرئيس مبارك يواجه خيارات مصيرية حقاً. ومطلوب من كل انسان مصري أن يقول رأيه بدون الحاح. لا ينبغي أن يشعر الرئيس مبارك أو مستشاريه أو جهاز الرئاسة أن هناك محاولة من أي جانب من الجوانب «لدفعه» في اتجاه معين! ربما لهذا أقول إن الدعوة اليوم، لحوار واسع ضرورة لنستكشف الغد. نحن مقبلون على إعادة توصيف وتقييم للمرحلة القادمة بعد فترة عشناها من الفوضى الرقمية والفكرية.

● قاطعته: ماذا أعطت مصر التجربة السادتية ؟

■ قال هيكل بعد تفكير: قد تكون غير قريبين جداً عن مصر السادات بحيث لا نستطيع أن نقدم له «تقييماً موضوعياً» لكنني أجزم أن هذا العصر تغلب فيه «الأسلوب» على الموضوع دون الدخول في تفاصيل أكثر!

● وجدت نفسي أسأله: في اعتقادك، ماذا أعطت الناصرية لمصر ؟

■ قال في عبارة محددة، أعطت لمصر تعبيراً حقيقياً عن الجغرافيا والتاريخ وعن المستقبل بصرف النظر عن أي تجاوزات أو أخطاء. لا توجد تجربة كبيرة بلا أخطاء.

● قلت: لأعطي هذه النقطة: أعرف أنك تكتب كتاباً جديداً عن عبد الناصر،

وأتذكر أنك كتبت مرة مقالة عقب رحيل عبد الناصر تقول إن عبد الناصر «ليس اسطورة» وعبرت فيها عن مخاوفك من تحويل تراثه إلى كهنوت غيبي جامد بينما هو في الحقيقة تجربة إنسانية زاخرة قابلة للحياة والنمو والتطور. الآن، جاء دورك لتكتب عن عبد الناصر ولم تعد رؤيتك مشوبة بالعاطفة. وأظن أنك انتظرت سنوات لتقدم شهادة متكاملة للتاريخ.

تنهد هيكل! قلت هل همساً: سيرة عبد الناصر لها عندك عطر خاص.

■ قال بسرعة كأني اخرجته من احساس خاص كالمحاره: نعم للسيرة عطر خاص ولكن ما يعنيني عن عبد الناصر أنه كان تجربة هائلة في حياة هذه الأمة العربية وفي زماننا كله، ومثل كل تجربة هائلة خصوصاً إذا كانت بالثورة، فإن التجربة تصبح حافلة، ذلك أنها بالثورة تواجه تحديات جديدة ثم أنها تعطي للتحديات التي تطرح نفسها عليها اجابات مختلفة وهذا مجال الصواب والخطأ. وبعد ما قيل ـ الكثير ـ عن عبد الناصر، لم يعد في مقدور أحد أن يصدق عنه شيئاً إلا مدعماً بالوثائق.

إذا جئت لأتكلم عن الرجل وقد أصبح في رحاب الله ـ يجب أن أوثق ما أقول. كتابي عن عبد الناصر من عشرة أجزاء منهم خمسة أجزاء للوثائق. الوثيقة بطل. لقد أصبح لازماً ليس فقط للتاريخ بل لضمير الأمة أن تعرف ما حدث بالوثائق. وتقييم التجربة الناصرية، من حق الأمة وليس حق الفرد. فهو كتجربة ملك جماهير واسعة عاشتها معه وأعطته ما لم تعطه لأحد قبله وما لم تعطه بعده لأحد. ولم تكن جماهير الأمة عمياء ولا فاقدة لوعيها وهي تسير معه.

● **قلت لهيكل: ما مفهوم «البطل» في رأيك ؟**

■ قال وقد سرح قليلاً: البطل هو الذي يحمل هموم أمته في لحظة تاريخية معينة، تعريف البطل عندي قريب من تعريف الثورة. لا يوجد بطل محترف بطولة أو ثوري محترف ثورية وإلا كان ذلك تخريفاً. هناك لحظة ثورية وهناك لحظة بطولة. والثوري يستجيب لمقتضيات لحظة معينة وكذلك البطل. البطل هو استجابة انسانية للحظة تاريخية. انسان فرد تحمل هم أمة. واضح؟!

● **قلت: واضح، وأعطني أمثلة لما تقول حتى لا أفكر في اتجاه آخر . .**

■ قال: اعتبر ماوتسي تونج بطلاً، اعتبر غاندي بطلاً. كلاهما، في لحظة من تاريخ أمته جاءا ليعطيا إجابة صحيحة يقودا فيها المسيرة مهما كانت الصعوبات والتحديات.

● **قلت لهيكل: كتابك القادم «خريف الغضب» هل أنت فيه مجرد راوية لأحداث جرت . .**

■ قاطعني: أنا لست رواية أسرد أحداثاً. أنا أحاول أن أحلل بعد رؤية ما جري في مصر. أنا أقول ان «أنور السادات» اكتسب شرعيتين. ورث سلطة من جمال عبد الناصر فاصبح وريثاً لثورة ٢٣ يوليو، وأضاف شرعية جديدة، مسحة أو لمسة من الديمقراطية، ثم قرار أكتوبر. مع أني أري - وهذه جملة اعتراضية. في الرجل المصري أو العربي العادي هو البطل الحقيقي في هذه الحرب كما تأتي حوادث يناير ٧٧ الشهيرة التي وصلت به الى أزمة. بمعنى نظام يلجأ الى حظر تجول وانزال جيش لحفظ الأمن والنظام. لقد شرح هذا كله «الشرعية» التي اراها في ايجاز الرضا والثقة والتجربة المشتركة. ان ثورة الناس لم تكن انتفاضة حرامية على الاقل في اليوم الأول. ومنذ ذلك الوقت تكدست التراكمات! حتى جاء خريف ٨١. ذلك الخريف الغاضب. ان ما أطرحه في الكتاب هو تحليل أزمة كنموذج في العالم الثالث.

واستطرد هيكل يقول: تذكر أن حركة التاريخ هي تيارات تندفع في عنف وليست مناقشة مترفة بين اثنين - مثلنا - في غرفة مكتب . .

● **قلت لهيكل: أريد أن أسألك كمراقب متواضع - لما يجري الان من مساجلات بعضها عاقل والأخرى تتجاوز حدودها، ربما يفيد ذلك في صحافة المعارضة «ما هي أخلاقيات الخلاف السياسي؟»**

■ وابتسم هيكل وقال: أولاً، الأخلاق معنى لا يتجزأ. ثانياً الأخلاق في السياسة وفي التجارة وفي العلم، واحدة، لا بد أن يكون عندك حقيقة موضوعية وأن تقولها

بأمانة. ثالثاً: كل شيء في هذا الوجود حوار. فالعالم حوار بين الانسان والطبيعة، الصناعة حوار بين الانسان والالة. السياسة في النهاية حوار بين اراء وبين طبقات. رابعاً: ليس في الأخلاق كهنوت. خذ أخلاقيات الحوار السياسي أو الخلاف السياسي، موضوعاً والتعبير عنه لا بد أن يتضمن قيمة. خامساً: اذا كان هناك قيمة في موضوع وقيمة في عرض هذا الموضوع، فالرسالة تصل! سادساً: عندما أتحاور معك الان، على سبيل المثال ما الذي يجعل حوارنا مجدياً هناك موضوع مطروح. بأمانة. ذلك اني أعتقد أن «الشتيمة» هي واحد بيكلم نفسه لا أحد يرد عليه واذا رد، فهي شتيمة أخرى. خارج الموضوع وتسقط القيمة. سابعاً: في الحوار، موضوع أمام موضوع وقيمة أمام قيمة ومهما اختلفنا فهناك القيمة في العرض والأمانة في الطرح. وهذا يزيد حوارنا ثراء. أخلاقيات العمل السياسي، كأي اخلاقيات. هي اخلاقيات العمل الاقتصادي أو العمل الاجتماعي. ثامناً: الشتيمة في السياسة كالغش في الصناعة والسرقة في التجارة. ويبدو أن بعض الناس يمارسون الحوار. . باسلوب الانفتاح!!

وصمتنا!

. . . .

. . . .

. . . .

وكانت موسيقى شوبير تهدر، وكأنما جاءت لتحملنا وتلقي بنا على شاطىء الصمت. حيث لا مشاكل ولا صراعات. نوتوبيا مؤقتة وشرد مني هيكل وكأنه يسلم نفسه لمكان وزمان آخر. ثم تنبه وقال لي. . أعتقد أن اكبر مكسب للانسان أن يكون محظوظاً بأصدقائه وأن يكون محظوظاً بمن اختاروا أن يكونوا خصومه. . أنا محظوظ في الحالتين!

وكف «هيكل» عن الكلام المباح. . وغير المباح!

التغيير ضرورة: في مصر والعالم العربي

لم يكن هيكل راغباً في إجراء أي حديث في هذه المرحلة. ولكن علاقته الحميمة بالوطن وتقديره لدورها جعلاه يخرج عن عزوفه. وهكذا كان لنا هذا الحديث المطول عن المرحلة المقبلة في مصر وعمق وحدود المتغيرات داخلها وحولها:

. جريدة الوطن الكويتية ـ ٣/ ١٩٨٢٥ ـ سليمان فليحان.

● الوطن ـ بعد الانسحاب الإسرائيلي من سيناء تختلف توقعات المراقبين حول طبيعة المرحلة المقبلة. فبينما يراهن البعض على تحولات غير محددة في السياسة المصرية محلياً وعربياً ودولياً يعتقد البعض الآخر أنه من المستبعد حدوث أي تعديل على النهج الحالي. . كيف تنظرون إلى مرحلة ما بعد الانسحاب الإسرائيلي وما هو تقييمكم لطبيعة المرحلة؟

■ ـ مما لا شك فيه أننا أمام مرحلة جديدة. وهذا أمر طبيعي ودون أن نتكلم بالتاريخ وإنما نكتفي بالكلام عن موقف محدد وقريب. أعتقد أن مصر منذ يناير عام ١٩٧٧ ولغاية أكتوبر ١٩٨١ كانت تعيش فترة مرهقة نوعاً ما. فترة تفاعلات اجتماعية واقتصادية وسياسية، ويمكن القول إنها هي الفترة نفسها التي أدت إلى المبادرة.

إن تاريخ أي وطن هو حوار مستمر بين الحوادث وبين الناس وبين الظروف. وقد خلقت حرب أكتوبر عند الكثير من الناس توقعات متباينة، حيث خضنا حرب أكتوبر ـ زي ما أنت فاكر ـ بأهداف معينة وكانت نتائج الحرب مواتية لتحقيق هذه الأهداف ولكنها لم تتحقق في النتيجة لأن السياسة لم تستطع أن ترتفع إلى مستوى ما صنعه السلاح. وبالتالي لم تأت النتائج السياسية للحرب متوافقة مع توقعات الناس وجهدهم. وكانت النتيجة ردة فعل بالإحباط عكست نفسها في سنة ١٩٧٧.

منذ هذا التاريخ اعتقد أننا كنا نتخبط في الظلام. إذ ضاق الناس في عام ١٩٧٧ واختلجوا ضيقاً على ما أحسوا به، وهو أن نتائج تضحياتهم الضخمة التي بذلوها في الحرب وما حققوه بجهدهم، بأرواحهم، بأبنائهم، بدمهم، بكل ما لديهم لم تعد ثمارها إليهم، وإنما ذهبت لغيرهم.

ونستطيع أن نقول «إنهم نشلوا على جسر العبور» أي أن تضحياتهم قد «نشلت» منهم و«نشلت» قيمة هذه التضحيات. وقد عبروا عن هذا في الواقع بما حصل في يناير عام ١٩٧٧. ما لبثنا بعد هذا أن عشنا فترة صراع بين شيئين: إرهاب مقنع أو محجب بحجاب القانون واجهه إرهاب مضاد محجب بحجاب الدين.

وهكذا دخلنا في معركة التخبط في الظلام. وفي هذا الوقت حدثت المبادرة وحدثت أمور كثيرة جداً ولكن بصرف النظر عن هذا كله قد خلق المشي في الظلام تصادماً بين العديد من القوى. ولم يكن هناك تقديرات واضحة ومحددة. وكنا نسلك طرقاً كلها تبدو مغلقة حتى حدث ما حدث في ٦ أكتوبر وجاء رئيس جديد غير مقيد بالسيناريو القديم.

مع الأسف الشديد أن الأبواب التي أقفلت كلها في الفترة الماضية أي سنوات الحيرة الأربعة من ٧٧ لغاية ٨١ والتي سادها الخبط في الظلام والخبط غير المحسوب والقمع والقمع المضاد وإرهاب الدين وإرهاب القانون إلى آخر كل ما حصل، في النهاية كان مفروضاً أن هذه الأبواب ستفتح ولكنها مع الأسف فتحت بالعنف ولم يكن هناك حل آخر.

بعد هذه الفترة وجدنا أنفسنا أمام وضع جديد وباب جديد، ونجد أن إحساس الشعب المصري منذ أكتوبر وحتى هذه اللحظة ما زال في انتظار بدء مرحلة جديدة فعلاً. وكان أمامنا تاريخ ٢٥ أبريل. وواضح أن هناك اختلافاً عملياً فعلاً أي أن الإسرائيليين سيخرجون من سيناء ولكن التغيير ليس سهلاً لأن من الصعب القفز فوق الحقائق السياسية، ومع هذا أنت أمام فترة جديدة، والناس أمام فترة جديدة. وقد أحسوا بهذا، وهناك شعور في مصر وهو الرغبة في عدم الالتفات إلى الماضي. في الواقع جزء كبير من ضيق الناس فيما يحدث اليوم أن هناك من يحاول جرهم إلى الماضي سواء ماضي السادات أو حتى ما قبل السادات.

أتصور أن الناس تريد أن تنظر إلى المستقبل وتريد أن تجد طريقاً إلى أمان كثيرة جداً، لقد تصوروا أنهم قريبون من تحقيقها في أوقات سابقة ولم تتحقق لكنهم يصرون على تحقيقها. فأنت أمام مرحلة جديدة فعلياً وعملياً.

الأمر الثاني: إنك أمام رجل جديد، وهذا مهم جداً، وأتساءل ما هو الوضع القائم حالياً؟ أما أن تغييراً سيأتي . بالتأكيد لا بد أن يأتي . على المستويين: المستوى الإنساني والمستوى القيادي. فعلى المستوى السياسي كان وصل أنور السادات إلى إجراءات ٥ سبتمبر وقد ظهر أن ضربات ٥ سبتمبر كانت ضربات يائسة في «الظلمة» ليس لها ما بعدها. وعلى أي حال كانت تساعد على إقفال الطرق أكثر مما تساعد على فتح الطرق، ولك أن تتخيل ما يمكن أن يحصل لو أن ما سمي بثورة ٥ سبتمبر استمر إلى فترة أطول. فماذا كان سيحصل لو أن عملية الاعتقال استمرت ماذا كان سيحصل لو أن الفتنة الطائفية التي كانت موجودة في الباب تفاقمت أكثر. ماذا كان سيحصل في موضوعات الفساد لو حصل تستر عليها. وماذا سيحصل لو أن إسرائيل ضغطت على السادات كما ضغطت في الفترة الماضية على مبارك ليذهب إلى القدس أو يتنازل عن بعض المناطق. لا شك أن السادات كان سيذهب إلى القدس من غير تردد!!

إذن ألأوضاع السابقة في مجملها وصلت إلى طريق مسدود وكان لا بد أن تتغير. حتى ثورة ٥ سبتمبر كما أطلقوا عليها هذه ـ التسمية ـ وهي كانت في الواقع عملية عنف تمثلت في ضربات متلاحقة ـ حتى هذه الثورة لم يكن وراءها هدف ولم يكن لها نتيجة وليس من الممكن أن تؤدي إلى شيء بل على العكس كانت أدت إلى زيادة الأبواب المغلقة. وحتى لو حدث أن الرئيس الجديد جاء ولم يكن لديه شيء محدد فإنه بدأ يلغي ما قيل إن ثورة ٥ سبتمبر قد أنجزته.

لقد بدأ مبارك يفتتح الأبواب مع العالم العربي ويتحدث عن عدم الانحياز وبدأ يكتسب شرعية في الوضع الجديد بمجرد العدول عن بعض ما كان تقرر بالغضب والعنف والعصبية. وهكذا تجد نفسك أمام مرحلة جديدة وبمنتهى الوضوح لأن المرحلة السابقة عليها لم تصل إلى شيء بالتأكيد. وليس هذا فقطبل إن المرحلة الجديدة أوصلت إلى السلطة رجلاً جديداً ونحن نعرف ماذا يعني دور الفرد في هذه المرحلة الانتقالية وفي حياتنا كلنا.

وفي النهاية تجد الحوار في مصر يدور ـ كما وصفه أحد المثقفين ـ حول مخاطبة ومناشدة عقل وفكر وروح وضمير حسني مبارك. وهذا ليس صدفة مع

الأخذ في الاعتبار أن الذي كرس الاستمرار في مصر ليس الحزب الوطني، وإنما هو في الواقع الأمر المستمر والدائم في مصر. حيث تتمثل قوة الاستمرار في شكل تنفيذي بالبيروقراطية أو في قوى الدولة المنظمة وعلى رأسها القوات المسلحة «الكوبري» الذي عبرت عليه البلد من مرحلة إلى مرحلة، وبالتالي هناك دور للرجل الذي يتربع على رأس الجهاز التنفيذي في البلد والذي سيؤدي في عمله السياسي سوف يعطي شرعية لهذا الوضع وبإنجازاته سيؤكد هذه الشرعية.

إن التغيير ضرورة لا مفر منها إنسانياً وموضوعياً، طبعاً عملية التغيير معقدة جداً بالنسبة للرئيس المصري لأن الناس في مصر كلهم يتطلعون إليه وينتظرون ليروا ماذا سيعمل. وأنت تقول إن الناس منحوه فترة سماح. هذا صحيح، لأن الناس يريدون إعطاءه فرصة لينجح لأنه ثقيل عليهم جداً وباهظ التكاليف ألا ينجح الرجل لأن عدم نجاحه مخيف للناس. وبالتالي لا بد أن ينجح ولهذا هم مستعدون للتضحية. وأتصور أن أهم استفتاء حصل في مصر بل ربما كان الاستفتاء الوحيد الصادق مؤخراً هو الاستفتاء الذي جاء بحسني مبارك إلى سدة الرئاسة. فقد صوت الناس لرجل لا يعرفونه كانوا يائسين من كل ما عرفوا. ولأنهم كانوا يريدون الاستمرار ولديهم الأمل أن يقدم الرئيس الجديد رؤية جديدة وسياسة مختلفة.

قلت إننا موضوعياً أمام ظرف متغير وإنسانياً أمام رجل مختلف، عملية معقدة جداً ـ وهذا طبيعي ـ لأن رجلاً عندما يبتعد عن ظل رجل آخر سبقه فإن المؤسسة كلها تقاوم الابتعاد. خاصة وأن ابتعاده عن هذا الظل قد يؤثر على القوى السابقة. وبالتالي هناك معركة ضارية لمنع التغيير قائمة حالياً وتستطيع أن تتصور كل الأوضاع الموجودة حول الرئيس السابق والمستفيدين من هذه الأوضاع، حيث يقاتل بعض هؤلاء اليوم من أجل المصالح، وبعضهم يقاتل من أجل البقاء، وبعضهم يقاتل ربما عن أخطاء. وبالتالي هذا يفقد جداً عملية التغيير، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الواضح أمامي أن الظروف أصعب جداً مما كانت عليه في أي وقت بالنسبة لمصر.

هل أتصور أن الرئيس حسني ـ وهو أثارها في المؤتمر الاقتصادي ـ قد تفاجأ بالحقائق الاقتصادية. لقد كان ما رآه وما اكتشفه في الوضع الاقتصادي مفاجأة.

صحيح أنه كان لخمس أو ست سنوات قريباً من السلطة كنائب للرئيس السادات إلا أنه علينا أن نسلم في ظروف العالم الثالث بأن السلطة كلها تكون في يد رجل واحد. أو القرار في يد رجل واحد. وأن هذا الرجل الواحد يطلع الآخرين على الحقائق والقرارات بقدر ما يرى هو فقط. وواضح أن الرئيس حسني مبارك كان يعرف كثيراً من الأشياء ولكنه بالتأكيد لم يكن يعرف الكثير من الحقائق السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وأشير إلى جانب هذا إلى أن علاقة إنسانية معقدة جداً، ليس في مصر فقط، وإنما في كل العالم. ذلك أن الرئيس يرى في خلفه أو نائبه رجلاً يخلفه في كل شيء، وإنسانياً يشعر بهذا، أي أنه لا يسمح له برؤية كل الأشياء أمامه. وهذا ثابت في تجاربنا وحتى في تجارب أناس آخرين، ثابت في تجارب كل الرؤساء الأميركان، ثابت في تجارب جونسون مع كنيدي مع الفارق الكبير المختلف بين أميركا وبين مصر، ثابت في تجارب فورد مع نيكسون، في تجارب كارتر مع مونديل، والأمثلة موجودة أمامنا في العالم أجمع.

إذن أمامنا موقف إقتصادي اجتماعي سياسي معقد إلى أقصى درجات التعقيد. وأمامنا رجل جديد وظرف جديد. والانسلاخ أو الابتعاد عن ظل الماضي ليس عملية سهلة. فالموقف كله أو ملابسات هذا الموقف في منتهى الصعوبة وهذا يزيد من عذاب عملية التغيير.

وهناك ثلاثة أسباب تجعلنا نتصور صعوبة التغيير وهذه الأسباب:

١ ـ إننا نجد في التغيير أناساً كثيرين يقفون في الطريق.

٢ ـ الموقف المعقد الذي أشرنا إليه.

٣ ـ القوى الخارجية التي تعمل على تعقيد عملية التغيير وهي بالتحديد أميركا وإسرائيل وأنت ترى أميركا كيف تتصرف حتى قبل الانسحاب من سيناء وبعد الانسحاب وحيث ما زالت هناك مشاكل معلقة ومنها مشكلة طابا.

ويمكن أن نلخص المرحلة التي نمر بها بالآتي:

أولاً ـ نحن أمام أوضاع تحتم التغيير.

ثانياً ـ أمام ثلاثة عوامل تجعل عملية التغيير في منتهى الصعوبة.

ثالثاً ـ أمام الناس الجاهزين للتغيير، وهم يشعرون بعد كل هذا أنهم أعطوا فرصة للرئيس الجديد وهم مستعدون أن يسمعوا منه ويمشوا وراءه ومستعدون أيضاً أن ينفذوا المهام التي يمكن أن يوكلها إليهم.

ويقع في خطأ أي إنسان يتصور أن الناس تقبل الكلام في معارك قديمة أو أوهام معينة. إنني أتصور أن الناس كلهم يريدون أن ينظروا إلى الأمام «عاوزين يبصو إلى قدام» وأن ما حدث من أخطاء قد انتهى.

أنا شخصياً لست معجباً بالسياسات الدراماتيكية ولكن في بعض اللحظات لا بد أن تبدأ مما هو كائن.

هذه الأوضاع أمامنا ومن هنا سوف نبدأ. وإذا كان هناك تغيير منتظر أن يحدث لا بد أن يأخذ في الاعتبار كل ما حولنا. أما كيف يتحرك وإلى أين ينتهي فهذه قضية لا يستطيع أحد أن يحكم فيها لأنها ليست متوقفة على برنامج رجل لم يعلن برنامجه، بل صعب أن يعلنه. وإنما متوقفة على أوضاع ديناميكية كثيرة جداً. متوقفة على أوضاع القوى الاجتماعية في مصر وقدرة كل منها على أن تعطي الرجل سبيل الحركة. متوقفة على رؤية أطراف عربية مختلفة:

إن استمرار كل سياسة في الدنيا هي تفاعل بين ناس وحوادث وحقائق. فالناس أمامنا والحقائق موجودة لكن هناك من لا نعرف مواقفهم. العالم العربي كيف يتصرف، على سبيل المثال، إسرائيل تخلق المشاكل والآخرون يخلقون مشاكل. الخريطة العربية كلها زاخرة بالمشاكل.

أتصور أنكم في العالم العربي جميعاً تسألون عن التغيير لأنكم تتصورون وتأملون في نفس الوقت أن هذا التغيير يؤدي إلى عودة مصرية إلى العالم العربي. وأنا أتصور أن هذا أمل مشروع، ولكن أعتقد أنه علينا أن نخرج ببعض التصورات العملية والطموحة والتي تحتاج إلى تعاطف منا ومنكم.

إن عودة مصر ليست المشكلة الوحيدة في العالم العربي. صحيح أن عودة مصر قد تساعد على حل قضايا كثيرة جداً ولكن هناك قضايا كثيرة جداً أيضاً لا

تتعلق في مصر وإنما بهموم العالم العربي المعاصرة ولا بد أن تكون كلها موضع مناقشة.

إن قضية عودة مصر، أو قضية التعاون، أو قضية الدور المصري هي قضية مركزية أو محورية. وعليكم أيضاً أن تفكروا فيها أيضاً. إذ ليس طبيعياً أو على الأقل ليس كافياً أنكم جميعاً في العالم العربي تسألوننا ماذا سيحصل.

إذا كان هدف إستعادة مصر العربية للعالم العربي وهو هدف كثيرين جداً داخل مصر فإنه ينبغي أن يكون أيضاً هدف كثيرين جداً خارج مصر. إذن ستسألون ماذا سنعمل حتى نرجع إلى العالم العربي، ولا بد أن تسألوا أنفسكم ماذا يمكن أن يعمل العالم العربي لعودة مصر.

هناك حوار دائر حالياً، وسيدور حوار في المرحلة المقبلة حول توجهات مصر. ويقول البعض إن هناك دعوات تتوجه بالمناشدة وبالخطاب للتجاوب مع قرار حسني مبارك الأخير، أليس من واجبكم أنتم أيضاً خارج مصر أن تدخلوا في هذا الحوار. أليس من الواجب أن الشعب المصري الذي تصور في الفترة الماضية أنه حمل هموماً كثيرة عن أمته ـ وهذا صحيح ـ أن تتحملوا مع هذا الشعب. لقد حصل على أي حال ما حصل وتخلى العرب عن الشعب المصري في أوقات صعبة أو أنهم لم يساعدوه بالقدر الكافي. وهذا لا أتكلم عنه من الوجهة المصرية لكن ماذا يحدث اليوم. ألا ترون على سبيل المثال مصاعب إقتصادية في مصر تترتب عليها مصاعب اجتماعية؟

أنتم ترون أن هناك فترة سماح وهذا صحيح! وأنتم ترون أن هناك بحثاً عن خطوات معينة وأنتم ترون أن هناك ضغوط أميركية ـ إسرائيلية تعقد الموقف أكثر مما هو معقد. وأنتم ترون أن إسرائيل تحاول أن تقول لأميركا من فضلكم بلغوا مصر أن أي خروج على معاهدة السلام من شأنه أن يؤدي إلى قطع المعونات الأميركية عنها، وأنتم تعلمون أن ذلك قد يؤدي إلى مشاكل كبيرة جداً. إذن ما الذي يمنع العالم العربي الذي اجتمع في بغداد على أثر كامب دايفيد وقال لمصر: «بلاش كامب دايفيد واحنا نديلكم ٥ بليون دولار كل سنة لمدة معينة». . أتساءل ما الذي يمنع العالم العربي ومصر اليوم تتخذ خياراتها الصعبة أن تساعد مصر خاصة وأن العالم

العربي بدأ يدرك إدراكاً واضحاً أهمية الدور المصري.

إن الرد المصري «ومش عايز حد يتصور أنني أتكلم من موقع إقليمي أو نعرة إقليمية» لا بد أن يقول: لقد ابتعدنا نحن فعلاً. وكان هذا ضد إرادتنا وضد إرادتكم وضد إرادة الكثيرين. وجئتم إلى مصر وقلتم لنا خذوا خمسة بلايين دولار إلى بضع سنوات. ومصر في موقف صعب وتتخذ خيارات في منتهى الصعوبة. ما الذي يمنع مجموعة دول الخليج النفطية اليوم أن تقول لمصر: «نحن نعرف المصاعب التي تواجهونها ونحن حريصون على الدور المصري ونحن نعرف الموقف في صراعنا مع إسرائيل. فتعالوا لنتفاهم ونحل المشاكل معاً».

إنه مهمة حيوية جداً ولا يهمني من يبدأ في خوضها ولا يهمني «مين الصح ومين الغلط» فإن ما فات فات، الآن هناك مشكلة خطيرة وهي مشكلة الحرب العراقية الإيرانية، فإن لم ننته بطريقة معقولة فإننا نحن جميعاً مهددون بفكر طائفي وأريد أن أقول لك أنه لا يكفي دول الخليج أن يتصوروا أن الأميركان سيأتون لحمايتهم فهذا ليس وقت الانحياز لأميركا.

لقد اختار العالم العربي عدم الانحياز عندما كانت أميركا تملك التفوق العسكري، وقد واجهنا الكتلتين الاتحاد السوفياتي وأميركا آنذاك. وقلنا في ظل التفوق الأميركي نحن غير منحازين وليس لنا علاقة بالصراعات الدولية. اليوم اختلفت الموازين وأصبح الاتحاد السوفياتي يملك حالة التوازن مع أميركا. وآن الأوان للتخلي عن الكلام الأجوف الذي كنا نردده بعد حرب أكتوبر إننا داخلون في معركة مقدسة ضد الشيوعية الدولية. إن قصارى ما نستطيع أن نفعله في ظل التوازن الموجود حالياً وهو توازن خطر جداً أن ننتهج سياسة مستقلة.

إن الشعوب الأوروبية بدأت تستيقظ في ظل توازن القوى الذي نغفله نحن. وبدأت تقول لأعضاء حزب حلف الأطلنطي الكلام نفسه الذي كنا نقوله في الخمسينات والستينات فهم لا يريدون أن يطحنوا في حرب أولاً مستحيلة. وثانياً إذا حدثت فإنها لا تبقي ولا تذر لأنها تعني الدمار الشامل.

في هذا الوقت ننحاز ـ نحن العرب ـ لأميركا«!» أليس هذا غريباً؟ وكيف يمكن لهذه المنطقة أن تنتهج سياسة مستقلة:

١ ـ مع الإبقاء على طابعها القومي وهذا هام جداً.

٢ ـ كيف تبني سياسة مستقلة في هذه المنطقة دون مصر.

من هنا، ومهما كانت العقبات عليكم أن تساعدوا مصر في هذا الوقت بسياسة طموحة واسعة الأفق واسعة الخيال تحاول أن تسبق الحوادث وتحاول أن تستعيد مصر. واطرح فكرة عملية. أنتم ترون المصاعب أمام مصر وترون أمامها فرصة لتتحرر وترون المصاعب الاقتصادية والاجتماعية وهي أكثر الأشياء التي تؤثر عليها. فماذا تنتظرون! هل تنتظرون أن تقول مصر ساعدوني.. لقد وعدتموها بخمسة بلايين دولار إذا لم توقع اتفاقية كامب دايفيد. وقد تغير الوضع وجاء حسني مبارك وقال «أنا مش رايح القدس وأنا لا أستطيع أن أسلم».. هذا في صالحكم وهذا في صالحي أيضاً كإنسان عربي أن أشجع هذا الاتجاه.. في صالحي أن يحصل تغيير وفي صالحي أن لا تتمكن أميركا وإسرائيل من هدم الصلة العربية المصرية. فإذا كنتم تسألون كيف ستساعدون مصر ومتى. أقول اليوم حتى لا نضيع كلنا غداً.

لا بد للعالم العربي أيضاً وليس مصر وحدها أن تغير كل الحكايات حكاية الشيوعية الدولية وحكاية الأحلاف وحكاية القواعد وحكاية الاعتماد على أميركا. وحتى لو لم نكن نريد أحلافاً فنحن بحاجة إلى سياسة مستقلة نحن بحاجة إلى شيئين أساسيين.

١ ـ في حاجة إلى تأكيد وجودنا القومي وليس الطائفي أو المذهبي.

٢ ـ في حاجة إلى سياسة مستقلة. وكلاهما في اعتقادي لا يتحقق إلا بدور فعال ونشيط لمصر.

أنت تعرف كم كنت معارضاً لكامب دايفيد والسياسات التي كنا مختلفين معها. وهي سياسات ليس لها مستقبل. ولكن هناك فرقاً بين الحقائق السياسية والحقائق التاريخية. فالحقائق السياسية في يوم من الأيام لن أجدها أما الحقائق التاريخية فهي ثابتة لا تتغير وعروبة مصر حقيقة تاريخية أما العلاقة بين مصر وإسرائيل فهي نوع من الحقيقة السياسية القابلة للتغيير إلا أن ما هو غير قابل للتغيير

دماء مصر العربية. وبالتالي علينا كلنا وعلى العالم العربي أن يفكر كيف يساعد على تغيير ما هو قابل للتغيير وعلى تأكيد ما لا بد من تأكيده.

● **الـوطـن ـ الانسحاب الإسرائيلي من سيناء هل يوسـع حرية الحـركة المصرية في الدائرة العربية وإلى أي مدى برأيكم تتاح له هذه الفرصة؟**

■ كـل حـركـة سياسية في الدنيا ليست باتجاه واحد. وبلا شك أن الحـركة السياسية المصرية بعد الانسحـاب يمكن وصفهـا نظـرياً أنهـا أقـدر منهـا قبـل الانسحاب ولكنها مقيدة بالظروف التي تحدثنا عنها. وهذه السياسة بحاجة إلـى الآتي:

١ ـ تشجيع.

٢ ـ تعاون قوي.

٣ ـ رؤية مشتركة.

المشكلة في العالم العربي أننا نتحرك أقل كثيراً مما ينبغي ونتأخر كثيراً عمـا ينبغي فلو أن الخمسة بلايين دولار التي عرضت على مصر في قمة بغداد حتى لا تسير في خط كامب دايفيد ـ وأنا آسف أن أتكلم بهذا ـ لو أن هذا العرض قدم إلى مصر بعد حرب أكتوبر لكان ساهم بحل مشاكل كثيرة جداً. ولكن المساعـدات العربية كانت شحيحة جداً وليس مكتومة في السر. وحتى هذا اليوم لا يستطيع أحد أن يعرف حجم هذه المساعدات التي قدمها العرب لمصر.

وأؤكد مرة أخرى أن المساعدة كانت أقل مما يجب ومتأخرة عما يجب. وأسوأ من هذا أنها أديرت بطريقة خاطئة. وعلى سبيل المثال أن كل الصناديق العـربية تتقاضى فوائد مماثلة لفوائد البنك الدولي. وتحتذي في صيغ عقودها مع الدول الشقيقة القاعدة التي يعتمدها البنك الدولي.

أقول إن الأرقام غير واضحة، وحجم المساعدات غير واضح، وقد ارتكبنـا أخطاء فظيعة ربما حصلت بعضها بحسن نية ولكن البعض استغلها للتشويش. إن هذا الوضع المغلوط آنذاك لا يمكن أن يستمر وحان الوقت لإصلاح هذه الأخطاء.

وفي ظل عدم وجود حصر للمساعدات العـربية ـ كمـا قلـت ـ والتـي كانـت

متواضعة جداً ومتأخرة جداً. شعر الشعب المصري أن أمته تخلت عنه في الظروف العصيبة. إذ بعد أن صدرته لمعاركها تخلت عنه في دفع تكاليف واستغل هذا في مصر ووضعت الصناديق العربية كلها عليه شروطاً تماثل شروط البنك الدولي في وقت يدير بنك تشيز منهاتن أموال المجموعة الخليجية وهذا غير معقول أبداً.

إن الفصل في هذا الموضوع أن الحقائق التاريخية باقية وأن الحقائق السياسية قابلة للتغيير. ونحن بالتأكيد محتاجون إلى أمرين أساسيين:

أولاً ـ الانتماء القومي حيث أن الكيانات الصغيرة حتى لو لم تكن قادرة على بناء ذاتها فإنها تستطيع أن تجد في الإطار القومي حياتها وأمنها.

وأقول لك إن المخاطر تأتي في المرحلة الحالية من مصدرين:

١ ـ المخاطر الإسرائيلية: وأعتقد أنه ليس في إسرائيل ما يخيف، لأن كل ما هو قائم فيها قابل للتغيير. حيث أن كل ما فيها مستعار: أرض مستعارة «أو محتلة» من الشعب الفلسطيني، قوة مستعارة من أميركا! وصلافة مستعارة من هتلر.

٢ ـ المخاطر الإيرانية على الجناح الشرقي للوطن العربي. لقد أيدت الثورة الإيرانية في بدايتها وتحمست لها كظاهرة إنسانية جداً. وقد كان منظر الناس بالنسبة لي الذين يقاومون القوات المسلحة في الشوارع واستعدادهم للموت منظراً مؤثراً. وما زلت أعتبر الثورة الإيرانية فعلاً من الظواهر الإنسانية الهامة جداً في القرن العشرين. ولكن مع الأسف الشديد وقد قلت هذا الكلام وكتبته مبكراً جداً منذ سنة ٧٩ ـ وأكدته للطلبة الإيرانيين الذين يحتلون السفارة الأميركية في طهران وقلت لهم إنكم بالطريقة هذه تنكمشون في الثورة الإيرانية من ظاهرة إنسانية إلى ظاهرة إسلامية، إلى ظاهرة شيعية، ثم إلى ظاهرة شيعية في إيران. وهذا خطر جداً. وإن الفكرة القومية لديهم كانت مشوشة إلى حد كبير وقد تكلمت معهم نصف الوقت. تقريباً بالمسألة القومية وقلت لهم إن بجانبكم أمة لديها كل مقومات الأمة. أمة مستكملة أسباب ودواعي وجودها والإسلام ليس بعيداً عن هذه الدواعي والأسباب.

ومن سوء الحظ أن الأمور تطورت في الاتجاه نفسه. ويراودني قلق كبير عندما

أسمع أحداً يقول في الخارج إن الصراعات القادمة ستكون ذات طبيعة طائفية. وهذا ما كنا نحذر منه باستمرار. ففي غياب التناقضات الأساسية لا بد أن تظهر التناقضات الفرعية. مما يدخلنا في مشاكل طائفية أو في مشاكل حدود وهكذا تقع الكارثة.

ثانياً - الإستقلال القومي الذي من شأنه أن يغير ميزان القوى في المنطقة ففي الوقت الذي نجد فيه أوروبا تحاول الابتعاد عن الاستقطاب الدولي خائفة من احتمال الصدام القادم بين القوتين الأعظم: وفي الوقت الذي يدور فيه داخل أميركا نفسها حوار واسع - كما حدث مؤخراً - حول التوازن النووي. حيث وصل عدد كبير جداً من قادة الفكر الاستراتيجي في أميركا مثل جورج باندي وغيره إلى أن الاتحاد السوفياتي لم يعد متخلفاً في قواه الضاربة كما كان في الخمسينات والستينات. وأنه على الولايات المتحدة أن تتخلى عن فكرة الضربة الأولى لأنها لم تعد ممكنة إذ أصبح من الواضح أن هناك توازناً قائماً على أقل تقدير بين أميركا والاتحاد السوفياتي.

في هذا الوقت بالذات نعلن انحيازنا لأميركا ونبدي استعداداً لإعطاء قواعد وتسهيلات وندعو لمحاربة الشيوعية الدولية متجاهلين كل الحقائق الجديدة.

وأتصور أن الوقت قد حان لنؤكد جميعاً الطابع القومي وهويتنا القومية من جهة ونؤكد الاستقلال القومي من جهة أخرى. وباعتقادي أن تحقيق هذين الهدفين لا بد أن يراعي وبصفة أساسية استعادة الدور المصري. وفي مؤتمر عدم الانحياز المقبل في بغداد يجب أن يكون العالم العربي قادراً على لعب دور مؤثر وخلاق. فالمطلوب منا جميعاً بذل جهد مكثف من الآن وحتى انعقاد المؤتمر لنذهب إلى بغداد ونحن على اتفاق على خطين أو ثلاثة من الخطوط الأساسية.

● الوطن - كيف يمكن برأيكم وعلى ضوء المتغيرات الجديدة إعادة العلاقات المصرية العربية إلى طبيعتها وما هي الواجبات المترتبة على كل من الطرفين ؟

■ إنني مدرك أن هناك متغيرات مهمة جداً تحدث في العالم ويمكن إيجاز هذه المتغيرات بالتالي:

المتغير الأول: أن العلاقات بين القوتين الأكبر قد اختلفت حتى أن الرئيس الأميركي رونالد ريغان الذي كان يقول قبل سنة إنه لن يتكلم بالأسلحة النووية يجد نفسه اليوم مضطراً للحديث عن هذا الموضوع. وأشرت إلى أن أقوى الأصوات في أميركا تتحدث اليوم عن ضرورة الحد من السباق النووي.

المتغير الثاني: أن التوازن الفكري والإنساني في المعسكرين الشرقي والغربي على حد سواء يتعرض للتغيير. وكلنا نعرف ماذا حدث في بولندا وفي أوروبا الغربية خاصة المانيا وهولندا حيث لم يعد أحد مقتنعاً باتجاهات الاستقطاب القديم. ويبرز في هذا الإطار تيار إنساني أقوى من كل الأحلاف السابقة وهو موجود ويؤكد نفسه باستمرار.

المتغير الثالث: أن الوقت أصبح محدوداً جداً أمامنا فالبترول الذي كنا نعتبره سلاحاً فعالاً لم يعد سلاحاً. وتكاد تكون قوته المالية والاقتصادية قد طوقت. حتى أن أرصدته بدأت تنحدر فعلاً. وليس أدل على ذلك من أن الكويت مثلاً تعلن عن عجز في ميزانيتها كما صرح عبد اللطيف الحمد مؤخراً. فالوقت الباقي لنا في ظل انخفاض مواردنا أصبح محدوداً لنتمكن من تصحيح توجهاتنا في الثمانينات والتسعينات.

ومن هنا أتصور أنه لو كان استبقاء مصر في العالم العربي ضرورياً عند توقيع معاهدة كامب دايفيد سنة ١٩٧٩ فإن استعادة مصر اليوم أكثر ضرورة مما مضى وبالتالي لا بديل عن مبادرات جريئة وجريئة جداً لتصحيح هذا الوضع. وأعتقد أنه عندما تقول إسرائيل لأميركا من فضلكم بلغوا المصريين أنكم ستقطعون المساعدات عنهم إذا تخلوا عن تعهداتهم فإن الرئيس المصري الجديد لا يملك أن يواجه مثل هذا الاحتمال. وأتساءل ما الذي يمنع دول الخليج التي دفعت وتدفع أموالاً طائلة في كثير من المجالات إذا جاءت وعرضت على مصر خمسة بلايين دولار لكي تحررها من أي ضغط في المرحلة الحساسة المقبلة. أما أن تجلسوا على شاطىء الخليج وتنظروا إلى ما يحصل في قلب العالم العربي وتقولوا، ماذا سيفعلون فهذا لا يكفي. لأن الآخرين سيسألونكم أيضاً: وأنتم ماذا ستفعلون؟!

أقول هذا وأنا مدرك للصعوبات وأهمها وجود علاقة بين مصر وإسرائيل. ولكن في هذا الوقت يمكن تحقيق أشياء كثيرة ضاعت منا سواء في الخليج أو شبه الجزيرة العربية أو المغرب العربي أو في مصر نفسها. وإلا نحن مقبلون على حروب طوائف وحروب دينية ليس لها حدود. فكل العالم العربي مهدد بما حدث في لبنان لا يستثنى منه أحد بما فيه مصر مع الأسف الشديد حيث شهدنا في الخريف الماضي ما سمي بفتنة طائفية لأننا تركنا ما هو رئيسي في حياتنا واندفعنا إلى ما هو فرعي.

● **الوطن ـ ما هو تأثير قوى وأحزاب المعارضة في المعادلات الجديدة التي تتشكل في مصر حالياً. وهل ترى أن المعارضة أعطت مبارك هدنة مؤقتة أم أن في الأفق بداية لمرحلة الوفاق السياسي على الساحة المصرية؟**

■ أتخيل صورة العمل السياسي أنه ليس ماء تنساب في مسار واحد. فأنت أمام قوى متعددة تتفاعل وتتحرك. وهذا التفاعل وهذا التحرك يخلقان «ديناميكية» العمل السياسي. وإذا نظرنا في مواقف المعارضة المصرية نجد أنها تقول إن العلاقة مع إسرائيل قد وصلت إلى طريق مسدود. وهذه المعارضة تبقى في وضع متعب جداً إذا لم يكن أمام صانع القرار المصري بدائل معينة فنحن بحاجة إلى فتح البدائل وهذا ما كنت أقوم به في علاقتي مع السادات قبل الاختلاف معه وقبل المبادرة ومع عبد الناصر أيضاً. إذ كنت أحاول أن أجعل صانع القرار المصري على صلة مع كل التطورات سواء كانت أحداثاً أو أفكاراً حتى لا يفاجأ بشيء يحدث أو يفاجأ برأي يقال: فإذا ما طرأ طارىء أمامه لا يجد نفسه مقيداً في خياراته بحيث يقول ليس أمامي إلا أن أفعل هذا لأنه الطريق الوحيد المفتوح.

وعند الحديث عن المعارضة المصرية لا بد من الإشارة إلى أن مجتمعاتنا كلها مهيأة لتقوم فيها المعارضة بدور تصحيحي. وبالرغم من أن هناك تياراً سياسياً سيبقى لفترة طويلة جداً متأثراً بتوجهات سلطة الدولة التي تعطي لنفسها شرعية بمقدار ما تتجاوب مع أماني الناس وتطلعاتهم. بالرغم من ذلك أعتقد أن المعارضة المصرية لا بد أن توسع دائرة الخيارات أمام صانع القرار المصري وستكون هذه المعارضة عقيمة إن لم يكن في استطاعتها أن تفعل هذا.

لا شك أن المعارضة المصرية وهي قوى وطنية موجودة ضمن التركيبة المصرية قد أعطت هدنة ـ كما تقول ـ ولكن ما الذي جعلها تعطي هذه الهدنة أو فترة السماح؟ لأن الظروف تغيرت بالطريقة التي نعرفها ولم يكن في يد أحد أن يتخذ المبادرة في الظروف الصعبة حتى سلطة الدولة كانت عاجزة عن اتخاذ القرار. ولنأخذ مثلاً الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي كان يكتنفها الغموض لأن الأرقام غير معروفة، هذه الأوضاع دفعت حسني مبارك لعقد مؤتمر اقتصادي حتى يعرف ما هي الحقيقة.

الحقيقة الاقتصادية الآن واضحة أمامنا، والحقيقة الاجتماعية واضحة أيضاً. وهاتان الحقيقتان مرعبتان ودون شك أن المعارضة المصرية ستتحرك في هذا الإطار إذا لم تتسع دائرة الخيارات. فالنظام محاصر والمعارضة أيضاً محاصرة. النظام محاصر في قراراته والمعارضة محاصرة في البدائل التي يمكن أن تقدمها. وبالتالي نسأل أنفسنا كيف يمكن أن يساهم الكل في محاولة خلاقة وجريئة وبناءة ومتسقة مع التاريخ للتغلب على المشاكل؟

مع تسليمي بمصائب ما حدث إلا أنه علينا أن نتجاوزه إذ لا نستطيع أن نجلس على الأطلال ونندب ونحن قادرون على تجاوز هذا الوضع. فالأمم العظيمة هي القادرة على تلقي الصدمات وليس على توجيه الصدمات فقط إسرائيل مثلاً قادرة على أن تضرب ولكن لا تستطيع أن تتحمل صدمة لأنها قد تدمر. فلم تكن لتتحمل حرب ١٩٦٧ التي تحملناها وهم يدركون هذا إدراكاً تاماً. لقد تحملنا نحن نتائج حرب ٦٧ وغيرها وتحملنا أيضاً الخرافة وهي مبادرة السلام ولكن كلاهما ترك أمامنا حقائق سياسية قابلة للتجاوز وقابلة للنسيان. وقابلة للتغيير والتصحيح. والأمة العربية القادرة على تجاوز كل هذا لأنها قائمة الحقائق التاريخية التي لا تتغير.

لقد نقلنا عن الغرب الأوضاع الكلاسيكية المتمثلة بالحكومة والمعارضة ولكن فاتنا أن هناك توجد طبقات اكتمل نموها وبالتالي نشأت أحزاب سياسية تعبر عن مصالحها. وأصبحت الديموقراطية حواراً بين هذه الطلائع السياسية المتمثلة في الأحزاب وأصبح اختيار الشعب كذلك على أساس برامج القوى السياسية المختلفة.

في مجتمعاتنا هناك طبقات لم تتكون. فقد كان لدينا مشروع برجوازي ما لبث أن ضرب. وكان لدينا مشروع طبقة وسطى ما لبث أن ضرب أيضاً وحل محل الطبقة الوسطى طبقة طفيلية وهي ليست طبقة بمعنى الكلمة وإنما جماعات متفاوتة. فتركيبنا الاجتماعي بحد ذاته يحتاج لعملية نمو حتى يكتمل، ولا بد للمعارضة حتى تكون معارضة حقيقية أن تدخل في حوار وطني حقيقي وتدخل كذلك في صياغة البدائل المطروحة وتوسيع دائرة الخيارات أمامها وأمام الحكومة وأمام النظام بصفة عامة.

● الـوطـن - هل تعتقد أستاذ هيكل أننا على أبواب مرحلة من الائتلاف الوطني، أو أن المخرج يمكن أن يتم عبر الائتلاف الوطني في مصر؟

■ عنـدما أقول أريد أن أشكل ائتلافاً وطنياً بين قوى متعددة لا بد أن أسأل ماذا تعني قوى متعددة وكيف يمكن أن يقوم ائتلاف بينها؟

في أوروبا عندما يتكلمون عن ائتلاف وطني على سبيل المثال فإنه ليس هناك من قوة سياسية إلا إذا كانت تعبر عن توجه اجتماعي. لكن في مجتمعاتنا هنا القوى ما زالت في طور التشكل. وبالتالي تعبيرها الاجتماعي أو السياسي لا يخلو من تداخلات كثيرة. ولنفرض جدلاً أن حسني مبارك رغب في تشكيل حكومة ائتلاف وطني فما هي الأسس التي تتمثل فيها القوى.. ومن يمثل من.. وما هي القاعدة التي تشكل مقياساً حقيقياً لهذا الحزب أو ذاك؟

أعتقد أنه لا بد من حوار وطنـي أولاً وعملية فرز للقـوى الحقيقية ثانياً قبل الحديث عن الائتلاف. ولكننا نذكر تجربة الرئيس عبد الناصر عندما طرح صيغة للائتلاف بين القوى الشعبية. وأتصور أنه ليس هناك قوة في مصر تستطيع أن تحكم لوحدها. وعندما نتحدث عن الائتلاف الوطني نستوحي التجارب الأوروبية أحياناً أو تجاربنا السابقة التي تمت تحت السيطرة الاستعمارية أحياناً أخرى ولـكن في الحالتين كانت هناك قوى محددة، وقد تغيرت القوى المصرية اليوم تغيراً جذرياً ولهذا فإن الحديث عن الائتلاف الوطني حديث سابق لأوانه لأننا بحاجة إلى أمرين أساسيين قبل طرحه أو تداوله وهما:

١ ـ عملية حوار.

٢ ـ عملية فرز.

وبعد هاتين العمليتين تأتي عملية التجمع أو بناء التحالف الوطني الذي يمكن أن يواجه المرحلة المقبلة سواء محلياً أو عربياً أو دولياً وأي كلام في الائتلاف اليوم، إما أن يكون تعبيراً عن تمنيات أصحاب هذا الكلام وإما لكرم رئيس الدولة. وكلا السببين ليس أساساً صالحاً لبناء الائتلاف الوطني الحقيقي الذي لا يمكن أن يقوم لا على أساس التمنيات ولا على أساس ما يتكرم به رئيس الدولة. وحتى كل القوى عندما تحترم نفسها وتقول نعم أنا أمثل كذا لا بد أن تكون أمام الدولة وأمام نفسها تعرف ماذا تمثل. ولكن اليوم كل هذه القوى كميات مجهولة ولا أقصد أن أحداً لا يعرفها وإنما أقول إن وزنها الحقيقي في الساحة يحتاج إلى مراجعة واسعة.

● الوطن ـ يعتقد بعض المراقبين أن الصراع العربي ـ الإسرائيلي أصبح محكوماً اليوم بمعاهدة الصداقة السورية السوفياتية من جهة وبمعاهدة التعاون الاستراتيجي بين إسرائيل والولايات المتحدة من جهة أخرى وبالتالي فإن المنطقة دخلت مجال الاستقطاب الدولي الفعلي. ما رأيكم بهذا وهل يشكل برأيكم نقلة جديدة في طبيعة الصراع؟

■ التوتر المحكوم ليس جديداً وإنما هو بقايا لمرحلة سابقة. فقد عاشت فيه المنطقة منذ نهاية الحرب الباردة بين العملاقين لغاية اليوم. ونذكر أن الاتحاد السوفياتي كان موجوداً في عام ١٩٧٣ وأميركا أيضاً كانت موجودة. وقد قام كلاهما بتحركات أمام بعضهما البعض ولكن في حدود معينة. لكنني أعتقد أننا اليوم أمام أوضاع تختلف عما سبقها لأن موازين القوى تختلف عن الماضي من جهة، ولأن هناك قوى كثيرة في العالم تستيقظ على حقائق جديدة من جهة أخرى.

● الوطن ـ ما هو مغزى العلاقة برأيكم بين قرار إسرائيل بالانسحاب من سيناء وقرارها بالاعتداء على لبنان واللذين صدرا في آن واحد؟

■ إن هدف إسرائيل الثابت أن تبقى مصر بعيدة عن العالم العربي. وجزء كبير جداً من المشاكل التي افتعلتها إسرائيل أمام حسني مبارك كانت نتيجة شعورها أن العزلة بين مصر والعالم العربي ليست عزلة عميقة. وبالتالي حتى هذه اللحظة

تحاول إختلاق مشاكل كثيرة أمام مصر ولعل أهمها مشكلة طابا حيث تسعى إسرائيل إلى تعديل الحدود. وفي نفس الوقت يأتي عدوانها على جنوب لبنان من باب إضافة مشاكل جديدة في علاقاتها السياسية مع مصر وفي علاقات مصر مع العالم العربي. وأتصور أن بيغن يتصرف ـ وهذا ما لا ترونه أنتم ـ بهاجس الحقيقة السياسية القائمة بين مصر وإسرائيل والقابلة للتغيير وبهاجس الحقيقة التاريخية القائمة بين مصر والعرب وغير القابلة للتغيير وبالتالي تتميز تصرفاته بالفظاظة والعصبية نتيجة ما يستشعر به من جراء هذا التناقض حتى مواقف المعارضة الإسرائيلية لا تخلو من القلق والتوتر.

حوار مع الاهالي (١)
المعارضة لمبارك تأتي من داخل النظام

عندما ذهبت إلى «محمد حسنين هيكل» للاتفاق على اجراء هذا الحوار كانت المرة الاولى التي أدخل فيها مكتبه الملحق بمنزله والذي يزاول من خلال نشاطه وعمله منذ ترك الاهرام عام ١٩٧٤، فطوال ٢١ عاماً من ممارستي للعمل الصحفي لم يكن بيننا لقاء، وكان الحوار الوحيد بيننا مقالتين لي بجريدة الجمهورية عام ١٩٦٧ نقدت فيهما بعنف بعض آرائه ومواقفه المنشورة في مقاله الاسبوعي «بصراحة». . ولكنها لم تكن المرة الاولى التي ألتقي فيها به. .

كان اللقاء الاول على باب سجن «ملحق مزرعة طره» يوم السبت ٥ سبتمبر ١٩٨١، وسيارات الامن تنقلنا جماعات من سجن «الاستقبال» إلى هذا السجن الذي خصص للسياسيين (من غير الجماعات الدينية الاسلامية، والمتحفظ عليهم من المسيحيين!). . شعرت وكثير من «نزلاء» سجن الملحق الذين اعتادوا هذه التجربة بالقلق. . «فهيكل» يمر بهذه التجربة للمرة الاولى. . وتمنينا جميعاً ان يجتازها. . بعد ايام زال القلق والمخاوف، وسقطت الحواجز، وبدأ حوار من اغنى ما شهده تاريخ مصر السياسي، بين قيادات وشخصيات وأجيال سياسية مختلفة.

هناك عرفت «محمد حسنين هيكل». . الكاتب والصحفي والسياسي الذي ترك بصمات واضحة على الحياة السياسية في مصر والعالم العربي خلال الثلاثين عاماً الماضية عرفته على طبيعته. . فكما قال هو. . فالسجن يظهر افضل ما في الانسان وأسوأ ما فيه بلا اقنعه. .

● جريدة الأهالي ـ ٨٢/١٢/١ حسين عبد الرازق

ولم أتردد عندما عادت «الاهالي للصدور في السعي لاجراء حوار معه. . ووافق فوراً، ولكنه طلب شيئاً واحداً. . ان يكون الحوار بعد ٢٥ نوفمبر ١٩٨٢، أي بعد انقضاء عام على خروجه من السجن. . الذي اراده عاماً للتأمل والتفكير والانتهاء من كتابه الجديد «خريف الغضب» الذي يظهر في السوق في يناير القادم.

في يوم الأربعاء ٢٤ نوفمبر، بدأنا هذا الحوار الذي ينشر الجزء الأول منه على هذه الصفحة.

● . . منذ تركت موقعك في جريدة الاهرام، تفرغت لاخراج عدد هام من الكتب. . ومارست دورك كصحفي من خلال العديد من المقالات في صحف العالم الغربي والوطن العربي. ورغم الحظر الذي فرض على مقالاتك في وطنك، كانت تصل إلى المهتمين في مصر، وتساهم مع غيرها من الكتابات والممارسات السياسية، في تحديد المواقف والآراء. .

في السنة الاخيرة، وبعد خروجك من سجنك في ٢٥ نوفمبر ١٩٨١. . انقطعت عن الكتابة للصحافة. . ما هي أسباب هذا الامتناع، ومتى تعود للكتابة الصحفية، سواء خارج مصر أو في الصحف المصرية.؟

■ في فبراير ٧٤ تركت العمل في الاهرام نتيجة لخلاف مع الرئيس السادات. كان الخلاف حول قضية أساسية هي قضية الصلح المنفرد مع إسرائيل هذا الموقف الجديد تبلور في يوم حاسم من تاريخ مصر، هو يوم ٧ نوفمبر ١٩٧٣ عندما التقى انور السادات بهنري كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة الامريكية في هذا الوقت. في هذا اليوم ظهر للوجود مشروع النقاط الست، وهي نفس النقاط التي اقترحتها جولدا مانير، وبدأ نوع جديد من العلاقات بين مصر واسرائيل، وعلى الاصح بين أنور السادات واسرائيل عبر امريكا، ودخلنا في مرحلة جديدة تماماً من

الصراع في الشرق الاوسط. طبعاً هذا التطور لم يأت فجأة ولكن بالقطع كانت هناك اتصالات وتطوير لعلاقات خفية نشأت من قبل وتحددت في هذا اليوم بصورة مباشرة، واستطيع القول ان عملية الصلح المنفرد بدأت باتفاق فك الارتباط الاول.

منذ هذا اليوم أصبح لي موقف محدد مما يجري. . وبدأت كتابة مقالات أكثر حدة ووضوحاً. شرحت ما جرى بيني وبين كيسنجر وتكلمت عن اسلوب التفاوض الاسرائيلي وأنا اقصد اسلوب التفاوض المصري. .

وعندما تم اتفاق فك الارتباط الاول اعتبرته بداية لصلح منفرد مع اسرائيل سوف تكون له آثار سلبية اجتماعية واقتصادية وسياسية وفكرية على مصر وسيؤثر على مستقبلها في الفترة القادمة، وسيؤدي لعزلها عن العالم العربي. وكتبت ما اعتقد وخرجت من الاهرام بسبب هذه القضية.

إذن فقد خرجت من الاهرام نتيجة لموقف ودفاعاً عن قضية. وأن تكون صاحب مٌوقف وقضية فلا يعقل أن تلزم الصمت وإنما واجبك بعد أن تركت موقعك أن تقول قدر المستطاع ما حدث بالضبط.

من هنا بدأت أكتب في هذا الموضوع وأتكلم فيه من هنا من القاهرة. وكان هذا قراراً سياسياً ان أبقى في مصر وأتكلم من مصر، لأكثر من سبب. .

ـ فعندما تتكلم عن سياسة الحكومة المصرية ومواقفها وأنت خارج مصر في أمان كامل لا يكون لكلامك نفس المصداقية التي يكتسبها وانت داخل مصر تحت سلطة الدولة المصرية وخاضع لسلطة القانون المصري، فما تقوله وأنت في مصر لا بد أن تكون قادراً على اثباته قادراً على الدفاع عنه مستعداً للذهاب إلى السجن بسببه، قابلاً حتى أن تموت في سبيله. . ولم يكن أمام الرئيس السادات خيار، فإن أن يعتقلني أو يكذب ما أقوله. في اعتقادي كان صعباً عليه تكذيب ما أقول، وأيضاً كان صعباً عليه اعتقالي، لان الاعتقال في حد ذاته يؤكد ما أقول ويكشف أشياء اضافية. .

ـ السبب الثاني، اعتقادي بضرورة أن يصدر صوت من القاهرة يخاطب رأياً عاماً عربياً واسعاً، يؤكد أن الارتباط المصري العربي القديم منذ أيام حزب الوفد

وتوقيع ميثاق الجامعة العربية إلى أن تجسد في التجربة الناصرية لا زال قائماً وله صوت يصدر من مصر وإن كان محروماً من الحديث داخل مصر ذاتها. كان ضرورياً أن تصدر اشارات إلى أطراف أخرى في العالم العربي تؤكد أن القوى الوطنية المصرية ما زالت موجودة. وقد تصورت أنني أقدر من يستطيع تأدية هذا الدور. فلقد كنت صديقاً لعبد الناصر وقريباً من التجربة، وأمثل أمام الرأي العام العربي جزءاً ما من تجربة عبد الناصر التي عاشتها الامة العربية وارتبطت بها، وشهادتي في شأنها ممكن أن تكون مصدقة لدى الرأي العام. كذلك فلم يكن في قدرة أحد أن يتهمني بموقف مسبق أو ارتباط بموقف حزبي، فقد عشت طول عمري صحفي اشتغل بالصحافة من موقف ملتزم، ملتزم بما أراه وليس التزاماً مسبقاً برؤية حزبية معينة.

حتى مع عبد الناصر طرحت أشياء لم يكن يوافق عليها.. فعلاً تكلمت عن تحييد أمريكا ولم يكن هو من هذا الرأي ولكن لم يعترض على حقي في إبداء ما أشاء من آراء لأني اتكلم من داخل التجربة ومن موقف وطني حتى وإن اختلفت مع رؤيته.

على هذا الأساس أخترت لنفسي بعد ترك الاهرام دورين متكاملين.. كتبت مجموعة من الكتب (٧ كتب) باللغة الانجليزية، نشرت في العالم وترجمت إلى أكثر من لغة، آخرها كتابي الذي نشر وأنا في السجن عن الثورة الايرانية. دخلت السجن وهو مترجم لسبع عشرة لغة وخرجت من السجن وقد وصلت ترجماته إلى ٣٣ لغة.

هذه المجموعة من الكتب أضعها متجاورة أمام مكتبي لتذكرني دائماً بأنني لم أخسر بتركي الاهرام فقد انجزت كتاباً كل سنة أو كل ١٦ شهراً تقريباً ظهرت في السوق الدولية، ولتكون بمثابة حساب للنفس عما حققت خلال هذه السنوات.. ومع الكتب مئات المقالات في الصحف والمجلات.. وقد استمررت على هذا المنوال حتى دخلت السجن.

بعد أن خرجت من السجن كان هناك جديد، وقد اعلنت بوضوح أنني لست طرفاً في لعبة السياسة المصرية. ولا طرفاً في لعبة الصحافة المصرية. هذا الموقف يمتد تقريباً إلى عام ١٩٧٥، وقد اتخذته في ظل ظروف وسياسات معينة، وأصبح موقفاً ثابتاً بالنسبة لي.

فبعد خلافي مع السادات وخروجي من الاهرام في فبراير ١٩٧٤ تمت مصالحة بيننا في نهاية عام ١٩٧٤، وجلسنا سوياً، وشاركت في محادثات اسوان بينه وبين كيسنجر، وإذا كان لي دور في افشال هذه المحادثات (مارس ٧٥) فأنا سعيد بهذا الدور. .

وخلال هذه الفترة ـ فترة المصالحة ـ كانت لي بعض الآراء وشاركت في بعض المواقف. . مثل فتح قناة السويس، وكتبت للسادات خطبته التي تكلم فيها عن رفضه للقائلين بأن هناك ثورتين. (ثورة يوليو وثورة مايو) وهناك تجربتان وعهدان وأنا الذي أطرح في هذه الخطبة الاشارات الواضحة إلى الفساد وإلى وجود انحرافات وعمولات وسماسرة، وأيضاً ما قاله عن كيفية أن يعيش مواطن مصري بمرتبه في ظل الغلاء الموجود، وانه لا بد أن نجعل الحياة مقبولة بالنسبة للسواد الاعظم في مصر. هذه النقاط الثلاث لم تكن من أفكار السادات ولكن طرحتها عليه وقبلها ووضعتها في خطابه.

هذه الفترة شهدت مناقشات حادة جداً بيني وبين الرئيس السادات لأني كنت أختلف معه، ولكنه كان يتصور أنني أستطيع أن ألعب معه دوراً، وعادت العلاقات بيننا في أكتوبر ٧٤ وطلب مني ان أكون مستشاراً للامن القومي فاعتذرت ورغم تعاوني معه في أشياء كثيرة إلا أن مناقشاتنا كما قلت كانت حادة أذكر عندما قرر تغيير وزارة الدكتور عبد العزيز حجازي وتكليف السيد ممدوح سالم بتأليف الوزارة، أنه طرح علي الفكرة وطالبته قبل أن يغير شخص رئيس الوزارة أن يحدد الهدف أو ماذا يريد. وقلت له إن النظام يحتاج الآن إلى تحديد أي قوى اجتماعية يمثل. كنا جالسين في الهرم وقلت للرئيس:

من غير زعل انت لو سرت بطريقة طبيعية في سلك الجيش وبصورة جيدة، كنت الآن اللواء أنور السادات. . لماذا أصبحت الرئيس أنور السادات؟ . .

الاجابة على هذا السؤال هي النقطة التي لا بد أن تبحث. .

في ٢٣ يوليو عام ٥٢ تغيرت السلطة في مصر، وبعدها غيرت الثورة التركيب الاقتصادي والاجتماعي في مصر. بعد رحيل جمال عبد الناصر اصبحت رئيساً للجمهورية، سلطتك قائمة على ما اسميناه تحالف قوى الشعب العامل. هذه هي القاعدة الاجتماعية لثورة يوليو. بسياسة الانفتاح التي بدأت في العام الماضي (١٩٧٤) اتغيرت القواعد، وعليك أن تسأل نفسك. . هل ما زلت تمثل التحالف القديم. . رأيي أن الأمر لم يعد كذلك، ولا بد من اعادة توصيله من جديد، لا بد من تحديد هويته ومرتكزاته الطبقية. .

نظر إليَّ الرئيس السادات وقال: «محمد. . انت تتكلم عن الصراع الطبقي يا محمد». . وبدأ يكتب في الهواء» أنور السادات. . قرار من رئيس الجمهورية، مادة أولى: يلغى الحقد الطبقي، مادة ثانية: على وزرائنا كل فيما يخصه تنفيذ هذا القرار. امضاء أنور السادات كبير العائلة المصرية». .

كان الأمر يتجاوز حد المعقول. وعندما قابلت ممدوح سالم عرض عليَّ منصب نائب رئيس وزرائه، اعتذرت طبعاً بعدها قال لي الرئيس السادات إذا لم تعجبك كل هذه المناصب ارجع الصحافة بس تلتزم، اعتذرت أيضاً كان فك الارتباط الثاني في أسوان قد فشل، وكنت أرى في الافق أنه يتجه رغم ذلك إلى فك ارتباط ثان، إلى تأكيد الصلح المنفرد. منذ ذلك الوقت قررت الاعتذار من أي منصب، فموقفي منذ عام ١٩٧٥ في إطار ما هو قائم لست طرفاً في لعبة الصحافة المصرية ولا لعبة السياسة المصرية.

أعود إلى ما بعد خروجي من السجن في نوفمبر ٨١ أي منذ عام كامل. أعلنت أنني طرف مراقب، ولكنني لست طرفاً محايداً فلم أكن أبداً محايداً ولن أكون. ولكن لم أكتب لا في العالم العربي ولا في مصر.

بالنسبة للعالم العربي، لم تعد الاوضاع أفضل كثيراً من أوضاع مصر التي كنت أكتب وأتكلم عنها منذ عام ١٩٧٤. في الماضي كانت أمامنا جميعاً قضية محددة هي كامب ديفيد، وضرورة الدفاع عن ارتباط مصر العربي. .

الآن وبعد كل ما جرى أعتقد أن هناك أكثر من كامب ديفيد جديدة في العالم

العربي كله، ومن غير المعقول أن يقتصر حديثنا علـى كامـب ديفيد الاولـى أي المصرية. وإذا كنا نقول أن وقائع الفساد في مصر تمثل مليون «ووترجيت»، فأنا أقول أن بعض ما حدث في العالم العربي في السنوات العشر الأخيرة وبعيداً عما جري في مصر يمثل بدوره مليون كامب ديفيد أو على الأقل عشرة أو اثنتي عشرة كامب ديفيد. ولن يسمح لي أحد في العالم العربي أن أتكلم إلا عن كامب ديفيد المصرية.. وهو أمر غير مقبول.. بالنسبة لي على الأقل.. باختصار أوضاع العالم العربي في الوقت الحاضر لا تسمح بالكتابة في قضايا المنطقة.

وفي مصر التزمت بنفس الموقف القديم أنا خارج لعبـة الصحافـة المصـرية وخارج لعبة السياسة المصرية.

الآن بعد مضي عام.. قضيته أتابع وأراقب ما يجري وأعمل في كتبي.. لو فكرت في الكتابة في مصر.. فأين أكتب؟!

بصراحة لست على استعداد للكتابة فيما يسمى بالجرائد القومية ولا أظن أن هذه الجرائد مستعدة أن تنشر لي..

أما صحف المعارضة.. فكل جريدة تمثل موقفاً معيناً قد لا أوافق عليه كله، ثم أن أي مساحة في صحيفة حزبية من حق أصحاب هذا الحزب.

أنا أكتب عادة مقالاً صفحة أو صفحتين،لوكتبت عندكم في «الأهلي» من حق الحزب أن يحتج على رئيس التحرير أولاً لان اتجاهي لا يكون بالضرورة مطابقاً لاتجاه حزب التجمع، وثانياً لان صفحات الجريدة ملك للذين يعملون في هذا الحزب ويرفعون رايته ومن حقهم أيضاً أن يعبروا عن آرائهم قبل غيرهم من خارج الحزب..

هناك بالطبع بديل ثالث، كنت على استعـداد لاختياره لو كان متاحـاً. وهـو الحصول على ترخيص باصدار صحيفة من موقع مستقل. لو كان هذا ممكناً لم أتردد خلال ستة أشهر فقط في أن أصدر صحيفة جديدة في مصر.

إنني أشعر بالحزن لأن القارىء المصري لا يعرف ما يجري حوله في العالم، أو ما يجري حتى في بلده بعد أن يصبح الأمر تاريخاً ماضياً.

تسألني بعد ذلك لماذا لا تكتب . .

أقول لك هذه الاوضاع في العالم العربـي . . وهـذه هي ظروف الكتابـة في مصر . . وبالتالي اخترت الصمت. وعندما طرحت علي فكرة هذا الحوار وجدتها صيغة معتدلة، دون أن تكون اقتحاماً لصفحات «الأهالي». وفـي نفس الوقـت تكسر صمتاً طال لمدة عام.

● منذ حادث المنصة في ٦ أكتوبر ١٩٨١ طرحت قضية التغيير طرحتها قوى وأحزاب وشخصيات سياسية وطرحها رجل الشارع الذي علق كثيراً من آماله واسلامه على الرئيس حسني مبارك . .

وعادت هذه القضية بعد ما يزيد على عام من ممارسة الـرئيس مبـارك للسلطة والحقائق المرة التي كشفت عن فترة الحكم السابقة . . عادت قضية التغيير تلح على وجدان المواطن المصري . . الذي أصبح مقتنعاً بضرورة اجراء تغييرات جذرية في السياسات التي أفرزت الازمة الشاملة التي يعاني منها المجتمع ومن ابرز مظاهرها الفساد . .

في تقديرك ما هي أبعاد التغيير المطلوب الآن؟ . . وما هو دور مؤسسة الرئاسة والـرئيس حسنـي مبـارك في انجـاز هذا التغيير؟ . . ودور القـوى السياسية المعارضة؟

● لا يستطيع أحد الزعم بأنه لا يوجد جديد في مصر، وأيضاً خارج مصر. وأنا أرى أن هناك ارتباطاً عضوياً بين ما اسميته أنـا خريف الغضـب وكانـت قمتـه حادث المنصة في ٦ أكتوبر ١٩٨١ وشتاء القلق في ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ والذي اسميته انفجاراً شعبياً وقال عنها الرئيس السادات. انتفاضة الحرامية . . فهذه مرحلة كاملة متميزة متصلة.

لقد قدم الشعب المصري كل ما يستطيع وأكثر لقضية تحرير الارض، وبذل مجهوداً فوق القدرة الانسانية ليحدث أثره في ميدان القتال. أجيال متتالية من شبابه قضت سنوات وسنوات في الخنادق وفي تصورهم أنهم يدفعون خطراً عن أرضهم

لكي يحدث بعد ذلك شيء كبير في حياة الوطن وحياتهم. وبعيداً عن أي تفاصيل حقق الشباب والسلاح المصري حدثاً عاماً على المستوى الاستراتيجي.. ولكن السياسة المصرية لم تكتف باضاعة هذا النصر وقيمته الاستراتيجية على مستوى القتال.. بل أضاعته أيضاً على المستوى السياسي ومن ثم كانت له آثاره الاقتصادية والاجتماعية وابرزها تطبيقات الانفتاح.

وفي اعتقادي أن الانفجار الشعبي في ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ كان رد الذين كانوا على جسور العبور في القناة على سياسة الانفتاح أكتشفوا أن كل غنائم العبور قد سلبت منهم وذهبت إلى آخرين.. فكان انفجارهم في القاهرة.

بعد شتاء القلق في ١٩٧٧.. ماذا حدث؟! بدأت قصة الاستفتاء ولأول مرة في تاريخ مصر يستفتي الناس على قانون يعاقب في ست مواد منه بالاشغال الشاقة المؤبدة. وفي نفس العام ١٩٧٧ وبناء على بلاغ اسرائيلي (!!) بأن هناك من يتآمر عليه في ليبيا، يقرر الرئيس السادات توجيه ضربة تأديبية لليبيا بالطيران! هناك بالطبع الكثير مما يمكن انتقاده من تصرفات الرئيس القذافي وقد يكون هناك تآمر، ولكن أن يبلغ الرئيس بهذه المؤامرة عن طريق الاسرائيليين فيقرر توجيه ضربة تأديبية تصيب جيش ليبيا العربي فهذا ليس رداً على القذافي.

تمت أيضاً في نفس العام اتصالات مع اسرائيل. لم تكن المبادرة في نوفمبر ٧٧ مفاجأة.. كانت هناك اتصالات سابقة ومباشرة اقربها لقاء التهامي في سبتمبر. وفي اعتقادي ـ كما سبق أن قلت ـ إن المبادرة قضية بدأت من نوفمبر ١٩٧٣ وسارت خطوة خطوة كانت لا بد أن تؤدي إلى الصلح المنفرد. لان اخراج هذا الصلح المنفرد تم في شكل درامي في نهاية ٧٧ فهذا لا يغير من الأمر شيئاً. بعد ٧٧ بدأت قصة الاستفتاءات على قانون حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعي، وتحقيقات المدعي الاشتراكي معي ومع آخرين، وتوالت القوانين والاعتقالات في ٧٨، ٧٩ وبدأت عام ٧٩ قصة التيارات الدينية حتى وصلنا إلى سبتمبر ٨١ وأكتوبر ٨١.. فترة كاملة واضحة المعالم لم تتوقف فيها الحوادث من يناير ٧٧ إلى أكتوبر ٨١ إذن فقد حدث شيء هام في مصر لا يستطيع أحد بعد كل هذا أن يقول إن الامور يمكن أن تسير كما هي ولسنا في حاجة إلى جديد..

قضية التغيير مطروحة بقوة ليس من جانبي ولا من الاحزاب السياسية ولكن نتيجة حتمية للواقع المصري بتفاعلاته التي حدثت من يناير ١٩٧٧ حتى أكتوبر ١٩٨١.

خمس سنوات كلها قلق وتمزق وتفاعلات.. وحديث عن الفتنة الطائفية والحقد الطبقي. أصبح التغيير ضرورة.. فالتغيرات السياسية القائمة لم تعد ممثلة اطلاقاً للحركة الاجتماعية أصبح هناك تناقض بين الاثنين. حركة المجتمع الاقتصادية والاجتماعية والفكرية في ناحية. والقوى السياسية في ناحية أخرى.

هل معنى ذلك أن هناك تغييراً قد حدث بالفعل؟.. اقول لا لم يحدث الضروري والحتمي الذي يتلاءم مع الواقع الاجتماعي في مصر..

التغيير حدث في ناحيتين فقط.. الاسلوب والمناخ..

هناك الآن حاكم يتصرف كما يتصرف البشر وليس كما يتصرف الآلهة، لم يعد هناك حاكم يمسك في يده بمفتاح الحياة ويتمثل الصور الجانبيه لرمسيس الثاني.. الخ.. هذا الاختلاف في شخص الحاكم أدى إلى تغيير في اسلوب ممارسة الاشياء.. وهذا شيء هام جداً..

نتيجة لتغيير الاسلوب حدث التغيير الثاني الهام وهو تغيير المناخ العام في مصر.

الرئيس بدوره المتميز في المجتمع المصري، أصبح ـ على الاقل في هذا الوقت ـ خارج عملية الصراع الحالية..

ما عدا ذلك لا يوجد تغيير في مصر. فأنا وانت والناس عندما نتكلم عن التغيير، نقصد التغيير المخطط. وهذا لم يحدث بعد.

ولكن لا يجوز أن ننسى ان تغيير الأسلوب والمناخ فتح الطريق أمام متغيرات لا يملك أحد تجاهلها، وهي جزء من حركة وحيوية وديناميكية عملية التغيير عندما يحين وقتها.

مثلاً قضية الفساد استطيع القول إنه لم تكن هناك خطة مسبقة لمواجهة قضية الفساد. ولكن كانت هناك ومنذ أيام السادات قضية رشاد عثمان، أعدت وقدمت من المدعي الاشتراكي في اطار معين أما الذين اعدوها وقدموها لم يكن في نيتهم فتح ملف الفساد. ونسوا أنك تستطيع السيطرة والتحكم في حدث معين قبل أن يخرج إلى النور، ولكن بمجرد أن ينتقل الموضوع إلى الخارج، إلى قاعات المحاكم مثلاً تصبح له حركته المستقلة والذاتية التي لا ترتبط بارادات الذين اعدوه. وهذا ما حدث في قضية رشاد عثمان، ثم بصورة أكبر في قضية عصمت السادات واعتقد أنه عندما قدمت قضية عصمت السادات لم يكن أحد يتصور أن تأخذ هذا البعد في المجتمع المصري أو أن هناك من خططلها لكي تكتسب هذه الابعاد الواسعة. ولكن طبيعة المناخ السائد أحدثت هذا القدر الهائل من رد الفعل وستحدث أكثر منه. وهكذا طرحت عملية مواجهة الفساد وبدورها خلقت مناخاً جديداً . . ودفعت قوى لالتزام الدفاع وأخرى للمبادرة بالهجوم. هذا متغير جديد وليس تغييراً، أنا ألحُّ على هذه النقطة لأنه من المفيد جداً أن نفرق بين اشياء متغيرة بحكم أوضاع لا إرادة لاحد في تخطيطها، وبين ما نطالب به، وهو التغيير المنظم.

ومن الممكن وفي ظل ظروف معينة أن تلعب المتغيرات دوراً معجلاً للتغيير المنظم، وأحياناً تكون اقوى منه، إذا عجز التغيير المنظم عن اللحاق بحركة المجتمع. . وهذا تماماً ما حدث في قضية الفساد.

الفساد ليس مجرد مجموعة من وقائع الانحراف هنا أو هناك. وليس بعملية بوليسية، ولكنه صراع اجتماعي بين قوى مختلفة. جزء من هذه القوى مثلاً والذي كان على الهامش سارع بالهرب. السوق متخم بكثيرين ممن سحبوا قروضاً بالملايين من البنوك طبقاً لسياسة «الانفتاح» وبمجرد أن أحسوا بالمناخ الجديد. وليس التغيير واحتمال أن يتيح هذا المناخ للحركة الذاتية للمجتمع أن تطور إلى مداها، أسرعوا بالهرب للخارج، وتوفيق عبد الحي ليس إلا واحداً من عشرات من أمثاله. . إن ما يخيفهم أن تعميق المواجهة للفساد سيؤدي إلى كشف الضعف والتآكل من نظام الانفتاح ذاته.

القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة الاساسية في هذه السياسة وتعبيراتها

السياسية والصحفية تجمعت وتكاتفت للدفاع عن مصالحها. قيمة هذه الاحداث أنها نبهت غالبية الرأي العام في البلد، ودفعت القوى الاجتماعية والسياسية المتصارعة إلى تحديد مواقعها، وكشفت المساحة الواسعة بين التعبيرات السياسية الموجودة من أحزاب وصحف ومؤسسات دستورية وبين الحقائق الاجتماعية والاقتصادية. وهذا بدوره يطرح قضية التغيير بالحاح أكثر من أي وقت مضى.

في هذه الظروف لا تملك إلا أن تتعاطف مع موقف الرئيس حسني مبارك. فدون هذا التغيير المنظم المطلوب مصاعب وأهوال جسيمة.

الوضع الاقتصادي على سبيل المثال مفزع. ميزانية الدولة هذا العام تعاني من عجز ٤,٥ مليون جنيه (٤٥٠٠ مليون جنيه) وهناك عجز في ميزان المدفوعات ٢,٥ مليون دولار (٢٥٠٠ مليون دولار).

الوضع الاجتماعي لا يقل سوءاً وخطورة على سبيل المثال، البنك الدولي في تقرير أخير له، أُشير إليه أثناء انعقاد المؤتمر الاقتصادي يقول إن ٥٠٪ من الدخل في العاصمة يذهب إلى ٥٪ فقط من سكانها وأن ٩٥٪ من سكان العاصمة يعيشون على ٥٠٪ فقط من الدخل.. وفي مجلس الشعب يقول أحد الاعضاء إن في مصر الآن ١٧ الف مليونير. ويقال إن رشاد عثمان - وأنا لا أعرفه - كون ثروة من ٣٠٠ مليون جنيه في سبع أو عشر سنوات.. وعصمت السادات.. وغيرهما من النماذج والظواهر غير الطبيعية التي نعرفها جميعاً..

الوضع الدولي.. وبصرف النظر عن آرائنا.. حكومة مصر أخذت موقفاً دولياً معيناً في السنوات الأخيرة، قطعت علاقتها بالاتحاد السوفيتي تقريباً أو جمدتها، ودخلت في نطاق شيء أكبر، واضح أنه الاستراتيجية الامريكية. ثم وقعت صلحاً منفرداً مع اسرائيل له أحكامه وقيوده. قبل توقيع هذا الصلح كان أمامها خيارات عديدة، ولكن لمجرد أن وقعت معاهدة الصلح، أصبح أمراً واقعاً مقيداً للحكومة المصرية.

وعلى حسني مبارك أن يواجه كل هذه القضايا ولا بد أن ندرك ونحن نطالبه بالتغيير بطبيعة ما يواجهه. وعلينا أن نتنبه أنه بمجرد أن سمح بالتغيير في المناخ

وحدث هذا التغيير في المزاج العام بدأت متغيرات تحدث ولو من غير تخطيط، كما سبق أن قلت من اثارت على الرئيس مبارك قوى غريبة. . ومن حقي ان أشعر بالدهشة وأنا أرى المعارضة لحسني مبارك تأتي تقريباً من داخل مؤسسات النظام بينما يأتيه التأييد من قوى خارج هذه المؤسسات.

إذن تناول قضية التغيير أمر ليس سهلاً ولكنها في الوقت أمر ضروري. وعليك أن تقرر كيف تتناولها. .

تقودنا مشكلة التغيير إلى موضوع آخر ولكنه مرتبط بها، ومطروح ضمن أسئلتك واعتقد أن توضيحه أمر ضروري وهي طبيعة المرحلة التي نمر بها، فأنا أعتقد أن مصر والعالم العربي كله تواجه مرحلة جديدة مختلفة تماماً عما سبقها.

لقد قلت منذ سنوات إن مرحلة «الثورة» تراجعت وفتحت الطريق أمام مرحلة جديدة هي مرحلة «الثروة» وكتبت قائلاً إننا نعيش الحقبة السعودية حقبة الثروة النفطية.

علينا أن نعترف أن الثورة في مصر توقفت حركتها بشكل أو بآخر في أعقاب هزيمة ١٩٦٧ صحيح أنها حافظت على مواقعها وظلت من وقت إلى آخر تبدي اشارات تعمق التزامها بالثورة، فهل قرار عبد الناصر بالاصلاح الزراعي الثاني، وانجاز مجمع الحديد والصلب والسد العالي بعد ٦٧ والمحافظة على مستوى الاسعار في ظروف الحرب حتى عام ١٩٧٠ ولكن الثورة توقفت حركتها في عام ٦٧ وكان توقف حركة الثورة مع محافظتها على مواقعها أمراً مقبولاً. . بعد ذلك بدأت تراجعات كثيرة. على ضوء هذه التراجعات ما هي القوى الموجودة في العالم العربي القادرة على التأثير في غياب الثورة؟!. . من الطبيعي أن يكون البترول، كوقود ومورد، كطاقة وأرصده. . تكلمت عن قدرة هذه الموارد على ممارسة الضغط على أمريكا. وعندما وقعت حكومة مصر اتفاقية فك الارتباط الأولى عام ١٩٧٣ وبدأت الخروج من الساحة بما يعنيه ذلك من عدم قدرة الجبهات العسكرية الأخرى على الضغط ولم يعد أمامنا إلا استخدام الموارد القادرة على الضغط على أمريكا لكي تضغط بدورها على اسرائيل.

في هذا المناخ قلت. . الثورة تراجعت. . والثروة تقدمت، وأننا دخلنا الحقبة السعودية. . وكان هذا صحيحاً. ولكن أعتقد أن الحقبة السعودية أيضاً انتهت. . انتهت في بيروت، تصورنا أن الحقبة السعودية قادرة على ممارسة الضغط على أمريكا لكن ثبت أمامنا أن أمريكا كانت هي القادرة على أن تؤثر على النفط وعلى المال، بحيث أن أقصى إنجاز للحقبة السعودية، كان إخراج المقاومة الفلسطينية من بيروت، واعتبرنا ذلك انتصاراً عظيماً.

هنا بدا واضحاً أن المصلحة الاجتماعية للأسف الشديد ـ غلبت المصلحة الوطنية والقومية في هذه المرحلة وأن الطبقات السائدة كلها آثرت حماية مصالحها في النهاية وتخلت عن كل ما عداها وبالتالي سقطت الحقبة السعودية في بيروت. ما كنا نراه في السابق، ظهور حقبة جديدة نسميها مع الأسف الشديد «الحقبة الاسرائيلية». . فوق امبراطورية عربية قادرة على فرض ارادتها على شتات ممزقة تحيط بها ولا يوجد من يستطيع مجابهتها. اكتشفت كل الانظمة العربية أن ما بينها وبين القوة الاسرائيلية هو فقط تلك المساحة التي تستطيع الولايات المتحدة الامريكية أن تتحرك فيها لحمايتهم منها.

إذن نحن أمام مرحلة جديدة تماماً، لقد مر العالم العربي بمراحل مختلفة. النظام العثماني كان آخر نظام جمع المنطقة كلها في نظام واحد. بعد أن انتهى النظام العثماني في الحرب العالمية الاولى وانتهت الخلافة، بدأت المنطقة تدخل في مراحل مختلفة.

المرحلة الاستعمارية لم تحقق نجاحاً. تلتها الحقبة الوطنية الليبرالية ولم تصل إلى النجاح. ثم بدأت حقبة الحركة القومية العربية الثورية، ووجهت بمنتهى القسوة. وتوقفت في عام ١٩٦٧ ثم تراجعت بالكامل بداية من عام ١٩٧٤ وصولاً إلى كامب ديفيد. وجاءت الحقبة السعودية التي انتهت في بيروت وها نحن ندخل الحقبة الاسرائيلية مع الاسف الشديد.

أمام هذه الاوضاع فنحن في حاجة إلى نظرة مختلفة للامور وجديدة تماماً.

انتقل الآن إلى مسئولية مؤسسة الرئاسة ومسئولية القوى السياسية الأخرى من هذه الظروف كما تطرح في سؤالك ؟

لقد قلت دائماً إن العالم الثالث يمر بمرحلة انتقال وما زلت أقول ذلك ومن حقي أن أسأل هل هي محض صدفة أنه لا يوجد في العالم الثالث كله من أول «دكا» في بنجلاديش إلى (الدار البيضاء) في المغرب إلا الحاكم الفرد مهما كان اسم النظام القائم ملكي أو جمهوري تقدمي أو اشتراكي أو رجعي لا يمكن أن يكون الأمر مجرد مصادفة. إنها مرحلة انتقال المجتمعات أتت جميعاً من المرحلة الاقطاعية القبلية القائمة على الشرعية التقليدية، تحاول الوصول للشرعية الدستورية القانونية. تلك الشرعية التي تقوم في مجتمع اكتمل فيه نمو الطبقات واستطاعت هذه الطبقات أن تجد التعبيرات السياسية الملائمة لمصالحها، وأن تدير صراعها الاجتماعي بالحوار وليس بالحرب الأهلية، كل أوربا الغربية بنماذجها الديمقراطية مرت بمرحلة الرجل الواحد والصراعات الاجتماعية المفتوحة إلى أن وصلت إلى قدر من التجانس يسمح بالحوار.

نحن الآن في مرحلة انتقال تتميز بسيولة في التركيبات الطبقية والاجتماعية، وارتباك في قدرة هذه الطبقات في التعبير عن نفسها ومصالحها، ومن ثم يلعب المثقفون دوراً أكبر في التعبير عن هذه الطبقات أكثر مما تعبر هذه الطبقات عن نفسها، ففيما عدا ملاك الاراضي أو المستفيدين من التعامل مع سوق المال العالمي، الطبقات كلها في مرحلة تكوين تفتقد التعبير السياسي عنها وعن مصالحها، حتى الطبقة العاملة والفلاحين، يتولى المثقفون الحديث باسمها، المثقفون لا يمثلون العمال أو الفلاحين، ولكن يتكلمون عنها نتيجة لالتزام فكري، ولكن لا بد أن تفرز هذه الطبقات في المستقبل قيادات من داخلها.

على أية حال في الاوضاع الحالية، حيث الشرعية هي شرعية البيروقراطية لا بد أن نجد التركيب هرمياً لأن هذا هو طبيعة البناء البيروقراطي. تركيب هرمي على رأسه فرد واحد. هو في الغالب قائد عام أصبح قائداً أعلى ربما باستثناء الهند لسبب طبيعتها التعددية.

مصر كان ممكن أن تكون استثناء، وهي في اعتقادي مشروع استثناء، ولا يجب أن ننسى أن الدولة القومية في أوربا احتاجت ٤٠٠ عام ليكتمل تكوينها.

تاريخ الدولة المصرية الحديثة يبدأ من عصر محمد علي، وتاريخ الحركة

الشعبية المصرية يبدأ بالثورة العرابية وما سبقها من ارهاصات. . وبالنسبة لمصر هناك قضيتان اساسيتان.

أولاً. . موقعها الجغرافي الذي فتحها على العالم كله، وجعل من المستحيل أن تغلق عن العالم بقرار من أي سلطة أو حاكم. .

ثانياً. . قيمة مصر التاريخية أو التي تكتسبها باستمرار بمقدار تأثيرها فيمن حولها، كذلك فإن شعب مصر سبق غيره في التقدم والنمو، ولديه حصانة ضد العنف. والتجربة الأخيرة لم تستمر أكثر من ثلاثة أشهر ثم انتهت. . ومع ذلك فمن الخطأ القول إن مصر ليست من العالم الثالث. الصحيح أن مصر أكثر دول العالم الثالث تهيؤاً للخروج من مرحلة الانتقال. .

إن مجمل الظروف التي تحيط بمصر الآن تجعلها مرشحة للدخول في مجال التعبير السياسي المفتوح.

إن ما نواجهه من مشاكل لا يمكن أن يحله إلا الناس أنفسهم. المشكلة الاقتصادية مثلاً، لوطرحت الدولة كافة تفاصيلها وما تفرضه على الناس من أعباء، لن يقبل الناس. ذلك، ستسأل أولاً من المسئول عن ذلك، وسلطة الدولة معزولة عن الناس لا بد أن تصطدم بهم. لكن لو ترك قدر حقيقي وكاف للناس من الحرية لتتبين بنفسها مشاكلها وتتحمل بنفسها التضحيات المطلوبة، وتحدد بنفسها أهدافها وتدفع التكاليف الضرورية لهذه الاهداف لأمكن تحقيق الكثير.

أيضاً المواجهة مع إسرائيل. لم تعد الحكومة قادرة على مواجهة القيود التي وضعت على حركة مصر نتيجة لاتفاقات كامب ديفيد وما تلاها، دون أن تتعرض لمشاكل كبيرة جداً. ولكن الذي يستطيع المواجهة هو الناس من هنا يبدو موقف الحكومة مثلاً قوياً في خطوات التطبيع أكثر من أي موضوع آخر مثل استدعاء سفير أو إخراج سفير، لأن التطبيع أمر مرتبط مباشرة بالناس.

إذن لا بد أن تنقل القضايا الرئيسية من سلطة الدولة منفردة ليشارك فيها من يستطيع أن يشارك دون أن يكون لقوله لا عواقب ولا تبعات تتحملها الحكومة وحدها.

هناك أيضاً سبب إضافي للتناقض بين الناس وسلطة الدولة. من قبل الثورة، وعلى وجه التحديد منذ الحرب العالمية الثانية وسلطة الدولة تتسع . . حالة الطوارىء لمواجهة ظروف الحرب العالمية الثانية . . ثم سلطات أكبر للدولة بعد الثورة لمواجهة خلع الملك واعلان الجمهورية والاصلاح الزراعي . . وتأميم قناة السويس . . السادات أخذ للدولة سلطات أوسع لمواجهة الحرب، ثم لمواجهة النصر. تجمعت لدى الدولة كل السلطات التي تمكنها من صنع المعجزات. الناس تطالب بحلول لمشاكلها الاقتصادية والاجتماعية ولكنها لا تستطيع لأنها لا تملك السلطة . . إذن حان الوقت لأن تعيد الدولة للناس ما أخذته سلطات، للطوارىء أو لمواجهة القرارات الكبرى والتحولات الضخمة أو لظروف الحرب . . لأننا لا نواجه أياً من هذه الظروف الآن. الناس ترى أن من يملك كل هذه السلطات مطالب بعمل المعجزات، ولكنه لا يستطيع موضوعياً ذلك . . لا يوجد حل لهذا التناقض إلا أن تعود السلطة للناس ليصنعوا هم المعجزات . .

وكما قلت فإن التطور في مصر مختلف وهي قادرة على أن تجرب وتقترب للخروج من العالم الثالث، وأن تقوم بما كان يسميه الدكتور محمود فوزي «المغامرة الخيرة» . . مصر تقدر وأيضاً لا تستطيع أن تتوقف عند ما هي عليه . . فالعوامل التي سببت صدامات ومعارك مرحلة ما بين شتاء الغضب وخريف الغضب (٧٧ ـ ٨١) ما زالت قائمة، وهناك مؤسسات تدافع عن نفسها . . وما لم تستطع عناصر من أنقى عناصر هذا البلد ومن أخلصها أن تتفق على تحليل مشترك ورؤية مشتركة وتتجنب الصدام . . فهناك يصبح الأمر بالغ الخطورة.

● قضية الفساد ومسلسل فضائحه تستحوذ اليوم على اهتمام الرأي العام في مصر وقد أشرت بوضوح فيما سبق لبعض جوانب هذه القضية ومع ذلك تبقى نقطتان أعتقد أنهما تحتاجان إلى المزيد من الايضاح . .

الأول: مفهوم الفساد هل هو ظاهرة انحرافات فردية أم قضية مرتبط باختيارات سياسية وطبقة طفيلية انفتاحية سادت الحكم والمجتمع خلال السنوات الثمانية الأخيرة من حكم السادات؟

الثانية: ترتبط بما ردده البعض من أن دور عصمت السادات وغيره من

اشقاء وأقارب الرئيس السابق أنور السادات في الفساد لا يختلف عن دور بعض اشقاء الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.

كشاهد على العهدين ما هو تفسيرك للظاهرة ورأيك فيما يقال حولها ومعلوماتك حول عصمت السادات خلال العهدين؟

■ حل الفساد نتيجة لسياسات سمحت به. فعندما تفتح الباب بهذه الطريقة أمام أربعين بنكاً أجنبياً أنت أعطيت تصريح لمن يشاء أن يفعل مايشاء. فكيف يتم أي تخطيط في بلد نام إذا لم يكن هناك سيطرة على سوق المال، أمر مستحيل في الدنيا كلها.

وحقيقة أنا لا أجد مثيلها للفترة التي كنا فيها إلا في عصر الخديري اسماعيل. ولعلنا نتذكر الحادثة المشهورة الخاصة بقنصل النمسا الذي أراد أن يخدم أحد رعاياه فرتب أن تلتوي قدم الرجل اثناء نزوله على سلم فندق شبرد. وذهب القنصل للخديوي وطالب الخديوي بتعويض للرجل بدلاً من رفعه قضية تعويض، فأعطاه الخديوي ٢٠ ألف قطعة ذهب حدث مثل هذا في السنوات الأخيرة. دخلت الحكومة في مشروعات ثم تقرر الغاؤها ودفعنا تعويضاً لاصحاب هذه المشروعات!

الفساد كان نتيجة لخيارات اجتماعية، تتناقض مع روح العصر ومع مصالح مصر. هذا هو الاساس والباقي مجرد تفاصيل، سواء كان موضوع رشاد عثمان أو عصمت السادات، وأهمية هذه التفاصيل أنها تكشف عما هو أخطر وأهم. لا يمكن النظر للأمر نظرة بوليسية فأنا أعتبر القضية ظاهرة اجتماعية تمت في ظل مناخ سمح بنموها واستشرائها. .

بالنسبة لعهد عبد الناصر، أوافق كل الموافقة أن تطبق على كل أقارب عبد الناصر ما يطبق على أقارب السادات وعبد الناصر ما يطبق على أقارب السادات. وعبد الناصر مسئول عنهم حتى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ولا يستطيع أحد أن يطلب أكثر من ذلك.

بالنسبة لي أعرف جيداً أوضاع اسرته. عند وفاته كان الاولاد كلهم ما زالوا في

مراحل التعليم المختلفة. «هدى» ابنته الكبرى كانت تعمل معي في الاهرام بمرتب خمسين جنيهاً «حاتم صادق» زوجها كان يعمل أيضاً معي في الاهرام بمرتب ١٣٠ جنيهاً. ابنته «منى» كانت تعمل بدار المعارف بمرتب ٣٧,٥ جنيه، أشرف مروان كان موظفاً في الرئاسة بمرتب ٤٧,٥ جنيهاً. أشقاء عبد الناصر، قيل أن «الليثي» فتح مدرسة خاصة واشترى بيتاً، وقد أغلق عبد الناصر المدرسة له..

مرة أخرى فليحاسب كل فرد في أسرة عبد الناصر بنفس المعايير التي يحاسب بها كل فرد في أسرة السادات، وأن نعتبر عبد الناصر مسئولاً مباشرة عن أي انحرافات يثبت وقوعها قبل وفاته في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠.

لماذا اختار عبد الناصر السادات نائباً له؟ (٢)

في هذه الحلقة يزيح محمد حسنين هيكل الستار عن الصدف التي أدت إلى اختيار السادات نائباً لعبد الناصر، والصدف التي أبقته في هذا المنصب حتى وفاة جمال عبد الناصر، وعن القصة الحقيقية لقبول عبد الناصر مبادرة روجرز قبل أن يصل إلى موسكو. . وعن الصراع الدائر في مصر حول الفساد، وموقفه من التعدد الحزبي والأحزاب القائمة. . وعن أخطر القرارات التي اتخذها السوفيت لمساندة مصر. . وعن وجهة نظره فيما جرى في ١٣ مايو ١٩٧١. .

وكان في الحلقة الأولى من هذا الحوار الطويل بين محمد حسنين هيكل ورئيس التحرير، أزاح هيكل الستار عن أسباب خلافه مع السادات وموقفه من الصلح المنفرد مع اسرائيل، وتناول جوانب من قضية الفساد، وطرح ضرورة التغيير، والموقف العربي وتراجع الثورة والثروة وبدر ما أسماه بالحقبة الاسرائيلية. . وغيرها من القضايا والأسرار الهامة.

• جريدة الأهالي ـ ٨/ ١٢/ ١٩٨٢

● اتخذ الرئيس مبارك في الفترة الأخيرة. . خاصة بعد الغزو الاسرائيلي للبنان، بعض مواقف انعكست بدرجة أو أخرى على علاقات الحكومة المصرية باسرائيل. . تلك العلاقات التي نشأت وتعمقت نتيجة لاتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح بين حكومة السادات واسرائيل. .

وأعيد الحديث عن ضرورة انتهاج سياسة متوازنة بين القوتين الأعظم. . وأعطى التفات واضح لمحاربة الفساد، وقضية التنمية.

وكان لكل ذلك انعكاس واضح على بعض الدوائر الأمريكية التي تتحدث بقلق ملحوظ عن الأوضاع في مصر!

إلى أي مدى يمكن لسياسة مصرية. . ملتزمة بمصالح مصر العربية وتوجهها المستقل أن تنعكس على العلاقات الخاصة بين الحكومة المصرية وأمريكا؟!

■ موقف الرئيس مبارك خلال أحداث لبنان. نقطة لصالحه. فمصر خلافاً لأطراف أخرى لم تعد بما لا تستطيع أن تفي به. . بالطبع. طموحي وآخرين كان يمتد إلى أبعد مما قامت به مصر. ولكنني أشهد أنه في هذا الموقف الصعب الذي واجهته المقاومة الفلسطينية. لم تعد مصر بأكثر مما تنوي الوفاء به، ولم تكذب لا على الآخرين ولا على نفسها. أستطيع وأنا جالس هنا في مكتبي أن أقول إن كانت هناك ممكنات أخرى ولكن الأمر يختلف بالنسبة لمن يصدر القرار. والحقيقة أن ظروف الرئيس مبارك صعبة للغاية، ربما لهذا السبب فإن موقفي معه يختلف عن موقفي في عهد عبد الناصر وعهد السادات. . مع عبد الناصر كان هناك حوار دائم معه. . مع السادات اختلفنا وتركت الأهرام، وقلت رأيي بوضوح في الصحافة العربية

والعالمية . . أما بالنسبة لمبارك فقلت دائماً لا بد من إعطائه وقتاً كافياً . .

على سبيل المثال أنا لم أوافق على دعوة حزب العمل لتغيير وزارة فؤاد محيي الدين. فالقضية ليست قضية فرد ولكنها أكبر من ذلك بكثير والمنطقي بالنسبة لرئيس الجمهورية حتى يعطي نفسه الوقت الكافي والضروري لفهم الصورة. أن يثبت الوضع القائم، أن يعين نائب رئيس الوزراء الموجود رئيساً للوزارة إلى أن يحدد ما يريد بالضبط . .

كذلك لم أوافق على حملة حزب التجمع ضد حملة العمل بقانون الطوارىء واعتذرت عن الكتابة في حملة الأهالي (كفاية ٤٠ سنة طوارىء) . . كان رأيي أن هذا تفصيل ـ رغم أهميته ـ فمجموعة القوانين الاستثنائية التي تحكم بها أشد قسوة وتقييداً للحريات من قانون الطوارىء . .

ووجهة نظري أن مواجهة أي قضية يبدأ بأن تحدد بوضوح هدفاً، وأن يكون هذا الهدف يقع في نطاق قدراتك ثم تختار وسائل تحقيقه . . وأن تكون هناك مراجعة مستمرة للأداء . . تحديد الهدف مرتبط ارتباطاً كاملاً بتشخيص دقيق لحقائق الوضع .

والموضوع الأساسي من وجهة نظري، هو تحديد الخيارات الأساسية التي يمكن الأخذ بها لإخراج هذا البلد ومن ثم المنطقة كلها من حالة «العجز» التي هي عليها الآن .

إن ما نراه في المنطقة أمر مفزع، نحن في مرحلة انتقال، بين حقبة سيئة، وحقبة جديدة لا بد أن تبدأ، ولا يمكن أن يكون هناك جديد في المنطقة إلا إذا انطلق من مصر . وهذا درس التاريخ، والجغرافيا، و. . و. .

إذن القضية تتجاوز التفاصيل، تتجاوز قانون الطوارىء وشخص رئيس الوزراء وغير ذلك من الجزئيات، بشرط أن نكون مطمئنين إلى أن هناك توجهات حقيقية وصحيحة لتوصيف ما حدث . . وفي حدود ما أرى، هناك جهود لا بأس بها في هذا الطريق. وإن كان الأمر في رأيي يقتضي ما هو أكثر من مجرد توجيهات. الأمر الآن يقتضي مواجهة للمشاكل والقضايا . .

على سبيل المثال . . المؤتمر الاقتصادي . . صحيح لم يصل الى نتائج محددة ، ولكنه على الأقل بدد «بالونة» كاذبة كانت تحلق في سماء مصر اسمها «الرخاء» وأعطى لمحات من الحقيقة أو قريبة من الحقيقة .

هناك لمحات أخرى تقربنا من الحقيقة ، مثل قضية الفساد التي ظهرت وفرضت نفسها على الواقع . والمعركة الدائرة حول هذه القضية تذكرني بقضية طريفة . . النبيل عباس حليم أحد أفراد أسرة محمد علي ، كان شخصية غريبة . . نبيل من الأسرة الحاكمة ، وضابط سابق في الجيش الألماني ، وأحد الذين لعبوا دوراً في النقابات العمالية قبل الثورة ، ثم أفرج عنه . في يناير ٥٣ اعتقل عدد من السياسيين وكان من بينهم ثم أفرج عنه . وتكرر الموقف عام ١٩٥٤ . عباس حليم زارني في مكتبي وقال لي . . «قول لصاحبك (امسك رأسك) أي يحزم أمره . . يا يمسك . . يا يسيب» . .

باختصار لا بد من أن تحزم الدولة أمرها في مواجهة قضية الفساد . . وأنا أتصور أن هناك جدلاً بين مؤسسة نظيفة في الدولة تريد لقضية الفساد أن تأخذ حجمها الطبيعي ، ومؤسسة أخرى غارقة لأذنيها في الفساد . تقاوم كشف الفساد بحجج مختلفة أو تملأ الدنيا صراخاً حول الآثار الاقتصادية واهتزاز السوق . . إذن هناك شد وجذب . . ولكن لا بد من مواجهة حاسمة ونهائية لهذه المسألة . .

نعود الى موقف مصر من العدوان الاسرائيلي على لبنان وقضية كامب ديفيد . بصراحة اعتقد أن هناك ما هو أكثر خطراً من كامب ديفيد . وكل من درس القانون يعرف أن أي معاهدة تتعلق قيمتها بموازين القوى التي أفرزتها ، وأي تغييرات في موازين القوى هذه تجعل المعاهدة لا قيمة لها . .

الخطر الأساسي والأكثر أهمية ما سمعت به خلال السنوات الأخيرة من خلل في الموازين العسكرية في المنطقة منح لاسرائيل تفوقاً عسكرياً غير مسبوق . بعد اتفاقيات كامب ديفيد أعلن أنور السادات أن حرب أكتوبر هي آخر الحروب . ولم تقل إسرائيل ذلك أبداً .

قضية التوازن العسكري ليست قضية في الحرب فقطولكنها قضية أيضاً في السلام. . فلا يوجد موقف تفاوضي لا يأخذ في اعتباره موازين القوى. . ومعاهدة كامب ديفيد كانت نتيجة طبيعية لتخلي المفاوِض المصري عن جميع «الخيارات» الأخرى. في أي مفاوضات تحدد لنفسك حداً أقصى وحداً أدنى، الطرف الآخر لا يقبل حدك الأقصى، ولكنه يعلم أنك لن تتنازل عن حدك الأدنى. وقوتك في النهاية ـ وحتى دون أن تقول ذلك ـ أن خصمك يعلم أنه ما لم تحصل على الحد الأدنى المشروع من مطالبك، فسوف تلجأ الى وسائل «خيارات» أخرى لتحقيق أهدافك المشروعة. ولأنها مشروعة فالمفاوض والشعب الذي يمثله على استعداد لأن يدفع ما لا يستطيع الخصم أن يتحمله من خسائر. وما لم تكن قادراً على ذلك، فلو استمرت المفاوضات ٢٠٠٠ سنة أو أكثر فلن تستطيع الحصول على شيء.

ما هو أخطر من كامب ديفيد ـ كما قلت ـ هو اختلال موازين القوة العسكرية بعد عام ٧٣. . باستمرار كان هناك تفوق عسكري إسرائيلي، ولكننا كنا قادرين على تحقيق موازين استراتيجية معينة لمواجهة التفوق الاسرائيلي. . على سبيل المثال في حرب ٧٣ حاربنا على أكثر من جبهة ليوزع العدو قواته. . طورنا وسائل الدفاع الجديدة لكي نجعل منها قوة هجومية، بمعنى أن إدخال الصواريخ كعنصر أساسي في دفاعاتنا شل فاعلية تفوق الطيران الاسرائيلي، وكذلك الصاروخ المضاد للدبابات الذي عوض تفوق عدد الدبابات الاسرائيلية. . شاركت في الحرب إلى جانب مصر وسوريا بقية الدول العربية. . استخدم سلاح البترول. .

إذن رغم التفوق العسكري الاسرائيلي، كانت هناك موازين استراتيجية يمكن أن نخوض بها المعركة . . على أية حال التفوق الاسرائيلي العسكري كان نسبته ١,٣ إلى ١ . أخشى أن الأمر الآن بالغ الخطورة. فإسرائيل متفوقة على من حولها ممن يستطيعون التصدي لها بقوة نيران نسبتها ٥ الى ١ و٢ر٧ إلى ١ ، وهي نسبة لا تستطيع أن تخلق بها موقفاً تفاوضياً أو تحقق من خلالها سلاماً. . وقد وصل الأمر إلى حد أن علاجه لا يتم بمجرد شراء مزيد من السلاح، والغريب أن ننفق حالياً في ظل «السلام» على السلاح أكثر مما كنا ننفقه في زمن الحرب! ـ لقد اشترت الأنظمة العربية في العام الماضي بما قيمته ٣٠ بليون دولار سلاحاً. . بينما مصر من ٥٥

الى ١٩٧٥ كل ما اشترته من أسلحة ٣ بلايين دولار ولم يدفع الجزء الأكبر منه.

في ظل هذا الخطر الاسرائيلي الداهم تثار قضية القوتين الأعظم وتحقيق توازن في العلاقات معهما. لقد تحدثت من قبل على مجمل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة، وخروج مصر من المواجهة، وتوقف ثم تراجع الثورة، وبروز دور الثروة وما فرضته من خيارات دولية.. ولكن هناك عنصر هام آخر برز في هذه الفترة ويتعلق بالاتحاد السوفيتي..

بعد قيام الثورة السوفيتية تجمعت دول العالم كله لضربها، وتوالت عمليات الاستنزاف أكثر من مرة.. في عصر ستالين بكل الظروف التي أحاطت بالتجربة خلال حكمه، الحرب العالمية الثانية وضرب صناعاته الثقيلة والملايين من البشر التي فقدت خلالها، الدور الذي لعبه بعد الحرب في مساعدة حركات التحرر الوطني في العالم.. ثم حدث ما هو أخطر من ذلك، فبعد أن تحقق استحالة الحرب بين الدولتين، نجحت الولايات المتحدة الأمريكية في «جر» الاتحاد السوفيتي إلى سباق سلاح مروع، استنزفت موارده. في العام الماضي أنفق السوفيت ٣٠٠ بليون دولار على السلاح.. أرهقت التجربة السوفيتية بما لا تستطيع أن تتحمله وفي نفس الوقت لم تزدهر بالصورة التي كانت متصورة. يضاف الى هذا كله أن بيروقراطية الحزب غلبت حيويته وألزمت الاتحاد السوفيتي بموقف الدفاع.

من وجهة نظري وبصراحة لو كان الاتحاد السوفيتي أكثر جرأة ونشاطاً منذ عام ٦٧ لتغيرات الصورة. أنا لا ألوم الاتحاد السوفيتي ولكنني أحمله جزءاً كبيراً من مسؤولية التراجع الذي حدث لحركة التحرر الوطني. ضربت مواقعها الواحد تلو الآخر. وكان هو القوة الدولية التي تستطيع أن تنقذ هذه المواقع قبل السقوط، ولكنها ترددت وتركتها لمصيرها، وفي النهاية وجدت الهجوم مباشراً ضدها، وواجهت أزمة في بولندا وفي أفغانستان..

لقد كانت حركة التحرر الوطني بمثابة ذراع لكل أفكار التقدم في العالم وكانت المعركة تدور فيها.. في الشرق الأوسط وأمريكا اللاتينية وأفريقيا.. ومع سقوط الموقع تلو الآخر، ووقوف الاتحاد السوفيتي غير قادر على مساندتها.. بدأنا

في مرحلة «الانتصار الأمريكي» في العالم كله مع الأسف الشديد وليس في مصر والمنطقة العربية وحدهما. . ومع أن الموازين العسكرية متعادلة بين الاتحاد السوفيتي وأمريكا، بما يمنع قيام الحرب لكن هناك صراع على العقول والقلوب والنفوذ والثقافات، وأمريكا تقود الهجوم ولا بد أن نسلم أننا في مرحلة ظهور أمريكي عام.

أيضاً لم نعد في عصر التحولات الكبرى ولا في عصر انطلاق حركة التحرر الوطني.

لا أحد يحلم في مصر أو يتصور أنه من الممكن القيام بمعجزات.

إذن كل ما نأمل فيه ونسعى إليه. أن تكون مصر مستقلة وغير منحازة، لأن هذا طبيعة دورها وطبيعة جغرافيتها وتاريخها.

لا يمكن أن تضع مصر تحت تصرف الجنون الأمريكي، الذي تحكمه المؤسسة القادمة من الغرب الأمريكي بغبائها وموقفها العدواني ودور شركات السلاح شركات الطائرات والصواريخ وصناعة الفضاء. . لا يمكن أن تترك مصر لمغامرات أمريكا في سباق التسلح لتصبح مصر هدفاً حربياً. . العالم كله في أمريكا وأوروبا ضد سباق التسلح ويطالب بنزع السلاح النووي. . حتى الكنيسة وهي مؤسسة يمينية في الغرب، تلعب دوراً بارزاً ضد سباق التسلح والسلاح النووي. .

مصر كانت بعيدة عن هذا كله والخطر كان بعيداً، ماذا يدفعني والمنطقة كلها مستهدفة الآن للدخول في هذه الدوامة. . ليس لنا مصلحة في مناورات النجم الساطع والنجم الأزرق. . الخ كل ما نريده أن نبتعد بمصر عن هذه الأخطار المحدقة نتيجة لدور المؤسسة العسكرية الأمريكية. . وأعتقد أن مصر تستطيع بوسائلها أن تبتعد عن هذه الأخطار. ألا يكفي الخطر الاسرائيلي ؟! كل ما أطلبه الآن هو الصداقة مع الأمريكان. . وأن يتوقف هذا التسليم العشوائي غير الكريم لكل أوراق اللعبة لطرف واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية.

● لعبت دوراً بارزاً، طبقاً لما هو ثابت ومعروف وطبقاً لروايتك نفسها، في أحداث أو انقلاب ١٣ مايو ١٩٧١.

بعد سنوات قليلة اصطدمت بالرئيس السابق أنور السادات كان الخط الأمريكي في سياسة السادات قد ترسخ. وقال البعض إنه كان السبب الرئيسي للخلاف بينكما. واعتبر آخرون الخلاف صراعاً على النفوذ وليس على الوجود الأمريكي. . ما هو تعليقك على هذا القول. . وهل كنت تتوقع حين ساندت أنور السادات في مايو ١٩٧١ أن يتجه بمصر هذا الاتجاه الذي ترسخ في سنوات حكمه الأخيرة؟

■ ما حدث في ١٣ و ١٤ مايو ١٩٧١ لم يكن انقلاباً، ولكنه صراعاً على السلطة بين فريقين. وأنا لا أتنصل من موقفي بالعكس أنا راض عنه، حقيقة أنا لا أريد أن أسيء إلى أحد وتربطني صداقات وزمالات بحكم العمل ببعضهم. . ولكن من نسميهم بعناصر ١٣ مايو، جميعهم وبدون استثناء وتقريباً من ضباط المخابرات السابقين. . وليس لي أي موقف ضد ضباط المخابرات فدورهم الوطني عظيم في مجال تخصصهم. . ولكن لا أتصور أنه فجأة وفي خلال عشر سنوات وبدون أن يسبق لأحدهم ممارسة العمل السياسي فجأة ينتقلون الى العمل برئاسة الجمهورية والحزب «الاتحاد الاشتراكي العربي». . وبالمناسبة فلم يكونوا كلهم في معسكر واحد بل كانوا ٣ مجموعات مختلفة. وقد قبلوا بالسادات رئيساً للجمهورية متصورين أنهم جاءوا بالأضعف وكل مجموعة تأمل في استغلاله لمصلحتها أنا لم أكن أبداً جزءاً من مجموعة أو تنظيم أو حزب، للأسف الشديد وكنت لا زلت فرداً وحيداً. . وقد قلت لبعضهم عندما اتفقوا جميعاً على اختيار السادات. . أنتم ترتكبون خطأ له سابقة في تاريخ مصر. فبعد وفاة سعد باشا اختير مصطفى النحاس بدلاً من فتح الله بركات متصورين أن النحاس هو الأضعف، ولكن النحاس عصف بهم جميعاً. .

الصراع كما قلت كان صراعاً على السلطة ولم يكن موضوعه قضايا عامة أو تحولات اشتراكية أو العلاقات مع أمريكا أو الوحدة أو الحرب. . الحرب التي كانت مؤجلة في ذلك الوقت لأن دفاعات الصعيد كانت ما زالت مكشوفة وتنتظر وصول بعض الامدادات من الاتحاد السوفيتي ومع ذلك دخلنا في مزايدات بالنسبة للحرب، وكذلك بالنسبة للوحدة، رغم أنه لا القذافي ولا النميري ولا السادات كانوا يريدون الوحدة. وهم أيضاً كانوا يريدون الوحدة. وهم أيضاً كانوا يعملون

أنه لا توجد أي نية لعمل وحدة. . ولكن الكل كان يناور «على رفعة الشطرنج كل يريد أن يأكل الملك». . الفارق بينهم وبين السادات. أن السادات كان رجلاً مسيساً ممكن أن تتفاهم معه. وقبل أن يضع في برنامجه قضية الديمقراطية، بينما الآخرون ضباط مخابرات سابقين ممكن أن يتورطوا في إجراءات تحسب على الناصرية، ولا علاقة لها بالناصرية.

أريد أن أضيف ملاحظة هامة: لقد توافرت أمامي دلائل على أن هذه المجموعات التي دخلت مع السادات في صراع سلطة خطرت لها فكرة ونية استخدام القوات المسلحة في هذا الصدام. وهذا شيء خطير.

من ناحية أخرى. . فربما اعتبرت نفسي مسؤولاً عن المشاركة مع السادات في مواجهة مراكز القوى. ولكني لم أكن مسؤولاً عما حدث بعد ذلك في محاكمتهم. ولقد كان رأيي أن خروجهم من السلطة كاف بعد ذلك. . وأما المحاكمة وتوجيه نهمة الخيانة العظمى إليهم. فلم أكن متحمساً له. بل إنني رفضت دعوة للشهادة وجهها إليَّ المدعي الاشتراكي الذي أشرف على التحقيق وقتها. وهو الأستاذ مصطفى أبو زيد فهمي. وأبلغت رأيي للرئيس السادات الذي اتصل بالمدعي الاشتراكي وطلب إليه صرف النظر عن استدعائي للشهادة.

إذا وضعت ١٣ مايو ٧١ في هذا الإطار، فلم يكن هناك خط أمريكي أو غيره. . لقد تكلمت في هذا الوقت على تحييد أمريكا. . ولكن السادات اتجه اتجاهاً آخر، وكان خلافنا كما سبق أن قلت حول فك الارتباط الأول في نوفمبر ٧٣ لعدة أسباب. . إنه حل منفرد. . وحجم التنازلات التي أعطيت لتحقيقه. . وأنه تم تحت الرعاية الأمريكية، واستبعد الاتحاد السوفيتي، وفك كل عربي التحالف العربي والدولي والاجتماعي والسياسي والعسكري الذي حقق مكاسب حرب أكتوبر. . إذن لا بد أن نفرق بين الخلافات: خلاف ١٣ مايو ١٩٧١ كان صراعاً على السلطة. وأما خلافي مع الرئيس السادات في أواخر ١٩٧٣ وأوائل ١٩٧٤ لم يكن كذلك. ولم تكن لدي كصحفي أية سلطة. وإنما كان لي رأي يستمد قيمته من قدرته أو عدم قدرته على اقناع الناس بمنطقه. وهو إذن لم يكن خلافاً بين جناح أمريكي معتدل وجناح أمريكي متشدد.

وعندما نحكم على الموقف في ١٣ مايو، يجب أن يكون الحكم على ما كان موجوداً وقتها، فلا يملك أحد أن يدعي الحكمة بأني رجعي . .

وحقيقة لم أتخيل أبداً أن يصل الأمر الى رحلة القدس. الكارثة أن رحلة القدس ليست شيئاً لا يمكن عمله على ضوء أي حسابات ولكن إذا كنت مستعداً أن تصل الى هذا المدى فقد كان هناك ألف طريقة للوصول إلى نتائج أفضل بما لا يقارن . .

على سبيل المثال، بعد حرب ١٩٧٠ وبسبب الأوضاع العسكرية وقناعتنا باستحالة الوصول لأي حل دبلوماسي، قال عبد الناصر للسوفيت أن يجربوا بأنفسهم احتمالات الحل الدبلوماسي مع الأمريكان . . ولم يعطهم تفويضاً للحديث بدلاً عن مصر مع الأمريكان كما كان يقول أنور السادات، وكان هدفنا إقناع السوفيت بأن الأمريكان لا يريدون حلاً دبلوماسياً وبالتالي أن العمل العسكري أمر مفروض علينا . .

عندما تولى السادات الحكم، وكان السوفيت ما زالوا يحاولون مع الأمريكان. سألوه هل تقبلوا مبدأ المفاوضات المباشر. . يرد «مستحيل» . . هل ممكن تقبلوا تغييرات في الحدود على الجانبين ومناطق منزوعة السلاح. . يرد «مستحيل» . . كان واضحاً أننا لم نعط السوفيت أي ورقة يجربوا بها الحل السياسي مع الأمريكان. . وفجأة رمى السادات بكل الأوراق في يد امريكا، بل في يد اسرائيل برحلة القدس . .

مع الاتحاد السوفيتي صمم السادات على الحد الأقصى من طلباته، ومع غيره لم يتمسك بالحد الأدنى مما كان يجب أن يطلبه . . ولو قبل السادات بدلاً من الذهاب الى القدس المحتلة. المفاوضات المباشرة في حينها ولو في إطار مؤتمر جنيف، لخلق قوة ضغط عالمية هائلة على اسرائيل لا تملك مقاومتها من وجهة نظره وانصافاً لأنور السادات، فإن ذلك التشدد مع الأصدقاء والتساهل مع الآخرين لم يكن سياسته وحده، وإنما شاركت أطراف عربية غيره مع الأسف الشديد في هذه اللعبة.

وعلى سبيل المثال، فإن الملك فيصل في ديسمبر ١٩٦٩ اعتذر لجمال عبد

الناصر عن إمكانية زيادة الدعم لمصر بحجة أن السعودية لا تستطيع قبول سياسة مصر القائمة في ذلك الوقت على أساس قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وأن هدف إزالة آثار العدوان ليس كافياً بالنسبة للسعودية، لأن طلبها الذي لا تحيد عنه هو التحرير الكامل لفلسطين وبالطبع. فإن المسافة واسعة جداً في ما كانت تقوله السعودية في ذلك الوقت وبين ما عادت تقوله بمقتضى مشروع فهد، أو تقديرها للايجابيات في مشروع ريجان.

عندما ذهب السادات إلى القدس. وأعلن أن حرب أكتوبر هي آخر الحروب، أنهى الخيار العسكري، وأنهى قيمته العربية وتخلى حتى عن سلاح رفض الاعتراف باسرائيل. . ولم يعد أمامه أي ورقة في مواجهة اسرائيل. .

إذن ما دام مستعداً أن يصل الى هذا المدى المستحيل، كان أمامه خيارات عديدة يحقق بها نتائج أفضل ألف مرة، ولم يكن يستطيع بيجين أن يضم الضفة وغزة. .

لا أريد أن أدخل في تفاصيل الأسباب التي دفعته الى هذا الطريق. . أقرأ كتابي الجديد «خريف الغضب».

● أستاذ هيكل. . في ٣ سبتمبر ١٩٨١ دخلت السجن لأول مرة بقرار من الرئيس السابق أنور السادات. . وهناك التقيت بقادة وسياسيين ومناضلين ومفكرين وأفراد عاديين، كل جريمتهم أنهم مهمومون بأمور وطنهم. . هل كانت تجربة السجن ـ بالاضافة للمعرفة والتجربة المسبقة ـ كافة لكي تقدم تقييماً من وجهة نظرك، للقوى السياسية سواء كانت أحزاباً رسمية معترفاً بها أو قيادات قائمة في الواقع المصري، وممنوعة قصراً من التواجد القانوني؟

■ تجربة السجن بالنسبة لي، من أغنى التجارب التي مررت بها. أنا كصحفي واشتغل بقضايا الرأي، احتمال السجن موجوددائماً في الأفق. ولكنه كان بالنسبة لي مجهولاً. . وكان أسوأ شيء بالنسبة لي هو الحبس الانفرادي. .

عندما دخلت التجربة وجدتها غاية في الغنى. . مصر كلها كانت موجودة، ولم أكن طرف في تجربة أخوضها مرتين. . مرة كصحفي يتابع ما يجري في حدث

ضخم، ومرة كمعايش لرموز كل ما له قيمة في مصر . .

وأعتقد أنه ليس هناك كتجربة السجن. فهناك تسقط حواجز كثيرة جداً بينك وبين الآخرين، المرحوم عبد العظيم أبو العطا مثلاً لم أكن أعرفه جيداً. أعرفه كشخص عام. بعد ٣ أسابيع قضيناها معاً في زنزانة واحدة، قمت بيننا صداقة قوية . . في السجن تظهر معادن الناس، الجيد في الانسان يظهر بقوة، والسيىء أيضاً، نعرف الآخرين دون براقع.

من الناحية السياسية وفيما يتعلق بما تسألني عنه من وجهة نظري عن القوى السياسية التي كانت معي في السجن، فإن التجربة زادت اقتناعي أننا أمام مجهول سياسي. . في حدود الظواهر لا يزال حكمي ـ مع الأسف الشديد ـ أننا أمام أشخاص وتيارات غير كاملة . . بمعنى أن ظروف نشأة الأحزاب في مصر تجعلني أقول أن الواقع السياسي الحقيقي في مصر لا زال مجهولاً، وأن القوى الموجودة على السطح لا تعبر بصورة حقيقية عن علامات القوى داخل المجتمع ولا على ما تمثله كل قوة بالنسبة للقوى الأخرى.

الأحزاب الموجودة كلها نشأت بقرار. مثلاً حزب التجمع اضطر لكي يتخلص من صيغته الأولى، ونتيجة لطبيعة التناقض، أن ينشط ويحاول الوصول للجماهير، ونجح إلى حد ما. حزب العمل حاول نفس الشيء. ولكن يبقى هذا كله في نطاق تجريبي بحت ولكني لا أعرف ماذا تمثل هذه الأحزاب حقيقة وهل وجودها يتناسب مع حجمها الفعلي أم لا؟ . . وهل الأحزاب القائمة تمثل كل مصر أم لا؟ . .

هناك أشخاص أستطيع تعقب تاريخهم وأن أثق أو لا أثق بهم، وهناك تيارات فاعلة وليس أكثر من ذلك. . على أية حال ما رأيته في تجربة السجن يجعلني أقول أن في المجتمع المصري علامات لها قيمة، لكننا نحتاج لعملية فرز وتحديد لكي تأخذ هذه العلامات شكلها الحقيقي والطبيعي، وأن يكون لها الفوز الذي تمثله بالفعل وتعبر عنه بأمانة.

في السجن رأيت مجموعة وفدية، ذات ولاءات محددة. . ولكن ما هو حجم تمثيلها الحقيقي في المجتمع؟ . . لا أعرف. .

ورأيت حزب التجمع . . كأفراد ممتازين . . وأعرف كثيرين من أعضائكم أيضاً من قبل السجن . . ولكن لا أستطيع الحكم على الحزب . . أنتم كأفراد تمثلون تياراً فكرياً هاماً جداً . . ولكن مدى قوة هذا التيار في المجتمع ، وماذا يمثل هؤلاء الأفراد داخل هذا التيار . . كلها أسئلة تحتاج إلى إجابة .

ما نحتاج إليه هو أن يستعيد المجتمع قدرته على الحركة الذاتية لكي يتحدث الفرز المطلوب . فالقوى الاجتماعية في مصر نمت بصورة قد تتجاوز تصوراتنا، وربما تكون فعلاً على وشك تخطي حاجز العالم الثالث التقليدي . .

المجتمع المصري أصبح في حاجة إلى حوار حر واسع ومفتوح ، ويحتاج إلى حركة سياسية تعبر عن قواه الحقيقية ، وإلى فرز يوضح ويجدد مواقع هذه القوى ويمنحها فرصة الحركة الطليقة .

● **في كثير من كتاباتك دافعت عن فكرة التنظيم الواحد ودور الفرد وطرحت تصوراً للديمقراطية في مصر والعالم الثالث يقوم على الموافقة لا المشاركة . . هل ما زلت عند هذا الرأي؟! ولماذا ـ وأنت صاحب موقف سياسي متميز في إطار الاتجاه الناصري ـ ثم تنضم لحزب من الأحزاب القائمة؟ . . ولماذا قاومت إنشاء التنظيم الطليعي «طليعة الاشتراكيين» ورفضت إنشاء مجموعة له في الأهرام؟ . . الا يتناقض هذا الموقف مع ما تقوله أخيراً من أن التغيير ينجزه قوى اجتماعية لا أفراد، وقوى منظمة لا مبعثرة؟ . . وما قولك في اتهام بعض الشيوعيين القدامى لك، بأنك لعبت دوراً سلبياً للغاية بوضع شرط حل الحزب الشيوعي كضرورة لدخولهم الاتحاد الاشتراكي وتعاونهم مع عبد الناصر؟!**

■ أنا ضد فكرة التنظيم السياسي الواحد، ودور الفرد. ولكن هناك فرق بين ما لا تريده وبين ما هو قائم وما يسمح به التطور. فالحديث عن ظاهرة الفرد وتحليل ظاهرة الحزب الواحد شيء والدفاع عنهما شيء آخر. على الأقل بطبيعتي كصحفي أدافع بكل قوة عن التنوع والتعدد.

ولم يحدث إطلاقاً طوال مرحلة القرارات الكبرى أن قلت إن هناك ديمقراطية بالموافقة ولكن بعد انتهاء هذه المرحلة تحدثت عن الديمقراطية بالموافقة في شأن

القرارات الكبرى التي اتخذها عبد الناصر مثل إعلان الجمهورية وتأميم قناة السويس والوحدة العربية، وطالبت بالانتقال إلى الديمقراطية بالمشاركة. .

بالنسبة لموقفي من الناصرية والانضمام لحزب. فأنا لا أستطيع أن أصنف نفسي بتحديد دقيق كناصري. نعم التجربة الناصرية أكثر تجربة عشتها وتأثرت بها، وأستطيع القول إنني بهذا المعنى ناصري الاتجاه من موقع المعايشة والاقتناع الفكري والحوار مع التجربة، ولكني لا أقدر على أن أجعلها بداية ونهاية. . قد يستطيع غيري ذلك. . ولكن بطبيعتي كصحفي لا أستطيع أن انتظم في حزب. الصحفي والكاتب السياسي، هو عنصر مراجعة دائم، وأول من يكسر صفوف الحزب ووحدته التنظيمية، وقد حاول عبد الناصر معي مرات عديدة أن أدخل الاتحاد الاشتراكي والتنظيم الطليعي واعتذرت. ببساطة لا أستطيع التنازل عن حريتي في أن أتفق واختلف. قد لا يعلم كثيرون أن عبد الناصر لم يكن يقرأ مقالاتي حتى لا يحدث بيننا خلاف ولكن أشهد أنه لم يعترض أبداً على ما أكتب ولم يضع رقيباً علي، ولو حدث لتوقفت عن الكتابة. البعض يقول إنه امتياز منح لي. الأمر لم يكن كذلك لأنني مارسته أيضاً أيام السادات وانتهى إلى منعي من الكتابة والسجن.

رغم هذا الموقف الخاص بي فلم أكن ضد التنظيم الطليعي، وإنما كنت ضد السرية، وعندما أرادوا إقامة مجموعة للتنظيم في الأهرام رفضت، ولكنه قام سراً وعرفت ذلك فيما بعد. . وقد قلت وما زلت أقول إن الفرد لا يمكن أن يحقق التغيير، وإنما التغيير تفرضه التطورات الاجتماعية والاقتصادية، ولا يحققه إلا القوى الاجتماعية المنظمة. .

أما موضوع اتهام بعض الشيوعيين لي فهو أمر غريب. لقد قلت، ويشهد على ذلك أعضاء في حزبكم أنه لن تكون هناك ديمقراطية حقيقية في مصر، إلا إذا شاركت قوتان أساسيتان في الحوار السياسي من خلال التعدد الحزبي وهما. . التيار الديني والتيار الماركسي. وكان رأيي وما زال أن الدولة ستبقى معتمدة على سلطة الشرطة وتفتقر إلى الديمقراطية الصحيحة طالما تمنع هذين التيارين من التعبير عن أفكارهم وأدائهم علنا وبوضوح كامل.

وغير صحيح أنني تدخلت في بيان الحل الذي صدر عن الحزب الشيوعي المصري عام ٦٥. كان هذا قرارهم ولأسباب موضوعية قرروها هم. وبالمنطق كيف أطلب من حزب أن يحل نفسه، لأضع نفسي بذلك على الطرف الآخر تماماً..

● قرر عبد الناصر قبل وفاته إعادة تنظيم الدولة.

لا يختلف أصدقاؤك وأعداؤك على عمق علاقتك بعبد الناصر. وحتى الآن ما زال العام الأخير من حكم عبد الناصر بأولوياته واهتماماته، يحمل كثيراً من علامات الاستفهام والأسرار التي تحتاج إلى تفسير.. مثل اختياره السادات نائباً له وقبوله مبادرة روجرز، وحقيقة علاقته بالسوفييت والأمريكان. الخ. ألم يحن الوقت ليعلم الرأي العام إجابات على هذه التساؤلات وغيرها؟!

■ لست مع الذين يفسرون التاريخ على أنه سلسلة من المصادفات أو المؤامرات.. ولكني أيضاً لا أوافق الذين ينظرون للتاريخ على أنه مجرد اختيارات واعية فحسب نتيجة للحقائق الاجتماعية والاقتصادية، ويستبعدون تماماً عنصر المصادفة فالتاريخ لا أ من المصادفات والهوى الإنساني والظروف المرحلية والحالة المزاجية في لحظة معينة، فهذه أشياء تلعب دورها إلى جانب الحقائق الموضوعية الاجتماعية والاقتصادية.

هذه مقدمة ضرورية لأجيب عن أسباب اختيار السادات نائباً لعبد الناصر.

عبد الناصر اختار السادات في ديسمبر ١٩٦٩ وكان في طريقه الى مؤتمر القمة العربي في الدار البيضاء.. عادة وقبل أن يسافر الرئيس إلى أي عاصمة أجنبية تسبقه «مجموعة المقدمة» لإعداد الترتيبات الادارية وتقارير عن الأوضاع في هذا البلد. سافرت مجموعة المقدمة ورأسها حسن التهامي مجموعة المقدمة أرسلت عدداً من التقارير من بينها تقرير أمني يشير إلى وجود مؤامرة لاغتيال عبد الناصر في المغرب، وأن الجنرال محمد أوفقير وزير الداخلية المغربي والمعروف بعلاقاته مع بعض الدول الأجنبية واسرائيل ضالع في هذه المؤامرة، على الأقل بالتسهيل عبد الناصر كان يتلقى تقارير كثيرة حول مؤامرات اغتيال ولا يلتفت إليها،

ولكن بوجود أوفقير، ومع تصاعد حرب الاستنزاف ووجود مشروع روجرز الذي قدم في أوائل ديسمبر ورفضته اسرائيل والتواجد اليهودي الكبير في المغرب، وبدا أن لهذا التقرير بعض المصداقية، أو على الأقل له أصل.

في هذا الوقت لم يكن هناك نائب لرئيس الجمهورية. في الطائرة ونحن في الطريق للدار البيضاء، وكنت في مكاني كالمعتاد طبقاً للبروتوكول استدعاني عبد الناصر كعادته وجلست إلى جواره نتناقش في بعض الموضوعات. قال لي عبد الناصر هل تعرف ما قمت به اليوم. أجبته بلا.. فقال «حلفت أنور اليمين اليوم كنائب لرئيس الجمهورية» استغربت وسألته عن السبب فأعطاني التقرير الأمني وقرأته وقال إنه في ظل الظروف الدقيقة لا يريد أن يترك شيئاً للصدفة، على الأقل لكي يضمن أن يتم انتقال السلطة ـ لو حدث شيء في المغرب ـ بطريقة طبيعية. رئيس موجود لمدة ٦٠ يوماً، ومؤسسات الدولة تختار من تريد ويطرح اسمه في الاستفتاء. في هذا الوقت لم يكن باقياً إلى جوار عبد الناصر من أعضاء مجلس الثورة السابقين إلا اثنان معه في السلطة، وعبد الناصر يعطي لقضية الأقدمية في المجلس اعتباراً كبيراً، وكان السادات هو الوحيد الذي لم يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية، وكان قد أبعد عن رئاسة مجلس الشعب، فالرئيس عبد الناصر وجدها فرصة معقولة أن يختاره نائب رئيس جمهورية لمدة ٤ أو ٥ أيام، وهي المدة التي سيغيبها في المغرب.. وكانت هذه هي المصادفة الأولى.. بعدها حدثت مجموعة مصادفات أخرى..

المؤتمر طال أكثر مما كان مقدراً له، وعاد عبد الناصر من المغرب إلى ليبيا. وأثناء وجوده هناك وقعت عملية سرقة الرادار في الزعفرانة والعين السخنة. وطرحت بقوة قضية الدفاع الجوي وما به من ثغرات خطيرة وقرر عبد الناصر ضرورة الاتصال بالسوفييت لحسم هذا الموضوع. وعاد عبد الناصر للقاهرة وموضوع الدفاع الجوي له الأولوية عن أي قضية أخرى. وتقررت الزيارة السرية لموسكو. وفي موسكو حصل اتفاق خطير على تكثيف الوجود السوفييتي، سأعود له بعد قليل. المهم الأمور سارت مساراً مختلفاً تماماً ونسي الكل موضوع نائب رئيس الجمهورية، ثم أعيد بحثه ضمن قرار عبد الناصر بإعادة تنظيم الدولة. وكل أعضاء مجلس الوزراء

يتذكرون أن عبد الناصر في آخر جلسة للمجلس حضرها عبد الناصر بعد الصيف طرح موضوع تنشيط العمل الداخلي وعبر عن عدم رضائه عن الأحوال، وقال إن الأمر يقتضي تغييرات كبيرة في تركيبة الحكم. ولقد كنت أعرف هذه التغييرات أو بعضها على الأقل ولم يكن هناك نية لترشيح أحد ليكون نائباً لرئيس الجمهورية، لا السادات ولا غيره.. كانت هناك وزارة جديدة.. في سبتمبر انقلبت الصورة ورحل جمال عبد الناصر.

إذن المصادفة وحدها هي التي أبقت السادات في هذا الموقع الى حين وفاة عبد الناصر طبعاً هذا ليس تقييماً للسادات أو رأياً فيه. فهذا موضوع آخر، ولكن ما أؤكد عليه أن وجوده في موقع نائب رئيس الجمهورية كان مجرد مصادفة.

نأتي لقضية مبادرة روجرز، ومن وجهة نظري فهو موضوع غاية في الأهمية، وهناك لبس غريب حوله شارك فيه الرئيس السادات.

ولكي نفهم موضوع مبادرة روجرز وقبول عبد الناصر لها، لا بد من فهم تطورات الأحداث والسيناريو الذي أدى الى المبادرة وقبولها.

بعد هزيمة ٦٧ بدأت جهود ضخمة لاعادة البناء العسكري. في نوفمبر ١٩٦٧ استكملت قواك الدفاعية بتعويض السوفييت للأسلحة ودورهم في القوات المسلحة والتخطيط الجديد وقيادة عبد المنعم رياض.. في نوفمبر وبعد أن تأكدت من قدراتك الدفاعية وصعوبة اختراق خطوطك الدفاعية وقبولك للقرار رقم ٢٤٢ دخلت في مخاطر محسوبة. تبادل التراشق المدفعي، العمليات البحرية، عملية إغراق ايلات، عمليات العبور المحدودة. عمليات الفدائيين، الوحدات الخاصة داخل سيناء إلى أن وصلت للعبور بكتيبة كاملة. هذه العمليات المتضاعفة يجمع الخبراء العسكريون أنها كانت التمهيد لعملية العبور الكاملة.

في هذا الوقت كان شاغل عبد الناصر الوحيد تقريباً هو القوات المسلحة. أول شيء عمله بعد ٦٧، هو معرفة ماذا حدث بالتفصيل، حضر بنفسه ومعه كل قادة الأسلحة بالقوات المسلحة وبعض القيادات السياسية جلسات التحقيق فيما حدث كاملة، واستمع الى تسجيلات صوتية لكل المؤتمرات والأحاديث الصحفية لكل

القادة العسكريين الذين أفقدهم النصر كل سيطرة على أقوالهم، فتكلموا عن تفاصيل كثيرة مما جرى.

كذلك فإن عبد الناصر بعد موقف الجماهير في ٩ و ١٠ يونية، استمر في السلطة وهو يعلم أنه مفوض تفويضاً محدداً وليس تفويضاً مفتوحاً كما كان الحال قبل ٦٧. كان تفويضاً لإزالة آثار العدوان والتوسع في مجال الديمقراطية قدر الامكان، وقد وضع القضيتين في بيان ٣٠ مارس، اعتبر عبد الناصر أن بقاءه لا قيمة له ما لم يقم بدوره في تصحيح ما حدث عام ٦٧.

كانت وجهة نظر عبد الناصر أن صوت طلقات المدافع يجب أن لا يتوقف أبداً بالنسبة للشعب المصري، أو الأمة العربية أو العالم كله، لكي يدرك الجميع أن هنا قضية ساخنة لم تبرد. وكان «تسخين» الجبهة يتم طبقاً لتزايد قدرات القوات المسلحة المصرية. وقد خسرنا كثيراً في حرب الاستنزاف، لكن اسرائيل خسرت أكثر، لدرجة أن كل مراكز الأبحاث الاسرائيلية تعتبر حرب الاستنزاف حرباً رابعة أو حرب أكتوبر هي الحرب الخامسة.

في مواجهة التصعيد المصري وازدياد القوة الدفاعية وازدياد خسائر العدو، انتهزت اسرائيل وجود ثغرات في الدفاع الجوي وبدأت غارات العمق كوسيلة للرد على معارك الجبهة.

سافر عبد الناصر الى موسكو، وكنت معه، في زيارة سرية بعد سرقة الرادار وطرح القضية بصورة واضحة. . كان الموقف الاستراتيجي يتلخص في وجود قوتين محليتين. . مصر واسرائيل. . وقوتين دوليتين. . الاتحاد السوفييتي وأمريكا. . كل منهم يساند طرفاً. . وكان عبد الناصر يخشى من تدفق المساعدات الأمريكية على اسرائيل وهو مقدم على صدام معها. . وكان أمامه مشكلتان: أولاً استكمال بعض نواحي الضعف في الدفاع الجوي أساساً، ثانياً كيف يتجنب تدخلاً أمريكياً يغير موازين القوى في المنطقة. . وكان هذا جدول أعماله في موسكو. . طلب عبد الناصر صواريخ سام ٦ لمواجهة التسلل الاسرائيلي بالطيران المنخفض، حيث أن صواريخ سام ٢ تتصدى للطائرات على ارتفاعات تبدأ من ١٥٠٠ إلى

٢٠٠٠ كيلو متر ولم يكن الاتحاد السوفييتي قد أعطى أي دولة خارجية صواريخ سام ٦. وافق السوفييت على طلب عبد الناصر. ولكن تدريب الأطقم كان يحتاج من ستة إلى تسعة أشهر، وكان لا بد من سفر أطقم الدفاع الجوي المصري للتدريب في الاتحاد السوفييتي، ثم يعودون مع السلاح الجديد. لم يكن ممكناً الاقتراب من أطقم الدفاع الجوي في الجبهة.

لقد أقيم حائط الصواريخ في قناة السويس بتضحيات بشرية هائلة، كانت اقامته ملحمة بكل معنى الكلمة. أي أن المطلوب سحب أفراد من قوات العمق، وتركه خالياً. . عبد الناصر طلب من الاتحاد السوفييتي أن تتولى أطقم سوفييتية حماية العمق خلال فترة تدريب المصريين. بعد جهد قبل السوفييت وأنا أعتقد أن هذا الموقف من أحسن وأهم مواقف الاتحاد السوفييتي إلى جانبنا، لأن هذا القرار يعني تواجد قوات سوفييتية في مصر، قوات تتحمل مسؤوليات قتالية، صحيح أنها مسؤوليات بعيدة عن الجبهة وفي العمق، ولكنها تتضمن وجود قوات جوية في مطار جاناكليس بالتحديد، ثم بطاريات العمق لحماية المدن الكبرى مثل القاهرة ومنشآت الرأي الهامة. . السوفييت عندما وافقوا على طلب عبد الناصر، كانوا يعلمون أنهم يتخذون خطوة بالغة الخطورة.

من جانب مصر، عبد الناصر كان يريد هذه الخطوة تماماً، لأنها ترفع مستوى المواجهة بين القوتين المحليتين، إلى مستوى توتر بين القوتين الكبيرتين. . وكان يعتقد أن هذا التوتر مع تصعيد حرب الاستنزاف، يمكن أن يشكل قوة ضغط للوصول إلى حل سياسي وهو النهاية المنطقية لأي عمل عسكري. . وأرجو أن أكون واضحاً، كان الهدف من أجل الوصول الى حل سياسي وليس حلاً دبلوماسياً. .

وبالفعل سافر ١٨٠٠ من أفراد الدفاع الجوي الى الاتحاد السوفييتي ووصلت وحدات الدفاع الجوي السوفييتية وتوتر الموقف بين الدولتين الكبيرتين. . في هذا المناخ جاءت مبادرة روجرز. أن مصر هي التي دعت الى هذه المبادرة، كجزء من الحوار المستمر. . تصعيد حرب الاستنزاف، ثم التواجد السوفييتي الذي جاء نتيجة

قرار خطير لم يسبق أن أقدم السوفييت على مثله، توتر الموقف وبدأ الاسرائيليون يجهرون بالشكوى من الخسائر في جبهة القناة. .

واهتمت أمريكا فأرسلت بعثة الى مصر في ابريل برئاسة «جوزيف سيسكو» وأصبح واضحاً أن الأمريكيين أحسوا بخطورة الموقف. . وقف جمال عبد الناصر في أول مايو ووجه خطاباً لنيكسون لأول مرة، دعا فيه أمريكا أن توقف على الأقل المساعدات لاسرائيل إذا كانت حقاً تريد سلماً حقيقياً في المنطقة والا فسنعتبر أمريكا شريكاً في استمرار احتلال الأراضي العربية. نيكسون رد برسالة على خطاب عبد الناصر تتضمن مبادرة روجرز التي تنص على وقف اطلاق النار لمدة ٣ أشهر، ويبدأ يارنج مباحثات بين الأطراف لتحقيق الانسحاب. كانت أول مرة ترد كلمة الانسحاب وبوضوح. إذن مبادرة روجرز كانت مطلوبة من مصر.

وصلت المبادرة الى مصر وكان عبد الناصر في طرابلس يحضر احتفالات الجلاء عن قاعدة هويلس. أخطرنا عند وصولنا إلى بنغازي بالرسالة الأمريكية وطلب عبد الناصر إرسالها إليه في بنغازي. في القاهرة السادات لم يكن على علم بهذه الخطوات وبالحوار المستمر ولكنه كنائب رئيس أخطر بالرسالة الأمريكية قرأها وتصور أنها سترفض. فأعلن في اجتماع اللجنة السياسية أن مصر لن تقبل هذا الكلام.

بمجرد وصول الرسالة الأميركية لعبد الناصر في ليبيا، كان واضحاً أن هذا رد على ما قالته مصر. قد لا يكون رداً مقبولاً، ولكنه جزء من عملية حوار مستمرة. وقرر عبد الناصر وهو في بنغازي قبول مبادرة روجرز كأساس يمكن تطويره. . في نفس الوقت وقبل أن يسافر عبد الناصر إلى بنغازي أو بعد أن اطمأن لحماية العمق وللوجود السوفييتي وقع الخطة «جرانيت ١» والتي تقضي بأن تعبر خمس فرق مصرية من الشرق الى الغرب على خمس محاور مختلفة وتتمسك برؤوس الكباري الخمسة. وكذا ننتظر وصول ممدات من الاتجاه السوفييتي لتنفيذ الخطة. . إذن الحوار مستمر بكافة صوره. . وسافر عبد الناصر الى الاتجاه السوفييتي .

لقد كنت طوال هذه الفترة الى جوار عبد الناصر. وحضرت معه المباحثات في

الاتحاد السوفييتي كوزير للاعلام وضمن أعضاء الوفد المصري. والذين قالوا إن عبد الناصر قبل مبادرة روجرز في موسكو تحت ضغط السوفييت، لم يقولوا إلا هراء.. كل الوفد المصري كان يعلم ونحن في الطريق الى موسكو أن مصر قبلت مبادرة روجرز. وإنما ننسق مواقفنا مع السوفييت. وأتذكر أن بريجينيف قال للرئيس عبد الناصر بعد أن شرح الموقف السياسي وأبلغ السوفييت قبول مصر لمبادرة روجرز.. سأله بريجينيف هل تقبل المبادرة وهي مقدمة من أمريكا.. كان بريجينيف يتصور أنه طالما أن يارنج هو الذي سيقوم بالمباحثات فلا تقبل إلا وعليها علم الأمم المتحدة.. رد الرئيس قائلاً أنه سيقبل المبادرة وعليها علم أمريكا، لأنه سيأخذها كالتزام أمريكي.

تبقى نقطة أخيرة في سؤالك وهي الخاصة بعلاقات عبد الناصر بالسوفييت والأمريكان عبد الناصر كان يمارس ما ينادي به تماماً، وهو فعلاً كان راغباً في علاقات غير منحازة، ولكنه كأي انسان عاقل غير منحاز، يميز بين من يساعده ومن يساعد عدوه، وإلا فإن الأمر يتحول من عدم انحياز الى بلاغة عدم الانحياز ليس موقفاً في فراغ.. وإنما هو موقف تقرر فيه وبدون التزام مسبق ما تراه متفقاً مع مبادئك ومصالحك والموقع المستقل.. وعلى ضوء من يصادقك ومن يصادق أعداءك.

لقد بدا عبد الناصر راغباً في علاقة معقولة مع الأمريكان.. في ١٩٥٢ كانت انجلترا هي القوة الاستعمارية التي نعرفها وكذلك فرنسا، ولم نكن نعرف الاتحاد السوفييتي الذي كان مشغولاً بالداخل في ظل ستالين وصورته غير مشجعة وبعيداً عن شؤون الشرق الأوسط وبدا الأمريكيون وهم القادرون على القيام بدور، ويمكن التفاهم معهم كقوة دولية. وكانت تجربة مريرة.. لقد ساعد الأمريكيون اسرائيل ووقف السوفييت معنا.. وعلى هذا الأساس مارس عبد الناصر سياسة عدم الانحياز..

هذه قصة طرد الخبراء السوفييت من مصر (٣)

في هذه الحلقة الثالثة والاخيرة يذيع محمد حسنين هيكل سر قرار السادات بطرد الخبراء السوفييت من مصر تحت الضغوط العربية وبوهم أن هذا القرار سيدفع أمريكا للضغط على اسرائيل وبالتالي يتجنب اتخاذ قرار بالحرب.. وبكشف الستار عن اتفاق مصري سوفييتي منذ عام ٧٠ على سحب الخبراء السوفييت قبل بدء المعركة..

كما يتحدث هيكل عن الحرب العالمية الثالثة المشتعلة بين امريكا والاتحاد السوفييتي والاساليب الجديدة للصراع.. والتطورات داخل القيادة السوفييتية وتوقعاته للمبادرات الجديدة تحت قيادة أندروبوف.

ويعارض هيكل بشدة الدعوة لاعتراف منظمة التحرير الفلسطينية باسرائيل. مؤكداً ان هناك فرقاً بين الثورة والدولة.. ويؤكد أن العالم العربي سيشهد أهوالاً في هذه الحقبة الجديدة التي بدأت بعد بيروت ويسميها «الحقبة الاسرائيلية». الى غير ذلك من الآراء والأخبار الهامة.. ولنقرأ معاً ما قاله هيكل..

● جريدة الأهالى ـ ١٩٨٢/١٢/١٥

● **بعض المحللين يعتبرون تدخل السادات في السودان لمساندة نميري ضد انقلاب «هاشم العطا». . وطرد الخبراء السوفييت من مصر. . بداية التحول في حكم السادات. . وهنا يثور سؤال هام.**

لقد نشرت في الأهرام سلسلة من المقالات حول العلاقات مع الاتحاد السوفييتي قبل طرد الخبراء السوفييت مباشرة. . بدت وكأنها تمهيد لهذا القرار. .

ما هي الحقيقة في هذا الموضوع. . ؟

■ هناك دائماً سياق أو مجرى أساسي لحركة التاريخ، وهناك تفريعات صغيرة لا ترقى إلى مستوى التأثير في التاريخ. .

اعتقد أن هناك من يعطي انقلاب هاشم العطا أكثر من قيمته الحقيقية. ومهما كانت وجهة نظرنا في هذا الانقلاب، أو آراء ومواقف القائمين به، فهو ليس إلا انقلاب عسكري بالطريقة التقليدية، وعلى الاصح محاولة غير مكتملة لانقلاب عسكري. .

اما بالنسبة لطرد الخبراء السوفييت فالامر يختلف. ويمكن القول إن هذا القرار نقطة تحول في سياسة السادات. . قبل عام ١٩٧٠ لم يكن عدد الخبراء العسكريين السوفييت يتجاوز ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ عندما وافق الاتحاد السوفييتي بعد زيارة موسكو السرية على تكثيف وجوده، وتولى مسؤولية الدفاع الجوي في العمق المصري، وبدأنا في التدريب على الأسلحة الجديدة، ودخلنا في هذا التطور العسكري والدولي الهام، اشترط الاتحاد السوفييتي شرطاً هاماً جداً، وهو يقبل طلب عبد الناصر زيادة التواجد السوفييتي في مصر خلال فترة تدريب أطقم الدفاع الجوي المصرية على الأسلحة الجديدة في الاتحاد السوفييتي، وتولى السوفييت

مسؤولية الدفاع الجوي عن العمق، هذا الشرط. . هو أن يسحب «جميع» خبرائه من مصر قبل أن تبدأ المعركة. وكانت وجهة نظر السوفييت والتي وافقت مصر عليها، أن وجود خبراء سوفييت في مصر اثناء المعركة، له سلبيتان. .

الاولى. . أن هذا الوجود يحرم القوات المصرية من حقها المطلق في ثمار معركتها.

الثانية. . تخلق تعقيدات دولية لا قبل لاحد بها، وتعطي الولايات المتحدة الامريكية ذريعه لارسال قوات امريكية مقاتلة إلى اسرائيل تحت دعوى أنهم خبراء.

إذن منذ البداية كان متفقاً أن مصر لن تحارب وفي جيشها خبراء من الاتحاد السوفييتي. وكان عدد هؤلاء الخبراء قد ازداد خلال أعوام ٧١، ٧٢. . والسادات كان يعرف بهذا الاتفاق، على الاقل بعد توليه الحكم، وكان يعرف بكل الشروط التي تنظم وجود الخبراء السوفييت.

اذا افترضنا أن الرئيس السادات قرر دخول معركة أو يريد تطبيقاً للاتفاق السابق بين السوفييت وعبد الناصر، أن يسحب الاتحاد السوفييتي الخبراء من مصر. . كان يستطيع في هدوء ودون ضجيج أن يبلغ السوفييت بما يشاء ويطلب منهم تنفيذ الاتفاق أو الشرط الذي وضعوه هم لزيادة عدد الخبراء منذ عام ١٩٧٠ فهو أمر متفق عليه. . أما أن يتم الأمر باسلوب الطرد وما صاحبه من ضجيج، هنا يصبح الامر كله محلاً للتساؤل. .

وما حدث أن اطرافاً «عربية» كانت تؤكد للرئيس السادات أن الامريكيين مستعدون للعب دور اساسي في حل المشكلة دون معركة، والضغطعلى اسرائيل، ولكنهم لن يقتربوا من القضية طالما كان هناك خبراء سوفييت في مصر واسلحة سوفيتية. .

وأما السادات لم يكن يريد معركة عسكرية وكان يحاول تجنبها قدر المستطاع. ولا اعتقد أن احداً يلومه في ذلك. فالحرب خيار صعب وخطير. وكان الله في عون أي حاكم أو أي زعيم يجد نفسه أمام اتخاذ قرار يتعلق بالحرب، ومن حقه أن يحاول تفاديه قدر المستطاع. .

طوال عامي ٧١، ٧٢ وأطراف عربية تلح على الرئيس لاخراج السوفييت لكي

تتحرك امريكا وتضغط على اسرائيل. لقد قلت دائماً أن هناك دوراً للامريكيين في المنطقة، لكن هذا الدور يتم بتحييد أمريكا وبموقف يفرض عليهم.. بتحالفاتنا الدولية. وتحالفاتنا العربية، وبجبهة عربية متراصة، وبعمل عسكري، وبالاسلحة العربية الاخرى كالبترول.. يمكن ان تفرض على الولايات المتحدة الامريكية موقف التحييد وليس موقف الحياد، لأن امريكا لا يمكن أن تكون محايدة بيننا وبين اسرائيل..

المهم اقتنع السادات بالالحاح العربي، وقرر اخراج الخبراء السوفييت وأن يخرجهم مطرودين، وبقرار يتخذه هو شخصياً..

الأطراف العربية التي كانت تنصحه باخراج السوفييت، فوجئت بالتوقيت. هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي، قال أنه فوجىء أيضاً، وأن السادات لو طلب من امريكا مقابلاً ليتعد هذا القرار لكانت امريكا على استعداد..

ولكن السادات أراد القرار على هذه الصورة اندرامية وأن يتخذه بنفسه، متصوراً أنه بهذا يجعل الامريكيين ممتنين له ولجميله فيمارسون الضغط على اسرائيل، ويصبح في غنى عن اتخاذ قرار الحرب..

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث..

نأتي لموضوع مقالاتي عن الاتحاد السوفييتي والصلة المزعومة بينها وبين هذا القرار الذي عارضته، وعارضت الطريقة التي تم بها.

هذه المقالات لم تكن لها أي علاقة على الاطلاق بقرار طرد الخبراء السوفييت..

لقد انتقدت دائماً وما زلت انتقد بعض مواقف الاتحاد السوفييتي. وبصفة خاصة موقف التباطؤ السوفييتي. فالسوفييت ينظرون للتطورات في العالم نظرة تاريخية، وهي نظرة قد تكون صحيحة، لكن هناك دائماً اعتبارات تكتيكية ترغمك في بعض الأحيان على تجاوز انتظار التطورات التاريخية والاقدام على خطوات حديثة تتطلبها الاحداث. وأنا اعتقد أن سياسة الحذر التي التزم الاتحاد السوفييتي أكثر مما يجب، أدت إلى ضياع دوره في الشرق الأوسط وجعلته طرفاً غائباً عن أزمة الشرق الأوسط حتى الآن.

في هذه الفترة التي سبقت قرار السادات بطرد الخبراء السوفييت، بدأت في نقد

السياسة السوفييتية من بعض الزوايا. كان هناك تباطؤ في تعويض بـ ـ
وتوريد البعض الآخر خصوصاً وأن جزءاً كبيراً منها كانت ضمن الاتفاق الذي تمّ مع عبد الناصر في زيارته عام ٧٠، مثل استكمال بطاريات الصواريخ في الصـعيد. ولقد عارضت استئناف العمليات العسكرية بعـد وفـاة عبد الناصـر نتيجـة لعـدم استكمال بطاريات الصعيد. ومن هنا أيضاً انتقدت تباطؤ الاتحاد السوفييتي وقلت أن هناك من يستفيد من حالة اللاسلم واللاحرب. الطريف أن الـرئيس السـادات عارضني في هذه المقالات بشدة. . وطلبني لمقابلته اثناء كتابتها، ذهبت إليه وكان ممدوح سالم يقابلـه قبـل وصولـي. . قال لي السـادات مقالاتـك تحرجنـي مع السوفييت. . والاتحاد السوفييتي صديقي الوحيد. . أجبته قائلاً. . لن اناقشك في التفاصيل، ولكن عندما يقول أي انسان أنه ليس عنـده الا صديق وحيد، فهـذه كارثة، ومعناه أنه في مأزق. وإذا كنت «زعلان» من هذه السلسلة من المقالات، فأنا على استعداد أن لا اكملها ولكن لن اكتب غيرها وساترك العمل.

على ما أذكر كان في مصر في ذلك الوقت مسؤول سوفييتي، وقال للرئيس إن هيكل يسمم العلاقات المصرية السوفييتية. .

في يوم الجمعة ٧ يوليو، كنت في الاسكندرية وفوجئت بمن يلحق بي وطلبني الرئيس السادات تليفونياً. . وتصورت أنه مستاء من مقالتي في ذلك اليوم «الجمعة» وكانت أشد مقالة في سلسلة المقـالات الخاصـة بالاتحـاد السوفييتي. . المهـم تحدثت في التليفون وسألني متى تعود إلى القاهرة. وكنت قد وصلـت الخميس واعتزم العودة الاحد. . سألته إذا كان هناك شيء هام. . قال أيوه وأريدك أن تتناول معي العشاء يوم الاثنين. . حاولت أعرف الموضوع. . ولكنه قال خلص إجازتك ونتقابل الاثنين.

كان السادات قد مر على الدكتور محمود فوزي في البدرشين يوم ٦، وقال له إنه سيبلغ السفير السوفييتي يوم السبت بعدة اشياء، في مقدمتها قراره بطرد الخبراء السوفييت وضرورة مغادرتهم مصر خلال عشرة أيام، ناقشه الدكتور فوزي واقترح عليه أن يعكس الاولويات ويفتح باب المناقشة ولا داعي لموضوع الطرد وإنمـا يجعل القضية موضوع مفاوضات، وطرح الدكتور فوزي بعض التخوفـات حول امدادات الأسلحة.

في يوم الجمعة ـ نفس يوم اتصاله بي ـ استدعى الفريق محمد صادق وطلب منه أن يصلي الجمعة معه. . وقال السادات لصادق ـ وكان يعرف أن هناك موقفاً من صادق مع السوفييت ـ . . «حاقولك خبر يخليك تضحك من ودنك دي إلى ودنك دي. . » واخبره بقرار طرد الخبراء السوفييت. . الفريق صادق ذهل وسأله وحنعمل ايه في امدادات الأسلحة.

في اليوم التالي استدعى السفير السوفييتي وابلغه في حضور «حافظ اسماعيل» بقراره. قابلت الرئيس يوم الاثنين، ولم تكن عندي أي فكرة عن كل ما حدث. . أول ما التقينا. . أبديت استعدادي إذا كان معارضاً لمقالاتي، أن أتوقف عن كتابتها وبالطبع لن أكتب غيرها، وإنما سأتوقف عن الكتابة تماماً. . قال الرئيس «بتتكلم تقول ايه. . دي فضيحة. . أكبر صحفي في الشرق الأوسط، المخبر العظيم اللي بيعرف كل حاجة. . مش عارف ما يجري في بلده. . مش عارف أخطر قرار» . . سألته. . ايه أخطر قرار. . فقال «طردت الخبراء السوفييت، جبت السفير وقلت له بره. . ».

تحدثنا في الموضوع، واخبرته انه لا مانع من خروج الخبراء السوفييت إذا كان يرى أن الوقت قد حان، خاصة وأن هناك اتفاقاً معهم على ذلك. . ولكن الاسلوب الذي تم به الامر غير مفهوم. . أولاً. . تحديد عشرة أيام لخروجهم. . ثانياً تحويل الامر إلى طرد وتوتر في العلاقات، واستجابة لضغوط خارجية. . بينما سلاحنا سلاح سوفييتي. .

إذن لم يكن هناك علاقة بين مقالاتي التي انتقدت التباطؤ السوفييتي، وقرار السادات، وقد هاجمت هذا القرار، وقلت في «الأهرام» «إنه قرار غير مدروس وحتى لو كان مدروساً. فقد تم تنفيذه بطريقة درامية» في قضية لا تسمح بالتصرفات المسرحية.

● **هل تتوقع من خلال معرفتك بالسياسة السوفييتية والقيادة الجديدة هناك، حدوث تغير في العلاقات السوفييتية الامريكية؟**

وأهم من ذلك ما هي توقعاتك بالنسبة لدور الاتحاد السوفييتي تحت قيادة «يوري اندروبوف» ـ واعتقد أنك تعرفه شخصياً ـ في الشرق الاوسط وبالنسبة للعلاقات المصرية السوفييتية؟

■ لا بد من التسليم بأن السياسة السوفييتية اتسمت في الفترة الماضية بنوع من الجمود، ويعود هذا من وجه نظري لاسباب مختلفة متعددة. .

الاتحاد السوفييتي ـ كما قلت سابقاً ـ أكثر بلد استنزف في العالم. حوصر منذ البداية وتعرض لحروب عديدة، وفي عهد ستالين اتخذ قرار بتطبيق الاشتراكية في بلد واحد، ودفع الشعب السوفييتي ثمناً رهيباً لتحقيق ذلك، ونجح في اقامة الصناعة الثقيلة. . في الحرب العالمية الثانية دمرت صناعاته الثقيلة، وقتل ٢٠ أو ٢٢ مليون من الشعب السوفييتي، ودمرت قرى ومدن كاملة. كانت حرب إبادة فعلاً. وبدأ الاتحاد السوفييتي بعد الحرب في البناء من جديد، في ظل الحرب الباردة، وأوضاع دولية متوترة، وسباق تسلح رهيب. .

أضيف إلى هذا كله نمو حركة التحرر الوطني، وطلبها المساعدة من الاتحاد السوفييتي، الذي ساعدها بالفعل. .

ويجب أن لا ننسى أن الاتحاد السوفييتي لم يكن طرفاً في عملية التوسع والنهب الاستعماري التي مارسها الغرب. بعض الدراسين يتحدثون عن توسع روسيا إلى المحيط الهادي، ولكن هذا كله تم في ظروف تسمح طبيعياً بذلك كما حدث توسع امريكا من الشرق إلى الغرب. . ويختلف تماماً عما حدث خلال القرن التاسع عشر، والتي كانت عملية استعمار واستغلال بالمفهوم التقليدي للاستعمار. . فالاتحاد السوفييتي لم يشارك في الاستعمار القديم ولا هو طرف في الاستعمار الجديد.

كان على الاتحاد السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية، أن يبني نفسه، ويحتفظ بطاقته كاملة للدفاع عن نفسه، وعن نطاق الدفاع المحيط به سواء الصين أو دول أوربا الشرقية، وأن يقدم المساعدات لحركة التحرر الوطني.

بعد ستالين ووصول خروشوف للسلطة، حاول أن يقفز فوق هذا كله. . التوازن النووي حقق نوعاً من الحدود الثابتة بين الاتحاد السوفييتي وامريكا في بعض المواقع مثل أوروبا، كان الامن الأوروبي قضية هامة بين الطرفين، وتم تثبيت الموقف في مؤتمر جنيف عام ١٩٥٥ ولكن ظلت هناك مواقع اخرى يدور فيها الصراع. .

بعد التوازن النووي، أصبحت الحرب مستحيلة نتيجة لتطور الصواريخ،

واهم من هذا القدرة على التحرك /Mobility التـي اكتسبتها الصواريخ عندما زودت بها الغواصات، امريكا أو الاتحاد السوفييتي كان يستطيع بوسائل التـدقيق الحديثة أن يحدد قواعد الصـواريخ عنـد الطـرف الآخر ويدمرهـا. . لكن هذه الصواريخ المحمولة في الغواصات وتدور في البحر لا تستطيع أن تحدد مواقعها دائماً بسهولة. بالاضافة لعنصر القدرة على التحرك، أضيف عنصر الاخفاء بالنسبة للغواصات أيضاً. على سبيل المثال، أي غواصة حديثة تستطيع أن تحمل صواريخ قادرة على تدمير حوالي ٣٤ أو ٣٦ موقعاً حيوياً في أمريكا أو الاتحاد السوفييتي. وفي الدراسات الاخيرة والسيناريوهات المتخيلة للحرب. ثبت أن الطرف الذي سيبدأ بتوجيه الضربة الاولى سيفقد الطرف الآخر ١٣٢ مليون انسان، والطرف الذي سيرد الضربة سيفقد الخصم أيضاً نفس العدد. تكاليف الحرب اصبحت رهيبة وبالتالي ظهرت اساليب جديدة في ادارة الصراع.

في هذا الصراع، النموذج الامريكي يمثـل إغراء شديداً لكل المجتمعـات، الامريكيون لـم يصنعوا حضارة، ولـكن صنعـوا نمطاً للحياة. . أصبـح للاسف الشديد نموذجاً لدول كثيرة. .

عندما تكون قضية التنمية هي القضية المطروحة، الاتحادالسوفييتي يستطيع أن يلعب دوراً هاماً ويساعد الدول على تحقيق التنمية. . ولكن عندما يكون المطروح شيئاً آخر، نمطاً للحياة، فالنموذج الامريكي يغري كثيرين ويجذبهم اليه.

مع استحالة الحرب الساخنة، اصبح الامريكيون اكثر حركة. جروا الاتحـاد السوفييتي إلى سباق سلاح «يقطع النفس» انفق السوفييت في العام الماضي علـى الاسلحـة ٣٠٠ بليون دولار. . الامـريكيون قادرون علـى هذا الانفـاق وأكثـر، وقادرون أيضاً على أن يدمروا الاقتصاد العالمي كله ومع الاسف سيدمرون انفسهم أيضاً. . طرحوا في العالم كله «اليورودولارز». . ببساطة امريكا تقترض من العالم ٢ ترليون (أي ٢٠٠٠ بليون) دولار. . «اليورو دولارز» أوراق نقد تعطيها أمريكا بضمانها هي، أي اقتراض دون مقابل، امريكا في الواقع تخرب النظـام النقـدي العالمي السوفييت ليس لهم قدرة على التأثير في النظـام الاقتصـادي العالمـي. . امريكا تأخذ أيضاً فوائض اموال بترول العرب. .

للأسف الشديد السوفييت في الصراع الدائر الآن غير قادرين على منافسة امريكا. . في وقت التحرر الوطني والتنمية المستقلة، كان من الممكن أن نطلب من الاتحاد السوفييتي بناء السد العالي، التصنيع وكان قادراً على الاستجابة والتحقيق. . الآن القضايا اختلفت خصوصاً في الشرق الاوسط. أموال البترول كسرت كل أحلام التنمية القديمة (رغم صحتها). . المنطقة كلها غارقة في أموال البترول بما في ذلك تناقضاتها الاجتماعية. . صحيح أنها ظاهرة وقتية ولكنها سائدة. .

صادف هذه الظاهرة أن الاتحاد السوفييتي كان يمر بمرحلة انتقال في القيادة. . نتيجة لظروف عديدة، أصبحت بيروقراطية الحزب هي السائدة حتى أعلى المستويات في الاتحاد السوفييتي. . واعتقد أنه أمر يلفت النظر أن بريجنيف ظل يحكم الاتحاد السوفييتي ١٨ عاماً متواصلة، واجهه خلالها في امريكا حوالي ٥ رؤساء جمهورية، وجروميكو ظل وزيراً للخارجية ٣٠ عاماً حتى الآن، واجهه خلالها ١٠ وزراء خارجية في امريكا، وكل منهم له طقم جديد، ولكل رئيس مستشار للامن القومي، أي أن هناك فكراً متجدداً دائماً في امريكا بينما الاتحاد السوفييتي يبدو وكأنه لا جديد. من المؤكد أن هناك جديداً داخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي، لكن لا أحد يعلم عنه شيئاً. . بينما كل ما يحدث في امريكا، مطروح ويجذب اليه الانتباه ويؤثر. عملية التأثير الثقافي على العالم كله، خاصة العالم الثالث خطيرة من ناحية امريكا. . مثلاً أي انسان هنا مهتم بقضايا الامن الدولي والاستراتيجية، من أين يستقي معلوماته؟ أنا كقارىء لا أجد مركزاً سوفييتياً ينشر دراسات عن هذه القضايا اطلاقاً، بينما هناك عشرات المراكز والتقارير الامريكية تتناول كل شيء تقريباً. . فلنعترف أننا جميعاً نعتمد في الاستراتيجية، في الاقتصاد على الدراسات والتقارير التي تصدر من امريكا. . بينما لا نجد ورقة واحدة نعتمد عليها من الاتحاد السوفييتي. . هناك جمود في السياسة السوفييتية وتوقف. . ولو حسبنا متوسط عمر اهم مائه يؤثروا في القرار في امريكا والاتحاد السوفييتي، فسنجد أن متوسط السن في امريكا ٥١ ومتوسط عمر هؤلاء في الاتحاد السوفييتي ٦٩. . كيف يمكن أن تكون اكثر الدول الثورية في العالم محافظة إلى هذا الحد؟!

محصلة هذا كله، أن الحرب مستمرة بين امريكا والاتحاد السوفييتي، الحرب العالمية الثالثة تجري على قدم وساق.. امريكا تشد السوفييت إلى سباق تسلح رهيب، وتقدم نمطاً استهلاكياً للحياة لا يستطيع السوفييت مجاراته، وتقوم بمحاولة لعزل الاتحاد السوفييتي مستغلة جمود السياسة السوفييتية..

الآن بعد وفاة بريجنيف وتولي اندروبوف زعامة الحزب هل هناك جديد؟.. اعتقد ذلك. فمنذ ٥ سنوات كتبت كتاباً نشر في العالم عن العلاقات العربية السوفييتية وقلت فيه إن هناك نجمين بارزين في الكريملين «مازاروف» و«اندروبوف» وأن خلافة بريجنيف تنحصر فيهما. مازاروف تدهورت صحته وخرج من الساحة، ولم يعد هناك نجم ساطع في سماء الاتحاد السوفييتي غير «أندروبوف»..

وأغرب ما يقال عن أندروبوف في صحافتنا أنه رجل مخابرات (ك. جي. بي.) أصبح زعيماً للاتحاد السوفييتي.. ولم اسمع في حياتي هراء مثل هذا الكلام..

اندروبوف ليس ضابط شرطة أو مخابرات ترقى داخل الجهاز ثم أصبح رئيساً للدولة، ولكنه كلف من المكتب السياسي للحزب الشوعي السوفييتي بصفته رجلاً سياسياً مسؤولاً، بالاشراف على جهاز أمن الدولة في الداخل والخارج. تماماً مثل اختيار «هنري كيسنجر» في امريكا مستشاراً للامن القومي، وترأس لجنة الاربعين في البيت الابيض التي يعرض عليها كل التقارير، وتنظم وسائل جمع المعلومات وتحليها واعطاء التقريرات والاشراف على «السي أي ايه» المخابرات المركزية الامريكية، إلى جانب العمليات السرية.. ونيكسون هو الذي اعطى تعليماته الصريحة عن طريق «كيسنجر» لاغتيال سلفادور اللندي رئيس جمهورية شيلي.. ولم يكن كيسنجر ـ كما نعرف جميعاً ـ ضابط شرطة أو ضابط مخابرات، وإنما رجل سياسي..

لقد التقيت باندروبوف ٣ مرات منذ زمن طويل آخرها في يوليو ١٩٧٠ في أحد هذه اللقاءات كان جالساً ولم يفتح فمه بكلمة واحدة. كان يتابع مناقشة بين سوسلوف وبيني عن الصحافة، بعد أن قال الرئيس عبد الناصر، إن «الاهرام»

يحقق أرباحاً، فتساءل سوسلوف: كيف تكون من اهداف الثورة أن تحقق صحيفتها ربحاً؟ ودارت مناقشة بيني وبين سوسلوف عن طريق المترجم وكنت اتكلم بالانجليزية، ولاحظت أن اندروبوف يتابع المناقشة باهتمام ودون انتظار للترجمة.

في اللقاء الاخير، كنا نتكلم أندروبوف وأنا عن التغطية الاعلامية لموضوع التواجد السوفييتي للدفاع الجوي عن العمق في مصر زيارة موسكو عام ٧٠ عندما يعرف هذا الامر الخطير.

وفي اعتقادي أن الاتحاد السوفييتي تجاوز فترة الانتقال. لقد بدأت هذه المرحلة منذ ٥ سنوات عندما بدأ مرض بريجنيف، وبالتالي تم انجاز كل التوازنات الداخلية وتصفية قضية الخلافة وحسمها قبل موت بريجنيف. وقد لعب العسكريون دوراً هاماً في اختيار خليفة بريجنيف، لا أقصد بالعسكريين مارشالات الاتحاد السوفييتي ولكن أقصد الجيل الجديد من جنرالات الاتحاد السوفييتي الذين يعرفون علم الحرب الحديثة ومعنى الحرب النووية وحقائق العصر..

اذن بالنسبة لاندروبوف والسياسة السوفييتية في أول قيادته اتصور أن هناك مجموعة هامة من الحقائق الخصها فيما يلي:

١ ـ مشكلة فترة الانتقال قد حسمت.

٢ ـ إن الزعيم الجديد أكثر شباباً من بريجنيف، وعلى علاقة فهم عميق جداً لما يجري في العالم. لأنه بحكم وجوده على رأس جهاز أمن الدولة لفترة طويلة.. استطاع أن يطلع على صورة تفصيلية، وعلى تفاصيل التفاصيل لما يجري في العالم..

٣ ـ إن القضية لا تقف عند حدود المعلومات.. وإنما المعلومات تستند على حقائق العصر.

٤ ـ إن هناك نخبة جديدة في الاتحاد السوفييتي، تتمثل بالدرجة الأولى في «اوستينوف» أو البيروقراطية الجديدة في الحزب وجنرالات الاتحاد السوفييتي.. هذا الجيل أتصور أن لديه جديداً، ووعياً بحجم التحدي الذي يواجه الاتحاد السوفييتي.. ولديهم أيضاً حيوية جديدة.

مـن هـنا اتوقع نوعاً من المبادرات السوفييتية في الفترة القادمة، لاحت مقدماتها بالنسبة للعلاقة مع الصين، ومِمكن أن نشهد أيضاً تحركاً في افغانستان للخروج من المأذق الذي يواجهه الاتحاد السوفييتي هناك. .

أتصور أيضاً جديداً في الشرق الأوسط. . الاتحاد السوفييتي يرى بوضوح أنه خسر كثيراً في الشرق الأوسط وأنه تقريباً ترك الشرق الأوسط لا لامريكا فحسب وإنما لاسرائيل أيضاً. . ويجب أن لا ننسى أن الشرق الأوسط منطقة مجاورة تماماً للاتحاد السوفييتي، وهناك مصالح كثيرة جداً له في المنطقة. . من هنا اتوقع تحركاً جديداً في المنطقة وتنشيطاً للسياسة السوفييتية. . كيف؟ هذا ما ستكشف عنه الاحداث. .

أما بالنسبة للعلاقات المصرية السوفييتية، فوجهة نظري، أنه غير معقول أن لا يكون هناك سفير سوفييتي في مصر حتى الآن. . فهو أولاً أمر غير منطقي تماماً وثانياً لقد خرج السفير السوفييتي من مصر، ضمن «هوجة» سبتمبر ١٩٨١ أن المعتقلين في هذه «الهوجة» قد تم الافراج عنهم واظن أنه لا بد أيضاً أن «يفرج» عن السفير السوفييتي وأن تعود العلاقات المصرية السوفييتية إلى مستواها الطبيعي. .

● كثير من الساسة المعلقين يتحدثون عن الهزيمة العربية الرابعة. . وعن التواطؤ العربي اثناء الغزو الاسرائيلي وبعده.

ما هو تقييمك لموقف الانظمة العربية والنظام المصري ومبادرة ريجان وقرارات مؤتمر فاس. . والالحاح على منظمة التحرير الفلسطينية للاعتراف باسرائيل بعد اخراجها من بيروت وتشتيت مقاتليها؟

وما هو الطريق لكسر هذه الحلقة الجهنمية من الهزائم العربية؟

■ ليس هذا سؤالاً واحداً، وإنما هو عشرات من الاسئلة في صياغة واحدة.

أريد أولاً أن أسألك عن هذا العدد الذي ذكرته للهزائم العربية؟ تقول إنها أربعة. . وأنا لا أعرف ما هي القاعدة التي تستند إليها؟

لقد دخلنا في ست مواجهات مسلحة أمام اسرائيل على مدى الثلاثين سنة الماضية.

سنة ١٩٤٨ دخلنا في مواجهة كان هدفنا فيها منع اقامتها. وقد هزمنا وقامت اسرائيل، وقامت ضمن نطاق أوسع من نطاق التقسيم.

دخلنا في مواجهة معها بعد ذلك سنة ١٩٥٦، ولم تكن المواجهة مع اسرائيل وحدها، وإنما كانت مع بريطانيا وفرنسا ومعهما اسرائيل. وأنا اعتقد ـ والعالم كله يعتقد ـ إلا قلة من الناس في مصر مع الاسف ـ أننا لم نهزم في هذه المواجهة، وإنما على العكس من ذلك تماماً. انتصرنا انتصاراً اعتبره اكمل انتصار استراتيجي في التاريخ العربي المعاصر.

نحن أحياناً لا نفرق بين القتال والحرب.

القتال شيء والحرب شيء آخر.

الحرب جهد سياسي شامل، وميدان القتال مجرد ميدان من ميادين يدور فيها صراع الارادات، وهو في الأساس صراع ارادات تحاول كل منها أن تنتزع جائزة الحرب لنفسها.

ولقد كانت معارك القتال سنة ١٩٥٦ محدودة، لأن القوات المصرية في سيناء لم تزد عن ست كتائب. لأن المجموعة الرئيسية لقواتنا لم تكن في سيناء. وإنما كانت غرب القناة في انتظار البريطانيين والفرنسيين. صدر إليها الأمر بالانسحاب حتى لا تنقطع خطوطها عن قاعدتها الاساسية في مصر. طلب إلى هذه القوات بعد الهجوم الاسرائيلي يوم ٢٩ اكتوبر أن تقاوم لمدة ثمانية واربعين ساعة، وقاومت ببسالة ثم انسحبت. القوات البريطانية والفرنسية التي نزلت في بور سعيد لم تستطع أن تتقدم.

كان اعتماد ايدن ومولية في السويس على أن مجرد توجيه انذار إلى مصر سوف يكون كافياً في حد ذاته لارغامها على التسليم. ولم يحدث ذلك. وظلت مصر وحدها في المعركة أحد عشر يوماً انقلب فيها العالم رأساً على عقب، واضطرت قوات العدوان إلى الانسحاب واستقرت كل جوائز الحرب. قناة السويس وسيناء وحتى قطاع غزة في يد مصر، وإذن فإن مصر انتصرت في هذه الحرب.

واجهنا اسرائيل بعد ذلك ـ مرة ثالثة ـ سنة ١٩٦٧ وقد انهزمنا في معركة القتال، ولكن الحرب لم تنته بهذه الهزيمة، وإنما اتصلت الحرب واستمرت.. خسرنا معركة في القتال، ولم نخسر صراع الحرب، وظلت الارادة المصرية ـ ممثلة بقيادتها السياسية وبقواتها المسلحة ـ صامدة تمنع اسرائيل من تحقيق هدف الحرب.

ومع ذلك فأنا على استعداد لأن أقول إننا سنة ١٩٦٧ هزمنا. . هزيمة قتال لم تستطع انهاء الحرب ولا استطاعت أن تكون نهاية للتاريخ يتوقف عندها، لأن الارادة المصرية السياسية والعسكرية واصلت الحرب.

وهكذا جاءت الحرب الرابعة بيننا وبين اسرائيل. وهي حرب الاستنزاف. وقد استمرت هذه الحرب حوالي سنتين، ولا اعتقد أن نتيجتها كانت هزيمة لنا، بل إن هذه الحرب كانت المقدمة الطبيعية والتمهيد الضروري لحرب سنة ١٩٧٣ التي استطاع فيها السلاح العربي أن يحقق انتصاراً استراتيجياً بعيد المدى، وإن كانت السياسة المصرية قد عجزت عن استثمار ما حققه السلاح ـ وكانت هذه هي الحرب الخامسة بيننا وبين اسرائيل. ونحن بالقطع لم نهزم فيها، على الاقل في ميدان القتال.

نجيء إلى الحرب السادسة. . الحرب العربية الاسرائيلية السادسة، وهي حرب بيروت. وأنا لا اعتقد أن الثورة الفلسطينية خسرت هذه الحرب. بالنسبة للثورة الفلسطينية نفسها فإن العالم كله شهد لها بأنها قاتلت، وقاتلت بشرف وشجاعة، وأحدث قتالها ردود فعل هائلة في الدنيا وفي اسرائيل ذاتها.

ومع ذلك فأنا على استعداد لأن أقول إن العرب خسروا معركة لبنان، ولكن من الذي خسر؟ ليست الثورة الفلسطينية بالقطع. وإنما العالم العربي كله، أو بمعنى أوضح الأنظمة العربية كلها انهزمت في لبنان، والحقيقة أنها كانت قد انهزمت من قبل لبنان، وإن كان عجزها الكامل قد تجلى على صورة بشعة في لبنان.

لقد كان ما حدث أمام عيوننا في لبنان محزناً.

قوات اسرائيل تحتل عاصمة عربية لاول مرة.

اسرائيل تختار رئيساً لجمهورية بلد عربي لاول مرة.

اسرائيل ـ وقد تحولت إلى قوة امبراطورية في المنطقة ـ تتصرف كما يحلو لها وكما تشاء على طول المنطقة وعرضها دون راد أو رادع لاول مرة.

وكان كل ما قدرنا عليه أن نستدعي السفراء الامريكيين في العواصم العربية لكي نبعث معهم برسائل رجاء إلى الرئيس الامريكي بأن يطلب إلى اسرائيل أن تكتفي وتسكت.

اليس هذا بشعاً؟

هناك اسباب كثيرة لهذه الهزيمة العربية.

خروج مصر من الساحة العربية كان سبباً.

تغليب مصالح حكام الامة العربية على امن الامة كان سبباً ثانياً.

الاعتماد الكامل على الغير ـ الاستسلام للآخرين كان سبباً.

إننا عجزنا حتى عن إيجاد حل للحرب العراقية الايرانية، وكان بيننا لسوء الحظ من اسعده أن يغوص العراق في هذه الحرب لكي يأمنوا أي دور نشيطله في منطقة الخليج. اتذكر أنني ذهلت ذات مرة وأنا أسمع أحد الاقطاب العرب يتحدث عن هذه الحرب بين ايران والعراق، ويكون تعليقه عليها نصف بيت من الشعر يقول: وربما تموت الافاعي من سموم العقارب!

وفي النهاية فقد كان كل ما استطعنا أن نفعله في لبنان هو إخراج المقاومة الفلسطينية من بيروت، واعتبرنا ذلك انجازاً عظيماً رحنا نهنىء انفسنا به.

خرجت الثورة الفلسطينية إلى شتات أشفق عليها معه.

وبقي لبنان وحده يواجه أحلام الهيمنة الاسرائيلية من ناحية، ويواجه حروباً أهلية صغيرة من ناحية أخرى.

وبقية الامة العربية ـ ماذا فعلت؟

لقد تنادينا إلى اجتماع قمة في فاس. وكانت الفاس قد وقعت في الرأس ـ كما يقول المثل المصري.

وقبل مؤتمر القمة في فاس جاءتنا مقترحات ريجان وقلنا إنها تحتوي على عناصر ايجابية، والحقيقة أنني لم استطع أن اتبين هذه العناصر الايجابية.

كان ريجان يقول لنا بوضوح:

لا دولة فلسطينية ولا حق تقرير المصير للفلسطينيين. ولا انسحاب من الضفة الغربية أو غزة، وبالطبع لا شيء من القدس سوى التسليم بأنها العاصمة الابدية لاسرائيل.

ثم كان ريجان يقول لنا أيضاً إنه لن يتعامل مع منظمة التحرير الفلسطينية مهما كانت الظروف.

ولقد كانت العبارات الانشائية التي بدت ايجابية في مشروع ريجان محاولة اغلب الظن لامتصاص نقمة العالم العربي الذي اعتبر امريكا مسؤولة عن الغزو الاسرائيلي للبنان. وانتهى مفعول الكلمات بمجرد اختفاء طنين اصدائها.

وانعقد مؤتمر فاس في هذا الجو، ومن الواضح أن الغلبة فيه كانت لتجمع الملوك في المنطقة العربية. وبالطبع فإن ملوك العرب لهم كل الاحترام ولكننا نملك الحق في مناقشتهم. إن الملك الحسن ملك المغرب ـ وكان يرأس هذا المؤتمر ـ قال في احدى جلساته للآخرين: «اتركونا نعمل. لقد تركنا لكم الامور زمان طويلاً، ووصلنا إلى ما وصلنا اليه».

والحقيقة التي اسمح لنفسي أن استأذن ملك المغرب فيها أن الملوك كانوا يعملون:

ملوك السعودية ـ على سبيل المثال ـ كان همهم الاول اخراج السوفييت من المنطقة، واخراج السوفييت بدا باخراج السلاح السوفييتي منها. وكان معنى ذلك أن خيار الحرب بالنسبة لنا لم يعد موجوداً. فنحن ببساطة لا نستطيع مواجهة اسرائيل بسلاح نحصل عليه من امريكا وحدها. امريكا مهما فعلنا لن تعطينا سلاحاً ندافع به عن أنفسنا ضد اسرائيل.

ومعنى أن ينتهي خيار الحرب، أن خيار السلام نفسه لم يعد في ايدينا. ليس هناك سلام وليست هناك مفاوضات في عزلة عن موازين القوى العسكرية.

ثم إن ملك المغرب نفسه كان هو الوسيط بين الرئيس السادات واسرائيل، وفي قصره تم الاجتماع الاول بين موشى ديان وزير خارجية اسرائيل وبين حسن التهامي مستشار السادات، وكان ذلك قبل شهور من مبادرة القدس.

والاتصالات بين الرئيس السادات واسرائيل ادت إلى المبادرة، وإلى كامب دافيد، وهذه بدورها ادت إلى خروج مصر من المواجهة العربية، وبخروج مصر مال ميزان القوى وبشكل حاسم إلى صالح اسرائيل.

وانتهى مؤتمر فاس إلى خطة عمل. ولكن أي خطة عمل لا تسندها موازين قوة حقيقية، تصبح نوعاً من الاماني أو نوعاً من الاوهام.

ولقد رأينا أن الولايات المتحدة اعترضت حتى على وجود ممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية في وفد القمة العربية الذي سافر اليها ليعرض عليها المشروع العربي الذي صدر في فاس. وقبلنا استبعاد ممثل منظمة التحرير. وقابلنا ريجان، وكانت مقابلة تعيسة. فقد كان كل ما سمعه الوفد العربي منه هو ضرورة أن يعترف العرب كلهم باسرائيل أولاً، ثم يجلسوا معها للتفاوض!

ولقد سمعنا أخيراً آراء تنادي منظمة التحرير بأن تعترف باسرائيل حتى وإن لم تعترف بها اسرائيل، لان ذلك يجعل الولايات المتحدة تقبل بالتحدث معها. ثم قيل أيضاً إن منظمة التحرير تستطيع فيما بعد ـ إذا ارادت ـ أن تسحب اعترافها باسرائيل.

ومع احترامي لكل هذه الآراء، فإنني اختلف معها.

أولاً ـ لأن هناك فارقاً كبيراً بين الدولة والثورة. الثورة لا تملك الا أشياء معنوية تستطيع أن تعطيها، فإذا أعطتها لم يعد في يدها شيء. الدولة مسألة اخرى.

وأن نطالب منظمة التحرير بأن تعترف باسرائيل حتى وإن لم تعترف بها اسرائيل، فهذا معناه أننا نطلب إلى منظمة التحرير أن تستسلم قبل أن تبدأ المفاوضات.

وثانياً ـ هناك مسألة اخرى، وقد طرحها الملك حسين نفسه حين سأل عن اسرائيل التي يريدون منا أن نبدأ بالاعتراف بها، وفي أي حدود؟

إن اسرائيل تحتل كل التراب الفلسطيني. فإذا اعترفت بها الثورة الفلسطينية في هذا الوضع، فمعنى هذا أن الثورة الفلسطينية تعترف لاسرائيل بحقوق على كل التراب الفلسطيني، أي أن الثورة الفلسطينية في هذه الحالة تعطي اسرائيل كل شيء في مقابل لا شيء ـ غير قبول امريكا ـ على فرض أنها قبلت ـ بأن تتحدث اليها.

وثالثاً ـ فأنا أريد أن أسأل: كيف تسحب الثورة الفلسطينية اعترافها باسرائيل بعد أن تعترف بها؟ في حالة الدولة فإن سحب الاعتراف يعبر عن نفسه

بقطع العلاقات أو سحب السفير أو ما شابه ذلك من إجراءات. وأما الثورة فماذا تفعل لسحب اعترافها؟!

ورابعاً ـ فإنني أتصور أن أي طرف يعطي نصائح لطرف آخر، لا بد أن عنده ما يبرر له اسداء النصيحة. وأمامنا ما تقوله اسرائيل، لا يحتاج إلى ما عندي أو إلى ما عند أحد. وهي تقول إنها لن تعترف بالثورة الفلسطينية حتى وإن اعترفت بها الثورة الفلسطينية.

واسمح لنفسي ـ بكل احترام لاصحاب الرأي المطالب بالاعتراف الفلسطيني المسبق ودون اشتراط التزامن مع اعتراف اسرائيل ـ بأن اختلف!

وأليس غريباً أن نطالب ثورة تبعثرت عناصرها في ارجاء العالم العربي كله بأن تعترف من جانبها ومن طرف واحد بدولة اصبحت قوة نووية، لأننا نريدها أن تطمئن إلى أن الثورة المبعثرة لا تسعى إلى تدميرها؟

دعني أضيف لك على الهامش تعليقاً على ما سمعته عن وصول مبعوثين مصريين ـ هما الدكتور اسامة الباز والدكتور بطرس غالي ـ إلى بيروت.

لا بد أن اعترف على الفور أنني لم أفهم لأول وهلة ـ وقد أكون مخطئاً ـ سبباً لهذه الزيارة. ولربما جازفت بالقول بأنها في رأيي سابقة لاوانها، وأخشى أن بعض نقاد السياسة المصرية قد يجدون فيها اسباباً للنقد.

قد يقال مثلاً أن العاصمة العربية الوحيدة التي يوجد فيها سفير لاسرائيل تسارع الان إلى العاصمة العربية الوحيدة التي توجد فيها قوات للجيش الاسرائيلي.

قد يقال مثلاً لماذا لم تبعث مصر بمندوبين إلى بيروت عندما كان الشعبان الفلسطيني واللبناني يقاتلان في الظروف الحرجة، وهي الآن تبعث بمندوبين في فترة الساومات!

وبالطبع فإن من المحتم على مصر أن تهتم بشؤون كل بلد عربي، وأن تحاول بكل الوسائل أن تستعيد صلاتها الطبيعية بالعالم العربي ـ ولكن دعني اقول إن الباب اللبناني الذي اقتحمته اسرائيل ليس هو بالضبط ـ وفي الوقت الحالي ـ الباب الاصلح لاقتراب مصري مباشر من قضايا العمل العربي.

ومع ذلك فلعلى اكون متسرعاً في حكمي، ولعلى - وغيري - نسمع قريباً أن جهوداً مصرية قد استطاعت توفير امكانيات للتفاهم بين العناصر اللبنانية المختلفة بحيث تتأكد الصيغة اللبنانية للوفاق الوطني. فلا يطغى، فريق على فريق، ولا ينزع سلاح طرف، ويبقى السلاح في يد طرف واحد، ويلتزم الكل بدور لبنان الخاص، وهو متصل بأمن لبنان وبوجوده ذاته واستطاعت أن تقنع السلطات اللبنانية بأن تحاسب المسؤولين من الميليشيات عن مذابح صبرا وشاتيلا. وأن تقنع السلطات اللبنانية الرسمية بالافراج عن اكثر من الفي فلسطيني قبضت عليهم قوات الجيش اللبناني النظامي بعد أن قامت قوات اسرائيل بحصار بيروت، ثم قامت الميليشيات اللبنانية باجتياح المخيمات الفلسطينية بحمام دم رهيب، ثم تركت عناصر من الجيش اللبناني للخطوة الثالثة وهي اعتقال من تبقى في بيروت.

أقول بهذا وأنا أعلم مدى المعاناة التي تحملها الشعب اللبناني خلال السنوات من حمل السلاح بغير مسؤولية، ومن تجاوز على سلطة الدولة اللبنانية، ومن اهدار لا بسط حقوق الانسان لدى المواطنين اللبنانيين، لكننا إذا كنا نريد أن نبدأ صفحة جديدة في لبنان فعلينا وسط هذه الظروف العصيبة أن نفتح صفحة جديدة فعلاً، وليس أن نسوي ونصفي حسابات وتارات قديمة. وإلا فإن مستقبل لبنان يصبح في خطر.

وفي كل الاحوال، فقد كنت مستعداً لرفع أي تحفظ على وفد لبناني يجيء إلى القاهرة يشرح فيها ما يريد، كما فعل الشيخ بشير الجميل حينما ذهب إلى الرياض وإلى الرباط. ولكنني لا استطيع إلا أن اتحفظ على وفد مصري يذهب في هذه الظروف إلى لبنان ليشرح فيها هو، أو ليسمع.

وعلى هامش هذا الهامش فإن لديَّ ما يحملني على الظن بأن بعض الجهات تفكر في دعوة مصر إلى الاشتراك في القوة المتعددة الجنسيات في لبنان. ومع أني لا أعرف إن كان هذا الاقتراح قد عرض فعلاً على السلطات المصرية، ولا إذا كانت وافقت عليه أو رفضته - إلا أني مبكراً أرفع يدي اعتراضاً على الفكرة من الأساس. ذلك إقحام لمصر فيما لا تملك شيئاً فيه، وبما لا مصلحة لها فيه أيضاً. فكل هذا الذي يجري في لبنان الآن محاولة اسرائيلية - امريكية لا أعرف إلى أين تقود؟ ولا

ماذا تكون نتائجها؟ ـ وعلى أي حال فإن مصر كانت بعيدة من البداية، ولم يعد الوقت مناسباً لاقترابها آخر النهار، ثم هو يقود مصر إلى تعقيدات لا أريد أن اخوض في تفاصيلها.

ثم علينا أن نتأمل الوضع على الطبيعة.

إن اسرائيل فرغت ـ تقريباً ـ من عملية ضم الضفة الغربية وقطاع غزة.

وهناك بيننا من يقولون إن مصر اعترضت باسرائيل واستعادت سيناء، وفات هؤلاء أن سيناء غير فلسطين.

لم تكن لاسرائيل دعاوى تاريخية في سناء اطلاقاً، وإنما كانت لها مطالب أمن. وقد حصلت منها على اكثر مما كانت تحلم به.

نسينا أن الرئيس السادات نفسه قال مرة: إن اسرائيل عرضت عليه اعادة سيناء في مقابل خروج مصر من العالم العربي وأنه رفض.

وذلك يمكن أن يكون صحيحاً.

إن هدف اسرائيل الدائم كان اخراج مصر من العالم العربي وليس ضم سيناء وكان ضم سيناء معناه بقاء مصر باستمرار في ميدان الصراع العربي الاسرائيلي. ومصر هي الدولة العربية الأقدر على المواجهة مع اسرائيل، ولذلك كانت اسرائيل حريصة دائماً على أن تفك اشتباكها مع مصر إذا ضمنت خروجها من العالم العربي. وهذا حدث مع الاسف. وإذن فإن الخروج من سيناء يتفق ـ إذا خرجت مصر من العالم العربي ـ مع استراتيجية اسرائيل.

مطالب اسرائيل الحقيقية كانت دائماً فيما يسمونه ارض اسرائيل ـ كل فلسطين. وأنا على استعداد لأن أفهم موقف بيجين في هذا الصدد. استطيع أن افهم موقف من وجهة نظره. إن فكرة ارض اسرائيل قائمة على اسطورة شبه دينية. والاساطير لا تتجزأ. الاسطورة تصور غيبي كامل، إذا اخذت جزءاً منه فإنك تهدمه من الاساس. التاريخ شيء يختلف عن الاسطورة. التاريخ انساني. وما هو انساني نسبي. . وإذا قبل بيجين منطق الانسحاب من نابلس، فما هو الفارق بين نابلس وبين الناصرة مثلاً؟ ما ينطبق على الضفة الغربية ينطبق على الجليل.

إذا كان هناك رجل في هذه المشكلة أشعر بالتعاطف معه من غير الفلسطينيين فهو ـ شهادة لله ملك الاردن الملك حسين. هو في أصعب المواقف في ظني. فهو رجل ذكي، وهو مجرب، وهو يعرف الحقائق كلها. وهو معرض للضغوط من كل ناحية.

ريجان يضغط عليه طلباً للخيار الاردني، والملك يعرف ماذا تفعل اسرائيل، ويدرك أن الخيار الاردني فاتت فرصته.

والعرب يضغطون على الملك حسين، لأن الانظمة العربية تريد أن يبدو وكأن شيئاً ما يتحرك.

وبين الضغطين يحاول الملك حسين أن يكسب وقتاً في معركة يعرف أكثر من غيره أن المنتظر من نتائجها لا يكاد يذكر، وهو مع ذلك يحاول لعله يعطي غطاء للكل، ولعل وعسى تحدث معجزة.

قبل أن تجيء انت إلى لقائي الآن كان عندي زائر امريكي لعلك قابلته خارجاً من مكتبي وأنت تدخل إلـي كان قادماً من الارض المحتلة، وقد قال لي إنه لم يبق هناك أكثر من ٥ في المائة من الضفة الغربية تستطيعون استرداده لو أن رونالد ريجان استعمل كل نفوذه لدى اسرائيل. وكان في كلامه معي ينصح بسرعة القبول والا ضاعت هذه الخمسة في المائة وقد قلت له إذا كنا سوف نستعيد ٥ في المائة. من اراضينا في مقابل اعترافنا بخمسة وتسعين في المائة منها لاسرائيل، فإنني واحد من الناس أفضل عدم القبول.

قلت له إن اسرائيل في رأيي ـ تاريخياً ـ كيان محكوم عليه، خصوصاً بالطريقة التي يمارس بها حياته ودوره.

كل الموازين ـ تاريخياً ـ ضمه، حتى وإن بدا أن الاحوال الراهنة في العالم العربي مواتية له.

اسرائيل بقعة محصورة في بحر عربي واسع حولها.

العالم العربي سوف يتغير، وسوف تبرز قوى جديدة فيه اقدر واصلب.

دعني اذكرك أنه إذا كان العرب قد انهزموا في لبنان ، فإن اسرائيل لم تنتصر ـ بل أكاد اقول إن اسرائيل دخلت في حقل ألغام في لبنان .

عملية غزو ثبت أنها اكثر في تكاليفها مما قدروا . وأوضاع سياسية واجتماعية وطائفية ودولية تصعب السيطرة عليها وحسابات تفاعلاتها . ومجال انتشار واسع للقوات الاسرائيلية يجعلها معرضة بأكثر مما تعودت عليه القوات الاسرائيلية في عملياتها السابقة . . ومناخ نفسي وانساني يصعب تحمله ، وقد ظهرت ردود فعله أمامنا على المسرح السياسي الاسرائيلي نفسه .

ولا أعرف متى تستطيع اسرائيل الخروج من لبنان ، نحن أمامها فيه بالقطع شتاء قارس .

وبعد هذا الشتاء ، ما الذي ستحصل عليه من لبنان؟

لن تخرج بمعاهدة سلام على اغلب الاحتمالات ، لأن الصيغة اللبنانية لا تحتمل مثل هذه المعاهدة ، حتى وإن رغب فيها فريق من اللبنانيين .

شعب لبنان كله بموازين القوى العالية ، لن يستطيع أن يتحول إلى دويلة تحت الحكم الاسرائيلي .

واذا كانت مهمة اعادة تعمير لبنان ضرورية ـ فإن الأموال اللازمة لها ليس امامها إلا مصدر واحد عربي .

وإذا كان الرئيس اللبناني يريد أن يكون رئيساً لكل اللبنانيين وليس لفريق واحد فيه ـ فإنه مطالب بالوقوف أمام املاءات الهيمنة الاسرائيلية .

وإذا كان هذا الرئيس يريد الاحتفاظ بوحدة التراب اللبناني فلا بد أن يأخذ في اعتباره الوجود السوري ، وهو أكبر بكثير من مجرد التواجد السوري العسكري في سهل البقاع .

إن لبنان اثرت كثيراً على الجيش الاسرائيلي .

إن الجندي الاسرائيلي العادي فقد الكثير من معنوياته في اسرائيل . بل وأنا أعرف أنه فقد الكثير حتى من معايير الجندية التي كان يعتز بها . إنني اعرف وقائع

كثيرة تؤكد امامي أن جنوداً في الجيش الاسرائيلي ـ بل وضباطاً ـ اخذوا رشاوى على نطاقاً واسع لتمرير بضائع وشحنات تجارية. أقول اكثر من ذلك إن ضباطاً اسرائيليين اخذوا رشاوى لتفويت سلاح.

لبنان له تأثير مخيف على كل من دخلوه. الفلسطينيون عانوا من هذا التأثير. السوريون عانوا من هذا التأثير واسرائيل تعاني اليوم. وغداً سوف تعاني الولايات المتحدة!

تركيب اسرائيل من الداخل يهتز. الهجرة منها اكثر من الهجرة إليها. حياتها كمجتمع حامية عسكرية لا تحتمل. اقتصاد بغير اساس حقيقي اكثر من مليون عربي داخل حدودها المدعاة. تركيب السكان فيها يختل، وعناصر السفارديم ـ اليهود الشرقيين ـ يزيدون الآن عن عناصر الاشكنازي ـ اليهود الغربيين. ثم إن حماقة القوة والعنف تفترس كل افكار الرواد الاول الذين حلموا بالصهيونية كمجتمع جديد. نحن أمام مجتمع عنصري عسكري يدمر نفسه.

عن نفسي، أنا افضل انتظار التاريخ.. انتظار موازين التاريخ. إن هذه الموازين لن تجيء وحدها بطريقة تلقائية، وإنما سوف يتغير العالم العربي، سوف يتغير بالعلم والتعليم، وسوف يتغير بالوعي وبالتصميم. سوف تخرج اجيال جديدة تحمل قيماً متجددة. اجيال لا تغلبها المصالح الطبقية على مصالح امتها وعلى أمن شعوبها.

لم اكن ابالغ فيما قلته لهذا الزائر الذي كان عندي قبلك، ولا كنت احلم، ولا كنت مفرطاً في التشاؤم حيال الامر الواقع أو مفرطاً في التفاؤل حيال التاريخ.

العالم العربي كله امامي الآن في حالة مخاض. لقد سقطت مرحلة فيه. سقطت بالكامل. ولا به أن تبدأ فيه مرحلة جديدة، وسوف تبدأ.

سوف ندخل مرحلة تفاعلات عنيفة أرى مقدماتها أمامي الآن. سوف تدخل مرحلة صراعات هائلة وربما مخيفة. صراعات اجتماعية وفكرية وطبقية. لا أظن أن أي بلد في العالم العربي سوف يستطيع أن يتجنب هذه الصراعات. كلنا سوف

نكون في وسطها. مرحلة بأكملها سقطت. كان سقوطها النهائي في بيروت ومرحلة جديدة سوف تبدأ.

وأين يمكن أن تبدأ المرحلة الجديدة؟

رأيي من مصر. مصر دائماً بداية كل جديد في العالم العربي.

إن قيـادة مصر الحالية تملك الاجابة على سؤال أساسي وحيوي! هل هي ملحق لما كان في العالم العربي؟ أو هي مقدمة لما يجب أن يكون في العالم العربي؟

تسألني أيضاً ماذا تستطيع هذه القيادة أن تفعل، ردي كما يلي:

ـ لقد تراجعت مرحلة الثورة لاسباب كثيرة. وسقطت مرحلة الثـروة لاسبـاب عديدة. ولم يعد سبيل غير أن يتحمل الانسان العربي العادي مقـاديره، وهـو لا يستطيع أن يتحمل مقاديره إلا إذا حصل على حريته في أن يحلم وأن يفـكر وأن يعمل.

وأنا لا أريد ـ ولا أتصور ـ مطالبة القيادة المصرية الحـالية بمـا لا تسمـح به الظروف. ولكن علينا أن نجد وسيلة للتوفيق بين الواقع والامل.

أقول لك عملياً ما اتصوره.

إن مدة مجلس الشعب الحالي تنتهي في يونيو سنة ١٩٨٤. لتكن هذه نقطة تحول.. لنبدأ بالاستعداد لهذه الانتخابات.. بحرية تكوين الاحزاب. بحـرية اصدار الصحف. بحرية الاجتماع. بحرية المناقشة.. لنترك الانسان المصـري والانسان العربي يحمل مسؤولياته كما هو اليوم يحمل همومه ويتصدى هو لاقامة بناء جديد.

نحن الآن سنة ١٩٨٢ وما زالت أمامنا سنتان على ١٩٨٤ لتـكن هذه الفتـرة اعداد واستعداد لاتاحة الفرصة أمام الانسان حتى يمارس دوره. لم يعد لدينا غير الانسان المصري والانسان العربي.

في هاتين السنتين تكون مشكلة الامن الداخلي قد تمت مواجهتها. وتـكون المشكلة الاقتصادية الاجتماعية قد تم تشخيصها على الاقل.

أنا لا أطالب كما ترى بانقلابات مفاجئة، لكنني أقول ببساطة إن الامور لا يمكن أن تصل على ما هي عليه الآن. لا بد من تغييرات تحتمها طبائع الظروف، ولا بد من الاعداد والتأهب لهذه التغييرات التي لم يعد ممكناً سد الطريق امامها.

الحقيقة أننا في أوضاع غريبة. أحزاب ولا أحزاب ديمقراطية ولا ديمقراطية. خليط غريب من مراحل متعددة في تجربتنا الوطنية.

سوف اعطيك أمثلة.

كان هناك عندنا تنظيم واحد. وكان ذلك شيئاً طبيعياً لاننا كنا نتحدث عن مجتمع تذوب فيه الفوارق بين الطبقات.

تركنا مرحلة المجتمع الذي كان يجب أن تذوب فيه الفوارق بين الطبقات ودخلنا في عهد الانفتاح. ليكن الانفتاح عودة للاقتصاد الحر، ومع أن ما حدث طبقاً لسياسة الانفتاح لم يكن بالقطع اختياراً للاقتصاد الحر، وإنما كان شيئاً آخر. على أي حال الاقتصاد الحر وحتى الانفتاح يعني ترك الفرصة للمصالح المختلفة تحقق مطالبها. إذا كان ذلك فإن هذه المصالح المختلفة ينبغي أن تكون لها تعبيراتها السياسية المستقلة عن نفسها، وهذا معناه الاحزاب الحزب هو الطليعة المتسيسة لطبقة اجتماعية، ولا يمكن أن يكون للحزب معنى غير ذلك.

وإذا كان هذا صحيحاً فإن التعدد الطبقي يجب أن يصحبه التعدد السياسي، ويجب أن تكون لهذا التعدد السياسي وسائله.

ونحن نتحدث الآن عن تعدد احزاب، ومع ذلك فإن هناك بقايا راسخة من عهد ومنطق التنظيم الواحد.

على سبيل المثال:

انشاء الاحزاب الجديدة مرهون بتصريح من لجنة الاحزاب التابعة للجنة المركزية، للاتحاد الاشتراكي العربي؟

أين هو الاتحاد الشتراكي؟ أين هي لجنته المركزية؟

مثال آخر:

في عهد ومنطق التنظيم الواحد كانت الصحف كلها ملكاً له، ولا تزال الصحف كلها ـ فيما عدا استثناءات قليلة ـ ملكاً لهيئة واحدة هي مجلس الشورى، الذي هو في حقيقته هيئة تمثل تنظيماً سياسياً واحداً ـ على فرض أنه بالفعل سياسي واحد.

مثال آخر أهم:

في عهد ومنطق التنظيم الواحد، كان يمكن أن يكون وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة عضواً في التنظيم الواحد. والغريب أن هذا الوضع الذي كان ممكناً فهمه ولو من الناحية النظرية حين كان القول بصيغة تحالف قوى الشعب: الفلاحين والعمال والرأسمالية الوطنية والمثقفين والجنود ـ بقي بعد أن اسقطت صيغة التحالف من أساسها. بقي من هذه الصيغة شيء واحد، يتصل بمشاركة الجنود. وهو صلة وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة بتنظيم سياسي بعينه. . هو في الواقع حزب سياسي وهذه مسألة تحتاج ـ ضمن مسائل كثيرة ـ إلى مراجعة.

اشياء كثيرة في الواقع تحتاج إلى مراجعة لكي نصغي آثار مراحل تكدست بقاياها واختلطت، واصبحت نوعاً من «السلاطة» السياسية غريبة الشكل، غريبة المذاق!

وإذا كنا نريد أن نبدأ جداً وحقاً، فلا بد أن نبدأ من الآن. والبداية الصحيحة حوار وطني يبدأ في أول فرصة مناسبة ليناقش قضايا حيوية وأساسية. كقضية تحديد الملامح الأساسية في استراتيجية مصرية محددة الخطوط واضحة الاتجاهات للمرحلة المقبلة، وكذلك قضايا كبرى معلقة مثل قضية الصحافة وملكيتها وحريتها، فليس يعقل أن يكون قصارى ممارسة الحرية هو إقامة ما يشبه حفلات الزار لهذه الحرية، أو ممارسة الحرية تجاه الأموات فقط. فحرية الصحافة بمعناها الحقيقي والأصلي هي مناقشة القرار السياسي وعوامل صدوره، والمناخ الذي يصدر فيه والاعتبارات التي يتوخاها والأهداف التي يقصد إلى تحقيقها.

ومن سوء الحظ أن الرئيس السادات كان يعتبر مثل هذا تدخلاً في السياسة من جانب الصحفيين، وكان يرى أن الصحافة مجالها الوحيد لممارسة الحرية هو مناقشة مشاكل المجاري والمياه والمواصلات. ولا شيء أكثر من ذلك، وهو وضع آن له أن يتغير. ثم أن الظروف يجب ـ حين تتاح لتكوين أحزاب جديدة ـ أن تعطي الفرصة لاصحاب هذه الاحزاب أن يصلوا إلى جماهيرهم وأن يشركوها في الحوار الوطني عن طريق مبادئهم وبرامجهم. . هناك قضايا كثيرة لا بد أن يشملها الحوار العام المفتوح الذي يجب أن يهمه لسنة ١٩٨٤ . واعتقد أنه من الضروري الآن طرح جدول أعمال لمهمام إعادة التنظيم والبناء. لأن المنطقة كلها مقبلة على أحداث جسام ـ جدول أعمال بتوفيتات محددة تقرر مواقيت لبدء الحوار، ومواقيت لفتح باب تكوين الاحزاب، ومواقيت لاوراق عمل لا بد من اعدادها لمجلس سنة ١٩٨٤ حتى تكون الصورة امامه واضحة، وامكانيات حركته واضحة بما في ذلك حقه في تعديل الدستور.

أقول هذا كله وأنا اعتبر نفسي خارج لعبة السياسة المصرية وخارج لعبة الصحافة المصرية. قلت ذلك وما زلت عنده. وأن كنت اعتبر نفسي مواطناً مهتماً بالشؤون العامة. متابعاً لتطوراتها. حقه أن يبدي بين حين وحين رأياً يطرحه دون إلحاح.

والحقيقة أن مسائل كثيرة يجب مراجعتها عند اعادة النظر في الدستور، وفي مقدمتها ضرورة النص على المبادىء الاساسية للاستراتيجية والامن المصري بحيث لا تتحول السياسات إلى مغامرات أو شطحات خيال.

ثم إن مدة رياسة الجمهورية تقتضي تحديداً واضحاً، وكذلك يحتاج إلى نفس التحديد منصب نائب رئيس. وإلا تحولت الرياسة إلى ملكية طول العمر لرجل، واصبحت نيابة الرياسة ولاية عهد لمن يقع عليه اختيار نفس الرجل. وربما كان ملائماً أن ناخذ بالقواعد الامريكية في هذا الصدد: مدتان للرئيس وليس اكثر، وثماني سنوات وليس اطول مهما كان لحكم رجل واحد. ثم إن نائب الرئيس يختاره الشعب معه ويستكمل مدة ولايته إذا طرأ ما يقطع استمرارها.

● **استاذ هيكل. . ما هي آخر مؤلفاتك التي ستظهر في السوق والتي تنشغل بها حالياً؟**

■ آخر مؤلفاتي كتاب «خريف الغضب» وقد وصلني غلافه، وسيظهر خلال الشهر القادم باللغة الانجليزية و ٢١ لغة اخرى.

لقد حزنت هذا الاسبوع لان شريكاً ورفيقاً لنا في جزء من تجربة خريف الغضب قد ترك دنيانا ورحل. . اقصد الدكتور محمود القاضي.

يوم لقيته في المستشفى اخر مرة قبل اسبوع، حدثته عن هذا الكتاب. وكان من أماني أن اقدم لك نسخة منه.

لقد فقدنا عدداً من الرجال الذين كانوا معنا في تلك التجربة الكبيرة. . تجربة سجون سبتمبر ١٩٨١. مشهد من مشاهد خريف الغضب.

فقدنا عبد العظيم أبو العطا، وفقدنا عبد العزيز الشوربجي. وهذا الاسبوع فقدنا محمود القاضي. كانت الدموع في عيني وأنا اسير في جنازته، وهناك من يهتف بين المشيعين «من اجلك يا مصر» وداعاً له لم اشعر بمثل هذا الحزن من امد طويل. لم أكن اعرف محمود القاضي عن قرب قبل تجربة السجن. واثناءها وبعدها عرفته. كنت حزيناً عليه وحزيناً من اجل مصر. هذا بئس رجل لم تسمح له الظروف أن يعطي لمصر كل طاقته. كان لديه ـ كانسان وكصاحب مبدأ وكمقاتل صلب ـ كثير يعطيه، لكنهم حاربوه وضاقوا ذرعاً به، ولم يسمحوا لعطائه أن يصل كاملاً إلى بلد يتشوق لعطاء القادرين من ابنائه.

أي خسارة لهؤلاء الذين عرفوه كما ينبغي. . . أي خسارة لمصر التي لم تتح لها الفرصة أن تعرفه كما ينبغي. ها نحن نتابع نعشه إلى القبر، وما كان اجدرنا بأن نتابع تقدمه من اجل شيء عظيم كان يستطيع أن يقدمه لمصر، في موكب من اجل الحياة وليس في موجب جنائزي.

والآن تسألني عن عمل. . . ماذا افعل وفي أي شيء اعمل؟

حالياً بدأت بإعداد كتاب عن حرب السويس سنة ١٩٥٦. فقد طالبني الناشرون بهذا الكتاب، وكنت مفاجأ بهذا الطلب واتصور أن الموضوع قد استنفذ

ولكنهم يرون أن وجهة النظر المصرية القريبة من الاحداث لم تكتب كاملة.

بعد الانتهاء من هذا الكتاب، سأتفرغ لكتاب عن التاريخ المصري المعاصر من بعد نهاية الحرب العالمية الثانية إلى حرب اكتوبر، مع التركيز على حقبة عبد الناصر. ولا أريده تاريخاً بالمعنى الأكاديمي. ولكنني أريده رواية متصلة للاحداث والوقائع والافكار المؤثرة في تلك الحقبة. وسيشتمل على مجموعة من الوثائق الخطية لعبد الناصر لنشر لاول مرة. . لقد ادعى كثيرون عن هذه الحقبة كما تصوروا. وأظن أن الناس الآن ليسوا مستعدين لسماع حكايات اخرى تجري على هوى ومزاج الرواة. وقد التزمت في هذا الكتاب أن لا ذكر واقعة لا استطيع توثيقها.

● سؤال اخير. . كنت شريكاً بصورة أو أخرى في ظل عبد الناصر، ولفترة من حكم السادات.

ما هو دورك بالنسبة لحكم الرئيس حسني مبارك؟

■ لم اكن شريكاً لعبد الناصر أو السادات. لقد كنت طرفاً محاوراً لعبد الناصر طول الوقت، وحاولت أن اكون طرفاً محاوراً للسادات، وحدث ذلك لبعض الوقت. وبالنسبة للرئيس حسني مبارك لا املك الا الدعاء له، وأنا بالفعل ادعو له من صميم قلبي لأنه يواجه اصعب ظروف واجهها حاكم مصري في العصر الحديث، لكنني اثق أنه سوف يحمل امانته هناك من يتصورون أن الامور تسير أبطأ مما كانوا يتوقعون. لكنني من جانبي اتصور أنه بحكم خبرته السابقة كطيار يركز على عنصر السلامة والامان قبل أن يتحرك وقبل أن يحلق، وأنا استطيع أن افهمه وأن كنت ادرك في نفس الوقت أن الظروف الآن اصبحت تحتم أن تدور المحركات وأن يبدأ الاستعداد للانطلاق.

نعيش ظلال الحقبة الاسرائيلية

نحن نعيش «الحقبة الاسرائيلية» بعدما اجهضت السياسة ما فعله السلاح في حرب ١٩٧٣ . هذا هو رأي محمد حسنين هيكل «بصراحة» وبعد صمت طويل. ولكن الكاتب والصحافي الكبير غير يائس، فهو يبشر بحقبة جديدة، حقبة عربية تلعب فيها مصر دورها في مواجهة «الامبراطورية الاسرائيلية».

الصامت الأكبر في حديثه مع «كل العرب» الذي أجراه مراسلها في القاهرة، يتحدث عن ظروف مصر. عن نظام السادات. عن «الكويت» التي وزعها بسخاء قبل موته. عن الفساد. عن حسني مبارك. عن شخصيته. عن قدرته على الحركة. عن التغيير المطلوب. عن مصر بسيناء ومصر بلا سيناء. عن مصر مع العرب ومصر بلا العرب. . .

هيكل يتحدث عن ظروف العالم العربي. عن الانفصام بين الواقع والكلام. عن الصراع العربي ـ الاسرائيلي «الممكن حله» ولكن ليس «بالضحك على الناس» كما فعل السادات. عن الحوار مع أميركا. عن التفاوض مع اسرائيل. . .

هيكل يتحدث عن محنة لبنان «نقطة الضعف» في العالم العربي. عن القضية الفلسطينية. عن الثورة «رهينة» الاختلاف أو الاتفاق بين الدول العربية. . .

هيكل يتحدث عن هيكل. . . عن صمته. عن كلامه. عما يعتزم أن يفعل ويكتب. . . كل ذلك «بصراحة» وجرأة وموضوعية، كما عرفه قراؤه منذ عهده القديم بهم.

ومحمد حسنين هيكل يصمت عن حكمة، ويتكلم عن حكمة. وهو كبير في كبريائه عندما يلوذ بصمته. وهو يمتلك القدرة على الاقناع بالمنطق والتفسير والتحليل عندما يختار الكلمة تعبيراً عن رأيه وموقفه.

● كل العرب ـ ٢٢/ ١٢/ ٨٢ ـ ممدوح طه

قلت للصحافي الكبير:

● **لماذا صمت الأستاذ هيكل لمدة عام منذ الافراج عنه وحتى الآن. لم نقرأ مقالاته أو أحاديثه الصحفية؟ ومتى يستأنف الكتابة؟ وعما سيكتب؟**

■ أستطيع أن أقول إن عدة عوامل هي التي دعتني إلى هذا الصمت. العامل الأول منها أنه عقب خروجي من السجن بعد فترة طويلة من الصدام مع الرئيس السادات، كنت أشعر أن كافة الأمور بالنسبة لي؛ بما فيها آرائي، تحتاج إلى امتحان، لأنه وقعت تغييرات كبيرة جداً.

وهنا أود أن تلاحظ أن اختلافي مع الرئيس السادات بدأ منذ فك الارتباط الأول. صحيح أنه حدثت محاولة بعد فك الارتباط الأول للعودة بعلاقتنا مرة أخرى، إلا أن الخلاف ازداد عمقاً بعد فك الارتباط الثاني، وتمول الخلاف إلى قطيعة كاملة ودائمة. .

ومنذ ذلك الوقت، وقعت أحداث كثيرة وكبيرة، وهي أحداث كانت تشدني بالضرورة لأن أسهم فيها بالرأي. فبعد فك الارتباط الأول والثاني، انتقلنا إلى أحداث كانون الثاني/ يناير ١٩٧٧ في القاهرة، والخلاف حول تفسيرها اجتماعياً أو بوليسياً. ثم وقعت المبادرة وما أعقبها والتي انتهت بتوقيع صلح منفرد مع اسرائيل. كل هذه الأحداث بالنسبة لي كانت مرحلة طويلة انتهت بي، كما قلت، إلى السجن.

وفي نفس الوقت حدثت متغيرات واسعة في مصر والمنطقة العربية. ومن السجن كان اقتناعي أن الأمر يقتضي وقفة لاعادة التأمل والتفكير. وقفة لمراجعة

كل المواقع ولاعادة تقييم الصورة كلها من خلال نظرة كاملة وشاملة، ولذلك فإن اعتقادي أن حادث المنصة جاء ليختتم فترة كاملة من أحداث مصر بنفس الدرجة التي كان حريق القاهرة عام ١٩٥٢ فيها ختاماً لدورة من الحياة السياسية في مصر.

وأظن أنه لا جدوى من محاولة أي طرف لإنكار ذلك، فنحن بالقطع أمام مرحلة جديدة. وهذا في حد ذاته عامل يقتضي اعادة النظر والتقييم للمسائل.

أما العامل الثاني، فهو إنني لم أشعر أن لدي المنبر الذي أستطيع منه مخاطبة الناس، وليس مسموحاً لي بمنبر معقول أخاطبهم من خلاله. وعلى أية حال فإنه حتى لو توافر مثل هذا المنبر في إطار ما هو قائم، فقد كنت غير مستعد على الأقل لأن أقترب منه مجرد اقتراب.

صحيح أن هناك صحف الأحزاب، وهي صحف لها خطوطها وسياساتها، ومن ثم فإن أصحابها أحق بالاستفادة من مساحاتها، وليس من حق أحد من خارج الحزب أن يقتحم هذا الحق، وحتى إذا حدث ذلك مرة أو أكثر فإنه قد يتم من باب الضيافة التي لها حدودها، خاصة إذا اختلفت الخطوط بينك وبينهم.

العامل الثالث، هو إنني كنت أعتقد أن مصر في بداية أوضاع جديدة من حقها أن تعطي فرصة كاملة تبين فيها مواقفها، ولذلك قال لنا الرئيس مبارك، عقب خروجنا من السجن بالطريقة الدرامية التي حدثت، انه يريد ثلاثة أشياء: الأولى صفحة جديدة من تاريخ مصر، والثانية حوار مع كل القوى الوطنية، والثالثة وقت أفكر فيه.

ساعتها أحسست أن الأمر يقتضي ما هو أكثر من عدة أسابيع، لأن الخيارات المطروحة والظروف المختلفة وحساباتها أمور تحتاج في تصوري إلى فترة تزيد عن شهور.

يبقى أنه بالنسبة للكتابة خارج مصر، والتي اتجهت اليها منذ عهد الرئيس السادات عندما أغلقت أمامي كل المنابر، كانت القضية وقتها في تصوري محددة في التأكيد على استمرار الارتباط والالتزام المصري بالقضية العربية، من خلال صوت مصري يُسمع من داخل مصر وليس من خارجها، صوت يؤكد أنه رغم كل

الظروف والمشكلات فإن في مصر تياراً يلتزم بكل ما عهدته الأمة العربية بمصر. وعندما تغيرت كل هذه الظروف وحدث ما حدث وتكلم الشعب المصري كله لم يعد هناك ما يدعو للكتابة في العالم العربي.

هذه كلها العوامل أو الظروف العامة التي رأيت فيها أن التأمل وإعادة التقييم ضرورة، بالاضافة إلى عامل شخصي ككاتب صحفي محترف، هو أنه كان أمامي كتاب «خريف الغضب». وكان هناك إلحاح شديد في أن يصدر في موعده.

● **يبقى السؤال متى تستأنف الكتابة وليس مجرد الادلاء بالأحاديث، على سبيل المثال كنت تكتب لـ «الصنداي تايمز» البريطانية فهل تعود قريباً للكتابة مرة أخرى؟**

■ بالنسبة لـ «الصنداي تايمز» فأنا أنتظر حتى يبدأ نشر كتاب «خريف الغضب» على صفحاتها من شباط/ فبراير القادم في حلقات، في نفس الوقت الذي ينشر فيه في مختلف أنحاء العالم بـ ١٩ لغة حتى الآن. بعدها أعود لاستئناف كتابة مقالاتي فيها مرة أخرى.

● **يبدو أن هناك محاولة للاستمرار بـ «نظام السادات» بدون السادات. هل يرى الأستاذ هيكل ذلك ممكناً؟**

■ سوف أعيد اليك السؤال مرة أخرى: هل نستطيع أن نختلف في أن السادات كان نجم هذا النظام؟ بالطبع، لا. وهل هناك من يختلف على أن السادات كان صانع هذا النظام؟ أعتقد أن الاجابة أيضاً لا. إذن، إذا كان النظام لم يستطع مواجهة أزماته في حضور الصانع والنجم، فهل يستطيع مواجهتها في غيابه؟

لهذا أعتقد أن أية محاولة من هذا النوع تتجاهل ليس فقط حقائق الواقع، لكنها تتجاهل أيضاً التاريخ، وتتجاهل التجربة العلمية وواقع الأمور. هل تستطيع أن تتخيل فيلماً سينمائياً تحذف منه فجأة كل المشاهد التي تضم بطل الفيلم أو نجمه بكل تجاربه وتأثيره؟ أعتقد أنه سيصبح أمراً أقل مسألة ما يوصف به هو اللامنطق.

ولكن تبقى مسألة التغيير. بالقطع هناك قوى معادية للتغير. وهذا أمر طبيعي،

لأن أي نظام أو حكم هو تعبير عن مصالح قائمة أو استناد إلى مصالح قائمة. هذه هي طبيعة السلطة، لذلك فإنه من الطبيعي أن كل المصالح القائمة والتي استفادت أو ساندت إلى حد ما الوضع السابق سوف تتصدى بالضرورة لمواجهة أي تغيير، لأن التغيير ببساطة شديدة يدفعها لمشاكل لا حدود لها، فهو على الأقل سوف يأخذ منها امتيازاتها.

ولذلك لا بد أن نتصور أنه من الطبيعي أن توجد عناصر التغيير وعناصر تعادي التغيير، والحكم في اللحظات التاريخية لحركة الجماهير. ونظرة واحدة للمجتمع تجد أن هناك قوى تنادي بالتغيير، وقوى تعارض التغيير، وكل منهما يصارع الآخر على أن يأخذ الجماهير إلى جانبه.

ولكن يجب أن ندرك أن اهتمام الناس بالسياسة ضعيف. الناس تهتم بمشاكلها، وعن طريق اهتمامها بهذه المشاكل الحياتية تستطيع أن تصل إلى فهم السياسة.

وباستمرار في أي مجتمع فيه حكومة ومعارضة، هناك دعوة للتغيير ودعوة أخرى لبقاء الأمر الواقع، والاثنان يتصارعان على مَنْ منهما يأخذ الناس إلى جانبه.

وفي رأيي أن الجماهير انحازت إلى جانب القوى المطالبة بالتغيير، وبالتالي أصبحت الضغوط أو القوى الضاغطة من أجل إحداث التغيير لها الوجود الأقوى، والقوي الأخرى تقوم بحرب التأخير في محاولة لكسب الوقت.

فإذا أخذت ناحية الفساد مثلاً، فقد جاءت قضية رشاد عثمان، ثم توفيق عبد الحي، وجرت محاولات لوقف الأمور عند هذا الحد، وهي محاولات من جانب القوى المعادية للتغيير بالطبع. ولكن جاءت قضية عصمت السادات.

السؤال ما هي نتيجة ذلك؟ على سبيل المثال في قطاع البنوك، تجد كل الناس تتحدث عن الانفتاح، وأسأل البنوك عن حالتها اليوم وحالات التوقف عن الدفع والسداد. وهذا معناه أنه جرت منذ الفترة الماضية عمليات نهب. المهم أن كل جوانب الصورة انكشفت وكشفت عن تلك التسهيلات المصرفية التي اعطيت لأشخاص دون أية ضمانات، الأمر الذي يطرح أوضاع السوق وعمليات

الاستنزاف التي يتعرض لها المجتمع، بمعنى أنها أصبحت سلسلة من الحلقات المتتابعة، ورغم كل محاولات الوقوف ضد احتمالات التغيير، إلا أن هذا التغيير، رغم البطء في حدوثه، يتم خطوة خطوة. المهم في القضية كلها أن الجماهير نفسها انحازت بالفعل إلى جانب القوى التي تنادي بالتغيير.

● **حول قضية التغيير أيضاً. هل تعتقد أن «فترة السماح» قد انتهت بالفعل؟ وبمعنى آخر، هل يمكن أن نعرف رؤيتك حول مصر وإلى أين؟**

■ أنا ضد من يتصور أن يعيش التاريخ باعتباره توقيتات، يمكن فيها أن تنظر إلى ساعتك لتقول مضى نصف ساعة. ليس هناك مثل ذلك التاريخ، ولكن هناك فقط النظرة إلى العملية التاريخية. هل تأخذ مجراها أم لا؟

وأنا أعتقد انها تأخذ مجراها. إذن ليست هناك لحظة زمنية محددة يمكن أن توقف الزمن عندها لتقوم بعملية قياس لأنك أمام عملية مستمرة ليست فيها لحظة يمكن أن تقول إن التاريخ انتهى والأحداث توقفت. هذا أمر جائز في مباريات الكرة ولكن في التاريخ لا.

● **تحدثت من قبل عن عوامل كثيرة بنيت على أساسها إعلانك عن تأييدك للرئيس حسني مبارك. وكان بين هذه العوامل التي تجعلك مطمئناً «درس حادث المنصة» وأيضاً «سنّ-الرئيس»؛ أي فترته التكوينية التي تمت أثناء الفوران السياسي والاجتماعي في الخمسينات والستينات. فهل تأكد ظنك في تأثير هذه العوامل على مسلك الرئيس خلال عام؟ وما الذي نجح فيه وما الذي اخفق فيه؟**

■ كل إنسان منا موجود في مناخ معين وبيئة معينة ويتأثر بأفكار معينة تولدها البيئة. لهذا قلت الفترة التكوينية للرئيس مبارك. فهو رجل عمره ٥٣ عاماً، أي إن فترة الخمسينات والستينات هي فترة الفوران السياسي والاجتماعي فعلاً، ولا يمكن أن أتصور أن الرئيس مبارك كان بعيداً عن هذا المناخ، فقد كان شأنه شأن أي شاب في هذه الفترة.

ومع ذلك تبقى التجربة نفسها هي الأساس، بمعنى أنه يمكن أن تتأثر بعوامل

معينة، ولكن عند التجربة قد تصطدم بظروف أو عوائق تمنعك من التعبير عما تأثرت به، بل وقد يأخذ تعبيرك اتجاهاً مضاداً لكل ما تأثرت به. ولكن بالنسبة للرئيس مبارك، فإن النقاط الموضوعة تقول إن أولها هو وليد هذه الفترة، فترة الخمسينات والستينات بكل فورانها، ثم كونه شاهداً على حادث المنصة بكل ما يعنيه هذا الحادث من أبعاد لا شك فيها ودروس ليست أيضاً محل شك.

نعود إلى نقطة الفترة التكوينية للرئيس مبارك والتطبيق العملي لهذا التكوين، فمن المؤكد أنه من غير المتصور أن لا تترك فترة الخمسينات والستينات انطباعاتها القوية والمؤثرة على الرئيس مبارك الذي كان وقتها في القوات المسلحة، والتي كانت رأس الحربة في صراع من أهم صراعاتنا، وهو الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

والنظرة إلى التطبيق تقول إنها عكست بصدق ذلك التكوين، فمثلاً عندما يقول الرئيس مبارك لا لن أذهب إلى القدس. فهنا أنا أقطع بأنه لو كان الرئيس السادات موجوداً لذهب إلى القدس. ولكن مع الرئيس مبارك نحن أمام شخص اعترضته القضية مبدئياً، ونحن أيضاً أمام شخص بدأ يتحسس طريق مصر العربي، وشخص اختلف في قضية الحكم الذاتي اختلافاً واضحاً، وقال إنني لست متعارضاً ولا متحدثاً باسم الفلسطينيين، ولا أتنازل عن شيء يخصهم.

ومع كل ذلك لا بد أن نسلم أن مجمل الظروف التي ورثها الرئيس مبارك تحدد حركته وتحد منها إلى أبعد حد، وبمعنى أنه يحتاج إلى وقت أطول لتخليص نفسه.

أَخْلُصُ من ذلك إلى أن التأثير موجود من الناحية الموضوعية، ويعبر عن نفسه بكثير من الظواهر من الناحية العملية. صحيح أنه يمكن أن نقول إن هذه الظواهر ليست كافية، ولكن عليك وأنت تحسب الفارق بين الواقع والتمني أن تعيش الصعوبات الموجودة.

وأستطيع أن أدعي أنه لا الرأي العام العربي ولا الرأي العام المصري يعلم حقائق الموقف الذي تمر به مصر. مصر مقيدة بالكثير من القيود، وأي حركة فيها لا بد أن تتم بحذر وحرص. ومن الضروري أن تضع حساباً للحقائق الموضوعية ومجمل الظروف التي وجدها الرئيس مبارك أمامه.

أنا شخصياً أستطيع أن أقول، كمراقب، وبمجمل الظروف المحيطة بالرئيس مبارك ومجمل تصرفاته تأكيد للحكم الذي قلته، وهو أنه أمام وضع جديد يفهم ما يجري حوله، وضع قادر على تحليل الحقائق التي أمامه، ووضع يستجيب وطنياً وقومياً بقدر ما يرى.

ولكن لا بد أن نسجل في نفس الوقت أن ذلك يتم بخطوات بطيئة، وإن كانت في الاتجاهات السليمة، وهنا أقول خطوات بطيئة مدركاً لظروف الوضع الدولي والوضع الاسرائيلي وموازين القوى العسكرية في المنطقة والظروف الاقتصادية والوضع العربي، ولكنك لا تستطيع أن تحدد لغيرك كيف يتصرف.

● **وكيف ترى مصر الآن. هل عبرت «خريف الغضب» إلى الاستقرار؟**

■ لا. . خريف الغضب مثل أي موسم يمضي. لكن الاستقرار لا. الخريف مثل الربيع وباقي الفصول، مجرد مواقف زمنية تمضي ولكن السؤال هو ما إذا كنا وصلنا إلى الاستقرار أقول لا. . . لأنه ليست هناك حالة نحسّ فيها بالاستقرار. وأنا ضد الدعوة للاستقرار، لأن طبيعة الأمور التغير باستمرار.

ولكن كنت تسأل عن عواصف «خريف الغضب» وهل زالت أم لا. لا أقول لا لم تزل، لأن كل العوامل الاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي أدت إلى ما جرى في خريف الغضب ما تزال موجودة كاملة وكامنة.

صحيح أن عوامل التفجير تراجعت، ولكن لم ينزع فتيلها. فلم نصل بعد لحلول للمشاكل التي كنا وما زلنا فيها، إنما البلد مرت بفترة تهدئة، وهو تعبير الرئيس مبارك. لقد وضعنا فرامل على الاندفاع الذي كنا نسير فيه، مثل سيارة مندفعة أوقفتها بالفرامل ولكنها ما تزال على نفس الطريق. متى تخرج منه؟ أقول عندما تزول المشكلات الأساسية التي أدت إلى ما كان. فالمؤكد أن كل ظاهرة تتكرر إذا تكررت العوامل المؤدية اليها. هذا احد القوانين الطبيعية والمشاكل ما زالت ما هي بلا حل.

إذن فالخطر موجود وعوامله قائمة ولكن الخطر أو لحظة الصدام مضت في موسم معين لأنه وقع حادث كبير احتواها، هو حادث المنصة،

فاضطر الناس إلى استخدام الفرامل قبل منحنى الخطر وحدث نوع من التوقف ثم بدأت الناس تتحرك وبحذر تبحث عن طرق بديلة، ولكن نحن ما زلنا في نفس المكان بدون حل للمشكلات.

● ما هو مغزى قضية عصمت السادات في تقديرك؟ هل هي حالة فردية؟

■ أعتقد أن القضية الأساسية أكبر من عصمت السادات، وأنا مع الأسف الشديد أحد الذين يعتقدون أن المنطقة كلها ومصر بصفة خاصة منذ عام ١٩٧٣ وابتداءً من عام ١٩٧٤ وما بعده ساد فيها منطق الكذب على النفس، وهي حالة من كان يسعى وراء أمل كبير ليجد نفسه في النهاية بعيداً عنه وضاعت منه فرصة تحقيق هذا الأمل، فحتى آخر لحظة كنا نردد أننا القوة السادسة في العالم ونتصور الأمور كما لو أنه ليست هناك سوى تلك الخلافات العربية، وأنه لو أعطيت لنا الفرصة لحققنا كذا وكذا.

هذا الوضع لم يقتصر على مصر فقط بل إن المنطقة كلها دخلت في حالة نفسية من حالات الانفصام بين الواقع وبين ما يقال من كلام. وساعدت على تحقيق ذلك وسائل الاعلام والتلفزيون بصفة خاصة أو ما أسميه عقلية الفيديو أو عقلية الهليوكوبتر.

فكل القضايا ينظر لها من أعلى. . . وهؤلاء الذين ينظرون من الأعلى يشاهدون أفلاماً سينمائية في منازلهم ويقومون بتصوير مشاهد بأنفسهم، ثم يتوهمون أن ما يرونه أو يصورونه هو الحياة، وتحول كل منهم إلى مخرج لمشهد محدد، مشهد النصر، ثم يصدق هو نفسه أن المشهد حقيقي وأن النصر حقيقي. . مشهد يزور فيه أميركا أو غيرها ويحول هذا المشهد ومعه وسائل العصر والأقمار الصناعية إلى فتح تملؤه الموسيقى ودقات الطبول.

وكانت النتيجة أننا خلطنا بين المراسم والحقائق، وكان العالم على استعداد لأن يضحك علينا بعد أن ضحكنا نحن على أنفسنا. ولكن أنا أتصور أن المنطقة عاشت في وهم. . أما مصر مع الأسف الشديد فكانت المسألة أكبر من مجرد الوهم. كانت محاولة للتعمية والتغطية بمساعدة وسائل الاعلام الحديث التي

لعبت دوراً مخيفاً، وأصبحت تصورات الناس وانطباعاتها لا علاقة لها بواقع الأمور وهنا كانت الأزمة، أزمة الانفصال بين العمل الواقع بالفعل والصورة. الصورة شيء ملون بالصوت والحركة والموسيقى والمراسم وغيرها. والواقع مختلف تماماً عن ذلك.

من هنا فإن حكاية عصمت السادات هي حكاية الفجوة بين واقع الأمور والوهم، وهي الفترة التي أطلق عليها المرحوم الدكتور محمود فوزي (رئيس وزراء مصر الأسبق) تعبيراً يقول إن «الكدبة كبرت قوي». وهذا صحيح وإلا لماذا يتحرك الفساد في هذا الوقت؟ لأنه ليس هناك من يراقب هذا الفساد..

ومع ذلك فأنت تقع في خطأ كبير لو نظرت لقضية الفساد على حدة لأنها ليست كل صورة الفساد. فهناك فساد سياسي يجاوز آلاف المرات فساد عصمت السادات، بمعنى أن غيره يعطي لنفسه حق مخالفة الدستور والاتصال بالعدو لأنه بعيد عن تقييم المبادرة أو جدواها.

أقول إنه بالنسبة لمواد الدستور والقانون فالمبادرة مخالفة لهما لأن الدستور يعاقب كل من يتصل بالعدو الاسرائيلي، وهو ما كان مطبقاً حتى وقتها، وطبق بالفعل في هذه الفترة على امرأة اتصلت بإسرائيل وحُبست ثم اعدمت. وفجأة يأتي رئيس الدولة مرة واحدة وبدون مقدمات ليضرب بهذا الدستور عرض الحائط ويطير للقدس وينزل هناك يقبلهم!

إذن بإيجاز، نصوص الدستور اهدرت وخولفت. وهنا اختلفت الحقيقية عن الصورة. وما قيمة ما فعله عصمت السادات بالقياس إلى ذلك، فقد خالف قانون العقوبات بينما خالف أخوه الدستور.

أنا أوافق على أن الصراع العربي الاسرائيلي من الممكن أن يحل، لكن وسائل حل الصراعات كثيرة ومتعددة أما أن يأتي الحاكم وهو بين السحب ليقرر أن يأخذ طائرته ويذهب للقدس مخالفاً أحكام الدستور، ومخالفاً لاستراتيجية استقرت عليها مصر منذ عهد الملك فاروق والوفد وجمال عبد الناصر وجزء مهم من أنور السادات.. فإنك إذا كنت تريد اتخاذ خطوة من هذا النوع فعليك أن تقول إنك تسعى إلى صلح منفرد مع اسرائيل ليحسب لك أنك كنت صادقاً، ولكن أن يكون

قد مضى عليك ٦ سنوات مثلاً قبلها «تضحك اسرائيل»، والناس لا تعرف، فجأة تصور الأمور للناس على أنها فكرة هبطت عليك اليوم فقط، فأخذت طائرتك وسافرت للقدس. . . إذن إذا كانت المسائل وصلت إلى حد أن القوانين والدستور والقواعد الاستراتيجية المستقرة والحقائق التي بنيت عليها، كل هذا يمكن أن يخضع للهوى والمزاج إلى هذا الحد، فما الذي يمنع أحداً من أن «يخبط» مليون جنيه أو ١٥٠ مليوناً.

وباختصار فإن ما يحكم مجتمعاً ما هو مجموعة القيم فيه وليس فقط القانون أو الدستور. وعندما يسود منطق أنك فوق القانون وفوق الدستور وفوق كل الاستراتيجيات يصبح طبيعياً أن يحدث من الآخرين أي شيء، بمعنى أن ما اعطى أنور السادات وضعاً يقفز به فوق التاريخ بهذا الشكل وبكل هذه البساطة يعطي أخاه التصور بأن من حقه أن يقفز فوق ظروفه ليصبح مليونيراً.

● بعد مرور خمس سنوات على مبادرة الرئيس السادات. كيف تفسر مشاعر المصريين وقتها؟

■ بلا جدال، أعتقد أنه كان هناك تأييد عارم لأنور السادات. لكن المسألة هنا ترجع أيضاً إلى عقلية التليفزيون السائدة والتي من خلالها تَوَضَّع الناس تحت مؤثرات لا علاقة لها بالحقيقة. وهذا يمكن أن يحدث لفترة من الفترات.

الشعب المصري قيل له حدوتة السلام والرخاء، فقام بدور جحا الذي خطب بنت السلطان دون أن يراها وعندما كشفت وجهها وجد أمامه وجه بيغن فهرب. ومع ذلك ظل الشعب المصري لفترة طويلة يتصور أنه يتزوج بنت السلطان الأميركي، وأنه يعمل صلحاً مع أميركا. وهذا معناه الفلوس والسلام والرخاء، وأنه لا داعي لوجع الدماغ والقلب.

لكن لو أنك وضعت الموضوع للشعب المصري في صورته الحقيقية، وقلت له إنك تريد صلحاً منفرداً مع اسرائيل، وهذه الشروط المطروحة أمامي، تصبح المسألة قضية عقلانية تحمل الصواب والخطأ. لكن أنت تفعل ذلك، بل ادخلت العالم كله معك في مهرجان جنَّدت له كل الوسائل كما لو أنها ليلة الفرح. . فرح

السلام والرخاء. فأنت لم تطرح على الناس كل حقائق الموضوع، وإنما مرة واحدة وكأنه إلهام السماء هبط عليك، فوجدت الطريق للسلام والرخاء.

وهنا يجب أن نلاحظ أن ذلك يحدث في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٧٧، وكانت مصر في يناير/ كانون الثاني ١٩٧٧ قد شهدت تلك الأحداث التي جاءت من الاجهاد الاقتصادي للناس. المؤكد أن هناك صلة بين التاريخين. في أول السنة مشاكل ثار لها الناس ولم تتمكن من حلها، وتأتي في نهاية السنة لتقوم بهذا المهرجان بمثل هذا الشكل.

● ولكن قيل وقتها في مصر إنه كان هناك مشروع اسرائيلي، وعرض على السادات قبل مبادرته بالذهاب إلى القدس المحتلة.

■ مع الأسف كانت هناك اتصالات مستمرة وطويلة لم يأت بعد الوقت المناسب للحديث عنها، ولكن لم تكن هناك أية مشروعات. وكنت أتمنى لو ان الرئيس السادات سألهم في اسرائيل أو حتى خلال تلك الاتصالات السرية عن تصورهم للسلام، لكن هذا لم يحدث.

كل ما حدث أنه، كما قال، ذهب ليسأل (الرئيس الروماني) تشاوشيسكو هل يستطيع أن يصنع السلام مع بيغن؟ وهل هو قوي إلى درجة كافية داخل حزبه؟ وهل هو راغب في السلام؟ كل هذه الأسئلة لتشاوشيسكو، رغم الاتصالات التي بينهما، وهي اتصالات مباشرة وغير مباشرة.

● ما هي حدود علاقة المصلحة بين الولايات المتحدة ومصر؟ وما هي أفضل الطرق لادارة هذه العلاقة مع الحفاظ على استقلال القرار الوطني؟

■ عندما تحدثت عن تحييد أميركا كان الرئيس السادات أول من ثار ومعه عدد كبير جداً من الأصدقاء، رغم أنني كنت أطالب بتحييد أميركا وليس بحيادها. وقلت إن هناك فرقاً كبيراً بين التحييد والحياد، وإن التحييد موقف تفرضه بإمكانيات القوة على طرف آخر، في حين أن الحياد موقف يختاره الطرف الآخر.

وأميركا لا يمكن أن تكون محايدة تجاه اسرائيل لأنها بالفعل منحازة إلى

جانبها. ومع ذلك تظل الولايات المتحدة الأميركية، مثلها مثل الاتحاد السوفياتي، حقيقة أساسية كقوتين لهما في هذا العالم وضع لا يستطيع أي عاقل أن يتجاهله. كل منهما دولة أعظم، وليست عظمى، وكل منهما يمثل عقيدة اجتماعية ونظاماً اجتماعياً. وكل منهما يمثل قوة لا قبل لأحد بمواجهتها. وكل منهما، بحكم هذه العوامل، موجود داخل كل بلد. في كل بلد حزب رأسمالي وحزب شيوعي. وهناك أقمارهما الصناعية في سمائك ووسائل تسمّع تصل إلى أي مكان.

وقد كشفت واقعة للجاسوسية في إنكلترا عن أن الأقمار الصناعية أصبحت قادرة على التقاط حتى أصوات المتحدثين داخل غرفة مغلقة، بل إن الأقمار الصناعية الأميركية التقطت لحساب المخابرات الأميركية مكالمة تليفونية لبريجنيف من تليفون سيارته مع الكرملين أثناء عودته من إجازة ريفية.

وهل تعلم مثلاً أن اسرائيل كانت تلتقط كل اتصالات الشرطة المصرية وتعتبرها أحد المصادر الهامة للمعلومات، وتقوم بحل الشفرات عندنا، وهذا ما كنا نفعله نحن أيضاً في مصر. كل هذا كان متصوراً ولكن كان من غير المتصور أن تصل إلى مرحلة التقاط حديث يدور في غرفة مغلقة.

المهم من ذلك أنه يجب أن تكون لك علاقة متوازنة مع هاتين القوتين الأعظم واللتين هما موجودتان بالفعل في سمائك وحياتك. والغلطة التي نقع فيها أننا ما زلنا نتصرف كقبائل. كل واحد يهمس في أذن الآخر، ويتصور أنه بذلك أصبح سياسياً، في حين أنه لم يعد ممكناً أن يدور أيّ شيء في الخفاء.

نعود إلى أميركا وروسيا، ونقول إن الضمان لدى أي طرف في التعامل معهما، هو أن تكون له رؤية حقيقية لمصالحة مبنية على ثوابت التاريخ والجغرافيا، ثم يدير عملية رعاية مصالحة في ضوء المتغيرات التي تحدث في أي وقت، وأن يعلم أنه ليس هناك سر أمام القوتين الأعظم. وبالتالي لا بد أن يكون تعبيرك عن مصالحك دقيق وأمين، وأن تكون صداقاتك أيضاً واضحة وأمينة، وأن تكون تحالفاتك واضحة وحقيقية.

من هنا فإن العلاقة الصحية مع أميركا، كما نسميها، لا بد لها من الوضوح

والاشتراك مع آخرين يمثلون نفس المقدرة، سواء كعالم عربي أو كدول عدم الانحياز. ثم لا بد أن تكون لك علاقة واضحة وخالصة مع الآخرين في مواجهة الطرف الأخير.

أما ضمانك فهو أن تعبر تعبيراً حقيقياً عن مجمل حقائق جغرافيتك وتاريخك. في هذه الحالة فقط تستقيم علاقتك مع أميركا وتستقيم علاقتك مع الاتحاد السوفياتي.

● بمناسبة تغيير القيادة السوفياتية بتولي يوري آندروبوف الامانة العامة للحزب الشيوعي السوفياتي، هل تتوقع تغييراً في السياسة السوفياتية؟ وهل كان مجيء آندروبوف على رأس السلطة في الاتحاد السوفياتي مفاجأة باعتباره رجل أمن؟

■ مسألة مجيء آندروبوف مَفْهومة خطأ، لأن التصور الذي صاحب مجيء آندروبوف هو أن المباحث قفزت إلى رئاسة الدولة السوفياتية وهذا ليس صحيحاً، لأن آندروبوف كان يشغل في الاتحاد السوفياتي نفس الموقع الذي كان يشغله كيسنجر مثلاً في الولايات المتحدة الأميركية، فهو مسؤول عن أمن الدولة وأمن الحزب ضمن مسؤولياته، بالاضافة إلى أنه أحد العناصر السوفياتية الموجودة المشاركة في القرار السوفياتي.

أما عن تصور حدوث تغيير جذري في السياسة السوفياتية، فهو أمر غير وارد بالنسبة لدولة عظمى كالاتحاد السوفياتي، لها ارتباطاتها ونظامها وتحالفاتها الخارجية، ولها في الداخل مؤسساتها وقوانينها وقواتها المسلحة والحزب. . . هذا التصور يسري فقط على الدول المتخلفة التي تتغير سياساتها مع تغير الأشخاص. أما في الدول العظمى فإن النغم الأساسي لها يظل ثابتاً وكل ما يتغير هو فقط التنويعات.

آندروبوف لفت نظري لأول مرة عام ١٩٧٠، وإن كنت قد التقيت به قبل ذلك في عام ١٩٦٨، ولكنه جذب اهتمامي خلال حوار طويل ركز فيه على التأثير الكبير

للاعلام ووسائل الاتصالات الحديثة على مفاهيم الناس. وكان مثل هذا الحديث جديداً في ذلك الوقت.

وكان تصوّري أنه يتحدث بأكثر مما تسمح به الظروف، وظللت بعدها أتابعه. وعلى أية حال، فقد قلت منذ خمس سنوات في كتاب «العرب والسوفييت» أن آندروبوف هو الرجل القادر في الاتحاد السوفياتي. وقد عادت إحدى الصحف الغربية أخيراً لتعيد نشر ذلك مرة أخرى. وقالت هناك كاتب عربي تنبأ بذلك منذ خمس سنوات.

● القضية الفلسطينية أين موقعها في محنة الواقع العربي اليوم، ولا سيما بعد الغزو الاسرائيلي للبنان؟

● قضية فلسطين لا يمكن النظر إليها كقضية خارجة عن أوضاع العالم العربي، بل إنها تكاد أن تكون القضية المحورية التي دار حولها الصراع العربي كله أو كل الحركات السياسية العربية. كلها دارت بشكل أو بآخر حول قضية فلسطين.

وكان الشعب الفلسطيني في هذا هو الموضوع، وكان للثورة الفلسطينية دور. لكنه رغم قيمته المعنوية، لم يكن دوراً ضاغطاً ومؤثراً من غير حدود. لماذا؟ لأن الثورة الفلسطينية من الناحية العملية هي أول ثورة في التاريخ تقع كل أرضها تحت الاحتلال، ويقع شعبها أيضاً تحت الاحتلال. ووجودها في دول خارج أرضها بعيداً عن شعبها وبالتالي تحت رحمة سلطات متعددة ومختلفة، فرض عليها أن يكون قدر الحرية المتاح لها من الحركة مرهوناً بهامش الاتفاق أو هامش الاختلاف ما بين الدول العربية.

ولكن القضية الأساسية هي الوضع العربي كله. وأنا هنا أستطيع أن أقول إن الوضع العربي واجه مشكلة كبيرة، وهي أن السياسة بعد عام ١٩٧٣ قصّرت في حق السلاح، فمنذ عام ١٩٦٧ لم يكن السلاح في مستوى السياسة. ومن هنا فإنه في عام ١٩٧٣ يمكن أن نقول إن النتائج التي حققها السلاح ضيّعتها السياسة، بمعنى أنه عندما أنجز السلاح مهمته تصوّر كل فرد، وكأننا في سفينة اقتربت من البر، أنه يمكنه القفز قبل الوصول إلى البر تماماً، وأنه يريد أن ينجو قبل الآخرين ويسبقهم

في الوصول إلى الشاطىء. وكانت النتيجة أن كثيرين غرقوا، وأن الريح سحبت السفينة كلها إلى الوراء مرة أخرى.

ومن هنا فإن أزمة العمل العربي كله تنعكس في أكثر البؤر حساسية، وأكثرها بالقطع هو في تلك الدول التي تعيش على توازنات دقيقة، وأولها لبنان.

ورغم أنني من أكثر الذين يحبون لبنان ويقدرون دوره، وأعتقد أنه لو لم يكن هناك لبنان لوجب على العالم العربي أن يخترع «لبناناً» فإن لبنان كان مهيأ لأن تظهر عليه أعراض الحمى العربية. ومثل أي جسم يتعرض للحمى فإنها تبدأ من أضعف نقطة فيه، ولبنان في الأمة العربية كان هو هذه النقطة. وهذا الضعف جاء نتيجة للتناقضات السياسية والاجتماعية في العالم العربي.

صحيح أن الثورة الفلسطينية بعد خروجها من الأردن إلى لبنان خلقت المزيد من التناقضات، لكن الأزمة بالدرجة الأولى هي مجمل الأوضاع العربية. فبعد أن وضع العالم العربي كل طاقاته في معركة جاءت السياسة لتجهض نتائجها.

ومرة أخرى أقول إن الموقف الفلسطيني والشتات الفلسطيني تعبير حقيقي عن الموقف العربي والشتات العربي، وأنه لا بد أن ندرك أن الثورة الفلسطينية في أصعب موقف تواجهه أي ثورة. وإذا قارنتها بالثورة الجزائرية مثلاً، فإن الصورة تقول إن الشعب الجزائري موجود على أرضه، والتوازن السكاني بينه وبين القوى المحتلة واحد إلى عشرين، لأن الشعب الجزائري وقتها كان تعداده نحو عشرة ملايين والقوات الفرنسية في حدود نصف مليون، ثم إن رقعة الأرض كبيرة جداً: والشعب على أرضه، والقيادة من الداخل.

أما صورة الثورة الفلسطينية فتقول إن كامل التراب الفلسطيني محتل، ورقعة الأرض ضيّقة، والتوازن السكاني لصالح المحتل لأن هناك ٢,٥ مليون اسرائيلي في مقابل مليون أو مليون ونصف مليون عربي، بما فيهم الموجودون في الضفة الغربية، فضلاً عن أن الأرض مكشوفة والقيادة في الخارج، وهو وضع يشبه وضع مَنْ يسير على إفريز مبنى يهدده السقوط في أي وقت.

من هنا، فإن ظروف ما جرى بعد ١٩٧٣ تعني أن المنطقة اليوم في «الحقبة الاسرائيلية» لأنك أمام دولة واحدة لها كل عناصر القوة، وأولها قوة التصرف على أي جبهة حولها دون أية إرادة مقابلة تكبحها. وكان لبنان هو أكثر المناطق جاذبية في الوقت الراهن لأطماع الامبراطورية الاسرائيلية بصرف النظر عن فكرة الدويلات المطروحة.

المهم أنه عقب تراجع الحقب العربية المختلفة فنحن أمام حقبة الامبراطورية الاسرائيلية. ومن هنا فإن ما جرى في لبنان ليس سوى تفاصيل للحقيقة الأساسية، وهي سقوط الحقبة القومية العربية نتيجة عجزنا عن استثمار ١٩٧٣ وتراجع الحقبة النفطية، وظهور بدلاً منها القوة الوحيدة القادرة اليوم على فرض إرادتها وهي اسرائيل. وكل ما تراه وما سوف تراه في المستقبل القريب على الأقل هو التفاعلات الناشئة عن ممارسة هذه القوة الامبراطورية لدورها، ثم مقدرة الأطراف العربية وأولها مصر على التصدي لهذه القوة الامبراطورية.

● إذن في رأيك، نحن نعيش في الحقبة الاسرائيلية، فكيف يستطيع العرب التصدي لها وتغيير هذا الواقع؟ وما هو دور مصر في ذلك؟

■ مسألة قيام مصر بهذا الدور مرهونة بالصراعات. ولكن المؤكد أن مصر هي الدولة الوحيدة القادرة على التصدي للمشروع الامبراطوري الاسرائيلي. وإنما متى تعود مصر إلى ممارسة هذا الدور، فهذا مرهون بعوامل كثيرة.

ونظرة واحدة إلى ما يدور ترى من خلالها أميركا تطالب باعتراف واضح وصريح باسرائيل في مقابل لا شيء، بمعنى أن كل ما يخصنا لا بد أن نتفاوض عليه، وكل ما يخص اسرائيل لا بد أن يبدأ وينتهي قبل أن تبدأ المفاوضات. نحن نعترف بإسرائيل مقدماً، واسرائيل تبحث موضوع الاعتراف بالفلسطينيين أم لا على مائدة المفاوضات.

ورغم الاعلان المسبق بأنه لا اعتراف، ولا دولة فلسطينية ولا عودة لخطوط ما قبل ١٩٦٧، فإننا نتحدث عن مشروع قمة فاس، ونمزجه مع مشروع أو مبادرة

ريغان. . . كل هذا انتاج طبيعي لفقدان العالم العربي لارادته وللطريق الذي تمارس فيه هذه الارادة دورها.

ومع ذلك، وإن كنت أقول إننا نشهد عصر ظهور قوة امبراطورية اسرائيلية، فإنني في الوقت نفسه أقول إن هناك مرحلة في العالم العربي وقعت، وعندما نقول القوة الامبراطورية الاسرائيلية فإن ذلك معناه أنه لم يعد هناك من يستطيع اختراق طريق اسرائيل في هذه المرحلة وأن عليك أن تبدأ من جديد.

ترميم ما هو قائم مرفوض، لأن كل ما هو قائم عاجز عن مواجهة تحدي العصر. إذن فالعالم العربي يحتاج لأن يبدأ مرحلة جديدة تماماً. وكل ما هو موجود الآن في العالم العربي بقايا مرحلة. وهناك بالقطع مرحلة جديدة قادمة سوف تفرض نفسها. قد يظل في هذه المرحلة الجديدة جزء مما هو بحكم طبيعة الاستمرار، ولكن هناك مرحلة اختفت وسقطت.

● هناك من يقول ان المأساة اللبنانية وضعت المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية على محك الاختبار، وإن النتيجة للأسف كانت سلبية. وأكثر من ذلك فإن هناك من يقول ان سيناء تحت الاحتلال الاسرائيلي كانت تهيىء لمصر حرية أكبر من الحركة أكثر مما هو قائم تحرير سيناء. فما رأي الأستاذ هيكل؟

■ أعتقد أن هذه المقولة خاطئة من أساسها. ولا أعتقد أن السؤال المطروح هو مصر بسيناء أو مصر من غير سيناء. المسألة هي مصر في عهد. . ومصر في عهد آخر.

وعندما تقول إن نتيجة عودة سيناء غير سلبية فإنني أقول إن ذلك أيضاً غير صحيح، بل ويطرح مغالطه فظيعة، لأن ذلك يعني أن تقول إن عودة سيناء إلى مصر أعطتها مزيداً من الصبر، فمعنى ذلك أن تقول إن كامب ديفيد انتهت بنهاية طيبة وهذا غير صحيح أيضاً.

المسألة هي الظروف التي تحتاج فيها إلى الحركة. المسألة ليست مصر بسيناء

أو من سيناء، إنما عدم الحركة أحياناً يصبح أكثر جدوى من تلك الحركة العصبية والتي قد تدفعك إلى كارثة.

ولكن من المنطقي أن تقول إن حسني مبارك بعد استرداد سيناء أصبحت أعصابه وأعصاب مصر كلها أكثر هدوءاً وترتب على ذلك إلى حد ما أننا لم نفعل شيئاً أو نأخذ مبادرات صحيحة في موضوع لبنان. واعتقادي أننا قصَّرنا، ورغم ذلك فإننا على الأقل لم نقع في مزيد من الأخطاء، ولم نعد بشيء لا نستطيع الوفاء به. ربما كانت الغلطة الوحيدة التي وقعنا فيها هو أننا أعطينا للفلسطينيين احساساً بأنه من الممكن أن نقبل عدداً منهم ثم لم نفعل ذلك.

إذن في مجمل الظروف، لا أعتقد ان الموضوع هو موضوع سيناء وعودتها، بصرف النظر عن قيمته. ولكن قضية ارادتها أكبر من عودة سيناء. ويمكن أن يتحدد تأثير عودة سيناء في أن صانع القرار المصري أصبحت أعصابه أكثر هدوءاً، وبالتالي أصبحت تصرفاته خالية، على الأقل، من عنصر المغامرة.

وإذا كان المنتظر من مصر أن تضغط على الاميركان ليمارسوا تأثيرهم على اسرائيل، فالسؤال هو بماذا تضغط مصر على أميركا وهي لا تنتظر منها سوى الاعانات ولا تجد مبرراً لاستفزازها؟ إذن لم يكن لدى مصر ما يمكن أن تفعله. ومن هنا فإنه لا يصح أن نقول إن مصر بسيناء أو من غير سيناء، لأن القضية مرة أخرى أكبر من ذلك. هي قضية مصر خلال شخصين وعهدين، شخص أنور السادات وعهده، وشخص حسني مبارك وعهده. شخص أنور السادات يتصور أنه النجم والبطل الذي يستطيع أن يفعل ما يشاء، وشخص حسني مبارك يعتقد أنه بشر ويتصرف داخل حدود.

وإذا قلت إن حرية الحركة كانت متاحة بشكل أفضل قبل استرداد سيناء أقول لا. المسألة ليست مجرد الحركة، فهناك نوع من الحركة يدفعك إلى كارثة، ومن هذا النوع من الحركة البادرة على سبيل المثال وكامب ديفيد.

المهم ليس مجرد الحركة ولكن في أي اتجاه هذه الحركة، مع الأخذ في الاعتبار أن مجمل الظروف في المنطقة لا تعطي لمصر «كروتاً» تتحرك بها، لأن

الرئيس السادات قبل موته انتهى من توزيع «الكروت» في أيدي الآخرين، لأنك في النهاية وقّعت صلحاً منفرداً مع اسرائيل وهذا «كارت»، ثم تركت «كارتك» السوفياتي، وتركت كارتك العربي وتركت كارت عدم الانحياز. في النهاية وزّعت كل كروتك بكرم وسخاء وبلا مقابل كأنك أمضيت سهرة لعبت فيها وفقدت كل رصيدك.

لذلك كله فإن الحديث عن مصر بسيناء أو بدون سيناء وعلاقة ذلك بحرية الحركة خطأ من أساسه، لأن المسألة، كما قلت، هي مسألة الفرق بين نظامين ومزاج وتكوين رجلين.

ومن هنا، فإن مصر بحكم الظروف التي كانت وما تزال قائمة في أعقاب كامب ديفيد، لم يكن مطلوباً منها أن تفف أكثر مما فعلته في موضوع لبنان لأن الظروف لم تكن تسمح لها بأكثر من ذلك.

أعود فأكرر أن المقارنة بين وضع مصر بسيناء أو بدون سيناء فيها مغالطة شديدة. وببساطة رداً على ذلك فإن مصر بدون سيناء وتحت الاحتلال في عهد أنور السادات ذهبت إلى كامب ديفيد وقبلها إلى القدس وقطعت فيها علاقاتها مع السوفيات تماماً. وفي عهد مبارك وفي حالة اللا احتلال تقول للأميركان: لا لن نذهب إلى القدس بعد أن أعلنتها اسرائيل عاصمة لها، رغم أن جزءاً من سيناء كان ما يزال تحت الاحتلال في ذلك الوقت، ورغم أن السادات سبق له الذهاب إلى القدس.

إذن المسألة هي الرؤية، والعلاج، والنظام، والشخص، في ظروف العالم الثالث الذي تتغير فيه السياسات بتغير الأشخاص.

في مواجهة زوابع التحريض على «خريف الغضب»

كان الهدوء الشديد الذى يسود غرفه مكتب محمد حسنين هيكل متناقضًا تماما مع زوابع التحريض على كتابه «خريف الغضب»، التى هبت من صحف الحكومة طوال ما يقرب من أسبوعين، صدرت خلالهما مئات البلاغات العسكرية ضد الكاتب وكتابه. والبقية تأتى

● جريدة الأهالى - ٨٣/٤/٢٧ - صلاح عيسى

قال رداً على ملاحظتي:

ـ إن ما نشر من هجوم على «خريف الغضب» في مصر وحدها، يوازي حتى الآن ثلاثة أمثال حجمه، وأتنبأ أن الحملة ستستمر وتتصاعد إلى أن تصل إلى عشرين مثل حجم الكتاب!

● **قلت: يبدو أن ابتسامتك أقوى من الزوابع؟**

■ قال محمد حسنين هيكل:

الواقع ألا زوابع هناك، فهي موجودة فقط في رؤوس الغاضبين المحرضين والصاخبين، وأعتقد أن منظرهم غريب أمام الناس، إننا في الحقيقة أمام مسرحية عبثية من الطراز الأول، فأمامك قوم غاضبون متشنجون يحرضون الناس ضدي وضد الكتاب، ويستنطقونهم، ويبتزونهم ويحرجونهم ويزورون أقوالهم، ويسوقونهم سوقاً للهجوم على كتاب لم يقرأه كاملاً أحد من الذين يهاجمون ولا يكاد أحد من الذين يقرأون الهجوم قد اطلع على شيء منه!

إن الهجوم على خريف الغضب، هو هجوم على شبح، فالطبعات الأجنبية السبع من الكتاب التي صدرت في ٢٤ ابريل الحالي والطبعة العربية لن تصدر قبل منتصف مايو. وما نشر من الكتاب في العالم العربي لم يتجاوز ربعه فعلى أي شيء يعلق المعلقون؟ وأي كتاب يهاجمون؟. أليس هذا عبثاً؟. هل أنا الذي خنت أمانة القلم، أم أن الذين يطالبون بمصادرة حقي في أن أكتب، مصادرة تمتد من داخل الوطن إلى كل حدود الدنيا، هم الذين يخونون تلك الأمانة؟. هل أنا الذي خرجت عن ميثاق الشرف الصحفي، أم أن الذين فعلوا ذلك ويفعلونه، هم الذين يهاجمون

ما لم يقرأوه، ويحرضون على مصادرة الكتب والأفكار. أليس هذا ـ مرة أخرى ـ عبثاً!

● **ولكنك ـ يا أستاذ هيكل ـ كنت تتوقع تلك الحملة على الكتاب وقد سبق أن حدثتني عن توقعاتك قبل بدئها، بل وحددت توقيتها، وأشهد أن نبوءتك صدقت. . بكل تفاصيلها.**

■ . . ذلك أيضاً تشهد به مقدمة الطبعة الدولية للكتاب، وقد نشرتموها في الأهالى . نعم أننى كنت أتوقع أن يثير الكتاب حملات من الهجوم الضارى . وفى مقدمة الطبعة العربية إشارة مشددة ومؤكدة إلى الريح القادمة ، ولم يكن الأمر فى حاجة إلى بعد نظر ، ولكن إلى نظر فى الأمور فقط .

والواقع أنني لم أتضايق من الحملة المركزة التي شنت ضدي، ولكن أكثر ما ضايقني كان محاولة حسنة النية للوقوف بجانبي، اختارت لها عنواناً «هيكل يدافع عن نفسه» ومع الأسف فإن ذلك لم يحدث على النحو الذي قيل إنه حدث مع تقديري لسلامة دوافع القائلين، فلست في حاجة للدفاع عن نفسي، لأن موضوع القضية هو خريف الغضب، وقد صودر الكتاب، ولهذا فلا قضية هناك.

● **الواقع أننا كنا في الأهالي نغلب جانب التفاؤل، ونعتبر أن نشر كتابك والحوار حول ما فيه، سيكون ذا دلالة على صحة المناخ الديمقراطي في مصر الآن، ويبدو أننا كنا مسرفين في التفاؤل!**

■ إنك بالطبع تعرف أنني لم أكن على علم مسبق بنية الأهالي محاولة نشر الكتاب، عرفت قبلها بيومين فقط أنكم بالترتيب مع جريدة «الوطن» سوف تحصلون على فصول الكتاب. ولا أخفي عليك أنني قدرت ذلك من جانبكم وشكرته في نفسي، فأنتم بذلك تقومون بمخاطرة فقد كنت واثقاً أن تدخلاً سوف يحدث بشكل ما في لحظة ما، ولم أتصور على الاطلاق أن يكتمل نشر الكتاب. لا أستطيع وأنا أتحدث عن حقوق الحرية، أن أنسى أحكام الأمر الواقع وإلا كنت أترك نفسي للسراب!. وقدرت وشكرت أنكم بنشركم فصول الكتاب سوف

تتنازلون عن مساحات كبيرة من جريدتكم، وهي جريدة حزبية، لكاتب لا ينتمي إلى الحزب. وبالتالي فهو ليس ملتزماً بخطة العام.

● **إن الأهالي لا ترى تناقضاً بين كونها جريدة حزبية، وبين أن تتيح لكل أصحاب الآراء فرصة التعبير على صفحاتها، مهما اتسعت مساحة الخلاف بيننا وبين أصحابها، وقد سعت لنشر كتابك، لأن من حق الناس أن يقرأوه وليس في هذا مصادرة على حقهم أو حق الأهالي في الاختلاف معه.. ومن نفس المنطلق سعينا لكي نسمع ردك على الحملة..**

■ لا بد أن أكون واضحاً معك، فأقول إنني لا أرد على حملات، إذا كان هناك حوار موضوعي فإنني على استعداد له، وأما حين يصبح الأمر شتائم وسباب فإن المسألة تختلف، بعض ما كتبوه عني يشكل قذفاً صريحاً، وقد طالبني بعض أصدقائي من المحامين أن أرفع قضية قذف، وناقشتهم طويلاً، كان من رأيي أنني لا أستطيع أن أكون طرفاً في أي شيء، ولا حتى في خصومة، مع بعض الناس، هذه ليست فقط قضية كبرياء. ولكنها أيضاً قضية حقيقة. فأنا لا أعتبر أن ما قيل عني ـ خصوصاً من قائلية ـ يمكن أن يسبب لي ضرراً بل العكس.

● **لماذا كنت تتوقع الحملة على الكتاب في مصر؟**

■ كنت أعرف أن الحملة علي وعلى الكتاب سوف تكون بدعوى الوفاء والحرص على ذكرى ما فات بما فيه حرمة الأموات، وهو ادعاء حق يراد به باطل، الحقيقة أن هناك مصالح واقدار ومقادير تريد أن تحافظ على نفسها وليس على أنور السادات. أمس فقط رآني مواطن مصري بسيط وأقبل علي مشجعاً يقول لي: لا تخف من أحد. الحقيقة كلها ظاهرة أمام الناس. الحقيقة في القفص وكلنا نراها في عصمت السادات، ولا نحتاج غير ذلك إلى شيء.. إن ما قاله هذا المواطن البسيطلي، هو الحق مقطراً وصافياً، فحيثيات الحكم التي أصدرها قاض نزية صنع بها تاريخاً جديداً في القضاء، وحول قانوناً أريد به أصلاً أن يكون أداة بطش، فجعل منه باب عدل أوضح وأصرح من أي شيء يمكن أن يقوله كتاب أكتبه أنا أو يكتبه غيري من الناس.

إن حيثيات الحكم حسمت في منطق عصر بأكمله، لكن بقايا القوى والجماعات المستفيدة من ذلك العهد لا تزال تحارب معركة بقائها، وأظن أن ما قلته في خريف الغضب يمس كثيراً من النقط الحساسة بالنسبة لهذه القوى والجماعات وحين علمت بقرار مصادرة «خريف الغضب» لأسباب أمن، فإني كنت على استعداد لأن أفهم بل وألتمس الأعذار للقرار مع أسفي له، وأعترف لك أنني ابتسمت عندما أخبرني أحدهم بقرار المنع وهو يضيف أن هناك قصة عنوانها «الشمس لا تشرق مرة واحدة».

هناك أيضاً الذين انتهزوا الفرصة من الكتاب المحترفين، لتصفية ما يعتبرونه حسابات معي، وهؤلاء يقولون إنني كنت الكاتب الأوحد، وأنني غاضب لأنني فقدت هذه المكانة. . وأنا لم أكن كاتباً أوحداً، فقد كانوا جميعاً يكتبون وينشرون.

وليس بينهم من لم أقف معه في أحلك الظروف ولم أفعل كل ما في وسعي لمساعدته ولولا أنني لا أريد أن أمن على أحد، لذكرتهم لك واحداً واحداً وبالاسم ورويت ما قدمته لهم.

● **ولكن الحملة على الكتاب تجاوزت أصحاب المصالح في مصر، واشتركت فيها أقلام عربية، ثم إنها أيضاً انتقلت إلى الغرب ذاته، فما هي دوافع الحملة هناك في رأيك؟**

■ ليس لي أن ألوم الغرب، فهذا رجل بدا لهم صديقاً على استعداد لأن يعطيهم كل ما يطلبونه وأكثر في منطقة كانت بالنسبة لهم مصدر خطر وقلاقل، وعندما سلمت مخطوطة كتاب «خريف الغضب» لمجموعة الناشرين الدوليين التي تملك حقوق نشر كتبي، قلت لهم: إن هذا الكتاب سوف يكون صدمة للقراء في الغرب، وإنني أتوقع أن تكون التعليقات عليه شديدة، ونبهتهم إلى أن الناشرين الأمريكيين قد يجدون صعوبة في نشره، لأنه يحمل الولايات المتحدة الأمريكية ووسائل الاعلام فيها بالذات، جزءاً كبيراً من الظروف التي أدت بالسادات إلى النهاية المأساوية التي انتهى إليها. وقد ظللت أتابع باهتمام لم أشعر به من قبل حركة

التعاقدات على هذا الكتاب الجديد في اللغات المختلفة في الغرب. وحين عرفت أن إحدى كبريات دور النشر الأمريكية وهي «راندوم هاوس» قد سارعت إلى الحصول على حقوق الكتاب فلقد أحسست أن الاعتبارات المهنية غلبت على الانطباعات الغريزية..

والواقع أن هناك فارقاً بين تناول الصحف الأمريكية للكتاب، وتناول الصحف الرسمية المصرية له، فالقارىء الأمريكي يقرأ الكتاب في الوقت الذي يقرأ النقد له، والذين نقدوا الكتاب في الصحف الأمريكية، وافقوني على بعض ما فيه واختلفوا معي على بعضه الآخر، إن مجلة «نيوزويك» الأمريكية مثلاً، خصصت للكتاب كل المساحة المخصصة لباب الكتب، وهذا دليل على تقديرها لأهميته، وفي مناقشته قالت إنها لا تختلف معي في أن السادات كان كسولاً وأن حكمه كان فاسداً ولكنها ترى أنه رجل عظيم لأنه كان رجل سلام!. والغريب أن الصحف المصرية التي تنقل ردود أفعال الصحف الأمريكية، قد نقلت ما اختلفت فيه معي النيوزويك، ولم تنقل لقرائها طبعاً ما اتفقت فيه معي من آرائي في السادات!

● **هل تعتقد أن الأمريكيين الذين يصفقون لأنور السادات في الغرب، ويهاجمون الكتاب، مخلصين حقاً لذكراه؟.**

■ إن الأمريكيين لا يخدعون أنفسهم في الحقيقة، إنهم كانوا يعرفون ماذا يريدون منه، وقد أخذوا ما أرادوا أما رأيهم فيه فأمامك تعليق النيوزويك وقد يزعم الذين هاجموني أنني قلت إن السادات كان بهلواناً، لكنني لست قائل هذا الوصف، ولكنه هنرى كيسنجر، ولماذا نذهب بعيداً، دعنى أقرأ لك هذه الفقرة من مذكرات « زبيجنيو برجينسكى » الذى كان مستشاراً للأمن القومى مع الرئيس السابق جيمى كارتر النجم الآخر فى ثالوث كامب ديفيد..

يقول برجينسكي بالحرف في هذه الفقرة:

«بين كل الساسة الأجانب الذين تعامل معهم كارتر، فإن السادات كان أقربهم إليه. كان حباً من أول لحظة بين الطرفين. وليس هناك أدنى شك في أن كارتر كان مهتماً بهذا المصري الطائش والمندفع، كان يمثل خصالاً أبعد ما تكون عن خصال

كارتر الذي كان قوي السيطرة على نفسه وذا عقل أدق من جهاز كمبيوتر. وكثيراً ما جلسنا معاً، كارتر وأنا، نضحك سوياً على التناقضات التي تكشف عدم صحة أقوال السادات. وكذلك على تصوراته الجامحة، ولكننا مع ذلك كنا نعجب بجرأته ورؤيته التاريخية المبالغة في تصورات العظمة. وفي لقاء بيني وبين السادات، صفق الرئيس المصري فجاءوه بنموذج للكرة الأرضية وضعه في وسط غرفة بيته التي كنا نجلس فيها، وأمسك بمؤشر وراح يعطيني درساً فيما ينبغي أن تكون عليه الاستراتيجية الأمريكية، وكانت وصفاته جديرة بأن تجعل تيودور روزفلت ـ أشهر الرؤساء الاستعماريين ـ يبدو وكأنه حمل وديع » هذا ما قاله برجينسكي عن السادات .. وأظنه إجابة كافية على سؤالك !

● **ننتقل الآن من الحملة الغربية . . إلى الحملة العربية . . وكانت طلقة البدء فيها البيان الذي أصدرته جريدة الشرق الأوسط وأعلنت به توقفها عن النشر، فما هي الحكاية بالضبط؟**

■ أنا في الواقع لم أكن طرفاً في أي تعاقد مع جريدة الشرق الأوسط ولا مع أي جريدة أخرى عربية أو أجنبية، فأنا أتعاقد مع مجموعة الناشرين الدوليين الذين ينشرون كتبي وأعطيهم كل حقوق الطبع والنشر بما في ذلك النشر في الصحف والإعداد الاذاعي والتيلفزيوني، وبكل اللغات، وأنا أفعل ذلك لأنني لا أستطيع من حيث الجهد أو الوقت أن أتابع عملية طبع ونشر وتوزيع وحسابات كتبي في بلاد بعيدة في أنحاء العالم وأنا أشترط فقط ألا تباع لي حقوق نشر في اسرائيل، وألا تباع لي حقوق نشر في أي دولة عربية بينها وبين مصر نزاع، وبالتالي فإن العقد يمنع الناشر من أن يبيع لي حقوق نشر في ليبيا مثلاً أو غيرها، درءاً لحساسيات أعرفها، وأعترف أنني اشترط ذلك وأنا خجل، وبالنسبة لخريف الغضب فإن حقوق نشر الطبعة العربية منه في كتاب وفي الصحف قد اشتراها ناشر لبناني من الناشرين الدوليين، و«الشرق الأوسط» اشترت الحقوق منه.

وقد دهشت حين علمت من الناشر أن «الشرق الأوسط» قد طاردته لتحصل على حقوق النشر، لأن الكتاب يضم نقداً كثيراً للسياسة السعودية، ومع أن هناك ما اتفق

معه في السياسة السعودية، إلا أن الكتاب يتعرض بالنقد لبعض هذه السياسات وأنا أعلم أن الشرق الأوسط مملوكة لشخصيات سعودية رسمية. .

● **يقولون إنك لعبت معهم لعبة القط والفأر؟!**

■ أنا لم أناقش أحداً منهم في حديث عن «خريف الغضب». وحين زارني أحد ناشري الشرق الأوسط في فبراير ١٩٨٢ بفندقي في لندن، وطلب مني أن أكتب لهم مقالات أسبوعية، فاعتذرت وقلت له إنني سأفقد حريتي في الكتابة عن سياسات السعودية، وأنني أعلم من السيد كمال أدهم نفسه ـ وهو رجل ذكي ـ أنه كان المالك الأكبر لأسهم شركة الشرق الأوسط قبل أن يبيع نصيبه للأمير سلمان، ومع اعترافي باستنارة الأمير سلمان، إلا أن الجريدة تظل في النهاية جريدة سعودية رسمية، وأنا لا أخدع نفسي. . وقلت له: أنا على أي حال لا أتعاقد الآن على كتابة مقالات في أي جريدة وقد توقفت عن كتابة مقالات في العالم العربي منذ يناير ١٩٨٠ وإذا كتبت فسوف أكتب في «الوطن» الكويتية، لأن الرئيس السادات مارس ضغطاً رسمياً قوياً عليهم لكى يمنعهم من نشر كتاباتي، ولكنهم رفضوا كل الضغوط.. وهو يجعلنى أشعر بأن هناك ارتباطاً أدبياً بينى وبينهم...أى لعبة إذن لعبتها مع الشرق الأوسط؟ لقد كنت أستطيع أن أفهم توقفهم عن النشر فهذا حقهم، أما ما يدعو للاستغراب فهي الأسباب غير الحقيقية التي أذاعوها، أنهم يقولون إنهم توقفوا عن النشر لأن في الكتاب تطاولاً على أموات وخروجاً على أخلاق، وما أدهشني أن الشرق الأوسط نشرت الفصول الأولى عن حياة السادات وهي التي يتهمها البعض بالتطاول على الأموات، ثم توقفت عن النشر حين بدأت أتحدث عن دور السعودية في حياة السادات.

● **ما هو بالتحديد الدور الذي لعبه السعوديون في حياة السادات على النحو الذي عرضته في خريف الغضب؟**

■ الكتاب يقدم عرضاً للدور السعودي في تحويل مسار قضية الشرق الأوسط وهو دور نسج من علاقة شخصية نشأت بين الرئيس السادات إبان كان سكرتيراً هاماً للمؤتمر الإسلامي، وبين السيد كمال أدهم، صهر الأمير فيصل آل سعود ـ الذي

أصبح ملكاً فيما بعد ـ وقد التقى به السادات في حفل عشاء في منزل المطرب المشهور فريد الأطرش، وقد أصبح كمال أدهم بعد ذلك صهراً للملك ومديراً للمخابرات السعودية، وظلت علاقته بالسيد أدهم تنمو، حتى إن الواشنطن بوست، نشرت مقالاً في صفحتها الأولى نشر في حياة السادات، بقلم مدير تحريرها الحالي جيم هوجلاند قال فيها إن السيد كمال أدهم كان يدفع مرتباً شهرياً للرئيس السادات طوال الستينات، وهي واقعة، لم ينفها السادات في حياته، ولم يعلق عليها، بل استقبل كاتبها فيما بعد وأدلى له بأحاديث. . وعندما أصبح الرئيس السادات رئيساً للجمهورية كان كمال أدهم من أكثر الذين كانوا يترددون عليه، وكان يركز أمامه على مدى الجهود التي تبذلها السعودية لشد اهتمام الولايات المتحدة إلى حل قضية الشرق الأوسط لكنهم كانوا يصطدمون دائماً بمشكلة الوجود السوفييتي في مصر، وقد شرح له الرئيس السادات اضطراره للاعتماد على الروس طالما أن الأمريكيين ماضون في تزويد اسرائيل بالسلاح، وقد كاشف الرئيس السادات كمال أدهم بأنه مستعد لطرد السوفييت إذا استطاعت الولايات المتحدة المساعدة على تحقيق مرحلة أولى من الانسحاب. .

وأذكر أن السيد كمال أدهم حدثني عام ١٩٧١ عن ضرورة الترتيب لتنسيق وثيق بين الملك فيصل والرئيس السادات، وأدهشني حين قال إن الرئيس السادات يرغب في أن يكون هناك اتصال مباشر عن طريق أجهزة خاصة توضع في بيتي وفي بيت كمال أدهم، لنكون نحن الاثنين قناة اتصال بين الرجلين الرئيس والملك، ولما كنت أعلم بالصلة بين وكالة المخابرات الأمريكية وبين وكالة المخابرات السعودية، فقد اعتذرت عن القبول، واستنتجت فيما بعد، أن هذا الخط قد بدأ يعمل من بيت الرئيس السادات.

وفيما بعد استطاعت السعودية عبر علاقتها بالسادات أن تدفعه لكثير من التصرفات التي أعتقد أن الساسة السعوديين نادمون عليها اليوم، لقد كانوا قلقين جداً مما يسمونه الخطر الشيوعي في المنطقة، وكانوا يريدون إخراج السوفييت ولعبوا دوراً في إخراجهم سلاحاً وخبراء وعلاقات سياسية وصحيح أنهم مولوا ـ بعد ذلك ـ شراء أسلحة غربية، ولكني ممن يعتقدون أن الأسلحة الغربية لا تستطيع أن

تدافع ضد اسرائيل إنها تصلح لعمليات في الكونغو أو في الصومال أو في السودان، أما اسرائيل فإنها ستتلقى أمام كل قطعة سلاح أمريكية يحصل عليها العرب، لا ما يوازيها بل ما يتفوق عليها ويلاشيها. .

والواقع أن السعوديين بهذا الدور الذى لعبوه أخلوا بالتوازن الاستراتيجى فى المنطقة وإذا كنا ـ نحن العرب ـ قد جرينا جميعاً إلى البيت الأبيض، خلال غزو لبنان، نطلب منه أن يحمينا من الوحش الاسرائيلي الذي ربى في البيت الأبيض ذاته فهذه ثمرة السياسية التي شجعت السعودية السادات عليها فكان بعض ما دفعه إلى الطريق الوعر الذي انتهى بمنصة العرض في ٦ أكتوبر ١٩٨١.

وهذا الرأي هو الذي جعل الشرق الأوسط تتوقف عن النشر وهذا حقها لا أنازعها فيه ولم تكن في حاجة إلى تبريره بدعاوى عن الأخلاق وتقاليد النشر ذلك أنها لم توقف النشر دفاعاً عن القيم التي لم أهدرها، بل حرصاً على مصالح لا شأن لي بها.

● **تقول الشرق الأوسط أنها لا تريد أن تروج لك.**

■ ضحك محمد حسنين هيكل وقال:

ـ مع تقديري الشديد فأنا أتصور أنني الذي استخدمت للترويج للشرق الأوسط حتى في منع النشر ومقالاتي تنشر في الصنداي تايمز في ذات المدينة التي تصدر فيها وتوزع على ٢ مليون قارىء فلست في حاجة إذن إلى من يروج لي.

● **وما ردك على البيان الذي أصدره الأمير الشيخ «المبارك الصباح» ينفي فيه الواقعة التي ذكرتها في كتابك وقلت فيها إن السادات، حين كان رئيساً لمجلس الأمة عام ١٩٦٦ سافر إلى وشنطن وهناك التقى بالشيخ ويبدو أنه ألمح له، أن بدل السفر الرسمي الذي يتقاضاه أقل مما ينبغي، فحرر له شيكاً بمبلغ ٣٥ ألف دولار.**

■ الحقيقة أن بيان الشيخ مبارك يؤكد ما ذكرته ولا ينفيه، فقد ذكر أنه أعطى السادات المبلغ وأن ذلك تم بعلم عبد الناصر وموافقته، وهذا استشهاد بشاهد

غائب وما أعلمه أن الرئيس عبد الناصر حين علم بالموضوع سأل السادات فيه، وطلب إليه أن يعطيه الشيك لإعادته بالطريق الرسمي، ثم رأى أن الأفضل أن يعيده السادات بنفسه وقد كان ما جاء ببيان الشيخ مفاجأة لي. أن يتضح منه أن الشيك لم يعد إليه.

قلت لمحمد حسنين هيكل:

● **أنا معك في أن الحملة على الكتاب في الصحف المصرية، تبدو نوعاً من العبث ولكن هذا لا يمنع أن هناك مواطنين من ذوي النوايا الحسنة يقرأون ويتأثرون، ثم إن انحراف المحرضين بالموضوع لا يعني أن نتركهم يهيلون التراب على القضايا الحقيقية ولهذا ـ ففي تقديرنا ـ لا بد لك أن ترد.**

■ حسناً. سل وسوف أجيب.

● **هناك من عارضوك في تناول الظروف الشخصية لأنور السادات، وقالوا إن القارىء العربي والمسلم، ليس متعود على القراءة عن هذه الجوانب الخاصة جداً من حياة الشخصيات العامة كما هو شائع في الغرب؟**

■ الذين يقولون ذلك، إما أنهم لم يقرأوا كتب المؤرخين العرب والمسلمين وإما أنهم يحتقرون عقلية القارىء المصري ولو قرأوا كتب السلف الصالح من المؤرخين مثل المقريزي وابن اياس وابن تغري بردي والسخاوي لوجدوهم جميعاً يربطون ظروف نشأة الحاكم وصفاته النفسية الخاصة بطريقته في الحكم ولو راجعت ابواب التراجم في تلك الكتب لوجدت حديثاً كثيراً عن أصول السلاطين الأسرية وزوجاتهم، وأهوائهم وكل ما له تأثير على قراراتهم ومع أنني لست مؤرخاً ولا أزعم لنفسي مكانة هؤلاء المؤرخين العظماء فلست إلا صحفياً يكتب عما شاهده ويحلل ما عرفه إلا أن قولهم هذا ليس صحيحاً. بل إن المصريين العاديين في كل العهود لم يكفوا أبداً عن الاهتمام بسلوك حكامهم الشخصي وهم حساسون جداً من هذه الناحية وهم أذكياء في التقاط ما هو مؤثر من الصفات الشخصية في أسلوب الحكم وفي طريقة ادارته، فليس صحيحاً إذن أن القارىء العربي لم يتعود أن يقرأ عن حكامه بالطريقة التي كتبت بها. والذين يقولون ذلك في الواقع يقرون

بتميز القارىء الأوروبي على القارىء المصري. وأنه يستطيع أن يتناول حكامه بما لا يجسر عليه المصري حتى بعد أن يصبح هؤلاء الحكام تاريخاً.

● أظن أن الذين يقولون ذلك يخلطون بين الحياة الخاصة للرجل المشتغل بالعمل العام والحياة الخاصة للمواطنين العاديين.

■ هذا صحيح، هناك فارق بين الرجل العام والرجل الخاص، فالرجل العام يتقدم ليتحدث باسم الناس، وينوب عنهم ويتصرف في مصالحهم ويصدر قرارات تمس حياتهم اليومية ومن هنا فتصرفاته وسلوكه ومزاجه النفسي والعوامل التي أثرت في نشأته ينبغي أن تكون محل اهتمام الناس ومن حقهم أن يعرفوها ويفهموها، أما الرجل الخاص الذي يقتصر أثر تصرفاته على نفسه وعلى أسرته، فليس من حق أحد أن يهتم بما هو خاص من شؤونه إلا الذين تربطهم به علاقات مباشرة لقد ناقش المؤرخون وما زالوا يناقشون حياة الخلفاء فهل من المعقول أن يطالبنا أحد بألا نناقش حياة حاكم لم يكن خليفة وليس هو بنبي؟

حين يموت مواطن عادي وقد ترك لورثته ديوناً، يقع العبء عليهم وحدهم أما حين يتولى حاكم كالرئيس السادات حكم مصر ديونها ٣ مليارات دولار فقط ثم رحل عن الدنيا وقد وصلت هذه الديون إلى ٢٥ ملياراً خدمتها السنوية وحدها توازى ٣ مليارات دولار أى ثمانية أمثال الدين الذى بدأ به حكمه ومع ذلك من المصريين من يطالب بمصادرة حقنا فى أنْ نناقشه هل من المعقول أن يأتى كل حاكم ويفعل ما يشاء ثم يذهب فلا نناقشه فى حياته .. ولا نناقشه بعد مماته أهذا معقول ؟ !

● يقول بعض الذين انتقدوا كتابك أنك تعمدت أن تحقر الفقر والفقراء، وأنك بما رويته عن والدة السادات كنت تتعمد الازدراء به؟!

■ هذا فهم مغرض لما كتبت. . ثم إن النشر في مصر قد توقف بعد هذا الفصل، ولو أتيح للقراء قراءة نفس هذا الجزء من الكتاب لاكتشفوا أن تلك كلها أكاذيب، فأنا لم أعير السادات بفقره، لكنني لمته وهو الذي ظلم في طفولته وقد انحاز ـ حين حكم ـ إلى الظالمين وأخذت عليه أنه لم يقدر أمه ولم يحترم تعاستها، ولم يفهم تضحيتها، وهذا عيب فيه، لا فيها. أن الفقر ليس عاراً هذا صحيح ولكني لم أكن

بصدد إصدار حكم على الفقر ولكن بصدد تحليل تأثير ظروف طفولة قاسية على رجل حكم مصر ١١ عاماً وأصدر قرارات غيرت مسار سياسة المنطقة. وأنا مع الذين يقولون إن الحرمان قد يلد عبقرياً ولكنه أيضاً قد يلد شيئاً آخر والفيصل هو الطريقة التي يتفاعل بها الإنسان مع ما يتعرض له من حرمان أو قهر اجتماعي.

● ما هو الخط العام لرؤيتك لأثر السادات الطفل في حياة السادات الرئيس؟

■ هذه هي النقطة التي هربوا من مناقشتها وهناك إجابة عليها في الفصل الذي كان مفروضاً أن تنشروه في الأهالي قبل أن تهددوا، فتوقفوا النشر وهو بعنوان «الهروب إلى الوهم» ولو أتيح للناس أن يقرأوه لعلموا أنني لم أعير أنور السادات بفقره ولا بلون والدته ولكنني فقط فسرت الطريقة التي تفاعل بها مع تلك الظروف التي لم يكن الوحيد الذي تعرض لها، وليس بالضرورة أن يتأثر كل الذين تعرضوا له بنفس التأثير. وفي بداية هذا الفصل قلت ما يلي بالنص:

«إن أنور السادات وضع على كتابه قصة حياته الذي نشره في الغرب وفي مصر سنة ١٩٧٨ عنوان: البحث عن الذات. وسواء كان العنوان من اختياره أو من اختيار الكاتب الذي تولى صياغته أو الناشر الذي قام بطبعه فإن العنوان يبدو موفقاً أكثر مما كان يمكن أن يقصده أي واحد من هؤلاء الثلاثة.. أيهم لا يهم؟

إن حياته في شارع محمد بدر تركته غير قادر على الشعور بالانتماء إلى أي مكان.

(ربما كان ذلك بين الأسباب التي كانت تدفعه حتى عندما أصبح رئيساً للجمهورية إلى الترحال المستمر.. فلم يكن يستقر في مكان ولا حتى في بيته في الجيزة مع زوجته وبين أولاده رغم كل الجو المترف والسعيد الذي حاولت زوجته جيهان فيما بعد أن توفره له فيه).

كان يخاف من والده ولم يستطع أن يقنع نفسه إلى آخر يوم بأن يحبه وكان غاضباً على أمه فلم يكن في أعماقه قادراً على احترام عذاب هذه السيدة التعيسة الحظ. وقد زادت مقاومته ـ بدون داع حقيقي ـ للون الذي ورثه منها.

(لقد لعبت مشكلة اللون دوراً غريباً في التكوين النفسي لأنور السادات ولم يكن هناك ما يبرر ذلك في الواقع خصوصاً في مصر وفي العالم العربي حيث اختلطت الدماء العربية بالدماء الافريقية وتشابكت الانساب ـ لكن أنور السادات كان في أعماقه شديد الاحساس بهذه المشكلة ولعلها اختلطت في ذهنه خطأ بالعبودية، ومع ذلك فإن العبودية نفسها لم تكن ذنب أصحابها وإنما ذنب آخرين فرضوها عليهم. وفي حين استطاعت تجربة العبودية أن تلهم كاتباً عظيماً مثل ألكس هيلي بأن تكتب قصته الكبيرة «جذور» فإن أنور السادت لم يجد فيها مصدراً لالهام وإنما سبباً متصلاً للهرب حتى من نفسه).

كان تواقاً إلى عطف الناس وإلى فهمهم، وكان مستعداً لأي شيء في سبيل الحصول على قبولهم ورضاهم.

(ربما كان في هذه النقطة تفسير للطريقة التي ترك بها كل من حوله يستغلون سلطة منصبه فيما بعد دون أن يحاول وقفهم عند حد ـ بل إن ذلك زين له ألواناً من الترف كان يجب أن يرد نفسه عنها باعتباره واحداً من قواد ثورة لها مضمونها الاجتماعي. وفي الحقيقة فإن جو السلطة العليا إبان حكمه تحول إلى شبه بلاط سلطاني).

وكان ـ شوقه إلى عطف الناس وإلى قبولهم ورضاهم ـ ذلك على نحو أو آخر أكثر جوانب شخصيته جاذبية. لكن مجمل ذلك كله جعله في النهاية على استعداد لأن يعطي ولاءه لأي شخص أقوى منه تضعه الظروف أمامه. ولقد تعلم على كل حال كيف يتحمل صدمات وأحياناً إهانات، لا لزوم لها. ولما كان هناك رد فعل لكل فعل، فقد تولد في أعماق أعماقه إحساس بالحاجة إلى الانتقام مما كان يعانيه، وهذا هو ما ولد لديه نزعة العنف المكبوت الجاهز للانفجار دواماً إذا أحس أن عواقبه مأمونة. وعلى أي حال فلم يكن أمامه في تلك الأيام غير محاولة الهرب، والهرب المستمر إلى عوالم من صنع الأحلام والأوهام».

هذا ما قلته في الكتاب، فأي عبارة من ذلك يمكن اعتبارها معايرة بالفقر أو بلون الأم، أو تحقيراً لهذا وذاك؟. إن نشأة السادات المتواضعة لم تكن موضع

انتقادي لا صراحة ولا ضمناً ولا يمكن أن يكون الفقر محل انتقادي ولكني ربطت بينها وبين انتقاله حين حكم إلى مصادقة آل روكفلر وآل أوناسيس وآل بهلوي، والتأثر بأسلوب حياتهم، وذلك أمر لا يخص السادات ولكنه يخص كل مواطن في هذه الأمة.

● ولكن هناك بعض الآراء تقول إنك قدمت مأساة مصر بالسادات من جانب شخصي محض وأن كتابك لم يركز على نقد سياسات السادات بل على نقد شخصه..

والانطباع السائد عند الناس أن خريف الغضب كتاب عن حياة أنور السادات، فهل هذا انطباع صحيح؟!

■ إن الكتاب ليس قصة حياة أنور السادات كشخص وإنما الكتاب عن نهايته المأساويه وهذا منطوق عنوانه : خريف الغضب ـ اغتيال أنور السادات ـ . وهو لم يتعرض من حياته إلا للعوامل التى جعلته يتصرف بتلك التصرفات التى انتهت إلى المواجهة الدموية التى حدثت فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ موضوع « خريف الغضب » هو : ماذا حدث وأدى إلى حادث المنصة ؟ . وشخصية السادات هى موضوع الجزء الأول منه . وقد أخذت من مفاتيح شخصيته تلك التى انتهت به إلى حادث المنصة . وقدمت وقائع بنيت عليها تحليلى . ومن حق أى إنسان أن يقول لى إن تحليلى خطأ وأن يحلل هو الآخر كما يشاء وعلى الذى يقول إن وقائعى خطأ أن يقدم الصواب .

والواقع أنني لم أعتمد فيما ذكرته عن السادات سوى ما هو مكتوب بقلمه، ومنشور أيضاً في الصحف ونقلته عنه بالحرف والفصل الخاص بعوالم الوهم التي هرب إليها بدءاً من هوايته للتمثيل ونشره رسالة في الصحف يرشح فيها نفسه لبطولة فيلم مع الممثلة القديمة أمينة محمد، ثم إعجابه بالعسكرية الألمانية وسعيه لتقمص مظاهرها، إلى تورطه في مغامرة التجسس مع الألمان، ثم انضمامه بعد ذلك إلى الحرس الحديدي الذي كان يقوم باغتيالات لحساب الملك فاروق،

وتحويله اتجاه مجموعة حسين توفيق من اغتيال الجنود الإنجليز إلى اغتيال خصوم السراي الملكية، ثم اشتراكه في محاولة اغتيال مصطفى النحاس الأولى، وفي اغتيال أمين عثمان، وفي اغتيال النحاس الثانية، كل هذه الوقائع لم أستند فيها إلا لكلام أنور السادات نفسه حرفياً. .

● ما هو في رأيك تأثير هروب السادات إلى الوهم على سياساته؟

■ هذا ما يتناوله الجزء الثاني من الكتاب، وعنوانه «النهب الثاني لمصر» على أساس أن النهب الأول حدث على عهد الخديو اسماعيل، لقد نقل كارتر عن السادات قوله له: «إن البعض يتصورون أنني أحكم مصر كخليفة لعبد الناصر، ولكنني أحكم مصر بأسلوب الفراعنة، لأن هذا أقرب إلى نفسية الشعب المصرى، وكان كارتر مذهولاً من هذا الكلام». وهذه واقعة رواها لى جوزيف كرافت، وهو من ألمع الصحفيين الأمريكيين. وقد سمعها بنفسه من كارتر فى حضور برجينسكى. . وقد أشار إليها كارتر نفسه فى مذكراته، حين أومأ إلى أن السادات كان يشعر فى أعماقه بأنه أحد فراعنة مصر القديمة.

والواقع أن أنور السادات كان يتخيل نفسه خليفة رمسيس الثاني، وقد كان في رأيي أقرب إلى الخديو اسماعيل ـ بغير اللمسة الحضارية كعصر اسماعيل مع الأسف ـ فعملية النهب التي حدثت لمصر في الداخل ومن المغامرين في الخارج، أو من الشركات والبنوك، تكاد تكون شبيهة تماماً بما حدث في عهد الخديو اسماعيل، وقد تتبعت عملية النهب هذه حتى أحداث ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧.

واعتبرت أن شرعية النظام قد شرخت في ١٩٧٧، فحين يعجز نظام يملك في يده كل وسائل الدولة، ووسائل الاعلام، عن حفظ النظام ويلجأ إلى حظر التجول وإنزال الجيش في الشوارع بسبب اضطرابات تتعلق بالطعام، وحين يعجز نظام من اقناع الناس أو تطويعهم، فيضطر للتلفيق فتحكم المحاكم ضده، ويلجأ إلى القوة في أقسى صورها، فمعنى هذا أن شرعيته قد شرخت، وحين أراد أن يعززها بمزيد من القمع، انتقلت المقاومة من العلن الى السر، وتحول الحوار إلى قنابل وبنادق آلية بدلاً من الكلمات والخطب المنبرية!

● معنى هذا أنك ترى أن العنف الذي التهم السادات هو أحد ردود الفعل على العنف الذي مارسه ضد الناس ليفرض شرعية مشروخة؟!

■ الحديث عن «الأصوليين الاسلاميين» هو موضوع الجزء الثالث من خريف الغضب، فقد كانت الأصولية هي الوعاء الوحيد الذي لجأ إليه طلباً لليقين وطلباً للشجاعة جماعات كبيرة جداً من شباب مصر المسلمين، بعد أن اهتزت رؤيتهم لما هو نسبي، وما هو واقع، فأرادوا أن يلجأوا إلى اليقين المطلق، ويلتمسوا عنده الإيمان، والحديث عن الأصولية الإسلامية يرتبط تماماً بالمشكلة التي نشبت بين السادات وبين الكنيسة القبطية، وهو موضوع الجزء الرابع من الكتاب فقد حاول أنور السادات أن يتحالف مع الجماعات الاسلامية قبل أن تصطدم به، ولكن محاولته لاستغلال التيار الإسلامي أدت إلى رد فعل آخر في الكنيسة القبطية، شرحت تفاصيله في خمسة فصول وهذه مشكلة ما زالت قائمة، والبابا ما زال معزولاً، والبلد مهددة بمشكلة طائفية، لم يكن الناس سببها.

وفي الجزء الخامس من الكتاب انتقلت إلى خريف الغضب وما حدث فيه فرويت قصة صدام السادات مع كل القوى العسكرية والاجتماعية والوطنية والدينية، وما جرى من تخبط انتهى بحادث الاغتيال الذي خصصت له الجزء السادس، وختمت الكتاب بنظرة إلى المستقبل بعنوان «إلى أين من هنا».

ألا يستحق ذلك كله أن يقرأه أحد قبل أن يعلق ويهاجم، وينتزع سطراً من المقدمة ليطلقه في نفير الحرب الوهمية التي تشن عليّ.

● يقول خصومك إن الكتاب يتضمن استهانة بحرب أكتوبر، ويهون من شأن السادات فيها وأنك صورتها كما لو كانت تمثيلية من عالم الوهم الذي قلت إن السادات عاش هارباً إليه؟

■ ينبغي أولاً أن نفرق بين حرب اكتوبر كعمل عسكري، وبين الادارة السياسية للحرب، والاستثمار السياسي لنتائجها، إن الحرب كعمل عسكري انجاز باهر بكل المقاييس، وهي شهادة للعسكرية المصرية. وانجاز من انجازاتها العظيمة وكل صفحة من كتابي تشيد ببطولة المواطن المصري العادي في تلك الحرب، وفي

هذا الصدد أوردت لمحة من تفكير السادات نفسه عن أهداف الحرب السياسية لكن هذا شيء والطريقة التي استثمر بها السادات نتائج الحرب سياسياً شيء آخر، وحول هذا الموضوع كان خلافي مع السادات، الذي لم يكن يوماً خلافاً على إرث بل خلاف سياسي، حول استثمار نتائج نصر اكتوبر، فقد اختلفت معه منذ مباحثات فض الاشتباك الأول في نهاية ١٩٧٣، وعبرت عن موضوعات الخلاف في مقالات نشرت بالأهرام وجمعتها أخيراً في كتاب بعنوان «في مفترق الطرق».

والواقع أن السادات لم يفهم للأسف طبيعة الصراع في الشرق الأوسط، ومن هنا كانت صورته قاصرة ومشوهة وهناك وثيقة منشورة في الكتاب، وهي بخط كاتب كبير هو توفيق الحكيم وهو شاهد عليها. كما يشهد عليها أيضاً الكاتب الكبير نجيب محفوظ. .

والحكاية أنني عدت من الصين في عام ١٩٧٣، فوجدت ضجة في مصر بسبب بيان الأدباء الشهير الذي عرف ببيان توفيق الحكيم، وكان الأدباء قد أصدروا البيان تضامناً مع الطلاب الذين كانوا يتظاهرون آنذاك ضيقاً باستمرار حالة اللاسلم واللاحرب، وبعد صدور البيان استدعى د. عبد القادر حاتم وكان قائماً آنذاك بعمل رئيس الوزراء، توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وشخص ثالث، فناقشهم في الموضوع بناء على أمر السادات، وفوجىء توفيق الحكيم بحملة السادات تشتد ضده، وأعلن أنه طالب بالاستسلام وعدم الحرب، وحين عدت قال لي توفيق الحكيم: يبدو أن ما نقل للرئيس من أقوالي في لقائنا مع د. حاتم لم يكن دقيقاً وكتب رسالة يوضح فيها الأمر، نشرتها في كتابي، وهذه هي صورتها بخط توفيق الحكيم أنشرها على الناس. .

وقد سلمت رسالة توفيق الحكيم إلى السادات، وتوقعت أن يكذب ما بها، أو ينفي ما قاله حاتم أو يقول إنه لا يعبر عنه، ولكنه لم يفعل، ولكنه سألني عما إذا كنت قد صورتهما أم لا، وحين اصطحبت توفيق الحكيم ليقابله، لم يعلق بحرف واحد على رسالته، ولم ينف أو يستنكر كلمة مما قاله حاتم، بل أخذ يعرض عليه ماكيتاً مجسماً لمشروع الأوبرا الجديدة. .

أليس في هذا الكلام الذي قيل في فبراير ١٩٧٣، وقبل الحرب، العسكرية

المصرية بنضالها وتضحياتها وشجاعتها وابتكارها؟

هل هذا كلام مرسل. . هل أروي واقعة شهودها أموات، إن توفيق الحكيم - حي - أطال الله بقاءه، فاسألوه، واسألوا نجيب محفوظ!

● من الواضح أنك تعتبر السادات في كتابك ممن يملكون «موهبة الرجل الثاني» أي أن يخضعوا لسيطرة من هو أقوى منهم وأن هذا لعب دوراً في تصرفاته، هل تظن أن نصر اكتوبر هو الذي عمد بطولته، بحيث انتقل ليمارس دور الرجل الأول، بعد عمر كامل من ممارسة دور الرجل الثاني؟!

■ المشكلة في رأيي أن السادات لم يفهم ماذا حدث في اكتوبر، وأنا أدعي أن هناك وثيقة هامة في الكتاب وهي صفحة كاملة من محاضر المفاوضات السرية بين الاسرائيليين وكيسنجر، وفيها يبدي كيسنجر عجبه لأن أنور السادات لم يستخدم كل الأوراق التي حصل عليها في حرب أكتوبر، ولهذا تلاحظ أنه عاد بعد الحرب يطلب نفس ما كان يطلب قبلها، ففي مبادرة ٤ فبراير ١٩٧١، كان السادات يطالب بخطوة انسحاب جزئي، وهو ما عاد إليه بعد الحرب، مع أن الحرب كانت قد غيرت وقتها موازين القوى، بسبب بطولة انجازها، واتساع الحلف القتالي العربي الذي شارك فيها. ولكن هذا التحالف جرى فكه، وعدنا نهرول إلى أمريكا نحن الذين حققنا في أكتوبر انتصار استراتيجياً. . وهذه واحدة من علامات التعجب التي يحاول الكتاب أن يبحث عن إجابة لها. .

أين نصرنا الاستراتيجي؟. من علامات التعجب التي يبحث الكتاب عن إجابة أين وعد السادات لنا برخاء ١٩٨٠ نحن الذين كنا من طلائع الدول النامية كنا بلداً تضم أقباطاً ومسلمين خاضوا الحرب معاً في أكتوبر، فكيف تدهورت الأحوال إلى هذا الحد؟. نحن بلد لم تكن تعرف العنف، فكيف انتهى عهد السادات بأن يكون أول فرعون يقتل بيد أحد أفراد شعبه.

تقول إن أنور السادات بعد أكتوبر حصل على الأمان الذي كان يفقده مع الأسف الشديد لم يحدث ولست أنا الذي يقول ذلك ولكنه كيسنجر الذي يقول إن السادات لم يستخدم كل ما كان بيده من أوراق ضغط حصل عليها من نصر أكتوبر

وكان في استطاعته أن يحصل بها على انسحاب اسرائيلي إلى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ ولكنه كان ـ كما يقول كيسنجر ـ نافذ الصبر عجولاً، يريد أن يرى نفسه في موكب منتصر يدخل الاسماعيلية والسويس وبور سعيد يعامل معاملة المنتصر، وكانت النتيجة اتفاقات فك الاشتباك الأولى والثانية.

.. فهل ينشر أحد من الذين يهاجمون هذه الوثيقة ثم يعلق عليها!

● يقول المحرضون على الكتاب إنه صدر عن حقد على السادات؟

■ ليست لدي أي أسباب للحقد على السادات، فقد لعبت دوراً في توليه السلطة بعد وفاة عبد الناصر وأنا أعرف أسباب قصوره وتصورت أنه سوف يتطور، مع المسؤولية لأن مشكلته هي عدم احساسه بالأمان الداخلي وتصورت أنه حصل عليه بعد أن أصبح رئيساً للجمهورية، وكان اختياره هو الأمر الطبيعي بعد وفاة عبد الناصر وهذا ما استقر عليه رأي كل الذين كانوا مسؤولين آنذاك وقد ظللت بجواره وساعدت في الاعداد السياسي والاعلامي لحرب أكتوبر وأنا الذي كتبت قرار الحرب وكنت موجوداً معه طوال أيام الحرب سواء في بيته أو في غرفة العمليات.

وقد اخترت أن أترك العمل معه. وتركته واخترت موقفي لأنني ببساطة لم أكن أستطيع أن أتواطأ ضد أعظم انتصار حققه الجيش المصري في عصره الحديث. . ولكنني لم أكف عن أن أكون صحفياً حين تركت «الأهرام» وخرجت إلى الدنيا الواسعة، وكتبت للعالم كله، وهم يعيرونني الآن بأن كتبي تعطيني ايراداً عالياً وأنا أقول إن الغني هو الغني عن الناس، وقد ظللت أعيش في وطني وتمسكت بأنه لا بيت ولا عمل ولا قبر خارج مصر، وظللت أعيش من دخل ما أكتب.

وبذلك حققت لنفسي كمية من الاستقلال لا أرضى أن أتنازل عنها تحت أي ظرف من الظروف وبالتالي فلم تكن لي دوافع للحقد.

● يقولون إنك «حاقد» لأنك تركت منصبك في الأهرام؟

● أولاً هو لم يخرجني من الأهرام. نقلني مستشاراً لرئيس الجمهورية واعتذرت ثم

عرض علي أن أكون نائباً لرئيس الوزراء ثم مستشاراً للأمـن القومي واعتـذرت وعرض علي أن أعود إلى الصحافة شرط أن ألتزم واعتذرت. وهذا كلـه معـروف ومنشور.

دعني أقول لك بصراحة ـ وفي نفس الوقت على استحياء ـ إن خروجـي من «الأهرام» في الوقت الذي خرجت فيه، كان من أحسن ما حدث لي في حياتي. كنت قد فرغت من مهمة بناء الأهرام الحديث وكنت قد فعلت كل ما في وسعي للتبصير بحقائق الصراع في الشرق الأوسط، وكانت هناك مرحلة غريبة على وشك أن تبدأ ـ مرحلة استسلام للسياسة الأمريكية. دعني أذكرك أنني من أنصار سياسة واضحة ومستقيمة ومتوازنة مع أمريكا، ولكن ما حدث كان شيئاً آخر مرحلة الانفتاح والفساد ثم القمع ثم كامب ديفيد ثم عصر الامبراطورية الاسرائيلية مع الأسف.

كيف كان في مقدوري أن أكون شاهداً على هذا كله ومدافعاً عنه؟!

ومع ذلك، فلقد خرجت من «الأهرام» إلى العالم الواسع، حيث أقول رأيي بحرية للدنيا كلها!

● أشهد أن هذا ليس صحيحاً.. ولكنني بمناسبة الحديث عن «الحقد» أشعر أن حملة السادات عليك كانت عنيفة بشكل غير مفهوم، فهل لديك تفسير لها؟. هل لديك تفسير لعبارته الشهيرة التي قالها عنك في حملة سبتمبر من أنك عشت كفاية وغضبه الشديد من علاقتك برؤساء التحرير.. وبالملوك والرؤساء؟

■ .. بل ووصل به الأمر إلى القول بأنني ملحد وأنا أسير سجنه لا أملك فرصة الرد على تكفيره لى. والواقع أن علاقتى به كانت تختلف كثيراً عن علاقتى مع عبد الناصر لقد كنت طرفاً فى حوار مع عبد الناصر ولكن السادات الذى بدأ مرحباً بالحوار. قد انتهى بأن لم يعد طرفاً فى حوار مع أحد لا معى ولا مع غيرى. وربما كان يشعر بالفارق بين علاقتى به وعلاقتى بعبد الناصر وربما كان

إحساسه بأنني لعبت دوراً في توليه السلطة لم يكن يعطيه سعادة . فالإنسان عادة لا يسعد بأن يكون مديناً لأحد . والواقع أنه أخطأ فهم كثير من الأشياء .

أذكر مثلاً أنني اختلفت معه أول مرة، حين اتصل بي - بعد توليه بقليل - ليطلب مني أن أخصص مقالي الأسبوعي بصراحة عن جعفر نميري وقال لي إن النميري يقول إن هيكل لم يكتب عن ثورة السودان، وأنه وعده بأن أكتب هذا الأسبوع عنها وقد أبديت له دهشتي وقلت إنه ليس في ذهني موضوع الكتابة فيه عن السودان وأضفت: أخشى أن تفهم أن عبد الناصر كان يحدد لي ما أكتب فيه وهذا غير صحيح، وأنا أعترض على أن تحدد لي ما أكتب فيه فقال إنه أراد أن «يصلح» علاقتي بجعفر نميري وانتهى الموضوع عن هذا الحد، ولم أكتب مقالي في ذلك الأسبوع.

وقد تصور السادات أنه حين نقلني من «الأهرام» قد حكم عليَّ بألا أصبح صحفياً إلى الأبد ولهذا كان يغضب لأنني ما زلت صحفياً رغم تركي الأهرام وقد حدث عندما قابلت الخميني عام ١٩٧٩ في باريس ونشر النبأ، أن سأل صديقاً مشتركاً: هو محمد قابل الخميني ليه؟ وعندما قال له الصديق إن المقابلة تمت باعتباري صحفياً قال دهشاً. لكن أنا عزلته؟! ليس هذا فقط بل إن الشاه عندما وصل إلى أسوان سأل السادات عن هذه المقابلة، وهل لديه أنباء عن نوايا الخميني القادمة في ضوء مقابلتي له. . فقال السادات أن في مصر تقليد بأن يكتب كل صحفي يسافر إلى الخارج، تقريراً عن لقاءاته واتصل بي أحد كبار المسؤولين من أسوان وطلب مني كتابة تقرير ولكني رفضت وقلت إنني أكتب مقالات أنشرها ولم أكتب تقارير لأحد طول عمري وأن ما جرى في مقابلتي للخميني منشور.

وهذه وقائع ذات دلالة على طبيعة فهم السادات للصحفي، كان يتصور أن الصحفي جزء من جهاز الدولة إذا أبعد انتهى ولعله قد تضايق بشدة لأنني خرجت من الأهرام ومع ذلك ظللت صحفياً بل ولم أطلب منه وظيفة ورفضت ما عرض علي من مناصب.

وسكت هيكل لحظة قبل أن يضيف:

ـ إنني أدعي أنني لم أقل في خريف الغضب شيئاً عن السادات لم أقله وأنشره وهو موجود، ربما أكون قد توسعت فيه وهذا طبيعي لقد أدنت سياسات الانفتاح وما تقود إليه من فساد وهو حي وحتى عندما كنت في الأهرام لفت النظر إلى المحاذير التي تحيط بتجارة السلاح، وفي كتابي «الطريق إلى رمضان» تكلمت عن الادارة السياسية لحرب رمضان وهناك كتب عديدة لي جمعت فيها مقالاتي التي عبرت عن خلافي معه. منها (الحل والحرب) (وحديث المبادرة) (ورسائل إلى صديق هناك) (ولمصر لا لعبد الناصر) (والديمقراطية الغائبة والسلام المستحيل) (وعند مفترق الطرق) فليس ما بيني وبين السادات حقداً ـ من ناحيتي على الأقل ـ لكنه خلاف سياسي، وقد تعودنا أن نسمي الخلاف السياسي حقداً. لأننا لا نقبل به، ونهرب من النقاش حوله. . وأنا أكرر أنه ليس في خريف الغضب شيء لم أقله عن السادات في حياته، نعم توسعت وهذا طبيعي، لأن ظاهرة السادات السياسة قد اكتملت فصولها بحادث المنصة، فكان طبيعياً أن ترد إلى أصولها وأن تفسر ليفهمها الناس. .

يسألون: لماذا لم يكتب خريف الغضب والسادات حي؟!

والرد ببساطة: لأن خريف الغضب لم يكن قد جاء بعد!

● بمناسبة الخلاف بينكما في حياته، ما هو تفسرك للنغمة الذائعة التي روجها السادات بأن أي نقد لسياساته، هو نقد لمصر وهجوم عليها، وهي نغمة تستخدم الآن للهجوم على كتابك؟

■ هذا جزء من تصوراته الفرعونية، ومن أوهام نظرية الحلول، أي الفرعون الذي تحل فيه روح الإلّه أو خليفة رمسيس، وهي فكرة هاجمتها وهو حي، وأعلنت رفضي لها، والواقع أنه كان يتصرف أحياناً وكأنه الشعب والدولة والوطن والتاريخ، ولذلك فأنا أعتقد أن أي إنسان يحاول أن يمارس المسؤولية بعد السادات سيجد نفسه في دوامة، أنا أدعي أنه ليس هناك محضر مكتوب في الدولة عن أهم الاتصالات التي أجراها أنور السادات مع كثير من ساسة العالم، ويقول كيسنجر في مذكراته، إنه كان مندهشاً جداً لأن أنور السادات كان يتفاوض معه :ون أن

يكون هناك أحد يدون الحديث ليكون وثيقة رسمية من وثائق الدولة، في حين أن كيسنجر كان قد اصطحب معه من يدون اللقاء. لو أراد الرئيس مبارك أن يعرف ما جرى بالضبط أو ماذا يعرف ما جرى بالضبط أو ماذا اتفق عليه أنور السادات مع كيسنجر أو مع كثيرين ممن تفاوض معهم، فلن يجد محضراً لها في وثائق الدولة كلها!

● أستاذ هيكل.. بمناسبة ما يقال عما يسمى بحقدك على السادات، يقولون إنك أنكرت جميل الرجل، الذي عاملك حين كنت مسجوناً في حملة سبتمبر الأخيرة معاملة كريمة، فكنت في السجن تعيش وكأنك في بيتك تشرب مياه معدنية وتأكل من منزلك.. فهل حدث هذا لاحقاً؟!

■ أنت وغيرك شهود على الكيفية التي كنا نعامل بها في السجن قبل اغتيال السادات، وأنا أتركه لك لقد احترمت رغبة من قال لنا أنه يريد أن يفتح صفحة جديدة في تاريخ مصر، ويتعاون مع كل القوى ولم أتحدث بكلمة واحدة، حتى في موضوع اعتبر نفسي مسؤولاً عن الكتابة عنه، وهو موضوع عبد العظيم أبو العطا، ومع ذلك أنت تعرف أننا نمنا على البلاط، وأجبرنا على أن نأكل طعام السجون الرديء.. العسل الأسود والجبنة الفاسدة، والفول المسوس، وحرمنا من الاتصال بأسرنا أو بالمحامين، وظلت أبواب الزنازين مغلقة علينا طوال النهار والليل، ولم يزرنا أحد، أو يصلنا طعام من بيوتنا قبل يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٨١، وبعد وفاة السادات بأسبوعين، فإذا كنا قد عوملنا معاملة قانونية ـ نحن الذين اعتقلنا بعملية غير قانونية. فقد حدث هذا في عهد ليس هو عهد السادات، وكنت أقول إن أمثالكم من الشباب يمكن أن يحتملوا، وقد احتمل ذلك أيضاً شيوخ أجلاء كالمرحومين عبد العزيز الشوربجي وعبد الفتاح حسن، واحتملها أيضاً فؤاد سراج الدين، أما المياه المعدنية فلم تكف ترفاً أمارسه، بل كانت دواء أتعاطاه، وقد صرفت لي بموجب روشته طبية، من لجنة كبيرة فحصتني، واكتشفت أنني مريض بحصوتين واحدة في الكلى وأخرى في المرارة، والروشتة موجودة إلى الآن في سجلات مصلحة السجون.

● بالمناسبة: أنت لم تتحدث حتى الآن عن مجريات التحقيق الذي أجراه معك المدعي الاشتراكي في حملة سبتمبر.. وقد أذعت في أحد فصول خريف الغضب سر التسجيل الذي أجرى في مكتبك هذا لحديث دار بينك وبين د. محمود فوزي نائب رئيس الجمهورية الأسبق في سياسة السادات، فما الذي حقق فيه معك المدعي الاشتراكي؟.. وهل كانت هناك تسجيلات أخرى غير هذا الحديث الذي أشرت إليه؟.

■ تحقيق المدعي الاشتراكي الثاني معي، لم يختلف عن تحقيقه الأول وقد دار كله حول مقالات نشرتها وتصريحات أدليت بها، أما التسجيلات فقد كان بكل مكان في هذا المكتب جهاز تسجيل، والحديث الذي سجل للمرحوم د. فوزي، جرى في هذه الغرفة، وفي نفس المكان الذي تجلس فيه، وقد أتيح لي فيما بعد أن أقرأ تفريغاً له، ويا ليت الذين يهاجمون ينشرون نصه، ليعلم الناس رأي د. فوزي.

● هل كانت تلك التسجيلات مأذون بها من النيابة؟

■ لم يقدم لي أحد ما يثبت ذلك.. ولكنني لا أظن أن التسجيلات التي أجريت لي في زنزانتي كانت بإذن من النيابة.. وأنت تعلم أن كل ما كنا نقوله في السجن كان يسجل، وأن تقريراً يومياً عن معنوياتنا وتصرفاتنا كان يرفع إلى السادات.

● يعرض البعض، أنك في بعض الموضوعات الخاصة بالسادات قد تجاوزت في التفسير أحياناً.. فالقول بأنه كان جاسوساً ألمانياً مثلاً، يتجاهل أن قسماً كبيراً من الحركة الوطنية المصرية في الأربعينات كان يتصور أن التحالف مع الألمان سيخرج الانجليز من مصر؟

■ أنا لم أقل إنه كان جاسوساً ألمانياً، ولكني رويت التجربة كما رواها، والقصة رويت في سياق شرح عالم الأوهام الذي هرب إليه الرئيس.

صحيح أنه كانت هناك حركة في الوطنية المصرية تتجه هذا الاتجاه، وقد بدأ السادات في تنظيم يضم عبد اللطيف البغدادي ووجيه أباظة على صلة بعزيز المصري وبالألمان، ولكني من كلامه، أثبت في الكتاب أن السادات ذهب إلى

أبعد مما قصد إليه، فإن تتكلم مع الألمان في شأن قضية مصرية هذا معقـول، ولكن أن ترسل اشارات، وتتعاون مع رجال مثل ابلر وساندي هذا شيء آخر، وإذا رجعت إلى الفصل ستجد خطاً فاصلاً بين علاقة هؤلاء بالألمان وما انجرف إليه أنور السادات، سواء بالاندفاع، أو بالهرب إلى الوهم!

● هناك واقعة أخرى هي تهريبه من السجن في ربيع عام ١٩٤٨، حين كان مسجوناً على ذمة قضية اغتيال أمين عثمان، لينفذ لحساب السراي مع آخرين محاولـة لاغتيال مصطفـى النحـاس، وإعادتـه للسجـن، بعـد أن فشلـت المحاولة . . هل يمكن أن نطمئـن إلـى مصـادر الـرواية التـي ذكرتهـا في كتابك؟ . هل هناك شاهد أو وثيقة؟

■ معلوماتي تقول إن هناك تحقيقاً حدث في هذا الموضوع، والثابت أن السادات شوهد مع الذين نفذوا العملية بإحدى السيارات التابعة للقصـر الملكي. وقد روى أحمد حمروش جزءاً من الواقعة في كتابه، ومع ذلك فهذه الواقعة وغيرها قابلـة للنقاش، فمن لديه وثيقة أو شاهد ينفي هذا فليقدمها.

● ربما كان الذين صاحبوه في السجن آنذاك أدرى بغيابه، وقد يفيد أن يدلوا بشهاداتهم؟

■ هذا حقهم، ولكن مناخ التحريض المحيطبالكتاب يفسد أي مناقشة في التاريخ أو في السياسة وقد نقلت عن أحدهم وهو محمد إبراهيم كامـل رواية تقـول إن السادات كان يعلم مسبقاً بمحاولة خطف ملفات قضية أمين عثمـان، وأخطرهـم بذلك قبل حدوثها . .

● أظن أن الذي دبر المحاولة هو حسن عزت ـ كما ذكر في مذكراته، وكما ذكر وسيم خالد أيضاً في مذكراته؟

■ الذي خططلها هو القصر الملكي

● جاء في الكتاب، أنك الذي اقترحت على السـادات أن يصـور للشعـب

المعركة مع مراكز القوى باعتبارها معركة حول القبول بدور متميز لأمريكا في الصراع؟

■ لا أنا لم اقترح عليه أن يصورها هكذا، بل كان هناك في الواقع مشكلة ديمقراطية فضلا عن مشكلة التفاوض وأنا قلت إن مشكلة الناس الحقيقية آنذاك، هي الحريات الديمقراطية، ولن تكسبهم لصفك ما لم تستجب لمطالبهم، فافتح قلبك وأبوابك وسجونك. كنت في الواقع أريد أن أشجعه على أن يكون ديمقراطياً. .

● قلت في الكتاب أيضاً إنك كنت صاحب اقتراح فتح قناة السويس للملاحة البحرية في عام ١٩٧٥ بعد فشل المرحلة الأولى من مباحثات فك الارتباط الثاني في مارس ١٩٧٥، وقبل نجاحها وتوقيع اتفاقية المعمورة في اغسطس من السنة نفسها. ألم يكن اقتراحاً مثل هذا مما يساعد سياسات السادات التي كنت تعارضها؟

■ هذه الواقعة حدثت بعد خلافي معه وتركي الأهرام، وقد صاحبته في مباحثات أسوان، ولاحظت أنه متعجل جداً للوصول إلى اتفاق، الأمر الذي كان يجعله مستعداً للقبول بكثير مما اعتبره تفريطاً في حقوق الوطن، وكنت أرى إلا مبرر للعجلة فسألته: أنت مستعجل ليه على الاتفاق؟. وكان رده بالحرف الواحد: يا محمد أنا عايز أمصمص اللحم اللي في سينا، لأن الباقي كله عضم، واللحم الذي يقصده هو دخل قناة السويس وبترول سيناء، فاقترحت عليه أن يفتح قناة السويس، وقلت له إن هذا سيعطيه نصف الغنائم التي يريدها من الاستعجال في الوصول إلى فك الارتباط دون أن يوقع اتفاقاً، خاصة أن القناة كانت قد فقدت قيمتها كورقة ضغط بعد مرور ٨ سنوات على إغلاقها وبناء الناقلات العملاقة، وكان هو متردداً وكذلك بعض معاونيه، ولكنه اقتنع في النهاية. ولكني لم أختر يوم ٥ يونيو لكي يكون تاريخنا لفتح القناة، وعارضت بشدة فكرة خطرت له بأن يدخل القناة على الباخرة المحروسة، وذكرته بتاريخها الأسود، فهي التي حملت الخديو اسماعيل والملك فاروق إلى المنفى بعد عزلهما عن العرش.

وفي الفترة بين اقتراحي عليه وتنفيذ الاقتراح، كنا قد اختلفنا بعد أن صدر كتاب «الطريق الى رمضان»، ولا أعلم ماذا حدث لاقتراحي بين طرحه وتنفيذه.

● يقول بعض منتقديك إنك فيما أدليت به من أحاديث عقب الافراج عنك من المعتقل كنت ودوداً نسبياً تجاه ذكرى السادات، وقيل إنك زرت السيدة جيهان السادات معزياً في وفاته، وإنها أكدت لك أن السادات كان في نيته الافراج عنك في ٢٥ ابريل، فهل ما قيل صحيح؟. وكيف انتقلت من ود ما بعد الافراج، إلى ما يعتبرونه حدة خريف الغضب!!

● إنني لم أكن معتقلاً في قضية مخدرات أو بتهمة بيع فراخ فاسدة أو سرقة حديد تسليح، كنت مسجوناً لأنني صاحب رأي، ولأنني عارضت السادات، وحين خرجت شرحت أسباب خلافي معه، وهي كلها منشورة في حياته، وقلت وما زلت أقول إن مشكلة الرئيس السادات لم يفهم شيئاً من جغرافية مصر وتاريخها.

ولست أريد أن أتحدث بكلمة عن السيدة جيهان السادات، وقد قدمت لها عزائي بالفعل، فعلت ذلك لأنني حاولت أفصل بين ما هو انساني، وما هو سياسي..

وليس سهلاً على كل الناس أن يفهموا ذلك، وربما لم تفهموا ـ أنتم الذين صاحبتموني في السجن ـ مغزى الدموع التي ذرفتها على أنور السادات، حيث علمت بنبأ اغتياله.

كنت لا أزال أفرق بن ما هو انساني وما هو سياسي.. وأضيف أن خريف الغضب يخلو من أى موضوع يخص تصرفات أسرة السادات المباشرة.. أعنى زوجته وأولاده..

● هل تظن أن السيدة جيهان السادات وراء هذه الحملة الضاربة على خريف الغضب؟. وهل لذلك دلالة سياسية معينة الآن؟

■ قلت إنني لن أتحدث عنها..

● يقال إنك اخترت توقيت النشر بحيث ينشر الكتاب أبان الاحتفالات بعودة سيناء؟

■ ضحك محمد حسنين هيكل وقال:

ـ هذا كلام لا يستحق الرد، وقد كان الناشر يريد أن يبدأ نشره في اكتوبر ١٩٨٢، بمناسبة مرور عام على حادث المنصة، ولكني آثرت التأجيل، ورأيت أن تمر الذكرى دون نشر، وإن كان عصمت السادات قد تكفل بإحياء المناسبة، وكان تقديري أن ينشر الكتاب في بداية العام، ولكن الذين اشتروا حقوق الترجمة اليابانية والألمانية طالبوا بتأجيل النشر حتى تنتهي الترجمة لأنهم تسلموا النص الانجليزي متأخراً، وهذا بدء النشر في ١٠ ابريل لضرورات عملية محضة.

● ما هو المناخ الصحي لمناقشة خريف الغضب في رأيك؟

■ لماذا لا نأخذ بالتقليد المتحضر الذي تلجأ إليه كثير من الدول، في موضوعات مشابهة، لماذا لا تتشكل لجنة للحوار السياسي حول الكتاب، حواراً هادئاً وموضوعياً، تتقصى ما به من حقائق.. وتسألني فيها، لماذا لا تكون هذه اللجنة علنية، وماذا فيها لو شكلت هذه اللجنة على مستوى سياسي قومي، فتتكون مثلاً من رؤساء الأحزاب الأربعة، أو أمنائها العامين، ولا مانع أن يضم إليها رئيس محكمة القيم والمدعي العام الاشتراكي ورئيس محكمة النقض، ولو ضمت شخصية عسكرية لها وزنها ومكانتها، وأحد المشايخ الأجلاء من رجال الدين فسوف يكون هذا مفتاحاً لمناقشة مثمرة، ويستفيد منها الوطن!

أما أن يستمر هذا الذي يجري، فهذا دليل على أننا نتأخر ولا نتقدم، دليل على أن الذين يريدون لنا نحن المصريين أن نظل عبيد إحسانات من يحكموننا ما زالوا أقوياء. دليل على أن حرية الرأي والمعتقد وحرية النشر والتعبير في خطر، دليل على أن صناع القياصرة وحملة الفساد، ما زالوا يمرحون!

حين ودعني محمد حسنين هيكل على باب مكتبه، كان ما يزال يحتفظ بابتسامته العريضة، وكنت لا أزل دهشاً لأن ابتسامته أقوى من الزوابع، وكان صوت المصري المجهول الذي قال: الحقيقة في القفص تغطي على كل الزوابع!

السياسة خذلت السلاح فى حرب أكتوبر

حين توقف محمد حسنين هيكل عن الكلام شممنا صمت عميق! . .

وكانت نبرات صوته القوي الواضح قد اكتست ـ في نهاية الحديث ـ بشجن خفي حاول جهده أن يتغلب عليه . .

ولأنني لم أكن قد استوعبت تماماً خطورة ما قاله لي وما أطلعني عليه، فقد بدأ صمتي أقرب إلى الذهول، وبرد فعل لم أحسن التحكم فيه، تعلقت عيناي بما كنا نقرأه من حقائق ونصوص، وكأني أنظر إلى الحق الذي هو شديد المرارة!

لعلي لحظتها كنت أخشى أن أعترف بأن ما ورد في تلك الوثائق هو ما حدث فعلاً . . وما قيل فعلاً!

وإذن، فتلك هي الطريقة التي استثمر بها أنور السادات حرب أكتوبر سياسياً؟!

وذلك هو، إذن، ما كان يجري في دهاليز السياسة، وفي كواليس السياسة حين كان جيل أكتوبر يتعمد بدم الاستشهاد؟!

إذن، فتلك هي حقيقة ما فعله «صاحب البطولتين» : بطل الحرب، وبطل السلام، تتكشف عن خديعة مرة، ككل حقيقة ينكرها أو يجهلها الناس!

لم تكن هذه أول مرة يتحدث فيها هيكل ـ أو يكتب عن الإدارة السياسية لحرب أكتوبر فينتقدها، وليس هو الوحيد ـ على امتداد الأمة وعلى مساحة السنوات التي انقضت ـ الذي فعل ويفعل ذلك . .

لكنها أول مرة تكتمل فيها القصة فصولاً، فليس هيكل هو الذي يروي ما حدث، أو يحكي ما دار، لكن الذين «يعترفون» به، هم الذين «ارتكبوها» . . وهذا هو الحق شديد المرارة . .

● الأهالي ـ ١٨/ ٥/ ١٩٨٣ ـ صلاح عيسى

حين بدأنا الحديث لم تكن ثمة مرارة بعد، كنت قد جئت أبحث عن الحق. . ولم أكن أعلم ـ بعد ـ كم هو مر. .

قلت له:

● **أظنك قرأت المقال الذي كتبه السيد حافظ إسماعيل مستشار الأمن القومي السابق بعنوان. هل كانت حرب ١٩٧٣ حرباً ملفقة؟. في عدد المصور الأخير (١٣ مايو ١٩٨٣).**

■ قال: قرأته

● **قلت: إن المقال في تقدير «الأهالي» يحمل دعوة مخلصة لحوار موضوعي هادىء حول الطريقة التي أديرت بها حرب أكتوبر ١٩٧٣ سياسياً. وهو يعترض على المتحمسين لإيقاف الحوار حول هذا الموضوع الهام، ويناشد كل من لديه حقيقة أن يذيعها، وذلك ما فعله في مقاله، الذي أزاح فيه الستار عن وقائع الاتصالات السياسية بينه وبين نظيره الأميركي ـ آنذاك ـ هنري كيسنجر على مشارف حرب أكتوبر. . وخلالها، لكنه انتهى إلى رأي مختلف لما انتهيت إليه في معظم اجتهاداتك التي نشرت منذ خلافك الشهير مع الرئيس السادات حول تلك النقطة بالذات. ففي رأيه أن الإدارة السياسية لحرب أكتوبر قد تلاءمت معها. . فما هو تعليقك. . ؟**

■ قال محمد حسنين هيكل: إن السيد حافظ إسماعيل طرح في اعتقادي قضية حيوية. وطالب بمناقشة موضوعية وحرة لها. وأنا أوافقه على ذلك. بل لعلي أكثر الناس حماسه لهذا الموضوع، أرجوك ألا تنسى أن هذه كانت هي النقطة التي

افترقت عندها الطرق بين الرئيس السادات وبيني، هكذا خرجت من الأهـرام في أول فبراير ١٩٧٤، وحملت معي قضيتي ولـم أسـكت. ولهـذا فإن القضية التـي طرحها السيد حافظ إسماعيل، ودعا إلى مناقشة حولهـا. قضية تعنينـي مباشـرة. فضلاً عن أنها تعني مصر كلها بالدرجة الأولى، وتعني الأمة العـربية كلهـا بنفس الدرجة، بل إنها بالنسبة لى كانت صميم عملى ومواقفى كلها فى السنوات العشر الأخيرة.

إنني في كل ما كتبت من كتب، وبالتحديد في كتاب «الطريق إلى رمضـان» الذي ظهر سنة ١٩٧٥ ثم بعد ذلك في «خريف الغضب» الذي ظهر هذا الربيع، تعرضت لهذا الموضوع بالاقتراب المباشر مرات، وبالاقتراب غير المباشر مرات أخـرى، وألححـت أحيانـاً، وأشـرت في أحيان أخـرى، إلـى ضرورة التفرقـة بين عنصـرين في «حـرب أكتوبـر»: الأداء العسـكري في الحرب وقد اعتبرته، واعتبره العالم كلـه، معجـزة بكل المقـاييس.. ثم الإدارة السياسية للحرب، وقد كانت لي فيها آراء، أبديتهـا للـرئيس السـادات مباشـرة، وكانت سبب خلافنا. ثم أبديتها بعد ذلك كتابة أثناء حياته وكان ملخصها ومؤداها كما قلت بالحرف الواحد، والرئيس السادات علـى قمـة سلطتـه، إن ما حققتـه السياسة لم يكن على مستوى ما حققه السلاح. ومضيت خطوات أصرح بذلك فقلت: إن السياسة خذلت السلاح ولا أقول خانته.

وفـي «خيف الغضـب» فإنـي تعرضـت لهـذا الموضـوع بتفصيل أكثر، ولـم يكن هدفـي من ذلك أن أتحـدث عن الماضـي، ولـو أن الماضـي حي في الحاضر والمستقبل.. إن هدفي كان بالدرجة الأولى، أن معرفة حقيقة ما حدث وتقصي خباياه، كفيل بأن يفتح عيوننـا علـى إمكانياتنـا الحقيقية، علـى قدراتنـا السياسية والواقعية، ليكن أن الواقع من حولنا له أحكامه، ولكننـا ونحـن نتأمـل أحكام الواقع من حولنا، يجب أن نتعامل معه، ليس بمنطق الاستسلام له كقدر مكتوب، ولكن أيضاً بثقة بالنفس تعرف قدر ذاتها دون أن يدفعها ذلك إلى ضرب رأسها في الحائط أسى عصبياً على ما فات وضاع، أو مغامـرات «دون كيشـوتيه» تجرها إلى معارك مع طواحين الهواء..

● ذلك هو ما جعلنا في «الأهالي» نرحب بدعوة السيد حافظ إسماعيل للحوار الهادىء حول الموضوع، لتعلقه بالحاضر والمستقبل وليس بالماضي فقط، ولهذا سعينا كي تشترك في الحوار.. والآن: ما رأيك فيما أثاره حافظ إسماعيل رداً على الذين قالوا إن حرب أكتوبر، «حرب ملفقة»؟!

■ قال محمد حسنين هيكل: إنني أتفق معه وبغير تحفظ في أن أي إنسان يقول إن حرب أكتوبر كانت حرباً ملفقة، هو إنسان لا يقدر للكلمة حقها، بل أكثر من ذلك لا يقدر للدماء الزكية حرمتها، ولا لاستشهاد الأبطال جلال الشهادة..

لعلي أسمح لنفسي، ولأول مرة، وبدون أي ادعاء، أن أقول إنني منذ فبراير سنة ١٩٧٤، لم أسمح لنفسي أن ألتقي بالعقيد معمر القذافي، ولا أن أضع قدمي في ليبيا، ولا أن أقبل دعوة لزيارتها، ولا أن أتصل بطريق مباشر أو غير مباشر بأحد المسؤولين فيها لنفس هذا السبب.

في بداية الثورة الليبية سنة ـ ١٩٦٩، كنت متحمساً لها وللقذافي، وفي سنة ١٩٧١، كنت متحمساً للوحدة بين مصر وليبية، وكنت أراها حلماً قابلاً للتحقيق، لصالح الشعبين، ولصالح العمل العربي، ولصالح المعركة، ولم أخف شيئاً من هذا كله، ولكي لا يساء فهم هذه الحماسة، فإنني منذ اللحظة التي تركت فيها الأهرام، وتقطعت علاقاتي بالرئيس أنور السادات، تركت فيها أيضاً صداقتي للثورة الليبية وللقذافي، لأني وأنا أعرف حساسية العلاقات بين القذافي والسادات، رأيت أن الأفضل والأكرم لي أن أكون بعيداً بعداً كاملاً ـ لا ظل ولا شبهة فيه ـ عن العلاقات بين الاثنين.

ثم أضيف إلى ذلك كله سبباً أساسياً، هو أنني سمعت، نقلاً عن العقيد القذافى، ما يمكن أن يفهم منه عدم التقدير على الأقل لحقيقة ما حدث فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، وبعثت له، أكثر من مرة مع أصدقاء مشتركين، من الفلسطينيين بالذات، أقول له إنه بمثل هذا القول يظلم تضحيات أبطال، ويظلم جهد أمة بأسرها، ويخلط بين خلافه مع حاكم مصري وبين جهود وتضحيات الشعب المصري..

وحين سألني بعضهم: ولماذا لا تذهب إليه وتناقشه بنفسك، كان ردي: أنني أعيش في مصر ولن أتركها، وأعيش في ظل قوانينها، ولن أقبل غيرها بما فيها قانون العيب، ولن أرتضي إلا حماية الشعب المصري وحده، ولهذا فإني لا أذهب، ولا أناقش، وعلى الكل أن يراجعوا أنفسهم بأنفسهم لأن القضية أخطر من الأهواء والخصومات واختلاف الطبائع والأمزجة.

● أنت تتفق مع السيد حافظ إسماعيل في رفضه القاطع للقول بأن حرب أكتوبر، حرب ملفقة؟

■ اتفق معه على طول الخط، وإلى آخر المدى، وأي قائل لهذا، أو مثله، أو بما هو قريب منه يستحق من هذه الأمة كلها، وليس مصر وحدها، أن تدير له ظهرها، وأن تسقطه من أي حساب.. لكن ذلك لا يمنع شعوب الأمة العربية، والشعب المصري أولها، من المناقشة والحوار الحر والموضوعي، حول ما كان وما جرى، على أن تظل عيونها على المستقبل ولا تحبس نفسها في الماضي، سواء بنزعات الانتقام أو بتسوية حسابات شخصية، أو بالمناقشة سفسطة وتعاجباً وخيلاء..

● هل تتفق معه أيضاً في تقييمه للإنجاز العسكري لحرب أكتوبر؟

■ قال محمد حسنين هيكل: .. لقد كانت حرب أكتوبر علي مستويين: «مستوى الأداء العسكري في الحرب» و«مستوى الإدارة السياسية للحرب»، وقد كان مستوى الأداء العسكري مفاجأة لكل العالم، ولست أنا القائل بذلك، وإنما هناك واقع ما جرى في ميدان القتال، ابتداء من افتتاحية العبور العظيمة، وحتى معارك الجيش الثالث المستبسلة، في وقت ظن فيه الإسرائيليون أنهم أحكموا من حول هذا الجيش حلقات الحصار، يكفيني أن يقرأ أحد مذكرات القادة الإسرائيليين من جولدا مائير إلى ديان ومذكرات الساسة الأميركيين الذين ساندوا إسرائيل، وأهم هذه المذكرات في رأيي هي «مذكرات كيسينجر»، والجزء الثاني منها بالذات، الذي صدر بعنوان «سنوات القلاقل».

● **وإذن فإن الخلاف بين ما ذهب إليه حافظ إسماعيل في مقاله، «وبينك» أصبح محصوراً فقط في تقييم مستوى الإدارة السياسية لحرب أكتوبر؟**

■ تلك قضية أخرى غير قضية مستوى الإنجاز العسكري، وفيها، فإنني أعترف باختلافي أساساً ـ وبطريقة قاطعة ـ مع ما قاله السيد حافظ إسماعيل. وأعترف لك، أنني دهشت من عبارتين قالهما السيد حافظ إسماعيل في الصفحة التاسعة من عدد «المصور» الأخير، وفي العمود الثالث على وجه التحديد:

العبارة الأولى يقول فيها حافظ إسماعيل بالحرف الواحد، ما يلي:

«وبالرغم من الإنجاز العسكري المصري المحقق، فلم يكن الدكتور كيسينجر حتى ١٠ أكتوبر على استعداد لمناقشة رسالتى له ـ التى تضمنت خمس نقاط فى إطار مقترحاتنا لتحقيق السلام .. أهمها:

ـ وقف إطلاق النار وانسحاب إسرائيل إلى خطوط ما قبل ٥ يونيو خلال فترة محددة تحت إشراف الأمم المتحدة.

ـ حرية الملاحة في مضايق تيران.

ـ إنهاء حالة الحرب مع إتمام الانسحاب الإسرائيلي.

ـ حق تقرير المصير لسكان قطاع غزة..

ـ عقد مؤتمر سلام تحت إشراف الأمم المتحدة.

والفقرة الثانية تجيء بعدها بعدة سطور، وفيها يقول السيد حافظ إسماعيل «وابتداء من ١٥ أكتوبر ـ ومع عدم نجاح «معركة تطوير الهجوم» وبداية الهجوم الإسرائيلي المضاد على الجبهة المصرية، والذي انتهى بعبور القوات الإسرائيلية لقناة السويس ـ توقفت المناقشة حول تسوية سياسية، واقتصرت الجهود على تحقيق وقف لإطلاق النار على الخطوط التي بلغتها القوات المصرية والإسرائيلية».

● ما الذي «أدهشك» تحديداً في هاتين العبارتين؟!

■ قال محمد حسنين هيكل: ما هو مؤدى هاتين العبارتين. معناهما ببساطة سواء كان هذا ما قصده السيد حافظ إسماعيل أو لم يقصده، أن فشل معركة «تطوير الهجوم» يوم ١٤ أكتوبر، كان هو السبب الرئيسي الذي غير أهداف المعركة. بدأت المعركة بطلب تسوية سلمية شاملة، ثم انتهت إلى مجرد طلب بوقف إطلاق النار، ويؤسفني أن أقول، ومع كل احترامي وتقديري، إن ذلك ظلم بين للسلام وللرجال وللدماء.

وفضلاً عن ذلك فإن قبول ما قاله السيد حافظ إسماعيل يطرح تساؤلاً خطيراً لا بد له أن يجيب عليه: إذا كانت النتيجة التي توقفت عندها المعارك في ٢٢ أكتوبر كانت قصارى ما يمكن تحقيقه في ميدان القتال، فهل لي أن أسأله محدداً:

ـ وأنت مستشار الأمن القومي لرئيس الجمهورية، هل نصحته أو وافقت على مخاطر قتال ليست له من نتيجة إلا طلب وقف إطلاق النار؟!

قلت للأستاذ هيكل:

● هل لديك معلومات تفيد أنه لم يفعل؟!

قال بابتسامة:

■ أنا أوجه إليه السؤال عن طريقك، فلا تعيده إلي، ومع ذلك فأنا أمام رجل أقدره وأحترم تاريخه، وأظنه يعلم أنه كان لي دور في ترشيحه مستشاراً للأمن القومي للرئيس السادات، وكنت قد لاحظت أن السيد أشرف مروان، الذي كان يدير مكتب السادات، قد أصبح مشغولاً بالهيئة العربية للتصنيع ولذلك اقترحت عليه أن يستعين بحافظ إسماعيل، فهو صاحب تاريخ وخبرة.

كرئيس سابق لهيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية، ورئيس سابق للمخابرات، وسفير سابق، وقد قبل السادات ترشيحي، لكني لا أدري مدى علم السيد حافظ إسماعيل بكثير مما كان يجري، وأذكر أنه عندما قرر السادات أن يقبل

وقف إطلاق النار، اعترض حافظ إسماعيل، لكن الرئيس كان ثائراً بدرجة جعلته يرفض الاعتراض بعصبية.

● **حسناً.. نعود إلى الفقرتين اللتين أثارتا انتباهك.. لماذا ترى أنهما يظلمان الرجال والسلاح ظلماً بيناً؟!**

■ بهدوء قال محمد حسنين هيكل: لكي تستبين الحقيقة، فوق اجتهادات الرأي، والاستنتاجات، فلا بد أن نعيد بناء الوقائع، لأني أخشى أن ما رواه السيد حافظ إسماعيل لم يكن كاملاً، إن السيد حافظ إسماعيل تحدث عن رسالته إلى كيسنجر، أو لنكن صرحاء عن رسالة من الرئيس السادات إلى كيسنجر، عن طريق خط الاتصال السري الذي اتفق هو حافظ إسماعيل مع كيسنجر على إقامته أثناء زيارته لواشنطن في مطلع العام ١٩٧٣، ومحادثاته في ذلك الوقت مع كيسنجر، وهي زيارة ومحادثات يمكن أن يقال فيها الكثير، وإن لم يكن هذا وقته الآن، لكن السيد حافظ إسماعيل أورد فقرة من الرسالة، وليس الرسالة كلها، فقد أورد منها، ما رآه من وجهة نظره مهماً، ولكن الملفت للنظر، أن كيسنجر في مذكراته أورد من هذه الرسالة ذاتها، فقرة أخرى، لم يشر إليها حافظ إسماعيل، وكانت هي الفقرة «المفتاح» في الرسالة كلها، بل لعلي أقول إنها كانت «الفقرة الكارثة» في الإدارة السياسية للحرب.

● **من هو أولاً المسؤول عن محتوى الرسالة؟.. وهل كانت موجهة لكيسنجر أم لطرف آخر؟!**

■ أعتقد أن حافظ إسماعيل يحمل نفسه أكثر مما يطيق، حين يقول إنه هو الذي أرسلها لكيسنجر، والأرجح أنها أمليت عليه، وهي في الحقيقة، رسالة من السادات إلى كيسنجر، وإذا كان بيننا من يتصور أن تذهب من مصر إلى يد كيسنجر في واشنطن ثم لا يعرف بها الإسرائيليون فهو واهم!

● **ماذا قال أنور السادات للإسرائيليين في هذه الفقرة الكارثة التي لم يوردها حافظ إسماعيل في مقاله؟**

■ ـ قال لهم ـ وأنا أقرأ لك هذا من مذكرات كيسنجر (ص ٤٨٢ من الجزء الثاني) ـ بالحرف الواحد:

وإننا ـ أي مصر ـ لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة.

سكت هيكل لحظة قبل أن يضيف:

في كل رسالة سياسية أو حتى غير سياسية، هناك عناصر متعددة، هناك العبارات الإنشائية والأماني والمبادىء العامة، التي يعبر بها طرف عما يريد، وهو حر يقول ما يشاء، ثم عبارات أخرى تسمى العبارات «العملية» أو «الإجرائية»، التي تتضمن فعلاً أو ارتباطاً أو تعهداً أو التزاماً أو قيداً تقبله أو تتعهد به، وهي الفقرات التي يرسم بها أحد الطرفين خط سلوكه العملي والفعلي ويقطع على نفسه تعهدات يلتزم ويتقيد بها، والفقرة التي حرص كيسنجر على ذكرها، على الفقرة «العملية» في هذه الرسالة، في حين اقتطف حافظ إسماعيل في مقاله منها أجزاء أخرى، ليدلل بها على ما انتهى إليه، من أن الفشل في تطوير الهجوم والهجوم الإسرائيلي المضاد (الثغرة)، هو السبب في تقلص الأهداف السياسية لحرب أكتوبر من التوصل إلى تسوية سلمية شاملة إلى مجرد البحث عن وسيلة لوقف إطلاق النار، ولكن يكون الحوار موضوعياً، فهذا هو النص الكامل للرسالة، تعال نقرأها معاً، قبل أن أعلق أو تعلق عليها..

قال محمد حسنين هيكل ذلك. وهو يتناول من ملف أمامه ـ صورة من الرسالة.. سألته:

● **هل أستطيع أن أسألك من أين حصلت على هذه الرسالة؟**

■ أشك كثيراً أن هذه الرسالة، وغيرها من الرسائل، موجودة في الملفات الرسمية للحكومة المصرية، فالذي أعلمه أن الرئيس السادات، بعد مظاهرات الطعام التي جرت في ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧، أحس بأن الشعب تنكر لما كان يعتبره فضلاً منه

عليه، وبدأ يختط طريقاً آخر، وهكذا بدأت مراسم «حرق الأوراق»، فقام بحرق كثير من الوثائق الرسمية، التي كان حريصاً على ألا تقع في يد «ناكري فضله»، وهكذا أحرقت في الغالب تلك الرسالة وغيرها، وفي الحقيقة فأنا حين أضع نفسي في مكان الرئيس حسني مبارك أشعر بتعاطف شديد معه، لأن جزءاً كبيراً من الحقيقة قد «أحرق». . !

وقد حصلت عليها بفضل قانون حرية المعلومات الأميركي، وهو قانون يبيح لكل باحث، لأغراض البحث العلمي، أن يحصل على نص أي وثيقة من ملفات الجهات المعنية بواشنطن، متى كانت لا تتعلق بوقائع حالية أو مستقبلية تؤثر على الأمن القومي الأميركي، وقد اضطررت للجوء إلى صحفي أميركي صديق ورجوته أن يستعمل الحق الذي يكفله له القانون، للحصول على الرسالة بعد أن أذيعت أجزاء منها فعلاً وبهذا حصلت عليها، وكانت قد سلمت إلى «يوجين ترون» ممثل وكالة المخابرات المركزية الأميركية في شعبة رعاية المصالح الأميركية بالسفارة الاسبانية التي كانت ترعى مصالح أميركا في مصر آنذاك. .

● . . والآن ما هو النص الكامل لرسالة؟!

تناول محمد حسنين هيكل نص الرسالة من أمامه، قال:

■ هذا هو نصها الحرفي:

«عزيزي الدكتور هنري كيسنجر

(أ) لقد أبلغنا الدكتور الزيات وزير الخارجية المصرية آنذاك، وكان وقتها في واشنطن وقابل كيسنجر قبل المعارك وفور نشوب (المعارك) بما تم بينكما من محادثات ومناقشات خلال الأيام القليلة الماضية.

(ب) ووفقاً لروح الصراحة التي كانت تسود اجتماعاتنا (حافظ هنا يشير إلى لقاءاته السابقة بكيسنجر) فإني أود أن أبدي ملاحظات قلائل بصدد النقاط التي أثيرت خلال مباحثاتكم (أي مباحثات كيسنجر مع الزيات):

١ ـ إن الاشتباكات التي تحدث حالياً في المنطقة لا يصح أن تثير أي دهشة لدى جميع أولئك الذين تتبعوا الاستفزازات الإسرائيلية المستمرة، ليس على

الخطوط السورية أو اللبنانية فحسب، بل أيضاً على الجبهة المصرية، وكثيراً ما لفتنا النظر إلى مثل هذه الاستفزازات التي لم تتوقف قطرغم الإدانة الدولية.

٢ ـ وعلى ذلك فقد كان على مصر أن تتخذ قراراً بمواجهة أي استفزازات إسرائيلية جديدة بالحزم، وبالتالي أن تتخذ الاحتياطات الضرورية، لكي تواجه أي تصرف إسرائيلي من قبيل ذلك الذي جرى فوق سوريا يوم ١٣ سبتمبر ١٩٧٣.

٣ ـ المصادمات التي حدثت على جبهة القتال كنتيجة للاستفزازات الإسرائيلية كان المقصود منها من جانبنا أن نظهر لإسرائيل أنه لم يكن يساورنا الخوف، أو أنه لا حول لنا ولا قوة (لاحظ أن هذه عبارات أنور السادات التي كان يكرر أن الحرب نشبت لكي لا يتصور الإسرائيليون أننا جثة هامدة) وأننا نرفض الاستسلام لشروط تخطيط عدواني يهدف إلى احتجاز أرضنا كرهينة للمساومة.

٤ ـ وكنتيجة للاشتباكات، كان موقفاً جديداً قد نشأ في المنطقة، ولقد كان طبيعياً توقع تطورات جديدة في خلال الأيام القلائل القادمة، فإننا نود توضيح إطار موقفنا.

٥ ـ إن هدفنا الأساسي لا يزال ـ كما كان دائماً ـ تحقيق السلام في الشرق الأوسط وليس تحقيق تسويات جزئية.

٦ ـ إننا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة؟

(جـ) وإذا أحسب أنكم تلقيتم من مستر روكفلر رد رئيسنا على رسالتكم (هذه إشارة إلى اجتماع تم بين السادات وروكفلر أنا أظن أن حافظ إسماعيل لم يعلم عنه شيئاً، وهذا يؤكد أن الرسالة أمليت على حافظ إسماعيل وتضمنت بعض ما لم يكن السادات قد أحاطه به) ذلك الرد الذي أعيد فيه تأكيد موقفنا، كما توضح منذ أول اتصال بيننا، أرجو أن تسمحوا لي أن أوضحه بجلاء مرة أخرى.

١ ـ على إسرائيل أن تنسحب من جميع الأراضي المحتلة.

٢ ـ وعندئذ سنكون على استعداد للمساهمة في مؤتمر سلام بالأمم المتحدة، على أي شكل مقبول، سواء كان ذلك تحت إشراف السكرتير العام، أو ممثلي الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن أو أي هيئة أخرى ممثلة.

٣ ـ إننا نوافق على حرية الملاحة في مضايق تيران ونقبل كضمان تواجداً دولياً لفترة محدودة.

(د) وإني لاستشعر الثقة من أنكم سوف تقدرون أن هذه العودة لشرح موقفنا مبعثها رغبة حقيقية مخلصة في تحقيق السلام، وليست منبعثة عن استعداد لبدء سلسلة من التنازلات والحق أننا نذكر أن المستر روجرز قد أضر بفرص السلام حين أخطأ تفسير مبادرتنا للسلام في فبراير ١٩٧١، بطريقة انحرفت بتلك المبادرات عن طريقتها وهدفها الحقيقي.

وتفضلوا بقبول أطيب تحياتي.

«حافظ إسماعيل»

ناولني محمد حسنين هيكل الرسالة، وبعد أن قرأتها، قال:

■ إذا بدأنا تحليل مضمون هذه الرسالة، فسوف نلاحظ أن الجزء الأول كما ترى هو سرد لمواقف قديمة، ثم تعبير عن أماني وتصورات الحل، ولكن الفقرة الوحيدة «العملية» فيها، لأنها تتضمن في ذاتها، قوة فعل، ولأنها كانت بمثابة تعهد أعطي من طرف واحد، هي الفقرة ٦ من البند ب، وهي الفقرة التي تقول «إننا لا نعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة».

● هناك نقطة مهمة هنا يا أستاذ هيكل: ما هو تاريخ هذه الرسالة؟

■ هذه الرسالة سلمت قبل ظهر يوم الأحد ٧ أكتوبر ١٩٧٣ أي أنه بعد مرور أقل من عشرين ساعة على بدء حرب أكتوبر، كان السادات يرسل للإسرائيليين، عبر الأميركيين ليقول لهم إنه لا يعتزم تعميق مدى الاشتباكات أو توسيع مدى المواجهة (!!) لحظتها كانت القوات المصرية قد عبرت قناة السويس بخمس فرق وكان العالم كله مذهولاً بما حدث، وفي ذلك الوقت كانت الدبابات السورية تتقدم في اتجاه الجليل، ولم تكن إسرائيل قد نجحت بعد في صد الهجوم السوري. إن القيادة الإسرائيلية الجنوبية، التي كانت مكلفة بصد أي هجوم تقوم به مصر، كانت في حالة صدمة رهيبة ساعتها، وذلك ما اعترف به قائدها الجنرال «جونين» أمام

لجنة أجرانـات الإسـرائيلية. وكان من التعبيرات المدهشـة التـي قالهـا الجنـرال «جونين» أمام اللجنة: إن المصريين ضبطونا ونحن في الحمام وبنطلوناتنا مدلاة. وبعد ساعات من هذا الوقت الذي استلم فيه كيسنجر رسالة من السادات يقول له فيها إن مصر لن تعمق مدى الاشتباكات أو توسع مدى المواجهة، كان الجنرال ديان ـ وزير الدفاع ـ كما يقول كيسنجر ذاته في مذكراته ـ قد ذهب إلى مجلس الوزراء الإسرائيلي، ليقول أن الوضع على الجبهة المصرية سيء للغاية، ويوصي بإصدار قرار بالانسحاب الإسرائيلي الشامل من كل سيناء!

إن من القواعد المعروفة في علوم الاستراتيجية، أن أي عدو يهمه أن يعرف عن الطرف الذي يواجهه في الحرب أربعة أشياء أساسية: موعد الهجـوم (وفـي هذا الصدد حققت القوات المسلحة المصرية مفاجـأة علـى المستـوى الاستراتيجـي والتكتيكي) ثم حجم القوات (وكان أمام الاسرائيليين يومهـا خمس فرق انتقلـت بمعجزة من ضفة القنال الغربية إلى الضفة الأخرى بسلاحها ودباباتها ومدفعيتها) ويبقى بعد ذلك عنصران مهمان جداً من عناصر المعركة، يجمع عليها كل أساتذة علوم الحرب في العالم من «كلاوزفيتـز» إلى «ليدل هارت» هما: نوايا **العدو.. وأهداف الهجوم، وكيف تجيء أنت وفي الساعات الأولى من الهجوم، وتتبرع من تلقاء نفسك وتقوله له: أنا لن أتقدم بعد هذا.. كأنك بكل بساطة تقول له أهدافك، وتبلغه بنـواياك.. اذن فقـد أعـطيت للعـدو كل ما كان يلزمـه، بل وافسدت المفاجأة التي حققتها، وهذا لا يخالف منطق الادارة السليمة للحرب أو مبادىء السياسة فقط بل ويتنـاقض مع المعلومـات الأولية المكتوبـة في كتـب التدريس العادية في أي كلية لأركان الحرب.**

● **من الناحية العملية المحضة.. كيف استفاد الامريكيون والاسرائيليون بالتالي من ابلاغهم بهذه «الفقرة الكارثة» في ٧ اكتوبر ١٩٧٣؟**

قال محمد حسنين هيكل:

■ **لقد اعتبر كيسنجر كما قال في مذكراته، أن الجديد في تلك الرسالـة هو تلك الفقرة المشئومة.. فماذا رتب عليها؟ لقد وضع كل خطته لمواجهة انتصار اكتوبر،**

بعد أن عرف نوايا السادات وأهدافه، وفي مذكرات كيسنجر «الجزء الثاني ص ٤٨٢ ـ ٥٥٠) عرض واسع، وطبقاً لما قاله (ص ٤٨٣) فإنه دعا لجنة الأمن القومي الامريكي لاجتماع عاجل، عقد في اليوم نفسه، وبعد ساعات من تلقية الرسالة، ويورد كيسنجر في مذكراته من محضر لجنة الأمن القومي، حواراً دار فيه ما يأتي بالنص:

كيسنجر (موجهاً الحديث لأعضاء اللجنة): كيف تستطيعون تفسير موقف العرب الان، كيف تفسرون زهوهم الظاهر؟ ولماذا لا يسارعون بطلب وقف اطلاق النار (لأن كيسنجر كان يتصور أن الجيش المصري سيضرب أثناء العبور، طبقاً للمعلومات التي كانت لدى المخابرات الامريكية آنذاك)؟

شلزنجر (وزير الدفاع) أخذتهم عواطفهم.

كولبي (مدير المخابرات): ان السوريين يتصورون أنهم يؤدون أداء حسناً وهم لا ينظرون إلى المدى البعيد. قد تكون عملية مصر هي عبور القناة.. فقط(من الواضح أن كولبي كان يعلم فحوى الرسالة).

كيسنجر: ولكن لماذا لا يحاولون تدعيم مكاسبهم.. إن كل سفير أجنبي رأى السادات اليوم قيل له إن مصر لا تريد اطلاق النار قبل أن تصل إلى الحدود الاسرائيلية.

شلزنجر: هل تتصور أنت أن هذا الكلام منطقي؟ هل تتصورون أنهم لا يملكون هذا المنطق الطبيعي للأمور؟

راش (مساعد وزير خارجية كيسنجر): إنه من الصعب عليّ أن أتصور أن السادات سيكتفي الان بعبور قناة السويس ثم يقف هناك.

كيسنجر: إن رأيي أنه سوف يبقى هناك، إنني أعرف أنه لن يتقدم أكثر من ذلك

ثم بدأ كيسنجر يطرح خطته فيقول إن هدف أمريكا الأول، هو كسب الوقت حتى نعطي لاسرائيل الفرصة لتغيير الوضع العسكري الذي فوجئت به، وفوجيء به العالم، ثم ان تعطي اسرائيل الفرصة لكل الوسائل لكي تركز على جبهة عربية

واحدة، ثم العمل على ابعاد السوفييت عن المعركة، وكذلك ابعاد السعودية والأردن عن التدخل فيها. . ثم يتخذ قرار بارسال أسلحة لاسرائيل، وقد حدث هذا قبل الجسر الجوي الذي حمل الاسلحة إليها بعد ذلك، ويتم تحميل سبع طائرات اسرائيلية بالسلاح، ويستدعي السفير الاسرائيلي ثم يطلعه على مداولات مجلس الأمن القومي، ثم يلومه على الخيبة الاسرائيلية، ثم يسأله متى يكونون مستعدين لاعادة موازين المعركة ثم يكتشف أن السفير الاسرائيلي ليست لديه معلومات كافية، ثم يتصل باسرائيل بكل الوسائل، ثم إذا به يذهل لأن اسرائيل فوجئت بأكثر مما كان يتصور، ويذهل أكثر حين يعلم بحجم الخسائر الاسرائيلية ويقرر الا يفشي حجم هذه الخسائر الاسرائيلية حتى لأركان البيت الأبيض ووزارة الدفاع، لكي لا تتأثر المعنوياتثم. .

● كيف استند كيسنجر إلى هذه الرسالة، ليخطط لكسب الوقت، حتى يمكن اسرائيل من مواجهة مصر. .

قال محمد حسنين هيكل:

● كان هدف كيسنجر كما اعترف في مذاكراته، هو كسب الوقت ليمكن الاسرائيليين من هدفهم، بعد أن تأكد أن مصر لن تطور الهجوم أو تعمق الاشتباكات، وهكذا قرر أن يشاغل المصريين، وأن يثير شهيتهم ليلهيهم عما كان يدبره ليست تلك هي أوصافي وإنما هي الفاظه بالحرف الواحد فيقول (في ص ٤٨٧ و٤٨٨ من مذكراته): بالنص «اردت أن أستشير شهية المصريين وأن أسيل لعابهم في امكانية حدوث انسحاب اسرائيلي دون أن ألزم نفسي بقبول أي شيء من طلباتهم» فإذا هو يبعث لحافظ اسماعيل برسالة، أورد جزءاً منها في مذكراته. وهي رسالة تدعو أيضاً للعجب، وهي رسالة أرسلت في ٨ أكتوبر ١٩٧٣ وهذا هو نصها الكامل:

عزيزي السيد اسماعيل

اني شاكر جداً لكونكم، وفي وسط مشغوليتاكم الكبيرة الراهنة ـ تجتزئون وقتاً لكي تتشاطروا معي تفكيركم فيما يتعلق بالتطورات في الشرق الأوسط، وانه حتى فيما قبل نشوب العمليات الحربية الحالية. قد سبق لي أن أخطرت وزير الخارجية

الزيات بأنني على استعداد لأن استطلع بصفة جدية ومكثفة وبصفة خاصة مصر، ما قد تكون الولايات المتحدة قادرة على القيام به، لمساعدة الأطراف على تحقيق سلام في الشرق الأوسط، ولا يزال هذا العرض قائماً. ومن الظاهر أن مجهوداً كهذا يمكن أن يصيب النجاح على أكمل وجه في أهدأ جو ممكن، ولهذا السبب فأن الولايات المتحدة حاولت الوصول إلى وقف للقتال، دون أن تتخذ في الوقت نفسه موقفاً يحتمل أن يؤدي إلى مواجهة مع الجانب المصري، وفيما يتعلق بالنقاط المدرجة ففي مذكرتكم المؤرخة في ٧ اكتوبر، هناك نقطتان:

النقطة الأولى: أنه من الواضح لدى الجانب الأمريكي، ما إذا كانت المصري، بوجوب انسحاب اسرائيلي من جميع الأراضي المحتلة يجب تنفيذها قبل امكان عقد مؤتمر أم أن المتوقع هو الموافقة من حيث المبدأ على هذا الشرط.

والنقطة الثانية: هي أن الجانب الامريكي قد تلقى الرسالة التالية من سفيره في طهران:

إن هويدا (رئيس الوزراء) قد استدعاني بناء على تعليمات الشاه، في الساعة ١٤,١٥ بالتوقيت المحلي لكي يتلو عليَّ برقية من الرئيس السادات للشاه، مبلغة إليه عن طريق السفير الايراني في القاهرة (خسرو خسرواني) الذي قابل السادات في أوائل بعد ظهر يوم ٧ اكتوبر بالتوقيت المصري، وباختصار فإن البرقية تتضمن وصفاً يتسم بالتفاؤل للموقف العسكري المصري على الضفة الشرقية لقناة السويس، وللبطولة المصرية في عبور القناة وانشاء رأس جسر هناك، ثم تطلب البرقية من الشاه ابلاغ الرئيس نيكسون، بأن مصر حتى الآن، كانت من أجل تفادي القتال على استعداد لقبول السلام بشروط معينة ومع ذلك فإنها مضطرة الآن للقتال واحتمال الخسائر، وهي لا تزال تريد سلاماً دائماً في المنطقة، ويود السادات أن يعرف الرئيس نيكسون، انه إذا كانت اسرائيل سوف تجلو عن جميع الأراضي، التي احتلت منذ ٥ يونيو ١٩٦٧ فإن مصر سوف تكون على استعداد للتفاوض باخلاص لوضع هذه الأراضي تحت رقابة الأمم المتحدة أو تحت رقابة الدول الأربع الكبرى أو تحت رقابة، دولية أخرى يتفق عليها، أما فيما يتعلق بشرم الشيخ فإن مصر على استعداد لقبول رقابة دولية لحرية الملاحة، عبر خليج العقبة بعد

الانسحاب الاسرائيلي، ويود السادات قيام الشاه بشرح ما سبق للرئيس نيكسون من أجل ايقاف الخسائر بأسرع ما يمكن.

وتوقف محمد حسنين هيكل لحظة، ثم أكمل:

وبعد أن اقتبس كيسنجر هذه الرسالة، وضمنها رسالته لحافظ اسماعيل، واصل الحديث قائلاً: إن الجانب امريكي يكون شاكراً جداً لايضاح الموقف فيما يتعلق بالانسحابات وللاختلافات بين مواقف الجانب المصري التي تضمنتها مذكرتكم، وبين ما أبلغ لسفيرنا في طهران، وأن يوضح بصفة خاصة ما إذا كان سفيرنا في طهران قد نقل على وجه الدقة موقف الرئيس السادات بصدد الجلاء عن الأراضي ووضعها تحت رقابة دولية، وإني لأود أن أكرر القول إن الولايات المتحدة سوف تفعل كل شيء ممكن لمساعدة الأطراف المتنازعة على الوصول إلى ايقاف القتال، كما أن الولايات المتحدة وأنا شخصياً، سوف نساهم بنشاط في معاونة الأطراف إلى الوصول لحل عادل للمشاكل التي أحاطت بالشرق الأوسط على هذا المدى الطويل. . .

تحياتي الشخصية الحارة

«كيسنجر»

● **بعد لحظة صمت كنت خلالها أحاول أن أستوعب ما سمعت، قلت لمحمد حسنين هيكل:**

معنى هذا أن السادات بما قاله لسفير ايران في مصر، قد سحب كل النقاط المبدئية التي وردت في رسالة حافظ اسماعيل. .

■ ليس هذا فقط بل ودخلنا في متاهات، ويقول كيسنجر في مذاكراته، إن رسالته كانت تتضمن طلبين وايضاحاً، فأما الطلبان فهما متاهتان، فكيسنجر قاد السادات إلى نقاش أشبه بالبحث عن أيهما سبق الآخر: البيضة أم الفرخة! هل يكون الانسحاب قبل عقد المؤتمر أم اثناء انعقاده؟ وهدفه هو كسب الوقت ليمكن اسرائيل من تغيير الموقف العسكري لصالحها ثم أدخل السادات ـ بما قاله للسفير الايراني، حول موضوع من الذي يشرف الى الأراضي التي يتم منها الانسحاب ـ

نفسه في متاهة أخرى، وهكذا تصيده كيسنجر، وجره إلى مناقشات عميقة ومعجزة العبور قد تمت، والوقت الثمين يضيع: خمسة أيام كاملة كان خلالها الجيش قد عبر وانتظر.

● ....؟

■ أنا لا يعنيني هنا الرئيس السادات، أنا أتكلم عن قضية أساسية تهم مصر، وتهم طاقتها الحقيقية، وقد يدهشك أنني تحرجت في «خريف الغضب» فلم أذكر كل هذا، ولم أمسه بتفاصيل، أما وقد أثير، فقد أصبح من حق شعب مصر أن يعرف من الذي بدد جهده الحقيقي وكيف اهدرت تضحيات أبنائه، وفي اعتقادي ان الجهد العسكري الذي بذلناه، كان يمكن أن يوصلنا إلى ما قاله كيسنجر للاسرائيليين، حين أبدى دهشته لأن السادات كان قادراً أن يسترد كل الأرض المصرية التي احتلت في ١٩٦٧ وهو ما نشرتموه في حديثي السابق مه الأهالي، إن الادارة السياسية لحرب اكتوبر، على النحو الذي تكشفه هذه الرسائل، قادتنا إلى ما قاله حافظ اسماعيل، بدأنا بالبحث عن تسوية سلمية شاملة عن طريق الحرب وانتهينا بمجرد البحث عن وقف لاطلاق النار، الذي كان المقدمة لفك الارتباط الأول ثم فك الارتباط الثاني، وفي النهاية إلى كامب ديفيد!

والخلل الأول كان هنا في الادارة السياسية للحرب !

● ألم يكن هناك ممن كانوا حول السادات آنذاك، من تنبه لهذا الوقت الثمين الذي ضاع بين عبور القنال، وبين التفكير في تطوير الهجوم في ١٤ اكتوبر ١٩٧٣؟!

قال محمد حسنين هيكل:

■ في هذه النقطة أنا شاهد، كان هناك من تنبهوا إلى أن هناك وقتاً يضيع بقسوة وفظاعة، وكان هناك من أقلقهم ذلك من القيادة العسكرية المصرية، وخصوصاً من الشبان، وضباط أركان الحرب، وأحس الرئيس السادات بقلقهم، ليس هذا فقط بل أحس به مكتب الاتصال العسكري، الذي كان موجوداً في قصر الطاهرة، حيث كان يقيم السادات، وكنت أعجب مما أراه ومما يحدث.

ولأنني رأيت ذلك، فإن الذين يسألون: لماذا امتنعت عن التعاون مع الرئيس السادات.

رغم كل ما حاول استرضائي به، بعد تركي للأهرام، لكن القضية لم تكن مناصب، لقد رأيت التواطؤ بعيني رأسي، شهدت أثمن الأزمنة المصرية وهي تتبدد هباء في طعم ابتلعه السادات، أو سعى لابتلاعه، مر يوم ٦ اكتوبر بانجازه العظيم، ثم مرت أيام ٧ و٨ و٩ و١٠ اكتوبر، ولا شيء يحدث على جبهة القتال، والاسرائيليون يستعدون للهجوم المضاد ويسألون لماذا رفضت أن أتعاون أحسست أنني لو فعلت بعد ما رأيت فمعنى هذا أنني أحمل ضميري ما لا يرضاه.

لقد أحس الشباب الذين كانوا يعملون في مكتب الاتصال العسكري بين الرئيس السادات وبين القوات المسلحة، بذلك القلق المتفجر في صفوف القيادة العسكرية، وايقظوا السادات وابلغوه، فلم يفعل شيئاً، بل إن السيدة جيهان السادات، شعرت بما يجري، وكتبت ورقة للمشير أحمد اسماعيل، تستحلفه بالله أن يولي من يصلح من رجال الجيش!

● أظن أن الاتحاد السوفيتي أيضاً شعر بالقلق لضياع الوقت، على النحو الذي رويته في كتابك عن «حرب رمضان»؟!

قال محمد حسنين هيكل وهو يتناول نسخة من كتابه حرب رمضان..

■ نعم، وقد نشرت هذا في حياة السادات، ولم يرد عليّ أحد عليه أو على غيره الا بالتشائم التي تعرفها، لأن أحداً لم يكن يعرف شيئاً، أو يملك حقيقة ليواجه بها ما قول أمام السادات فقد اتهمني بتزوير التاريخ، ولعلك تذكر الحملة التي شنها ضد كتاب الطريق إلى رمضان، وكان سببها الرئيسي، هو أن الكتاب ألمح إلى الادارة السياسية لحرب اكتوبر، بما أغضبه، لأنه كان حقيقة ما حدث وقد حدثت الواقعة التي تشير إليها مساء يوم ٨ اكتوبر ١٩٧٣ وكان السفير السوفيتي قد قابل الرئيس السادات يومها في قصر الطاهرة، وعندما خرج من لديه، انتحى به جانباً وطلب أن يراني في الليلة نفسها، لأن هناك ما يود أن يقوله لي، وأضاف: إن الرئيس يبدو في حالة لا تسمح بمناقشة في بعض المسائل، وقد أخطرت السادات

باقتراح فينو جرادوف عقد لقاء بيننا واستأذنته في لقاء السفير، وطلب مني أن أتصل به بعد انتهاء المقابلة، التي تمت في العاشرة من مساء الاثنين ٨ اكتوبر، وقال لي السفير وأنا أقرأ لك ما قلته بالنص في كتاب الطريق إلى رمضان، ونشر في حياة السادات «إن بريجنيف والمارشال جرتيشكو اتصلا به تليفونياً وإنهما كليهما، يعتقدان أن اسرائيل تشدد الضغط على الجبهة الشمالية وبعدهما تركز كل قواتها ضد مصر وقال: لقد كنت طوال الوقت في اجتماعات مستمرة مع ملحقينا العسكريين، وأقول لك الحق أنهم غير مرتاحين إلى النحو الذي يتطور إليه الموقف، ولست أدري السر في عدم تقدم قواتكم؛ لماذا لم تدعموا مكاسبكم وتبدأوا الاندفاع إلى الممرات أليس هذا الأمر المنطقي الذي يجب على جيشكم أن يفعله، ثم قال: إن الوقت ضيق جداً أمام العرب للحصول على نتائج فالزمن المحدد للقتال محدود. وقد أخذني فينوجرادوف في هذا اليوم إلى غرفة الخرائط بالسفارة، وأطلعني اثنان من الخبراء العسكريين السوفييت، على أوضاع القوات المصرية على القنال وقالوا إن وجود القوات بهذه الطريقة خطر جداً وأنه لا بد من كسر الجمود العسكري والتقدم إلى المضايق، الجيش إذا حرر المضايق، تكون القضية قد انتهت، وقالا: إن مصر حصلت على نصر، ولا بد من تدعيم هذا النصر، وقالا: إن كثافة الحشد العسكري على الضفة الشرقية مع بقاء حالة الجمود يعرضه لخطر شديد. وأكد لي فينوجرادوف ان معلومات السوفييت العسكرية تؤكد أن الطريق إلى الممرات خال وليس هناك عقبات.

وخرجت من بيت السفير السوفيتي وهو قريب من بيتي، واتصلت بالرئيس السادات، فعلمت أنه خرج مع ابنته الكبرى وخطيبها، وذهبوا إلى حي الحسين لكي يتحسسوا مشاعر الناس تجاه الحرب.. وكانت الساعة الثانية بعد منصف الليل حين عاد الرئيس فاتصل بي تليفونياً ورويت له ما قاله لي فينو جرادوف فأحالني إلى المشير أحمد اسماعيل ورويت له ماحدث، لكن القضية كانت قضية قرار سياسي يملكه السادات وليس أحمد اسماعيل!

ما فات على الجميع الذين كانوا يضغطون لكسر الجمود، إن المسألة لم تكن

مسألة شلل سياسي ولكنها كانت مسألة تعهدات تتضمنها العبارة المشئومة أننا لا ننوي تعميق المواجهة أو توسيع مدى الاشتباكات.

● **هل كان قرار توسيع مدى الاشتباكات أو تعميق المواجهة، من سلطة السادات. أم من سلطة غيره؟**

■ إنني أعرف أنه كانت هناك مجموعة عسكرية كلفت بمهمة متابعة المعارك واقتراح بدائل قد تغيب عن بال القيادات المنهمكة في توجيه تفاصيل المعركة. وابتداء من مساء ٧ اكتوبر كانت هذه المجموعة العسكرية تبعث بتوصية متكررة للقائد العام مؤداها أن اللحظة قد حانت الآن لاطلاق المدرعات في اتجاه المضايق وما حولها.

لكن القرار لم يكن في يد القائد العام وإنما في يد القائد الأعلى.

وعلى أي حال فهناك في هذا الصدد عدة قضايا: الممكن وغير الممكن والمستحيل.

هل كان ممكناً أن نصل إلى المضايق؟ هناك غيري أقدر على الاجابة. هل كان ذلك من غير الممكن؟ نفس الشيء؟

لكن المستحيل تماماً هو أن يتبرع رئيس الدولة والقائد الأعلى للقوات المسلحة ـ وقواته تخوض معارك منتصرة ورائعة ـ بأن يعطي لعدوه أهم أسرار حربه تطوعاً على هذا النحو: نواياه وهدفه. ثم يعطيه الفرصة كاملة ليستعد وينقض.

● ....؟

■ لست من هؤلاء الذين يستسهلون إلقاء الاتهامات جزافا.

ولكني أؤثر هنا أن أتهم هذا التصرف على الأقل بالخطأ، لكني وأنا أفعل ذلك أستذكر كلمة دزرائيلي المشهورة عن سياسي بريطاني آخر في عهده. قال دزرائيلي: لقد وقع في خطأ، وهذا أسوأ من الجريمة.. الجريمة على الأقل فيها عنصر الارادة، وأما الخطأ فهو شيء ينعدم فيه عنصر الارادة!!

● **قلت كثيرون سيستغلون ما قلت. . لكثير مما تعرف؟**

قال محمد حسنين هيكل:

■ لماذا نخلط بين مصر الباقية والخالدة وبين سياسات أو قرارات حاكم أو رئيس يحكمها سنة أو خمسة أو عشرة ثم يتحول إلى مجرد صفحة من تاريخها. لقد جدت علينا نظرية «الحلول» هذه. أن يحل الوطن في انسان مهما علا مقامه. تلك رواسب فرعونية لم يعد لها مكان في العصر الحديث. إن روح الاله لا تحل في جسد أحد، وبنفس المقدار فإن مصر كلها لا يمكن أن يستوعبها شخص جالس على مقعد حكم بحيث يصح القول بأن نقد سياساته عدوان على قدس الأقداس.

إن نشر وقائع قضية «ووترجيت» في أمريكا، ثم خروج الرئيس نيكسون من البيت الأبيض لم يضعف امريكا ولم يشوه صورتها للعالم. بالعكس أضاف إليها وزاد من قيمة الديمقراطية فيها.

وكذلك نشر وثائق حرب فيتنام السرية، ووثائق الغارات الجوية على كمبوديا.

الأمم العظيمة لا تخلط بين الرجل وسياساته وبين الأمة وأمنها ومصالحها الدائمة والمستمرة.

أكاد أقول إن اسرائيل كسبت في صورتها العالمية بسبب تحقيق لجنة كاهان بعد مذابح صبرا وشاتيلا.

بل لقد أصبح تقليداً شبه راسخ أن تجري الدول ـ بعد كل صدام مسلح بينها وبين غيرها ـ تحقيقاً فيما جرى سياسياً وعسكرياً. . . كذلك فعلت اسرائيل مثلاً بلجنة اجراءات. بل كذلك فعلت مسز تاتشر أخيراً بلجنة فرانك في حرب الفوكلاند رغم أن الانتصار البريطاني في هذه الحرب لم يكن موضع شك.

ألا يستحق ما أقول تشكيل لجنة تحقيق؟ أليس ذلك أفضل وأجدى للوطن من حفلات التجريح التي تقام كلما اجتهد مواطن في شئون الوطن؟

● **لماذا فعل السادات ذلك في تقديرك؟**

■ **إن الرئيس السادات اتخذ قرار الحرب مضطراً لأنـه لم يعـد لديه بديل، وقـد شرحت ظروف ذلك وملابساته تفصيلاً فى «خريف الغضب» بل لعلي أعترف أنني** على صفحات الكتاب تعاطفت مع بعض أسبابه وأبديت فهمى لها مع إيمانى بضرورية اتخاذ قرار الحرب فى نهاية المطاف ، لكن أما وقد جرى اتخاذ القرار فإن هناك قواعد بعد اتخاذه لابد من التزامها لأن أرواح آلاف فى الميزان .. لأن مستقبل أمة فى الميزان .. لأن أمن وطن فى ميزان . مفهوم انسانياً أن يتردد مسئول قبل اتخاذ القرار . لكن إدارة الصراع بعد اتخاذ القرار لابد أن تتم بأكبر قدر من العلم .. بأكبر قدر من الاستنارة .. بأكبر قدر من الفهم .. بأكبر قدر من الحرص والدقة والمسئولية ولم يحدث ذلك مع الأسف ، فقد كانت إدارته السياسية كما تكشفها رسائله تنطق بالحيرة والتخبط وتعكس رجلاً تورط فيما لم يكن يريده . وراح يبحث عن أى مخرج من ورطته بأى ثمن ! !

واذن فإن ما استنتجه السيد حافظ اسماعيل، من أن ثمار اكتوبر السياسية كانت «قليلة» لأن تطوير الهجوم فشل، ليس صحيحاً، والعكس هو الصحيح، فالتطوير فشل، لأن الادارة السياسية للحرب، أضاعت وقته وبددت فرصته!

● **قلت للأستاذ هيكل:**

هناك نقاط دفاع محتمل ضد وجهة نظرك. الأولى تقول اليس هناك احتمال بأن «الفقرة الكارثة» في الرسالة، كانت نوعاً من أساليب التفاوض، لجا إليها السادات. . إن استنتاجاً مثل هذا قد ورد في مقال حافظ إسماعيل بشأن ما ورد في محضر لقاء كيسنجر السري بالاسرائيليين، فقـد أشـار إلـى أن من الممكن القول، بأن كيسنجر كان يبالـغ في وصف انتصـارات مصـر، لكي يضغط على الاسرائيليين فيتنازلوا فلماذا لا يكون السادات قد قصد بابلاغ الامريكيين إنه لن يواصل الهجوم، أن يخدعهم أو يطمئنهم أو يحيدهم؟!

قال محمد حسنين هيكل بنفاد صبر

■ **وهل هذا معقول؟ إن مذكرات كيسنجر تنفي هذا الاحتمـال تمامـاً فقـد كان احساسه بحجم الانتصار العسكري المصري كبيراً جداً، وكانت لديه معلومـات**

دقيقة عن الوضع العسكري وعن الكارثة العسكرية التي واجهت اسرائيل ثم إن طبيعة العلاقات بين أمريكا واسرائيل، لا تسمح لكيسنجر أن يدفعهم للتنازل، أو يضغطعليهم ولو أن ذلك صحيحاً لراجعه أحد المفاوضين الاسرائيليين ثم أن ديان كان من رأيه، وهذا وارد في المحاضر، أن السادات مستعد للقبول وأنه كان يتعجل اقامة الاحتفالات بالنصر، ولذلك طلب من كيسنجر ابلاغ طلبات الاسرائيليين له هذه علاقات استراتيجية دائمة تتعلق بالمصالح، وفيما يتعلق «بالفقرة الكارثة» فلست أتصور أن.النقص في الاحساس بالمسؤولية والعجز عن التعبير يمكن أن يصل إلى استخدام عبارة كتلك لأهداف تفاوضية والأهم من هذا كله، أن هذا هو ما حدث فعلاً، فقد رفض السادات أن يطور الهجوم أو يصدر أمراً بمواصلة التقدم خمسة أيام كاملة.

● **نقطة دفاع أخرى: هل كان الوضع العسكري من يوم٦ اكتوبر إلى يوم تطوير الهجوم في ١٢ اكتوبر يسمح للجيش أن يتقدم إلى الممرات لو أصدر له السادات قراراً؟**

■ معلومات السوفييت كانت تؤكد أن الطريق إلى الممرات شبه خال وكانت اسرائيل برغم تلقيها لرسالة السادات عن طريق كيسنجر، قد دفعت ببعض سرايا قليلة من الدبابات حطمت جميعها ولكن المؤكد أنهم كانوا مرتبكين تماماً من المفاجأة..

● **يقول البعض ان التقدم إلى الممرات كان صعباً، لأن حماية حائط الصواريخ لم تكن تصل إليها؟**

■ لا أريد أن أقحم نفسي فيما لا أفهم فيه، والذي نعرفه جميعاً أن العسكريين المصريين قد استخدموا انتشار الصواريخ بشكل رائع، وفي كل الأحوال فإن الخطأ رائع أركز عليه هو أن ابلاغ العدو بنياتك وأهدافك كاملة، وأنت في قمة انتصارك، ليس ادارة سياسية لحرب!!

● **في تقدير حافظ اسماعيل أن حرب اكتوبر اعطت ثماراً سياسية لمن شارك فيها عسكرياً من أطراف المشكلة مشاركة فعالة، وفي رأيه أن مصر حصلت على شيء والآخرون ـ وخاصة الفلسطينيون والاردنيون ـ لم يحصلوا على**

شيء، لأنهم لم يحاربوا كما حاربت مصر وأن هذا هو لب المشكلة، وليس الادارة الساسية للحرب!

■ إنني سعيد جداً بعودة سيناء لكن سيناء لم تكن مشكلة ـ سيناء ليست مطلباً اسرائيلياً تاريخياً أو استراتيجياً، بالعكس ما كانت تريده اسـرائيل، هو أن تفـك ارتباط مصر بالوطن العربي فبذلك تفقد مصر قيمتها، إن مصر تلعب دوراً أساسياً في هذه المنطقة، فإذا فقدته، فقدت أهم ما لديها إنهـا ليسـت قارة كامـريكا أو كالصين أو الهند. إنها مركز حضارى وعنصر تمدين فى هذه المنطقة. وهذا دور وليس موقعاً جغرافيا. وهدف اسرائيل كان أن تفقد مصر دورها. أو تعزلها عن أمتها. وكانت اعادة سيناء بما سمى ضمانات أمن لاسرائيل سهلاً على اسرائيل إذا ضمنت تحقيق هذا الهدف. وحولت مصر من دور إلى مكان. لايفيدك بل يقيدك!

● **قلت للاستاذ هيكل:**

ما هي القيمة المستقبلية للحوار، أو حتى للتحقيق في طريقة الادارة السياسية حول حرب اكتوبر في الظروف الراهنة؟

■ إن جانباً هامـاً من دور مصـر هو أن تكون بؤرة للحـوار، وحين تسـد منافـذه داخلها، فهو يخرج منها ليعود إليها، هكذا فعل الشيخ محمد عبده، حين سدت أمامه السبل في مصر فأصدر العروة الوثقى في باريس.. واذن فـلا بد أن نتكلم وأن نتحاور..

وأنا واحد من الذين يقولون إن السند الاساسي لشرعية النظام القائم الآن هي حرب اكتوبر، ولكن أي جزء من حرب اكتوبر.. شرعية الاداء العسكري الرائع، أم شرعية الادارة السياسية المتهالكة.. أنا أقول إن الشرعية الحقيقية للنظام القائـم هي شرعية جيل اكتوبر المحارب.. أنا أقول إن هذه العبارة التي وردت في رسالة السادات إلى كيسنجر، كانت خنجراً في ظهر القوات المسلحـة، يقولـون لمـاذا نتحرى حقيقة ما حدث في اكتوبر أنا أقول إن مؤدى الطريقة التي أديرت بها حرب اكتوبر سياسياً وما ترتب عليها هو أننا قد وصلنا إلى عهد لا تستطيع أنت وأنا أو أي انسان أن ننكر ـ بعد ما حدث في لبنان ـ أنه عصر «الهيمنة الاسرائيلية».

ولا أريد أن يتصور أحد، أن هذا قدر مكتوب علينـا، لا بد أن تفـرق. بين قدرتك على صنع معجزة حققتها قواتك العسكرية، وبين عجز ألحق بك، لغير ما دخل لك ولاسباب لا تتعلق بقدرتك، إن حرب **١٩٧٣** حرب دفع فيها الشعب المصري طاقات ضخمة، وأحسن العطاء بالدم والمال، كيف يمكن أن أحقق هذه المعجزة، ثم أجد نفسي قبل أقل من عشر سنوات في عصر الهيمنة الاسرائيلية؟

نستطيع أن نفعل شيئاً؟ وأقول إننا فعلنا الكثير في اكتوبر الحرب، وليس في اكتوبر السياسة، وأن الأمر الواقع الذي يحيطبنا الآن. وأنا أعلم أنه صعب جداً، لكني لا أقيسه باعتباره قدراً ليس أمامي إلا أن أستسلم له، ولكن باعتباره أمراً واقعاً ما زال لديَّ من الوسائل ما أستطيع أن أتعامل معه دون استفزاز لاحد ودون مغامرات ودون طيش، ولكن تسمح لي أن أعيد حساباتي، وأن أنظر إلى ما حولي، وأن أقيم نفسي حق تقييمها!. إنني لا أستطيع أن أقول لحسني مبارك: الغ معاهدة كامب ديفيد، ولكنني أستطيع أن أقول إن كامب ديفيد هي محصلة للادارة السياسية العاجزة، وليست محصلة للقدرات الحقيقية للشعب المصري التي تمثلت في الانجاز العظيم الذي شارك فيه، وأقول له إن الشرعية ليست في وصية، ولكنها في جسور العبور، في الناس التي حاربت فعلاً وفي الدم الذي سال فعلاً في العبقرية التي وضعت خطط القتال وطورت تكنولوجيا الحرب، في التضحيات بلا حدود والجسارة بلا تردد، في الذين ورثوا مجد التاريخ. وصنعوا مجد التاريخ.

وتوقف محمد حسنين هيكل عن الكلام.. شملنا صمت عميق.. وحين كنت أهبط بالمصعد حاملاً في حقيبتي الحق المر الذي قاله لي رأيت عبر زجاج المصعد، وفي لمحة خاطفة، جنديين مصريين فقيرين، يحرسان مكتباً مغلق الأبواب، يقع مباشرة تحت المكان الذي كنت أجلس فيه قبل لحظات مع هيكل يحرسان «المركز الاكاديمي الاسرائيلي».

تركزت مرارة الحق في حلقي.. وفي الطريق، كان هناك زحام من الناس الذين لم يسمع بهم أحد.. الصناع الحقيقيون لمجد اكتوبر الحرب وليس لكارثة اكتوبر السياسية التي قادتنا لعصر «الهيمنة الاسرائيلية».

قصة عرفات مع عبد الناصر والسادات

تحت عنوان (بصراحة) تعود جيل من المواطنين العرب أن يلتقي مع محمد حسنين هيكل صباح كل يوم (جمعة) على صفحات جريدة (الاهرام). . . وكان اللقاء مع هيكل لقاء مع من يقرأ الأحداث من موقع قريب جداً منها ومتفاعل بحيوية ملحوظة معها، وإلى ذلك أنه كان لقاء مع تحليل ينتهي إلى استنتاج أو توقع كثيراً ما كان يشبع متعطشين إلى المعلومات، وكثيراً ما كان يثير الجدل بين عواصم ومسؤولين ومتابعين ومثقفين ومراقبين. وتحت عنوان (بصراحة) أيضاً ذهبت «التضامن» إلى محمد حسنين هيكل في منزله في القاهرة تطلب منه قراءته لما يجري اليوم في طول الوطن وعرضه.

● مجلة التضامن - ٣/ ١٢/ ٨٣ - احسان بكر

● **«التضامن»: في هذه الظروف، وأبو عمار، قائد الثورة الفلسطينية يواجه ما يحدث في طرابلس بشمال لبنان، هل لنا أن نطلب من محمد حسنين هيكل أن يتذكر لنا ظروف اللقاء الأول مع ياسر عرفات ثم اللقاء بين القيادة التاريخية للثورة الفلسطينية والرئيس (الراحل) جمال عبد الناصر، ونحن نطرح هذا السؤال لمعرفتنا، ومعرفة كثير من المتابعين لحقيقة أنكم بحكم قربكم من عبد الناصر لعبتم دوراً مميزاً في هذا الصدد.**

● **هيكل:** التقيت بالأخ والصديق ياسر عرفات لأول مرة في سبتمبر ١٩٦٧. بالطبع كنت قد سمعت عنه قبل ذلك خلال متابعتي للنشاط الدائر على الساحة الفلسطينية وكان اسم «أبو عمار» يصل الينا في القاهرة بين الحين والآخر باعتباره زعيم منظمة «فتح» التي كانت ظاهرة جديدة على الساحة الفلسطينية في تلك الأيام.

في البداية كانت «فتح» قد حاولت اقامة اتصال مع مصر، وتم هذا الاتصال مع بعض الأجهزة الرسمية المصرية المهتمة بالعمل الفلسطيني، وكان الذي قام بهذا الاتصال المبدئي هو الأخ خالد الحسن. ولم تلق محاولة خالد الحسن في ذلك الوقت ما كان يتوقعه وتتوقعه «فتح» من القاهرة لأن الاجهزة التي اتصل بها كان لها رأي في «فتح» يعتبرها بالدرجة الأولى واجهة لتنظيم الأخوان المسلمين، وهو تنظيم كانت له أيامها مشاكل مع السلطة في مصر.

ويبدو لي أن «فتح» قررت أن تحاول تجربة اتصال مباشر مع جمال عبد الناصر يتخطى كل أجهزة الدولة، وهكذا جاءني رسول قدم لي نفسه في ذلك الوقت باسم «خالد».

إن «خالد» حدثني طويلاً عن «فتح» وبدوري فإني نقلت صورة كاملة لجمال عبد الناصر، وفي اليوم التالي أخذته معي للقاء جمال عبد الناصر.

بعد أسبوع عاد إليَّ «خالد» ومعه شاب آخر من قيادة «فتح» قدم لي نفسه باسم «أبو اللطف» ـ فاروق قدومي الذي ذاع صيته فيما بعد باعتباره المسؤول الأول عن دبلوماسية العمل الفلسطيني.

«أبو اللطف» أعطاني صورة كاملة عن أصول وجذور «فتح» وتوجهاتها وآمالها. ومرة أخرى أخذته معي للقاء جمال عبد الناصر، وفي هذا اللقاء تم الاتفاق بيننا على مجيء ياسر عرفات إلى مصر. ولم تمض أيام حتى جاء ياسر عرفات ومعه أبو إياد، وكان أبو اللطف معهما.

في ذلك اليوم جلست ساعات طويلة مع الثلاثة نتحدث عن العمل الفلسطيني وامكانياته ومستقبله. واتصلت في المساء بجمال عبد الناصر لكي يحدد موعداً للقائهم.

وسألني رأيي فيهم، وأتذكر أنني قلت له:

ـ إذا حكمت بأول انطباع فإن ياسر عرفات فيما بدا لي رجل يستطيع أن يعطي حياته لقضيته ويستطيع أن يجسدها.

وأما أبو اياد فقد لفت نظري كمناضل صلب صريح مستعد لمواجهة تحدي الموت في أي لحظة.

وكان تعليق جمال عبد الناصر في التليفون كما أذكره:

ـ غريبة... إن كل الناس هنا لهم رأي مختلف عن رأيك في «فتح» وفي المسؤولين عنها.

ثم حددنا موعداً في الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم التالي.

واتصلت بالثلاثة في ساعة متأخرة من الليل أدعوهم إلى التجمع في مكتبي الساعة الحادية عشرة صباحاً نتحدث معاً بعض الوقت ثم نذهب في سيارتي إلى بيت الرئيس لموعدنا معه.

قبل أن يدخلوا مكتبي بدقائق صباح ذلك اليوم اتصل بي جمال عبد الناصر تليفونياً يقول لي:

ـ هل تعرف ماذا أقرأ الآن؟

واستطرد:

ـ أمامي تقرير ينصحني بأن لا أقابل أصدقاءك يقول التقرير إنهم جاؤوا لتنفيذ مؤامرة لاغتيالي.

ولم أجد ما أقوله لحظتها سوى عبارة: «هل هذا معقول؟»

وقال جمال عبد الناصر: «أظنه غير معقول».

واستطرد: «أنا أعرف طبيعة مثل هذه التقارير ولو أني صدقتها لما تحركت خارج غرفة نومي!»

ثم سألني فجأة قبل أن تنتهي المكالمة: «هل أنت واثق منهم»؟

وقلت: «بقدر ما أستطيع انسانياً».

وجاؤوا في موعدهم، وتحدثنا لبعض الوقت، ثم ركبنا سيارتي وكان ما سمعته من الرئيس يلح على فكري. وقررت أن أفتح الموضوع معهم ونحن بعد في السيارة تشق طريقها من وسط المدينة إلى «منشية البكري» حيث منزل الرئيس.

قلت لياسر عرفات: «كان الرئيس معي على التليفون قبل أن تدخلوا مكتبي».

ثم رويت له ما سمعت منه. وكان تعليق ياسر عرفات العفوي والتلقائي قوله: «أعوذ بالله».

وحين وصلنا إلى بيت الرئيس ودخلت بنا السيارة إلى ساحته الداخلية ونزلنا لندخل من باب البيت، تقدم أحد ضباط الحراسة الخاصة يسأل الثلاثة إذا كان مع أي منهم سلاح؟ وتطوعت لضابط الحراسة بأن لا يلح في سؤاله، وكان ياسر عرفات في غاية الحرص والتنبه واللباقة، فقد قال لضابط الحراسة:

«إنني لم أخلع مسدسي أبداً منذ بدأنا العمل الفدائي، ولكن احتراماً لجمال عبد الناصر أنزع سلاحي على بابه».

وفعلاً أخرج مسدسه ووضعه على مائدة في مدخل البيت.

ومرة أخرى تطوعت فقلت لياسر: «خذ مسدسك إذا أردت».

وقال هو بسرعة: «لا يدخل أحد عليه بسلاح أبداً».

ودخلنا غرفة الصالـون، ولـم تمض ثوان حتـى دخـل جمال عبـد الناصـر، وفوجئت بما حدث بعد ذلك.

قام الثلاثة يحتضنون جمال عبد الناصر ويقبلونه، وأقبل هو عليهم كأنه يعرفهم منذ زمن طويل، وكانت دموع ياسر عرفات على خديه وهو يقول: «الحمد لله الذي جمعنا بكم».

وفيما بعد قال لي جمال عبد الناصر إن قلبه تفتح لهم من أول لحظة، وكان انطباع أول لحظة دائماً شيئاً مهماً بالنسبة لحكم جمال عبد الناصر على الناس.

كان هذا الاجتماع الأول حاسماً في علاقة مصر بحركة «فتح».

إن الصورة لا تزال حية في ذاكرتي، وعلى أي حال فلست من الذين يعتمدون بالكامل على ذكرياتهم، لأني تعودت أن أسجل ما عشته من تجارب على الورق عارفاً أن شهادات التاريخ لا يمكن أن تظل معلقة بالذكريات تشحب صورها مع الأيام، وإنما الأفضل أن يتـم تسجيلهـا أولاً بأول لكي تظـل الصفحـات ناطقـة وصادقة.

وفي هذا اللقاء الأول ـ ودعني أعود إلى أوراقي ـ كان جمال عبد الناصر أكثر المتحدثين.

سمع منهم في البداية عن تنظيمهم: كيف نشأ، ودواعي نشأته، واتصالاته، ثم راح يحدد موقفه. وباختصار فقد كان موقفه كما يلي:

١ ـ إن تنشيط العمل الفدائي الفلسطيني قضية في منتهى الأهمية، وأن كل ما يريده منهم هو رصاصة تطلق كل يوم في الأرض المحتلة لكي يشعر العالم أن هناك قضية ساخنة لشعب صمم على تحرير نفسه.

٢ ـ إنه لا يريد أن يفرض عليهم وصاية من أي نوع، وأن لهم حرية العمل والاتصال على أي نحو يرونه مناسباً لظروفهم.

٣ ـ إن الجمهورية العربية المتحدة ـ في ذلك الوقت ـ منهمكة في نشاط دبلوماسي تقتضيه طبيعة الموقف الدولي، وهو يعرف أن هذا العمل الدبلوماسي لن يصل إلى نتيجة من دون عمل عسكري. وليس لهم أن يشغلوا أنفسهم بأي عمل دبلوماسي تقوم به مصر، ومثل هذا العمل على أي حال لا ينبغي له أن يكون قيداً على حركتهم.

لاحظ أن قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ لم يكن قد صدر بعد، وكانت أزمة الشرق الأوسط تبحث برمتها في أجهزة الأمم المتحدة المختلفة: مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة. ولكن كان معروفاً أن قراراً ما سوف يصدر، وأن مصر قد تقبله إذا وجدت فيه أساساً صالحاً ولو كنقطة بداية معنوية، ولو أن جمال عبد الناصر كان مصمماً على اعتقاده بأن ما أخذ بالقوة لن يسترد بغيرها.

وكانت هناك مسائل عملية جرى بحثها:

* سوف يكون التنسيق عملياً بينهم وبين اللواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات العسكرية في ذلك الوقت.

* طلباتهم من الأسلحة والذخائر وبعثات التدريب يتفق عليها مع اللواء الصادق.

* إن مصر سوف تساعد «فتح» شهرياً بخمسة عشر ألف جنيه. وقد تم تقدير هذا المبلغ على أساس مناقشة احتياجات «فتح» في تلك الظروف. ثم كانت بعد ذلك خطوتان في منتهى الأهمية:

* الخطوة الأولى أن تتولى «فتح» قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، وقد تم ذلك فعلاً بجهد مصري مكثف حتى تنتهي الازدواجية بين العمل الفلسطيني المسلح والعمل الفلسطيني السياسي وتتجسد الثورة فعلاً وعملاً في منظمة التحرير بقيادة «فتح».

* الخطوة الثانية كانت تقديم «فتح» إلى المجتمع الدولي بداية بالاتحاد السوفياتي ودول عدم الانحياز، وهكذا فإن ياسر عرفات جاء معنا في الوفد المصري الذي زار موسكو ـ ثم بلجراد ـ رئاسة جمال عبد الناصر في صيف ١٩٦٨.

وما زلت أتذكر كيف قدمه جمال عبد الناصر إلى بريجنيف وكوسيجين وبادجورني بعد غداء أقامته القيادة السوفياتية تكريماً لجمال عبد الناصر. لم يكن ياسر عرفات حاضراً الغداء، وبعثنا بعد الغداء ندعوه من بيت الضيافة الذي كان يقيم فيه، وكان القادة السوفيات مترددين في البداية، ثم أقنعهم جمال عبد الناصر، وتم الاتفاق على لقاء بين ياسر عرفات وأحد أعضاء المكتب السياسي المختصين بحركات التحرر الوطني، وهو «مازاروف» في ذلك الوقت.

ووعد الاتحاد السوفياتي بأن ينظر في أمر مساعدة «فتح» كطرف مستقل.

وبعد ثلاثة أسابيع من عودتنا من موسكو، وأثناء لقاء لي مع جمال عبد الناصر، قال لي الرئيس:

ـ إن السفير السوفياتي أخطرني بأنه تلقى رسالة من موسكو عن قرار الاتحاد السوفياتي بمساعدة «فتح» وقد قلت له إنك حلقة الاتصال بيني وبين «فتح»، وأنك سوف تذهب إلى لقائه وتسمع ما عنده وتخطر به أصدقائك.

وبالفعل فإني قابلت السفير السوفياتي في اليوم الثاني وسلمني ورقة صغيرة على الآلة الكاتبة وفيها قرار الاتحاد السوفياتي بأول مساعدة «لفتح» في حدود نصف مليون روبل، وتحت القرار بالأسلحة والذخائر التي يغطيها هذا المبلغ.

وبعثت برسالة إلى ياسر عرفات، فجاء إلى القاهرة، ونقلت إليه الرسالة واحتفظت بالأصل ضمن أوراقي.

وفي هذا اللقاء كان ياسر عرفات يتعجلَ تسلم بعض الأسلحة وخصوصاً الرشاشات المضادة للطائرات. ويسألني:

ـ هل يمكن أن أحصل على ما وعدنا السوفيات به من مخازن الجيش المصري فوراً، على أن يأخذ الجيش فيما بعد مما يصلنا من الاتحاد السوفياتي؟.

واتصلت بالرئيس، فوافق شرط التنسيق مع اللواء صادق. وذلك ما حدث.

هذه بدايات القصة. وأظنني أجبت عن أكثر من سؤال مرة واحدة.

● «التضامن»: حتى خلال عهد عبد الناصر لم تسلم العلاقات المصرية الفلسطينية من وجود خلافات، خصوصاً، عندما قبلت مصر مبادرة روجرز. ثم تطورت الأحداث وحدث الصدام بين الأردن والمقاومة وكانت أحداث سبتمبر «أيلول ١٩٧٠».

ولأن الوجود المصري في العالم العربي كان قائماً ومؤثراً بالدرجة الأولى فإن عبد الناصر دعا لانعقاد مؤتمر طارىء للقمة العربية عقد في القاهرة. . كيف تم احتواء الموقف وانقاذ العمل الفلسطيني؟

■ هيكل: كانت تلك ظروفاً بالغة الدقة. لعلي لا أتجاوز إذا قلت إنها كانت ظروفاً مأساوية.

كان الوقف العام كله حافلاً بأسباب من سوء الفهم حاول جمال عبد الناصر بكل طاقته تبديدها.

من ناحية كانت المقاومة الفلسطينية قد أخطأت في فهم مغزى قبول جمال عبد الناصر لمبادرة روجرز، ولم تستطع بعض الفصائل أن تدرك أن هذا القبول الدبلوماسي كان مجرد تحرك يكسب وقتاً للعمل العسكري إذا جاء وقته. كانت خطة «جرانيت واحد» ـ عبور قناة السويس على خمسة محاور والتمسك برؤوس كباري على الضفة الشرقية للقناة تحت حماية حائط الصواريخ العظيم. وقد تم اعدادها والتصديق عليها.

وأمكن ـ بعد لقاء بين جمال عبد الناصر وقيادة «فتح» ـ ازالة سوء التفاهم في اجتماع حضرته معهم في استراحة المعمورة. وفي هذا الاجتماع لم يكتف جمال عبد الناصر بأن يشرح لهم أسبابه في قبول مبادرة روجرز وأن الأمل في نجاحها لا يمثل بالنسبة له أكثر من نصف في المائة، لكنه زاد علي ذلك فأشار إلى بعض التجاوزات التي تقوم بها بعض فصائل القماومة في عمان، الأمر الذي قد يشكل استفزازاً للسلطة الرسمية للنظام الأردني.

في الوقت نفسه كان جمال عبد الناصر قد شرح الموقف المصري بالكامل للملك حسين خلال اجتماعات عقدها معه في قصر «رأس التين» بالاسكندرية وحضرتها في ذلك الوقت عضواً في الوفد المصري بصفتي وزيراً للارشاد وعضواً في مجلس الأمن القومي وقتها.

وفي تلك الاجتماعات رجا الرئيس عبد الناصر الملك حسين أن تكون الحكومة الأردنية أكثر تسامحاً ازاء تجاوزات بعض فصائل المقاومة وأن لا يحسبها جميعاً على «فتح»

وهكذا فانه عندما نشبت الأزمة بالسلاح بين المقاومة وبين حكومة عمان كان الأمر مفاجئاً للقاهرة. كانت هناك بوادر تنذر بالخطر، ولكن أحداً في القاهرة ـ على الأقل ـ لم يكن يتوقع تدهور الموقف بهذه السرعة.

كان جمال عبد الناصر ـ بناء على نصيحة الأطباء ـ قد سافر إلى مرسي مطروح في اجازة اتفقنا جميعاً أن لا يقطعها عليه أحد.

وبعد تدهور الموقف بسرعة في عمان لم يكن هناك مع الأسف بد من اخطاره بما حدث. والحقيقة أنه هو الذي اتصل من مرسي مطروح يسأل عن تفاصيل ما يجري بعد أن سمع من بعض محطات الاذاعة العالمية بأن الموقف في عمان قد تفجر.

وأتذكر أنني اضطررت، آسفاً، أن أعطيه صورة كاملة للموقف بالتليفون، وكان اقتراحي عليه أن يبعث بالفريق صادق ـ الذي كان قد أصبح رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش المصري ـ في مهمة لتقصي الحقيقة والاتصال بالأطراف في عمان. ووافق الرئيس، وذهب الفريق صادق ثم عاد، ولم يكن تقريره باعثاً على الطمأنينة. هكذا قطع جمال عبد الناصر اجازة مرسي مطروح وعاد إلى القاهرة، ثم دعته تطورات الحوادث إلى المطالبة بعقد مؤتمر قمة فوري في القاهرة لبحث الموقف المتردي بين السلطة في عمان وبين المقاومة الفلسطينية، وهكذا كان المؤتمر الذي عقد في فندق هيلتون.

كان من المهم في ذلك الوقت اخراج ياسر عرفات من عمان. وهكذا فإنه عندما سافر وفد برئاسة الرئيس نميري إلى عمان مبعوثاً من مؤتمر القمة في القاهرة، كان أول مطلب للرئيس عبد الناصر من أعضاء الوفد ضرورة العمل على اخراج ياسر عرفات ليحضر المؤتمر ممثلاً لفلسطين. وبالفعل فإن الوفد عاد ومعه ياسر عرفات الذي خرج من مقره في أحد تلال عمان يرتدي ملابس أحد أعضاء الوفد الكويتي،

وكان الشيخ صباح الاحمد الصباح وزير خارجية الكويت عضواً في وفد القمة إلى عمان.

ولقد نجح المؤتمر بما يشبه المعجزة، وأمكن ايقاف تدهور الأمور. لكنها كانت آخر معارك جمال عبد الناصر، فقد سقط شهيداً في اليوم التالي للمؤتمر.

● في أوائل عهد الرئيس أنور السادات كانت العلاقات العربية الفلسطينية استمراراً، لما كانت عليه ايام عبد الناصر. . . دعم وتنسيق وتفاهم كامل مشترك. ثم جاءت معاهدة «كامب دايفيد» وكان الفراق بين مصر والثورة الفلسطينية، بل وخرجت مصر من ساحة العمل العربي. . وبدأت مراحل التردي، فالمقاومة الفلسطينية فقدت هنا القوة الرئيسية الأولى التي تدعمها من دون أن تحاول احتواءها أو تفرض عليها نوعاً من أنواع الوصاية مثلما حدث من بعض الأنظمة العربية. .

■ هيكل: صحيح. في بداية عهد الرئيس السادات ـ يرحمه الله ـ كانت العلاقات بين مصر والثورة الفلسطينية استمراراً لما كانت عليه أيام جمال عبد الناصر. وكان ذلك في الواقع طابع كل شيء في تلك الأيام من عهد الرئيس السادات، وربما كان ذلك انعكاساً لحقيقة ان الاساس الوحيد لشرعية السادات أنها كانت مستمدة من خلافته لعبد الناصر. إن الأمور. على الأقل في ظاهرها ـ ظلت كما هي حتى جاءت حرب اكتوبر التي استمد منها الرئيس السادات شرعية جديدة تحسب له ولا تستمد مصدرها من خلافة عبد الناصر فقط. وهنا بدأ الرئيس السادات يتصرف بمنطق مختلف في كل شيء. ليس فقط في علاقته بالثورة الفلسطينية ولكن في علاقته بالثورة المصرية ذاتها.

لا بد أن أقول، إحقاقاً للحق، إن الرئيس السادات في سنوات حكمه الاولى اعطى شيئين: خفف قليلاً من التوتر الذي اشاعته في مصر مراكز القوى بحركة التصحيح في ١٤ مايو ١٩٧١، ثم تحمل ـ بصرف النظر عن النوايا ـ مسؤولية قرار الحرب.

إن السادات، مع الأسف الشديد، لم يلبث أن نقض ايجابياته ذاتها.

التوتر الذي حاول تخفيفه بحركة التصحيح، عاد بعد ذلك أشد ما يكون بالعصبية والعنف والارهاب الذي راح يتصرف به خصوصاً بعد أن فاجأته مظاهرات الأسعار في ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧.

ثم إن اعصابه خانته في لحظة الانتصار فتخلى عن أهداف حرب اكتوبر في اللحظات نفسها التي كان يستطيع فيها أن يدخل تاريخ المنطقة كما لم يدخله أحد من قبل، ولا حتى محمد علي أو جمال عبد الناصر.

والحقيقة أن مشكلة السادات ـ كما حاولت شرحها في كتابي «خريف الغضب» ـ أنه لم يستطع أن يفهم حقائق الجغرافيا والتاريخ فيما يتعلق بحركة مصر ودورها في المنطقة.

لقد خلط بين الجغرافيا والفضاء، وبين التاريخ والأوهام وهذا قاده إلى منزلقات متتابعة: أزمة فك الارتباط الأول، ثم مصيبة فك الارتباط الثانى. ثم كارثة المبادرة التى انتهت بكامب ديفيد.

ولست ميالاً بطبيعتي إلى إلصاق تهم الخيانة والعمالة بأحد. نحن في العالم العربي أحياناً نستعمل مثل هذه التهم. نستعملها أو نلصقها بالناس بالبساطة نفسها التي تستخدم بها طوابع البريد في حياة كل يوم.

إن كامب دايفيد كانت فيما أظن جهلاً بحقائق التاريخ والجغرافيا أكثر مما كانت أي شيء آخر.

ربما كانت هناك أيضاً غوايات الطريق السهل في مناخ عربي عام ترهلت فيه القيم، ربما كانت هناك أيضاً خديعة الوعود المبذولة بغير مسؤولية، أو لعله كان خداع النفس الذي يتمثل في المقولة المشؤومة بأن ٩٩ في المائة من أوراق اللعبة في الشرق الأوسط في يد الولايات المتحدة.

ربما... وربما. المهم أن المحصلة النهائية كانت كارثة شاملة، لأن خروج مصر من العالم العربي أحدث شللاً في العمود الفقري للأمة.

● **«التضامن» جاء الاجتياح الاسرائيلي الشامل للبنان وكان الصمود الفلسطيني في معارك بيروت وعلى امتداد ٨٨ يوماً ثم كان الخروج الفلسطيني الثاني من بيروت إلى الشتات. . وانعقد المجلس الوطني الفلسطيني بالجزائر وتداعت الأحداث وتصاعدت الخلافات بين دمشق والقيادة الفلسطينية بداية من اخراج عرفات من دمشق وأخيراً بتوجيه السلاح ضد الشرعية الفلسطينية. . كيف تتصور هذه المرحلة. . ؟**

■ هيكل: أنت تعرف حماستي لفتح وتقديري واحترامي لقيادتها التاريخية التي استطاعت أن تجسد الوجود الفلسطيني بجهد يعتبر بأي مقياس خارقاً للعادة لأنه كان بناءاً على غير أرض.

الحقيقة أن الثورة الفلسطينية في موقف معقد، فالقيادة بعيدة عن شعبها، والشعب محروم من أرضه، والأرض ذاتها مقطوعة الصلة بما حولها من بقية أوطان امتها.

هذا وضع لم تقابله ثورة من قبل، وهو يخلق ظروفاً شبه مستحيلة. وأن تنجح قيادة الثورة الفلسطينية ـ رغم هذا كله ـ في تجسيد الوجود الفلسطيني وفرض الاهتمام به على الدنيا، فهذا انجاز ضخم ساعدتها عليه بغير شك الحركة القومية العامة، لكن دور القيادة الفلسطينية كان هو الدور الأساسي.

أما وقد قلت هذا، فينبغي أن أضيف بعده أنني لم أكن متحمساً لانعقاد المؤتمر الوطني الفلسطيني على النحو الذي عقد به في الجزائر.

إن المؤتمر على النحو الذي انعقد به كان شبه ما يكون بمهرجان تأييد للثورة الفلسطينية بعد بيروت، وفي اعتقادي أن الثورة الفلسطينية كانت في حاجة إلى مؤتمر عمل، مناقشة واعادة تقييم وتخطيط، ولم تكن في حاجة إلى مهرجان ولا كانت في حاجة إلى تأييد.

إن الثورة الفلسطينية في ذلك الوقت ـ وأنا أقول ذلك بمحبة ـ كان امامها جدول أعمال لا يمكن ارجاؤه، ولا يمكن الاستعاضة عنه بأي شيء غيره، ولا يمكن التغطية عليه بحماسة لحظة.

لقد كان واضحاً أن تجربة بيروت طرحت عدة قضايا يتحتم بحثها:

أولاً ـ لماذا لم يكن القتال في الجنوب ـ عندما جاء الغزو الاسرائيلي ـ على النحو الذي خططت له قيادة الثورة واعدت نفسها لاحتمالاته، وخصوصاً وأن نوايا الغزو الاسرائيلي لم تكن سراً، بل إن قيادة الثورة كانت على علم بها، ثم إن أطرافاً كثيرة مهتمة بينها ـ للانصاف ـ مصر حذرت مبكراً واخطرت؟

وثانياً ـ ماذا جرى بالضبط في معركة بيروت؟ وكيف جرى ترتيب الخروج منها؟

وثالثاً ـ ما هي الضمانات التي تلقتها قيادة المقاومة في شأن سلامة المدنيين الفلسطينيين في المعسكرات المحيطة بالمدينة؟ ثم كيف حدثت مذابح صبرا وشاتيلا؟

كانت هناك من قبل ذلك قضايا كثيرة تستحق المناقشة، وكان هناك احساس بتململ واضح في بعض أطراف الثورة، وكان لا بد من مناقشة أسباب ذلك ودواعية وتلافي نتائجه حتى لو لم يكن قد حدث على الاطلاق.

إن مشاكل الثورة غير مشاكل الدولة، وفارق كبير بين النوعين.

مشاكل الدولة قابلة للمواجهة بالحسم. ومشاكل الثورة تحتاج إلى الحوار قبل الحسم.

الدولة سلطة شرعية، والثورة قوة معنوية.

وهكذا فإن بعض مشاكل الدولة قد يحلها الزمن، ولكن بعض مشاكل الثورة يعقدها هذا الزمن نفسه.

كانت هناك قضايا أخرى متعلقة بالمستقبل.

إن لبنان كان قاعدة للثورة الفلسطينية، بل لعله كان قاعدتها الأساسية،
١ وبخروجها منه فإن قواها ـ حتى مادياً، وعملياً ـ تبعثرت في أكثر من سبع جهات
بعضها لم يكن مراكز حشد بقدر ما كان مواقع حجز.

كيف يمكن أن تتم السيطرة والقيادة في هذه الظروف، وتحت أي استراتيجية؟

ما هي آفاق العمل المتاح سياسياً وعسكرياً، وأين هي الحدود والخطوط بالضبط خصوصاً وأن الرقعة المتاحة كانت بعد بيروت قد ضاقت كثيراً وانكمشت؟

هذه كلها كانت مشاكل وقضايا بل وأزمات ملحة تقتضي المناقشة والحوار والحلول والبدائل.

لا أعرف، ولكني أشعر أن هذا المؤتمر كان فرصة افلتت، ولم يكن ينبغي أن تفلت وأن تجيء وتذهب من غير عمل حقيقي للامساك باللحظة والامساك بالحقيقة والامساك بكل الاحتمالات الواردة والشاردة.

أقول ذلك، ليس بمحبة فقط لكن بحرص على الثورة الفلسطينية، وقيادتها التاريخية. لكني أقول بعده وعلى الفور إنه كله، كله من أوله إلى آخره لم يكن ينبغي أن يدفع طرفاً من الأطراف إلى رفع راية الانشقاق وإلى تعريض الثورة لفتنة مسلحة يرتفع فيها سلاح فلسطيني لكي يسفح دماً فلسطينياً وأن يصاب في هذا ومن غير مبرر شعب عربي آخر هو الشعب اللبناني، لم يكن له ذنب سوى أنه فتح للثورة الفلسطينية قلبه وأرضه وعرض دفاعاً عنها امنه وحياته ذاتها.

ليس هناك عذر مهما كانت المبررات والدعاوى.

إنني عندما أسمع صوتاً ـ مهما كان مصدره ـ يقول إن عرفات يلعب لعبة أميركا واسرائيل، أشعر بحزن وأسى.

ذلك بالمناسبة يقودني إلى حكاية بعض الأصوات والأقلام التي تنبري الآن للدفاع عن ياسر عرفات والتباكي على قضيته.

بودي أن أقول لهذه الأصوات والأقلام ارحموا الرجل في أزمته واعفوه بالله من زهوركم المسمومة، وقبلات الموت، التي تحاولون طبعها على خديه. اقترابكم منه شبهة لا يحتاجها الرجل وهو بالقطع لا يريدها.

● **«التضامن»: في ضوء ما يجري حالياً في شمال لبنان، وفي ضوء ما حدث خلال تطورات الأحداث في لبنان منذ العام ١٩٧٥ وحتى الآن، ما هو تحليلك**

للدور السوري الذي مر بمراحل متناقضة من مناصرة الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية إلى مناصرة «الكتائب» وضرب مخيم تل الزعتر، ثم الانقلاب على «الكتائب» مرة أخرى، ثم الاصرار الآن على الاطاحة بياسر عرفات، كذلك نود أن نعرف تحليلك لموقف سوريا من الحرب بين العراق وايران.

■ في الحديث عن دور سوريا دعني أفرق بين شيئين سوريا التاريخية وهي قلب العالم العربي بحكم موقعها وامكانيات شعبها.

وسوريا السياسية وهي السلطة الراهنة فيها في أي وقت من الأوقات.

بالنسبة للثورة الفلسطينية ولأي عمل فلسطيني فإن سوريا التاريخية ليس لها بديل.

وبالنسبة لسوريا السياسية فإن أي خلاف معها هو في رأيي أمر لا ينبغي لأي قيادة فلسطينية أن تسمح به، ببساطة، لأن حقائق الأمور تقول لنا إن سوريا السياسية ـ سوريا السلطة السياسية ـ مهما اختلفنا أو اتفقنا معها ـ هي بحكم طبائع الأمور المفتاح العملي لباب سوريا التاريخية.

لا أعرف إذا كان كلامي واضحاً، وهل أنا قادر على التعبير عما أشعر به، أم أن وضوح التعبير قد خانني؟

باختصار ما أريد أن أقوله هو: إن أي طرف يريد أن يستفيد أو يستغل أو يوظف دور سوريا التاريخية، عليه أن يتعامل مع سوريا السياسية ـ أي النظام القائم فيها مهما كان رأيه في هذا النظام. والبديل الآخر أن يقوم بتغيير هذا النظام إذا كان ذلك في مقدوره.

في مثل هذا الموضوع ليست هناك مشاعر وعواطف، وإنما هناك حقائق قوة لا فائدة من تجاهلها.

كمراقب من بعيد أشعر أن القيادة الفلسطينية كانت تفهم وتقدر حقائق سوريا التاريخية، وفي الوقت نفسه أشعر أن هذه القيادة كانت تدرك أحكام الواقع بالنسبة لسوريا السياسية، وأعرف أنها حاولت بكل الوسائل تجنب صدام مكشوف.

إن الحساسيات بين قيادة الثورة الفلسطينية والحكم في دمشق لم تكن شيئاً

جديداً، وأتذكر مرات كثيرة في أحاديثي مع قيادات المنظمة أنني قلت وكررت: «لكم أن تختلفوا مع أي بلد عربي إلا سوريا، لأن سوريا هي طبيعياً وعملياً الشريان الحيوي إلى القلب الفلسطيني». ولقد كنت أتخوف أحياناً من أن يغلب كبرياء الثوار على صبرهم خصوصاً ازاء استفزازات غليظة من بعض عناصر السلطة الحاكمة في دمشق:

أعترف لك أن سوريا الراهنة تحيرني.

من ناحية، يبدو موقفها في الظاهر من القضية العربية العامة سليماً، فهي فيما يبدو تقف حجر عثرة أمام محاولات فرض تسوية أميركية اسرائيلية على المنطقة. ثم إن الرئيس حافظ الأسد ـ للانصاف ـ يلعب حتى الآن أوراقه بحذر وحرص.

ماذا وراء ذلك حقيقة وإلى أي مدى؟ لا أعرف.

من ناحية أخرى فإن تصرفاتها في بعض الجوانب لا يمكن قبولها لا ظاهراً ولا باطناً.

سنة ١٩٧٥ تدخلت سوريا الراهنة ـ السلطة الرسمية الحاكمة ـ في لبنان، وبعد أن كانت العناصر اللبنانية المتحالفة مع اسرائيل على وشك الانهيار أمام زحف تحالف القوى الوطنية اللبنانية ـ فإن التدخل السوري قلب الموازين لصالح أكثر القوى تخلفاً ورجعية في لبنان.

ان تبرير التدخل السوري في ذلك الوقت بمقولة الحفاظ على التوازن الطائفي في الصيغة اللبنانية مردود عليه بأن التدخل السوري ساند جماعة معينة ضمن أقلية طائفية تحاول الآن ـ حتى هذه اللحظة ـ أن تفرض على لبنان خللاً في التوازن لا يمكن قبوله وليس له سند غير حاملات الطائرات الأميركية في البحر أمام بيروت ودبابات جيش اسرائيل التي تحوم على الجسور بقرب تخومها.

والقول بعد ذلك إن التدخل السوري منع غزواً اسرائيلياً للبنان مردود عليه أيضاً، فغزو اسرائيل للبنان كان مغامرة شبه مستحيلة لو لم تكن هناك تلك القواعد التي أقامها أصدقاء اسرائيل داخل لبنان. إن تلك القواعد لم تكن موجودة في ذلك الوقت. إن هذه القواعد وجدت وتعززت خلال سنوات التواجد السوري في

لبنان. إن التدخل السوري أعطى للقوى الأكثر رجعية وتخلفاً في لبنان فرصة التقاط الأنفاس واستعادة القوة والمضي بلا هوادة في بناء الامكانيات البشرية والعسكرية والسياسية التي تحولت إلى ركائز ساعدت الغزو الاسرائيلي للبنان. وسوريا، فيما يبدو من ظاهر الأمور الآن. من أكثر الأطراف التي تقاسي وتعاني من النتائج التي ترتبت على تدخلها في لبنان.

أعترف أيضاً أنني عاجز عن فهم موقف الحكم في سوريا ازاء الحرب العراقية ـ الايرانية، وبالذات قراره بوقف ضخ البترول العراقي إلى البحر الأبيض.

إن الحرب العراقية. الايرانية لم تنشب لأن الرئيس صدام حسين استيقظ ذات صباح وقرر شن الحرب على ايران، وإنما كانت المسألة أعمق من هذا وأخطر.

أظن أن الرئيس صدام حسين كان، فيما أتصور، آخر من يريد الحرب. فالعراق في عهده أحس لأول مرة بمعنى الاستقرار والاستمرار. وكانت هناك خطة تنمية طموحه، وكان الشعب في العراق قد بدأ يشعر أخيراً أن عائد بتروله يصل إليه ويسبقه إلى مستقبله.

لكن العراق رأى من وجهة نظره أنه مستهدف بعدوان، وتعريف العدوان في العصر الحديث لم يعد تعريفاً بسيطاً، وإنما قد يكون بوسائل أخرى غير السلاح.

ان الثورة الايرانية ـ وقد كنت واحداً من المتحمسين لها ـ كانت معرضة لاندفاعات خطيرة ـ شأنها في ذلك شأن كل الثورات في مرحلة الجموح والانفلات.

أتذكر ـ وهذا مسجل في كتابي «مدافع آية الله» ـ أنني ناقشت الطلبة الايرانيين الذين كانوا يحتجزون الرهائن في السفارة الأميركية في طهران حول أفكارهم وتصرفاتهم في ذلك الوقت من نهاية سنة ١٩٧٨. كانوا يظنون أن الدنيا كلها تقف معهم، وعارضتهم في هذا الظن وجهاً لوجه في اجتماع داخل مبنى السفارة جلست فيه وسط أكثر من مائة منهم.

قلت لهم: «إنكم بمثل هذا الجموح تأخذون من الثورة الايرانية ولا تعطونها. تحولونها من ثورة انسانية عامة إلى ثورة اسلامية فقط. ثم تحولونها من ثورة اسلامية واسعة إلى ثورة شيعية فقط. ثم تحولونها من ثورة شيعية عامة إلى ثورة

لشيعة ايران وحدهم، وهذا خطر يعود بكم إلى مزيج من الـوطنية الضيقـة التي تختلط بمذهبية محدودة، وهو وضع مخيف بالنسبة لايران وبالنسبة للمنطقة.»

إن قيمة الثورة الايرانية أنها كانت نداءاً انسانياً اسلامياً، وأن يتحول إلى مذهبية وطنية ضيقة فهذه شحنة بالغة الضرر والخطر.

إن العراق، بعد الثورة الإيرانية ما لبث أن أحس بأن نداءها موجه إلى الشيعة، وهم قرابة نصف مواطني العراق، وإذا استجابوا للنداء فهذا معناه أن ينفك التركيب القومي للعراق وينفرط عقده. إن عروبة العراق كانت وحدها الوعاء الذي يمكن أن يصون وحدته، ووحدته هي وجوده ذاته، فاذا تعرضت هذه الوحـدة لخطـر فإن الخطر لا يمس العراق وحده، وإنما سوف تمتد الموجة العاتية من العراق إلى ما وراء وتتحول المنطقة كلها إلى شيع ومذاهب وطوائف.

إن العراق كان له الحق أن يشعر بالخطر خصوصاً وهو ملاصق جغرافياً لايران، فإن النداء الصادر عن الثورة الايرانية كان معناه ـ على نحو أو آخر ـ أن خطر السلخ والضم لمناطق شاسعة من العراق قائم وماثل، وكان هذا هو خطر العدوان الذي أحس به العراق وتحرك لمواجهته قبل أن تنقض نوازله.

كان من حق النظـام الســوري أن يرى أن الحــرب المسلحــة بين قوميتين متجاورتين ـ العربية والايرانية ـ ليست السبيل الأمثل لمواجهة الوضع ـ ولكن ماذا كان واجبه؟

كان واجبه فيما أتصور أن يحـاول بذل مسـاعيه الحميدة لوقف الحـرب بين طرفين يرتبط مع أحدهما بروابط القومية ويرتبط مع الثاني بروابط الصداقـة. وكان عليه. إذا فشلت مساعيه الحميدة ـ أن يلتزم على الأقل بموقف حياد. أما أن يفرض وقف تدفق البترول العراقي إلى البحر الأبيض فهذا معناه أنه دخل الحرب من بابها الاقتصادي ضد العراق.

كان واجبنا أن ندرك أن الاطار القومي الذي يحيط بنا أدياناً ومذاهب وطوائف وثقافات ومصالح وأمن ـ أشبه ما يكون بجلد الانسان الذي يصون ويحمي قلبـه (الدين) ودماغه (العقل) وأعصابه (الشعور) وأحشاءه (الاقتصاد) وحتـى أطرافـه (الحركة). ولا نستطيع أن نسلخ انساناً من جلده، ثم نتصور بعد ذلك أنه قادر على

الحياة. وهذا خطر لا يتهدد العراق وحده، وانما هو خطر ماثل على كل شعوب الأمة العربية بما فيها سوريا نفسها.

وما يجري الآن في طرابلس شيء آخر في الاتجاه نفسه. لا يستطيع أحد اقناعي بأن الحكم في سوريا ليس طرفاً محرضاً في هذا الاقتتال الفلسطيني في طرابلس أو أنه عاجز عن ايقافه. ومع ذلك فلو أن الحياد السوري كان صحيحاً، كما يقال في دمشق، لكان عليها أن تقول للطرفين الفلسطينيين في الشمال اللبناني ـ عرفات وأبو موسى ـ إما تتم تسوية ما بينكما هنا، أو فأخرجا أنتما الاثنين إلى مكان آخر تسويان فيه الخلاف. هذه بقعة من الأرض لا تتحمل إلا رصاصاً يوجه إلى اسرائيل، فإذا ما اتجه الرصاص إلى غيرها فإن العواقب وخيمة وليس في مقدور أحد أن يتحملها. ميزان القوة في الشمال اللبناني واضح لا لبس فيه، وهو في يد سوريا حتى هذه اللحظة، وإذا لم تستعمل سوريا امكانياته بعقل فإن الميزان سوف ينتقل إلى يد أخرى تقول للفلسطينيين جميعاً وللبنانيين وللسوريين أيضاً: اخرجوا أنتم جميعاً... جميعاً ومن دون استثناء من هنا. ساعتها لا ينفع ندم.

مشكلتنا جميعاً ـ وليس سوريا وحدها ـ أننا نتصرف في بعض الأحيان بمنطق الثأر بين القبائل، نخلط بين الألعاب التاكتيكية المؤقتة وبين المصالح الاستراتيجية الدائمة، وتكون النتيجة أن نبعث بأقدارنا ونسلمها بأيدينا إلى أخرين ونصبح ذات يوم وإذا ٩٩ في المائة من أوراق اللعبة في يد هؤلاء الآخرين.

هذا هو المنطق الذي حول المنطقة من مسرح للتاريخ إلى مسرح للعرائس... أليس كذلك؟

● **«التضامن» : ألا تعتقد أن سوريا مستهدفة هي أيضاً؟**

■ هيكل: صحيح بالنسبة لسوريا التاريخية. المهم أن تعرف سوريا الراهنة جوهر الحقيقة في سوريا التاريخية، وأنا لم أفقد الأمل بعد ذلك، ولا أستطيع ولا يستطيع غيري أن يفقد الأمل خصوصاً وأن سوريا الآن مستهدفة، سوريا كلها: سوريا التاريخية وسوريا السياسية على السواء.

● «التضامن»: **هل توافقون أن اقتتال طرابلس معناه أن هناك شرخاً قد وضع في الجسد الفلسطيني..؟**

■ هيكل: بالتأكيد هناك شرخ، لكنك لا تستطيع أن تأخذ الشرخ الفلسطيني وحده، فهذا الشرخ أثر من آثار تصدع البناء العربي كله، والخطر محيق بالجميع.

● «التضامن»: **يعتقد البعض أن ما جرى هو الفصل الختامي لياسر عرفات ولمنظمة التحرير الفلسطينية... وأن المنظمة قبل الاقتتال غيرها بعده.. هل تعتقد أن ياسر عرفات انتهى كما يزعم البعض أو كما يتمنى البعض؟**

■ هيكل: هو بالطبع في موقف حرج، لكني لا أعتبرها النهاية، والأمر على أي حال يتوقف عليه، وأحسب أنه في موقف يشبه إلى حد ما موقف جمال عبد الناصر بعد سنة ١٩٦٧، وإن كان موقف عرفات أصعب، فجمال عبد الناصر كان يقود معركة وجود شعب يراد له أن يكون غريباً في أرضه وأن تكون قيادته منفية بعيداً عن الشعب والأرض لا في فلسطين ولا خارجها.

وعلى أي حال فإن مستقبل الثورة الفلسطينية، ومنظمة التحرير الفلسطينية، لن يقرره غير الشعب الفلسطيني، مهما كان هذا الشعب الآن مقهوراً بالارهاب الاسرائيلي وممروراً من القمع العربي.

الشعب العربي المقهور الممرور في فلسطين ما زال أقدر على الحسم في مستقبل منظمة التحرير وشرعية قيادتها من أي دبابات أو مدافع سورية أو ليبية!

● «التضامن»: **هل توافق على أن اسرائيل هي المستفيد الأول من كل ما جرى، وأيضاً الولايات المتحدة، وكيف تفسر السلوك الاميركي الآن تجاه الأزمة... ثم هل تعتقد أن مرحلة كاملة من العمل العربي قد سقطت وأننا مقبلون على مرحلة جديدة..؟**

● هيكل: ربما يكون المستفيد على المدى القصير هو الولايات المتحدة.

اسرائيل ليست هي المستفيد الأول فيما أرى، بل العكس، فإن كل وقائع ما جرى في السنة الأخيرة في لبنان كشفت عن حقيقة كبيرة تستحق أن نعيها بالكامل وهي محدودية اسرائيل.

لقد أثبتت هذه السنة كل أوجه القصور في هذا الكيان الصهيوني الذي بدا لنا لسنوات طويلة عملاقاً ضخماً، ثم أثبتت الحوادث انه عملاق له قدمان من فخار قابل للكسر.

إن اسرائيل بغزو لبنان ـ ولعدة أسابيع لا أكثر ـ حاولت أن تظهر في المنطقة كقوة امبراطورية محلية قادرة على بسط هيمنتها على المنطقة.

لكن الحقيقة كانت أقوى، وكانت اسرائيل أول من اكتشف ضعف العملاق والاقدام الواهية الهشة التي تحمل كيانه وحركته.

عسكرياً أن العبء أكثر فداحة مما تستطيع أن تتحمله.

واقتصادياً اكتشفت أنها بغير اقتصاد حقيقي يستطيع أن يستوعب تكاليف مغامراتها.

أكثر من ذلك. . .

فإن الانسان الفلسطيني واللبناني اكتشف بنفسه ان البطش الاسرائيلي عقيم، وأن العنف البادي منه هو تعبير عن ضعف أكثر منه تعبيراً عن قوة. . . العنف غير القوة.

الانسان الفلسطيني واللبناني الذي واجه اسرائيل واصطدام بجيشها في الضفة الغربية وجنوب لبنان أثبت أن الجيش الاسرائيلي ليس هو ذلك الجبار الذي ترتعد الفرائض من مجرد ذكر اسمه. وللانصاف فإن الجيش المصري كان أول من كشف الحقيقة في حرب اكتوبر، ولكن الانسان العربي العادي وصل إلى النهاية ـ في فلسطين ولبنان ـ في احساسه بقدرته على مواجهة اسرائيل والامساك بلحمها وجلدها.

تجربة لبنان، بالدرجة الاولى، جعلت الجيش الاسرائيلي لأول مرة يواجه تجربة التواجد وسط بحر الكثافة السكانية العربية ويدفع الثمن الباهظ لهذا التواجد.

هكذا قررت اسرائيل أن تلملم أطراف حلمها الامبراطوري، تركز على الضفة الغربية، وتقصر خطوطها في لبنان، وتنسحب إلى نهر الاولي، ومع ذلك فإن لحمها وجلدها ما زالا ينزفان دماً كل يوم.

بانكماش الدور الامبراطوري الاسرائيلي عادت المسؤولية فاستقرت مرة أخرى على أكتاف الولايات المتحدة التي تبدو الآن لأول وهلة وكأنها المستفيد على المدى القصير مما يجري الآن في لبنان.

الولايات المتحدة هي الأخرى سوف تكتشف أن الثمن باهظ والعبء ثقيل.

أليس غريباً شكل هذا الحشد العسكري المروع أمام الشواطىء اللبنانية؟ لماذا وفي مواجهة أي عدو؟ أليس غريباً أن الاساطيل الاميركية بجلالة قدرها وجدت نفسها تخوض حرباً ضد من؟ ضد مواقع بعض المقاتلين الدروز في جبل الشوف؟ وضد معسكرات بعض الفدائيين الشيعة في البقاع؟

عندما يزيد معيار القوة عشرات بل ومئات المرات عن الهدف المطلوب مواجهته، فإن الصورة لا تصبح مخيفة وإنما مضحكة.

فيل يطارد نملة على قمم الجبال وفي الوديان.

لن يستطيع مهما فعل. ومهما فعل فإنه سوف يزداد عصبية وهمجية مع كل لحظة وساعة.

إن الولايات المتحدة كانت تستطيع أن تواجه كل التركيبات السياسية العربية وأن تهزمها أو تطويها، أما الآن فإن الولايات المتحدة تواجه الواقع الحي العربي. . . كانت القمم سهلة أمامها، وأما الآن فإن الواقع الحي العربي ساحة أكثر تعقيداً وصعوبة والانتصار عليه شبه مستحيل.

وأعود إلى سؤالك: قد يدهشك إذا قلت لك أن الولايات المتحدة ـ وإن كانت هي المستفيد على المدى القصير ـ فإن الفائدة على المدى البعيد هي للأمة العربية.

إن ما يجري الآن في لبنان ينهي تماماً بقايا مرحلة من العمل العربي استهلكت نفسها، وربما كان ذلك خيراً لأنه يفتح الطريق تماماً لمرحلة أخرى.

أعرف أن الفترة بين مرحلة تسقط ومرحلة تظهر سوف تكون فترة صعبة. . . سوف تكون ملأى بظواهر كثيرة للفوضى والقلق، لكن ذلك لا يهم فيما أظن. وفيما أظن «فإنه لا بد مما ليس منه بد» كما كانوا يقولون.

إنني لست بطبيعتي فوضوياً، ولا أنا من أنصار ترك الأمور لمقاديرها، لكن

هناك لحظات في التاريخ لا يملك أحد حيالها شيئاً سوى أن يتركها لتفاعلاتها.

وعلى أي حال فقد حدث الانفجار في هذه المرحلة من العمل العربي، ولسوف يجري رفع الانقاض، لكن الناس مازالوا مأخوذين بعد بالصوت والصدى وبالنار والرماد، لكنهم بعد ذلك سوف يبدأون في رفع الانقاض، وبالتأكيد فإن الأرض لن تظل بعد ذلك خراباً أو فراغاً.

هكذا تراني وإن بدا التشاؤم في ظاهر ما أقول فإن حقيقته هي التفاؤل ذاته.

لا مفر من بداية جديدة. دورة جديدة. لا يتوقف التاريخ ولا تتوقف الحياة.

● **«التضامن»: في ظل غياب مصر عن عالمها العربي حدث ما حدث.. وما يجري الآن في طرابلس يدفعنا إلى التساؤل حول التباطؤ العربي في مواجهة الخطر؟**

■ هيكل: لا أعرف ما الذي تقصده بوصف «التباطؤ العربي». ما أراه أمامي أخطر من مجرد التباطؤ، أن التباطؤ يحمل معنى إن هناك ارادة، وأن هذه الارادة ـ قاصدة أو بغير قصد ـ لا تتحرك لمواجهة موقف معين بالسرعة الواجبة. وليس هذا ما أراه. الذي أراه أمامي تمنيات وأحلام عجز. وكل واحد يملك أن يتمنى ويحلم. أما الارادة فشيء آخر.

لا بد أن أقول، مع الأسف، إن الأمة العربية بغير عمودها الفقري ـ مصر ـ عاجزة عن الحركة. مراكز الاعصاب التي تحرك مقدرة العمل معطلة. هذا صميم المشكلة.

هل تسمح لي أن أروي لك سراً؟

قبل فترة زار موسكو أحد كبار المسؤولين العرب، والتقى بوزير الخارجية السوفياتي المخضرم «اندريه غروميكو».

كان المسؤول العربي عاتباً، وقال للوزير السوفياتي ضمن ما قال:

ـ «إن الشرق الأوسط أشبه ما يكون برقعة شطرنج والولايات المتحدة تلعب ونحن نلعب أمامهم وحدنا وتحت أيدينا حجارة كثيرة، وأنتم تتفرجون».

ونظر غروميكو إلى المسؤول العربي ثم أطال النظر، ثم قال بنصف إبتسامة كسيفة:

ـ «انتم لا تريدون الاعتراف بأن هذه الجولة من اللعب قد انتهت. . . إنهم أكلوا الملك في القاهرة»!

● **«التضامن»: هناك من يقول إن فلسطين قضية مصرية ومصر قضية عربية. والاحداث كلها في المنطقة تؤكد أن عودة مصر إلى العرب أو عودة العرب إلى مصر قضية حتمية . . ؟**

■ هيكل: لا بد أن تعود مصر. هذه حتمية تاريخية، لكنها لا تتحقق على الفور لمجرد أنها حتمية، وإنما بعمل جاد وشاق ومستنير يبدأ بتحقيق تواجد فعلي لمصر لكي يكون هناك تأثير حقيقي لمصر في الوضع العربي العام. إن مقدرة أي طرف من الاطراف على التأثير في أي وضع عام لا تصنعها الكلمات الكبيرة ولا اظهار حسن النوايا، وإنما تتحقق هذه المقدرة لأي طرف عندما يصبح جزءاً من حركة موازين القوى في الوضع الذي يريد التأثير فيه.

وفي مجموعة الازمات المتشابكة الآن في لبنان، فإن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كلاهما يملك ان يكون طرفاً بحكم تواجده المباشر أو بحكم تحالفاته مع أطراف مباشرين.

واسرائيل طرف بقوة السلاح. وسوريا طرف بمعايير القوة نفسها. والسعودية ومجموعة دول الخليج طرف عن طريق المساعدات بالمنح أو بالمنع، وكان يمكن لمصر أن تكون طرفاً كاملاً بمجرد التواجد المعنوي القائم على تحريك ثقة جماهير عربية واسعة، مع القدرة على تحريك هذه الجماهير، لكن هذه القوة المعنوية جرى تسليمها مع ٩٩ في المائة من أوراق اللعبة في مرحلة مضت. وبالتأكيد فإن مصر التاريخية لها قدرها ولها احترامها بصرف النظر عن التقلبات السياسية، لكن المشكلة أن عبق التاريخ وحده لا يكفي لتحريك موازين القوى. وهكذا فإن التحدي الذي تواجهه مصر الآن هو: كيف تتواجد على ساحة الأوضاع العربية بطريقة تجعلها ـ مادياً أو حتى معنوياً ـ عاملاً مؤثراً على موازين القوة.

● **«التضامن»: يلاحظ أن الرئيس مبارك من اللحظة الأولى لولايته أعاد تأكيد انتماء مصر للعالم العربي، أعاد تصحيح المسار، وموقف الرئيس مبارك**

الأخير الداعم للمنظمة ولوحدتها وللشرعية الفلسطينية هو موقف متقدم وفي ظل الظروف والمتغيرات العربية والدولية المحيطة بمصر. ماذا تقول انت للرئيس حسني مبارك. . ؟

■ هيكل: أقول للرئيس حسني مبارك: لقد حملتك مصر من أحلامها بأكثر مما تسمح به الحقائق. ثم ظهرت الفجوة بين الطموح والواقع، ولم يكن هذا ذنبك، لكن الآمال معلقة بك بمقدار ما أن آمال الامة العربية ما زالت معلقة بمصر، وأنت تستطيع أن تقود الكل إلى بداية مرحلة جديدة يتشوق إليها الجميع، وهي مرحلة الانسان العربي.

لم يعد في امكان أحد أن يقود مصر أو يقود من مصر ثورة من أجل الوحدة العربية مثلاً، تلك قضية أصبحت الآن معلقة بمستقبل بعيد، سلامة الاوطان قبل أن تحلم بوحدتها. ولم يعد في امكان أحد أن يقود مصر أو يقود من مصر ثورة من أجل الاشتراكية. . . الواقع الاجتماعي العربي يجعل ذلك غير مطروح على الأقل في الوقت الراهن. وعلى أي حال فإن الأرض العربية قد امتلأت ببذور ما تزال خضراء ايماناً بحتمية الوحدة العربية وبقيام نظام اجتماعي عربي جديد، وليس في طاقة أحد أن يجمع هذه البذور من التربة، وحتى حرث الأرض العربية بأي طاقة قوة وعنف لن يفعل أكثر من تعميق هذه البذور، وسوف تنبت الخضرة منها ذات يوم بغلبة الحياة نفسها وباحكام الطبيعة وضروراتها، وليس هناك داع الآن لتعجل فترة النمو والنضج لأنها سوف تأخذ وقتها وتستوفي حينها. لكن الممكن الوحيد الآن في مصر ومن مصر هو ثورة من أجل الانسان العربي. حقوق الانسان العربي. حقه في الحرية. حقه في المشاركة. حقه في صنع القرار. حقه في توجيه المستقبل. هذا الانسان سوف يصنع الوحدة، وهذا الانسان سوف يفرض العدل الاجتماعي بالاشتراكية أو بغيرها.

هذه هي الثورة الوحيدة الممكنة الآن، والمطلوبة الآن، والضرورية الآن، وهي أو الطوفان.

أن هذه الثورة الممكنة، والمطلوبة، والضرورية، هي التي تستطيع إن تملأ مصر كلها في هذه المرحلة، وتستطيع أن تفيض منها بغير عوائق لتغمر أرض الأمة

العربية كلها بخصب جديد.

وأقول للرئيس مبارك أخيراً: أنه ليس من حق أحد أن يثير لديك شكاً في مطلب التغيير الذي كاد أن يكون الآن مطلباً اجتماعياً في مصر. أن قضية التغيير ليست قضية جديدة، لكنه مطلب طرح في مصر بالحاح منذ اعقاب سنة ١٩٦٧ وما جرى فيها، بل إن مطلب التغيير كان هو الاساس في الضغوط الشعبية الهائلة التي عاشتها مصر سنة ١٩٦٨ وصدر في وقتها بيان ٣٠ مارس... واعداً بالتغيير.

أتذكر أنني بنفسي ـ وأنا القريب من جمال عبد الناصر والصديق الصدوق له ـ كتبت مقالاً في ١١ اكتوبر سنة ١٩٦٨ بعنوان «هل تحقق التغيير؟»، وكانت إجابتي بـ «لا»، ثم قلت فيه ما معناه ـ بغير لف ولا دوران ـ انه «إما أن يستطيع النظام أن يغير أو أنه سوف يتغير».

وإذن فالقضية مطروحة منذ زمن طويل، والمطالبة بها ليست شيئاً طارئاً ظهر الآن فجأة. أن مصر كلها كانت تطالب بالتغيير، ولكن المطالبة به كانت محكومة بظروف الحرب، ومن سوء الحظ إن الحرب جاءت وانتهت. ومن دون أن أخوض في تفاصيل كثيرة ليس هذا مكانها ولا زمانها، فإن نتيجة الحرب جاءت أقل كثيراً من الجهد الذي بذل فيها ودون مستوى تضحيات الدم الذي روى بشجاعة وشرف ميادين قتالها.

وبعد الحرب فلقد جرت محاولات للالهاء، وجرت محاولات للارهاب، ولكنها لم تصل إلى نتيجة... ثم تراكمت بعد الحرب اثقال واحمال، وهكذا فإن مطلب التغيير زاد تأكيداً وزاد حدة.

ليس تغييراً في الاشخاص ولكن أكبر.

وليس تغييراً في الاساليب ولكن أعمق.

ولقد شاءت ملابسات تاريخية طيبة ان تكون أنت الآن على موقع المسؤولية الاولى في مصر، ولا أقول أنه قدرك، فلقد ابتذلنا هذه الكلمة حتى عبثنا بالمقادير ـ لكني أقول إنها فرصتك وفرصة مصر وليس لهذه الفرصة أن تفلت لأي سبب ـ وكان الله في عونكما.

الاتفاق الامريكي الاسرائيلي: أبعاده ومغزاه

كانت لدينا دوافع كثيرة لكي نحاور محمد حسنين هيكل في شأن الاتفاق الاستراتيجي الأمريكي الاسرائيلي. فهو الذي قال ـ وما زال يقول حتى الأن ومنذ منتصف الستينات ـ بإمكانية تحييد الدور الأمريكي في المنطقة، والذي رفع شعار استحالة التناطح رأساً برأس مع امريكا.

والآن ما موقف رجل طالما نادى بتحييد أمريكا وعدم التناطح معها من هذا الاتفاق الاستراتيجي وما هي ولماذا توقيته الأن وما هي هوامش العمل المتاحة لمواجهة مخاطره؟.

استمر الحوار مع هيكل أربع ساعات قال فيها إن العلاقة الخاصة بين أمريكا واسرائيل قديمة وإن هذا الاتفاق قديم في الادارة الأمريكية ومع هذا فقد أتى الاتفاق بما هو جديد وخطير ولا بد من دراسته.

● مجلة «المصور» ـ ١٩٨٣/١٢/٢٣

● **المصور: نبدأ من قلب القضية، من وجهة نظرك، ما مغزى هذا الاتفاق وما أبعاده في هذا الوقت بالذات .**

■ هيكل: الحقيقة أن هذا موضوع هام وهو يستحق أن تدور حوله أوسع المناقشات وككل موضوع هام تطرحه علينا الظروف التي نعيشها الآن، فإننا يجب أن نقترب منه بدون حدة وبدون تعصب وبدون عناد. يصر مسبقاً على أنه وحده يملك مفاتيح الحقيقة. في أيام سابقة كانت الظروف تسمح لنا بترف الحدة والتعصب والعناد. وكان ذلك في أيامه خطأ. وهو الآن أكثر من خطأ، لأن الظروف لم تعد تحتمل.

أقول هذا ثم أضيف إليه على الفور، أننا بالفعل أمام مسألة خطيرة. لا بد لنا على الأقل أن نستوعب ونتفهم أسبابها ودلالاتها ونتائجها. وأظن أن تفهم واستيعاب أي مشكلة يمكن أن يكون جزءاً من الطريق إلى حلها، وجزءاً من الاستعداد لأعبائها.

ربما تسمحون لي أن أجيب على سؤالكم بطريقة قد لا تكون مباشرة. أي صيغة سؤال والرد عليه وكفى.

في هذا الموضوع بالذات أريد أن أعرض لتصور ولصورة أوسع. وأظن أن هذا الأسلوب قد يكون أكثر ملاءمة خصوصاً في مثل هذا الموضوع الذي تطرحونه للمناقشة الآن.

أستأذنكم في أن أبدأ معكم بمناقشة بعض الآراء التي قيلت عن هذا الاتفاق.

إنني أريد أن أبدأ بأن أنفي عن هذا الاتفاق ما ليس فيه.

أولاً: يقال أنه ليس هناك جديد في هذا الاتفاق. كان مثل هذا التنسيق الاستراتيجي موجوداً باستمرار بين أمريكا واسرائيل. فلماذا هذه الضجة الآن. ولست من أنصار هذه المقولة.

صحيح أننا جميعاً نعرف أنه كانت هناك علاقة بين اسرائيل وبين الولايات المتحدة. وكانت هذه العلاقة بالواقع على المستوى الاستراتيجي لكنها كانت تمارس بطريقة تختلف.

على سبيل المثال: كانت الولايات المتحدة الأمريكية تضع مسافة واضحة بين خطوطها وخطوط اسرائيل. وإذا أخذنا موضوع السلاح مثلاً: فإن الولايات المتحدة الامريكية ترددت طويلاً قبل أن تصبح مورد سلاح لاسرائيل. قد نقول أنها حاولت دفع أطراف أخرى لأن تلعب هذا الدور، لكنها كانت دائماً تنأى عن دور مورد السلاح، لأنها كانت تخشى عواقب له يمكن أن تؤثر عليها، لقد ذكر «هيرتزوج» رئيس دولة اسرائيل في حديث أخير له أنه في بداية الخمسينات «٥٣، ١٩٥٤» حاولت اسرائيل إرسال بعثات عسكرية للتدريب في الولايات المتحدة. ولم تقبل حكومة «أيزنهاور» وقتها. وبعد الحاح ذهبت بعثة عسكرية اسرائيلية الى أمريكا، ولكن كل ما أتيح لها في ذلك الوقت ـ طبقاً لرواية «هير تزوج» ـ التدريب على طوابير سيارات الجيب. ويروي «هير تزوج» في نفس الحديث أن «موشي ديان» وهو رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلي وقتها ذهب بعد الحاح عنيف لزيارة الولايات المتحدة، ومع ذلك فإن أحداً من قيادة «البنتاجون» لم يقابله علناً. وكان أقصى تكريم حظي به هو أن رئيس لجنة القوات المسلحة في الكونجرس حضر حفل عشاء أقيم له في السفارة الاسرائيلية في واشنطن.

وفي الفترة من ٥٦ إلى ١٩٦٧، كانت بريطانيا وفرنسا هما اللتان توردان السلاح لاسرائيل. في حين أصرت الولايات المتحدة على أن تظل بعيدة. وكان من ذلك أن معركة سنة ١٩٥٦ كانت معركة دبابة «السنتريون» البريطانية كما أن حرب سنة ٦٧ كانت حرب الطائرة «الميراج» الفرنسية.

وحين ركزت السياسة العربية في ذلك الوقت على بريطانيا وفرنسا لوقف امدادات السلاح لاسرائيل ونجحت في ذلك إلى حد بعيد. فإن ألمانيا الغربية

تقدمت للقيام بجزء من هذا الدور. . دور مورد السلاح لاسرائيل ـ وكانت الولايات المتحدة بالقطع وراء ذلك ـ لكنها مرة أخرى كانت حريصة على البقاء في الظل، ونقلت السياسة العربية جهودها للضغط على ألمانيا الغربية وانقطع الامداد الألماني الغربي. . وهنا فقط اضطرت الولايات المتحدة إلى القيام بدور مورد السلاح لكنها بدأت تقوم به على استحياء. على سبيل المثال، في سنة ١٩٦٨ بلغت المساعدات العسكرية الأمريكية لاسرائيل ٢٥ مليون دولار وفي سنة ١٩٦٩ وصلت الى ٨٥ مليون دولار. وفي سنة ١٩٧٠ انكمشت الى حدود ٣٠ مليون دولار. وبعد حرب أكتوبر حدث، تطور مفاجيء وخطير. فقد وصل حجم المساعدات الأمريكية من الأسلحة لاسرائيل الى ٩٨٢ مليون دولار. وفور توقف المعارك وبدء أحاديث السلام والتوصل لفك الارتباط الأول تلقت اسرائيل منحة أسلحة بمقدار ١٥٠٠ مليون دولار لا ترد ولا تسدد.

وفي أعقاب اتفاقيات كامب ديفيد تلقت اسرائيل مساعدات عسكرية بمقدار ٢٧٠٠ مليون دولار، منها ١٣٠٠ هبة لا ترد. وبمقتضى الاتفاق الاستراتيجي الأخير فأن المعونة الاقتصادية والعسكرية كليهما لاسرائيل أصبحت هبات لا ترد، وفي حدود أكثر من ٢٠٠٠ مليون دولار سنوياً. بل إن المبالغ الخاصة بالمعونة الاقتصادية وهي تساوي ٨٥٠ مليون دولار أصبحت تدفع لاسرائيل نقداً بالدولارات تشتري بها كيف تشاء ممن تشاء. . وإذن فإننا نلاحظ أنه هناك تغيير كمي ملحوظ في السنوات الأخيرة ثم جاء الاتفاق الاستراتيجي الأخير فجعل من هذا التغيير الكمي تغييراً كيفياً يختلف كل الاختلاف عما سبق. وإذن فهناك جديد. أكثر من هذا فإن الولايات المتحدة لم تعد مورد السلاح الأساسي لاسرائيل فقط بل أصبحت تشجع قيام صناعة حربية اسرائيلية قوية. وعلى سبيل المثال، فإنها بعد أن كانت قد وضعت بعض العوائق في طريق تصنيع طائرة اسرائيل الجديدة لافي، أصبحت الآن تشجعها وهي على وشك أن تسلم إليها تصميمات الذيل والأجنحة، إلى جانب المحرك الذي يتم تصنيعه بجهد مشترك وتشجيعها أيضاً على التصدير، وليس على مجرد الانتاج. وربما يلخص هذا كله تصريح ورد على لسان «جورج شولتز» وزير الخارجية الأمريكية ـ الذي كنا نتصوره من

الحمائم ومن اصدقاء العرب في واشنطن ـ حين قال أخيراً وبعد إعلان تفاصيل الاتفاق الاستراتيجي في أثناء زيارته للمغرب وتونس: نعم إن بيننا وبين اسرائيل صداقة حميمة وتنسيقاً استراتيجياً كاملاً وسوف نستمر في هذا شاء العرب أم أبوا. قال هذا في عواصم عربية وقاله دون لف أو دوران. وإذن فنحن أمام حالة تختلف اختلافاً بيناً وقاطعاً عما كنا نراه في الخمسينات وفي الستينات.

ولقد كان بعضنا يقول أن الخلافات العربية مع الولايات المتحدة هي التي تدفع أمريكا إلى أحضان اسرائيل. . ولقد ثبت الآن أن ذلك لم يكن صحيحاً. ففي وقت الخلاف العربي مع الولايات المتحدة، كانت واشنطن تحاول أن تستحي وأن تداري. وأما الأن، ومعظم العالم العربي على علاقة وفاق مع الولايات المتحدة، فإن واشنطن لم تعد تستحي ولا عادت تداري، رغم أن علاقات وثيقة تربطها بالدولة العربية الأكبر وهي مصر. كما أن علاقات حميمة بالدولة العربية الأغنى وهي السعودية. بل أن الثورة الفلسطينية نفسها وهي بؤرة الفوران الباقية من العالم العربي لم تعد تطلب أكثر من اعتراف أمريكا بها. وأمريكا لا ترضى. وإذن أعود فأكرر، هناك جديد. وهناك جديد كيفي؟ لقد أدت إليه تراكمات كمية. هذا صحيح والغريب أنه بلغ هذه الحالة في وقت كان يحق لنا أن نتصور فيه العكس وإذن فالأمر يقتضي الدراسة.

● **المصور: نستأذنك هنا في سؤال نظن أنه لن يقطع عليك سياق الحديث، هناك وجهة نظر تقول أننا نستطيع أن نحول هذا الاتفاق الاستراتيجي بين أمريكا واسرائيل إلى فرصة بدل أن نتركه يتحول إلى أزمة. ذلك أن نطالب لأنفسنا بنفس الميزات التي حصلت عليها اسرائيل.**

■ هيكل: في مواجهة هذا السؤال فإن السؤال الذي يطرح نفسه على الفور هو: هل هذا ممكن؟ ومن وجهة نظري وقد أكون مخطئاً فإن هذا من دروب المستحيلات لعدة أسباب:

أولها: أن أي استثمار لا يمكن أن يقاس إلا بعائده. إن القوى الكبرى حين تعطي أحداً فهي في حقيقة الأمر تستثمر سياسياً واستراتيجياً. ويقودنا هذا منطقياً إلى

سؤال آخر هو: إن إسرائيل حصلت على ما حصلت عليه لأنها تستطيع أن تقدم عائداً يوازي تكاليفه ـ فهل تستطيع مصر أن تؤدي ما يمكن أن تؤديه اسرائيل؟ الرد ولا أظن أن أحداً يختلف فيه هو رد بالنفي. وهو رد تمليه طبيعة الأدوار، فدور اسرائيل الواضح هو تطويق الارادة العربية. إذا لم نقل قهر هذه الارادة. ودور مصر الطبيعي هو تحرير الارادة العربية وتوفير الحماية لها ـ وهناك فارق بين الدورين. وإذا شئنا مثالاً واضحاً فإن دبابات الجنرال «شارون» التي وصلت إلى داخل بيروت كانت هي أكثر من أي عامل آخر هي التي دفعت بمعظم العرب إلى الوقوف أمام أبواب البيت الأبيض رجاء أن تضغط الولايات المتحدة على اسرائيل لكي تنسحب من لبنان. بل أن أكثر الدول العربية نفوذاً في الولايات المتحدة وهي السعودية لم تستطع بكل ما تملكه من أسباب ووسائل القوة ازاء أمريكا إلا أن ترتب خروج الثورة الفلسطينية من لبنان وليس خروج اسرائيل من لبنان.

والحقيقة أن كل الدول العربية المعتدلة شعرت في ذلك الوقت أنه ليس هناك ما يحول دون هيمنة امبراطورية اسرائيلية على المنطقة، إلا مساحة ما يمكن أن تبذله واشنطن من ضغط على تل أبيب. هكذا فإن ما تستطيع أن تؤديه اسرائيل هو شيء لا تستطيع أي دولة عربية أياً كانت أن تؤديه للولايات المتحدة ومن هنا فإننا نستطيع أن نرى أن الولايات المتحدة تستثمر في اسرائيل وتستثمر وهي تطلب عائداً تحدده مقدماً. وتعرف أن اسرائيل بما تعطيه لها قادرة عليه ـ ليس فقط مادياً ـ ولكن معنوياً أيضاً، لأنها في هذه المنطقة بلا روابط تاريخ وبلا علاقات انسانية من أي نوع وبالتالي فهي تستطيع أن تتصرف بدون روادع وبدون هواجس وحتى بدون مراجعة ضمير، وهو ما لا تملكه ـ حتى إذا أرادت ـ أي سلطة عربية.

هناك مقولة أخرى ترددت خارج العالم العربي وسمعت في الولايات المتحدة بالذات. وكانت تقول لبعض العاتبين العرب: ما لكم وهذا الاتفاق. هو موجه ضد سوريا ومجرد توقيت اعلانه واضح كاف لاثبات ذلك. فماذا فعلت لكم سوريا ـ لقد عطلت مسيرة السلام في المنطقة، وعطلت الاتفاق في لبنان. ودخلت في حلف مع الاتحاد السوفييتي. ومن حسن الحظ أن الذين سمعوا هذا الكلام من واشنطن رفضوه على الفور، لأن الأمر بدا لهم من كل نواحيه قضية أخطر وأكبر، تكاد أن

تكون قضية السيطرة على العالم العربي كله وما وراءه من المحيط الاطلنطي وحتى المحيط الهندي. وهي منطقة قال عنها الجنرال «شارون» في ورقة الاستراتيجية الاسرائيلية التي عرضها علناً في مؤتمر عقد في مركز سكواح لأبحاث الأمن الاسرائيلي: بأنها نطاق العمل الاسرائيلي السياسي والعسكري» .

إنني آسف أنني أطلت عليكم بهذا كله لكني أردت بهذه الجولة الواسعة أن أضع هذا الاتفاق الأمريكي الاستراتيجي في موقعه على خريطة الأحداث الجارية في المنطقة. وأن أحدده بحيث لا تتداخل أطرافه مع أشياء أخرى تؤدي إلى إحاطته بضباب من الظنون والمقولات.

إن هناك جديداً في هذا الاتفاق وهو جديد وخطير.

● المصور: إذا كان الاتفاق في مغزاه يحمل شيئاً جديداً أوسع بكثير من هذه العلاقات الخاصة بين اسرائيل والولايات المتحدة في صورتها المألوفة، فلماذا كان الآن، ما مغزى التوقيت؟

■ هيكل: الغريب بالفعل أن الولايات المتحدة تقدم على هذا الاتفاق في الوقت الذي قبلها فيه العالم العربي. ليس فقط كطرف مشارك في عملية صنع السلام كما يسمونها بل كقوة تحاول أن تقوم بدور المهندس لمستقبل المنطقة.. بل أكثر من ذلك إن هذا يحدث في الوقت الذي يبدي فيه العالم العربي استعداداً أوسع لاقامة علاقات سلام مع اسرائيل أي أن أمريكا تقدر أن تنحاز لاسرائيل بالكامل في الوقت الذي يتسع فيه القبول العربي بالدور الأمريكي كل يوم في العالم العربي.

● المصور: يظل السؤال قائماً لماذا سعت ادارة «ريجان» في هذا الوقت بالذات إلى إحياء الاتفاق الذي كان قد صمم خطوطه الأساسية «شارون» و «الكسندر هيج» .

■ هيكل: ليس صحيحاً أن «هيج» هو اول من اقترح اتفاقاً استراتيجياً بين الولايات المتحدة واسرائيل.

ان «برجينسكي» مستشار الأمن القومي للرئيس كارتر يتكلم في مذكرا ه الأخيرة

لتي صدرت بعنوان «المبدأ والقوة» عن أفكار مماثلة كانت تناقش في أثناء إدارة كارتر. وأذن فالفكرة قديمة في الادارة الأمريكية. بل لعلها موروثة منذ أيام ادارة «نيكسون» فالاشارات صريحة حولها في مذكرات كيسنجر خصوصاً الجزء الذي صدر بعنوان: «سنوات القلاقل». وصحيح أن شارون والكسندر هيج كانا قد رضعا اتفاقاً مكتوباً من تسعة بنود. ثم صرفت الادارة الأمريكية النظر عنه بعد غزو لبنان. لكن الولايات المتحدة الأمريكية هي التي عادت، تطلبه الآن، وكان الرئيس الأمريكي رونالد ريجان هو الذي أرسل مبعوثه «ايجلبيرجر» لصياغة هذا الاتفاق في نصه النهائي ووضعه للتطبيق العملي. وهو على هذا النحو يشير إلى عملية أكبر من مجرد ما يجري في لبنان أو ما يجري مع سوريا. وإنما هي عملية توحي كل تفاصيلها بأنها محاولة لترتيب أوضاع المنطقة الآن ومستقبلاً.

● **المصور: حتى الآن. يبقى السؤال بدون إجابة. لماذا يمرر الأمريكيون مشروعهم القديم في المنطقة؟**

■ هيكل: إذا أردت رداً صريحاً ومباشراً فإني أعتقد أن الولايات المتحدة تتصور أو ترى أن الموقف في المنطقة الآن أصبح ناضجاً أو شبه ناضج لشيء كانت تريده دواماً، وواتتها الفرصة له الآن.

المأساة أننا كعرب بدون ذاكرة. لأننا لا نتقصى تجاربنا السابقة. كل منا يبدأ وكأنه يريد أن يبدأ تجاربه من الصفر والذين لا يستفيدون من دروس التاريخ محكوم عليهم بأن يعيشوه مرة أخرى.

وفيما أعتقد فإن أحداً لم يتوفر بعد على دراسة تجربتنا مع الولايات المتحدة منذ بداية تجربة ثورة يوليو ١٩٥٢ وحتى الآن. لقد بدا عبد الناصر راغباً وبشدة في علاقات صداقة مع الولايات المتحدة. ووصل في النهاية إلى طريق مسدود، لم يحاول أحد أن يدرس لماذا حدث ذلك؟ - لم يحاول أحد أن يدرس لماذا وقد ذهب الرئيس السادات في علاقاته مع الولايات المتحدة إلى هذا الشوط الواسع تقابلنا نتائج تبدو وكأنها مفاجئة لنا ونبدو وكأننا مفاجأون بها.

● **المصور: استاذ هيكل. لا نكتمك دهشتنا من هذا المنطق. فلعلك كنت**

أحد الذين رفعوا شعار تحييد امريكا . . . مدافعاً عن ضرورة دورها في أزمة الشرق الأوسط . ونعتقد أن ذلك قد حدث بينما كانت العلاقات المصرية السوفييتية في أوجها.

■ هيكل: كنت أتوقع هذا السؤال. وفي الواقع فإنه يجب أن يطرح إذا ما أردنا دراسة مراحل العلاقة مع أمريكا والخروج بدروسها المستفادة لقد كنت أقول ولا أزال بتحييد الولايات المتحدة وليس بالصدام مع الولايات المتحدة. وتحييد طرف من الأطراف في صراع دولي معناه أنك تستعمل كل وسائل القوة المتاحة لك في أن تحدد إمكانية إضراره بأمنك ومصالحك. إن تحييد أمريكا لم يكن يتأتى بما فعلناه من سنة ١٩٧٣ وحتى الآن. وإنما كان تحييد أمريكا يمكن أن يتحقق بأن تكون إمكانياتنا كلها موجهة إلى تقليص مساحة التنسيق بينها وبين اسرائيل. الغريب أن هذا كان يجري على نحو أو آخر في مرحلة ما قبل حرب ٦٧ . فقد كانت لنا في تلك الفترة علاقات متوازنة مع القوتين الأعظم. والدليل على ذلك أن الاتحاد السوفييتي ساعدنا في تلك الفترة على بناء السد العالي. وقدم لنا من السلاح ما حاربنا به كل معاركنا حتى معركة أكتوبر. وفي نفس الوقت كانت الولايات المتحدة حتى بداية ١٩٦٧ هي مورد القمح الرئيسي لمصر ولم تكن بعد قد تجاسرت على أن تصبح مورد السلاح لاسرائيل. صحيح أن ظروف حرب ١٩٦٧ أحدثت شيئاً من الخلل في توازن العلاقات بيننا وبين القوتين الأعظم وبعض هذا كان منطقياً. فقد كان هناك طرف يساعدنا على استمرار تحرير ارادتنا، وتحرير أرضنا. وطرف آخر يتواطأ مع اسرائيل، ومع ذلك فقد قلت وفي تلك الظروف بتحييد أمريكا عن اقتناع بأنه لا يمكن تسوية أي مشكلة من مشاكل السلام والحرب في العالم فضلاً عن منطقة الشرق الأوسط بوضعها الحساس بين القوتين الأعظم، بدون اشتراك القوتين معاً وضمان اهتمام الأثنتين في نفس الوقت.

أريد أن أعود إلى نقطة كنت أتحدث فيها قبل قليل. نقطة أننا لا نستفيد من تجاربنا السابقة. أخشى أن أقول أنه يبدو لي أننا حتى إذا أردنا أن نستفيد من هذه التجارب، فإن الذي يتحتم عليهم أن يقوموا بهذه المحاولة سوف يجدون أنفسهم أمام صعوبات ضخمة، لعل أولها ضياع الجزء الأكبر من أوراقنا وسجلاتنا. إنني لا أعرف مثلاً أين هو أرشيف القصر الملكي

في مصـــر. إن مصـــر حاولـــت في عصـــر فاروق والوفـــد أن تقيم علاقات صداقـة مع الـولايات المتحـدة يمـكن الضغـط بهـا علـى بريطـانيا من أجل إتمـام الجـلاء. أين وثائـق هذا كلـه ؟ هنـاك أيضـاً محـاولات جمال عبد الناصر في هذا الصدد. أين هو سجل هذه المحاولات التي وصلت ـ كما قلت من قبل ـ إلى طريق مسدود. هل يمكن أن يصدق أحد أنه لا توجد في أرشيف الدولة المصرية ورقة واحدة عن مباحثات فك الارتباط الأول. أو فك الارتبـاط الثاني أو كامب ديفيد، توجد من هذا كله مذكرات صماء كتبتها مجموعات عمل من الخارجية على سبيل المثال. لكن هذه المذكرات الصماء لم يكن لها من أثر على النتيجة التي أسفرت عنها هذه العمليات. كل النتائج تم التوصل اليهـا من خلال المناقشات. وليست لهذه المناقشـات محاضـر إنمـا تم الاحتفاظ بمـا دار خلالها في رؤوس أصحابها. وذهب ما في الرؤوس إلى النسيان وإلى القبور في بعض الأحيان. فالخلاصة نحن لا ندرس تجاربنا. ونحن لا نتعلم منها شيئاً. وكل محاولة جديدة عليها أن تبدأ من فراغ وكأننا أمة بلا ذاكرة.

● **المصور: أنت تعتقد إذن أن الاتفاق الاستراتيجي الاسرائيلي الأمريكي قد تم تصميمه لأهداف أوسع من الخلاف السوري ومن قضية لبنان.**

■ هيكل: هذا بالضبط ما أعتقده، فالاتفاق بهذا المعنى يتعلق بما يجري حولنا في العالم وما يجري حولنا في العالم ينبغي أن يكون موضع دراستنا، لا بد أن يكون لدينا توصيف شامل وواضح له. لأنه ـ شئنا أم لم نشأ ـ يحكم حركتنا. كما أنه عنصر أساسي في هذا الاتفاق الاستراتيجي بين أمريكا واسرائيل.

ما هو الوضع العالمي الذي نواجهه الآن. والذي نواجه في إطاره كل مشاكلنا وهمومنا الراهنة؟

العالم الآن محكوم بخط رأسي يفصل بين نظـامين عالميين مختلفين. قوتين عملاقتين. . وعقيدتين متناقضتين. الخط الفاصل بينهما شيء لم يسبق له مثيل في التاريخ. والسبب هو استحالة الحرب بين الأثنتين. فالأسلحة التي تملكها كل منهما لم تعد ـ لأول مرة في التاريخ ـ قابلة للاستعمال. أصبحت لهذه القوة القدرة على الدمار الشامل على نحو يفوق كل خيال. في نفس الوقت فإن هذا الخـط

الرأسي الحاد والفاصل والذي تستحيل فيه الحرب يتقاطع معه خط أفقي. تعيش فيه شعوب تواجه تفاعلات اقتصادية واجتماعية انسانية وفكرية لا يمكن تجميدها. ويمكن لحركة هذه التفاعلات أن تمس بشكل أو آخر الخط الرأسي الجامد للمواجهة النووية بين العملاقين. هكذا نجد أمامنا خطين متقاطعين. خط رأسي لا بد من تجميده باستحالة الحرب. ثم صراعات لا يمكن تجميدها بضرورات التاريخ وقد تتداخل الخطوط . . وهنا يحل الخطر. خصوصاً إذا اقتربت التفاعلات الاقتصادية الانسانية الاجتماعية الفكرية من خطوط التماس النووي التي لا تستطيع أن تتحمل أي هزة.

علينا أن نسأل أنفسنا: ما الذي يحدث وراء هذه الخطوط؟ الخط الاستراتيجي الذى تستحيل معه الحرب. والخط الاجتماعى الذى يصعب معه الاستقرار أو الجمود.

إن الوضع الخطير الناشيء عن هذين الخطين والعلاقة الدقيقة والحساسة بينهما يحدث أثره داخل الكتلتين. من هنا مثلا نستطيع أن نرى موقف الاتحاد السوفيتى من التململ البادى فى الكتلة الشرقية وبولندا. مثال لذلك - قبل بولندا كانت هناك تشيكوسلوفاكيا. وقبل تشيكوسلوفاكيا كانت هناك المجر. فى هذه الواقع اضطر الاتحاد السوفيتى إلى التدخل بالقوة المسلحة لكى يصد تغييرات اجتماعية واقتصادية وإنسانية وفكرية كان يمكن لها أن تؤثر على خط الانقسام الاستراتيجى النووى لو أنها تركت وشأنها. وفى المقابل فإن الولايات المتحدة بدأت تقيم وراء ناحيتها من هذا الخط الاستراتيجى النووى تنظيمات كاملة فى كل منطقة من المناطق التى يهمها أمرها. إن التدخل العسكرى الأمريكى المباشر لمنع أى حركة تؤثر فى الموازين اقتصر فى الغالب على نصف الكرة الغربى. بالذات أمريكا الاتينية: وأما خارج هذا الخط فقد كان التدخل الأمريكى إدراكًا منه لخطورة العمل العسكرى المباشر يلجأ إلى ترتيبات أخرى. نستطيع أن نقول بنظرة على خريطة الواقعة العالمى الآن أن الولايات المتحدة تقيم وراء ناحيتها من الخط الاستراتيجى - وحيث الأمور لا تحتمل التدخل العسكرى المباشر - نظمًا معقدة. وإن كان من الممكن بنظرة فاحصة استكشاف ملامحها. وفى الواقع فأننا نجد سياسة تؤدى ببعض المناطق إلى

الاعتماد المالى والاقتصادى على الولايات المتحدة ، ثم تؤدى إلى الاعتماد الأمنى على الولايات المتحدة ثم أننا نجد محاولات واضحة للتأثير فى التركيب الطبقى من واقع هذه المناطق . من الغريب فى هذا الصدد ـ على سبيل المثال ـ أن بعض موارد المعونة الأمريكية إلى البلاد التى تحصل عليها تخصص لزيادة قوة القطاع الخاص . وأحيانًا بطريقة فجة . هناك اعتمادات هائلة لبعض المستوردين بالسعر الرسمى للدولار .. يستوردون بها بضائع أمريكية يبيعونها فى الأسواق المحلية بالسعر الذى يريدونه . وتنتج عن ذلك ثروات خرافية تزيد من خلل التركيب الاجتماعى فى هذه البلدان . إننى بالطبع لا أمانع فى نشاط القطاع الخاص ولكن هذا النشاط يجب أن يرتبط بعمله وليس بهدايا تقدمها له جهات أجنبية . إلى جانب هذا ـ الاعتماد المالى والاقتصادى والاعتماد الأمنى والتأثير فى التركيب الطبقى .. يوجد أيضًا نظام إعلامى كامل يستهدف تغيير مجموعة القيم السائدة أو التى يمكن أن تسود فى أي مجتمع من هذه المجتمعات . على قمة هذا النظام كله تقف قوة محلية توكل إليها مهمة رجل البوليس فى المنطقة التى توجد فيها يكون عليها أن تكون قوة القمع النهائية لضبط كل التفاعلات التى يمكن أن تنشأ من حولها . لقد أوكل دور رجل البوليس فى المنطقة إلى ايران الشاه فى وقت من الأوقات . ثم وقعت محاولة لجر مصر إلى أداء هذا الدور وحين أعلن الرئيس مبارك فى بداية رئاسته أن الجيش المصرى لن يرفع السلاح ضد بلد عربى فقد كان من حسن الحظ إعلانًا واضحًا بأن مصر لن تقبل بهذا الدور ولم يكن هذا ممكنًا عمليًا أو تاريخيًا .

وفي النهاية ـ كما كان مطلوباً منذ البداية . جرى تنصيب اسرائيل رسمياً كرجل بوليس في المنطقة. هذا هو جوهر الاتفاق الاستراتيجي وموقعه على الخريطة.

وفي النهاية ـ قررت ادارة ريجان ـ كما كان مطلوباً منذ البداية تنصيب اسرائيل رسمياً كرجل بوليس في المنطقة.

هذا هو جوهر الاتفاق الاستراتيجي وموقعه على الخريطة. تغيير كيفي في العلاقات وتقنين علني لها في وضعها الجديد.

● **المصور: أنه يبدو لنا غريباً أن تسعى الولايات المتحدة مرة أخرى إلى محاولة إحياء دور الهيمنة الاسرائيلية الذي انتهى في وحل لبنان قبل أن يبدأ.**

أستاذ هيكل، لقد تنبأت بعصر من الهيمنة الاسرائيلية ولكن ما حدث في لبنان، كان شيئاً مختلفاً لأن اسرائيل تصرفت بأوسع من قدراتها الحقيقية كما أن مظاهر الصلف الاسرائيلي لم تستطع أن تستر نواحي القصور في الكيان الاسرائيلي، الأزمة الاقتصادية في الكيان الاسرائيلي، الأزمة الاقتصادية المخيفة، وانقسام البيت من الداخل، والخسائر المتزايدة في الحرب ورغبة الاسرائيليين الجارفة الآن في الانسحاب من لبنان.

■ هيكل: لقد حاولت اسرائيل بالفعل في مرحلة من المراحل أن تقوم بدور ضابط التفاعلات في المنطقة لحسابها وفي بعض اللحظات راودها حلم امبراطوري محلي. ثم اكتشفت بعد التورط في بحر الكثافة العربية السكانية في لبنان، أن الدور يفرض عليها أكثر مما تطيق. ربما كانت تطمع في بعض اللحظات إلى أن تكون طرفاً قادراً على الاستقلال. حتى تجاه الولايات المتحدة. لكن حقائق الأمور فرضت نفسها عليها.

إن أي دور يقوم به أي طرف من الأطراف لا ينشأ لمجرد رغبة هذا الطرف في أدائه يتحدد الدور بكمية الإمكانيات المتاحة وراءه. ولقد ظهر حالياً أن اسرائيل لا تملك إمكانيات دور امبراطوري محلي حاولت أن تقوم به. وعندما وصل ايجلبيرجر مبعوث ريجان الى اسرائيل ليعيد عرض الاتفاق مرة أخرى. كانت اسرائيل أكثر من مستعدة لدور «رجل البوليس». كانت السياسة الأمريكية قد أعدت التركيب المهيىء لهذا الدور. حاولت أن تقيم في المنطقة نظامها. الاعتماد الاقتصادي عليها. الاعتماد الأمني عليها.

ولم يكن باقياً إلا ضابط الأمن النهائي ولم يكن هناك تحرج. ولا كان هناك تردد لأن العرب مع الأسف كانوا قد أخلوا هم أنفسهم بموازين القوى في المنطقة ومهدوا نصف الطريق أمام الولايات المتحدة. لكي تفرض ما تشاء ـ على سبيل المثال ـ خرج معظم السلاح السوفييتي من المنطقة.

وكانت النتيجة خللاً في التوازن وبالنسبة لموازين القوى في منطقة العالم

العربي. أتاحت للولايات المتحدة أقصى ما كانت تريد وأصبحت المنطقة على مستوى القمة الدولية أرضاً مفتوحة لطرف واحد. يرتب أو يحاول ترتيب أوضاعها على النحو الذي يلائمه وقد قلت إن خروج الاتحاد السوفييتي أمر صعب لأن المسألة بالنسبة لأي واحدة من القوتين الأعظم ليست بهذه البساطة.

لإننا لا نستطيع بأي مناورات سياسية نستطيع أن نقوم بها. أن نغير حقائق الجغرافيا. ومن حقائق الجغرافيا التي لا يمكن الدوران من حولها. أن الاتحاد السوفييتي قابع على حدود المنطقة الشمالية. ولا يمكن خلعه منها. كما أن أية مناورات سياسية لا تستطيع أن تلغي حقائق القوة وحقائق التكنولوجيا. وبسببها فإن الاتحاد السوفييتي موجود ليس فقط على حدود المنطقة بقوته الضخمة ولكنه موجود في فضائها بأقماره الصناعية. وبصواريخه التى يمكن أن تصل إلى أى بقعة فيها. ولقد يقبل الاتحاد السوفييتى بالفعل ومضطراً أن ينسحب تكتيكياً من المنطقة. ولكنه استراتيجياً موجود بالقرب منها مستعد لعودة استراتيجية إذا واتته فرصة لذلك.

والحقيقة أن بعض ما حدث مثير. في مفارقاته. في الأربعينات كان الغرب في قلب المنطقة والاتحاد السوفييتي بعيد عنها. وفي منتصف الخمسينات أصبح الاتحاد السوفيتي في قلب المنطقة ودفعت الولايات المتحدة إلى أطرافها وفي أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات دفع الاتحاد السوفييتي إلى الأطراف فعادت الولايات المتحدة إلى القلب. وتلك كلها تقلصات تنقل المبادرة من يد أصحاب المنطقة إلى يد غيرهم. وتجعلهم أدوات في ألعاب أكثر منهم بدلاً من أن يكونوا هم أنفسهم ـ عن طريق تحقيق توازن استراتيجي في المنطقة ـ أصحاب الرأي الأخير فيما يجري فيها.

وقد تحقق هذا مع الأسف وأصبح العرب أطرافاً في تناقضات مسلحة ما أنزل الله بها من سلطان. فنحن نبدو مشغولين أحياناً بالخطر السوفييتي. وأحياناً بالخطر الكوبي وكلها مخاطر لا أعرف شخصياً مدى جديتها ولا أظن أن غيري يعرف.

وهذا ما حدث وانتهى وتم تنصيب اسرائيل جهاراً نهاراً كضابط لايقاع التفاعلات في المنطقة. وحارس لضمان سيرها باستمرار رضيت أو كرهت في

الطريق المرسوم لها. هذا هو معنى تصريحات «شولتز» في الرباط وتونس والتي قال فيها: نعم إن بيننا وبين اسرائيل صداقة صميمة وتنسيقاً استراتيجياً كاملاً وسوف نستمر في هذا شاء العرب أم أبوا.

● **المصور: لماذا تلجأ الولايات المتحدة إلى استفزاز نظم معتدلة كانت تعول عليها كثيراً في إمكان تحقيق السلام الشامل والاستقرار للمنطقة؟**

■ هيكل: من وجهة نظرها ليس استفزازاً. عندما تستطيع قوة من القوى. أن تفرض الأمر الواقع الذي تريده وتفرضه فعلاً. فإنها بذلك تتصرف بمنطق الأشياء ولا تعتبر ما تفرضه استفزازاً متعمداً. الغريب أن هذا كله، ليس ضد الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة أول من يعرفه. الولايات المتحدة أول من يعرف أن الاتحاد السوفييتي لن يهاجم المنطقة بالسلاح. والاتحاد السوفييتي لديه من القدرة والذكاء والمعلومات ما يمنعه من مهاجمة المنطقة بالسلاح. لأن هذا يمكن أن يقود الى حرب نووية. لا تجدي فيها حكايات قوات الانتشار السريع التي كثر الحديث عنها في وقت من الأوقات.

● **المصور: نعتقد أيضاً أن المنطقة كلها من فترة سابقة. كانت تعيش درجة أخرى من الاعتمادية على الاتحاد السوفييتي وعلى تواجد نفس العناصر.**

■ هيكل: ربما تأذنون لي أن أختلف اختلافاً قاطعاً في حكاية الاعتمادية على الاتحاد السوفييتي. نحن لا نستطيع أن نقارن نوع علاقاتنا «الذي كان» مع الاتحاد السوفييتي مع نوع علاقاتنا «الذي أصبح الآن مع الولايات المتحدة».

وأنا حين أستعمل تعبير علاقاتنا لا أقصد مصر وحدها. بل العالم العربي كله. في فترة علاقاتنا مع الاتحاد السوفييتي كانت هناك حدود. وكانت هذه الحدود نوعاً من التوازن. على سبيل المثال: كان العالم العربي. يملك نوعاً من التنوع والتعدد في علاقاته مع القوتين الأعظم وإذا أخذنا أثنين من الدول المفاتيح وهما مصر والسعودية. فإن مصر كانت لها علاقات مع الاتحاد السوفييتي. في حين أن السعودية كانت لها علاقتها الخاصة مع الولايات المتحدة. كانت مصر تشتري السلاح من الاتحاد السوفييتي. وكانت السعودية وغيرها. تشتري السلاح من

الولايات المتحدة. كان هناك توازن. وكان هذا التوازن يعطي للعرب بصفة عامة مساحة أوسع للحركة والمناورة. وحين كانت مصر تشتري السلاح من الاتحاد السوفييتي، فانها لم تعتمد عليه قطفي القمح وفي أبان اشتداد خلافاتنا مع الولايات المتحدة ظللنا نشتري القمح منها. ولقد استمرت تقوم بدور مورد القمح لمصر حتى سنة ١٩٦٦. أي سنة واحدة. قبل سنة ١٩٦٧ أزعم أن نوعية علاقاتنا مع الاتحاد السوفييتي لم تكن هي نوعية علاقاتنا مع أمريكا. كنا نحصل منه على سلاح. ندافع به عن أنفسنا. وكنا نعقد معه اتفاقيات للتصنيع أو لبناء السدود تساعد في تطور الحياة على أرضنا. وكان الاتحاد السوفييتي لأسباب متعلقة به. مبعثها أحساسه بأن الفرصة أتيحت له أخيراً. لدخول منطقة كانت تعتبر بالدرجة الأولى منطقة نفوذ غربي يعطي بسخاء. ويتصرف بحذر. في لحظة من اللحظات اتخذ صانع القرار المصري قراراً بطرد الخبراء السوفييت من مصر. وخرجوا وأعطاهم عشرة أيام لتنفيذ الخروج. وخرجوا بالفعل في أسبوع واحد.

وحتى في الوقت الذي كان الاتحاد السوفييتي يقوم فيه بدور مورد السلاح لمصر. فإن مصر نفسها كانت تسعى إلى تقليل الاعتماد في السلاح على الاتحاد السوفييتي. أتذكر أنني بنفسي حملت رسالة مكتوبة، أيام أن كنت وزيراً للارشاد القومي، من الرئيس جمال عبد الناصر إلى معمر القذافي يطلب منه فيها ألا يشتري أسلحة سوفييتية. كنا وقتها في حاجة إلى قاذفة مقاتلة. وكان طلب جمال عبد الناصر كما حدده في رسالته المكتوبة إلى معمر القذافي. أن يحاول شراء الفانتوم الأمريكية إن استطاع. فإذا لم يستطع فليحاول شراء الميراج الفرنسية. وبالفعل فإن ليبيا اشترت الميراج الفرنسية.

● **المصور: ما زلنا نذكر مانشيت الأهرام: اسطول القمح السوفييتي يتحول إلى ميناء الاسكندرية.**

● **هيكل**: إن الاتحاد السوفييتي دولة مستوردة للقمح. ولم نكن نستطيع أن نعتمد عليها في الغذاء. نذكر أنه من سنة ١٩٥٨ حتى ١٩٦٦. كانت الولايات المتحدة هي مورد القمح الرئيسي لمصر. وفي سنة ١٩٦٦ وعندما ازدادت هذه المشاكل

بيننا وبين الولايات المتحدة. وبدأوا في ممارسة الضغط في وقت لم يكن فيه احتياطي للقمح في البلد يكفي أكثر من ١٨ يوماً. طبقاً لتقرير وزير التموين وقتها. طلبنا فعلاً من الاتحاد السوفييتي شحنة قمح. وتم اتصال بالاتحاد السوفييتي. وقتها كانوا يشترون قمحاً من استراليا. واستجابة لرغبة مصر وإمعاناً في إظهار حسن النية وربما إظهاراً لسوء نية الولايات المتحدة. قرروا تحويل بعض بواخر القمح القادمة من استراليا إلى مصر. لكننا لم نأخذ أكثر من مائة ألف طن وقتها لمواجهة موقف طارىء وبالتالي. لم يكن هناك اعتماد. أما الآن والسلاح من أمريكا. والقمح من أمريكا. فإن الاعتماد على الولايات المتحدة يبقى في ظني أكثر مما هو ضروري لضمان حد الأمان.

● **المصور: تحليلكم على أن الهدف من الاتفاق الاستراتيجي هو أن اسرائيل هي التي يمكن أن تضبط إيقاع المنطقة في المرحلة القادمة. وهذا يطرح نفسه للتساؤل: أولاً: هل هذا ممكن؟**
ثانياً: نتيجة هذا بالنسبة للوضع العربي الذي نعرفه كأنها تسارع بعملية التغيير داخل هذا العالم العربي. وبالتالي تكون حسبة أمريكية خاطئة مائة في المائة.

■ هيكل: بالنسبة للشطر الأول من السؤال. أعتقد ولأسباب متعددة أن هذا غير ممكن. أي أن البوليس في المنطقة لفترة محددة. وبالنسبة للشطر الثاني من السؤال. فإن الحسبة الأمريكية بالفعل حسبة خاطئة. وليست هذه أول حسبة خاطئة تقوم بها الولايات المتحدة الأمريكية أو يقم بها الاتحاد السوفييتي في هذا العالم الراهن الحافل بمتغيرات يتعين علينا أن نمعن النظر فيها. الواقع أننا أمام فترة من القلق وعدم اليقين سببتها متغيرات هائلة على مستوى العالم كله.

إذا سمحتم لي أن أعد هنا بعض هذه المتغيرات. فإني أطرح ما يلي:

١ ـ هناك لأول مرة تركيز شديد للقوة على القمة في العالم. مركزان اثنان للقوة وإمكانيات هائلة تحت تصرف مركزين اثنين فقط لأول مرة في التاريخ.

٢ ـ لأول مرة في التاريخ أيضاً سلاح لا يعرف أحد كيف يستعمله ولا يعرف أحد كيف يديره وهو السلاح النووي. إن قضية السلاح النووي تطرح واقعاً لم يسبق للبشرية أن جربته من قبل. ولا يستطيع بل ولا يتصور أحد إمكانية استخدامه. وإنما نرى ظاهرة تتناقض تناقضاً كاملاً. مع استحالة استخدام هذا السلاح. وهي التسابق الجنوني على انتاجه. فان ذلك مبعثه عاملان أولهما: أن كل طرف خائف من أن يتمكن الطرف الآخر من أن يقوم باختراق يتوصل فيه إلى اختراع جديد يتمكن به من توجيه ضربة أولى قاتلة. والثاني: أن الولايات المتحدة تجر الاتحاد السوفييتي لهذا السباق الجنوني في السلاح بقصد مقصود فهي تعرف أنها مادياً أغنى منه، وبالتالي فهي أقدر منه على الإنفاق على السلاح. وحين تجره جراً إلى هذا السباق فأنها تستنفد موارده. وتفرض عليه موقفاً يعيد فيه ترتيب أولوياته. يعطي الأولوية للسلاح. على حساب رفاهية شعوبه. التي تتشوق الى مستوى أحسن من الحياة. وبالتالي فإنها عن هذا الطريق تستطيع أن تضرب التجربة السوفييتية من داخلها.

٣ ـ هناك أيضاً ضمن المتغيرات، عملية انتقال السلطة في البلدين. في أمريكا السلطة تنتقل من المؤسسة الشرقية التي احتكرت الحكم في الولايات المتحدة منذ نشأتها وحتى ما بعد الحرب العالمية الثانية، وهي مؤسسة نضجت في فهمها لحقائق السياسة الخارجية. هذه المؤسسة هي التي أبرزت رئاسة «ويلسون» أثناء الحرب العالمية الثانية. السلطة تنتقل الآن في أمريكا إلى المؤسسة الغربية. مؤسسة جديدة أقامت نفوذها على صناعات الفضاء وصناعات الحرب وهي مؤسسة قوية لكنها قليلة الخبرة بأحوال العالم. إن هذه المؤسسة هي التي أبرزت وأفرزت رئاسة «جونسون» ـ من الجنوب ـ ورئاسة «نيكسون» ـ من كاليفورنيا في الغرب ـ ورئاسة «كارتر» ـ من الجنوب ـ ورئاسة «ريجان» ـ من كاليفورنيا ـ مرة ثانية.

في نفس الوقت الاتحاد السوفييتي أيضاً يعاني مشكلة انتقال. فان جيل القيادات الذي حضر الثورة. وحضر الحرب العالمية الثانية يخبو دوره بحكم السنين. وهناك جيل جديد يظهر لكن الصراع بين الجيلين. بقايا جيل قديم وطلائع جيل جديد يخلق ارتباكاً على القمة في الاتحاد السوفييتي.

٤ ـ نتيجة هذا وغيره. فإننا نرى الآن سيادة واضحة لسلطات من خارج الشرعية الدستورية في كل من الاتحاد السوفييتي وأمريكا في الولايات المتحدة يتزايد دور الشركات متعددة الجنسيات والشركات الدولية إلى جانب تزايد دور التجمع الصناعي العسكري. الذي أشار إليه أيزنهاور في خطاب الوداع الذي أنهى به مدة رئاسته سنة ١٩٦٠. وفي الاتحاد السوفييتي شيء مماثل.

يتزايد دور بيروقراطيات الحزب ويتزايد دور مارشالات وجنرالات الاتحاد السوفييتي.

٥ ـ هناك متغير آخر صنعته الثورة التكنولوجية وهو: السياسة عن طريق التأثير «بالصور». إن السياسة الأمريكية الآن تصنعها عدسات التليفزيون. أكثر مما تصنعها مجالس الكونجرس والأمن القومي والخارجية إلى آخره.

إن حرب فيتنام كانت نقطة تحول فاصلة في سيطرة التليفزيون على صنع القرار السياسي فلقد استطاع كل مشاهد أمريكي في بيته أن يعيش تجربة الحرب بنفسه.

قبل التليفزيون. وفي الحرب العالمية الأولى والثانية. رغم الخسائر الأمريكية الفادحة في الحربين. فإن الرأي العام الأمريكي لم يكن يرى من هذه الحرب إلا صور البطولة والشجاعة التي تكتب له. وأما في حرب فيتنام فإن الرأي العام الامريكي لم يعد في حاجة إلى الكلمة المكتوبة. لأن الصورة الحية. أصبحت تنقل له كل شيء. إن ذلك ـ سواء في حرب فيتنام أو غيرها ـ صنع ضغوطاً هائلة على صانع القرار الأمريكي فرض عليه ما لم يكن يريده باختياره، إن التليفزيون. هو الذي أرغم الولايات المتحدة على الانسحاب من فيتنام. إن التليفزيون هو الذي جاء الى مقاعد الرئاسة في الولايات المتحدة برؤساء لم يكن لديهم أكثر من الانطباع الذي يمكن أن يتركوه لدى المشاهدين لشاشات التليفزيون. هكذا رأينا رجلاً مجهولاً تماماً مثل كارتر يصبح رئيساً للولايات المتحدة دون سابق خبرة تؤهله بل ودون سابق عمل سياسي يؤهله لهذا المكان. لقد نجح في اقناع الشعب الامريكي على شاشات التليفزيون أنه يستطيع أن يعطي أمريكا رئاسة طيبة ونظيفة. تختلف عن رئاسة نيكسون الشريرة. والغارقة حتى أذنيها في فضائح وترغيت، أكثر من هذا رأينا ممثلاً كان يقوم بالعمل الفعلى فى السينما قبل عشرين سنة.

يصبح رئيساً للولايات المتحدة. لأنه استطاع أن يبدو على شاشات التليفزيون رئيساً قادراً أمام الشعب الأمريكي. إن سياسة التأثير بالصور في هذا العصر أحدثت انقلاباً في مراكز القوى السياسية ليست له حدود.

٦ ـ إن هذه التطورات أنشأت قوى شعبية عارمة من خارج المؤسسات السياسية التقليدية أي الأحزاب وهكذا رأينا حركات قوية تمثل قوة ضغط هائل دون أن تكون لها جذور في العمل السياسي واصلة إلى الأعماق. ومن نماذج هذا على سبيل المثال. حركة الشباب في أمريكا. وقد لعبت دوراً رئيسياً في وقف حرب فيتنام. ثم رأينا أيضاً في أوروبا حركة السلام التي تعادي نصب الصواريخ الذرية في أوروبا. والتي كان من أثرها ـ على سبيل المثال ـ أن ألمانيا الغربية تواجه شبه انقسام داخلي فيها بسبب نشاط ما يسمونه حركة الخضر.

٧ ـ نتيجة لسياسة التأثير بالصور فإن تناقضاً غريباً ظهر في أمريكا. إن البلد الذي يعتمد أكثر من غيره على سياسة القوة. أصبح متردداً في استعمالها بنفسه وهو الآن يريد أن يبحث عن طرف آخر يقوم له بما يريد. إن الولايات المتحدة اهتزت من أقصاها إلى أقصاها. بسبب عملية نسف مقر قوات بحارة الأسطول في بيروت واهتزت لمقتل ٢٥٠ جندياً بأكثر مما اهتزت لكل ضحاياها في الحرب العالمية الأولى أو الحرب العالمية الثانية والسبب أنها عاشت بنفسها. تجربة بيروت ولم تعش بنفسها حرب الخنادق المخيفة في الحربين العالميتين.

هنا ظهر أكثر وأكثر دور الوسيط الذي يؤدي للولايات المتحدة. ما لا تريد أن تؤديه بنفسها. وكان هذا ما ضاعف أهمية دور رجل البوليس المحلي في أي منطقة. وبالتحديد في منطقة الشرق الأوسط الخطرة والحساسة.

إن اسرائيل بالطبع أدركت هذا الاحتياج الامريكي إليها. واستغلته وكانت الولايات المتحدة هي التي سعت إليه. على شكل الاتفاق الاستراتيجي الأخير.

● **المصور: نحن الآن أمام موقف أن أمريكا تريد أن تكون اسرائيل هي ضابط ايقاع المنطقة. واسرائيل بحكم ظروفها وتجربتها في لبنان تعرف أن هناك حدوداً لقدرتها.**

■ هيكل: هذا صحيح تماماً، وأنا واحد من الذين يعتقدون أن هذا الدور محكوم عليه على المدى البعيد بالفشل لأن أوضاع اسرائيل ذاتها لا تستطيع احتمال تكاليفه إلى مدى طويل. لا أوضاعها البشرية ولا الاقتصادية ولا الاجتماعية ولا حتى العسكرية. وإذا كانت الولايات المتحدة تخاف من بقع الدم على شاشات التليفزيون فإن اسرائيل تخاف منها أكثر بدون شاشات التليفزيون. بسبب قلقها الشديد من الخسائر البشرية. ولقد أظهرت وقائع ما حدث في جنوب لبنان أن هذا صحيح. كما أن وقائع حرب الاستنزاف من قبل ووقائع حرب أكتوبر. كانت تقول لنا بذلك منذ وقت مبكر. لكن صميم المشكلة أننا نحن إلى الجانب العربي أعطينا اسرائيل والولايات المتحدة قبلها الظروف المناسبة لهذا الدور. الذي يستهدفه هذا الاتفاق الاستراتيجي، عندما تفكك بدواع عديدة نظام الأمن العربي الذي كان يعتمد على القوة العربية الذاتية.

ولقد جاءت المخاوف والوساوس التي أعقبت عملية تفكيك النظام العربي **بأفكار غريبة مثل حكاية قوة الانتشار السريع - إن كل حكايات قوة الانتشار السريع لا يمكن أن تكون موجهة للاتحاد السوفييتي. فلو أن هجوماً سوفييتياً مسلحاً وقع على المنطقة فإن مواجهته لن تكون بفرقتين هنا أو بفرقتين هناك. ولكي نكون أكثر صراحة فإن أخباراً كثيرة ترددت عن وجود فرقتين محمولتين جواً يجري اعدادهما في الأردن. تحت مقولة قوة الانتشار السريع. إن الأخبار تسربت من الجلسات السرية للجنة الدفاع في الكونجرس التي قال عدد من أعضائها بصراحة أنهم رفضوا الموافقة على اعتماد بأكثر من مائتي مليون دولار.**

ولا أظننا في حاجة الى بحث طويل لكي ندرك أن هذه الفرق للانتشار السريع ليست موجهة ضد غزو من الخارج يقوم به الاتحاد السوفييتي، إذن فهذه القوات تعد وتجهز لاحتمالات داخلية وهكذا فإننا حتى بأوضاعنا العربية ذاتها نساعد

النظام الذي تريد أن تضعه الولايات المتحدة في المنطقة وتضبطبواسطته كل إمكانيات الحركة. إننا نجد أنفسنا أمام ترتيب له درجات. واحدة بعد الأخرى. واحدة فوق الأخرى. نظم تتولى السيطرة. فإذا حدث خلل مفاجىء كانت قوة انتشار سريع تهرع لمساعدتها في إعادة أحكام سيطرتها وتعزيز قبضتها. فإذا ما اتسع الخلل وتعذرت إمكانية السيطرة عليه جاءالدور النهائي لرجل البوليس الاسرائيلي يضرب ويحسم.

وهو ـ أكرر مرة أخرى ـ ليس موجهاً ضد الاتحاد السوفييتي. وإنما هو موجه إلى المنطقة ذاتها.

الاتفاق إذن ليس موجهاً ضد الاتحاد السوفييتي في الواقع ولا هو أيضاً ضد سوريا. إن الموضوع أصغر بكثير من أن يكون موجهاً ضد الاتحاد السوفييتي. ثم أنه أكبر بكثير من أن يكون موجهاً ضد سوريا. كما يحاول البعض أن يقول. هذه هي الترجمة الصحيحة لما نراه الآن. على الأقل من وجهة نظري.

● المصور: ربما تكمن أيضاً بواعث هذا الاتفاق في المصالح التي تتعلق بمصلحة الرئيس الأمريكي في الانتخابات القادمة ورغبته في إخراج قواته المتورطة في لبنان وأن هذا الاتفاق من الناحية الطبيعية لا يخدم الا مصلحة الرئيس الأمريكي.

■ هيكل: سوف أسمح لنفسي أن أختلف مع هذا الرأي لعدة أسباب:

أولاً: إن فكرة هذا الاتفاق سابقة بكثير لعصر ريجان كله. ولقد سبق كما أوضحت أن وردت إشارات له في عصر نيكسون وترددت في عصر كارتر. ثم طرحت بالفعل على شكل مشروع اتفاق في عصر ريجان وقبل وقت طويل من المعركة الانتخابية.

ثانياً: فلو كان الأمر مجرد المصلحة الانتخابية لبدت العملية كلها مغامرة مصالح بمنطقة تملك الولايات المتحدة فيها مصالح استراتيجية ضخمة. كما أنها تملك فيها صداقات لا يستطيع رئيس أمريكي أن يلعب بها على هذا النحو.

وثالثاً: فإن نصوص الاتفاق الاستراتيجي نفسه تقول لنا بوضوح أن الأمر أكبر من ذلك. إن الاتفاقية تتحدث ـ وهذا أحد نصوصها أمامي ـ يتحدث عن «أمن مشترك» بين الأمنية والحاجة إلى تكوينه على «المستوى الاستراتيجي» و «ضرورة أن تتمكن الأطراف بواسطته من ضرورة مواجهة أي تهديد على المنطقة» و «ضرورة العمل العسكري المشترك بما في ذلك المناورات في البحر والجّو. وبما في ذلك عمليات التخطيط والتخزين التي تكفل الاستعداد لأي طارىء ».ثم أنها تنشىء الأجهزة التي تتولى إدارة هذا التنسيق وترتب له. لو أن الأمر كان أمر المصلحة الانتخابية للرئيس لما كان هناك داع لهذا كله. لا بد لنا أن نلاحظ للأمانة أن نصوص الاتفاقية تقول أنها موجهة ضد «الخطر» السوفييتي. لكن واقع الحال يقول بغير ذلك. ولعلي أزعم أنها لو كانت موجهة بالفعل ضد الاتحاد السوفييتي لما ورد ذلك بنصوصها على هذا النحو الفج لأنها كانت كفيلة باستفزاز الاتحاد السوفييتي بغير مبرر. إن هذه النصوص في الواقع وضعت للتغطية على العرب .واسرائيل تفهم وأمريكا تفهم والاتحاد السوفييتي نفسه يفهم. ان خطوة واحدة من الخطوات التي جرت تنفيذاً لهذه الاتفاقية كانت كفيلة بأن تحقق مصلحة الرئيس الانتخابية. لو أن ذلك كان هو الموضوع. في الخطوات العملية الأولى لتنفيذ الاتفاقية تم الاتفاق على ما يلي:

جرى رفع الحظر عن قنابل الارتجاج العنقودية وأعيد شحنها لاسرائيل.

أنشئت منطقة تجارية حرة بين البلدين تقرر اعتبار المبيعات العسكرية لاسرائيل لهذا العام وبمقدار ١٢٧٥ مليون دولار منحة لا ترد.

ثم اعتبار المساعدة الاقتصادية الأمريكية لاسرائيل بمقدار ٨٥٠ مليون دولار هي الأخرى منحة لا ترد.

وقررت الولايات المتحدة مساعدة اسرائيل على اتمام انتاج الطائرة «لافي». وبعد أن كانت تضع بعض القيود على انتاج المحرك. فإنها على وشك أن تسلم لاسرائيل تصميمات الجناحين والذيل لكي يجري تصنيعهما في اسرائيل كما أنها تعهدت بمساعدتها في تصدير هذه الطائرة إلى أطراف أخرى.

أعطى لاسرائيل حق شراء ١٥٪ من قيمة المعونة العسكرية الامريكية من سوق السلاح الأمريكي المفتوح.

ولتسهيل هذا الشراء فقد اتفق على أن تقبل أمريكا تحويل ما يوازي ٢٥٠ مليون دولار إلى «الشيكل» العملة الاسرائيلية. بالسعر الرسمي. أي أن اسرائيل سوف تحصل على هذا المبلغ الضخم من الدولارات بعملة لا تساوي في حقيقتها. أكثر من عشر سعرها الرسمي.

فوق ذلك فإن هناك طلبات طلبتها اسرائيل بمقتضى الاتفاقية. ولم يتم البت فيها بعد. بينها الحق في توريد معدات عسكرية ومدنية بمقدار ٢٠٠٠ مليون دولار للقوات الأمريكية في أوروبا.

إلى جانب حق السماح لها بدخول عطاءات الجيش الأمريكي.

أكثر من ذلك فإن اسرائيل طلبت أن تمر المساعدات الأمريكية لأطراف ثالثة خصوصاً في أفريقيا من خلالها. كل هذا من خلال اتفاقية للتنسيق والتعاون الاستراتيجي.

خطوة واحدة من هذه الخطوات كانت تكفي. لو أن الأمر أمر مصلحة انتخابية هكذا أظن وقد أكون مخطئاً.

● **المصور: في فترة من الفترات تنبأ الأستاذ هيكل أننا داخلون في حقبة اسميتها «حقبة الهيمنة الاسرائيلية»، وأن اسرائيل سوف تلعب دور ضابط الايقاع. وستكون ضابط البوليس في المنطقة. لكننا شاهدنا ظواهر مختلفة عن هذا. شاهدنا المجتمع الاسرائيلي ينشق من الداخل وانهيار قاعدته الاقتصادية التي لم تعد تقوى على تكاليف الحملة اللبنانية. وعلى تكاليف بقائها هناك.**

إذن حجم هذا الكيان الاسرائيلي لم يكن ضخماً؟ هذا الكيان الاسرائيلي غير قادر على القيام بأعبائه؟

■ هيكل: لو تتذكر تفاصيل تحليلي الذي تفضلت بالاشارة إليه الآن فانني قلت أن

آخر نظام ثابت في المنطقة كان نظام الخلافة العثمانية. بعد سقوط الخلافة دخلنا إلى عدة حقب حاولت كل منها أن تملأ الفراغ الناشىء عن سقوط نظام الخلافة. كانت هناك في البداية الحقبة الاستعمارية الأوروبية. بريطانيا وفرنسا بالاستعمار التقليدي. وهذه الحقبة سقطت بحركات الاستقلال الوطنية التي سادت المنطقة في أوائل الخمسينات ثم جاءت الحقبة القومية التي قادها جمال عبّد الناصر في أواخر الخمسيات وأوائل الستينات. وبشكل أو بآخر ضربت هذه الحقبة بحرب سنة ١٩٦٧ وكان يمكن لها أن تسترد أنفاسها بالعمل البطولي الذي قامت به قواتها في حرب سنة١٩٧٣ ولكن ذلك لم يحدث لأسباب عديدة لا مجال للدخول فيها. وجاءت بعد ذلك فترة أسميتها شخصياً بالحقبة السعودية وتصورت بمقتضاها أن السعودية التي تملك قوة ضغطهائلة تتمثل في البترول وفوائضه تستطيع أن تؤثر على القرار لأمريكي لكن الحقبة السعودية لسوء الحظ اندثرت تحت الأنقاض في بيروت. وبدلاً من أن تساعد على اخراج الاسرائيليين من لبنان ساعدت على خروج الفلسطيين من لبنان.

وفي جو أوهام القوة الذي استبد بشارون وبيجين وغيرهما أثناء الأيام الأولى من عملية غزو لبنان بدا أن اسرائيل تلعب لعبتها الخاصة على ضم أجزاء من لبنان ولقد كانت تحاول أن تفعل هذا بالتعاون مع أحد الأجنحة المارونية في لبنان. إن ما رأيناه في تلك الحقبة القصيرة كان شيئاً غريباً. بعض الدول العربية يتصرف كقبائل. والبعض الآخر يتصرف وكأنها الحرب الصليبية من جديد بعض الموارنة من لبنان. وبالتحديد قوات الكتائب وبعض من القوات اللبنانية وكأنها بقايا قوات موجودة من أيام الحروب الصليبية. ثم أن بعض الدول كانت تتصرف كعصابات بدا لوهلة وكأنها الحقبة الاسرائيلية. اسرائيل كقوة امبراطورية محلية تلعب لعبتها الخاصة وراح شارون يتحدث عن نطاق العمل العسكري الاسرائيلي من تركيا إلى باكستان. بهذا المنطق وفي هذا المناخ حدث الغزو الاسرائيلي للبنان. عملية لصالح اسرائيل والعالم العربي كله يقف مرعوباً وكأنه لا يقدر على حراك. في هذا الجو تحدثت عن الحقبة الاسرائيلية ثم رأينا بالتجربة العملية في لبنان أن هذا الدور الاسرائيلي المستقل لا يستطيع أن يقف طويلاً على قدميه وفي النهاية عدنا

إلى ما كنا فيه. كأن كل السنوات الطويلة الماضية ـ ستين سنة ـ لم تكن ونحن عائدون إلى نظام وصاية جديدة. ولكنه هذه المرة أمـريكي. عائـدون من جديد وكأن نعيد الكرة بعد مؤتمر فرساي ومعاهدة الصلح ونظام الحماية والانتداب وكان المرحلة الوطنية والحقبة القومية والحقبة السعودية وحتى حقبة الهيمنة الاسرائيلية ـ كل هذا كأنه لم يحدث. وكأننا نعود من جديد إلى نوع من الوصاية: قوة كبرى أجنبية تتولى تنظيم الأمور وتقوم بتعيين مسؤولي الأمن.

إن تطورات الأمور سوف تثبت أن العودة إلى الماضي صعبة ومع ذلك فالمنطقة كلها مقبلة على زوابع وعواصف.

● المصور: مرة أخرى فإننا لا نكتمك تشككنا الكامل في إمكان أن تستطيع اسرائيل بترتيبها وتناقضاتها الداخلية وضعف قاعدتها الاقتصادية. أن تقوم بهذا الدور.

■ هيكل: مطلوب منها على أي حال الآن أن تلعب هذا الدور. أنت تتصور أحياناً أن القوة الكبرى لديها ذكاء ليس موجوداً عند غيرها. وهذا مع الأسف الشديد غير صحيح. إن الذكاء ليس موجوداً في الكمبيوتر. بل إن الكمبيوتر كما يقول خبراؤه آلة غبية لا تستطيع أن تعطيك الا ما تضعه أنت فيهـا. وهـكذا تفشـل حسابـات الكمبيوتر بمقدار فشل أصحابه عن تمثل الحالة الانسانية ولو افترضنا هذا الذكاء الأمريكي المفرط لما حدث لأمريكا ما حدث في منطقتنا وفي غيرها من المناطق. إن الولايات المتحدة. مقتنعة في هذه الأيام على الأقل. بأن اسرائيل تستطيع أن تلعب هذا الدور. ولا بد أن نسلم مع الأسف أنها في بعض المراحل نجحت فيه. دعني أسألك مرة أخرى من الذي دفع العرب جميعاً إلى أبواب البيت الأبيض أثناء حصار بيروت. إن دبابات «شارون» لم تسق أمامها فقط لاجئين فلسطينيين ولبنانيين من الجنوب ولكنها ساقت أمامها عدداً كبيراً من العرب يناشدون الرئيس الأمريكي لكي يتدخل.

● **المصور: ولكن مضاعفات الحرب بعد ذلك ومشاكل وجود اسرائيل في لبنان أحدثت آثاراً بعيدة.**

● هيكل: هذا صحيح ولعلي أقول أن أهم هذه الآثار التي حدثت هو هذه اليقظة التي جرت في مصر في رد الفعل لهذا الاتفاق الاستراتيجي. هذه ظاهرة إيجابية إلى أبعد حد. لقد بدأت يقظة وبدأ تنبه للأحداث وثارت تساؤلات. وهذه مسألة إيجابية بأي معيار.

إنني لا أتصور ولا أريد أن نندفع نتيجة لهذه اليقظة إلى عمل فوري ضد أمريكا كما يطلب البعض. أو ضغط على أمريكا كما ينادي البعض. ذلك كله غير وارد الآن. ما أتمناه هو مجرد محاولة إعادة تقييم نعرف بها أين نحن وماذا نريد وما هو المناخ الذي نتحرك فيه وكيف نستطيع أن نتحرك. محاولة تقييم أيضاً ليست محاولة لإقناع أمريكا بتغيير موقفها لأن الاقناع له وسائله. إن الاقناع على المستوى الدولي ليس حججاً في مقابل حجج وليس نصوص قانون في مواجهة نصوص قانون وليس كلاماً في مقابل كلام إنك لا تستطيع أن تقنع إلا بما هو مقنع. والمقنع الوحيد هو إمكانيات قوة حقيقية. وإذا لم تكن لديك فلا فائدة في الحجج ولا في النصوص ولا في الكلام.

أقول مرة أخرى أن الصدام مع أمريكا غير وارد. ولا الضغط عليها وارد أيضاً يكفيني جداً في هذه المرحلة أن تكون هناك يقظة وأن يكون هناك تنبه في مصر وأن يعقب هذا ما ينبغي أن يترتب عليه من اعادة تقييم بمعنى أن ندرس وأن نفكر. بل لعلني أدعي أنه حتى لو أرادت جهة ما تملك صنع القرار أن تبحث عن بدائل، فإن موقفها سوف يكون بالغ الصعوبة لأن الميراث ضخم وثقيل.

أحياناً أشعر أننا ما زلنا نعمل بغير استراتيجية محددة أو مقنعة. على الأقل كانت هناك في فترات سابقة، في عصر الملك فاروق والوفد ثم في عصر عبد الناصر كله والنصف الأول من عصر السادات استراتيجية مصرية تعتبر أن الخطر قادم من الشرق وأن مصر مستهدفة به. حتى بقصد عزلها عن العالم العربي. الآن، تطرح استراتيجية مختلفة..

وعندما يقول لي أحد أن العدو هو الاتحاد السوفييتي فإنني بكل أمانة. أقول أن تلك ليست معركتنا لأنها فوق طاقتنا. ولأن لها حسابات مختلفة تماماً

وعندما يقول لي أحد أن الخطر هم الكوبيون في ليبيا أو أثيوبيا أو أنجولا فإنني أقول أن هذه ليست معركة على الاطلاق ليس فيها ما يهدد مصر وأمنها مهما فعلوا ومهما طال بهم الزمن.

ومع ذلك فإن هذه المقولات تكشف تفسيرات طارئة لمفهوم الأمن المصري. وهي في أقل القليل تحتاج إلى مناقشة ولم يقل لنا أحد ما هي المتغيرات التي استوجبت ذلك؟.

● المصور: ما الذي يستهدفه الاتفاق من الموقف السوري ـ على الأقل في تصورك؟ على ضوء الأدوار الغريبة والمتناقضة التي رأيناها من الموقف السوري؟

■ هيكل: إن سوريا طرف يقف ـ على الأقل لأسبابه ـ ضد عملية التسوية الشاملة. لأنه لن يحصل على شيء منها على الاطلاق. على سبيل المثال ـ كان هناك إغراء لمصر باستعادة سيناء وبالنسبة للأردن فإن هناك اغراء للملك حسين بأنه سوف يمارس سلطة الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة أما بالنسبة لسوريا فقد تمت اجراءات ضم الجولان وأقفلت الملفات وإذن فان سوريا تشعر أن لا مصلحة لها فيما يسمى بالتسوية الشاملة وبالتالي فيه طرف معاد ضد إعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة.

والذي كنا نخشاه طوال عمرنا حدث وهو أن تنقسم المنطقة إلى كيانات أقليمية تقوم على الاحساس الجغرافي السياسي بكل حدوده الضيقة فتكون منطقة الخليج وحدة أقليمية مشغولة بمشاكلها هناك. ويكون المغرب العربي بعيد عن المشرق ومشغولاً بمشاكله كحرب الصحراء أو غيرها. وتكون منطقة الهلال الخصيب وحدها بكل التفجرات الدائرة فيها سواء بسبب المشكلة الفلسطينية أو الحرب العراقية الايرانية. ثم تنكفىء مصر على ذاتها. كان هذا مطلوباً دائماً وباستمرار أن تنعزل مصر في هذا الجزء من أفريقيا وتبتعد تماماً عن المشرق العربي.

● المصور: نعود الى سوريا، لم يكن داخلاً في الاعتبار على الأقل طبيعة العلاقات السورية السوفييتية. ما هو تقييمك لطبيعة العلاقات السورية السوفييتية؟

■ هيكل: لقد كنا نقول إنه ليست هناك حرب محتملة بين القوتين الأعظم. وإذا اقتضت مصالح إحداهما إجراء عمل جراحي فإنه بالطبع يفضل أن يتركها لطرف آخر موال له يتولى المهمة بالوكالة وهكذا فأنا لا أتصور أن يتدخل الاتحاد السوفييتي في معركة بين سوريا واسرائيل. إن مشاكل النظام السوري في الداخل كثيرة ومعروفة. منها استناده على أقلية طائفية ومنها درجة القمع التي يمارسها في مواجهة خصومه ومنها المأزق الذي يجد نفسه فيه حين لا يجد له نصيباً فيما يسمى بالتسوية الشاملة وقد أضيفت إلى هذه المشاكل مشكلة صحة الرئيس حافظ الأسد. فإذا استطاعت اسرائيل أن توجه ضربة الى الجيش السوري في لبنان فإن هذا قد يؤدي إلى ردود فعل داخل سوريا قد تؤدي بالنظام إلى طريق مسدود تماماً. ولهذا فأنا لا أستبعد أبداً هجوماً اسرائيلياً على القوات السورية في لبنان. والغريب أن سوريا دخلت لبنان بمباركة أمريكية سابقة وعلى أي حال فهذه مسألة خارجة عن نطاق الاتفاق الاستراتيجي لأنها سابقة بكثير عليه.

وإن كان هذا لا يمنع من إضافتها الآن على حساب هذا الاتفاق. أريد أن أقول أنني قد أكون متعاطفاً مع الموقف السوري من التسوية الشاملة لكني لا أستطيع مع الأسف أن أنسى أن سوريا هي التي سمحت بما حدث في لبنان وهي التي تركت لاسرائيل الفرصة لتنسق مع الكتائب مما أدى بإسرائيل إلى أن تجيء بأول رئيس كتائبي في لبنان تفرضه فرضاً بقوة السلاح وبصرف النظر عن موازين القوة في لبنان.

وعلى أي حال فإن لبنان ليس عنصراً مؤثراً في عملية التسوية. إن لبنان وجد نفسه بحكم ظروفه ساحة لمواجهة بين قوات أكبر منه.

● المصور: بالرغم من أن سوريا تمثل العقبة إلا أننا في فترات مختلفة أحسسنا بأشياء غريبة فموضوع دخول القوات السورية إلى لبنان تم بمباركة أمريكية كما قلت ودخول القوات الاسرائيلية إلى لبنان تم بمباركة سورية.

وقد قال الأسد لقادة المقاومة أنه كان يتصور أن القوات الاسرائيلية سوف تدخل لمسافة ٤٥ كيلو متراً فقط ولكنهم تجاوزوا هذه المسافة لغزو شامل وصل إلى بيروت.

■ هيكل: إنني اتفق معك فيما يتعلق بالجزء الأول من السؤال وأعرف أنه صحيح أن إسرائيل استؤذنت في الدخول السوري إلى لبنان. وتم ذلك عن طريق الولايات المتحدة. بل وجرى تخطيط حدود فاصلة لا يتعداها هذا التدخل. ومع الأسف فإن التدخل السوري انقذ أسوأ العناصر في لبنان في وقت كانت فيه الغلبة للقوة الوطنية فيه وعلى أية حال فقد كانت لسوريا في تدخلها دعاوي مردود عليها. كان بين دعاويها بالتدخل المحافظة على التوازن الطائفي ولا أعرف أي توازن أرادوا الحفاظ عليه وكان بين دعاويها تجنيب لبنان مخاطر الحرب الأهلية لكن الحرب استمرت بوجودها وإن كان مسارها قد أعيد توجيهه لصالح قوى مختلفة وهكذا فإن التدخل السوري أعطى الوقت اللازم للتدخل الاسرائيلي فإن فترة التواجد السوري في لبنان كانت بالضبط هي الفترة التي وصل فيها التعاون بين اسرائيل والقوات المتواطئة معها إلى مداه. إنني لا أتصور أن سوريا كانت تعرف حقيقة ما يجري بين اسرائيل وبين القوات اللبنانية ومداه. لكن الجهل في بعض الظروف أشد خطراً من التآمر.

بعد ذلك فإني أختلف معك في الجزء الثاني من السؤال. فلا أظن أن سوريا باركت الدخول الاسرائيلي إلى لبنان. أقصى ما نستطيع أن نقوله أن سوريا أخطرت بعد بدء الهجوم بمداه حتى يمكن تجنب صدام بينها وبين اسرائيل لم تكن الولايات المتحدة تريده في ذلك الوقت. وإذا كانت سوريا قد فوجئت بحدود التقدم الفعلي للغزو الاسرائيلي فلم تكن هذه أول خديعة وقعت فيها ولم يكن لها أن تلوم إلا نفسها.

● **المصور: ماذا فعلت سوريا عندما تجاوزت اسرائيل هذه المسافة؟**

■ هيكل: حتى أكون منصفاً لم تفعل شيئاً ولم يكن في استطاعتها أن تفعل شيئاً فلا درجة استعدادها كانت تسمح لها بأن تقف ولا كان في الموقف العربي كله ما يشجعها على الوقوف على فرض أن ذلك كان بين نواياها.

● **المصور: لقد فوجئنا بموقف سوريا من الفلسطينيين والأحداث الأخيرة في طرابلس وحتى الأن يصعب علينا فهم طبيعة الموقف السوري ودوره في هذه الفترة.**

■ هيكل: في الواقع أننا ينبغي أن نفصل بين مسألتين: الموقف السوري من منظمة التحرير الفلسطينية بصفة عامة، وما جرى بعد ذلك قرب النهاية في طرابلس هناك في الأصل مشكلة دائمة وحساسيات ورواسب في العلاقات بين منظمة التحرير وسوريا كانت هناك باستمرار مشاكل آخرها بينها موضوع الاتصالات والمفاوضات بين منظمة التحرير الفلسطينية والأردن وفقاً لمقررات فاس أو وفقاً لمشروع ريجان وهي اتصالات تصورت سوريا أنها تجري من ورائها تلك على أي حال قصة طويلة.

أما موضوع طرابلس فإنه موضوع طارىء تصورته سوريا فرصة مواتية للإمساك بتلابيب منظمة التحرير الفلسطينية، إن سلسلة الحوادث التي هزت الوضع في طرابلس كلها مؤسفة ومحزنة وليس فيها ما يعود بفائدة على أحد من أطرافها. فمنظمة التحرير كان عليها أن تتفادى بأي ثمن صراعاً مع سوريا أو انقساماً من الداخل ثم أن هؤلاء الذين رفعوا السلاح تمرداً ضد القيادة التاريخية لمنظمة التحرير سوف يكتشفون في النهاية أنهم لا يمثلون إلا ورقة في يد سوريا. وحتى سوريا تقع في خطأ مخيف عندما تتصور أن ما حصلت عليه في طرابلس ورقة فلسطينية تستطيع أن تستعملها في الضغطمن أجل أن يكون لها نصيب في التسوية الشاملة تحصل بمقتضاه على الجولان. هكذا فإن كل الأطراف خاسرة في طرابلس التي تبدو مشاهدها أمامنا وكأنها مأساة أغريقية.

يبقى في كل الأحوال أن صورة ما جرى في طرابلس لا يمكن فهمها بأبعادها الحقيقية إلا إذا وضعتها كجزء من الصورة العربية الشاملة ان ما كنا نسميه النظام العربي اختلت أركانه كلها وتداعى الكثير من جدرانه. إن عوامل المقاومة العربية انتقلت كلها من المؤسسات الظاهرة إلى ما تحت الأرض ونزلت من القمم إلى مستوى القاع وهذا ما يربك الولايات المتحدة ويزعج اسرائيل الآن لقد كان سهلاً بالنسبة لأمريكا أن تتعامل كما تعاملت في الماضي مع أنظمة وحكومات أما الآن

فإنها لأول مرة تتعامل مع المجهول تجد نفسها في مواجهة الدروز في الشوف والشيعة في الجنوب والموارنة في شمال الجبل وفي جنوبه. تواجه تركيبات اجتماعية وطائفية وعنصرية يصعب حساب مركتها وتستحيل مواجهة أسلحتها ابتداء من الصواريخ الطائرة والى السيارات المتفجرة.

● **المصور: الموقف السوري هو آخر ما تبقى للسوفييت من الصراع العربي الاسرائيلي.**

وسؤالي هل هذا الموقف يمكن أن يكون المؤثر التلقائي في الخروج من الأزمة في المنطقة.

■ هيكل: لنكن واضحين أن الاتحاد السوفييتي أول من يعرف أنه أرغم على الخروج السياسي من المنطقة عندما جرى إخراجه من مصر في الفترة ما بين **١٩٧٢** حين جرى طرد الخبراء السوفييت. وسنة **١٩٧٣** حينما جرى انتصار أكتوبر بسلاح سوفييتي وجرى استبعاده من كل النشاط السياسي الذي أعقب توقف المعارك. بخسارته في مصر ـ بصرف النظر عن أسبابها ـ أدرك الاتحاد السوفييتي أنه خسر المنطقة وصحيح أنه بقيت لديه مواقع لكن هذه المواقع كانت مجرد محطات انتظار مؤقتة ومعرضة في أي وقت ومكشوفة فالاتحاد السوفييتي فيما أتصور يعرف أوضاع سوريا على حقيقتها كما يعرف أوضاع المنطقة كما هي الآن وأتصور أنه في تراجعه من القلب العربي لا يريد أن يخرج ـ بل ويستحيل عليه أن يخرج إلى أطراف المنطقة مرة واحدة ولهذا فإنه لا يمانع بل ويرحب أن يجد محطات انتظار بتوقف فيها لعل وعسى أن تجيء التطورات في منطقة مفتوحة على آخرها لرياح التغيير بما يسمح له أن يستعيد ما ضاع منه.

أظن أن موقف الاتحاد السوفييتي في سوريا موقف انتظار. لا أريد أن أقلل من أهمية هذا الموقف وأعتقد أن الاتحاد السوفييتي لن يقف ساكتاً إذا تعضرت سوريا نفسها لعدوان داخل حدودها لكن قواتها في لبنان شيء آخر لا يخضع لأحكام معاهدة الصداقة بين البلدين.

وننتقل الى موضوع الصواريخ التي أعطاها الاتحاد السوفييتي لسوريا والتي تقول إنها سلاح يستطيع لأول مرة أن يصل الى عمق اسرائيل. صحيح يبدو أمامنا

في ظاهر الأمور أن الاتحاد السوفييتي أعطى لسوريا صواريخ بعيدة المدى لكن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تؤخذ بظواهرها وإنما هناك تساؤلات تحيط بها ويستحيل علينا من الخارج أن نجد إجابات مقنعة عليها مثلاً ما هي كمية هذه الصواريخ وفعلاً ما هي حدود استعمال هذه الصواريخ ومثلاً من الذي يملك الأمر باستعمال هذه الصواريخ. إذا أخذت بتجربتنا في مصر على سبيل المثال فأنا أعرف أن الاتحاد السوفييتي أعطانا في مصر سنة ١٩٧٣ مجموعة من صواريخ «الأسكود» البعيدة المدى لكن عدد ما كان لدينا منهم لم يكن يزيد على عدد أصابع اليدين وعندما استعملت مرة واحدة ووحيدة قبل دقائق من وقف اطلاق النار يوم ٢٢ نوفمبر فلقد جرى إطلاقها بإشراف سوفييتي مباشر ولا أعتقد أن الضربة بهذه الصواريخ كانت دقيقة، أو مطلوب أن تكون دقيقة تماماً لأن الخسائر التي نتجت منها لم تكن على مستوى قوة فتك هذا السلاح وربما كان هذا مقصوداً لأسباب تتعدى حدود الصراع المحلي. أطلقت الصواريخ إرضاء لمشاعر عربية وربما استجابة لإلحاح عربي ثم جرى - كما يبدو لي - تحديد قوة فتكها حتى لا تختل موازين أبعد من الصراع العربي الاسرائيلي. في المحصلة أقول إنني لا أتصور أن الاتحاد السوفييتي سوف يجازف من أجل سوريا خارج حدود معينة وفي الحقيقة فإن مشكلة سوريا الآن أنها لا تملك أوراقاً وإنما تملك نصف أوراق تملك نصف ورقة لبنانية بسبب وجودها الفعلي في لبنان وتملك نصف ورقة سوفييتية وتملك نصف ورقة فلسطينية بهذا البديل الذي تتصور أنها وجدته لمنظمة التحرير الفلسطينية وأنا لا أعرف إذا كانت أنصاف الأوراق قابلة للعب بها على موائد السياسة الدولية. من جانبي أتصور أن اللعب بها صعب وعلى أي حال فإذا استطاع الرئيس حافظ الأسد أن يثبت شطارته ويلعب بأنصاف أوراق ويكسب ويستعيد الجولان لسوريا فعلينا جميعاً أن نتمنى له حظاً سعيداً.

● المصور: ما فهمناه حتى الآن من سيناريو هذا الاتفاق الاستراتيجي القادم أن هناك شبه اتفاق إسرائيلي أمريكي بالانسحاب من نهر الأردن إلى نهر الزهراني وأن هذا الانسحاب ربما يستتبعه انسحاب آخر وأنه ربما يكتمل بقية السيناريو محاولة ضغط على السوريين لكي يقوموا بانسحاب مواز لانسحاب

إسرائيل وإذا وسعت السلطة الشرعية اللبنانية دائرة نفوذها في هذا المجال تتمكن من الذهاب إلى الأمم المتحدة سواء بضغط من العالم العربي على سوريا أو إحراج سوريا أو بتطورات الوضع الداخلي في سوريا ذاتها ما رأيك في هذا الموضوع. هل يؤدي هذا الاتفاق إلى أن يعود للبنان سيادته مرة أخرى؟

ونرى أنه كان بإمكان سوريا إفشال مؤتمر المصالحة اللبنانية في جنيف منذ اليوم الأول. ولم يفعلوا ذلك بل بالعكس إنهم ومجموعة جبهة الخلاص الدقيقة الصلة بهم نحوا جانباً اختلافهم على الاتفاقية اللبنانية الإسرائيلية وتكلموا حول حق كل طرف في تمثيل أكثر عدالة في السلطة اللبنانية.

■ هيكل: هل تتكلمون عن شرعية السلطة في لبنان؟

● المصور: نتكلم عن مجمل تأثير الاتفاق الاستراتيجي على مسار الوضع في لبنان والعلاقات السورية اللبنانية والعلاقات الإسرائيلية اللبنانية.

■ هيكل: لا بد لنا أن نفصل بين هذه الموضوعات كلها مع تسليمي أن هناك على نحو أو آخر خيطاً يربطها جميعاً.

أولاً إن الاتفاق الاستراتيجي الأخير لا صلة له مباشرة بلبنان فنطاقه أوسع بكثير من حدود هذا البلد الصغير وثانياً: فإننا يجب أن نلاحظ أن الخروج الفلسطيني من لبنان أنهى إلى حد ما تلك الرابطة المعقدة بين القضية الفلسطينية وبين مصير لبنان. في وقت من الأوقات كان حل المشكلة اللبنانية يرتبط بحل أزمة الشرق الأوسط ارتباطاً عضوياً لا مفر منه وأما الآن فقد حدثت على الأقل عملية تفكيك لهذا الارتباط.

وثالثاً: فإنه نتيجة لذلك أصبحت هناك مشكلة لبنانية واضحة في معالمها وهذه المشكلة هي في الواقع مشكلة شرعية. إنني أعتبر أن السلطة القائمة في لبنان لا تمثل إلا قلة من الموارنة الذين هم بدورهم أقلية في لبنان.

إن صميم المشكلة القائمة الآن في لبنان هو أن القوى الداخلية فيها تحاول

إعادة ترتيب البيت اللبناني طبقاً لأوضاع جديدة قابلة للاستمرار. لا يمكن أن يستمر لبنان بإهدار الحقوق المشروعة لأغلبية مسلمة سنية أو شيعية أو درزية ولا يمكن أن يستمر لبنان بإهدار حقوق مشروعة لطوائف مسيحية أخرى مارونية وغير مارونية رفضت وأدركت أن بقاء لبنان حراً يرتهن ببقائه عربياً وهي حقيقة جغرافياً وتاريخ لا يمكن لأحد أن يتجاهلها أو يتجاوزها. هذه هي المشكلة الآن في لبنان وهذه هي القضية أو القضايا التي يستهدفها مؤتمر المصالحة الوطنية. إن كل أطراف المصالحة اللبنانية تريد حلاً لبنانياً وهي على استعداد لأن تتعايش لكنها ببساطة لا تستطيع أن ترجع إلى صيغة ميثاق سنة ١٩٤٣ الذي تغيرت الدنيا من أيامه. إن المشكلة بالطبع تتعقد بوجود عسكري سوري في لبنان ووجود عسكري إسرائيلي في لبنان. وهناك ضغوط دولية كثيرة لتخليص لبنان من هذه «التواجدات العسكرية» الوافدة لكن الأمر في صميمه يتعلق بإقامة سلطة لبنانية شرعية حقيقية وإذا حدث هذا فإن لبنان يقطع نصف الطريق للتخلص من الوجود العسكري الخارجي وربما كانت الضغوط الدولية تكفيه في هذه الحالة لمنطقة النصف الآخر من الطريق. إن السلطة القائمة الآن في لبنان يتحتم عليها أن تدرك أن شرعية بشير الجميل الذي جاءت به دبابات إسرائيل إلى الرئاسة ليست قابلة للاستمرار خصوصاً وأن قنابل إسرائيل نفسها هي التي أزاحته من الطريق عندما حاول أن ينزل من فوق الحصان الإسرائيلي ليركب حصاناً أمريكياً. إن التفاصيل لم تعد سراً لقد استدعي بشير الجميل قبل أسبوع من اغتياله إلى فندق في مصيف نهاريا حيث قابله بيجين وشارون وانتهت المقابلة في نصف ساعة حين أعطاه بيجين ورقة تحمل نص اتفاق مكتوب بين لبنان وإسرائيل طلب إليه توقيعه وإقراره في ظرف أسبوع وإلا فإن عليه أن يتحمل النتائج وخرج بشير الجميل من الاجتماع أصفر الوجه مرتعشاً طبقاً لرواية بعض شهود العيان وعاد إلى بيروت وبعث برسائل إلى واشنطن وإلى بعض العواصم العربية يقول فيها صراحة أن بيجين هدده بالقتل ولقد تصور أن الولايات المتحدة قد تستطيع أن تحميه لكن لغماً إسرائيلياً سبق الجميع إليه.

إذن ولا بد من إعادة ترتيب البيت اللبناني بما يعطي لكل طرف حقه إذا أريد ضمان بقاء لبنان ذاته.

نجيء إلى نقطة الانسحاب الجزئي الإسرائيلي الذي أشرت إليه في سؤالك إلى خط الزهراني وردي أن ذلك ربما يحدث. لكني أعتقد مع الأسف أن إسرائيل لن تترك بسهولة منابع الليطاني والوزاني وهذا موضوع قديم جداً ونستطيع في شأنه أن نعود إلى نصوص مذكرات شاديت إلى ما أورده فيها من مناقشات دارت بينه وبين بن جوريون. كان بن جوريون مصراً حتى من قبل قيام إسرائيل على ضرورة أن يضم إليها جنوب لبنان وكان بن جوريون يصر أيضاً على ضرورة إقامة الدولة المسيحية في لبنان وهذا شيء لا علاقة له بسوريا ولا بحافظ الأسد فلم يكن حافظ الأسد وقت هذه المناقشات الحادة لرسم استراتيجية إسرائيل في المستقبل قد تخرج بعد من كلية الطيران.

● المصور: هناك محاولات لإظهار قدر من التطابق بين المصالح الاسرائيلية والأمريكية في المنطقة والتوحيد بينها. فهل من الممكن أن تتوطد هذه المصالح في المنطقة؟

■ هيكل: هذه نقطة في غاية الأهمية وقد كنت ألح دائماً على هذا الموضوع منذ مدة طويلة وحتى الآن. في هذه المرحلة ولسبب أوضاع متردية في العالم العربي يبدو أن هناك تطابقاً. وهذا ما أدى إلى إعلان وتقنين الاتفاق الإسرائيلي بين الاثنين في هذه المرحلة لكن هذا التطابق ليس حتمياً على المدى البعيد. بل إننا إذا نظرنا إلى الأجواء التي صاحبت عملية تنفيذ بنود هذه الاتفاقية لوجدنا أن هناك في الولايات المتحدة أطرافاً لها قوتها لا ترى هذا التطابق حتمياً. على سبيل المثال كانت إسرائيل تريد أن يكون هناك ممثل لوزارة الخارجية الأمريكية ولوزارة الدفاع في لجنة التنسيق المشتركة التي ستجتمع في يناير القادم لكننا نلاحظ أن وزارة الدفاع الأمريكية رفضت وقالت إنها لا تريد أن ترسل مندوباً لأن ذلك قد يؤدي إلى تعريض القوات الأمريكية الموجودة في مناطق كثيرة من العالم العربي للخطر ونشب خلاف بين وزارتي الخارجية ووزارة الدفاع. وفي النهاية استقر الأمر على أن يكون هناك ممثل أمريكي واحد في اللجنة ووقع الاختيار على الأدميرال «جوناثان هاو» وهو مدير المكتب السياسي العسكري في وزارة الخارجية تمثيلاً للخارجية واعتبرت رتبته العسكرية تمثيلاً لوزارة الدفاع وأمكن حل الإشكال دون

أن ترسل وزارة الدفاع عسكرياً في الخدمة العاملة لتمثيلها في اللجنة لقد رأينا الأدوار تنعكس في الولايات المتحدة رأينا شولتز وزير الخارجية وهو الرجل الدبلوماسي الذي كان يوصف بالتعقل والذي كانت إسرائيل تعتبره من الحمائم المتعاطفين مع العرب بسبب ارتباطه السابق بشركة «بكتيل» ذات المصالح الهائلة في الدول البترولية العربية يصبح فجأة أكثر المتشددين وعلى الجانب الآخر في مقابله يقف «واينبرجر» وزير الدفاع الذي كان مشهوراً بأنه صقر الصقور يتخذ موقفاً عاقلاً أو على الأقل أكثر هدوءاً بالطبع يحكمه في هذا حرصه على أرواح الأمريكيين الموجودين في المنطقة خصوصاً بعد عملية نسف مقر قيادة جنود البحر. مهما كانت هذه الشواهد خفيفة فإنها توحي بأن التطابق ليس كاملاً حتى في لحظة توقيع الاتفاق.

● المصور: لماذا؟

■ هيكل: لاعتبارات المصالح بعيدة المدى.

● **المصور: هل يمكن أن نسرد قائمة التوافق وقائمة عدم التطابق؟**

■ هيكل: نبدأ أولاً بقائمة التطابق. نجد أولاً أن الطرفين معاً يرغبان كلاهما في وجود عالم عربي بغير مصر وهذه نقطة حيوية باعتبار أن المنطقة العربية حساسة جداً كما أن بها إمكانات كامنة للقوة الذاتية ويمكنني أن أشبه المنطقة ككل بعربة ذات محرك قوي. المحرك هو مصر والعربة هي بقية العالم العربي بديهي أن العربة بدون محرك لن تسير وأن المحرك بدون عربة فإنه لا يستطيع أكثر من أن يصدر أصوات فقط بمعنى أنه «يزن» لأكثر من سبب هناك رغبة الطرفين ألا تكون لأي دولة عربية علاقات بالاتحاد السوفييتي وإلا يعود السلاح السوفييتي إلى المنطقة حتى تستحيل تماماً إمكانية حرب بين العرب وبين إسرائيل.

هناك قضايا بعد ذلك لا يوجد فيها تطابق أولها: أن الولايات المتحدة لها في المنطقة مصالح استراتيجية دائمة لها أهميتها في المواجهة المستمرة بينها وبين الاتحاد السوفييتي على النطاق العالمي. الولايات المتحدة لديها أيضاً في العالم العربي مصالح طاقة لا يمكن الاستغناء عنها بالنسبة للغرب في مدى الرؤية الذي

يمكن أن يمتد إلى قرن كامل. الولايات المتحدة لديها أيضاً في العالم العربي كمية استثمارات لا أول لها ولا آخر.

وإذا سألني أحد لماذا وهذه المصالح الأمريكية في المنطقة هائلة ترضى الولايات المتحدة بأن تسيء إلى نفسها على هذا النحو بمثل هذا الاتفاق الاستراتيجي مع إسرائيل وردي أن هذا ليس شيئاً غريباً نستطيع أن نقول بتشبيه أرجو ألا يكون روائياً أو خيالياً أن العرب في هذه اللحظة يمثلون بالنسبة للولايات المتحدة كنزاً لكن إسرائيل في هذه المرحلة من الضعف العربي هي حارس هذا الكنز هذه صورة قريبة من الحقيقة إلى حد بعيد أهمية حارس الكنز في مثل هذه الظروف تصبح أكثر من أهمية الكنز الذي لا يملك أن يدافع عن نفسه أو يحمي ما فيه من الثروات والنفائس.

● **المصور: كيف تتوقع أن تكون ردود أفعال مصر على هذا الاتفاق؟**

■ هيكل: قلت من قبل أنني أرى الآن ظاهرة صحية. أرى تنبهاً في مصر بالذات وأرى محاولات يقظة وأسمع تساؤلات وأقول حقيقة ويجب أن أسلم أن تلك في مثل هذه الظروف شجاعة لأن شكل الواقع أمامنا كفيل بأن يوحي إلينا أننا أمام ظروف لا يستطيع فيها أحد أن يفتح فمه. قمع وسلاح ومخاطر كلها من جانب واحد وكلها تغري بالصمت ولهذا فإن ما نراه الآن في مصر من تنبيه ويقظة وتساؤل وكله ظواهر صحية.

● **المصور: هل نفهم أن حجم الموروث يعوق قدرتنا إلى اليوم ويضع سقفاً على ردود الأفعال المحتملة؟**

■ هيكل: حجم الموروث مخيف وحتى أكون منصفاً فإنني أقول أن حجم الموروث من تجربة عبد الناصر وما كان ينبغي تصحيحه فيها وما كنا نطالب بتصحيحه وما كان جمال عبد الناصر نفسه يرجو تصحيحه. كان كبيراً ثم أن حجم الموروث من تجربة الرئيس السادات وفيه كثير كنا نرجو ونأمل ألا يحدث شديد الكثافة وتفاعل هذا كله وتداعيه جعلنا في النهاية أمام أوضاع في منتهى الصعوبة

● **المصور: كيف تتصور مصر حيال هذا الاتفاق؟**

■ هيكل: ما يقلقني أنه حتى هذه اللحظة لا أرى محاولة حقيقية لتوصيف هذا الحمل ولبحث إمكانيات الحركة تجاهه وكيف يمكن أن نعيد بعث الأمل وهذا يخيفني . . لقد جرت محاولة في المؤتمر الاقتصادي مثلاً والشيء الغريب الذي يحدث في مصر سواء كان في المؤتمر الاقتصادي وغيره ولكنه المدهش أنك تتكلم والآخرون يتكلمون ثم لا يصل الكلام إلى نهاية.

● **المصور: نحن نعلم أن حجم المسافة وحجم مساحة التغيير التي حدثت حتى الآن هي بلا شك ضخمة وربما لو أن التغيير الذي حدث في المناخ كان قد حدث أولاً في الأشخاص فكلنا نعلم أننا لو أحضرنا الأشخاص ووضعناهم في نفس المناخ فربما كانوا أسوأ من سابقيهم كلنا كان يرجو أن يتم التغيير بمعدلات أسرع من هذا ولكن يجب أن ننظر إلى ما كان في سبتمبر ١٩٨١.**

■ هيكل: إن موقفي هو موقف تقدير لما يجري وتفهم له وأنا أدرك جيداً أنه حدث تغيير في المناخ وأقول بدون تردد أن الوضع في مصر أحسن منه مائة مرة في أي بلد عربي آخر على الأقل يوجد هنا أناس يتكلمون ويتناقشون . . يكفيني أن أجد ثلاث جرائد للمعارضة. يكفيني أن مناخ الرعب الذي كان سائداً في سبتمبر ٨١ قد انتهى يكفيني أنه يوجد الآن من يقول لإسرائيل لا.

حدث بالفعل تغيير في المناخ لكننا يجب أن نتحرك إلى ما بعد المناخ وأوله قضية المشاركة الفعلية والتأثير الديمقراطي على صنع القرار في مصر وبعده يجيء الدور المصري وضرورة استعادته. أن مصر ليست دولة جغرافيا ولكنها دولة دور أنني أتذكر مناقشة طويلة مع كيسنجر في نوفمبر ٧٢ طلب مني خلالها أن أكلمه عن مصر وحدها. وقلت له إنني لن أكلمك عن مصر وحدها لو تكلمت عن مصر وحدها فإنني سوف أتكلم عن مشكلة أن مصر هي دور وهذا الدور ليس مشكلة ولكنه قوة أن مصر الدور مصر المنتمية لما حولها. والقادرة على التفاعل معه والتأثير فيه طرف في الاستراتيجية العالمية وطرف في أزمة الطاقة وطرف في أزمة النقد العالمي. مصر الجغرافيا بلد فقير ومصر التاريخ بلد فادح الغنى وهكذا فإنني

أطالب بإعادة دراسة الدور المصري وكيف نستعيد له قوته وحيويته . . إن هناك قيوداً كثيرة فرضت على الدور المصري ولا بد أن تخرج مصر من هذه القيود سواء لمواجهة الاتفاق الاستراتيجي أو لمواجهة ما بعده وهو أهم منه وأنا لا أقول إطلاقاً بالدخول في صدام في شأنه مع الولايات المتحدة فهناك ظروف وهناك روادع لكننا يجب أن ندرس. في مواجهة هذا الاتفاق الآن في مصر يوجد منطقان: منطق يقول بالصدام أو بالضغط وهذا موقف لا يمكن الاستجابة له ببساطة وهناك منطق آخر يتراوح بين حلم أن نطلب المساواة بإسرائيل في الميزات التي يعطيها لها الاتفاق الاستراتيجي وأظن أن طلب مثل هذا لا يجدي ثم يصل هذا المنطق إلى حد القول فإننا أمام أمر واقع ولست من أنصار قبول الأمر الواقع كما هو.

● **المصور: أرجو أن توضح لنا على ضوء ما ذكرته من أن الصدام خاطىء وقبول الأمر الواقع خاطىء أيضاً فما هي إذن هوامش الاستجابة؟**

■ هيكل: هذا موضوع لا يستطيع أحد أن يجيب عليه وحده ومع ذلك فإنني أعتقد أن أول هامش للحركة هو أن يدور حوار حقيقي في مصر نحاول من خلاله أن نتقصى أين هي مصلحة مصر؟ وأين هو أمن مصر؟ أول هامش أن نحدد لمصر خطوط استراتيجية حقيقية لا تمثل اجتهاد رجل واحد وإنما تتعمق بالمناقشة الحرة لكي تصبح قناعة أمة مع الأسف الشديد لا تستطيع أن تبدأ إلا من نقطة بداية حقيقية لا تستطيع أن تبدأ إلا بتحديد استراتيجية لمصر يمليها الجغرافيا والتاريخ الثوابت في حياة أي أمة وليس أهواء أشخاص أو نواياهم مهما حسنت.

● **المصور: نحن نشكر الأستاذ محمد حسنين هيكل على الوقت والجهد الذي بذله معنا.**

■ هيكل: أنا الذي أشكركم.

هذه مرحلة «نفي» عبد الناصر

في ذكرى ميلاد الزعيم العربي الراحل جمال عبد الناصر التقت «الخليج» الاستاذ محمد حسنين هيكل، فبدأ الحديث من الواقع العربي الراهن، الميئوس منه، إلى تجربة عبد الناصر، خلال الثلاثين سنة من سلطة ومبادىء ثورة ٢٣ يوليو المجيدة.

الأستاذ هيكل الذي خبر التجربة الناصرية بتفاصيلها، وكلياتها أيضاً وبأسلوبه الصحفي - الأدبي الثر، حدد بوضوح ودقة بالغتين، مرحلة جديدة في حياة مصر، وفي حياة الأمة العربية، هي مرحلة: نفي الناصرية.

● جريدة الخليج - ١٩/ ١/ ١٩٨٤ - حمدين الصباحي

● سؤال: صار الواقع العربي من حولنا حالة ميئوس منها و ربما يائسة، فعلى حين يستأسد اعداؤه ويواصلون غطرستهم تتفكك اوصال الوطن العربي إلى درجة الانحلال والاقتتال. وتبدو كل القضايا القومية معلقة مستعصية على الحل.

وتجيء ذكرى ميلاد القائد المعلم المناضل جمال عبد الناصر فنحاول أن نرى هذا الواقع المتردي على ضوء الرجل الذي شهد معه هذا الواقع مرحلة صعوده التاريخي العظيم.

ويكون هذا الحوار مع اقرب الذين عملوا مع عبد الناصر وشاركوه الحوار في سنوات الصعود. ماذا يقول في سنوات التردي هذه؟ وترى لو أن عبد الناصر يواجه هذا الواقع الآن كيف كان يتعامل معه؟ أو ما هو الموقف الناصري من هذا الواقع كما يراه واحد من أكثر ممن عملوا مع عبد الناصر اقتراباً منه؟.. حملنا إليه هذا السؤال العريض واسئلة أخرى وكان هذا الحوار مع الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل.

■ هيكل: إن أول ما نستطيع تأكيده باطمئنان هو ان تجربة عبد الناصر قد اثبتت دور الفرد في التاريخ. هناك مقولتان احداهما أن الفرد هو نتاج للظروف والأخرى تقول بأن الفرد قادر على تغيير الظروف وفي تصوري ان الحقيقة هي وسطبين هاتين المقولتين. فالظروف تساعد على ظهور دور الفرد ولكن الفرد يقوم بدور رئيسي في التأثير على الظروف خاصة في الشعوب والأمم التي تغيب فيها المؤسسات.

إن نظرة على ما حدث في الوطن العربي بعد غياب عبد الناصر تكفي لأن يصاب الانسان بالذهول، لأن ما حدث خلال هذه الفترة التي تمتد ثلاثة عشر عاماً

تقريباً منذ غياب عبد الناصر الفرد عام ١٩٧٠ ، والتي تمتد لعشر سنوات منذ غياب تأثير عبد الناصر على القرار في مصر الذي استمر بعد رحيله حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣ . إنني اعتقد أن عصر عبد الناصر قد توقف بانتهاء حرب أكتوبر فقد بنى عبد الناصر من الأوضاع السياسية والاجتماعية ومن القوى الفاعلة والمؤثرة ما كفل الاستمرار بعده حتى تحقق هدف كان عبد الناصر يضعه في مكان الصدارة من أولوياته وهو مواجهة العدوان أو ما اسماه «ازالة آثار العدوان» . ولم يكن يمكن لأي أحد اتى من بعده أن يغير شيئاً في هذا الاتجاه . فأنور السادات لم يكن يملك ذلك ليس فقط بسبب اليقظة الشعبية ، وأن التجربة كانت بعد حية وصوت عبد الناصر يرن في الاسماع والأذهان ، ولكن أيضاً لأن عبد الناصر بنى قوى فاعلة مثل القوات المسلحة المصرية التي كان توجهها الواحد والوحيد هو قتال العدو وتصفية عدوانه . وإلا تقاتل هذه القوات فمعناه أن ترتد إلى القاهرة وتغير الأوضاع داخلها . فقرار القتال في اعتقادي كان قراراً مفروضاً على أي خليفة لعبد الناصر بحكم الأوضاع الدافعة باتجاه القتال والتي بناها عبد الناصر بنفسه . ولعل الاختيار الوحيد الذي كان متاحاً للسادات هو اختيار التوقيت لكنه ، لم يكن حراً في أكثر من ذلك .

فالوجود الفعلي لعبد الناصر كانسان انتهى في ١٩٧٠ لكن تأثيره المباشر على اتخاذ القرار في مصر انتهى بنهاية حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، ولا أقول تأثيره غير المباشر (الفكري والسياسي والعام) لأن هذا التأثير لا يمكن أن يزول . لقد اعطت حرب أكتوبر شرعية جديدة استغلها السادات لتغيير الأوضاع طبقاً لتصوراته وتلك قضية أخرى .

إذا نظرنا إلى حجم التغيرات أو حجم التغيرات إلى أسوأ ـ للأسف ـ منذ أن اختفى عبد الناصر الرجل بحياته وبتأثيره على اتخاذ القرار خلال العشر سنوات من نهاية ١٩٧٣ أو بداية ١٩٧٤ حتى الآن في بداية ١٩٨٤ لاكتشفنا مدى التردي الذي هوت إليه الأوضاع العربية .

ولا توجد شهادة على دور الفرد في التاريخ أوضح من هذه الشهادة ولا أصدق فخلال هذا العقد لم تفقد الأمة العربية شيئاً من مصادر قوتها بل أكتسبت مصادر قوة جديدة أهمها البترول ، لكنها خسرت فرداً واحداً هو «عبد الناصر» فتغيرت الصورة

العربية على هذا النحو المؤسف. إنني أتـذكر تعبيراً قالـه «أبـو إياد» بعـد رحيل عبد الناصر بسنتين أو ثلاث كنا نتمشى معاً ونتبادل الحوار حين اطْرق قليلاً ثم قال لي: «من سنن هذه الحياة أن كل مصيبة يقل تأثيرها مع مرور الأيام ما عدا مصيبة واحدة تكبر كل يوم هي مصيبة فقد عبد الناصر». وقد كان على حق.

إذا خرجنا من هذه المقدمات إلى سؤالك عن ماذا يفعل عبد الناصر لو أنه واجه هذا الواقع العربي الذي نشهده الآن؟ وكيف نتعامل مع هذا الواقع ناصرياً؟

واعتقد أن سؤالك ينطوي على خطأ «رياضي» لأنك تجمع ما لا يجمع مع بعضه، أو تطرح ما لا يطرح مع بعضه. قواعد علم الحساب تقول: لا يصح، لا بد من جمع المتشابهات والمشكلة في السؤال عن «كيف يواجه عبد الناصر هذا الواقع؟» تأتي من أن عبد الناصر لم يكن ممكناً أن يواجه الواقع الراهن لأنه لو ان عبد الناصر كان موجوداً ما كان ممكناً للواقع العربي أن يتدهور حتى يصل إلى هذا الحال. هذا الحال تدهور في غياب عبد الناصر. كل ما تتحدث عنه من ملامح للواقع العربي الآن: العودة الامريكية إلى المنطقة بهذه الطريقة، التحلل العربي، الخلل في التوازن الاستراتيجي والدولي، الخلل في مجموعة القيم، شبه الهيمنة الاسرائيلية ـ كل هذا لم يكن ليحدث لو أن عبد الناصر كان موجوداً والحركة العامة التي كان يقودها قائمة لأن فرداً وحده لا يحقق شيئاً، وعندما اتحدث عن دور الفرد في التاريخ فإنني أعني قدرة الفرد على تفاعله مع جماهيره وتعبيره عنها، أي تعبيره عن التاريخ.. لكن دوره الفردي في الهواء الطلق لا يحقق شيئاً. فلو أن عبد الناصر كان موجوداً ويقود التيار الذي عبر عنه، سواء كان تيار اجماع أو اغلبية في الوطن العربي أو التيار الأكثر تأثيراً، لما كان ممكناً أن يحدث ما تراه من حولك ولهذا فلو كان السؤال من باب التمني أو التفجع فلا بأس أما إذا كان السؤال سؤالاً سياسياً فهو غير مطروح لأنني ازعم أن الوضع الذي يواجهه الوطن العربي الآن هو اسوأ مما واجهه عام ١٩٥٢ عندما قامت الثورة بقيادة عبد الناصر.

قبل ثورة ٢٣ يوليو كان الوطن العربي دولاً مستعمرة تواجه عدواً استعمارياً واضحاً يحاول السيطرة: فرنسا في المغرب العربي وذيولها في المشرق، انجلترا في مصر والمشرق العربي. النفوذ الأمريكي يعزز الأمبراطوريتين ويحاول أن

يتسلل ليسيطر على ما تعجز الامبراطوريتان الكبيرتان عن السيطرة عليه. في مواجهة هذا الواقع تبلورت حركة شعبية نامية، تطالب بالاستقلال. وكانت الأمة العربية في اعقاب الحرب العالمية الثانية ـ بما أحدثته من يقظة وفوران ـ تمتلك قواها فوارة ومتفاعلة وإن لم تعثر على اداة لحشد قواها وتمتلك هدفها واضحاً وإن لم تجد السبيل إلى تحقيقه وتمتلك أملها في أن تعثر على من يقود طريقها لتحقيق الحلم لكنها لم تجد القيادة. كل هذه الاسئلة والاحتمالات والمجهولات وجدت اجابتها في عبد الناصر.

وتفجرت ثورته.. والباقي نعرفه جميعاً ما المشكلة الآن؟

المشكلة أننا في حين كنا نواجه عام ١٩٥٢ تحديات خارجية فإننا في عام ١٩٨٤ نواجه تحدياتنا من الداخل.. نواجه ازمة تحلل امة من داخلها.

قبل ١٩٥٢ كان لدينا تشوق إلى اهداف تبدو صعبة المنال. وفي عام ١٩٨٤ لا يوجد لدينا تشوق وإنما تهاو وتهالك. قبل عام ١٩٥٢ كان الوطن العربي يشهد شبه شرعية لمعظم الأنظمة باعتبارها انظمة تحاول الحصول على الاستقلال. وكان الوطن العربي يشهد شبه هوية.

ثم جاء عبد الناصر بدوره التاريخي وبما أنجزه وباستجابته للأسئلة المطروحة على الأمة العربية فتمكن من تحقيق انجازين ـ ضمن ما حقق ـ حول شبه الشرعية إلى شرعية كاملة وحول شبه الهوية العربية المهزوزة إلى هوية كاملة.

وغاب عبد الناصر. فما الذي نراه الآن؟ إنني أعتقد أننا الآن أمام نظم تفتقر معظمها إلى الشرعية فأنا لا أرى أي نوع من الشرعية يستند إلى اساس.

إنني اتصور، وأظن «ماكس فيبر» على حق ـ عندما يقول أن هناك ثلاثة انماط للشرعية في التاريخ:

النمطالأول: الشرعية التقليدية المعتمدة على الاساس الديني أو القبلي، وهي شرعية ابوية بشكل أو بآخر، عندما انظر إلى الدول التي تمثل هذه الشرعية فإنني اعتقد أنه في عهد الملك عبد العزيز في السعودية كان يمكن القول بأن هذه الشرعية الأبوية بين الاسرة والقبيلة ومشروع الدولة وتدفق الثورة.

النمط الثاني للشرعية لدى «ماكس فيبر» هو شرعية الكاريزما، أو البطل التاريخي الذي يكتسب شرعيته من القدرة على الاحساس بمطالب الجماهير الواسعة والتعبير عنها، والقدرة على تنفيذها. شرعية الرجل التاريخي - أو الزعيم الكاريزمي - هذه غير قائمة في الوطن العربي الآن.

وبديهي أن النمط الثالث من الشرعية - وهو الشرعية الدستورية القانونية - غير قائم في الوطن العربي كله. فلا يستطيع أحد ان يدعيها وإذا ادعاها فلا يملك أن تصدق الجماهير ادعاءه.

عن الهوية، كانت هناك هوية عربية.. يقابلها في مصر بالتحديد ومصر فقط اشارة إلى هوية مصرية.. جاء عبد الناصر فحسم قضية الهوية ليس لمصر فقط وإنما للأمة العربية كلها كأمة واحدة.

الآن.. فإن اساسين رئيسيين - هما الشرعية والهوية - مفتقدان. إن الشرعية حالة معنوية ولكنها اساس صلب لا غنى عنه لأي مجتمع، وهي أساس وجود النظام واستمراره.. إنها القبول الطوعي القائم على الاقتناع من قبل الجماهير للنظام وهي لا تتحقق بالقوة أو بالشرطة أو بالارهاب، وإنما بالقبول.

ولا تستطيع أن تواجه العالم بدون هوية.. بدون أن تقول من أنت..

نصف الهوية الذي أكمله عبد الناصر وبلوره في هوية قومية عربية واحدة - ارتد الآن. ففي مصر نسمع من يقول مصر أولاً ومصر أخيراً، ومصر ثانياً ومصر ثالثاً، الخ.. وفي دول الخليج نمط مشابه. والهلال الخصيب ضائع بين تفاعلات لبنان والحرب العراقية الايرانية. وحتى في مجال التنظيم، فلم تعد الجامعة العربية كما كانت اطاراً رئيسياً واحداً يشمل دول الوطن العربي. الآن هناك مجلس لدول الخليج، وآخر للمغرب العربي بصدد أن يقوم، ومصر والسودان يصنعان شيئاً اسمه تكامل وادي النيل.

في ظل اهتزاز الشرعية وضياع الهوية، فنحن لا نعرف من نحن، من قبل كنا نهدف إلى الاستقلال، ثم جاء عبد الناصر فأعطى الاستقلال مضموناً اجتماعياً، وحدده وأكده واعطاه مضموناً اوسع بحركة عدم الانحياز، وكنا نستطيع أن نقول:

هذا ما نريد، الاستقلال والعدالة الاجتماعية والوحدة. اما الآن فحتى ما نريده ونهدف إليه لم يعد واضحاً أمامنا. بعضنا يريد الرخاء بمعنى الارصدة في البنوك. وبعضنا يريد السلام، بمعنى التنازل عن الحق. والبعض يؤكد على همومه الخاصة منفصلاً عن باقي الكيان الوطني والقومي.

عندما تسألني ماذا كان عبد الناصر يفعل لو واجه هذا الواقع؟ اقول أنه لم يكن ممكناً أن يوجد هذا الواقع في وجود عبد الناصر. هذا الواقع بهذه الصورة لم يواجهه عبد الناصر قط.

عندما تسأل كيف اتعامل مع هذا الواقع ناصرياً؟ فانني أكاد اقول أنه من الصعب أن تتعامل مع هذا الواقع الراهن ناصرياً أو وفقاً لمعايير ناصرية.

إنني اقول إننا في مرحلة «نفي الناصرية».

في الفلسفة وفي المنطق هناك الشيء ونفيه ثم نفي النفي.. أو الفرضية ونفي الفرضية ثم نفي النفي.

عبد الناصر كان فرضية طرحت نفسها على الواقع العربي. أقصد بعبد الناصر الفرد والجماهير التي تشعر معه بشرعيتها وبشرعيته وتتحق معه هويتها وهويته ويتحدد هدفها وهدفه. أي أقصد كل متكامل.

هذه الفرضية ـ الناصرية ـ شهدت بعد عبد الناصر مرحلة استهدفت نفيها.. نفي الناصرية. ولا زالت هذه المرحلة مستمرة وهي المرحلة التي انتجت هذه الصورة المتردية للواقع العربي. ولا بأس لدي من أن هذه المرحلة لا زالت مستمرة، لكنني أوقن أنها الآن في نهايتها وأن المرحلة الجديدة التي سيشهدها الوطن العربي ـ مرحلة نفي النفي ـ توشك أن تبدأ.

وليس معنى هذا أن كل ما تحقق في ظل عبد الناصر كان صحيحاً لكن التوجهات الاساسية لعبد الناصر كانت صحيحة، والدليل هو ما نشهده الآن. قد تكون هناك اخطاء في الممارسات هنا أو هناك، لكن المجرى الرئيسي لتوجهاته ـ والذي ينصب عليه الحكم ـ صحيح ولم يعد بحاجة إلى جدل أو نقاش.

الناصرية تواجه الآن قوى عديدة تحرص على نفيها، ولهذا فإن مرحلة النفي لم تزل مستمرة بسبب الطغيان الاسرائيلي وبسبب العودة الأمريكية إلى المنطقة واستمرار محاولتها لتحطيم عبد الناصر وبسبب الخلل الاجتماعي والطبقي والقيمي في الوطن العربي وبسبب الثروة أيضاً التي تدفقت على الأمة العربية، إنني أعتقد أن الثروة التي تدفقت علينا في السنوات العشر الأخيرة أكثر مما تدفق على كل الامبراطوريات العربية الأموية والعباسية، ومع هذا فنحن لم نفعل بهذه الثروة شيئاً لا امبراطورية ولا شبه امبراطورية ولا أي مشروع عربي، فقط ثروات عربية تتدفق من حيث لا ندري ثم تتسرب إلى حيث لا ندري فلا صنعنا تراكماً ولا استفدنا شيئاً، فقط طوفان من الثروة يغرق في طريقه قيم ومبادىء وأهداف.

هذه القوى ـ من أمريكا واسرائيليين وقوى مرتبطة بالثروة ـ هي التي تغذي الآن استمرار مرحلة النفي وهي التي تدفعها لأن هذا النفي للناصرية يخدم مصالحها ويحقق اطماعها.

إنني أعتقد أننا قريبون من نفي النفي. عندما تنظر إلى الخريطة السياسية العربية تجد أننا وصلنا إلى أوضاع إذا لم تكن هي النهاية فإنها مشارف النهاية. ثمة افلاس فكري وسياسي ومعنوي عام. لم يشهر أحد إفلاسه للآن. لأن الافلاس على هذا المستوى الاجتماعي ليس كافلاس الأفراد، وإنما هو حالة عجز عن مواجهة الأوضاع القائمة، وبالتالي يصبح واضحاً أن مرحلة بكاملها قد عجزت عن المواجهة وعن الحل، كما يعجز المدين عن سداد ديونه. ويصبح المصير الوحيد هو أن تعلن افلاسها وتتوارى لتبدأ مرحلة جديدة.

على سبيل المثال ننظر إلى ما يجري في مصر. لقد حاول النظام برئاسة السادات أن يهدم التجربة الناصرية. لم يقنع بنقد التجاوزات ـ وهذا مشروع ـ ولا بتصحيح بعض الأخطاء ـ وهذا مقبول ـ لكنه تجاوز ذلك إلى غير المشروع وغير المقبول، وهو الهدم في الاساس وتشويه كل انجازات ثورة يوليو، فكان طبيعياً أن يقول الناس أن ما قبل الثورة أفضل ـ في زمن الملك فاروق والباشوات والنبلاء والأمراء.. إلى آخره.. ثم جاء من ينادون بذلك، فبماذا يواجه النظام هؤلاء؟ هل بالحديث عن ثورة ٢٣ يوليو؟ كيف؟ ـ إن النظام على الأقل في اطار المرحلة الآنية

لا يستطيع أن يستخدم ثورة ٢٣ يوليو كسلاح في هذه المواجهة. لا يستطيع الحاضر أن يدفع عن نفسه غارة الماضي بأن يعود إلى ثورة يوليو لأنه هو الذي حاول كسر هذه الثورة، فكيف يجوز له أن يتمسح بها الآن؟ إن مؤدى ما قيل خلال مرحلة السادات عن الناصرية لا بد أن يؤدي ـ نظرياً ـ إلى عودة الوفد.

● **سؤال: هذا يعني أن السادات هو الذي فرش الطريق أمام الوفد للعودة؟**

■ هيكل: نظرياً على الاقل هذا صحيح. لقد مرت عشر سنوات كاملة من الهجوم على عبد الناصر وثورة يوليو، حيث نسب إليها كل ما يمكن من مصائب واخفاقات وكوارث، وتم خلالها تعميم صورة مشوهة عن ثورة يوليو ضد الحقيقة، وهي صورة زائفة لكنها علقت ببعض الأذهان ومارست تأثيرها.

إنني واحد من الذين أصابهم الجزع عندما سمعت الرئيس حسني مبارك مؤخراً ينقد عناصر اليسار، وقد يكون محقاً في نقده لها، ولا شك أن لليسار أخطاؤه مثل كل الاتجاهات. ولكن في هذا النقد قال الرئيس مبارك: «إنهم يريدون أن يعيدونا إلى عصر الانغلاق الذي أرجعنا للوراء مائة سنة. . !!» أي عصر انغلاق هو المقصود؟ أهو العصر الذي بنينا فيه السد العالي وانشأنا أضخم الصناعات التي يزورها الرئيس مبارك نفسه كل يوم وآخر؟ ـ إنني أولاً أختلف على أنه كان عصر انغلاق، ومع هذا فلو سلمت جدلاً أنه عصر انغلاق وأنه عاد بمصر مائة سنة للوراء، فإذن نعود إلى عصر اسرة محمد علي وتكون إذن هناك مشروعية لعودة الوفد.

إنني متأكد أن الرئيس مبارك قد لا يقصد ذلك، ومع هذا ـ وللأسف ـ فإن بعض الشعارات ترددت حتى أصبحت تقال تلقائياً. إن مثل هذا الشعار يضرب الرئيس مبارك نفسه. وإنني أثق أنه يقدر انجازات المرحلة الناصرية، وهو على أي حال واحد من الجيل الذي عاش وشهد هذه الانجازات، لكن تبلغ قوة حملة التأثير الدعائي أنه هو نفسه يردد مقولة مثل «عصر الانغلاق، الذي أرجعنا مائة سنة للوراء» في وصف التجربة الناصرية. كيف إذن يمكن للنظام الموجود حالياً أن يقول أنه وريث ٢٣ يوليو؟ كيف؟! وإذا كان يسقط مرحلة ثورة ٢٣ يوليو فمن العدل والانصاف أن ما كان قبلها يحق له أن يرجع.

على أي حال فإنني أعتقد أنه من ضمن مرحلة نفي الناصرية استخدام اسلوب العودة إلى الماضي. فإذا كانت الأمور ـ كما تصور الدعاية المضادة ـ كلها خطأ من «السد العالي الذي جلب الخراب»!! إلى «التصنيع الذي لم يكن له داع!!» إلى «التعليم المجاني الذي اخل بكل شيء»!! إلى «الحرب ضد اسرائيل التي لم يكن لها مبرر»!! إلى «الدفاع عن النفس بسلاح سوفييتي الذي هو سيطرة سوفييتية»!! ـ إذا كانت الأمور كذلك إذن فلنرجع إلى ما كان قبل ثورة يوليو.

ولكني في ظل كل هذا، ومع كل هذا أعتقد أن مرحلة النفي بكل ما يتفاعل فيها قد قاربت نهايتها وأننا سنشهد بالضرورة وقريباً مرحلة نفي النفي.

● سؤال: أود أن أوضح أنني عندما طرحت السؤال الاساسي في هذا الحوار حول ماذا يمكن أن يكون موقف عبد الناصر من الواقع الراهن أو ما هو الموقف الناصري منه لم أكن أعني وجود وموقف عبد الناصر بقدر ما عنيت وجود وموقف التيار الناصري المستمر بعد غيابه؟ وأنني اتفق على أنه لو كان عبد الناصر موجوداً ما وصل الواقع إلى هذه المرحلة نتيجة غيابه ونتيجة حركة القوى التي لها مصلحة في نفيه وهي أمريكا والصهيونية والمرتبطون بالثروة، فإذا كنا الآن ـ كما تفضلتم بالشرح ـ في نهاية مرحلة نفي الناصرية. فهل مرحلة نفي النفي القادمة كما تراها هي مرحلة ناصرية بالضرورة؟

■ هيكل: إن مسألة الفرضية ونفيها ثم نفي النفي هي مسألة طبيعية في منطق التاريخ ومجراه. لقد جاء عبد الناصر وطرح فرضيات معينة وكان له من القوة والتأثير على الجماهير والارتباط بها ما جعل هذه المقولات التي طرحها تطبق ربما دون أن تناقش بقدر كاف.

وبالتالي فإن كل الجيوب التي لم تناقش والتي لها مصلحة مضادة استطاعت بعد رحيله أن تخلق جواً من الضباب حول التفكير العربي العام، فأصبحت هناك حيرة لدى الجمهور العربي فضلاً عن محاولة النفي المتعمدة. لكن التاريخ في النهاية يؤكد نفسه.

● **سؤال: إذن فالأمر سيكون في النهاية عودة الأمة العربية إلى المقولات التي طرحها عبد الناصر؟**

■ هيكل: إنني ضد التجميد الذي يقوله بعض الشباب الناصري. انتم تقولون «إذن هي عودة». العودة في حد ذاتها أنا اعترض عليها لأنه لا شيء يعود إلى الوراء، هذا ضد التاريخ.

لدينا المقولات الأساسية لجمال عبد الناصر، وهي مقولات تعبر عن مصالح الأمة العربية وأهدافها، وليست اختراعاً لجمال عبد الناصر. هذه المقولات الاساسية هي: الاستقلال الوطني أو القومي للأمة العربية وليس استقلال شعب من شعوبها، ولو كانت المسألة استقلال مصر وحدها لقنع عبد الناصر بما حققه من استقلال كامل لمصر في ١٩٥٦، واستقلال اقتصادي كامل على المستوى القومي لأنه لا يمكن لقطر أن يحقق تنمية قطرية مكتملة بمفرده. توازن اجتماعي كامل على مستوى الأمة العربية كلها. وليس في مصر فقط. ولو كانت مبادىء عبد الناصر تستهدف مصر فقط لما تألب عليه الاستعمار والصهيونية واعداء من داخل الأمة العربية.

إذن فنحن أمام مقولات اساسية خمس في الناصرية:

١ ـ امة عربية واحدة يجب أن تتوحد
٢ ـ استقلال سياسي كامل لهذه الأمة
٣ ـ استقلال اقتصادي كامل لهذه الأمة.
٤ ـ توازن اجتماعي في هذه الأمة.
٥ ـ مشاركة حرة فعالة من هذه الأمة في قضايا العالم الذي نعيش فيه لأننا جزء من هذا العالم نتفاعل معه في قضايا التحرر والسلام والحرب ولا يمكن أن ننعزل عنه.

هذه الاسس الناصرية يمكن أن تندرج تحتها كثير من القضايا الفرعية. وهذه الاسس ليست اختراعاً ناصرياً ولكنها خلاصة مطالب واحتياجات ومشاعر وآمال أمة. وقيمة عبد الناصر أنه أحسها وعبر عنها وبلورها وتحرك من أجل انجازها بقوة

شدت أكبر قدر ممكن من قوى الأمة. وقد انجز عبد الناصر كل هذا في مناخ معين ومن نقطة بداية معينة.

عندما تسأل هل مرحلة نفي النفي هي عودة إلى ما كان؟ أقول لا، ليست عودة إلى ما كان لأن نقطة البداية مختلفة، فلن تكون ١٩٥٢، ستكون لا أعرف سنة كم، ربما ١٩٩٠، أي بعد بداية تجربة عبد الناصر بنصف قرن إذن أنت أمام نقطة بداية مختلفة، أمام أوضاع وتوازنات ومناخ اقليمي ودولي مختلف. إذن ستكون هناك المبادىء الاساسية، وهي ثوابت أملتها ضرورات التاريخ والجغرافيا وآمال الشعوب وستكون بحاجة إلى تعبيرات جديدة عنها لكي تعبر عن نفس الاسس وليس عن غيرها. إذن فلن تكون عودة لما فات وإنما استخلاص كامل للاسس التي عبر عنها وبلورها وناضل من أجل تحقيقها عبد الناصر، ويبقى التعبير عنها ـ عندما تحين لحظة التعبير عنها ـ مختلفاً بقدر ما يتسق مع نقطة البداية المختلفة والمناخ الاقليمي والدولي المختلف.

● **سؤال: في مصر الآن حزب الوفد الجديد، وهو تعبير عن مرحلة تجاوزها عبد الناصر ـ والحزب الوطني، ولا يمكن القول أنه يعبر عن فكر وثورة عبد الناصر...؟**

■ هيكل:

الحزب الوطني تعبير عن محاولة هدم ثورة يوليو والناصرية، ثم محاولة التمسح بهما.

● **سؤال: كيف نفيمه إذن؟**

■ هيكل: الحزب الوطني ـ مع تقديري ـ هو جزء من محاولة نفي عبد الناصر، وهو حزب أنور السادات.. باختصار هو حزب تجربة السادات.. ولا يمكن لأحد أن يقنعني بأنه حزب ثورة ٢٣ يوليو.

ولقد كنت واحداً من الذين لم يتحمسوا لانضمام الرئيس مبارك للحزب، ولا أزال اعتبره في الواقع غير منضم للحزب الوطني لأنه لا يمثل ممارسات هذا الحزب. فهو رجل يحاول، وقد لا اتفق مع بعض ما يقوله، وقد ذكرت لك منها تعبيره عن الانغلاق، لكنه في ممارسات أخرى أراه صادقاً مع سياق الحوادث، ومع سياق التاريخ، وأنا أقبل منه هذا، ولا أريد منه أن يكون ناصرياً وإنما أريده

مصرياً قومياً عربياً معبراً ومترجماً عن هذه المرحلة ولا أريد ما هو أكثر. وقد اتفق ويتفق غيري معه في بعض مّا يقول، وقد اختلف ويختلف غيري معه في بعض ما يقول، لكنني أعتقد أن هناك مسافة بينه وبين الحزب الوطني وأنه انضم إليه لضرورات سياسية ولكنني أعتقد أن الحزب الوطني لا يمثل ولا يمكن تاريخياً أن يكون أي شيء إلا حزب أنور السادات.

● **سؤال: في ظل حزب السادات، وحزب معارضة قوي هو الوفد . .**

■ **هيكل:** أنا أرحب بحزب الوفد . . وقد يدهشك أنني فعلاً مرحب بحزب الوفد . . لماذا؟ إن الوفد لا يعبر عن آرائي، لكني أعتقد أن ظهور الوفد سوف يؤدي إلى حد ما إلى كسر الحلقة المفرغة التي يدور فيها البعض بعد ما توهموا امكانية كسره وما يتوهموه الآن من امكانية ترميمه . .

هؤلاء الذين يقولون الآن «عبد الناصر» ويقولون «نحن حزب ٢٣ يوليو» . . هذا غير صحيح ليسوا حزب ٢٣ يوليو . ما يريدون كسره فليكسروه، والترميم لا يجدي في السياسة وفي التاريخ . . فليثبت هؤلاء على موقفهم ويطرحوا أنفسهم باختصار ووضوح على أنهم يمثلون أنور السادات والانفتاح، هذا هو الحزب الوطني . . فلتكن لديه الجرأة أن يقول «أنا أمثل هذا» وانتهى الموضوع ولا علاقة له بـ ٢٣ يوليو.

إنني أقول أن الوفد يكسر هذه الأوهام ويعيدنا إلى صراع سياسي حقيقي تتحدد فيه الأشياء بمسمياتها، وكل مسمى يأخذ اسمه الحقيقي دون تمويه وأنا أريد أن يتحرك الوفد وينشط ويهاجم تجربة عبد الناصر، أوافق على هذا عندما يكون هناك حوار حقيقي يكون هذا أفضل . إنني أعتقد أن الوفد في الاطار المصري هو محاولة حقيقية منظمة لتفي عبد الناصر كأساس طبقي وفكري . وقد أرى أن التاريخ ليس مع الوفد، ولكنني سياسياً أرى أن وجوده أكثر صحة من التمويه والتمسح . فالميزة في وجود الوفد أن قواعد اللعبة السياسية التي سادت لعشر سنوات مضت من تمويه ودهان واخفاء ستنتهي فليتحدث المضادون لعبد الناصر بوضوح ـ سواء من الوفد أو من حزب السادات ـ وليطرحوا كل القضايا . وفي مواجهتهم فلتتكلم كل

الأطراف، وليحكم الناس، وبالتالي فإنني أعتقد أن فصلاً جديداً من التاريخ السياسي سيبدأ مع عودة الوفد. وستكون ثمة مناقشة حقيقية. ولا أعتقد أن الحزب الوطني سيؤدي دوراً حقيقياً في هذا النقاش لصالح ثورة يوليو والناصرية. ولكن الضرورة ستطرح على الملتزمين بثورة ٢٣ يوليو أن يدخلوا هذا النقاش ويطرحوا رؤيتهم وآراءهم.

● **سؤال: هل ترى في ظل هذا أن ثمة منفذاً لوجود حزب ناصري؟**

■ هيكل: إنني شخصياً أؤمن بأن الكاتب يشعر ويعبر ويتخذ موقفه وفقاً لمواقف تشكل فكره وفهمه.. ولكنني أعتقد أن استقلال الكاتب هام، ولهذا فهو قد يتعاطف ويؤيد ولكنه لا ينظم ولا ينضم لأحزاب. وفي رأيي فإن الخيارات الناصرية أكبر بكثير من حزب ناصري، قد يحلم البعض من المتحمسين بحزب ناصري.. فليكن.. ومع هذا فأنا أقول أن وقته لم يحن حتى الآن.

لكنني أعتقد أن الحزب الناصري لن يولد إلا من خلال نقاش حقيقي في عملية تكملة نفي الناصرية بحيث يحاول أن يحقق نفي النفي.. لكن هذا سيتم من الشارع وربما من السجون.. وهذا يعني أن الحزب الناصري سيحتاج إلى نضال حقيقي. من سيقوم بهذا؟ لا أعلم.. لكني أعتقد أنه بدون هذا لن يقوم حزب ناصري ذو أثر.

وإلى أن يكون التوقيت ملائماً لقيام حزب ناصري، فإنني أكاد أجازف بالقول أن مهمة الناصريين تبقى هي الدرس والدعوة.

● **سؤال: داخل هذا المناخ - أين تقدرون موقع الجماهير من عبد الناصر الآن؟**

■ هيكل: لا بد أن اسلم بأن ضباباً كثيراً قد أحاط بعبد الناصر خلال الحملة الشرسة ضده.. ولكنني مع هذا وإن كنت أعتقد أنه لا أحد يستطيع أن يتحدث عن الجماهير اللهم إلا في حدود تجربته ورؤيته أقول أن رؤيتي إذا كانت صادقة فإن جمال عبد الناصر لا زال موجوداً في عمق احساس الناس وضميرهم.. في

التساؤلات العادية التي يطرحها الانسان عندما يقول لقد كنت في ١٩٦٧ أعيش في وضع أفضل من الآن اسعار أقل وكنا نبني السد العالي ونحارب عدونا. . في انطباعات الانسان عندما يسافر في الطريق الصحراوي يرى الخضرة من الذي عمر هذه الأرض؟ عندما يسافر من الصعيد فيرى السد العالي ومجتمعات المصانع من بناها؟ هذه شواهد حية. . واعتقد أن عبد الناصر حي في وجدان الشعب ولكن ثمة ضباب لأن الحملة المكثفة ضد عبد الناصر لم تبق ولم تذر والكارثة الكبرى أن القوة الاساسية فيها كانت من داخل النظام الناصري فعبد الناصر قبل أن يموت إئتمن أنور السادات فإذا بالمؤتمن نفسه يقود الحملة على الناصرية وإذا جهاز الدولة والاعلام مسخر لعشر سنين للطعن في كل شيء إلى جوار القوى الخارجية التي شاركت في هذه الحملة. وعلى أي حال فإن عبد الناصر لم يتفرد في التاريخ بمثل هذا الهجوم إن كل من انجز انجازاً تاريخياً ضخماً تعرض لمثل هذه الظروف حتى تكشف الأمر في النهاية. ولا شك أن الشعب بحسه ووجدانه وبتجربته سيحسم الأمر لصالح عبد الناصر.

وفي الظروف الحالية فإن ميزة الوفد هو أنه بوجوده سيدعو إلى ضرورة كشف الحقائق واعتقد أن الرئيس مبارك شخصياً وبصرف النظر عن الحزب الوطني سيجد نفسه يتحدث ويقول للناس ماذا حدث وهذا أمر طبيعي. فهو- الرئيس مبارك - كان اليوم في زيارة لمجمع الألمونيوم بنجع حمادي. . من الذي بنى هذا المجمع؟ وبنى معه مجمع الفوسفات ومجمع الحديد والصلب لقد انشئوا معاً في عصر عبد الناصر، وبعد ١٩٦٧ . كما أكملنا السد العالي بعد ١٩٦٧. إن الشعب سيرى بنفسه وسيسمع واتصور أن الرئيس مبارك نفسه سيقوم بهذا الدور وسيقول وسيعلم الناس أن الثلاثين سنة الماضية أو العشرين سنة الأولى منها لم تكن تأخراً وانغلاقاً ولم تعدنا للوراء مائة عام. ولكن قوة الدعاية وقوة العبارات المصكوكة تؤثر حتى أن الرئيس مبارك بموقعه وهو يواجه ما يواجهه يقول الانغلاق يرجعنا مائة سنة إنه بهذا يسحب الشرعية التي يقف عليها لأنها ليست شرعية أبوية وليست شرعية قانونية إنما هي شرعية الانجازات التي تحققت فإذا كان عصر عبد الناصر الذي حقق هذه الانجازات قد عاد بالبلد إلى الوراء فإنه بهذا يسحب الشرعية من تحت اقدام النظام كله وليس من تحت قدمي أنا.

● **سؤال: كان وقوف عبد الناصر ضد الكيان الصهيوني ونضاله من أجل الحق العربي في فلسطين ومن أجل قوة منظمة التحرير الفلسطينية وتمكينها من ممارسة دورها النضالي أحد مرتكزات فكره وممارسته. والآن تشهد الساحة الفلسطينية تغيرات عديدة. . كيف يرى الاستاذ هيكل هذه التغيرات وما رأيه في آخر تطوراتها وبخاصة زيارة السيد ياسر عرفات إلى القاهرة؟**

■ هيكل: الساحة الفلسطينية طوال عمرها على الأقل من عام ١٩٤٨ لم تكن ساحة مستقلة. ومنظمة التحرير نفسها تعلم أنها كانت غالباً ما تتحرك على هامش الاختلافات والاتفاقات بين انظمة عربية مختلفة، إنها ثورة لأول مرة في التاريخ تواجه محاولة فصل القيادة عن الوطن وداخل الوطن محاولة فصل الشعب عن أرضه. فالثورة الفلسطينية إذن منذ تحركت لم يكن لها حرية وضع استراتيجية. إن الدول المستقلة ذات السيادة تستطيع بالكاد أن تضع استراتيجية مستقلة فما بالك بالثورة الفلسطينية في ظل أوضاعها. إذا كانت هذه الثورة تعيش بين الأردن ولبنان وسوريا في أحسن الأحوال إذن هي محكومة بأوضاع هذه الأقطار الثلاثة. وقد خرجت من هذه الأقطار فأين هو القرار المستقل؟ القرار يعني أنه يقبل التطبيق في مكان ما وليس هناك أرض. اللهم إلا أرض فلسطين المحتلة ولا يوجد من بين الشعب فيها وبين قيادته في المنظمة إلا رباط معنوي محكوم بالضغوط التي يتعرض لها هذا الشعب تحت الاحتلال.

إذن منظمة التحرير تعيش على هامش استراتيجيات أو سياسات عربية وتتحرك في الهامش الخارجي لاتفاق النظم أو اختلافها في اضعف وضع الآن.

واعتقد أن هذا الضعف هو انعكاس للأوضاع العربية كلها وهو بالدرجة الأولى انعكاس لخروج مصر من المعادلة العربية مما سمح لكل هذا أن يحدث.

زيارة عرفات للقاهرة هي في اعتقادي أولاً خطوة طيبة وجيدة. بغض النظر عن أي شيء. قد يقول غيري وأقول معهم أن توقيتها يمكن مناقشته، ولكنني أعتقد أن الرمز في هذه الزيارة كان أهم من كل شيء. لقد كانت مصر تحلم بعودتها إلى الوطن العربي وهو اطار قوتها الحقيقية.

والثورة الفلسطينية تحلم بمصر الدرع العربي القوي. وفي لحظة مصادفة تجاور الاثنان فالتقيا. فهي تعبير عاطفي بالرمز. لكنه ككل حدث تنتج عنه تفاعلات وتداعيات.

هذه الزيارة لم تأت من فراغ. فياسر عرفات يضطر للخروج من لبنان وسوريا ويشعر أكثر فأكثر بقيمة مصر. ومصر من ناحية أخرى لم تستقبل عرفات من فراغ فمن الواضح أن كامب ديفيد قد فشلت وأن التطبيع قد فشل وأن الحل الشامل لم يحل على المنطقة ثم فوق كل ذلك جاء الاتفاق الاستراتيجي الأمريكي الاسرائيلي. وكان طبيعياً في ظل هذا أن يكون هناك تشوق للقاء بين الطرفين، فتم هذا اللقاء الذي اسميه «لقاء عابر».

البعض يشبهون هذه الزيارة بزيارة السادات للقدس. . لكنني أرى أن زيارة عرفات للقاهرة هي الرد أو النفي لزيارة القدس. إن زيارة السادات للقدس صنعها التلفزيون. التلفزيون صنع الأحداث. زيارة القاهرة حدث وقع بالمصادفة فصنع القيمة الاخبارية التي غطاها التلفزيون.

أنا لا أعطي لهذه الزيارة الآن كثيراً من الاهتمام ولا أعلق عليها امكانية حدوث تطور هام في القضية الفلسطينية. لن يفعل أحد شيئاً من الأطراف العربية والدولية في ظل هذا الواقع.

إنني أؤمن أنه لن تتغير الأوضاع الراهنة ولن تشهد تطوراً لصالحنا إلا إذا تم اعادة بناء موازين القوى في الوطن العربي وأي شيء غير هذا لن يكون إلا طلب احسان الآخرين. ولا أحد يقدم إحساناً.

من مميزات زيارة عرفات أنها حلقة رمزية في سلسلة طويلة، نحن أمام صدام تاريخي بيننا وبين اسرائيل له دواعيه الحقيقية سياسية وجغرافية واقتصادية واجتماعية. وانسانية الخ. ولا يصح أن يردد أحد أن المشكلة ٩٠٪ أو ٧٠٪ حاجز نفسي كل هذا هراء. . لا سلام جاء ولا رخاء جاء. . في هذا المناخ تأتي زيارة عرفات لتحدث بعض التداعيات. منها أن تزداد شكوك اسرائيل أن مصر عائدة إلى أمتها العربية. اين نقطة اللقاء بين مصر والأمة العربية لا أعلم. إن لقاء عرفات

ومبارك أشبه بقطارين يسير كل منهما في اتجاه مضاد للآخر وفي نقطة على شريطيهما المتوازيين التقيا فتبادل الركاب التحية. لكن في نقطة قادمة لا محالة سوف تنتهي كل خطوط القطارات العربية إلى محطة واحدة. لا بد أن يحدث هذا.

● **سؤال: ما رأيك في القول بأن هذه الزيارة ستفضي إلى جر ياسر عرفات إلى تسوية في اطار الخيار الأردني والمظلة الأمريكية؟**

■ هيكل: لن تكون هناك تسوية. ان التسوية الوحيدة المسموح بها في ظل موازين القوى الحالية هي شيء من الحكم المحلي في الضفة وغزة!! أي نوع من الادارة الذاتية. أما إذا كان الأمر يتعلق بالأرض والسيادة فلا. لن تكون هناك أي تسوية ولن يكون هناك امكانية لأي شيء من أي نوع ما لم تتغير موازين القوى الحالية.

فإلى أين يجر ياسر عرفات؟!! إذا كانت مصر لا تستطيع أن تسترد طابا رغم المعاهدة والسلام ـ إن أحداً لا يستطيع أن يفرض تسوية على اسرائيل.. لا الملك حسين ببرلمان أو بدون برلمان، ولا مصر بكامب ديفيد أو بشيء سواها. ولا أحد يستطيع أن يغير ما يجري الآن في الضفة وغزة إلا بتغيير موازين القوى العربية.

● **سؤال أخير عن الكتاب الذي يعده الاستاذ هيكل عن عبد الناصر.**

■ هيكل: أنا أعمل الآن في تأليف كتابين في نفس الوقت أحدهما هو «ظهور وتراجع القوة العربية» باللغة الانجليزية. لكنه كتاب صعب جداً بحكم تعقد وتدهور الواقع العربي وأظنني سوف أؤجل نشره الآن حتى لا يعطي صورة سوداء لهذا الواقع.

أما الآخر فهو عن معركة عبد الناصر الكبرى من ٥٦ إلى ١٩٦٧ وسيكون من ثلاث أجزاء رأيت أن ابدأ بكتابتها لأن هذه المرحلة من نضال عبد الناصر لا زالت معنا بقضاياها وأفكارها وهواجسها وتحدياتها وهي الفترة محل النقاش والجدل من حول عبد الناصر وتجربته.. وسوف أكمل هذه الأجزاء بجزء يسبقها يستعرض النشأة والثورة حتى ١٩٥٦ وجزء يتلوها عن الفترة من ٦٧ إلى ١٩٧٣ وبهذا تكتمل خمسة أجزاء تشكل كتابي عن عبد الناصر.

• صوتي لمن يبحث في ضمير شعب مصر

لمن تعطي صوتك في الانتخابات؟
كان ذلك السؤال الوحيد الذي وضع امام حسنين هيكل. . . وكانت الاجابة . .

صوتي لمن يبحث في ضمير الشعب المصري.

صوتي لمن يزيل آثار العدوان النفسي الذي وقع على مصر.

صوتي لمن يظهر الحقائق كاملة امام الشعب المصري.

صوتي لمن يسترد صحة مصر النفسية.

تحدث فيه عن الشعب المصري التائه بين الحقائق الضائعة.

تشعب حديث. . الانتخابات وتفرع الى مشاكل مصر الاقتصادية . . والاجتماعية. . و. . كتاب التاريخ الذين يبحثون في سلال المهملات!

●الوطن الكويتية ـ ١١/ ٤/ ١٩٨٤ امينة النقاش

● **سألت محمد حسنين هيكل ما هي المواصفات التي يجب أن تتوفر في القائمة التي سوف تعطيها صوتك في الانتخابات القادمة؟**

■ قال هيكل: البحث في ضمير مصر: بداية ارجوك أن تلاحظي أنك توجهين إليّ هذا السؤال وكل الاحزاب لم تعلن بعد قوائم مرشحيها ومعظمها لم يعلن بعد برامجه للانتخابات القادمة ولا يستطيع احد أن يحكم إلا بما يراه امامه وإذا فعلت ذلك فاخشى أن أقول لك أنني لا أرى حتى الآن وعلى أي ناحية ما يدعوني إلى الاطمئنان على مستقبل مصر. ومستقبل مصر كما اراه الآن معلق بمسألة قد تبدو امام بعض الناس غريبة واسمحي لي أن احاول شرحها.. هناك مشاكل اقتصادية واجتماعية وفكرية ضخمة تواجهها مصر ولكن هناك مشكلة تفوق كل المشاكل في ظني تعاني منهامصر، مشاكل الاقتصاد والاجتماع والفكر يمكن حلها بالجهد والتخطيط والزمن وتستطيع مصر أن تستعيد صحتها البدنية في وقت قليل لكن المشكلة الكبرى هي أن صحة مصر النفسية ليست على ما يرام. تستطيع أن تجد انساناً سليم البدن قوي العضلات لكنه نفسياً في أزمة ولا بد من حل ازمته النفسية وإلا فإن اي سلام بدون القوة والعضلات يصبح بلا فائدة. إذا كان هناك من يريد أن يؤدي خدمة لا تنسى لمصر فعليه الآن ان يبحث في ضميرها قبل أن يبحث في خزائنها وفي وجدانها وعقلها الباطن قبل أن يبحث أموال زراعتها وصناعتها، مصر الآن تعاني حالة خلق جديدة، أقول خلق وهو تعبير مخفف لأنني لا أعتقد أن شعباً في العالم كله تعرض نفسياً لما تعرض له الشعب المصري في هذه الحقبة. تاهت منه معالم كل شيء وضاعت أمام كل الحدود، اختلط الحابل بالنابل وسادت حياة مصر

فوضى لا مثيل لها. لقد قيل في مصر ما لو قيل في أي بلد آخر لانهدت الأرض من تحت القائلين. ولكن مصر تبدو وكأنها لا تبالي، لا تنفعل ولا تتحرك لماذا هل فقدت شهيتها للحياة؟ لا أظن وتفسيري الوحيد أن مصر فقدت ثقتها في كل شيء وبنفسها أيضاً لأن ثقة اي كائن حي باشياءمعينة هي أساس ثقته بنفسه وثقة أي كائن بنفسه تستند الى رواس راسخة عن معرفته بهويته وانتمائه لهذه الهوية إلى مجتمع اكبر منه يربطه مع غيره انسانياً ويحميه قبيلة، شعب، أمة، ومن فهمه لدوره ومن اطمئنانه لكفاءات وتجارب لديه حصلها بالعلم والتجارب وبالثقافة والحياة. من قدرته على تحقيق ذاته من خلال تفاعله وتعامله مع هذا كله معارفه وفهمه واطمئنانه وقدرته.

وأنا واحد من الذين يعتقدون أن الأمة العربية كلها هوجمت لشعب مصر وأن شعب مصر هوجم لثقته بنفسه قبل اي شيء آخر واخشى أن تكون الهجمة قد نجحت فالشعب المصري الآن لا يعرف ما جرى له في تاريخه الحديث قبل الثورة وبعدها لا يعرف ماذا جرى لكفاحه لقيادته ولاقتصاده، لاوضاعه الاجتماعية لثقافته، ولا يعرف ماذا جرى لمبادىء آمن بها ولقيم وجهت حركته، بل حتى لاعمال عظيمة تصور أنه قام بها. نجحت الهجمة فيما اظن والشعب المصري لا يعرف الآن غالبيته على الأقل اين هو؟ ماذا يراد منه؟ وماذا جرى وإلى أين أتجاهه وفي سبيل أي غاية أو هدف؟ هل يمكن لشعب أو لأي كائن حي أن يمضي على طريق لا يعرف أين أوله وأين آخره ثم يقال له واصل سيرك، في اعتقادي مستحيل. إن العدوان النفسي على الشعب المصري كان أقوى من العدوان العسكري الذي هزمه هذا الشعب في السويس سنة ٥٦ وضياع الثقة بالنفس من هذا الشعب كان اخطر من ضياع النتائج السياسية لانتصاره العسكري في حرب أكتوبر. جراح الحروب العسكرية تندمل وتبرأ وجراح الحروب النفسية أكثر صعوبة لأنها اعمق وابعد فوراً. الجراح في الحالة الأولى قطوعاً في انسجة اللحم أو كسوراً في العظم وفي الحالة الثانية النفسية فإن الجراح تمزق أعماق الأعماق وليس ما يكفي الأربطة أو المراهم أو المضادات الحيوية. الشيء الوحيد الذي يعالج ويشفي هو ظهور الحقائق كاملة أمام أصحاب الحق فيها والحقائق كلها في حياة الشعب المصري ضائعة وهذه أفدح مصيبة يمكن أن تحل بشعب أو بكائن حي. العصر الملكي عرض أمام الشعب المصري كعصر فساد وانحلال وتبعية وليست هذه مشكلة عويصة لأن

الشعب المصري بعد ذلك ثار واسقطه، المشكلة الأكبر بعد ذلك عصر جمال عبد الناصر، عرض أمام الشعب المصري كعصر استبداد وطغيان وفشل. هذه مشكلة لأن الشعب المصري لم يثر ضده وإنما ظل وراءه حتى الوداع الأخير. ثم أن عصر أنور السادات عرض أمام الشعب المصري أيضاً كعصر تفريط وتبديد وفساد وإفساد وهذه مشكلة أخرى لأن أنور السادات قدم نفسه باعتباره استمرار لجمال عبد الناصر وفي الحقيقة فإنه لم يكن استمراراً وإنما تحول إلى نقيض ثم وصلت قضيته إلى نهايتها بعاصفة نار على المنصة.

ثم جاء عصر حسني مبارك ليحاول أن يكون عمليه توفيق بين السابقين أولاً عملية تحديد وتوصيف لطبيعة كل منهما ونهجه وهذه العملية لم تحدث وبدلاً منها تجري عملية انزال الستائر على ما كان بدعوى أن المستقبل أولى بالاهتمام ناسين ان المستقبل استمرار وأن الماضي بدايته وهكذا فإن الصلة بين الأثنين عضوية ومن هنا فإن محاولة التوفيق قد تتحول إلى عملية تزوير وأنا شخصياً لا أثق فيما تصنعه مستحضرات الاصباغ والألوان في الساسة. هذه مستحضرات قد تصلح للفن ولكنها لا تصلح لبناء مستقبل الأمم لا نستطيع أن نقنع انفسنا بأن ما فات مات والذي «نهب» «نهب» والذي بدد بدد والذي فرط فرط والذي كذب ما زال يكذب والضحية اصبح قاتلاً والقاتل ضحية كل هذه مستحيلات وفي النتيجة فإننا نرى أمامنا مساحة سياسية عجيبة. الحزب الذي حاول هدم تمثال جمال عبد الناصر هو الذي يحاول الآن ترميم التمثال والجماعات التي سبقت أنور السادات إلى ما ذهب إليه هي التي تحاول الآن أن تبتعد عن نقطة الوصول والقوى الاجتماعية التي غابت عشرات السنين تعود الى العمل الآن ومعها شهادة ميلاد جديدة تعطيها نسباً مختلفة ولقباً لم يكن لها في يوم من الأيام والذين كانوا ضد الشعب أصبحوا الآن فجأة معه والذين تحمسوا للاشتراكية هم الذين تحمسوا للانفتاح ثم راحوا متأخرين جداً وربما مضطرين جداً يتكلمون عن الفساد. والذين ايدوا كامب ديفيد هم الذين يعطون الناس الآن دروساً في الوطنية والالتزام القومي والعمل السياسي إذا كان هناك عمل سياسي بالمعنى الحقيقي كله فردي والتحالف شخصي بل إن القارىء اليومي لصحف الدولة يحار في فهم ما تنقله من أخبار وفيما تمثله او تدعوا اليه أو

تعارضه من آراء. والوقائع موضع الشك تقال اليوم لتنفذ غداً والآراء كلها صارت شخصية لا علاقة لها بأي تصور مستقبلي عام، مهرجو الشعب وكل شعب، يحتاج إلى مهرجين للترفيه عنه اصبحوا الآن وعاظه بل أن كتاب التاريخ الجدد لا يكلفون انفسهم عناء البحث عن الوثائق في خزائن الوثائق وإنما ينقبون في سلال المهملات وتلك كلها كوارث لو نزلت بشعب لكانت واحدة منها تكفي لتفقده توازنه ولتضيع بصره وبصيرته.

لا أظن أن أحداً يستطيع اقناعي وارجو ألا يكون مع ذلك من جانبي عناد بأن ما نراه حولنا من مظاهر انفراج ديمقراطي يمكن أن يكون بديلاً عن اليقين عن الأنفراج الذي تصنعه الحقيقة. مظاهرالأنفراج وهي في كل الأحوال تستحق التشجيع تبقى مع ظني ملابسات ظرف سياسي معين جاءت به لحظة حساسة في موازين القوى الداخلية في مصر وما يؤثر على هذه الموازين، من هنا أو هناك لكن حركة الميزان ما زالت تتأرجح وفي ظل هذه اللحظة الحاسمة وحركة الموزاين المتأرجحة فإن الفعل السياسي يبدو قلقاً وإلى درجة ادت حتى إلى تداخل بين السلطات وبصراحة على سبيل المثال فإنني رحبت كثيراً بعودة حزب الوفد ولكنني لم أرحب كثيراً لأن عودته جاءت عن طريق حكم قضائي، كنت أفضل أن تكون عودة هذا الحزب وغيره من التنظيمات التي تمثل القوى الاجتماعية المختلفة في مصر نتيجة لفعل سياسي وليس لحكم قضائي، وكذلك فقداسعدني لابعدمدى أن يرفع العزل السياسي عن الاستاذ فؤاد سراج الدين ولكنني كنت افضل أن يكون رفع العزل نتيجة رؤيا سياسية شاملة وليس نتيجة حكم قضائي لصالح رجل واحد، نحن بذلك نحيل إلى مجال القضاء ما لا يدخل في اختصاصه وأن نتركه لكي يفسر نصوص على فرض أن هناك نصوصاً تأثرت بمناخ عام وليس اعمالاً لأحكام قوانين، ومع اعتزازي المطلق بالقضاء المصري في بلد مثل مصر وهي مجتمع نهري يعتمد على عدالة توزيع المياه مما يرسخ قيمة العدل في حياته إلا أنني كنت أؤثر أن يظل القضاء فوق مظلة التدخل فلا تدفع إليه السياسة بما تريد هي أن تبت فيه لأنها لم تقرر بعد اختياراتها السياسية، تتصور بذلك أنها تريح بالها وتكسب وقت ولكنها في الواقع ـ بصرف النظر عن النوايا الطيبة ـ تضيف هواجس لاحقة إلى عقد سابقة ـ إن احداً على وجه اليقين لا يستطيع أن ينكر أن هناك ملامح ايجابية عديدة ظهرت على الساحة

المصرية منذ اعقاب خريف الغضب سنة ١٩٨١ ثم أن أحداً على وجه التأكيد لا يحق له تبسيط الأمور حيث تصبح ضرورات الاختيار الواضح المحدد اجتماعياً وسياسياً مسألة سنة أو إثنتين فذلك تعسف خصوصاً إذا تذكرنا حجم التركة الموروثة وهذه أيضاً مشكلة في حد ذاتها وربما كان من المشاكل التي وقعت فيها السلطة التي تولت مقاليد الأمور بعد خريف الغضب سنة ١٩٨١ أنها بدعوى الحرص والوفاء لم تقم بجرد التركة ولم تعلن نتيجة ذلك على الناس حتى يكون هناك أساس لحسابهم يوضح ما تسلمته وبالتالي يساعد على تقويم ما كان في استطاعتها تقديمه وهكذا فإنها تتحمل ما لم يكن لها فيه مسؤولية أو ذنب فالحساب دائماً يجيء على الظاهر والمعرفة ولا يجيء أبداً على المكتوم.

وهكذا فإن هناك التباسات محرجة أضيفت وربما كان من حقنا أن نأمل في مزيد من الوضوح بعد الانتخابات القادمة وظهور نتائجها ولعلي اضيف أنني لا أخدع نفسي في نتائج هذه الانتخابات.

أظن أن الحزب الوطني بصرف النظر عن تحفظاتي عليه كحزب سوف يحصل على الأغلبية في الانتخابات القادمة ولا أظن أن ذلك يحتاج إلى تدخل اداري أو بوليسي وإنما هي قوى كامنة في حقائق الاشياء وإلا كنا نخدع أنفسنا والواقع أن الذي سيحصل على الأغلبية هو النظام وليس الحزب ثم يجيء بعد ذلك الاختيار الحقيقي. الاختيار الحقيقي بعد صناديق الاقتراع وليس قبلها.

هناك تنتظرنا لحظة الحقيقة التاريخية وهناك يمكن أن تصبح الديمقراطية شيئاً أكبر واعمق من مجرد لحظة حساسة هذا إذا استطعنا أن نمسك بالفرصة وأن نواجه العقد القديمة والهواجس الجديدة والالتباسات المحرجة.

إذا أردت مني تحديداً اكثر فإني اتمنى لو استطاع الرئيس حسني مبارك أن يبدأ مرحلة ما بعد الانتخابات بتقرير شامل إلى الأمة يضع فيه الحقائق كاملة وواضحة. مصر ما قبل الثورة وكل ما يجري فيه بالتفاصيل وبالأرقام وفي جميع المجالات عصر عبد الناصر وكل ما جرى فيه بالتفاصيل وبالارقام وفي جميع المجالات عصر أنور السادات وكل ما جرى فيه بالتفصيل والأرقام وفي جميع المجالات ثم تكون هناك صورة كاملة للوضع الذي تلمسه والذي يتحمل على أساسه مسؤولياته ثم

يطرح على الأمة خطوط سياساته ونقط ارتكازه وحدود التزامه. حقائق واضحة محددة كاملة وشاملة.

وتجيب على اسئلة معلقة كثيرة مثلاً:

حدود الأمن المصري والاستراتيجية العليا للدولة وإلى اي مدى وبأية وسائل.

مسألة الوحدة الوطنية وتتصل بذلك مسألة الدين والعلمانية وإلى أي مدى وبأية وسائل.

قضية التحويل الاجتماعي وإلى أي مدى وبأية وسائل ثم ما هو المطلوب من الشعب المصري في نطاق قدراته الذاتية وتحالفاته وما هي سبل تحقيقه. وما هي ضمانات المتابعة والمراجعة والتصحيح. ثم يكون بعد ذلك قرار لا يعبر عن رأي فرد أو مقتضيات لحظة وإنما يعبر عن ضرورات شعب ومستقبل، إن ذلك كان يجب أن يحدث قبل الانتخابات وليس بعدها لكن لم يحدث لسوء الحظ. إن الفرصة يمكن ان تستعاد لكن استعادتها ليست متاحة إلى الأبد.

إن ضياع الفرصة إلى الأبد تكريس للاحباط واليأس وتعميق للعقد والهواجس والالتباسات.

إنني استدرجت بعيداً عن سؤالك الأصلي، اعتذر لك وأعود إليه بسرعة أقول أن الحزب الذي أتمنى أن أعطيه صوتي هو الحزب الذي يحاول أن يسترد للأمة صحتها النفسية عن طريق استجلاء الحقيقة وينابيع الحقيقة لا يمكن ان تكون حملات مكثفة ولا يمكن ان تكون تعميقاً جزافياً يقبل كل التفسيرات ولا يمكن ان تكون قضية ثأر من رجل أو من عصر. المطلوب هو حقيقة ما جرى في كل القضايا: ادوار الرجال ـ حقائق الصراعات ـ تقييم المعارك ـ حجم المنجزات والخسائر ـ ماذا جرى؟ ماذا كان؟ أين؟ وكيف؟ ومتى؟ ومن المسؤول سلبياً أو إيجابياً؟ وبعد هذا كله يجيء السؤال الأكبر: ما العمل؟ العالم كله غربه وشرقه يفعل ذلك بغير تعذيب للنفس أو هرب من مكنونات الصدور.

في الغَرب تتكفل عمليات الانتخابات بفتح كل السجلات كما أن وثائق التاريخ نفسها تفتح امام كل الناس ـ بعد زمن معين حتى يطلعوا منها على الحقيقة

دون رياء أو تزييف دون كذب أو تحريف وفي الشرق لم يستطع الاتحاد السوفياتي أن يبرأ من شبح عصر «ستالين» إلا بتقرير خروشوف أمام المؤتمر العشرين للحزب، وفي الصين لم يستطع عصر «دينح هياوپينج» أن يبدأ عمله إلا بتقييم شامل من الحزب لدور «ماوتسي تونج» وفي الثورة الثقافية جرت عملية فرز الخطأ والصواب ثم قام الحزب باسقاط ما ثبت خطأه وتبنى ما ثبت صوابه لكي يبني عليه كفالات الاستمرار. لا ينفع اسدال الحجب الكثيفة على مرحلة من المراحل وإلا تحولت الاطياف إلى أشباح والاشباح إلى عفاريت ودقات طبول الزام لا تشفي أحد من عقده ولكن الذي يمكن أن شفيه هو مواجهة الحقيقة فيما كان لأنها أول الطريق إلى ما يمكن أن يكون او ما يجب أن يكون.

أريد أن أقول أن قفل الجرح على عفن سوف يؤدي إلى حمى تضرب أطراف الجسد ثم تسري السموم إلى القلب ويصبح الحل الوحيد هو الجراحة وهو ما يمكن تفاديه وما لا بد من تفاديه لأن كل الظروف والضرورات لا تسمح به.

وهكذا فإن قبل مشكلة المواصلات وقبل مشكلة الإسكان في مصر. تجيء مشكلة الضمير المصري:

مشكلة الوجدان في مصر. مشكلة الصحة النفسية لشعب مصر. مشكلة ثقة الشعب المصري في نفسه ـ حوار مفتوح بحقائقه : بوثائقه وإلا ضاع منا الغد في السراب كما ضاع الأمس في الضباب.

ما حدث للبنان نتيجة لما جرى في مصر

ما من أحد أخبرته أنني أجريت مقابلة مع محمد حسنين هيكل حتى سألني: ماذا قال هيكل؟ هل هو كثير التشاؤم جول الأوضاع القائمة؟ هل حدد بعض الأمل؟ يهمنا كثيراً ما يقوله هيكل!

هذا هو محمد حسنين هيكل، الذي عندما يقول شيئاً يصغي الكثيرون إلى ما يقوله. صديق الرئيس جمال عبد الناصر، صاحب التفكير الاستراتيجي الذي قالت صحيفة «التايمز» اللندنية أن كتابه «خريف الغضب» باع مليوناً ونصف مليون نسخة. في كل مرة أقابله. أتمنى لو أنني أملك أسئلة أكثر وأكثر لكي أطرحها عليه. فهذا الإنسان صاحب الذاكرة العميقة، ذو رؤيا مستقبلية واضحة وشاملة. مع هيكل لا تتم مقابلة اللحظة ـ الحدث، فاللقاء معه حدث بحد ذاته.

● مجلة الصياد اللبنانية ـ ١٩٨٤/٤/٢٥ ـ هدى الحسيني

● «الصياد»: ذكرت مرة أن القوى الكبرى عندما تعطي أحداً فهي في حقيقة الأمر تستثمر سياسياً واستراتيجياً. فما الذي يستثمره الاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط، وما الذي كانت تعتقد الولايات المتحدة أنها ستستثمره في لبنان، ثم اكتشفت خطأ حساباتها؟

■ محمد حسنين هيكل: في سؤالك خطأ نقع به كلنا وهو التجزئة. فعندما تأخذين موضوعاً معيناً تنظرين إلى جزئياته، بينما الدول العظمى لا تفكر بهذه الطريقة.

لكل دولة في العالم ثلاثة مستويات في العمل هي: الاستراتيجية العليا، والاستراتيجية فقط، ثم التكتيك. أي وسائل تنفيذ الاستراتيجية العادية والاستراتيجية العليا. في المناقشة الاستراتيجية لا يوجد لبنان، لأنه في هذا هو نقطة، ولا توجد سوريا لأن سوريا أيضاً على الخريطة مربع.

عندما تتكلمين عن القوتين العظميين، فإنك في الواقع تتكلمين عن وضع لم يسبق له مثيل في التاريخ. لأن الدول العظمى تناقش الأمور بينها بمقياس القوى، فهي تتكلم عن الأرض وسط الفضاء، وإلى أي مكان تستطيع الوصول، كما تتكلم هذه القوى عن أمنها ومصالحها المتشابكة، وقدرتها على الردع والدفاع عن أمنها قدرة فائقة.

سأعطيك مثلاً: أنا شخصياً سمعت غروميكو يقول، وكنا نرجوهم أن يصوروا لنا ما يجري في سيناء أثناء الاحتلال الاسرائيلي: «نحن بالأقمار الصناعية نستطيع أن نصور ثعباناً يتلوى فوق أرض الصحراء».

وأخبرك أمراً آخر: أنا أعلم، أن الأمريكيين عندما عرفوا عن مرض ليونيد

بريجنيف لأول مرة، كان ذلك من حديث يجري في سيارة تسير في أحد شوارع موسكو ومتجهة إلى الكرملين، وفيها اثنان من زعماء السوفيات. وقتها لأول مرة عرف العالم خبراً عن مرض بريجنيف.

أحب أن أقول لك، إنك تستطيعين تطبيق كل المعايير على القوتين العظميين. يكفي أن تتصوري أن كل قوة من هذه القوى تملك قوة ردع تكفي لتدمير العالم، ليس مرة أو مرتين، بل خمس وست مرات. إنك تتكلمين عن قوى مصالحها ضخمة جداً، وأمنها متشابك ووسائلها في سياستها الأمنية مختلفة جداً عن المقاييس التي في تصورنا، لذلك اخرجي من النظرة التقليدية.

أول ما بدأت قلت أن روسيا تستثمر وأمريكا أيضاً. الاتحاد السوفياتي لا يستثمر في المنطقة، إنما وبسبب ظروف معينة صارت سوريا آخر موطىء قدم موجود للاتحاد السوفياتي في منطقة لا يستطيع أن يخرج منها. والمنطقة هي الشرق الأوسط، الهلال الخصيب منطقة مصر، البحر الأحمر، البحر الأبيض، المحيط الهندي والمحيط الأطلسي.

المشكلة التي نقع فيها كلنا هو خطر النظرة الجزئية في عالم لم يعد يعترف بكل النظرات الجزئية.

كان الكلام عبر نظرة جزئية ممكناً يوم كانت خطوط الحدود بين الدول، هي الأسلاك الشائكة وكان لها معنى. الآن لا معنى لها. وكل شيء مستباح. إذن نعود للتحديد. ما هو الموجود في سوريا، وماذا لأمريكا في لبنان؟

بالنسبة إلى الاتحاد السوفياتي، منطقة الشرق الأوسط مهمة لأسباب كثيرة جداً.

أولاً: إنها قريبة جغرافيا منه.
ثانياً: إنها منطقة تمركز العدو الأساسي أو القوى الأخرى المنافسة له.
ثالثاً: إنها منطقة ثروات ومواصلات، والأهم أنها تدخل في نطاق أمنه

عندما كان العالم كله يتكلم عن صواريخ «الكروز» و«البيرشنغ»، الأمر الغريب أن العالم العربي لم تشده هذه القضية، قالت اسرائيل فوراً: «نحن لا

نملك «البيرشنغ» ولا «الكـــروز». لأنـه ببساطـة عندمـا تتصـورين أن صواريخ «الكروز» منصوبة في صقلية، فهذا يعني أنها موجودة في مناطق تهـدد الاتحـاد السوفياتي، وبالتالي فإن الاتحاد السوفياتي سيضرب هذه الدائرة التي تدخل فيها كل منطقة الشرق الأوسط. مع الأسف اسرائيل كانت الدولة الوحيدة المتنبهة والتي أعطت الاتحاد السوفياتي مقدماً الضمان، بينما كنا نحن وما زلنا منشـغلين بقـوة الانتشار السريع. ونبقى دائماً بعيدين. لنأخذ مثلاً ما حدث في قنـاة السـويس، حيث عبرت حاملة الطائرات البريطانية «انفنسيبل» في زيارة إلى الاسكندرية. هذه الحاملة وصلت بعد ذلك إلى أوستراليا، فرفضوا هناك إدخالها لأن عليها أسلحة نووية، أقول هذا لأصل إلى أننا لسنا متنبهين بما فيه الكفاية لما يجري في العالم. لا نزال نتعامل بالمنطق القبلي، نحلم ونتصور تركيب الألعاب الصغيرة بينما الدنيا انتقلت نقلة كاملة.

نعود ثانية إلى موضوع «البيرشنغ» واسرائيل التي تكاد تكون مستعمرة اميركية، كانت الوحيدة في المنطقة التي ردت على الرسالة، لأنه هنـاك حوار صامـت في العالم. تحدث تصرفات، لا أحد يدري بها، إنما على الدول أن تدركها. نحن لا يبدو أننا مدركون أي شيء، أبداً، بينما اسرائيل من خلال ادراكهـا أدت إشـارة للاتحاد السوفياتي بأنها لا تنوي أن تضع قواعد لصواريخ نووية على أراضيها.

إذن، ما هو الاستثمار السوفياتي في المنطقة؟

لنأخذ ما حدث. لقد خرج الاتحاد السوفياتي من مصر ومن السـودان عمـق مصر، وخرج من الصومال (القرن الافريقي) وبقي له بشكل أو بآخـر وجـود في أثيوبيا إنما غير كاف. ثم انحسرت الثورة الفلسطينية التي كان الاتحاد السوفياتي يعتمد عليها باعتبارها قنبلة قابلة للتفجير في كل البلاد العربية. هو بشكل أو بآخر كان موجوداً في مناطق كثيرة في المنطقة، لكن هذا الوجود تقلص وبقي عنده وجود في سوريا وهو غير واثق منه، لهذا فهو يلعب لعبة يبدو فيها أحياناً عنصر مجازفة، ويبدو فيها أحياناً عنصر حذر، لأنه غير واثق من الأرضية.

الاتحاد السوفياتي، بعد الذي حصـل من تطـورات بالنسبـة لمعـايير القـوة، وموازين القوى الحقيقية، مضطر، وقد انسحب من قلب الشرق الأوسط، أن يقف

على الحافة، ويتمسك جيداً، ولو أدى الأمر إلى أن يستعمل السلاح، من هنا وجوده في أفغانستان. وخصوصاً بعد الثورة الايرانية، فقد كانت علاقته مع الشاه محددة. وكانت معاهدة ١٩٠٦ معروفة، إذا تدخل طرف في جنوب ايران يتدخل الاتحاد السوفياتي في الشمال. الآن بصرف النظر عن المعاهدة، جاء نظام آخر، هو يريد التفاهم معه، لكنه حتى الآن لم يجد طريقة لهذا التفاهم.

إذن، للاتحاد السوفياتي مواقع صلبة، ومواقع أخرى يتحرك فيها، وأكثر موقع أمامي موجود عنده في المنطقة هو ما تستطيع سوريا أن تفعله. وفي أي حال، نسقت سوريا أوراقها التكتيكية في إطار هذه اللعبة، ولغاية الآن الأمر معقول.

نأتي إلى لبنان، أمريكا لا تقامر على لبنان بحد ذاته، لأن الموضوع ليس موضوع لبنان، إنما يتصل أيضاً بالمواجهة الأمريكية ـ السوفياتية. لا أعني أن كل تحرك يصب في إطار هذه المواجهة، لكن ماذا في لبنان؟ كانت سوريا، وكان الفلسطينيون، وكان الأمريكيون في صدد عملية تهدئة المنطقة كلها بصفة عامة، ما تستثمره أمريكا في لبنان هو التالي:

أولاً: المطلوب ازاحة بقية مواقع الأقدام الموجودة للاتحاد السوفياتي، أو ضرب الوضع في سوريا.

ثانياً: وهذا المهم تصفية بقية المقاومة الفلسطينية والتمهيد لاتفاق أمريكي يكون شاملاً.

إذن، هذا ما تريده أمريكا في لبنان، فهي لا تريد لبنان هادئاً كي تذهب إلى الكازينو، أو تصيف في بحمدون وعاليه. إنك تتكلمين عن لعبة كبرى جداً، ولعبة شطرنج، وبالتالي عندما ترغبين في الكلام بما لدولة كبرى في دولة معينة، فيجب أن تكون نظرتك شاملة. من أكبر مشاكل العالم العربي. إن النظرة الجزئية تشغل كل تفكيره. هناك غياب للرؤية الشاملة، ربما ما كان يميز جمال عبد الناصر، وقد يزعل الآخرون، هو أن النظرة عنده كانت شاملة والصورة العالمية كانت موجودة.

هناك أمر حدث ونحن غير قادرين على فهمه. لنأخذ التطورات الحاصلة عندنا. كانت هذه المنطقة باستمرار تلعب في إطار لعبة ثنائية: مصر على علاقة

ثنائية مع انكلترا في طلب الاستقلال: سوريا ولبنان على علاقة ثنائية مع فرنسا، السعودية على علاقة ثنائية مع انكلترا في الأول، وتعودنا على هذه الألعاب، ثم، كان الذي نتكلم معه فقط هو المعتمد أو المسؤول البريطاني أو الفرنسي. فصارت عندنا أحادية في التفكير، وصرنا نتكلم في طلبات محدودة وفي قضايا محدودة أيضاً. ما لم نستطع إدراكه أن الحرب العالمية الثانية غيرت هذا الوضع في أساسه. كسرت كل الحواجز في العالم، وكسرت كل احتكار القوة، وفي الوقت نفسه منعت استعمالها، ولم يعد ممكناً وقوع حرب. ولا تصدقي كل من يقول لك أن الحرب النووية على الطريق. وبالتالي أنت أمام عدة أمور:

أولاً: شئت أم لم تشائي أنت موجودة في العالم ومتأثرة بما يجري فيه.

ثانياً: لا سيطرة لأحد على هذا العالم سيطرة مطلقة ولا ضابطاً لايقاعاته كلها.

ثالثاً: شئنا أو لم نشأ العالم كله يعمل على أساس أنه في عالم واحد، ونحن ما نزال نشتغل على أساس أننا فيه عدة قبائل.

إذن، لا تقولي لبنان وسوريا يا ستي. . .

● **«الصياد»: لنتكلم عن النظرة الشاملة، فما الذي تخططه أمريكا للعالم العربي ولما وراءه من المحيط الأطلسي حتى المحيط الهندي، وكما تسميها أنت منطقة نطاق العمل الاسرائيلي السياسي والعسكري؟**

■ محمد حسنين هيكل: افصلي بين الاثنين. تعالي نتكلم أولاً، ما الذي تريده أمريكا؟ أمريكا لم تخف نواياها. فمن مزايا التغييرات التي حصلت في العالم، أن الكل صار يحكي بصراحة، ولا أحد يخفي نواياه، لكن نحن لا نقرأ، وإذا قرأنا لا نفهم، وإذا فهمنا لا نصدق، وإذا صدقنا نخاف مما صدقناه ونهرب منه (. . .).

أمريكا، تقول طلبها بوضوح، وهذا ما يجري، وهو أن تكون المنطقة هذه تحت أو في إطار النفوذ الأمريكي. وهذا باختصار مطلب طبيعي ومطلب منطقي جداً.

أنا ضد أن ندخل مكارم الأخلاق في موازين القوى. لأن القضيتين مختلفتان، كما أنني لا ألوم أمريكا. إن تقول أمريكا أنها تريد منطقة الشرق الأوسط منطقة نفوذ

لها، هذا من حقها كدولة عظمى، لكن من واجبي أنا، كقوى محلية أو كقوى اقليمية، أن أقاوم هذا المخطط ولا أتضايق. مصلحة أمريكا تقتضيها أن تمنع نمو هذه المنطقة بطريقة مستقلة لسبب واحد، هو رغبتها في مواصلة أخذ ما هي في صدد أخذه.

أنا لا أمل من القول، ولا أعلم في التاريخ الانساني كله، مخيلاً لما يجري عندنا.

تعالي نأخذ أمثلة بسيطة جداً. عصر النهب الامبراطوري. هناك امبراطوريات نهبت ولم تستطع، وامبراطوريات نهبت ثم استطاعت. اسبانيا نموذج عن التي نهبت ولم تستطع. وصلت لأمريكا اللاتينية. نهبت ولم تستطع. وصلت لأمريكا اللاتينية، نهبت كل الذهب، لكنها أخذته في مرحلة لم يكن البخار قد استعمل، فراح الذهب كله على الكنائس والقصور. جنب الارامخوز هناك قصر بنته إحدى ملكات اسبانيا للرجل الذي تحبه، كل ما فيه من ذهب. السرير والكرسي والطاولة. وهذا ما نسميه العصر الذهبي لاسبانيا. لكن لم يتحول هذا الذهب إلى إنتاج وبقي ذهباً. ولو رغبت اسبانيا يوماً أن تصفي الذهب الذي في الكنائس والمتاحف والقصور لاكتشفت ثروة!

انكلترا من الدول التي نهبت واستطاعت. انكلترا نهبت الهند بالمعنى الحرفي لكلمة نهب. وليحاول أحد، أن يقوم بإحصاء عدد المراكب التي غادرت كالكوتا متجهة إلى انكلترا - منذ أول ما جاءت «شركة الهند الشرقية» إلى منطقة البنغال - ويرى ما كانت تحمل. كانت تحمل كل شيء حتى الفصوص الثمينة الموجودة على تاج محل. أخذت كل شيء. بعد النهب جاء الاستغلال.

الثروات كلها وصلت انكلترا حيث تصادف عصر البخار، فعملت انكلترا نهضة صناعية وبنت الأساطيل وصارت امبراطورية تهز العالم.

الآن، لو أخذنا تاريخ الامبراطوريات كلها، لو أخذنا الأمويين والعباسيين والامبراطورية المسيحية الجديدة، والاسبانية والبريطانية، أنا أدعي أن العالم العربي فيه ثروات أكثر من كل هذه الامبراطوريات مجتمعة..

انكلترا، نستطيع القول أنها بنت مجتمعاً صناعياً، فيها دولة عدالة، حتى ولو على حساب الآخرين. اسبانيا إذا ما احتاجت يوماً إلى الذهب فهو موجود. نحن العرب جاءنا أكثر من كل هذا مجتمعاً، ولم يبق منه شيء. هناك شبكات طرق، ومستشفيات ومدارس تم بناؤها بالضرورات الطبيعية لاسكات الناس، لكن أين ذهبت الثروات التي تصنع امبراطوريات وقوى عظمى؟ لا أثر لها. . .

عندما تسألين ما الذي تريد أمريكا؟ هي تريد أن تستمر بما تعمله الآن. ثم هي تريد:

أولاً ـ مناطق نفوذ.

ثانياً ـ أن تواصل الحصول على ثروات المنطقة على النحو القائم.

ثالثاً ـ أن تمنع الاتحاد السوفياتي من الدخول في هذه المنطقة.

رابعاً ـ أن تطوع هذه المنطقة لمعركتها هي مع الاتحاد السوفياتي.

ولم تخف أمريكا هذا. ولا ينبغي أن نغضب منه. لكن ممكن أن نقول لا، نحن طرف، ونتدخل لافشال هذه المخططات من دون أن ندخل في حرب مع أمريكا. إنما نحاول تفشيل المخطط، نحاول أن نقف ونمنع تنفيذه كي لا يكون التنفيذ على حسابنا. ويبقى واضحاً جداً ما تريده أمريكا.

● **«الصياد»: لكن هذه الثروات ستنتهي في أحد الأيام.**

■ **محمد حسنين هيكل:** هذه هي المصيبة. فكل الثروات انتهت، النهب الامبراطوري انتهى، لكن المجتمعات الحية كانت قادرة في فترة التدفق أن تحول المال السائل أو الذهب السائل إلى ثروات منتجة أو تحول الأرصدة إلى اقتصاد. وليس أموالاً احصائية. في العالم العربي أموال احصائية لكنها لا تعني شيئاً. الذي يعني شيئاً هو أن تكون هناك طاقة انتاج.

لنأخذ على سبيل المثال المبيعات الأمريكية. أقول بأن العالم العربي يشتري سنوياً بحوالي مئة مليار دولار. ثم هذا العالم العربي لا يعرف من يحارب بهذه الأسلحة. قولي لي من؟ حددي لي من هو العدو؟ إذا كنا ما بين «كامب ديفيد»،

ومقررات فاس، وخطة ريغان، لسنا محاربين اسرائيل، فشراء أسلحة بمئة مليار دولار لماذا؟

عندما كانت اسرائيل هي العدو، مصر التي كانت تحمل كل العبء اشترت طوال العشرين سنة مواجهة مع اسرائيل، من ١٩٥٥ إلى ١٩٧٥ ما قيمته ٢ مليار دولار من الأسلحة، دفعت منها ٥٠٠ مليون دولار، أي الربع، ولم تدفع الباقي.

أخبريني لماذا نشتري كل هذه الأسلحة؟ مع العلم أن هذه الأسلحة الحديثة الآن والمعقدة، ستصبح عتيقة ومهجورة بعد ثلاث أو أربع سنوات. إنما أمريكا تريد أن تبيع. ولماذا يهمها جداً أن تبيع للدول العربية؟ لأن مبيعاتها في الخارج تصرف على أبحاثها في الداخل. نحن نمول أبحاث الفضاء الأمريكية، نحن نمول أبحاث الصواريخ الأمريكية، نحن نمول عمليات غزو الفضاء الأمريكي. يبيعوننا الفائض لديهم من الأسلحة، وندفع الثمن، ولا نستعملها، وأمريكا لا تخاف منها. لكن الفلوس العربية تذهب إلى أمريكا كي تمول عملية استمرار التقدم. هذا هو مخطط أميركا، وهذا ما تريده.

● **«الصياد»: عندما تنتهي الثروات، وينتهي ثراء العرب منها، له سينتهي الدور الأمريكي؟**

■ محمد حسنين هيكل: تستمر السيطرة وذلك لمواجهة الاتحاد السوفياتي. ثم لا تنسي أن في هذه المنطقة إلى جانب الثروات والنفط هناك بشر. خذي بلداً مثل مصر، عدد سكانها الآن خمسين مليوناً، وسيصبح ٧٧ مليوناً قبل نهاية هذا القرن. إذن هناك بشر سيصحون ذات يوم. لكن بانتظار ذلك، الحرب ستستمر، وستستمر أيضاً الرغبة في السيطرة. أخذت أمريكا النفط، لم أعد أملكه. إنما عندي قوة بشرية كبيرة، قد تتحرك في هذا الاتجاه أو في الاتجاه الآخر، المسألة مهمة.

● **«الصياد»: الهند بالنسبة إلى بريطانيا فيها بشر، ولكن انظر إلى وضع بريطانيا ووضع البشر والفقر في الهند بعد خروج بريطانيا، ولا أحد يسأل...**

■ محمد حسنين هيكل: ما تقولينه عن الهند ليس صحيحاً. فعندما تنظرين إلى

بلد في مرحلة النمو ومرحلة التحول، لا يجب أن توقفيها عند لحظة معينة، وتقولين أنها هكذا، انكلترا منذ ٢٠٠ سنة تختلف عما هي اليوم. أما الهند فصحيح أنها دولة متخلفة، لكنها صنعت القنبلة الذرية. لقد وصلت إلى الطاقة الذرية، فيها صناعات ثقيلة. ثم الهند واحدة من البلدان القليلة التي كانت نسبة التضخم فيها صفراً في السنة الماضية. إذن هناك بلد في حالة التحرك. للأسف الشديد الهند تسير اليوم في نفس الطريق الذي كنا نسير عليه. نحن توقفنا وهم يكملون الطريق. وعلى الأقل أنهم يسيرون على سياسة الاعتماد على الذات في التصنيع. في أحد الأيام، كنا والهند نشتغل على مشروع طائرة ومحرك الطائرة، وبدأنا العمل. استعنا بتقنيين المان، ودخلنا في مشروع واحد، بعدما اتفقنا أن كل فريق يصنع جزءاً. لكن عدنا نحن وانسحبنا. الهند اليوم تملك رخصة، فهي تصنع «الميغ ـ ٢١» و«الميغ ـ ٢٥». . .

أنا أعتبر الهند من النماذج المعقولة في العالم الثالث التي تسير بطريقة معقولة. قد تكون عندها ظروف ثانية، إنما تبقى دولة لا بد وأن نهتم بها. إنها دولة مهمة ومؤثرة حيث هي، ولها سياسة واضحة ومحددة.

● **«الصياد»: لماذا سمح للهند بصنع القنبلة النووية ولم يسمح لأي دولة عربية بذلك؟**

■ محمد حسنين هيكل: وأضيف أن كل المحاولات العربية تم ضربها. السبب واضح. الهند ليست على طريق أي مواصلات، ثم الهند بلد واحد يضم ٧٠٠ مليون نسمة، أي أنها عبء كبير على أي دولة أخرى، ولا دولة ترغب أيضاً في أخذ الهند. ثم أنها لا تملك ثروات لتأخذها الدول الأخرى. والدولة التي ستأتي ستصرف عليها. ما كان عندها تم نزعه من زمان، وما بقي هو الناس بمشاكلهم، التي يحاولون حلها تحت قيادة نهرو عندما كان، وبتوجيه غاندي ثم بزعامة انديرا غاندي. لكن الهند لا تعترض طريق أحد. أما هنا في المنطقة، فلا عملاق ولا شيء. إنما شظايا مقسمة، لكنها على شبكة مواصلات كبيرة، وفيها ثروات ضخمة، ويوجد فيها أناس ـ ما شاء الله ـ مستعدون أن يتطوعوا ولأسباب مختلفة جداً، كي يتعاونوا مع أي أحد ضد أي أحد. .

في سنوات ١٩٥٨ و١٩٥٩ و١٩٦٠، زمن عبد الناصر عندما حاولنا أن نركز على الصواريخ.والطيران والتكنولوجيا النووية، لم يكن الهدف صنع قنبلة فقط، كانت المسألة أن نعيش في العصر. كان عبد الناصر يحفظ أسماء كل واحد من الشباب الذي يبشر بأمل. وعندما كان مدير مشروع الطاقة النووية الهندية الدكتور بهابها يأتي إلى مصر، لم يكن جمال عبد الناصر يتركه لمدير الطاقة الذرية عندنا، بل كان يجلس معه ساعات طويلة، لأنه كان يرغب في الدخول إلى عصر بكامله.

وعندما قرر أن يعمل صواريخ، كان جزء كبير من العالم العربي ينظر باستخفاف إلى مصر كونها تعمل الصواريخ. وليكن أننا صنعنا الصاروخ وفشل على الأقل فشلنا في أمر واحد هو التوجيه. أول تجربة توجيه لم تكن سليمة. وكل الناس واجهت مشكلة التوجيه.

بعد الحرب العالمية الثانية تسابق العالم كله على العلماء الألمان، وفون براون مخترع صواريخ «في وان»و«في ـ تو» أخذه الأميركيون. نحن أتينا بالدكتور بنز وهو متخصص بالصواريخ.

والنموذج الأساسي للظافر والقاهر. كان هو تقريباً نفس نموذج الـ «في ـ تو» الألماني. كانت عندنا مشكلة التوجيه وحاولنا حلها. لكنهم هددوه. ضربوا سكرتيرته ونسفوا سيارتها، ومارسوا عليه ضغوطاً لا تحتمل. بعد ذلك سافر إلى الصين وهو الذي نفذ صاروخ الصين فيما بعد (. . . .) من الذي هدده؟ الاسرائيليون. . .

الحرب ضد العلماء الألمان في مصر كانت من أكبر المعارك التي خاضتها «الموساد»، وصدرت كتب حولها تعرضنا لكل هذا، لسبب بسيط جداً وهو وجودنا في منطقة مهمة جداً.

كنا نتكلم قبل دقائق عن أمريكا. لكن يجب أن نتكلم عن الدور المتميز لاسرائيل. لأن هناك مشكلة ثانية مضافة إلى مطامع القوى الكبرى هنا، وهي حالة خاصة غير متكررة في العالم إلا في جنوب افريقيا، وتبقى عندنا مختلفة، وهي حالة

إسرائيل، وهذا أيضاً وضع معقد يضاف إلى تعقيدات سابقة بسبب الوضع العالمي.

لذلك، ليست فقط الدول الكبرى هي التي تحاول أن توقف هذه المنطقة عن التصنيع النووي، إنما هناك كيان آخر خاصة يتعاون مع إحدى القوتين الكبريين في مرحلة من الطريق، ولا يتعاون في مرحلة أخرى. إنما يجب أن نعمل حساباته التي هي أيضاً معقدة. جزء منها يشمله ما ينطبق على أمريكا، وجزء منها له خصوصيته الذاتية.

● «الصياد»: يعني هذا ما يعترض تقدم العالم العربي؟

■ محمد حسنين هيكل: أكثر ما يعترض تقدم العالم العربي هو العقلية القبلية. مثلاً نحن نرفض أن نتحول من قبائل إلى شعوب، ومن شعوب إلى أمم، ومن أمم متخلفة إلى أمم متقدمة.

بالدرجة الأولى، ليس هناك مبرر لضعف أي كان إلا انهزامه في الداخل. لأنه من الممكن أن تقاومك كل قوى الأرض، إنما الأمر يتوقف عليك إذا كنت ستقعين وتسلمين إرادتك.

أنا كنت أقول دائماً أننا عام ١٩٦٧ لم نهزم ولما جاء عبد الناصر وأسماها نكسة، أنا كنت بالفعل اعتبرها نكسة، ولا بد أن يكون هناك حساب للمسؤولين عنها، ولا بد أن تطير رقاب. لكن أنا لا أعتبرها هزيمة، لأن الهزيمة في النهاية هي احتلال الارادة وليست احتلال الأرض، جزء من أرضك احتل، هذا ليس بقضية طالما أنك تواصلين المعركة.

عندما جاء هتلر واحتل كل أوروبا. لم يقل أحد أن أوروبا هزمت. صحيح أن دولاً استسلمت، إنما ظلت أوروبا تقاوم إلى جانب بقية المعسكر الغربي أو العالم الأطلسي أو الحلفاء. وأذكرك بكلمة قالها شارل ديغول: «أنا أخذت سيف فرنسا مكسوراً، لكنني أمسكت بمقبضه وفي جيبي نما له نصل». القضية قضية انهزام الارادة، وانهزام الارادة ليس بالضعف فقط، يمكن أن يحدث بسبب الطمع، أو بسبب الجهل، أو بالانبهار الأعمى من قوة الآخرين، لكن المطلوب منك أن

تقدري قوة الآخرين وأن تخوضي معارك محسوبة، وأن تكون لك استراتيجية مقابل استراتيجيات، لكن ليس مطلوباً منك الخوف أو التفكير بالمنطق القبلي.

● «الصياد»: **قلت أن أمريكا مهتمة بهذه المنطقة لثرواتها؟**

■ محمد حسنين هيكل: لمعلوماتك أنها مهتمة بثروات كل دول العالم الثالث. التقارير التي صدرت هذه السنة عن الـ «أي. أم. أف» والبنك الدولي، ذكرت شيئاً غريباً جداً. قالت أن الدول النامية ودول العالم الثالث ستدفع بالفوائد وأقساط الديون مبلغ ١٣ مليار دولار أكثر مما ستأخذ. اذن حتى ما يبدو أنه معونة تحول أيضاً إلى وسيلة أخرى للنهب.

● «الصياد»: **نعود إلى أمريكا، انسحابها من لبنان، هل يسمى هزيمة «صغيرة»، يعني بالرغم من النظرة الشاملة التي تنصحني بها، إلا أن الكل أجمع على أن أمريكا انهزمت، والكل متفق أن المنطقة لها، فكيف تفسر الأمر؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا لا أسميها هزيمة، بل أسميها تراجعاً وخطأ، وعلى الأقل هم اعترفوا به. أين توجد الولايات المتحدة في منطقتنا؟ لنترك مناطق النفط، لأنه خارج هذه المناطق الوجود الأمريكي هو وجود بحري. والساعة التي تنزل فيها أمريكا على الشواطىء المأهولة بالبشر فإنها ترتكب خطأ. لكن طالما هي في الأسطول السادس وموجودة في البحر فهي في أمان. لأن أحداً لا يطالها. لكن ساعة تنزل وتصبح لحماً ودماً وتذرف نقطة دماء، كما قلت تكون قد ارتكبت غلطة. في لبنان نزلوا، ونزلت منهم براميل دماء، لكنهم لم يكابروا فانسحبوا بسرعة.

الذي حصل، عملية غبية، ومنيوا بهزيمة معنوية، وكان عليهم أن لا يقترفوا هذا الخطأ لكن هذا لا يعني أنهم انسحبوا من المنطقة أو من لبنان. كل الذي حصل، أن واحداً وضع رجله في مكان غلط، وجد فيه وحلاً، وشعر أنه سيغرق، فسحب نفسه وابتعد.

● «الصياد»: **ولماذا نزلوا في غرانادا وكانوا يقولون سوفيات وكوبيين . . .**

■ محمد حسنين هيكل: لا . . . لا . . . لا . . . غرانادا قضية ثانية. درسنا في

المدرسة خطوط العرض والطول. وهي خطوط افتراضية ذات قيمة. وبالنسبة للقوى في العالم هناك خطوط حدود غير مرئية، إنما يعرفها كل واحد. يجب أن تعرفي وبشكل مباشر أن أحداً لا يستطيع أن يتدخل في أمريكا اللاتينية بعد أحد معين. ولا تأخذي كوبا كقاعدة. كوبا كانت ضرورة في مرحلة، وهي الاستثناء الذي يثبت القاعدة. لكن كل نصف الكرة الغربي الذي فيه أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية هو منطقة حيوية بالنسبة لأمريكا، والاتحاد السوفياتي يحترم هذا الأمر. يستطيع أن يلعب هناك لعبات محدودة، لكن عند اللزوم يتوقف عنده حده.

لقد تلدخلت أمريكا في «سان دومينغو» وكادت أن تتدخل في كوبا لو لم يتراجع الاتحاد السوفياتي، وتدخلت في السلفادور، وفي كل المناطق التي كانت غرانادا آخرها.

أنا لا أعتقد أنه كانت هناك خطة لغزو غرانادا أبداً. كانت مسألة ضرورات لأن ضربة «المارينز» في بيروت كانت كبيرة جداً على ريغان. وبالتالي يجب أن يتحرك ويرد. اسرائيل ضربت مناطق في البقاع، والفرنسيون قاموا باستعراض قوة. لكن أمريكا من تضرب وأين في لبنان؟ كان على ريغان أن يضرب في أي اتجاه وبالتالي ذهبت غرانادا ضحية من ضحايا بيروت: ولسبب واحد هو استعادة بعض مظاهر القوة من أجل هيبة أمريكا. لذلك لم يستشر حلفاءه الذين فوجئوا. وتأثرت علاقته ببريطانيا. لم يقصد أن يهمل الحلفاء، إنما وقته كان ضيقاً. تقررت عملية غرانادا في ٢٤ ساعة لأنه كان لا بد لأمريكا من القيام بعملية تحفظ لها ماء الوجه.

هنا توجد مسألة مهمة جداً، وهي كيف تستفيد القوى الكبرى من أخطائها بلا كبرياء. يعني، الأمريكيون في بيروت نزلوا في الوحل، جاءت ضربة «المارينز»، كان ممكناً لأمريكا أن تحتل بيروت، لا بل أن تحتل كل لبنان. لكنها كانت ستدخل في مستنقع أوسع. لذلك ضرب ريغان في مكان آخر.

● **«الصياد»: إذا كان نزولها خطأ، فماذا يمكن أن نسمي الاتفاقية بين لبنان واسرائيل التي تعهدتها أمريكا؟**

■ محمد حسنين هيكل: هذا يجرك إلى ما كنت أقوله لك...

أمريكا تدرك جيداً أنها في هذه المنطقة هي دولة بحر، لأنها تستطيع أن تؤثر براً عن طريق أطراف معها. لا يمكن التأثير براً إلا بالوساطة. وعندما جاءت اسرائيل وقالت: «أنا لا أستطيع، عندي خسائر بشرية، وعندي حسابات ولن أتعدى هذا الخط فتفضلوا وتصرفوا أنتم» . . أصبحت سوريا هي دولة البر الوحيدة التي يمكن أن تتصرف. وبالتالي عادة أميركا إلى ممارسة دورها البحري بصرف النظر عن التعهدات التي قطعتها.

والمعروف أن الاتحاد السوفياتي جاء وساعد دولة البر في هذه المنطقة، وأعاد لها بناء قواعد الصواريخ، ودخل ليحافظ على مواقعه، وصارت هناك دولة بر قادرة على أن تتصرف، دولة بر محلية، دولة البحر، القوى العظمى، عادت ثانية إلى البحر وليس عندها طرف محلي فهي تحاول أن تمد الصلات مع سوريا.

● **«الصياد»: ماذا يعني ذلك؟**

■ محمد حسنين هيكل: من دون أن تفكري وتحسبي، لا بد أن تقدري أن هناك اتصالات أمريكية سورية جارية.

هناك مظاهر للأشياء عندما تحدث أمامك يجب أن تدركي أن وراءها أسباباً أخرى.

انسحبت أمريكا إلى البحر، وهي كان باستطاعتها النزول، لكن، لو فعل لشعر ريغان أنه يعزز خسائره. العالم المتقدم يعزز نجاحاته وينسحب من خسائره. أمريكا أدركت مع الخطوة الغلط إنها ستقع في شرك لا تقدر عليه، وهو مخالف لطبائعها. عليك أن تعرفي أن سياسة أي دولة تبنى على طبيعة ما تستطيع أن تفعله. جغرافياً لا تستطيع أمريكا أن تنزل على الشاطىء اللبناني، وإذا نزلت فإن حسين موسوي يطالها، ويطالها وليد جنبلاط، وكذلك نبيه بري. . ولا يمكن لقوة عظمى أن تقبل لنفسها هذه المتاهات. فانسحبت. هي كانت تعتمد على قوة بر محلية تنفذ لها ما تريد، قوة البر هي اسرائيل التي عند حد معين قالت لا. وذلك لطلب مزايا أكثر أو لقطع الخسائر لأن لإسرائيل أيضاً مشاكلها فهي دخلت في المحظور الذي

ظلت طوال عمرها تتجنب الدخول فيه، وهو الاقتراب من الكثافة السكانية العربية. تسرح عندنا في سيناء، وتمرح في الجولان، لكنها لا تتورط بالدخول في الكثافة السكانية، هي الأخرى انسحبت وتوقفت عند خط نهر الأولي.

● «الصياد»: كان هناك اتفاق استراتيجي بين أمريكا واسرائيل، وأنت ذكرت مرة أن اسرائيل هي شرطي أمريكا في المنطقة.

■ محمد حسنين هيكل: فعلاً هي هكذا...

● «الصياد»: بعد هذا الرفض هل ما زالت الشرطي؟

■ محمد حسنين هيكل: ما زالت، لأن الشرطي عند الحاجة يرفض سماع أمر الضابط، لأنه يكون قد رأى كميناً.

وما تتكلمين عنه هو شرطي المنطقة، وليس علاقات شخصية، بل مصالح بين دول.

تأتي اسرائيل وتقول: كلفة هذا الشيء نسبتها عالية ولا أستطيع تحملها. وتقول: أنا دخلت وحاربت، وضربت. أنتم لم تستغلوا الموقف بل سمحتم للجميع بالخروج بسلام. أنا لا أستطيع التدخل ثانية. هذا ما يمكن أن تقول اسرائيل لأمريكا.

بمعنى أن هذا الشرطي ليس انساناً آلياً، بل له مصالحه أيضاً التي في قسم منها قد تتناقض والمصالح الأمريكية. ولو أن حجمه أصغر من حجم السيد الكبير، لكن له طلبات تتعلق بأمنه، يعني أنه مستعد أن يقوم بدور لحماية أمنه ومصالحه، لكنه ليس مستعداً للانتحار. نعم اسرائيل هي الشرطي الأمريكي في المنطقة وقد عمد هذا بوضوح أمامنا، لكن الشرطي ليس أداة. إنه طرف محلي له أهدافه ومطالبه التي لا تتوافق كلها مع أهداف ومطالب الطرف الرئيسي الذي يشغله. هنا يبدو جزء من التناقض أو على الأقل يظهر الحذر. ولا أحد يتصور الطاعة المطلقة من أحد.

لكن نحن، حتى منطقتنا في هذا غريب. ساعات نقول لأمريكا: اطلبي من اسرائيل أن تفعل كذا وكذا... هناك أمور تقدر أمريكا أن تفرضها على اسرائيل،

وأمور لا تستطيع بسببها أن تتدخل لأن المصالح الاسرائيلية لا تسمح بذلك!

● **«الصياد»: يعني، ما زال الاتفاق الاستراتيجي الأمريكي - الاسرائيلي قائماً؟**

■ محمد حسنين هيكل: طبعاً لا يزال قائماً ويسير بشكل جيد.

● **«الصياد»: لماذا لا تستطيع أي دولة عربية أن تؤدي لأمريكا في المنطقة ما تؤديه اسرائيل، ثم ما هي الدول العربية التي ترحب بالمشاركة في قوة التدخل السريع؟**

■ محمد حسنين هيكل: السبب الأول إذا كان المطلب الأمريكي هو إخضاع العالم العربي، فكيف تتطوع دولة عربية، على افتراض أنها تملك القدرة، على أن تنفذ هذا الدور؟ أنه دور عملياً مستحيل، السبب الثاني أنه لا توجد دولة عربية واحدة تملك القدرة التكنولوجية، والقدرة العلمية والعسكرية كي تمارس دور إخضاع. لا تقدر بحكم الانتماء، إذ كيف يمكن أن تطلبي من أخ أن يتولى مسؤولية اخضاعك، ثم على افتراض أن هناك من هو مستعد، فإن القدرة على تنفيذ ذلك لا بد وأنها تنقصه!

● **«الصياد»: وبماذا تفسر حماسة بعض الدول العربية للمشاركة في قوة التدخل السريع الأمريكية؟**

■ محمد حسنين هيكل: في واقع الأمر قوة التدخل هذه ليست أمريكية. لنسأل من هي قوات التدخل الموجودة؟ هناك فرقتان في الأردن، وهذا أمر معروف، كذلك هناك فرقتان من باكستان في منطقة الشرق الأوسط وهذه الفرق ليست سوى قوة ردع لحماية أوضاع قائمة.

أمريكا لا ترسل قوات من عندها، ترسل سلاحا فقط. الاتحاد السوفياتي يرسل قوات ردع.

● «الصياد»: لكن أمريكا تنادي بقوة التدخل السريع لمواجهة الاتحاد السوفياتي؟

■ محمد حسنين هيكل: هذا ليس صحيحاً. إنه كلام فارغ. أسألك هل ستقف الفرقتان الأردنيتان بوجه الاتحاد السوفياتي، أم الفرقتان الباكستانيتان؟ ابعدي عن ذهنك هذه المسألة. لا توجد حرب بين القوتين الكبريين. هناك سباق على التسلح، والحرب موجودة عن طريق هذا السباق. لأن كل طرف من الطرفين يتصور أنه أغنى، وأنه قادر على جر الثاني في سباق التسلح حتى يجعله يفلس من الداخل.

ما الذي يحصل هذه الأيام إذا نظرنا، يجب أن ننظر بوضوح. أنا أقول ببساطة: أولاً أن الحرب النووية مستحيلة. واضح كلامي؟

ثانياً: أن أي حرب تقليدية تشترك فيها القوتان الكبريان، لا بد أن تنقلب في مرحلة من مراحلها إلى حرب نووية. إذن هي مستحيلة. وبالتالي لن يقوم اشتباك بين الطرفين اطلاقاً.

● «الصياد»: هناك تسابق ليس فقط في السلاح إنما أيضاً في «قضم» المناطق؟

■ محمد حسنين هيكل: هذا موضوع آخر. لنكمل الموضوع الأول. كيف تسير الحرب الآن؟ الحرب العالمية الثالثة قائمة فعلاً، لكن من خلال سباق على سلاح لن يستعمل. إذن لماذا يصنع هذا السلاح؟ اقتصاد الاتحاد السوفياتي يشكل تقريباً ٦٥٪ من اقتصاد أمريكا. أمريكا تقول عبر سياستها أن النظام الاجتماعي في الاتحاد السوفياتي يقف وراء حكومة مضى عليها ستون عاماً. الاتحاد السوفياتي يقف وراء حكومة مضى عليها ستون عاماً. الاتحاد السوفياتي راصد (أ) للتنمية و(ب) للأمن. تقول أمريكا أنها تريد أن تقلل من ميزانية التنمية وتجعله يرفع ميزانية الأمن، كي يضيق الشعب السوفياتي، فيضج ويثور ويسقط هذا النظام الاجتماعي لهذا، ادخل معه في سباق وأرغمه على مجاراته وألا تفوق عليه. وهكذا أرغمه على أن ينقل من خصة التنمية إلى الأمن، فتتحول أولوياته إلى السلاح، وتقل

خدماته في دولة الرفاهية والوعود الاشتراكية والشيوعية. وبالتالي يسقط النظام لأنه لم يستطع أن يحقق أهدافه.

هذه هي الحرب الدائرة هناك زعماء كثيرون في أوروبا تنبهوا لها، وتنبهوا أيضاً أن أمريكا تريد أن تخرب الاتحاد السوفياتي، لكن في الطريق ستخرب الدول العربية.

إذن، من خلال سباق التسلح تستمر الحرب العالمية الثالثة ويستمر انتاج أسلحة لا تستخدمها الأطراف التي تنتجها، لأنها غير قابلة للاستخدام، إنها تستعمل في هدف ما تحدثنا عنه، ويبقى الصراع الموجود بين القوتين العظميين حول النفوذ والسيطرة على الموارد الطبيعية وعلى خطوط المواصلات.

في النهاية وباختصار لا حرب بين الطرفين، إنما صراع، ومع هذا يطمح الاتحاد السوفياتي لأن يصل بأي شكل مع أمريكا إلى وقف التسابق في السلاح. لكن أمريكا لا تعطيه هذه الفرصة.

● «الصياد»: الآن ماذا بعد عودة أمريكا إلى قوة بحرية في المنطقة؟

■ محمد حسنين هيكل: قوة بحرية لا بد وأن تعتمد على مرتكزات برية، وقوة البر الأساسية التي تعتمد عليها أمريكا هي اسرائيل. أما الباقي فلعب تكتيكي مثلاً تجميد مصر في «كامب دايفيد».

في بعض المرات تملكين قوة لكنك لا تستطيعين إستعمالها، فإن تجميدها يكون أمراً جيداً. والغاء تأثير مصر، وخروج مصر من المعادلة العربية يعني أن أمريكا حققت إنجازاً ضخماً جداً في العالم العربي.

تأتي سوريا، التي تمارس معها أمريكا العاباً تكتيكية. إنما السؤال هو ما إذا كان واضحاً في تفكير سوريا ماذا تريد أن تفعل؟ أنا خائف من أن تكون سوريا لا تعرف ما هي الخطوة المقبلة؟

يعني ألغي الاتفاق جيد. انسحب الأمريكيون جيد. لكن كيف يمكن لسوريا أن تجمع باتفاقها كل الأطراف اللبنانية المتصارعة وإلى أي مدى؟ مشكلة الدور

السوري في لبنان أنه محكوم بموازين دقيقة جداً (. . .) ثم هل وجود السوريين قابل للمقايضة بمرتفعات الجولان أم لا؟

أنا أعتقد أنه غير قابل. لأنه لا يمكن لسوريا أن تسترد الجولان إلا بمعركة عسكرية والظروف في المنطقة كلها غير ملائمة لمعركة عسكرية ضد اسرائيل.

لغاية الآن، تلعب سوريا على المستوى التكتيكي لعبة ذكية وتتصرف بحذر شديد. إنما، ماذا بعد؟

هل تملك سوريا تصوراً أين هي في المنطقة التي حولها؟

وهل بعد التصور، عندها خطة للمنطقة؟ وهل تقدر؟

يعني يمكن لكل واحد أن يعجب بالتكتيك السوري، إنما يجب أن نسأل ماذا بعد؟

يمكن أن تعجبك أي لعبة تكتيكية، لكن السؤال هو هل يمكن أن تصل هذه اللعبة إلى أن تحقق ثمرة سياسية قابلة للبقاء، ومؤهلة لأن تضيف إلى رصيدك أم لا؟

● **«الصياد»: ضمن المعطيات الموجودة هل يمكن لسوريا أن تحقق ثمرة اللعبة التكتيكية؟**

■ محمد حسنين هيكل: سوريا أثبتت أمراً واحداً، وهو أنه فيما يختص بهذا الوضع في هذه اللحظة من الزمن لا يستطيع أحد تجاهلها. إذن يجب الحوار معها. ماذا ستقول، وماذا ستعمل، فلننتظر. .

● **«الصياد»: وهل يمكن للاتحاد السوفياتي أن يدخل في اللعبة التكتيكية أكثر؟**

■ محمد حسنين هيكل: الاتحاد السوفياتي لا يتدخل في ألعاب يعلم أنها يمكن أن تؤثر جداً في موازين أعلى، لأن كل لعبة محلية، تصل في لحظة معينة، وتضرب بميزان أعلى. وكل الناس يريدون عازلاً بين الميزان الأعلى وبين ما يجري محلياً.

وإذا حصل هذا الشيء فإن الخطوط الحمر ستعمل بسرعة، وكل واحد من الناس يعرف حدوده ويقف عندها. ومع الأسف نحن فقط الذين لا نعرف أين تقع حدودنا.

● «الصياد»: **يعني سيبقى الاتحاد السوفياتي على أطراف منطقة الشرق الأوسط باستمرار؟**

■ محمد حسنين هيكل: لا يوجد شيء اسمه باستمرار هذا خطأ. وأنا لم أقل أن منطقة الشرق الأوسط لأمريكا، قلت فيها مصالح أمريكية، إنما فيها أيضاً مصالح أمنية سوفياتية. هنا بطن الاتحاد السوفياتي، لأن البعد الجغرافي غير موجود، لكنه اضطر أن يتراجع من القلب إلى الأطراف، ولا بد له من العودة بشكل أو بآخر، ولا بد أن يلقي مواقع أقدام أخرى يدخلها كي يبقى موجوداً. لن يكون مسيطراً، لن يسمح له بذلك، لكن لا بد من أن يكون موجوداً.

● «الصياد»: **يعني إمكانية دخوله قائمة؟**

● محمد حسنين هيكل: طبعاً. ويجب أن يدخل ويجب علينا أن نشجع دخوله، ونخطط لدخوله بإرادتنا.

● «الصياد»: **كيف يمكن للعرب أن يقلصوا مساحة التنسيق الأمريكي الاسرائيلي؟**

■ محمد حسنين هيكل: عبر حل واحد، وهو أن يزيدوا من قدرتهم الذاتية، كي تستطيع كل الأطراف أن تفهم أنها تتعامل مع العرب دون وسيط. لا وسيط عند العرب ولا وسيط بالضغط عليه.

لا وسيط بالود عند قوة فاعلة لا مفعولاً بها!

الحل الوحيد أن يبقى العرب قوة فاعلة وليس مفعولاً بها (. . .) وفي الوقت الحالي نحن في دور المفعول به.

وتسألينني باستمرار ما إذا كنت متشائماً أو متفائلاً؟

أنا لا أعترف بهاتين الكلمتين، إنهما من الألفاظ العربية التي تمسكنا بها، وكأننا في عالم الكلمة الذي يغني عن الفعل.

القضية ليست قضية تشاؤم أو تفاؤل باختصار أقول أن هذا الوضع لا يدعوني كي أطمئن إلى المستقبل. هذا ليس تشاؤماً. أنا أحاول أن ألقي نظرة حقيقية، أو على الأقل نظرة واقعية أو نظرة موضوعية، أو نظرة علمية لما أراه أمامي وأحاول أن أقول: هذه هي الظروف..

● **«الصياد»: ما هو القائم في العالم العربي كله؟ في قضية لبنان، في القضية الفلسطينية، في الحرب العراقية ـ الايرانية في قضية الخليج والمضيق؟**

■ محمد حسنين هيكل: مع الأسف، العالم العربي عالم قبلي. قبائل متنازعة مع بعضها البعض، تصفي ثأرات وحسابات غير واعية لما يجري في العالم، وترفض أن تستيقظ. والمسألة المهمة جداً والخطيرة هي أنني لا أرى نقطة بادية لأي أمل إلا إذا ارتسمت هنا في القاهرة، لسبب واحد، فهنا أكبر شعب من شعوب الأمة العربية القادر على التحريك، لأنه بسبب ظروفه وموقعه وطاقاته ونوعية البشر، يقوم دائماً بدور المحرك، يعني أنه محرك كل الأمة العربية. والذي نجح فيه الامريكيون وغيرهم، هو أنهم فصلوا المحرك عن العربة ووضعوا الأول في مكان ليأكله الصدأ، ووضعوا العربة في مكان آخر تعشش فيها خيوط العنكبوت. في رأيي يبدأ الأمل في العالم العربي يوم تجد مصر نفسها، وأن تجد نفسها داخل عالمها وليس خارجه.

● **«الصياد»: وعن أي طريق ستجد مصر نفسها؟**

■ محمد حسنين هيكل: التاريخ مثل الإنسان، يتم العلاج فيه من خلال أمرين: إما بالأدوية والعقاقير أو بالجراحة. الجراحة في السياسة هي الثورة. والطب والتمريض محاولات إصلاح. لغاية الآن أنا أمل بأن تجد مصر دورها بواسطة «الطبيب» حسني مبارك «الدكتور» حسني مبارك. لكن إذا لم يستطع، تصبح الحاجة إلى جراح أكثر من ضرورية.

● «الصياد»: كطبيب ماذا يجب أن يفعل؟

■ محمد حسنين هيكل: الطبيب هو إخصائي، فليس كل واحد طبيب. وليس كل من يعتقد أنه يفهم في الطب بقادر على معالجة الناس. بل يجب أن يكون مؤهلاً. الرئيس موجود في هذا المكان، على رأس الدولة المصرية، إذن فهو في وضع طبيب ولا بد أن يكون عنده تشخيص. هو يحاول. وأنا أشهد له، وأقول أنه استطاع خفض حرارة المريض، فهو عندما جاء كانت درجة حرارة المريض ٤١ وحالته فظيعة جداً. وبعد أن هدأت الحمى، عليه أن يعرف الأمراض الحقيقية. فهناك أمراض اقتصادية واجتماعية. لكن الخطير جداً في اعتقادي وما أنا خائف منه، هو فقدان الحس التاريخي لدور مصر. هذا هو الأمر الخطير، لأنه لا يوجد دور في الدنيا يأتي لمجرد الكلام عنه. ولا أن تقحمي نفسك بمشاكل لا دخل لك بها لمجرد أنك تبحثين عن دور.. ولا يمكن أن تؤثري إلا بما هو مؤثر فعلاً...

أنا أتصور أن أمام الرئيس مبارك مهام مهمة جداً، صحيح أن آلام المريض صارت محتملة، لكن هناك قضية فقدان هوية، وليس كافياً القول أنك عربية. فكل ادعاء لكي يتحول إلى إلزام يحتاج إلى التزام. هذه مشكلة. أيضاً، عندما أنظر إلى أين يتجه العالم وحركته، وأرى حجم القوة التي تواجهنا، أكون واحداً من الذين لا يرون أي أمل في تنمية مصر، ولا أمل في تنمية سوريا، أو أي دولة عربية أخرى. هناك أمل في تنمية المنطقة كلها كمنطقة ،وليس هناك أي أمل لدولة عربية واحدة في صنع أو امتلاك السلاح النووي. العراق قام بمجهود، لكن المفاعل النووي ضربته اسرائيل.

أنا فاكر زمان، سنة ١٩٧٦ أثناء مؤتمر الملوك والرؤساء العرب في الرباط، كتبت رسالة مفتوحة قلت فيها: «أننا خضنا حرب أكتوبر بالأسلحة التقليدية، لكن الحرب المقبلة قد تكون نووية، إذا نحن واصلنا المعركة، بمعنى أن اسرائيل بالكثافة السكانية القليلة أمام الحجم السكاني العربي». وقلت «في حرب أكتوبر أثبتنا أننا قادرون على استعمال الأسلحة التقليدية بطريقة معقولة، لذلك ما سنواجهه في المرة المقبلة، على أقل تقدير، هو الابتزاز النووي». واقترحت خطة،

وهي «أن ننشيء صناعة ذرية، وليس مجرد بناء مفاعل، لأن إلى جانبه هناك على الأقل ما بين ٣٠ و٤٠ صناعة نووية كبرى. وهذا كله يمكن أن ينتشر في مناطق كثيرة من العالم العربي. لكن لا يمكن التنمية إلا بمشروع عربي واحد، ولا يمكن صنع قوة نووية إلا موحدين. الهند لو لم تكن ٧٠٠ مليون لما استطاعت، والصين أيضاً لو لم تكن ألف مليون ما استطاعت.

اسرائيل استطاعت ليس لأنها اسرائيل بل لأن ادوارد تيللر قدم لها هدية.

تيللر، كنا نشتمه، لكن عندما ذهب تيللر الذي صنع القنبلة الهيدروجينية وأقام في اسرائيل في التخيون على أربعة مواسم، -في كل موسم ستة أشهر، يعني سنتين في اسرائيل، لم نسأل ماذا يفعل تيللر في التخيون؟

نعرف كلنا أن اسرائيل تملك قنابل ذرية، وهذا ليس سراً. ونعرف أن القنابل هذه مفكوكة، وساعة صدور القرار السياسي يصبح لاسرائيل قنابل مجمعة في مدة لا تزيد عن ثلاثة أيام. وأنا ماذا أملك؟».

عندما كتبت هذه الرسالة المفتوحة كتبت الصحف العربية تقول أنني أخيف العرب. وأحد الرؤساء العرب المشاركين في المؤتمر قال عندما قرأ الرسالة: أمضى هيكل خمس سنوات يخيفنا بالفانتوم، والآن جاء ليخيفنا بالقنبلة الذرية..

تعرفين، نحن باستمرار نخوض معارك الحرب الماضية.

● **«الصياد»: كنت تحدثني عن ضرورة عودة الاتحاد السوفياتي، فهل ما زلت مقتنعاً بأنه لا يمكن أن تتم أية تسوية في الشرق الأوسط إلا باشتراك القوتين الكبريين معاً؟**

■ محمد حسنين هيكل: لا يمكن تسوية أية مشكلة حادة في العالم، وليس فقط في الشرق الأوسط. إلا بتواجد القوتين الأعظم، وكل النظام العالمي القائم، قائم على التنافس والتوازن بين قوتين غير قادرتين على تحقيق السلم حتى هذه اللحظة، إنما لن تشعلا حرباً إطلاقاً. أما عن الشرق الأوسطفلا يمكن تسوية هذه المشكلة، إذا كان هناك من حل، إلا بوجود واشتراك الدولتين العظميين.

● «الصياد»: كنت تتكلم عن مصر، وأن التغيير في العالم العربي يبدأ بتحرك من مصر، الآن ماذا تعني عودة مصر إلى منظمة الدول الاسلامية؟ ثانياً: هل يمكن لمصر أن تتحرك عربياً وتعود إلى العالم العربي مع «كامب دايفيد»؟

■ محمد حسنين هيكل: لنبدأ بمنظمة العالم الإسلامي. . أنا سعيد جداً أننا عدنا. لكن لا أعتقد أن هذا يعتبر انتصاراً. لأنني أفكر باستمرار أن منظمة المؤتمر الإسلامي وجدت للدوران حول موقف مصر. باستمرار هناك رأي في هذه المنطقة يحاول أن يميع التميز القومي أو الخصوصية القومية مع الذين لا يتمتعون بأية خصوصية. تقولين العالم الاسلامي، أنا تربطني بهذا العالم روابطروحية ومعنوية وإنسانية وحضارية. لكن ببساطة الأمم تقيم مستقبلها على مخططات أمرين: مصالح مشتركة وأمن مشترك ولا يمكن غير ذلك. أنا لا أعرف كيف يمكن أن أحقق أمناً مشتركاً مع أندونيسيا، ولا أعرف كيف أصل أمنياً إلى الفيليبين. أساعدهم معنوياً ومادياً. لكن عندي قضية أمن تختلف تماماً عن قضيتهم الأمنية. هنا توجد خصوصية عربية. ثم أن منظمة العالم الإسلامي بدأت بعد ١٩٦٧ في محاولة لأن ترث دور مصر العربي وتمييع كل قضية التميز العربي، وفي الأصل، ترددت مصر كثيراً في الانضمام إلى المنظمة، ولما ذهب أنور السادات وحضر مؤتمر قمة مكان جمال عبد الناصر كانت التعليمات الموجهة له، وأنا أقول هذا لأول مرة، «تمييع المؤتمر». ماذا ستحقق منظمة العالم الإسلامي؟ لا شيء أبداً. ثم بالنسبة لعودة مصر، فإن مصر عادت إلى منظمة تعلم جيداً أنها وجدت بالتحديد لتحجيم العالم العربي وبالتحديد دور مصر فيه.

بيني وبينك، كنت أفضل بدل منظمة العالم الإسلامي، أن يلتقي ملوك ورؤساء الدول الإسلامية مرة كل سنة في الحج وهم بملابس الأحرام ويتكلموا ويتبادلوا الآراء ثم يذهب كل واحد إلى بلده.

لكن منظمة وسكرتارية و. . ليس بالأمر المفيد، لأنها منظمة اقليمية، ثم كأننا نقول للعالم أن يعلن منظمة للعالم المسيحي ومنظمة للعالم اليهودي. الأديان تملكها القلوب، لكن مسألة الأمن والمصالح تحتاج إلى تنظيمات فيها عنصر

تماسك، ومصالح أمنية وتنموية. والآن، فلنتكلم عن الجامعة العربية.

● **«الصياد»: أحب أن أذكرك فقط بأن أبو عمار وعد بإخراج مصر من «كامب دايفيد»؟**

■ محمد حسنين هيكل: اسمعي، أنا أحب أبو عمار كإنسان لكنني أظن أن مجيئه إلى مصر ليس كافياً لاخراجها من «كامب دايفيد»، ولا أعتقد أن هذا في مقدوره وأتصور أن أبو عمار قال هذه الكلمة في معرض الرد على النقد الذي واجهه بعد ما جاء إلى مصر.. فأبو عمار كان موجوداً في الجلسة التي أعلن فيها أنور السادات أنه ذاهب إلى القدس، ولم يستطع أن يمنعه، ولم يستطع أن يمنع مصر من الذهاب إلى القدس.

للثورة دور، وعليها أن تدرك حتى تكون استراتيجيتها سليمة أنها إلى جانب دول، وأن هذه الدول أكبر منها وأقوى، على الأقل في تنفيذ ما تريده.«إخراج مصر من كامب دايفيد» أنا أعتقد أنه ليس مرهوناً بأحد إلا بشعب مصر، من غير أن أقلل من قيمة أبو عمار، لأن ما قاله أبو عمار كان في غمرة دفاعه عن نفسه، إنما لا يستطيع أبو عمار إخراج مصر من «كامب دايفيد» ولو بعشرين زيارة.

في الواقع، بدأت «كامب دايفيد» تسقط. لقد ألغي على الورق اتفاق ١٧ أيار (مايو) بين لبنان واسرائيل، وعملياً في مصر، ألغيت «كامب دايفيد».

وأنا بأسف أتحدث عن الفرق بين هنا وهناك، فبينما في لبنان أطراف تتعاون فعلاً مع اسرائيل من غير ورق، هنا في مصر وبرغم الورق الموقع، لا أحد يريد أن يتعاون.. وبالعكس، أنا أتصور أنه بأثر رجعي، وبأسباب أخرى وحده السادات رآها، لم يكن عندي مانعاً مما حصل، لأنه حصل أو لم يحصل النتيجة واحدة. من أية ناحية؟

من ناحية أن الشعب المصري على الأقل، استبان وحده، وبدون جمال عبد الناصر، وبدون قيادته وبدون إلحاحه، وبدون دفعه، وأيضاً بدون قيادة النحاس باشا القديمة، وبدون الملك فاروق... استبان أن ليس لدى إسرائيل ما

تعطيه، وبالتالي، ليس هناك سلام بيننا وبين اسرائيل، كذلك فإن، اسرائيل غير راغبة في السلام.

لقد حصلت اسرائيل على أكبر جائزة كانت تحلم بها وهي الصلح مع أكبر دولة عربية. ومع ذلك ترفض أن تتخلى عن مرتفع أمني واحد، كيلو متر مربع في طابا ترفض التخلي عنه، كذلك ترفض التخلي عن ١٤ نقطة على الحدود، ولا نراها راضية بأن تدفع ثمناً للتطبيع مع أكبر دولة عربية، كذلك لا نراها تفرط بمجموعة تلال على الحدود. لا يوجد سلام. هذا مجتمع لا يستطيع أن يتحمل تبعات السلام!

● **«الصياد»: نعود إلى عودة مصر إلى الجامعة العربية، ما رأيك؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا أرحب. . . أتمنى أن تعود مصر، إنما بدور مصر، وهي تدرك ماذا تفعل، لكن إذا عادت لتأخذ كرسياً، حيث الكراسي مصفوفة، وكأن الجميع يجلس في مأتم، فأنا لا أريد لمصر هذه العودة.

أريد مصر العائدة إلى الجامعة العربية أن تعود إلى عمل عربي وليس إلى مقعد. المسألة مسألة فاعلية. . .

● **«الصياد»: نصل إلى الفلسطينيين، ما رأيك بالانقسامات الفلسطينية وما هو الدور الفعال المطلوب من المنظمة القيام به حالياً؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا لا أحب أن أدخل نفسي في الخلافات الفلسطينية، إنما أقول أمراً واحداً وهو أن العالم العربي كله في أزمة، الأنظمة في أزمة ولا تختلف منظمة التحرير عن بقية الدول العربية فهي في الأزمة نفسها. وإذا كان مطلوباً من كل الأنظمة أن تقوم بمراجعات أساسية فمنظمة التحرير مطالبة أيضاً بهذا الأمر.

نحن أحياناً نقدس الأسماء وننسى ما هي منظمة التحرير؟ إنها تعبير عن الشعب الفلسطيني. هذه موجودة، الإرادة موجودة وكذلك المقاومة. المنظمة كيان صنع في مرحلة من المراحل، وإذا كان هذا الكيان قادراً على تجديد نفسه، فهذا أمر

جيد. أما إذا كان غير قادر، فإن الشعب الفلسطيني سيعاني عندئذ الكثير الكثير. . . أنا لا أقبل الأسماء، إنما أقول أن منظمة التحرير هي إحدى القوى التي كانت موجودة على الساحة في العشرين سنة الماضية وما ينطبق على الأزمة العربية العامة ينطبق عليها.

● **«الصياد»: يقول البعض أن بقاء الأردن والفلسطينيين كدول وليس كشعوب يعتمد على إنشاء اتحاد كونفيدرالي أردني ـ فلسطيني. ما رأيك؟**

■ محمد حسنين هيكل: إذا كنا نتكلم عن المعنى الحرفي للدول، فالأردن باق من غير الفلسطينيين، وإذا كنت تتكلمين عن شيء أكبر من هذا، فليس الأردن والفلسطينيون فقط، بل هناك كيانات أخرى كثيرة بحاجة إلى دراسة.

وإذا كنت تتكلمين عن الواقع فقط، فهناك ظروف الآن تفرض الأوضاع القائمة.

● **«الصياد»: وماذا عن الاتحاد الكونفيدرالي؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا لا أعرف ماذا سيحل هذا الاتحاد. فالقضية أن فلسطين كلها تحت الاحتلال، اتحاد كونفيدرالي يعني اتفاق طرفين على عمل خطوات اتحادية مع بعض، ولو محدودة. وفي الواقع الراهن هناك طرف غير موجود إطلاقاً.

الفلسطينيون في الأردن هم تحت السيادة الأردنية، والأرض الفلسطينية موجودة تحت أمر آخر، فكيف؟

لكن إذا كنا نريد أن نتلاعب بالألفاظ فهذا ممكن، نبقى خمسين سنة.

اتحاد كونفيدرالي وطرف من الطرفين أرضه محتلة؟

● **«الصياد»: ولماذا اذن المحادثات؟**

■ محمد حسنين هيكل: وهل ترين أنها قد تصل إلى شيء؟ أمريكا تحاول القيام بمحاولات تهدئة في المنطقة. طبخت مشروعاً. هناك أطراف لا تستطيع أن

تتحدى أمريكا، فتتظاهر بأنها تفعل شيئاً وهي لا تفعل أي شيء. ولا نزال في مسرحية عبثية مثل «بانتظار غودو»، الناس «رايحة جاية»، إنما لا أحد يقف ويسأل نفسه هو ذاهب إلى أين؟ وماذا يريد؟

هناك هستيرية حركة في العالم العربي لكنها حركة لمجرد الحركة وكلنا نسير وراءها.

● **«الصياد»: قبل إجراء الحديث، قلت لي أن المسائل وصلت إلى القاع، فكيف تتصور هذا القاع وإلى أين سيقودنا؟**

■ محمد حسنين هيكل: الغريب أنك أنت اللبنانية تسألين هذا السؤال حيث المسائل وصلت إلى القاع. المتحاربون أو أطراف النزاع في لبنان ليسوا الدولة اللبنانية، إنما الطوائف، الدروز والشيعة وسكان قرى الجنوب من غير تنظيم، الكتائب والقوات اللبنانية حتى أن الغطاء الدولي رحل وصارت الصراعات والمعارك على مستوى القرية، وعلى مستوى الارتباط المحلي والعشائري والقبلي والطائفي. هنا وصلنا إلى القاع أم لا... لهذا أقول أن الأمريكيين وغيرهم استطاعوا التعامل مع البنى العليا في العالم العربي، لكن عندما انكشف قاع هذا العالم صعب عليهم التعامل معه. فخرج الجميع لأنك فعلاً وصلت إلى القاع، إلى العظم. أنا لم أكن أتمنى أن يصل العالم العربي يوماً إلى القاع.

● **«الصياد»: يعني لبنان فقط هو الذي وصل إلى القاع؟**

■ محمد حسنين هيكل: العالم العربي كله سيصل إليه. فهو أمام مشاكل غريبة جداً... سأعطيك نموذجاً. أنا في حالة ذهول من الموقف الذي يتخذه العالم العربي تجاه الحرب العراقية ـ الايرانية. أنا لا أناقش أسباب الحرب، قضية انتهى وقتها.. إننا أمام واقع يقول أن الدولة القومية في العراق مهددة.. لقد جاء وقت كنت فيه متحمساً للثورة الايرانية، لأنه كان هناك إنسان، واندفاعة وبشر. ثم جاءت الحرب. لكل حرب في الدنيا هدف، إنما أول مرة في التاريخ أجد أن مسؤولاً وضع هدفاً له وهو إسقاط حاكم معين، بالاسم وبالتحديد، ومع ذلك ليس

هذا هو الموضوع الذي يهمني. ما يخيفني جداً في هذه الحرب المستمرة هو التالي: تقول إيران أنها تريد دولة إسلامية يعني دولة شيعية. أتلفت وأجد أن الدولة القومية العربية انفك تماسكها وأجد البعض نزح إلى مكان آخر، والفريق الثاني انضم إلى دولة أخرى. أي ضم وسلخ. إذا حصل، قولي لي، من سيقف بوجه هذا الخطر الذي سيتمدد حتى البحر الأبيض؟ إذن سنعود إلى دول الطوائف. إني أنظر إلى العالم العربي ولا أعرف ماذا يفعل في هذه الحرب. إنه لا يفعل شيئاً. كما أني أرى دولاً عربية تساعد إيران. اسأل ما هو الهدف؟ بعض الدول العربية تقول: الحق على من بدأ الحرب. هذا لا يهمني، القضية قضية بلد يجب أن يكون هناك تصور، كل الناس في العالم يتحركون وفق تصور محدد. من هو الذي تكمن مصلحته في تفكيك الدولةالقومية في العراق؟ ثم ما هو تأثير تفكيك هذه الدولة على كل دول منطقة الهلال الخصيب، وما تأثير هذا على شبه الجزيرة العربية؟ ثم ما تأثيره على مصر؟ ومع ذلك العرب جالسون، يتعاطون مع هذه الحرب بدفع الفلوس أو بيع السلاح. لكن إلى أين هم ذاهبون؟ لا أحد يطلب منهم أن يذهبوا ويحاربوا إلى جانب العراق، إنما، إنما لو استطعنا تحريك قوى قادرة على إيقاف هذه الحرب، وأتصور وجود قوى قادرة نكون قد حققنا الكثير. وفي هذا المجال تريني أخشى من القول أنه عندما بدأت هذه الحرب كانت هناك أطراف عربية سعيدة بها. ولن أنسى أبداً قول أحد المسؤولين العرب لي في عاصمة عربية عندما بدأت الحرب: «وربما تموت الأفاعي من سموم العقارب» أي فليأكل الطرفان بعضهما بعضاً... وماذا بعد؟ انظري البلادة عندنا. انظري ما يحصل في الخليج، وما يحصل في بلدك لبنان، ثم لا يتحرك أحد...

● **«الصياد»: أحب أن نتكلم قليلاً عن الرئيس جمال عبد الناصر. لقد تحدثوا كثيراً عن علاقته بأمريكا، وكانت كل قصة تناقض الأخرى. أنت أشرت مرة إشارة عابرة إلى هذه العلاقة. فهل نستطيع أن نعرف بوضوح أكثر كيف كانت.**

■ محمد حسنين هيكل: أية علاقة؟ جمال عبد الناصر رجل في منطقة معينة، يرى ما حوله ويدرك ضرورة أن يتعامل مع قوتين. عنده علاقت بالاتحاد السوفياتي

وأخرى بالولايات المتحدة. طوال عمره، لم يرتبط جمال عبد الناصر بعلاقة أحدية مع أحد، حتى في حرب ١٩٦٧، وحتى وهو يعلم مدى التورط الأمريكي مع اسرائيل، كان داخلاً في اتصالات معها ويتكلم ويدرك ببساطة، أن أحداً غير قادر على مخاصمة قوة عظمى.

العالم الدولي لا يقوم على علاقات خصام التي قد تنفع في بيوتنا، ولكنها غير ممكنة على مستوى الأمم والشعوب.

بعد الثورة مباشرة جرى أول اتصال بيننا وبين الأمريكيين، في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٥٢ وصرنا نتكلم معهم. جاؤوا وكلمونا بموضوع الدفاع المشترك، فقلنا لا ندخل في دفاع مشترك إلا عندما يخرج الانكليز. ولما خرجوا قلنا لا ندخل. قدموا مشروع ايزنهاور. وهكذا كان بيننا وبينهم علاقة صراع طبيعية، لأن الظرف الذي كان في المنطقة أدى إلى هذا، كنا ننسلخ عن الانكليز والفرنسيين الموجودين في المنطقة، وفي نفس الوقت كانت لنا علاقة مع الاتحاد السوفياتي، ونحاول أن نشد به لكي نؤمن توازناً استراتيجياً في المنطقة عبر تواجد شرعي.

● **«الصياد»: قال البعض أن أمريكا توسطت ما بين عبد الناصر واسرائيل.**

■ محمد حسنين هيكل: كلام.. مع الأسف الشديد، لقد قرأت كل الذي كتب، لكن لا يوجد أحد، قال مرة أنه سمع شيئاً، من جمال عبد الناصر. قالوا أموراً مختلفة. واحد قال أنه رأى الدكتور أحمد حسين في أمريكا وتكلم معه، وقال آخر أنه قابل الدكتور محمود فوزي.

يجب أن تضعي في ذهنك أمراً واضحاً جداً وهو أن جمال عبد الناصر رجل رأى مشكلة اسرائيل بالعين المجردة، وهو ضابط في فلسطين لكنه أدرك أن هذه المشكلة ليست في قوة اسرائيل وإنما في ضعف العرب. وبالتالي عندما استلم الحكم، كان همه في الدرجة الأولى إعادة بناء مصر، وثانياً توحيد العالم العربي. وأعطى لذلك أولوية على مواجهة اسرائيل. اسرائيل كانت ترى هذا كله، ولهذا شدته إلى معارك معها.

المرة الوحيدة التي ظهر لدى اسرائيل احتمالات نوايا صادقة، كانت في فترة

موسى شاريت. لقد تصور شاريت أن الانقسام داخل اليهود لا علاقة للعرب به. فالانقسام في الحركة الصهيونية موجود باستمرار. فهناك قسم قال: ممكن التفاهم مع العرب على حدود معينة نجلس داخلها. وقسم قال أن أرض اسرائيل من النهر إلى البحر.

موسى شاريت من مدرسة الذين تصوروا أن حدود ١٩٤٨ «حدود نجلس داخلها ونحاول التفاهم مع الذين حولنا». حاول أن يتوصل إلى اتفاق بهذا الشأن فوسط أناساً من الكويكرز. . وبين الذين كتبوا وتوسطوا لم يقل لي أحد وأنا شاهد على كل شيء، أن جمال عبد الناصر تكلم بهذا أو بذاك. لكنني أقدر على أن أقول أمراً واحداً، وهو أن جمال عبد الناصر من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٥٦ لم تكن إسرائيل الأولوية الأولى بالنسبة إليه، لأنه كما قلت لكن كان يعتقد اعتقاداً جازماً بأن القصة ليست قوة اسرائيل، إنما ضعف العرب بالدرجة الأولى هل تعرفين أنه بعد سنة ١٩٥٢ خفض جمال عبد الناصر خمسة ملايين جنيه من ميزانية الجيش، وكل الأموال المصادرة من أسرة محمد علي، على سبيل المثال، راحت كلها لبناء الوحدات المجمعة في الريف لأنه كان يتصور أن المسألة هي بأن اسرائيل عندها كيف قادر، ونحن عندنا كم غير قادر. فإذا حولنا الكم إلى كيف نكون قد فعلنا شيئاً مهماً.

هو كان قد رأى المعركة الحربية، ورجع بهدف محدد يقوده إلى أن القضية ليست قضية حرب في اللحظة الراهنة، بل قضية أن يعاد بناء الكم المصري ليصبح كيفاً مصرياً، وتبقى له قيمة كيفية، ثم يضاف إليه كم عربي وكيف عربي أيضاً.

وظلت اسرائيل بعيدة عن أولوياته حتى حرب السويس.

وأنا لا أقول هذا من باب الدفاع، أو لأقول أنه لم يتصل، لا بالعكس، فلو رأى عبد الناصر فرصة لما تردد. وأعطيك مثلاً، حتى أبرهن أنه في هذا الموضوع كان مرناً.

عندما عقد مؤتمر باندونغ سنة ١٩٥٥ اتصلت اسرائيل بالدول الخمس التي اجتمعت في كولومبو لتحضير المؤتمر، فقالت هذه الدول أن اسرائيل دولة اسيوية

ويجب أن تدخل. عبد الناصر اتصل وقال: هذا مستحيل، إذا ذهبت اسرائيل للمؤتمر فأنا لن أدخل. فأرسل له سوكارنو ونهرو واونو يطلبون منه تحديد موقفه وأن يقول ماذا يريد. وتلاحظين أنه ذهب إلى مؤتمر باندونغ وقال: «نحن نقبل بقرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة». وكان يعتقد، على أساس تعديل برنادوت، أن النقب تبقى منطقة عربية، وبهذا الشكل لا تبقى اسرائيل عازلاً برياً بين الدول العربية، بل يبقى هناك خط مفتوح، المغرب العربي كله متصل بالمشرق العربي، ومن ثم تقسيم الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧.

اذن، أعلن عبد الناصر موقفه، ولو قبلت اسرائيل لحصل شيء ما، وهذا لم يكن سراً كان موقفاً علنياً، لأنه عندما طلب منه سوكارنو ونهرو واونو أن يحدد موقفه قال: أنا ذاهب لأقول ما أريد. ذهب ووقف وقال: «أقبل قرار التقسيم للجمعية العامة سنة ١٩٤٧ بتعديل برنادوت». وهذا لم يكن سراً.

● **«الصياد»: لاحظنا أن كثيرين كتبوا مذكراتهم على أساس علاقتهم بعبد الناصر، فهل كان عنده الوقت الكافي ليصرفه في مناقشات مع أفراد حتى ولو كانوا مسؤولين؟**

■ محمد حسنين هيكل: سأقول لك شيئاً، كنت أتمنى لو أن أحداً من هؤلاء كتب وجمال عبد الناصر ما زال حياً. المشكلة أنني أقرأ وأفاجأ. لن أقول أسماء، إنما أخبرك أنني قرأت كتاباً كاملاً لأحدهم كتبه عن عبد الناصر، وأنا والله العظيم، أعلم يقيناً أن علاقته بعبد الناصر كانت عشر دقائق فقط(. . . . .).

أتمنى أن يجرؤ أحد ويقول: «وقد نشرت هذا في حياة عبد الناصر» لكن. . تعرفين، عندنا النقل عن الأموات سهل. . كل زعيم في التاريخ روي عنه بعد مماته أكثر بكثير مما يمكن يكون هو قد قاله في حياته، لو كان جلس متفرغاً طوال عمره، أي لم يعمل أي شيء سوى الكلام مع هؤلاء. . . «مش معقولة»!

● **«الصياد»: لماذا حصل هذا مع عبد الناصر؟**

■ محمد حسنين هيكل: لأن التجارة كويسة. . . كل واحد يعطي نفسه المصداقية ويروي حكايات. لا أعتقد أن هناك شكاً في أنني كنت أعرف عبد الناصر، وكانت

العلاقة موجودة وهو موجود. لم تنتحل بعد رحيله. وأعتقد أنني رأيته أكثر مما رآه أي إنسان آخر. ومع ذلك أقرأ أموراً غريبة عنه. في وقائع أنا حضرتها ورأيتها بعيني، فجاءت في كتب المذكرات صوراً متناقضة، ويسأل بعدها القارىء: الله. . . من هو جمال عبد الناصر هذا؟

هذا هو الخلط. . . وليس عبد الناصر كما قلت وحده الذي تعرض لهذا كله، كل واحد في التاريخ من الأنبياء حتى القادة. هل تعرفين قصص جحا؟ ربما كان هناك رجلاً اسمه جحا، لكن كمية ما نسب إليه جعلته غير واقعي، جعلته حكايات. نحن في العالم العربي «شطار قوي» بالحكايات فنحن أصحاب ألف ليلة وليلة وعنترة ابن شداد. . . يعني أننا قصاصون جيدون. لكن المشكلة التي نعاني منها أنه في السياسة كتاب قصة، وفي القصة ساعات نحاول أن نعمل سياسة!

● **«الصياد»: ما هي أصعب لحظة مر بها الرئيس جمال عبد الناصر، ومتى شعر أنه مضطر لاتخاذ أصعب قرار؟**

■ محمد حسنين هيكل: أنا أعتقد أن أسوأ وأصعب يوم في حياة جمال عبد الناصر كان مساء يوم ٦ حزيران (يونيو). كان ذلك أصعب يوم لأنه دخل معركة ٦ حزيران (يونيو) على حسابات معينة، وهي أن الخطة «قاهر» موجودة. وأنه إذا لم يكن في استطاعة القوات المسلحة أن تتقدم، فهي في كل الأحوال قادرة على تنفيذ الخطة «قاهر» وهي التمسك بخط الحدود المصرية كخط أول، أو خط المضائق كخط ثان ولم يكن عنده أدنى شك بذلك. أيضاً، كان يعتقد أن المعركة الدفاعية هذه ستستمر وقتاً كافياً جداً لغاية ما تتحرك موازين عالمية كثيرة ـ وفي كل الأحوال لم يكن يتصور أن خط المضائق طبقاً للخطة «قاهر» يمكن اختراقه. وبالتالي، يوم ٥ حزيران (يونيو)، في الليل شعر بضربة الطيران ثم عرف أثرها، إنما بقي عنده أمل بأن القوات البرية، حتى بدون غطاء جوي، تستطيع إكمال معركتها الدفاعية طبقاً للخطة رغم أن الظروف صارت صعبة. لكن على باب يوم ٦ حزيران (يونيو) في الليل عرف أن أمراً بالانسحاب من سيناء قد خرج من القيادة ـ هو كان يشعر أن وجوده في القيادة يمكن أن يربك القادة العسكريين، ويمكن أن يشجع أطرافاً

سياسية على التواجد هناك، ففضل أن يعود ويتابع التحركات السياسية ويترك القادة العسكريين لأنه تصور أن الخطة قائمة - إذن، يوم الثلاثاء ٦ حزيران (يونيو) عند الظهر الطيران ضرب، ثم الخطة «قاهر» لم تنفذ، وفي الليل صدر أمر انسحاب عام من سيناء، رأى عندئذ حجم الكارثة، وأنا أعتقد أن هذا كان أصعب يوم في حياته.

● «الصياد»: وما كان أصعب قرار اضطر لاتخاذه؟

■ محمد حسنين هيكل: كل قرار بالنسبة إليه كان صعباً. أصعب قرار؟ بعد عام ١٩٦٧ كان هو متعهد قضية الجيش، وإعادة بناء القوات المسلحة. وكان يعتبر إزالة آثار العدوان الهدف الأساسي. وحقيقة، عندما جاء وقرر الاستقالة، كان فعلاً يريد أن يستقيل، لكن لما رأى تمسك الناس به، بقي وشعر على أي حال كم هو مسؤول. فكانت ادارته الأولى قيادة الجيش.

أصعب القرارات في اعتقادي كانت تلك المتعلقة بالشباب الذين يذهبون بإذن منه في عمليات داخل سيناء أو داخل اسرائيل، وهو يعلم أن نسبة العودة فيها ضئيلة جداً..

في تلك الفترة كنت أراه. كيف يمكن أن تتصوري انساناً لا ينام إلا عند الفجر، لأنه يريد أن يطمئن إلى أن الدوريات رجعت. فآخر خبر يتلقاه قبل أن يحاول النوم كان من الذي عاد، ومن الذي لم يعد... كان هذا صعباً جداً!

وكانت الحياة الإنسانية عنده غالية جداً. هو لم يكن غريباً عن السلاح، ولم يكن غريباً عن جو المعارك، وعن الضابط والعسكري. مثلاً كان حافظاً مجموعة أسماء هذه الفرق... وكان معجباً بضابط اسمه إبراهيم الرفاعي، كان قائد صاعقة، بعد ذلك، مع الأسف قتل في الثغرة، مات رخيصاً جداً، كان هذا الضابط من أشجع الناس الذين عرفهم العالم العربي، وتقريباً كان هذا الشاب يذهب كل ليلة إلى داخل سيناء وراء القوات الاسرائيلية، وكان جمال عبد الناصر يومياً - وأحمد صادق موجود، وكان مدير المخابرات وقتها، ورئيس أركان حرب المسؤول عن عمليات حرب الاستنزاف التي وراء الخطوط الاسرائيلية - كان عبد الناصر يعرف بالاسم المجموعات الداخلة وكان يسأل: ابراهيم رجع، ويأتيه الجواب:

رجع. ويسأل: كويس؟ ويقولن له: كويس. . . كيف بامكانك أن تتصوري حالة إنسان عند الفجر، ينتظر دوريات عائدة، أحياناً تفوق العشر دوريات والمناطق مكشوفة في سيناء ومحاولة الاختباء فيها صعبة جداً. تصوري إنسان عند الفجر ينتظر عودة الذين كتبت لهم الحياة، والذين سرقهم الموت؟ عندما كان يطفىء نور غرفته لينام، كان يفكر بالذين رحلوا تلك الليلة. . .

● **«الصياد»: لو أن الرئيس عبد الناصر جاء في ظروف مرحلة مرتبطة بـ «كامب دايفيد»، كيف كان سيمارس سلطاته؟**

■ محمد حسنين هيكل: هذا نوع من الأسئلةأجد صعوبة جداً في الإجابة عنه. لأنك تضعين شخصاً معروفاً أمام احتمال مجهول. لو أن جمال عبد الناصر مع هذه الظروف. أنا لا أعرف ما كان سيفعل، إنما في الدور الذي يقوم به كل إنسان إجابة عن سؤال محدد. ولكن في سؤالك غلط رياضي، لأن هناك كماً معلوماً وكماً مجهولاً. مثل عمليات القلب، تنفع أو لا تنفع، لا أعرف. . لو كان الوضع معقداً كما هو الآن؟ جمال عبد الناصر جاء أيضاً في وضع معقد، إنما في ظروف أخرى مختلفة، لكن إذا أخذت فقط درجة الاستعداد، فأنا أتصور أنه كان يمكن أن يفعل أموراً أخرى.

● **«الصياد»: كيف كانت نظرته إلى لبنان؟ وهل حصل أن حدثك مرة عن نظرته للعالم العربي بعد رحيله وكيف سيكون؟**

■ محمد حسنين هيكل: كان عبد الناصر يشعر بأنه سيموت باكراً، إذا لم يكن بالمؤامرات فبوسائل أخرى. كان يحب أن يكون صحفياً، وكان يحب الصحافة، وجو الأخبار، وتتبعها والتعليقات. مرات بعد أن ننتهي من العمل في آخر الليل، كنا ندردش. مرة قلت له: أنا أتصور أنه من الضروري أن تكتب سيرة حياتك، وأنا أساعد فيها. فكان يقول لي: لا. . . أنت اكتبها لوحدك. . . سألته مرة عن السبب، فقال لي: محمد الذي يعيش عيشتي من المستحيل أن يكمل. .

هناك فرق بين العبء الملقى على رئيس دولة من دولنا، والعبء الملقى على الرؤساء الغربيين. ريغان في أزمة يصحونه من نومه، أو يلحقون به إلى ملاعب

الغولف أو يجدونه في كاليفورنيا على صهوة جواده. العبء الملقى على رئيس دولة في مثل ظروفنا عبء رهيب!

يتهيأ له، أنه كان عنده الأمل بأن يخوض معركة قبل أن يرحل.

● «الصياد»: **وهل حدد نظرة معينة للعالم العربي؟**

■ محمد حسنين هيكل: في أسوأ لحظات التشاؤم، لأنه كان قلقاً جداً من التأخير في المعركة، وكان يعتقد أن التأخير يمكن أن يحدث تآكلات في النفس العربية. لكن لا أظن أن في خياله خطر له أن يحصل للعالم العربي ما حصل...

● «الصياد»: **كيف كانت نظرته إلى لبنان، هل كان ينظر إليه كنقطة أيضاً أم كبلد؟**

■ محمد حسنين هيكل: الاثنان معاً، إذا كنت تتكلمين على مستوى الاستراتيجية العليا بالنسبة إلى الدول كان يراه نقطة على الخريطة، لكن عندما تنزلين من النقطة وتنظرين إلى الواقع، أقول أن عبد الناصر كان عنده ضعف تجاه لبنان. لأن لبنان كان مسألة مهمة جداً... لا تنسي أن لبنان كان يقوم بدور أهم مراكز التسمع والحركة على المنطقة كلها، وعبد الناصر كان اهتمامه قوياً جداً بلبنان كدور وظيفي. وظل لبنان مهماً بالنسبة إليه خاصة بعدما اقترب عبر الوحدة مع سوريا، ورأى الناس على الطبيعة ورأى الصورة أقرب.

● «الصياد»: **لو أنه ما زال حياً، هل كان حصل ما حصل في لبنان؟**

■ محمد حسنين هيكل: الذي حصل في لبنان هو نتيجة للذي حصل في مصر والذي حصل في مصر كان نتيجته لغيابه.

• مصر تعيش مرحلة انتقالية

عندما انتهى حوارنا مع محمد حسنين هيكل حرص الرجل على وداعنا عند المصعد. ولما طال انتظاره. قال بحسرة أنا لا أريدكم ان تنزلوا السلم. حتى لا تصدموا. وباستيضاحنا السبب المحتمل للصدمة قال: اتعلمون من يشغل الشقة تحتنا؟ قلنا لا، قال هيكل «تحتي الاكاديمية الاسرائيلية في القاهرة» فوجمنا جميعاً.

ساد الصمت لحظات وصل خلالها المصعد. فودعنا الرجل وهبطنا نغادره

• الشراع اللبنانية - ٧ / ٥/ ١٩٨٤ - حسن صبرا

في بداية اللقاء سألته:

● **هل يمكن توصيف الوضع في مصر هذه الأيام؟**

■ كل وضع في الدنيا يمكن توصيفه وهذا امر طبيعي ولا يستعصي على الوصف. ولو جئت تسألني كيف أصف الوضع في مصر اليوم، فاعتقادي أننا اليوم في وضع انتقالي. وأعتقد أنك لو رأيت مصر في الحقبات الماضية، تجد أن هناك مصر العصر الملكي، فجاء عبد الناصر وطرح نقيض العصر الملكي وطرح أفكاراً وأجرى ممارسات وخاض معارك استمرت من أول ٥٢ لغاية ٧٣ . . وأنا أعتقد أن عبد الناصر كبشر، أختفى من على الساحة أو بعد عنها سنة ١٩٧٠، لكن الماكينة التي صنعها وقوة الدفع التي أوجدها بقيت مكملة مسيرتها الطبيعية، في اعتقادي، لغاية ٧٣. ونستطيع أن نقول أن شرعية جمال عبد الناصر عام ١٩٧٣ اكتملت دائرتها وحلقتها، وأنور السادات اكتسب شرعية جديدة في حرب اكتوبر (تشرين الأول) والتي كانت في الواقع نتيجة واستمراراً لدفع وديناميكية عصر عبد الناصر. فجاء أنور السادات ابتداءاً من عام ١٩٧٤ وطرح افكاراً أخرى وممارسات أخرى. وأكمل على هذا النحو. ثم انتهى عصر أنور السادات بحادثة المنصة. وجاء حسني مبارك بعدها، وبدأ ما يمكن أن نسميه عملية مراجعة. . بدأت من ١٩٨٢ ولا تزال مستمرة لغاية الآن.

نستطيع أن نقول ان فترة عبد الناصر كانت فترة طرح لنقيض ما قبل الثورة، وإن أنور السادات جاء وأعلن في البداية أنه استمرار لعبد الناصر، ولكنه لم يستطع أن يكون استمراراً له، ولكنه بشكل أو بآخر تحول الى نقيض له. فأصبح عندنا، كما يقول الفلاسفة وعلماء الرياضة، الفرضية ونقيض الفرضية. ثم جاء حسني مبارك محاولاً أن يعمل معادلة «سنتيز»، لكن أنا اعتقد أنه لا يوجد شيء اسمه «سنتيز» في

هذا الموضوع وفي التاريخ. . ! بل هناك شيء واحد، هو ان تقيّم عبد الناصر وتقيّم أنور السادات. . فتعرف أين هو الايجابي وأين هو السلبي في جمال عبد الناصر وفي أنور السادات، ثم تخرج بشيء.

ومع الأسف الشديد، لم تحصل عملية التقييم هذه، وبالتالي لا نزال في مرحلة قلق، فيها موازنات تستطيع أن تقول أن بعضها محرج، ولكن لم يصل أحد ـ في اعتقادي ـ إلى قرار. .

إذاً، لو سألتني كيف أصف الوضع في مصر، فأنا أعتقد أنه توجد فترة خلط نعيشها الآن، وتوجد فترة بحث في إعماق النفس، وهناك عملية إعادة تقييم، وإعادة تصورات، بل حتى أيضاً هناك إعادة بعث قوى لم تكن موجودة على الساحة، وبالتالي فنحن أمام مرحلة نستطيع أن نصفها بأنها مرحلة انتقال ومرحلة إعادة بحث في أعماق النفس، ومرحلة البحث عن الطريق. . لكن هذه العملية لا تزال مستمرة. . إذاً لا وصف للمرحلة التي نعيشها الآن.

● **المرحلة الانتقالية هي مقدمة الى شيء ما سيحصل. . ما هي ملامح المرحلة القادمة؟**

■ حتى هذه اللحظة أنا لا أعتقد أنه توجد ملامح ظهرت. ولكن استيطع أن أقول أنه توجد ايماءات، فعلى سبيل الماثل، لا أستطيع أن أغفل إشارات الرئيس حسني مبارك المتكررة الى العدل الاجتماعي. . فهذه إيماءات. . ولا أستطيع أن أغفل إيماءة الرئيس حسني مبارك حينما وقف في البيت الأبيض وقال أنه لا بد من حقوق للشعب الفلسطيني، وكذا وكذا وكذا. . . إن هذه هي وقفة مهمة جداً. . ولكن تبقى في حدود الإيماءة، ولم تتحول الإيماءات بعد الى سياسات، ولا حتى الى ملامح! إذاً هي إشارات للمرحلة الحالية، مرحلة الانتقال إعادة التفكير وإعادة البحث وإعادة التصور، لكن هناك إيماءات موجودة لم تتحول بعد الى سياسات، أو على الاقل لم يظهر لها أثر بعد على السياسات. ولم تبرز بعد كملامح محددة وواضحة القسمات. . لكن توجد إشارات وإيماءات. وهذا يدخل ضمن الاطار العام وضمن الصورة كلها. وكل من فيها وكل ركن فيها يبحث عن مكان بالضبط في الصورة والخريطة.

● البعض يعتبر أن طبيعة الرئيس حسني مبارك كقائد للسلاح الجوي أو كطيار، يحاول أن يحدد ملامح الهدف قبل الأقتراب منه. هل تعتقدون أن هذه الإيماءات هي جزء من عملية جسّ النبض واستكشاف الهدف قبل الانقضاض عليه؟

■ تجربة الرئيس حسني مبارك كطيار تجربة مهمة جداً، لكن أنا لا أظن أنها بالضبط مفتاح تستطيع أن تأخذ منه توجهه السياسي. . في العمل السياسي لا توجد عملية انقضاض. وممكن أن تجربته كطيار تستطيع أن تعطيه القدرة على الرؤية الشاملة، وعلى رؤية أفق بكامله، وهذا مهم جداً. . وممكن أن تجربته كطيار تستطيع أن تعطيه الاحساس بعنصر الأمان. فالطيار في الطبيعة يطير وهو معلق في الهواء. . وممكن أن تعطيه الأحساس بأهمية عامل الأمان وتعطيه أهمية استكشاف أفق أوسع أمامه، وهذا مهم جداً. .

لكن في السياسة لا يوجد انقضاض لسبب أساسي، هو أن بين الطيار وبين هدفه لقاءاً مباشراً، وقد تكون هناك نيران من العدو. لكن في السياسة انت تتعامل مع قوى إجتماعية في الداخل، وتتعامل مع قوى إقليمية في الاقليم، وتتعامل مع قوى دولية، ومع مناخ عام، وأحوال نفسية، ومع تاريخ وجغرافيا، ومع غد وأشياء غير مرئية وإنما هي محسوسة.

فالطيار يطير الى هدف معلوم، ومشار إليه، وهو يعرف ماذا سيضرب بالتحديد، فأصابة الهدف تصبح واضحة أمامه، والغرض يصبح واضحاً أيضاً. أما في السياسة فتتعامل مع معانٍ. فعندما نقول: تاريخ. . ما هو التاريخ؟. . أين هو التاريخ؟. . أنت لا تستطيع الامساك بالتاريخ، ووضعه على خريطة. . بل تستطيع أن تحس بفعله في كل لحظة. لكن لا تستطيع ان تحدد له مكاناً على وجه التحديد، وعلى وجه اليقين، اليس كذلك؟!. . . فعندما تأتي للتكلم عن الجغرافية أو عن قضية الانتماء، فالانتماء هذا هو ممارسة يومية وليس عملية إصابة هدف. . فتجربة حسني مبارك كطيار تجربة ممكن أن تنفع. . ولكن أنا أعتقد أن أهمية تجربته، هي ليست في أنه طيار. . بل أعتقد أن تجربته هي عنصر مهم، ليس كطيار، ولكن كمواطن مصري. . كمواطن عاش الخمسينات وعاش

الستينات وعاش السبعينات واقترب منها. وفي هذا كله أتيح له أن يرى ويبصر، وأن يتعرض لما هو حوله في المجتمع.

إذاً الظاهرة التي تهمني فيه ليست في كونه في يوم من الأيام لبس البدلة الزرقاء الخاصة بالطيارين، وعليها الأجنحة، وما إلى هنالك ولكن ما يهمني هو أنه وهو شاب، عاصر الخمسينات والستينات وشاهد خلالها المد الثوري والحركة العربية العامة والتحول الاشتراكي والتصنيع في مصر. إلى آخره..

في الخمسينات والستينات حضر عمليات ضرب الجيش، وهو كان موجوداً كطيار.. وحضر العملية المهمة جداً لمقاومة من قوى كبرى جداً جداً.. مقاومة أن تكون لمصر قوة فاعلة ومؤثرة، وهذا ما رآه بعينه هذه التجارب التي رآها كإنسان، تعنيني جداً أكثر من كل تجربته كطيار، في ما عدا ما أشرت لك إليه من قدرته على الاستكشاف البعيد، وعنصر الأمان والرؤية الواسعة.. إلى آخره..

● **هناك مسألتان طرحتهما استاذ هيكل في الاجابة: أولهما هو أنه في السياسة ليس هناك انقضاض، وهذا يعادل ما كان يكرره دائماً الرئيس حسني مبارك في أنه لا يحب أسلوب الصدمات. فهل هذه تعادل تلك أولاً؟ وثانيهما، قلت ان الرئيس مبارك هو مواطن في النهاية، وتنظر إليه كمواطن وليس كطيار له بدلة الخ.. فهل هذا أيضاً جزء من الانتماء الى حس اجتماعي معين في المجتمع المصري تبلور خلال الثلاثين سنة الماضية؟.**

■ صحيح أن حسني مبارك وهو موجود في الطيران، كان ضابطاً ملتزماً ولم يُعلم عنه إشتغاله في السياسة، لكن يبقى أنه لا يهمني اشتغاله في السياسة. فأنا اعتقد أن الاشتغال في السياسة، مع الاسف الشديد، قد يكون في بعض الاحيان عبأ على صاحبها وليس ميزة! وإن ما يعنيني فيه ويهمني أكثر فأكثر هو حسه الذي تكلمت أنت عنه كشاب موجود ويشهد مراحل التطور ولا يمكن مهما كان بعيداً عن السياسة أن يكون منعزلاً عن التأثر بها. وأنا أرى بذلك دلائل ممكن أن تطمئن.

ولكن على أي حال، إن ما نراه حتى الآن هو مجرد إيماءات، لأن الظروف هي في منتهى الصعوبة. ونلاحظ أنه من المشاكل التي يواجهها الرئيس حسني مبارك،

ولأسباب مختلفة، لم تجر في بداية عهده عملية تقييم لما تسلمه. فأي واحد في الدنيا يرث أي وضع، أول عمل يقوم به هو أن يرى ما هي التركة التي ورثها. أليس كذلك؟! ولكن أنا لا أعتقد أن هذه العملية أجريت في مصر، سواء كانت بدافع الوفاء أو بدافع الاستمرار أو مهما كانت دوافعها. لكن في النهاية، هو تسلم تركة مجهولة، ولم يحصل أي فرز لها بالقدر الكافي. . وهذه تلقي عليه مسؤوليات لأنه لا يُطالب في ما يُطالب به، للحساب الحقيقي للتركة، ولكن يُطالب بالانطباع العام الموجود عند الناس، وهو أنه «كويس» و«ماشي كويس». . وهذه مشكلة من المشاكل الموجودة حالياً

● عدم العودة الى تقييم هذه التركة، الا يعتبر موقفاً سياسياً، وليس فقط في سبيل الوفاء؟

■ أنا لا أظن أنه موقف سياسي. . أكاد أقول أنني أعتبر ذلك خطأً سياسياً ترتب عليه شيء آخر. . لكن ترتب عليه إحساس متزايد بقضية الأمن. وانتبه جيداً الى أنه لم يرث موقفاً طبيعياً. صحيح أنه كان موجوداً. ومشاركاً في الساحة وواقفاً على المنصة التي حصل عليها ما حصل. وبالتالي رأى صورة ما كان جارياً. . رأى عاصفة النار التي كانت موجودة. وقد تكون اعطته كطيار، إحساساً بالخطر أكثر منه بالموازنة السياسية. وبالتالي أنا لا أعتقد أن ذلك هو اختيار سياسي. . ممكن أن يكون إملاء ظروف. لكن الأمر كان يقتضي أن يقوم بتقييم بعد سنة. . ولكن ذلك لم يحصل. .

● ودافع الأمن؟

■ قد يكون أضيف الى دافع الأمن، أن ذلك فات وقته ودافع الرغبة في الاستمرار، وأن الصحة المصرية كانت تتغير. .

● هناك من يعتبر أن للرئيس حسني مبارك رأياً في موضوع الحركات الاسلامية قبل حادثة المنصة. كان لديه الاعتقاد بأنه يجب مواجهة هذه الحركات قبل استفحال أمرها؟

■ أنا درست هذه القضية حين كنت أعمل في «خريف الغضب». وأنا أعتقد بأن الرئيس حسني مبارك كان عنده من الالتزام ومن الانضباط ما يجعله يعمل ضمن

رؤية أنور السادات كمساعد تنفيذي له، دون أن يكون بالتحديد، متبنياً هذه الرؤية. ممكن أن إخواننا يبنون اعتقاداتهم هذه على أساس أن الرئيس حسني مبارك كان هو المسؤول عن اللجنة التي تولّت أجراءات ما قبل سبتمبر (أيلول). لكن أنا اعتقد أن هذا يدخل ضمن إطار العمل التنفيذي أو المسؤولية التنفيذية، وليس في إطار الاختيار السياسي. فلا أستطيع أن اتكلم عن اختياره السياسي. لم أر أمامي في كل الاوراق التي قرأتها وكل المتابعة التي حاولت أن أقوم بها للموقف وللصورة كلها، ما يدل على أن الرئيس حسني مبارك كان يرى موضوع ملاحقة الجماعات الدينية شأنه شأن أي واحد آخر، لأنه حضر اجتماعات نوقشت فيها قضية استشراء ظاهرة الجماعات الدينية، واستشراء ظاهرة جمع السلاح واستشراء ظاهرة التدريب. . .

هو حضر هذه الاجتماعات، لكن ليس واضحاً أمامي بالتحديد ماذا كان رأيه في هذا! وفي كل الأحوال، أنا أعتقد أنه كان عنده من الانضباط والالتزام ـ والاوراق تقول ذلك ـ أنه في الدرجة الأولى ينفذ سياسة المسؤول.

● هناك حالة كمون للجماعات الإسلامية حالياً، بحيث تكمن هذه الجماعات حالياً في مصر. هل لهذا الكمون علاقة بما تعتقده انه موقف سابق للرئيس حسني مبارك منها؟

■ لا . . لا أعتقد ذلك بل أعتقد ان هذا الكمون مبعثه غير متعلق بالرئيس حسني مبارك. أنا اعتقد أن الكمون موجودة فيه الجماعات الإسلامية لأسباب، منها أن الجماعات الإسلامية التي كانت موجودة بتفكيرها ـ حتى تنظيمات الجهاد ـ لم تكن تسعى الى مواجهة مع النظام. . بل كانت تسعى إلى تقوية نفسها لكي تبني قوتها، لكي تعيد عن طريقها تشكيل المجتمع طبقاً لآرائها.

لكن الذي حصل، والذي تراه انت كموناً، هو ماذا؟! . . هو في الواقع ليس كموناً. . فالجماعات الإسلامية ضربت في مواجهة استفزاز في سبتمبر (أيلول). وأنا اعتقد أنه لو لم يكن الرئيس السادات استفز قوة كبيرة جداً في سبتمبر (أيلول) ١٩٨١، ما كان حصل ما حصل. . إذاً، ما تراه أنت بادياً كأنه كمون، هو أولاً: لا يوجد عنصر استفزاز. . وثانياً: نشاط عنصر الملاحقة، لأنه بعد حادثة المنصة، من

الطبيعي أن تكون هناك ملاحقة شديدة ومطاردة. . إذاً هما عنصران اجتمعا مع بعضهما: أولاً، الجماعات الدينية وخصوصاً جماعات «الجهاد» بحكم تكوينها، لم تكن تسعى الى مواجهة. بل كانت ستنتظر لكي تبني نفسها كما هي تتصور. . فهي استفزت ولهذا ضربت، فظهر خطرها. والذي يُظهره هو الاستفزاز وليس شيئاً آخر.

ولو تقرأ التحقيقات يمكنك جداً أن ترى ذلك بوضوح فاسأل خالد الاسلامبولي: ما هي الاسباب التي كذا وكذا وكذا؟ . . يجيبك: أولاً . . وثانياً . . ثم في الاجابة الثالثة في كل الاسئلة والاستجوابات، يجيبك. . عملية القبض على علماء المسلمين والصفوة المختارة من أهل الرأي والعقل.

والمحقق يسأله: هل أنت تعتبر نفسك من أهل الرأي والعقل؟ وكيف يجوز لك أن تكفر مسلماً من غير أهل الرأي والعقل؟ فيقول له: عندما ذهبت ابحث عنهم كانوا في السجن كلهم!.

فإذاً من أهم الاسباب أولاً: استفزاز. . وثانياً: ملاحقة. . لكن لو لم يكن الاستفزاز. ما كان حصل ما شاهدتموه. .

● هل يمكن القول بأن طبيعة الاوضاع السياسية في هذه المرحلة هي أنعكاس للأحداث التي تمت في خريف عام ١٩٨١؟

■ أنا أعتقد أن الإجابة عن السؤال الأول تصح على هذا السؤال. . فنحن في ظروف لم يكن لأحد سيطرة عليها. وأنا لا أعتقد أن ما تراه اليوم هو نتيجة لرؤية حل. لكن هو نتيجة تداعيات ظروف وصدامات قوى. وبعضها. كما كنت أشرح حول الجهاد، اضطُرَّا اضطراراً إلى الدفاع عن نفسه. وهذا ليس معناه أن موقفه كان صحيحاً! أنا لا أقول ذلك. ولكنه دافع عن نفسه لأنه هوجم، سواء كان موقفه صحيحاً أم لا. . فهو محرج يدافع عن نفسه.

وفي المحصلة، فإن الموقف الذي تراه اليوم في مصر ليس انعكاساً لرؤية حسني مبارك أو غير حسني مبارك. أنا أعتقد أن الافتراض هو نتيجة صدام أكبر بكثير من أي أشخاص ونتيجة ضياع رؤى. فأولاً جمال عبد الناصر كان يرى بشكل معين وجاء أنور السادات الذي يرى بشكل هو نقيض. . ثم جاءت حادثة

المنصة. . ثم اختبرت أشياء كثيرة جداً، وظهر أن الكلام عن السلام مع إسرائيل هو كلام ضدها. لأن إسرائيل بالطبيعة، هي مجتمع غير قادر على السلام. . قد يكون قادراً على الحرب، ولمدة. . ولكنه غير قادر على السلام إطلاقاً ولا لأية مدة. وأنت عندك لبنان مثلاً على ذلك.

وثانياً، أختبر مقولة الانفتاح. . فهو أتى في ظرف معين في تاريخ البلد حصلت فيه حادثة كبيرة لفتت الأنظار، ثم أن الانفجار الذي حصل لم يكن فقط في المنصة بل أن الانفجار الذي حصل أظهر حقائق كثيرة فالنار التي صعدت من المنصة أظهرت أشياء كثيرة وانكشفت خباياها. . وليس مصادفة بأن تحقيقات المدعي الاشتراكي بطريقة واضحة بدأت تظهر صورة الانفتاح على حقيقتها. وأنا أعتقد أنها لم تكن محاكمة رشاد عثمان، ولا توفيق عبد الحي ولا عصمت السادات. . لكن الواقع كان انكشاف الستار أو ارتفاع الستار أو تمزق الستار، إذا أحببت أن تقول ذلك. عن سياسة الانفتاح. إذاً هناك سياسات ومقولات انكشفت. . وهناك سياسات ضاعت. وهناك أشخاص لم يكونوا موجودين بذاتهم وبصفتهم. وبالتالي خلق كل ذلك فوراً لم يكن موجوداً. فما تراه أنت. لا أعتقد أنه اختيار حل، ولكنه ظرف معين خلقته تداعيات، وخلقته صدامات، وخلقه مناخ وحقائق كثيرة بدأت تظهر. . وهكذا. . فالموجود الان هو ليس رؤية لشيء معين. .

● أليست هناك ملامح معينة مرتبطة بحكم الرئيس حسني مبارك مباشرة؟.

■ تستطيع أن تقول ما هي الملامح الموجودة، والتي قلت لك أن معظمها إيماءات. . ونحن بعدما خرجنا من السجن شاهدنا الرئيس حسني مبارك جميعاً. والذين رأوه كانوا من الناس الذي يتحركون على الساحة فما حصل هو أننا عندما خرجنا من السجن، وذهبنا من دون أن ندري أننا ذاهبون الى قصر العروبة. . فكنا في عربة واحدة كان فيها: أنا وفؤاد سراج الدين وفتحي رضوان وحلمي مراد ومحمد فهيم وآخرون من الأخوان، في عربة «الاكسفورد» التابعة للشرطة. واقترحت ونحن في الطريق أن يتكلم فؤاد باشا بصفته أكبرنا سناً وأقدمنا في العمل السياسي، **نيابة عنا إذا كان الرئيس حسني مبارك سيقول شيئاً. . وفتحي رضوان صحَّح لي**

معلوماتي فقال لي بأنه هو أقدم في العمل السياسي، ولكنه بسبب فارق السن تنازل لفؤاد باشا. . .

فذهب الوفد ليتكلم. . وكان يمثل خريطة القوى التي كانت موجودة في السجن. وذهبنا الى الرئيس حسني مبارك. . فما قال لنا؟ قال:

أولاً، نبتدىء صفحة جديدة، وهذا كلام مهم جداً. .

ثانياً، أنه يريد تعاون كل القوى الوطنية معه. .

وثالثاً، أن ننسى ما فات. .

إذاً، أنت أمام رجل أحب أولاً أن يفتح صفحة جديدة وثانياً يريد تعاون كل القوى الوطنينة معه، وثالثاً أن ننسى ما فات. . إذاً هذه هي في الواقع أول إيماءة، والتي تراها منعكسة على الساحة. . لكن أيضاً أنا اعتقد أن ذلك لم يكن مخططاً، لأن الرجل واجه موقفاً صعباً جداً، ورأى أن الممارسات القديمة ليست ناجحة وليست مؤدية إلى أي شيء. ورأى أن كل القوى الوطنية أو رموزها أو ممثليها، موجودة بعيداً. . فأتى بهم وتكلم معهم. . فبانت هذه الإيماءة. .

فتستطيع أن تقول أنه أولاً، خفض درجة الحرارة، فالموقف في مصر كان ملتهباً. وثانياً، أدرك أن الجزء الكبير جداً من القوى المؤثرة على الساحة موجودة في السجن وأنه لا يستطيع ان يكمل طريقه هكذا، فبالتالي رأى أنه عليه الاتيان بها. . إذاً إحساسه ببساطة أن التركيبة التي كانت مركبة به غير كافية. . وإن هؤلاء الناس لهم مكان بشكل أو بآخر.

هذه أول الأشياء التي تنعكس وتتمثل بها شخصيته بأنه أدرك بسرعة أن الموقف القديم غير قابل للاستمرار. . وأدرك بسرعة أنه لوحده وأنه يريد تعاون كل القوى الوطنية معه. . هذا هو الشيء الجديد الذي اضافه. وأنا استطيع أن أقول أن حسني مبارك:

١ ـ خفض حرارة المريض.

٢ ـ سمح بمشاركة أوسع، أو ترك المجال أمام مشاركة أوسع لأنه أدرك أن رموز هذه القوى الموجودة، والتي تشكل تركيبة النظام، غير قادرة على الاقل في الوقت الراهن، وبالتالي يوجد ناس آخرون يجب أن يأتوا ويتعاونوا معهم.

أيضاً له في باب الإيماءات، إيماءة واضحة في مسألة الفساد وهذه الاشياء كلها، فتكلم عن الانفتاح وقال أن الانفتاح يجب أن يكون غير استهلاكي وإنما انتاجي. وبدأ يزور المصانع، وهذه مسألة مهمة جداً. وأنا أعتقد أن في ذلك اختلافاً كبيراً عما قبل. فلم يأت بـ «فرانك سيناترا» ويسهر معه. . !! أو يأت بـ «خوليو ايغليسياس». . !! بل إنه يذهب إلى المصانع ويرى العمل ويلتقي معهم. . وكل ذلك يدخل في باب الإيماءات. .

فالتغييرات التي حصلت في الصورة، أنا اعتقد أنها لم تكن مجرد أختيار. واعتقد أن جزءاً كبيراً منها كان طبيعة ظروف أو حتمية ظروف. ولكن مبارك بقي مستجيباً. . فكان يستطيع أن يعالج. وبعض العناصر بعد حادثة المنصة قالوا أن ما سمّوه بثورة ٥ سبتمبر (أيلول) لا تزال مستمرة. . هناك أناس قالوا ذلك. فأدرك حسني مبارك أن هذا الأمر لا ينفع، ويمكن أن كونه طياراً رأى الصورة أوسع مما هي عليه. فخفض درجة الحرارة المرتفعة في المجتمع المصري، فأتى بالقوى الأخرى لكي يتكلم معها، ويطالب بالتعاون معها بشكل أو بآخر. لكن كل ذلك كان «دينامنيكاً» أي من جراء حالة تفاعل ظروف وأحداث معينة.

● اعتادت مصر أن تشهد حالات سياسية تكون فيها السلطة قوية أو المعارضة كذلك أين نحن من هذا الوضع الآن؟

■ إن ذلك هو في النهاية نتيجة صدامات، وليس نتيجة خيارات. فعندما تأتي الازمات في أوقات الرخاء، تكون انت حراً في القرارات. فتعتمد توجهات سياسية وتقوم بسياسات. . لكن في أوقات الأزمات تقوم بعمل ردة فعل، أي ترد على الحوادث. وأنا اعتقد أننا الآن في مرحلة ردود الفعل. فلم يخطط أحد لما تراه الآن على الساحة ثم قال أن هذه هي ديمقراطية. . هذا غير صحيح! فنحن نرى في مصر ظواهر انفراج ديمقراطي، وهذا صحيح ويستحق التشجيع في كل الأحوال.

لكن أنا واحد من الناس الذين يعتقدون أن هذا هو ليس اختيار قرار أو اختياراً بقرار. ولكني اعتقد أنه محصلة ظروف معينة أكبر بكثير من أي قرار. . وأن قيمة القرار السياسي بهذا، أنه أستجاب مع حركة تيار معين، أو حركة تاريخ معينة، ولم

يقف عندها. وفي المحصلة تجد قوى متعادلة ومتوازنة. فلو أتى احدهم يقول لي: أنا لا يهمني كل أصوات الانتخابات القادمة كلها. لكن أقول أن الحالة الديمقراطية أو ما يبدو من بوادر انفراج ديمقراطي ظاهرة على الساحة المصرية، هي نتيجة قوى كثيرة جداً متوازنة في حركتها وقوتها وفعلها، بما فيها قوة جهاز الدولة، وبسبب أنه لا يوجد عنصر قادر أن يحسم نهائياً، فأنت ترى أنه يوجد هذا الانفراج فعلاً.

والفترة القادمة أعتقد أنها أهم جداً من الفترة الماضية.. لأنه بعد الأنتخابات ستظهر أشياء كثيرة جداً، وتتضح أكثر فأكثر. فإذا كانت دينامكية الحوادث في الظروف التي مرت هي التي أملت ظرفاً معيناً، فبعد ذلك سيأتي عنصر الاختيار، أي عنصر القرار. ولذلك اعتقد أن المرحلة الانتقالية تنتهي بعد الانتخابات وليس قبلها.. واعتقد أن الانتخابات هي جزء من المرحلة الانتقالية أيضاً..

● **هناك من يعتقد أنه كلما كانت السلطة قوية وبرزت في مقابلها معارضة قوية في مصر، يحصل الانفجار. هل نستطيع أن نصل الى هذه المرحلة؟**

■ هذا ليس صحيحاً.. فنحن نتصور في بعض الاحيان أنه عندما نتكلم عن الديمقراطية، نتكلم عنها بالمطلق عن مشاكلنا كلنا. وتبرز أكثر للمثقفين أن أمامنا نموذجاً ديمقراطياً في الغرب على سبيل المثال، قادراً وقوياً وملهماً وأنه مثير للاهتمام وجدير بالتمثيل ولكننا ننسى أحياناً أن هذا هو ليس لكي تختاره الناس.. بل هو محصلة لتطورات اقتصادية ـ اجتماعية نشأت في أوروبا الغربية، وفي الملحق التابع لها أي أمريكا، لمدة ٤٠٠ سنة. فتستطيع أن تقول إنه خلال ٤٠٠ بالتحديد بقي التطور الديمقراطي سائراً في أوروبا، لغاية أن بدأ يستقر وتتضح ملامحه، ونقول مثلاً، بعد الحرب العالمية الأولى. ثم سار بعدها ثم استقر وترسخ.

نحن هنا نستطيع أن نقول أن بداية محاولة بناء الدولة الحديثة بدأت منذ حاول محمد علي القيام بمحاولة وضربت، كما نقول إنه حصلت عدة صحوات، ثم جاء جمال عبد الناصر وقام بإنجاز جديد في أعتقادي.

ولكن متى نستطيع أن نقول انه يوجد ديمقراطية مضمونة؟ ومـاذا حصـل في مجتمعات الخارج؟ إن ما حصل في المجتمعات الخارجية، الغـرب مثـلاً، أن القوى الاجتماعية نمت وأضحت قادرة على التعبير عن نفسها، والدفاع عنها وعن مصالحها إلى درجة وجود التكافؤ. فعلى سبيل المثال، لنأخذ حزب المحافظين وحزب العمال في انكلترا، حيث نجد بوضوح أن أحدهما يمثل قوى العمل والآخر يمثل قوة أصحاب الأعمال.

وأريد أن أقول إنه لا يمكن أن تتكلم عن الديمقراطية إلا إذا كنت تتكلم عن أحزاب، ولا يمكن أن تتكلم عن أحزاب إلا إذا كنت تتكلم عن طبقات. ولا يمكن أن تتصور الحزب إلا وهو يمثل مصالح معينة ويدافع عنهـا. لأنـه لا يمـكن أن تجتمع المتناقضات أو المتعارضات في إطار سياسي واحد. وفي النهاية الحزب هو تعبير سياسي عن مصلحة اقتصادية ـ اجتماعية. فإذا كان هناك طغيان لجماعات أو لطبقات، لا يوجد هناك ديمقراطية. فمتى تنشأ الدميقراطية إذاً؟ تنشأ حين يكتمل نمو الطبقات وتصبح قادرة على أن تحمي مصالحها.

نعود إلى النموذج الذي ضربته حول حزب العمال وحزب المحافظين. ولو أننا افتكرنا الانتخابات التي جرت في انكلترا، نجد أن حزب العمال أخذ من نقابات العمال للحملة الانتخابية ٥ ملايين جنيه استرليني، طبقاً لتقدير اللجنة الملكية التي بحثت مصاريف الانتخابات. وتجد أصحاب الأعمال أعطوا لحزب المحافظين ٤ ملايين جنيه، أي أن العمال كانوا أقدر من أصحاب الأعمال، على أن يخوضوا المعركة حتى بسلاح المال.

إذاً، لا يكفي أن نرى نموذجاً، ونعجب به. . أنا أوافق على أن نرى نموذجاً يتكلم عن الديمقراطية ونعجب به. . ولكن علينـا أن ندرك أن هذا النمـوذج هو محصلة وليس بداية. وهو نتيجـة وليس سؤالاً مطروحـاً في الأول. صحيح أننـا سائرون على هذا الطريق، لكن أنا لا اعتقد أنه يمكن أن تقـوم في أي مجتمـع ديمقراطية حقيقية قابلة للبقاء وليست هبة من أحد، وليست منحة من أحد وليست برضى أحد وليست بتطوع من أحداً، إلا إذا كانت تستند على قوى اجتماعية قادرة

على حماية مصالحها، وعندما تصبح القوة قادرة ويوجد توازن في قدرتها، تستطيع أن تقول إنه ممكن أن يقوم حوار ديمقراطي بين القوتين، أو بين القوى المختلفة. ونستطيع ان تقول إنه ممكن للاثنين أن يقبلا بسيادة القانون.

العمال في انكلترا اصبحوا قادرين، واصبح لديهم قوة أصحاب الأعمال نفسها. فإذا كان صاحب العمل لا يستطيع أن يُسيّر مصنعه، يستطيع العامل أن يقفل هذا المصنع انظر إلى ما هو حاصل اليوم في حركة نظام المناجم. قوة العمل قوة ضخمة جداً، في أي مجتمع، وقادرة على أن تقف بوجه اصحاب الأعمال، وهكذا..

وعندما نتكلم عن شرط قيام الديمقراطية في أي مجتمع، أي شرط قيام ديمقراطية قادرة على البقاء، وعلى أن تمارس وعلى أن تؤكد، هو أن تكون القوى الأجتماعية نمت بحيث تستطيع أن تفرض إرادتها وأن تتحاور مع غيرها من القوى دون خوف، وأن تقبل حكم القانون. ودون هذا يستحيل وجود ديمقراطية.

وحين نأتي ونتكلم عن النظام الموجود حالياً، أنا أعتقد أنه توجد مظاهر انفراج ديمقراطي. لكن أخشى أن يكون ذلك ظاهرة وليس مظهراً. ظاهرة مرحلة معينة. واستطيع ان أطمئن عندما اتأكد من أن القوى الاجتماعية في مصر أو في غير مصر، قادرة على أن تقف كطبقات وكمصالح.. لكن عندما أتكلم الآن عن الفلاحين..! من الذي يؤكد سلطة الفلاحين؟!..

جاء جمال عبد الناصر وسبق التطور وقال أن العمال والفلاحين لهم ٥٠٪ ونحن رأينا كيف امكن أن يُهدر ذلك. ونحن رأينا ذلك في الواقع العملي، ولم يعد مؤثراً، لماذا؟.. لأنه لا يكفي أن تقنن شيئاً بنص ورقة أو بنص قانون. في النهاية، القوانين هي تعبيرات عن حقائق اجتماعية - اقتصادية.

وبالتالي، أنا لا أزال أقول إذا سمحت لي بذلك أن الحديث عن أنه إذا كانت معادلة المعارضة قوية جداً فذلك يسبب أنفجاراً، أنا غير موافق عليه.

أنت تجد في بلدنا جهاز الدولة، مع الأسف الشديد، هو الأقوى، والذي يمثل

النظام تقريباً ويمثل استمراريته. لماذا؟! . . أنا هنا أحاول أن أجلس مع أخواننا، وأقول لهم إن هناك ثلاث شرعيات في التاريخ، وسأكون سعيداً لو أن أحدكم يأتيني بشرعية رابعة! . . لا يوجد! . . فهناك شرعية تقليدية قائمة على أساس قبلي أو ديني أو. . إلى آخره. . وهذه أقدم شرعية عرفها التاريخ. . وعندما أتكلم عن شرعية اتكلم على القبول الطوعي والاختياري، بما فيه أن يقبل الواحد منهم أن يذهب إلى حبل المشنقة وواحد يذهب الى الحرب. وهذا يعني القبول وليس الورق، فأي ورق هو كلام فارغ. هذه هي أول شرعية. .

وآخر شرعية، الشرعية الثالثة، هي الشرعية القانونية الدستورية كالتي نراها في مجتمعات الغرب والتي اتفقنا على أنها لا يمكن أن تقوم على أساس قابل للبقاء والاستمرار، إلا إذا كانت مستندة على التوازنات في النمو الاجتماعي والاقتصادي وبالتالي السياسي.

في الوسط، المجتمعات تتحرك بما هو تقليدي أي قبلي أو ديني الخ. إلى ما هو دستوري وقانوني، وتدخل في مرحلة انتقال جهاز الاستمرار في الدولة البيروقراطية، والتي يبرز فيها الجهاز الذي يأخذ في بعض الاحيان في العالم الثالث، دور التحديث والذي يكون في الواقع السلّم الاجتماعي، وهكذا. .

لا تنظر إلى معارضة قوية وحكومة قوية في المطلق. . يجب أن نزيل الواجهات وننظر إلى القوة الحقيقية الاجتماعية والاقتصادية وراء الواجهات.

● **استاذ هيكل. . قلت أن كل حزب لا بد أن يكون تعبيراً عن طبقة أو عن فئة أو عن مصلحة معينة. هل هذا موجود في مصر حالياً؟**

■ أبداً. . وهذا هو الشيء الذي يخيفني. . ولذلك أقول لك إن ما تراه الآن استطيع أن أطمئن له إذا تأكدت أنه يعبر عن قوى. لكن لو أنا اتيت انظر إلى المجتمع المصري، فماذا أجد؟! أجد في الواقع تيارات وليس تعبيرات عن قوى اجتماعية. وهذا ما يخيفني! . . . فلا استطيع أن اتكلم عنه كظاهرة انفراج ديمقراطي، مبعثها ظروف معينة، وتوازنات في القوى وليس في المصالح وبالتالي

فإن هذا يمكن ان يخلق وضعاً معيناً ومؤقتاً، ولحظة معينة من الزمن اذا استطعنا أن نمسك بها أو لم نستطع.

● **قد تتساءل لماذا البعض يرى أن الحيوية السياسية في الشارع المصري لم تكن في قوتها كما هي منذ ٣٢ سنة، هل هذا صحيح؟ وما الفرق بينها وبين ما كان قائماً منذ تلك الفترة؟**

● أنا أقول لك إن هذا غير صحيح، وانا أرى أنه توجد ظواهر حياة في الشارع المصري. ولكن عندما تقول لي عن الحيوية، فأقول لك أنني شاهدت في السويس سنة ٥٦ ما هو أكثر من ذلك. لقد شاهدت فاعلية الشعب المصري في المقاومة وليس فقط الحيوية. . لا تطمئن الى صورة تراها وحاول أن ترى الأصل باستمرار. أي إرجع إلى الاصل لأنه ممكن أن تكون الصور خادعة. وأنا اعتقد بأن فترة السويس كانت أكثر حيوية الف مرة من الآن. . وأنا أدّعي بأن فترة التحول الاشتراكي في مصر مثلاً، وإعلان القوانين الاشتراكية في مصر، كان أكثر حيوية في الشارع المصري.

الذي تراه الآن في الشارع المصري تستطيع أن تقول إنك ترى جزءاً من حيوية التعدد وليس حيوية الشارع. فبلا جدال، يوجد تعددية. . وأنا موافق على ذلك. لكن هل هذه التعددية إذا قستها بالحيوية، هي أكثر حيوية عاشها الشعب المصري؟!. . أنا أقول لك لا. . وهذا غير صحيح!. . أنا أقول أن حيوية الشعب المصري أمام الهزيمة في ٩ و١٠ يونيو (حزيران) كانت أقوى مما تراه الآن. لأن الشعب كان يعرف فعلاً ماذا يفعل. ولكن تستطيع أن تقول، وهذا ظاهرة صحيحة، إنه يوجد مظهر تعددية، وأنه لا بأس به. ولكن لا استطيع أن اقبل مقولتك بأن الشارع منذ ٣٢ سنة لم يكن في حيوية. . لا هذا غير صحيح، فالشارع المصري شهد الحيوية خلال الـ ٣٢ سنة التي تتكلم عنها. . ونحن دخلنا في قياسات غريبة! يقولون لك الـ ٣٢ سنة التي مضت، أي يقصدون سنة ٥٢. . ! وأنا أدّعي بأن يوم ٢٣ يوليو (تموز) كان في حيوية لم يرها قبل ذلك. وأدعي أن يوم السويس

كان الشارع المصري في حيوية أكثر من الآن. وأدّعي أن يوم التحول الاشتراكي وقرارات يوليو (تموز) الاشتراكية، كان الشعب المصري أكثر حيوية. وأدّعي أنه يوم الوحدة كان أكثر حيوية من الآن ايضاً. وأدّعي أنه يوم إتمام السد العالي كان أكثر حيوية كذلك.. وأدّعي أشياء كثيرة جداً.. واتوقف على كيفية النظر إلى الحيوية..! هل هي حيوية صحة..؟!

وإذا نظرت إلى الحيوية على أساس أنها صحة، اقول لك نعم. هذا ظاهر.. وإذا قلت لي أنه يوجد حوار في الشارع المصري، أقول لك هذا صحيح وظاهر.. لكن لا استطيع أن أقبل مقولة أنه منذ ٣٢ سنة لم يكن الشعب المصري في حيوية، فهذا غير صحيح ببساطة!!!

● **هل هذا رد على ما يقال بأن الفترة الماضية كانت فترة انغلاق؟ اظن أنه رد كاف..**

■ أي انغلاق؟!!.. انا في بعض الأحيان أصاب بذهول! قل لي: الانغلاق ماذا يعني؟! فأنا عندما أقول أن الشعب المصري في سنة ٥٦ أمام العالم كله، والعالم كان يقول إن الشعب المصري غير قادر على إدارة قناة السويس، فيها. هل هذا يعني إنغلاقاً؟! وعندما أممنا ما أممناه سنة ٦١، قالوا للشعب المصري: أنت ليس عندك كفاءات تمكنك من أن تدير ما أممته! ومع ذلك أتى ناس بدل الخواجات واداروه بنجاح منقطع النظير! وعندما نأتي الى السد العالي الذي ما زال يعتبر لغاية الآن معجزه في كل أفريقيا، بحيث نتعامل بتكنولوجيا العصر. وبتعاون العالم الخارجي وما الى ذلك..!

يا أخي، السد العالي على سبيل المثال، درسه البنك الدولي والأمريكيون وقالوا إنه شيء عظيم.. لكن عيبه أن الشعب المصري لا يستطيع أن يتحمل تكاليفه الفنية والمالية والهندسية و.. و.. وبناه! حسناً.. قد تقول لي أن الرأسمال الأجنبي كان يشاركنا، فأقول لك إن الرأسمال الاجنبي كان يشاركنا، حيث نكون محتاجين لتكنولوجيا الرأسمال الأجنبي هذا حصل في السد العالي، وفي قطاع البترول، وفي قطاع الكيمياويات.. وكل الكيمياء كانت في مصر بما فيها الأدوية! يا أخي، هل

ننسى أن شركة «فايزر» وشركات سويسرية صنّعت في مصر من سنة ١٩٦٠ و١٩٦١ و١٩٦٢ وحتى بعد قوانين التأميم؟! فيأتون ليقولوا انفتاحاً وانغلاقاً!! حسناً. . ما هو الانفتـاح؟! وهـل الانفتـاح هو أن شارع الشواربـي هو معنــاه التكنولــوجية الخارجية؟!الانفتاح هو أن تجعل مديونيتك الخارجية اليوم زائدة عن ٢٣ و٢٤ بليون دولار! بينما لـم تكن في عهد الانغلاق ـ كما نسميه ـ أكثر من ٣ مليارات دولار ثمن مصانع واسلحة من السوفيات لم نسدد ثمنها بعد.

هل هذا هو الانفتاح؟ أم ماذا! وعن أي أنغلاق يتكلمون؟ «معليش. . ربنـا يسامحك يا أخي».

في الذكرى الرابعة عشرة لرحيل عبد الناصر

٢٣ أيلول ـ سبتمبر ١٩٨٤ .

في يوم كهذا من أيلول ـ سبتمبر كهذا، قبل ثلاث سنوات، كنا نحتفل بعيد الميلاد السادس والخمسين لمحمد حسنين هيكل في سجن ملحق مزرعة طرة، وظللت طوال الوقت أتأمل تعبيرات وجهه عبر قضبان زنزانته المواجهة لزنزانتي، وهو يستمع صامتاً لكلمات المهنئين في أعجب احتفال بعيد ميلاده. ليلتها سألت نفسي: أهي متعة أم عذاب أن يكون الانسان أحد شهود التاريخ من القمة؟

● الموقف العربي ـ ٧/ ١٠/ ١٩٨٤ ـ صلاح عيسى

استقبلني في غرفة مكتبه.

● **قلت: «كل سنة وانت طيب».**

■ قال: لو كان عبد الناصر حياً لكان اليوم في السادسة والستين من عمره فكيف كان سيكون حال الأمة لو لم يمض ـ ككل الأحلام الجميلة ـ قبل الأوان؟

٢٨ أيلول ـ سبتمبر ١٩٨١ قررنا أن نحيي ذكرى رحيل عبد الناصر في السجن نفسه، كنوع من التحدي لكل ما كان قائماً. كان السادات أيامها في عنفوان نهايته، في الصباح علمنا أنهم يعدون معتقل جبل الطور في صحراء سيناء «المحررة» لينقلونا اليه قبل الغروب. كان هيكل يسير في فناء السجن الصغير وحيداً على غير عادته يشبك ذراعيه خلف ظهره، وكنت أطل من شرفة في الدور الأعلى أتأمل مشيته وأحاول أن استنتج ما يدور بين خلايا رأسه من حوار. في الليل تبارى الخطباء يؤبنون عبد الناصر عبر قضبان زنازين السادات. لم أعرف ـ إلا في ما بعد ـ أن خالد الإسلامبولي قد اتخذ ـ في الليلة نفسها ـ قراره بالقتل والاستشهاد، أما محمد حسنين هيكل فكان يتابع بانتباه لا يخلو من شرود ما يقال وكنت أتساءل: أهي متعة أم عذاب أن يكون الانسان واحداً من شهود التاريخ على القمة؟

ليلتها قلت: «سيأتي يوم أسأله عن ذلك».

قلت له:

● **في ذلك الـ ٢٨ أيلول ـ سبتمبر من عام ١٩٨١، وفي جلستك تلك وراء القضبان، فيم كنت شارداً؟ في الخطب التي كان تلقى، أم في الصديق الذي**

كنت في حياته مقرباً مكرماً مسموع الكلمة، فأصبحت بعد رحيله سجيناً، أم في الزعيم الذي كان مجد أمة ووطن؟ ما هي مشاعرك تحديداً في هذا اليوم القريب البعيد؟

أجاب محمد حسنين هيكل:

■ لعلها كانت مركباً من كل هذه المشاعر التي ذكرتها، وكنت منذ بداية اليوم أشعر أن هناك دمعة حائرة تطرق أبواب العين، لكني لم أذرفها ربما لأننا ـ كما تذكر ـ كنا نحيي الذكرى كنوع من التحدي لا من التوجع، ولم يكن يشغلني بالدرجة الأولى ما حدث لي، ذلك أنني كنت قد أخترت موقفي وحددت موقعي. وحتى في حياة عبد الناصر لم يكن الاختيار ككل اختيار حقيقي في حياة الانسان يخلو من مغامرة، فما أكثر الذين هاجموه في حياته، وما أكثر الذين فعلوا ذلك ضد كل الذين كانوا يساندون اجتهاده. وقد كنت أتوقع، منذ خلافي المعروف مع الرئيس السابق أنور السادات. أن يقودني إصراري على موقفي الى السجن، بل لعله تأخر بأكثر مما كنت أتوقع.

وفي لحظة من لحظات هذا اليوم تذكرت تفاصيل اليوم الأخير من حياة عبد الناصر، وتذكرت آخر كلماته في آخر مكالمة تليفونية سمعت فيها صوته: «أنا عايز استراحة طويلة».. وآخر نظرة القيتها على جسده المسجى هي كلها تفاصيل لا تغادر الذاكرة ولا القلب لا في أيام السرور ولا في أيام الحزن.

لكن الذي توقفت عنده ليلتها هو ذلك الحماس الذي دفع الجميع للاصرار على أن يتحدوا كل ما كان يمر بالوطن من ظروف بالاحتفال بذكرى عبد الناصر. فقد كان السجن ـ كما تذكر ـ يضم رموزاً لقوى وطنية عديدة ينتمي بعضها لما قبل ثورة يوليو، وينتمي الآخرون للثورة نفسها. وكان يضم كثيرين ممن اختلفوا مع عبد الناصر، أو اختلف معهم، أو شابت علاقته بهم وعلاقتهم به شكوك وريب وربما صدامات:

كان هناك أخوان مسلمون اصطدم بهم عبد الناصر، واصطدموا به حتى لقد حاولوا اغتياله.

وكان هناك وفديون ينتمون للحزب الذي اتهم عبد الناصر بأنه قد سلب نفوذه التاريخي على الشعب.

وكان هناك يساريون دخلوا السجن في عهد عبد الناصر، وها هم يدخلونه ـ بعد رحيله ـ دفاعاً عن أفكاره.

وكان هناك آخرون ينتمون لمدارس فكرية مختلفة ولاجيال متتابعة.

لذلك استمعت لكلماتهم في تأبين عبد الناصر باهتمام. وكان المشترك ما بين ما تقوله كل هذه المدارس الفكرية المختلفة هو الاحساس بأن الأمة فقدت كثيراً بفقد عبد الناصر، وكان اجتماع هذه الرموز في سجن واحد هو أحد مؤشرات هذه الخسارة. ساعتها أدركت أن هناك «سوء فهم تاريخي»، قد وقع بين هذه القوى كلها وبينها وبين عبد الناصر، وأن هذا قد أضاع على الأمة وعلى الوطن فرصاً لا تعوض. وربما أن هذه القوى أدركت، وعبد الناصر حي وقيادته قائمة، قيمة وجوده وقيمة دوره.. لو أننا جميعاً ـ وهو بيننا ـ أدركنا قيمة الحوار الحقيقي الذي تتفق فيه كل القوى الوطنية والقومية على تشخيص ما كان يواجهه الوطن، وما كان يواجهه من معارك ضارية وحجم القوى التي كانت تأتمر به.. لو أن ذلك كان قد حدث لما ضاعت الفرصة على الوطن وعلى الأمة.

● **من هو المسؤول في رأيك عن ضياع هذه الفرصة؟**

■ كل الأطراف بما فيها عبد الناصر. لقد تعودنا أن نتحدث كثيراً عن أهمية المنطقة، ونتحدث أكثر عن أهمية دور مصر وخاصة حين تجد زعيماً تاريخياً في ظرف محدد، والنتيجة التي تترتب على ذلك والتي أصبحت من المسلمات التاريخية التي لا تحتاج إلى مزيد من الاثبات، بل إن أعداءنا يدركون ويتصرفون دائماً على أساس معرفتهم بهذه النتيجة فيسارعون بشن الحرب الوقائية لذلك فتحوا النار مبكراً على زعامة عبد الناصر، وكانت حرباً مخيفة. ومع ذلك فقد انشغلنا جميعاً، بما فينا عبد الناصر، بردود الأفعال على كل ما هو آني ومؤقت. ولم يقف أحد ليسأل نفسه: «أليس من الواجب أن نطرح تصوراً للعمل الوطني يواجه ما سوف نتعرض له من تحديات، بدلاً من أن ننشغل بالفرع والتفصيل ؟ ».

● **ولكن عبد الناصر كان قد طرح ـ آنذاك ـ مشروعه الأول في كتابه «فلسفة الثورة»، ومعنى هذا أن هناك تصوراً كان مطروحاً على الأقل من أحد أطراف الحوار أو من أقوى أطرافه؟**

■ «فلسفة الثورة» كان محاولة مبكرة جداً لذلك كان تصوراً محدوداً، وضيقاً، فقد كتب في بداية ١٩٥٣، ولم تكن الظروف جميعها واضحة آنذاك. وربما في عام ١٩٥٤ كانت الصورة قد اتضحت أكثر لعبد الناصر، وكان قد وجد أسس مشروعة لكن هذا التصور الذي وجده لم يطرح في اعتقادي لمناقشة واسعة، كما أن الأطراف الوطنية الأخرى لم تحاول بجدية كافية أن تتبين ما يجري خارج صفوفها، بل إن عام ١٩٥٤ كان للأسف ذروة سنوات سوء الفهم والتفاهم الذي شمل الجميع. الأخوان المسلمون الذين كانوا يعتبرون أنفسهم ـ دون وجه حق ـ أصحاب الثورة ويتصرفون انطلاقاً من هذا الفهم فيطالبون بدور متميز سرعان ما قادهم بالفعل ورد الفعل وبتراكم المعارك الصغيرة إلى الصدام مع الثورة.

وهذا هو أيضاً ما حدث مع اليسار الذي لم يكن يتصور أن تقود القوات المسلحة تغيراً اجتماعياً أو تفتح له الباب. لذلك قابل الثورة بتشكك واستراب فيها، وكان هناك كثيرون يتحدثون، آنذاك، عن الليبرالية دون أن يكون هناك طرف موضوعي يتيح الفرصة لليبرالية حقيقية فأي ليبرالية في بلد جائع ومتخلف وتابع؟ لكنهم مع ذلك صادموا بتصورهم واصطدموا مع عبد الناصر به، وهذا ما كان: شغلت كل الأطراف الوطنية بمشاكل فرعية، وانهمكت في معارك جانبية. ومع أن مصر ـ وبالتالي الأمة والمنطقة ـ كانت مهيأة تماماً لحدث غير عادي يجري على مسرحها ويقودها لطفرة تتقدم بها وتنهض، فإن أحداً لم ينتزع نفسه من معارك كل يوم الصغيرة. . . وحتى بعد السويس التي كانت دليلاً لا شك فيه على طبيعة الظاهرة الجديدة التي يمثلها عبد الناصر، والطريق الذي يقود فيه الأمة، فإن هناك أطرافاً عربية ومصرية كثيرة لم تفهم معنى ما حدث ولا مدلولاته اللهم الا حزب البعث ـ رغم أية تحفظات ـ الذي تنبه مبكراً لدلالة دور عبد الناصر فساند بحماس تصديه للأحلاف والنتيجة أن الفرصة الضائعة خطأ اشترك الجميع في صنعه.

● هل تعتقد أن هذه الفرصة الضائعة للفهم والتفاهم المشترك بين القوى الوطنية والتقدمية والقومية، هي العامل الذي ظل يتفاعل حين كدنا ـ بعد ٢٣ سنة من الثورة و ١٤ عاماً من رحيل عبد الناصر ـ نعود الى أوضاع شبيهة بما قبل ١٩٥٢؟

■ لست ممن يؤمنون بأن الظواهر التاريخية يمكن أن تتكرر ولا ممن يعتقدون بأن التاريخ يمكن أن يعود إلى الوراء. ومع ذلك فإذا كان يشغفك أن تعقد مقارنات مع الماضي، فأنا أقول لك أننا ما زلنا نعيش في زمن الفرص الضائعة وننشغل بالفروع عن الأصول. ولو نظرت إلى الساحة الآن لأدركت أن الأمة تعيش في حالة «دروشة» شاملة.

هناك «دروشة» باسم الديمقراطية يتشدد أصحابها وينسون أن الديمقراطية بلا بعد اجتماعي رطانة لا طائل من ورائها.

وهناك من يتدروشون باسم الدين، فلا يرون فيه إلا الحدود ولا يرون فيه شرائع. وقد يبدو ذلك كله عارض صحة، ولكنه في رأيي دليل على الخلل الذي حدث في كل شيء بعد رحيل عبد الناصر الظاهرة والاجتهاد والواقع. والنتيجة المنطقية: الحرب الشاملة التي شنت عليه بعد رحيله بنفس الضراوة التي كانت تشن بها في حياته. إن ضمير مصر وضمير الأمة أصبح مثقلاً بأكاذيب وألغاز ومعميات لا حصر لها. ويكفي أن جيلاً كجيلي مثلاً شاهد ثلاث حقب:

عشنا العهد الملكي، وعهد عبد الناصر، وعهد السادات، وها نحن نعيش في عهد حسني مبارك، وربما كنا ـ على تفاوت إمكانياتنا وقدرتنا على الالمام بحقيقة ما يجري وما كان يجري ـ نستطيع أن نميز بين الأشياء، وربما كانت عناصر كثيرة في جيل الوسط الذي تنتمي أنت إليه قادرة على بعض الفرز والتمييز، لكننا نكاد نصبح من شهود الماضي، أما الشباب الذي تكون وعيه خلال السنوات العشر الماضية أو يتكون الآن، فالأمر بالنسبة له كارثة، فهم قد سمعوا وربما ما يزالون يسمعون ـ ما يؤكد لهم ليل نهار ـ أن تحدي الاستعمار حماقة، وأن الدفاع عن الاستقلال مغامرة، وأن التحرر من التبعية الاقتصادية تجويع وإفقار، وأن الثورة مصطلح يعني: شعب سجين لا عمل لثواره الا أن يحرسوه في سجنه.

والنتيجة أنك أمام إدانة شاملة وكاملة لمحاولة أمة للنهوض وللتحرر، وهي محاولة ذات طابع خاص كانت تستحق عمقاً أكبر في الفهم وفي التقييم، ولكننا، كالعادة شغلنا بالتفاصيل وبالمعارك اليومية ولم نحسن القراءة في ملف التاريخ فانطلقنا نتدروش بالديموقراطية ونتدروش في الاسلام.

● **هل ما زلت تتمسك بمطلبك الشهير الذي رفعته في بداية حملة التشهير بعبد الناصر في عهد السادات، وكررته أخيراً في عهد الرئيس مبارك بتشكيل لجنة تحقق في كل الاتهامات التي وجهت لعهد عبد الناصر؟**

■ بل وألح عليه، فلا أحد يستطيع أن يفتح صفحة جديدة في التاريخ وهو ممتنع عن التصويت على ما سبقها من صفحات وهذا ليس ابتداعاً، فعندما دخلت قوات فرنسا الحرة بقيادة الجنرال ديغول بالى باريس المررة كان أهم وأول ما فعل هو تقريره عن المقاومة الفرنسية للاحتلال النازي. لقد وجد ديغول أن من واجبه أن يطلع الأمة الفرنسية وأكثرها ارتباطاً بماضيها وتعلقاً بمستقبلها لتعرف من قاوم ومن خان، ومن هزم ومن هزم نفسه.

ولماذا نذهب بعيداً في الأرجنتين جاء الحكم المدني الذي أعقب الحكم العسكري، فكان أول ما فعله أن حقق في كل ما جرى في عهد أسلافه. كانت هناك إشاعات كثيرة تملأ الدنيا كلها حول ظاهرة حساسة هي ظاهرة اختفاء عدد كبير من المواطنين الأرجنتينيين. وجاءت نتيجة التحقيق تقول أنهم ٣٥ ألف شاب وشابة، ومع ذلك فهناك من قالوا ويقولون حتى اليوم أن ما حدث في مصر عبد الناصر هو أسوأ مما حدث في الأرجنتين. وعندما طالبت بفتح ملف ما يسمى بقضية «حقوق الانسان» في عهد عبد الناصر التي تكلم فيها كثيرون في حياته، وبعد رحيله، فطالبت بتشكيل لجنة عالمية للتحقيق في هذه القضية وإصدار حكم فيها أو بإحالتها لاتحاد المحامين العرب ليحقق فيها... فوجئت بالمدعي الاشتراكي السابق يقول لي في عام ١٩٧٧ : «أنت تطالب بتدخل أجنبي في شؤون مصر الداخلية» (.)

● ولكن الحكم الرسمي في القضية قد صدر، يا أستاذ هيكل، وما يقال الآن أن الجميع : محمد نجيب وعبد الناصر والسادات هم مرحلة تاريخية ممتدة وتطور طبيعي، وأن اجتهادات كل منهم كانت صحيحة وأن أحداً لم يخطىء على الإطلاق؟

■ لا أعتقد أن هذا حكم في موضوع القضية. أنه حكم بعدم الاختصاص أو بترك القضية دون حل.

● ربما يعتقدون أن هذه مناظرة تاريخية لا تحتمل ظروف الوطن الانشغال بها وأمامه مشاكل معقدة لا حصر لها تتطلب المواجهة؟

■ الحملة على عبد الناصر لم تكن، في تقديري، صدفة، أو حماقة، أو مشورة أصدقاء سوء، فقد تولى أنور السادات الحكم في ظروف كانت هناك قوى دولية وأقليمية تسعى لهدم تجربة عبد الناصر. ومن المؤسف أنه شارك في هذا بصرف النظر عن الخلاف حول ما إذا كان قد فعله بوعي أو بدون وعي. ولم يكن الهدف من هدم التجربة الانتصار في مناظرة تاريخية أو الثأر من خصم عنيد رحل، لكن الهدف كان، بوضوح وصراحة، إخراج الجيش المصري من حلبة المواجهة مع «اسرائيل»، وإخراج مصر كلها من مكانهـا في المنطقـة. والنتيجـة أن الخلل قد أصاب كل شيء، ثم أن المشاكل التي ننشغل بها ليست بعيدة عن الحكم في هذه القضية الهامة، بل ربما كان الحكم فيها هو جوهر متراكم من المشاكل بلا حل. فأنت لا تستطيع أن تواجهها دون تشخيص من أصغر مشكلة إلى أعقدها.

يقولون مثلاً إن القطاع العام الذي بناه عبد الناصر هو الذي خرب الاقتصـاد المصري وعقد مشاكله. حسناً. الميزانية الأخيرة في مصر تقول أن القطاع العام حقق أرباحاً قدرها ٦٥٠ مليون جنيه في حين أن الضرائب التـي دفعهـا القطـاع الخاص لم تزد عن ١٠٠ مليون جنيه، رغم كل ما يقدم له من تسهيلات. ويقولون أن الميزانية الأخيرة تتضمن عجزاً يصل الى ٥,٤ مليارات جنيه، مع أن النـاس كانت تنتظر أن يكون عام الرخاء هو ١٩٨٠، وظلوا يسمعون بعـده أن الاقتصـاد يتقدم وينتعش، فماذا جرى وقاد لكل هذا؟

أليس هذا سؤالاً في صميم ما نعانيه من مشاكل؟ ألا يتطلب فعلاً فتح الملفات وإصدار أحكام على الجميع بدلاً من التسوية بينهم؟

● **هل تعتقد أن تأثير الحملة ضد عبد الناصر على وجدان الأجيال الجديدة أسوأ مما تمر به الأمة الآن من ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية؟**

■ بل جزء رئيسي في مكونات ما نواجهه الآن، بعد أن أصبحت «اللامبالاة» نشيداً قومياً وأدار الناس ظهورهم لما يجري. فقد كانوا يعيشون حلماً كبيراً، وفجأة قيل لهم بالإلحاح كل صباح: «كنتم مخدوعين». . . لقد كان كابوساً. وحين تخلع عن الأمة إحساسها بما أنجزته في الماضي تخلع في الوقت نفسه جانباً هاماً من إرادتها في تحقيق حلم آخر في المستقبل، بل تفقدها ثقتها بنفسها خاصة وأن الحملة انتقلت من الكلام إلى الفعل وتحقق «الكابوس» بدعوى أنه «الحلم» بعد إن انتزعت مصر من مكانها في الوطن الغربي وفي العالم وشللنا من المحيط الى الخليج. لذلك لا تدهش حين تجدنا وطناً عربياً بلا إرادة، ولا اتجاه حركة، ولا تصور، ولا حلم لأننا بلا نقطة ارتكاز.

● **يقولون بأن ثورة يوليو ـ تموز تجربة كانت وانتهت، وأنها أصبحت فعلاً ماضياً قال ما لديه وانتهى. ولذلك يطالبون بنقل الملف إلى دار الوثائق للحفظ . .**

■ الثورة حدث تاريخي لا يتكرر كثيراً. وأنا أعتقد أن الشعب المصري عاش أربع ثورات أو تحولات كبرى في تاريخه الحديث والمعاصر وكانت كل ثورة تنجح تتحول بالطبيعة إلى نظام يبقى ويحتفظ بوشائج قوية أو ضعيفة بالثورة التي منحته مشروعيته. وهذا ما حدث نتيجة لليقظة التي قادها محمد علي الكبير في أوائل القرن الماضي. فمع أنه رحل إلا أن النظام الذي أرساه ظل قائماً في حكم أسرة محمد علي، ولحقته تطورات ظلت تبعد به عن التحول الذي قاده صاحب المشروع الأصلي ومنحه به مشروعية بقائه. لذلك قامت الثورة العرابية على انقاضه كمحاولة أخرى لتحقيق الحلم القومي بالاستقلال والتحرر. ولأنها فشلت فهي لم تترك نظاماً. ثم كانت ثورة ١٩١٩ التي تمخضت عن نظام شبه ليبرالي بعد

أن انتهت هي نفسها باعلان دستور ١٩٢٣ فظلت علاقة الثورة بالنظام تتباعد سنة بعد أخرى، خاصة حين اضطرت للتراجع أمام الانقلابات الدستورية المتوالية حتى تحلل النظام تماماً وانهار وقامت ثورة ١٩٥٢.

وأنا أحد الذين يعتقدون بأن الثورة نفسها كحدث تكاد تكون قد توقفت بموت عبد الناصر. ومعنى هذا أن الحدث الثوري في مصر قد استمر فترة طويلة نسبية، وصحيح أن مبادىء الثورة باقية وحلمها ما زال ملهماً للحاضر وللمستقبل، لكن النظام الذي أنشأته يمر الآن بأزمة عسيرة جداً. فهذا النظام يستمد شرعيته من هذه الثورة ومع ذلك فإن الصحف التي تعبر عنه تعتذر للتاريخ كل صباح عن شرعيتها.

● **ماذا بقي من الثورة تحديداً؟**

■ ثورة يوليو، شأن أي ثورة في الدنيا، كانت تقوم على ثلاثة أجنحة:

جناح الحلم: وهو الجناح الذي كان عبد الناصر يمثله باعتباره صاحب تصور جديد للمشروع القومي يحرك حوافز التغيير والحركة والانتقال والنهضة.

وجناح كانت مهمته تنفيذ مشروع الحلم، وقد تكون من مجموعات واسعة من التكنوقراطيين والبيروقراطيين الذين كانت مهمتهم تنفيذية محضة. وقد دفعوا جميعاً إلى مواقع أكثر تقدماً من انتماءاتهم الطبقية والفكرية، ومن وعيهم بحكم المناخ الثوري العام الذي نشره جناح الحلم في الوطن وفي الأمة.

أما الجناح الثالث، فكان مسؤولاً عن تأمين الثورة.

وبرحيل عبد الناصر مات الحلم وارتفع الضغط عن التكنوقراطيين والبيروقراطيين فعادوا مرة أخرى إلى مواقعهم الفعلية وإلى انتماءاتهم الحقيقية. فوزير المالية والاقتصاد الذي وضع في عهد عبد الناصر مشروعات قوانين التأميم الواسعة عام ١٩٦١ هو نفسه الذي وضع بعد ذلك بـ ١٣ سنة وفي عام ١٩٧٤، قوانين الانفتاح الاقتصادي. ولأن ثورة يوليو، لظروف وتحديات تاريخية، لم تترك للأسف تنظيماً شعبياً يحمي مبادئها، ولأن حلمها قد غاب، فان نظامها الآن يتعرض لأزمة حقيقية ويعتمد أساساً على التكنوقراط ويفتقد للحلم. فإلى أي مدى

تستطيع أن تقول أن هذا الحكم متصل ومنبثق عن الثورة التي أنجبت هذا النظام؟

● **هذا سؤال أرجو أن تأذن لي، يا أستاذ هيكل، أن أعيد توجيهه إليك؟**

■ لهذا طالبت بأن نعيد تقييم الماضي، وأن نحقق في كل ما أثير حول الحقبة الناصرية والساداتية تحقيقاً دقيقاً ونزيهاً ومحايداً، لا أن نكتفي بأن نفتح ورقة من هذا الملف وورقة من ذاك ثم نغلق الملفات ونساوي بين الجميع.

● **الا تعتقد أن انصاف ثورة يوليو مسألة تتجاوز التقييم التاريخي إلى تحديد اختيارات قد لا يكون وضع مصر الرسمية مما يتحملها؟**

■ أن تعرف أين أنت، وإلى أين تريد أن تصل، لا يعني أنك مطالب بأن تحدث انقلاباً في أحوالك في اللحظة والتو، ولكن على الأقل تختار اتجاهك وتعثر على الخريطة التي تقودك في الطريق المجهول ودون ذلك فسوف تتوه أقدامك في ذلك المجهول.

● **هناك فكرة شائعة في الوطن العربي تقول إن المشروع القومي الذي بلغ أقصى حده في عهد عبد الناصر، قد أفلس وأثبت عدم قدرته على تحقيق طموحات الأمة. . فما رأيك؟**

■ أي مشروع قومي يقوم عادة على حقائق تاريخية مؤكدة نشأ عنها، ويستند إلى ثوابت في حياة الأمة. ولسنا في حاجة إلى إثباتها في ما يتعلق بالأمة العربية، ولكن فليدلني هؤلاء على مشروع قومي نجح منذ المحاولة الأولى.

المشروع الأوروبي، وهو ليس مشروعاً قومياً بالمعنى الدقيق للمصطلح، ولا يتجاوز نوعاً من التعاون الدولي ومع ذلك فهو يسعى لتحقيق نفسه منذ قرنين كاملين من نابليون إلى بيسمارك إلى هتلر إلى اليوم. وهو مشروع كبد البشرية لكي يتحقق حربين عالميتين وأفرز أسوأ ظواهر عصرنا وهي الفاشية والنازية والصهيونية. ومع ذلك فإن العالم يتحدث عنه باعجاب كنموذج ومثال في التعاون الدولي بين بلدان قارة أثمر السوق الأوروبية المشتركة، وقد يثمر مجالات تعاون أوثق في المستقبل.

فلماذا يتصور أحد أنه كان على المشروع القومي العربي أن يتحقق خلال جولة واحدة؟ ولماذا يتوهم آخرون أن فشل مرحلة من مراحل تحقيق المشروع القومي العربي، بسبب ظروف موضوعية وتحديات خارجية، يعني فشل المشروع ويوجب نقله إلى ملف التاريخ؟ وعلى عكس ما يقول هؤلاء، فإنني أرى أن قيمة تجربة عبد الناصر أنها أثبتت أن المشروع صحيح وصالح وقابل للتحقق وللتكرر أيضاً لأن أساسه التاريخي صحيح وقائم. وحين تكون القوانين صحيحة ومتفقة مع ثوابت التاريخ زماناً ومكاناً فسوف تجد الوسيلة التي تعبر بها عن نفسها.

● الذين يقولون بهذه الفكرة ينطلقون أحياناً من القول بأن فشل الوحدة المصرية ـ السورية قد خلق نوعاً من الحساسية والإحباط يجعل تكرار تجربة الوحدة صعباً أو شبه مستحيل.

■ أخشى أن أقول إن هذا ليس صحيحاً، بل إن تجربة الوحدة المصرية ـ السورية أثبتت أن الوحدة ممكنة ـ ربما لم تكن الظروف الدولية ملائمة، وربما كانت قوى المتآمرين على الوحدة أقوى من إمكانيات الساعين إليها، لكن هذا شيء آخر غير الإقرار بفشل المشروع القومي وانتهاء دوره. لقد استشهد ألف مواطن سوري يوم الانفصال ذاته دفاعاً عن الوحدة التي لم تفشل، ولكنها ضربت ضرباً من الخارج، وأنا أعتقد أننا نمر الآن بفترة ضياع تعقب عادة كل ضربة يتلقاها الحلم حتى تستكمل الأمة قواها مرة أخرى وتحاول تحقيق مشروعها من جديد. وهذا هو السبب في انتشار هذا النوع من الأفكار اليائسة.

● هناك رؤية أخرى تقول أن جانباً من قدرة عبد الناصر على أن يحقق النجاح لمشروعه بدمجه للمشروعين القومي والاجتماعي وحله للتناقض المفتعل بين التحرر والعدل وبين الوحدة والاشتراكية. وهؤلاء يطالبون، في ضوء رصدهم لما مضى، ورصدهم لالحاح المشروع الديني في طرح نفسه في السنوات الأخيرة، بأن يكون المشروع الاسلامي رافداً ثالثاً من روافد المشروع القومي في حركته القائمة أو القادمة فماذا ترى؟

■ لا أظن أن أحداً منا، حتى على المستوى الشخصي، هو صاحب هوية أحادية.

فلكل إنسان جسم ولون ووطن وعمل وقومية وتركيبة فيزيولوجية وأخرى سيكولوجية، لكنه في النهاية كيان واحد. وحين نتكلم عن اللغة أو التكوين النفسي المشترك أو الثقافة كثوابت في المشروع القومي العربي فلا يمكن إلا أن يكون هذا إيماء مباشراً إلى ١٤ قرناً هي تاريخ العرب في الاسلام. إنه في النهاية كيان واحد فلماذا لا يكون القلب هو الدين؟ ولماذا لا يكون العقل هو العلمانية؟ أما الجلد الذي يجمع كل هذه المكونات في كيان واحد فهو الجسم. وأنا أقول بصراحة إن المشروع القومي شيء، وتحويل الدين الى قومية شيء آخر تماماً. إن هناك خصوصية عربية داخل البحر الإسلامي، وهي خصوصية تشكل كياناً صالحاً لكي يشكل أمة لأن الإطار الذي يصنع أمة يحقق أمناً وأنا مثلاً أعتبر الدين إيماناً يقينياً، لكني لا أعتبره أمناً قومياً، ولا أجد رابطة أمن تربطني بالملايو أو بأندونيسيا وأن أمنهما ورفاهيتهما تهمني.

● **هل تعتقد بأن هناك فارقاً بين المصطلاحات الثلاثة: عبد الناصر، والناصرية، والناصريين؟**

■ عبد الناصر ليس في حاجة إلى تعريف. وقد تحدثنا عنه من قبل باعتباره ممثلاً لجناح الحلم في الظاهرة التاريخية المعروفة باسمه. والناصرية ببساطة هي المحصلة الايجابية للتجارب والأفكار والممارسات التي قام بها عبد الناصر لتحقيق مشروعه القومي بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٧٠.

● **والناصريون؟**

■ هذه هي المسألة المعقدة، وفي حياة عبد الناصر كان كثيراً ما يقول: «إن مشكلتي الكبيرة هي في الذين يختارون علمي». وكان يقول: «إنني أستطيع أن أختار أفكاري، لكنني لا أختار أنصاري ومن ينسبون أنفسهم إلي. هناك كثيرون يقفون تحت سارية العلم الذي رفعته لكنهم ليسوا، بالضرورة جميعاً شيئاً واحداً».

● **هل فاتحك أحد في الانضمام إلى مشروع من المشروعات المطروحة لتأسيس حزب ناصري في مصر؟**

■ كثيرون، لكنني اعتذرت شاكراً. فلست أظن أنني ممن يجدون أنفسهم خارج إطار المهنة التي وهبت لها عمري. لكن ذلك لا يعني أنني لست صاحب رأي في الموضوع، ولذلك قلت وما زلت أقول إن الحديث عن أي تنظيم ناصري لا بد وأن تسبقه خطوتان هامتان، الأولى: أن تلتقي القوى التي تنسب نفسها للناصرية بصرف النظر عما بينها من خلاف آني أو تاريخي فكري أو شخصي أو عما ارتكبه هذا الطرف أو ذاك من أخطاء لكي تقوم بعملية فرز أولية تجيب بها على سؤال هام وهو: «من هو الناصري؟» وتضع معياراً دقيقاً لهذا ولا يكفي أن يزعم الانسان لنفسه أنه ناصري، ولا يكفي أن يكون ممن عملوا أو تعاملوا مع عبد الناصر. فالسادات كان يعمل ويتعامل معه.

أما الخطوة الثانية فهي لقاء يضم هذه القوى ليبحث الأصيل في تراث الناصرية القابل للبقاء والاستمرار، والفرعي والمرحلي الذي انتهت مبرراته، ولكي يقدم الناصرية كمشروع قابل لأن يجذب إليه الناس في ظروف الثمانينات.

وأنا أعتقد أن هناك متغيرات كثيرة حدثت منذ رحيل عبد الناصر تتطلب اجتهاداً خلاقاً من الناصريين، فحين يتصور أحد أن يعود إلى سياسة عدم الانحياز على النحو الذي كان يأخذ بها عبد الناصر ويطبقها قبل عام ١٩٦٧، فهذا شيء لم يعد قابلاً للتحقيق، بحكم ما استجد من ظروف في المنطقة وفي العالم. وحتى الارادة المستقلة ذاتها تتطلب خيالاً سياسياً جديداً

لممارستها في ظروف عالم اليوم. وهناك ما يحيط بقضية الوحدة العربية من ظروف داخل الأمة وخارجها. كيف نحققها أو نسعى إليها أو نخطط لها ونحن على مشارف منتصف العقد الثامن من القرن؟ هاتان الخطوتان مهمتان أعتقد أن الحديث عن تنظيم ناصري قبل تحقيقهما أمر لا يستقيم.

● هل تعتقد أن للناصرية مستقبلاً في مصر، أم أنها أصبحت جزءاً من تاريخها؟

■ أنا أعتقد أن مستقبل مصر ناصري ليس بمعنى ما كان ولكن بمعنى تطوير الأفكار

الأساسية التي تركها والتي لم يخترعها. فمشروع عبد الناصر قريب الشبه جداً من مشروع محمد علي وإن اختلف البعد القومي والبعد الاجتماعي بينهما، وجوهره أن تكون مصر قوية، مؤثرة في المنطقة ومنتمية إليها وفاعلة فيها. وبهذا المعنى أقول إن مستقبل مصر ناصري. ومن الأفضل طبعاً أن تكون هناك قوة ناصرية منظمة، ولكن ذلك لن يتحقق قبل أن ننقد أنفسنا وننقد الآخرين، وقبل أن نعيد النظر في تراث عبد الناصر لنفرق بين الثابت والأساسي والباقي والمتغير والمرحلي والفرعي.

● ما هو جوهر العلاقة التي كانت تربطك بعبد الناصر الذي جعلها تبقى لفترة أطول في حين انقطعت علاقات أقدم من علاقتك معه؟

■ السبب، في رأيي، هو أن الخطوط لم تتشابك بيننا. فمنذ اليوم الأول كان واضحاً أن خطوطنا لن تتشابك إذ لم تكن لي مطامع، وقد ظللت صديقاً له طوال سنوات ولم أطلب منه يوماً أن يوظف قريباً لي، ولم أطلب من أحد من وزرائه مطلباً لأحد ينتمي لي أو حتى لنفسي. والأهم من هذا أن آراءنا الرئيسية لم تتصادم. فقد وصفت علاقتي معه من قبل بأنها علاقة حوار لم ينقطع وظللت حريصاً على هذا لأن الحوار، حين يكون الأمر بعيداً عن المطامع، يخلق دائماً الثقة المتبادلة. وصحيح أننا اختلفنا كثيراً، ولكنه كان واثقاً من أنني أتكلم من موقعي كطرف محاور معه، وليس من أي موقع آخر، وبالتالي لم يحدث تشابك في الخطوط.

● متى بدأت علاقتكما تحديداً؟

■ هناك فارق بين اللقاء والمعرفة، وبين هذه وبين الصداقة. لقد التقينا أول مرة ولم نتفق في آب ـ أغسطس ١٩٤٨ في عراق المنشية أثناء الحرب العربية ـ «الاسرائيلية» الأولى. وكان هو قد حارب في معركة ضد مستعمرة «نكبة» عرفت بها وأنا أتجول في ميدان القتال كمراسل حربي، فطلبت لقاء قائد المعركة وقادوني إليه في قيادته في أحد المباني التي كانت ـ في عهد الانتداب الانكليزي على فلسطين ـ مركزاً للشرطة وكان يقيم في «بدروم» المبنى يستعد للنوم. وقبل أن أبدأ الحديث راح يهاجم ما تنشره الصحف من أخبار كاذبة عن مجريات الحرب، وقال لي: «إن

الصحف تنشر أنباء الانتصارات، قبل أن تتحرك القوات. وبعدها بفترة عاد هو إلى مصر وكنت أنا وقتها في سوريا أتابع انقلابي حسني الزعيم وسامي الحناوي وحين عدت فاجأني بزيارة في مكتبي بـ «أخبار اليوم» وكان معه صلاح سالم وقد فتح مناقشة حول ما كتبته عن ما جرى في سوريا. وفي المرة الثانية جاءني يطلب نسخة من كتابي «ايران فوق بركان» الذي كان يروي تجربة الزعيم الايراني «محمد مصدق» ويحتج لأن ثمنها كان عشرة قروش أكثر مما يطيقه الذين يريدون أن يعرفوا ما يجري في ايران وفي غير ايران.

وكانت المرة الرابعة يوم حريق القاهرة في ٢٦ يناير ـ كانون الثاني ١٩٥٢ وقد التقيت به في الطريق مصادفة وسرنا معاً في شارع فؤاد (٢٦ يوليو الآن).

أما الخامسة فكانت يوم ١٨ يوليو ـ تموز ١٩٥٢ في بيت اللواء محمد نجيب، وكان النقاش يدور حول قرار الملك بحل مجلس إدارة نادي ضباط الجيش الذي كان للضباط الأحرار نفوذ فيه وكان هناك تفكير في مقاضاة الحكومة بسبب قرار الحل. أذكر أنني قلت خلال المناقشة: لقد فشل الجيش في أن يحافظ على كرامة الوطن في حرب ١٩٤٨، فهل يفشل حتى في الدفاع عن كرامته هو نفسه؟ وقال لي عبد الناصر: «ماذا تريد أن يفعل الجيش؟ هل نقوم بانقلاب عسكري حتى يتدخل الانكليز كما حدث أيام عرابي؟».

فاقترحت أن يذهب ٢٠٠ ضابط إلى قصر عابدين ويكتبوا أسماءهم في سجل التشريفات مطالبين بتغيير في أوضاع البلاد السياسية. وتفرع الحديث وانفرد هو وعبد الحكيم عامر الذي كان يصاحبه بمحمد نجيب لدقائق، ثم انصرفا. وحين خرجت بعدهما بقليل عرضت عليهما أن أوصلهما الى أي مكان يريدان. ونحن في الطريق تحدث عبد الناصر وكان واضحاً أن هاجس عرابي يقلقه، لذلك سألني: هل تعتقد أن الانكليز يمكن أن يتدخلوا لو قام الجيش بتحرك سياسي ما؟ وكان من رأيه أن هذا مستحيل، فقدمت مبرراتي وقلت: «إن الانكليز مشغولون في ايران، ولن يفتحوا جبهة جديدة في مصر بتدخلهم. وقلت بأن تشرشل متهم بأنه داعية

حرب ولن يثبت التهمة على نفسه بتدخل عسكري في مصر. وقلت إنني أعرف من عملي الصحافي أن السفير البريطاني في مصر وقائد القوات العسكرية في منطقة القناة قد سافرا وهذا يعني أن مؤسسات التدخل في حالة سياسية وتنفيذية لا تسمح له» وكان عبد الناصر شغوفاً بالحديث. لذلك أصر على أن نواصل الحوار. وربما كان هذا اللقاء هو الذي وضع أساس صداقتنا. ذلك أن عبد الناصر كان في الواقع شغوفاً بالذين يستطيع أن يحاورهم ويستطيعون أن يحاوروه والحوار بالطبع شيء غير موضوعات الانشاء وكلمات الإطراء.

● قلت وأنا أجمع أوراقي: ما رأيك في القصة التي تشكك في وفاة عبد الناصر والمنسوبة للجاسوس «الاسرائيلي» الدكتور علي العطفي الذي زعم أخيراً أنه كان يقوم بتدليك عبد الناصر كجزء من علاجه، وأنه استخدم نوعاً معيناً من السموم في هذا التدليك كان هو السبب في وفاته؟

■ لقد جرت محاولات كثيرة لاغتيال عبد الناصر. وهذا لم يعد سراً وكان بعضها يعتمد على السموم كأسلوب للاغتيال، ومن بينها محاولة شهيرة جندت خلالها المخابرات الأميركية موظفاً من أصل يوناني بمحلات «غروبي» التي كانت تتولى الخدمة في بعض الحفلات الرسمية وقد دس السم فعلاً في فنجان قهوة كان سوف يقدم لعبد الناصر، ولكن يده ارتعشت بالفنجان فتخلص منه، كما اعترف بذلك في ما بعد. فحين أصيب ـ بعد عام ١٩٦٧ ـ بالتهاب في شرايين الساق بسبب مرض السكر، بدأ يتلقى علاجاً طبيعياً بالتدليك. وقد قال مرة أمامي أن أحد موظفي مكتبه هو الذي رشح له أحد المتخصصين في التدليك لكي يقوم بهذه المهمة، ولكنه لم يقم بها لوقت طويل ولا أعرف ما إذا كان هو الدكتور علي العطفي أو لم يكن. ولا أستطيع أن أحكم في الموضوع دون علم بكل تفاصيله.

● ما هو الخاطر المباشر الذي يقفز إلى ذهنك في هذه اللحظة ونحن نلقي نظرة على الأمة في يوم مرور ١٤ عاماً على رحيل عبد الناصر؟

■ هذا زمن الفرص الضائعة.

* * *

تذكرت بعد أن انتهى حوارنا أنني لم أسأله السؤال الـذي شغلنـي ذلك اليوم البعيد القريب من أيلول ـ سبتمبر: «أهي متعـة أم عذاب أن تكون أحـد شهـود التاريخ من على القمة؟».

عائد من أمريكا: لم نعد نخيف أحداً ١

حين انتهى هذا الحوار الخاص مع محمد حسنين هيكل، شعرت بأن الزميل الكبير لم يجب عن اسئلة، بقدر ما قدم تقريراً إلى القارىء العربي عن قضية اساسية هي الآن موضع جدل وتساؤلات وتحليلات كثيرة في المنطقة.

هذه القضية هي:

ماذا سيفعل ريغان في الشرق الأوسط بعد اعادة انتخابه؟

هل سيقوم، فعلاً، بدور تاريخي هو دور صانع السلام العادل والدائم في الشرق الأوسط؟ كيف ستتعامل الادارة الاميركية، خلال السنوات الأربع المقبلة، مع العرب ومع إسرائيل ومع المنطقة ككل؟

وكان محمد حسنين هيكل في أفضل موقع ليدلي بشهادته ـ المستندة إلى معلومات خاصة ـ في هذه القضية:

فهو عائد لتوه من الولايات المتحدة حيث امضى اسبوعين عاش خلالهما اللحظات الأخيرة من معركة الانتخابات، وقابل العشرات من صانعي القرارات السياسية في أكبر دولة في العالم.

واكتشف هيكل اموراً كثيرة مهمة وحقائق مزعجة.

وتحدث بصراحة في هذا الحوار الخاص الذي اجري معه بعد عودته من واشنطن، في باريس، حيث توقف لمدة أربعة أيام في طريقه إلى الهند.

وهذا هو الحوار:

● مجلة المستقبل ١٧/ ١١/ ١٩٨٤ ـ عبد الكريم أبو النصر

● لماذا انتخب الاميركيون رونالد ريغان رئيساً لهم مجدداً وبأغلبية ساحقة؟ لماذا يشعر الاميركيون بأنهم في حاجة إلى ريغان مرة اخرى؟ هل هو رجل تاريخي في نظرهم؟ وبأي معنى؟

■ هيكل: خلال وجودي في الولايات المتحدة لمتابعة معركة الانتخابات، سألني إبني ذات مساء: لو كنت أميركياً، هل كنت تختار ريغان أم والتر مونديل رئيساً لبلادك؟ اجبت على الفور: «ريغان». وبدت الدهشة على إبني، فشرحت له الأسباب التي تجعلني ـ لو كنت أميركياً ـ أفضل ريغان على مونديل، بينما كعربي لا أرى أي فارق بين الاثنين. لماذا اختار ريغان لو كنت أميركياً؟ لعدة أسباب أبرزها الآتية:

١ : حين جاء ريغان إلى الحكم كانت الولايات المتحدة ـ نتيجة هزيمة حرب فيتنام وأزمة الرهائن وقضايا اخرى ـ فاقدة الثقة بنفسها، وتكاد تكون «ضعيفة» في تعاملها مع العالم. وقد استطاع ريغان أن يغير هذه الصورة ـ عموماً ـ ويفرض وجود الولايات المتحدة، سواء كنت تؤيده أو تعارضه.

٢ : استطاع ريغان أن يفعل ذلك عن طريق تعديل موازين القوى في العالم وخصوصاً عن طريق سد الفجوة في مجال التسلح مع الاتحاد السوفياتي. صحيح أن ريغان انفق، في سبيل ذلك، اكثر بكثير مما كان يتهم الرئيس السابق كارتر به على صعيد النفقات العسكرية، وصحيح أنه حوّل اموالاً واعتمادات من مجال الخدمات الاجتماعية وغيرها إلى مجال الدفاع والتسلح، إلا أنه استطاع أن يعدل موازين القوى لصالح أميركا. ولا بد من الاعتراف بذلك، سواء كنت تتفق مع ريغان أو تختلف معه.

٣: نتيجة ذلك كله، وضع ريغان الاتحاد السوفياتي في موقف دفاعي، بينما كان موقف السوفيات أقوى في بداية عهده.

٤: سواء كنت تتفق مع ريغان أو تختلف معه، فلا بد من القول إنه استطاع أن ينعش الوضع الاقتصادي ويحسنه ويقويه. وهناك مؤشرات ملموسة في هذا المجال: فهناك نسبة نمو في الاقتصاد الاميركي واضحة وفعلية وإن اختلف الخبراء في تقديرها. وواضحة خفت وكذلك نسبة التضخم. الدولار قوي والمواطن الاميركي يشعر بأن الدولار «يملك ويحكم» في العالم. وهذه أمور مهمة بالنسبة إلى الاميركيين.

ولا بد أن نضيف إلى ذلك كله أن ريغان رئيساً. ولأنني عربي أقول أن لا فرق بين ريغان ومونديل بالنسبة الينا وإلى قضايانا.

● زرت الولايات وعهود عشرات المرات، وفي مهمات مختلفة وعهود مختلفة، منذ ١٩٥٢ إلى الآن. ما هي صورة العرب عند الاميركيين اليوم؟ كيف ينظر السياسيون والاعلاميون والخبراء وصانعو القرارات في الولايات المتحدة إلى العرب والمنطقة العربية اليوم؟

■ هيكل: لم يسبق للولايات المتحدة أن أبدت اهتماماً ضئيلاً بالشرق الأوسط، كما هو الحال اليوم. لم أر في حياتي ضآلة في الاهتمام الاميركي بمنطقتنا وشؤونها كالذي لمسته خلال زيارتي هذه للولايات المتحدة. وهذا الاهتمام الضئيل، يتضاءل يوماً بعد يوم. بالنسبة إلى الولايات المتحدة، تبددت مصادر القوة العربية وينابيعها واستهلكت، فلماذا تهتم بالعرب وبالمنطقة العربية؟ لقد امضيت اسبوعين في الولايات المتحدة قابلت خلالهما ـ في واشنطن ونيويورك ـ كل من له رأي مهم، أو يمكن أن يكون له رأي مهم، في قضايا منطقتنا وشؤونها، من سياسيين وديبلوماسيين واعضاء في الكونغرس، وأعضاء في ادارة ريغان، وفي مجلس الأمن القومي، وصحافيين بارزين. وفي كل احاديثي معهم، كنت المس بوضوح أن الشرق الأوسط ليس هاجسهم، وأنه ابعد ما يكون عن اهتماماتهم الحقيقية والفعلية وعن اولوياتهم. ولمست بوضوح أن الأولويات عند ريغان،

بالنسبة إلى ولايته الثانية، معروفة ومحددة من قبله ومن قبل مستشاريه، وهي الآتية:

١: برغم الانتعاش الاقتصادي الذي تحقق في ولايته الأولى، فإن ريغان يدرك تماماً أن هناك عجزاً هائلاً في الموازنة يكاد يقارب ٢٠٠ مليار (بليون) دولاراً. وهذا يمكن أن يشكل عبئاً في المدى الطويل، ويزيد من البطالة ويعيد الانكماش الاقتصادي، إذا لم تتم معالجته. وهذا بدوره ينعكس على الاقتصاد العالمي، وخصوصاً الاقتصاد الغربي. لذلك فإن الأولوية عند ريغان، بعد اعادة انتخابه، ستكون اعادة ترتيب وتصحيح الوضع الاقتصادي الاميركي.

٢: أولوية اخرى عند ريغان هي العلاقات مع الاتحاد السوفياتي. أن ريغان أنه لا بد للولايات المتحدة أن تبدأ، في أقرب وقت، مفاوضات جدية مع الاتحاد السوفياتي للتوصل إلى اتفاق جديد للحد من انتشار الأسلحة النووية الاستراتيجية.

٣: تأتي، بعد ذلك، عملية ترتيب خلفية البيت الاميركي، أي الوضع في أميركا اللاتينية. وهذه، أيضاً، قضية مهمة بالنسبة إلى ريغان ومستشارية.

ماذا عن الشرق الأوسط؟

نتيجة لقاءاتي مع عدد من الشخصيات الاميركية، التي تشغل حالياً مناصب رسمية أو شغلت في العهود السابقة مناصب رسمية، يتبين بوضوح أن أزمة الشرق الأوسط تأتي في المرتبة التاسعة أو العاشرة، في سلم الأولويات الاميركية الحالية. فلا أحد يهتم بنا في واشنطن، ولم نعد نخيف أحداً.

● والارهاب؟ أننا نلاحظ أن الولايات المتحدة تعيش هاجس الارهاب، سواء على صعيد الاهتمامات الرسمية أو على صعيد متابعة وسائل الاعلام الاميركية لهذه القضية. ألا تخاف أميركا مما تسميه «الارهاب» الآتي من منطقتنا؟

■ هيكل: طبعاً هناك اهتمام اميركي بمنطقة الشرق الأوسط من زاوية «الارهاب»

لكن الارهاب ليس ظاهرة عربية، بل هو ظاهرة عالمية. فالذين اغتالوا انديرا غاندي أو الذين حاولوا اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني أو مرغريت تاتشر، هؤلاء ليسوا عرباً. لكن الاميركيين يتمسكون، أحياناً، بظاهرة «الارهاب» ليبرروا تأجيل بحث أية قضية اخرى من قضايانا، أو تأجيل ايجاد حل لأية أزمة من ازماتنا.

هل الاميركيون خائفون فعلاً من «الارهاب» العربي؟ لا اعتقد، وإن كانوا يحاولون الايحاء بذلك في بعض الأحيان.

وهناك، أيضاً، ظاهرة «العنف الاسلامي». وهذه الظاهرة يتحدث عنها الاميركيون بفضول. أنهم يشعرون أنهم يجهلون، فعلاً، ابعاد الصحوة الاسلامية في المنطقة، ويجهلون حقيقة العنف الذي تقوم به بعض المنظمات الاسلامية. وهم يريدون أن يعرفوا اكثر عن هذه الصحوة وهذه الظاهرة. وربما يشعر الاميركيون بشيء من القلق لأنهم لا يفهمون ابعاد الصحوة الاسلامية.

لكن ما أود أن اوضحه أن «الارهاب» ـ مثلاً ـ ليس عاملاً سياسياً تستطيع التحكم به، كعربي، وأنت تتعامل أو تتفاوض مع الاميركيين. «الارهاب» ليس سلاحاً بيدك، وهو لا يعطيك موقعاً أقوى وأفضل في التعامل مع الولايات المتحدة.

وهنا اعود إلى النقطة الأساسية التي تتعلق بنا: الاميركيون يعرفون كل شيء عنا، عن العرب. يعرفون أنه لم تعد في ايدينا اسلحة أو اوراق رابحة. لم يعد هناك حتى غموض في ما يتعلق بنياتنا وفي ما يمكن أن نفعله أو نقوم عليه. كل شيء ظاهر ومكشوف. نحن عراة أمام العالم.

● لكن، برغم ما تقوله، لا يزال هناك في العالم العربي من يعلق امالاً على اعادة انتخاب ريغان. وهؤلاء يقولون إن ريغان الثاني سيحرك ازمة الشرق الأوسط وسيسعى إلى تحقيق السلام في المنطقة، وأنه قد يكون «ايزنهاور الثاني». وقد سمعنا الدكتور هنري كيسنجر يقول إن ريغان سيتمتع بحرية

مناورة واسعة خلال الـ ١٥ شهراً الأولى من ولايته الجديدة. فهل تعتقد أن ريغان سيستغل هذه الفترة ليقوم بعمل ما في المنطقة؟

■ هيكل: صحيح أن ريغان سيتمتع خلال فترة ١٢ أو ١٥ شهراً بحرية واسعة للمناورة والتحرك لن تكون هناك قيود مفروضة عليه، لكنه سيستغل هذه الفترة لتحقيق انجازات على صعيد القضايا التي لها الأولوية عنده وهي: الوضع الاقتصادي. والعلاقات مع الاتحاد السوفياتي. والوضع في اميركا الوسطى وأميركا اللاتينية. ثم أن أي رئيس في ولايته الثانية ـ خصوصاً إذا كان في عمر ريغان ـ يحرص على موقعه في التاريخ وعلى صورته في المستقبل. لذلك سيسعى ريغان إلى تحقيق انجازات حيث هناك فرص للنجاح.

أين موقع ازمة الشرق الأوسط في ذلك كله؟

هنا لا بد من القول أن ازمة الشرق الأوسط لم يعد لها وجود فعلي وحقيقي في اذهان المسؤولين الاميركيين وصانعي القرارات. والكثيرون يسألونك في واشنطن أو نيويورك: أين الأزمة؟ الشرق الأوسط لم يعد مستوفياً عناصر الأزمة. لم يعد يخيف أحداً. إذا لم تحل «ازمة الشرق الأوسط» فلن يحدث شيء، لن يحدث انفجار، وليس هناك خطر من عدم الحل. اذن، ليست هناك ازمة بالمعنى الحقيقي. هناك، في الواقع، ازمة داخلية في الشرق الأوسط وهي أن هذه المنطقة معرضة للتآكل من الداخل. لكن لا أحد يعترض على ذلك. وهذه قضية لا تهم أميركا. أنت لم تعد تهدد أحداً، لم يعد لديك ما يشكل عنصر ضغط على أميركا لكي تتحرك وتفعل شيئاً. أنت لم تعد تشكل خطراً. بل قد اذهب إلى ابعد من ذلك وأقول: ما هو الثمن الذي ستجنيه أميركا من أي تحرك في المنطقة؟ لم يعد هناك ثمن لأي تحرك.

أنا اعرف الاميركيين واتعامل معهم ـ احياناً من موقع المفاوض وأحياناً من موقع الصحافي ـ منذ ١٩٥٢. ولم اشعر في حياتي باللامبالاة وعدم الاكتراث من جانب الولايات المتحدة لقضايانا وشؤوننا، كما شعرت خلال زيارتي هذه، في واشنطن ونيويورك. لم يسألوني عن الشرق الأوسط بقدر ما سألوني عن السوفيات وعن الزعيم السوفياتي الراحل يوري اندروبوف.

حتى بعد هزيمة ١٩٦٧ كنا نستطيع أن نهدد ونخيف ونقول: اهتموا بنا وإلا فاننا سنشعل المنطقة. وكانوا يهتمون بنا. الآن، اقصى ما نستطيع أن نفعله هو أن نحرق انفسنا. . . وهم سيتفرجون علينا بلا اكتراث ولا اهتمام.

● **الا تعتقد أن هذا الاهمال الاميركي سينعكس سلباً على العلاقات العربية ـ الاميركية؟ ألا تتصور أن خيبة الأمل العربية ستكون كبيرة إذا لم تفعل ادارة ريغان شيئاً جدياً لمحاولة تحقيق سلام في الشرق الأوسط؟**

■ هيكل: هذه قضية خطيرة يتجنب الكثيرون مواجهتها لأنها تؤدي في النتيجة، إلى مأزق سياسي لا مثيل له. الواقع أن هناك شيئاً من التناقض في الموقف العربي من الولايات المتحدة: فالكثيرون من العرب يعرفون أنه يصعب الاعتماد على أميركا، ومع ذلك يجدون أنه لا بد من الاعتماد عليها!

لكن، ماذا يحدث إذا ادرك العالم العربي كله، عن قناعة، أنه لم يعد يستطيع أو يقدر الاعتماد على الولايات المتحدة؟ حينذاك سيضطر إلى البحث عن بديل. لكن أي بديل؟ خلال السنوات الماضية، وبالتحديد منذ عام ١٩٧٤ بعد فك الارتباط الأول مع إسرائيل باشراف الولايات المتحدة، اتخذت خيارات بكاملها لا مجال فيها لغير الدور الاميركي، وأصبح الكثيرون ـ ابتداء بالسادات ـ يقولون إن كل الأوراق في ايدي أميركا، وأميركا في يدها مفتاح الحل. وخلال تلك الفترة، ونتيجة هذه القناعة، فقد العرب جسورهم مع الكثير من دول العالم.

هذه فعلاً، قضية ومأزق كبير.

● **لكن، هل يستطيع ريغان تجاهل التقارب المصري ـ الأردني؟ ألن يعمل على دعم هذا المحور وتقويته عن طريق القيام بتحرك سلمي جديد؟**

■ هيكل: احدى مشاكلنا أننا نفكر بالمنطق الشرقي في تعاملنا مع الدول الكبرى، ونتصور أن منطق المجاملة يتحكم بتسيير الأمور والقضايا. أن المحور المصري ـ الأردني لن تكون له فاعلية ولن يكون له فاعلية على الطبيعة وعلى الأرض. بالطبع، التقارب المصري ـ الأردني له قيمة معنوية، وهو خطوة جيدة، لكنه لا يشكل عنصر ضغط ولا يضيف قوة جديدة إلى الوضع الذي كان قائماً قبل هذه

الخطوة. هذا التقارب في حد ذاته ظاهرة طيبة، لكن ليس له وزن كبير على طاولة المفاوضات.

● **يقول عدد من الخبراء في شؤون العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية أن هذه العلاقات هي الآن اقوى من أي وقت مضى. . . بل إن إسرائيل تقول إن ما قدمته للولايات المتحدة من خدمات يفوق، بقيمته، ما تلقته منها من مساعدات.**

■ هيكل: قضية العلاقات الاميركية ـ الإسرائيلية يجب أن تدرس بعمق، وبأبعد من مظاهرها الخارجية. صحيح أن إسرائيل قدمت خدمات كثيرة للولايات المتحدة، وهي من هذا المنطلق شريكة لها. لكن أميركا تدرك بوضوح أن إسرائيل تواجه ازمة عميقة جداً ـ مظاهرها اقتصادية واجتماعية وسياسية وأمنية ـ وأن فواتير هذه الأزمة ستدفعها الولايات المتحدة سواء بشكل مساعدات مباشرة أو غير مباشرة أو منح وهبات لا ترد. لقد لمست خلال زيارتي هذه أن هناك احساساً لدى عدد من الاميركيين بأنه مهما فعلت أميركا لاسرائيل ومهما قدمت لها من دعم ومساعدات، فإن إسرائيل ليست كياناً قابلاً للحياة وللاستمرار، خصوصاً على الصعيد الاقتصادي. وهناك احساس في أميركا بالمأزق التاريخي لاسرائيل، وهناك احساس بأن العلاقة الاميركية الاسرائيلية، مهما بدت قوية وعميقة الآن، فإنها في المدى البعيد علاقة هشة، معرضة للمخاطر، وقد يحدث فيها انقلاب لا يتصوره الكثيرون الآن. فمثلاً، هناك من يشعر في أميركا بأن إسرائيل تستغل السوق الاميركي وأنها تشكل منافساً ـ إلى حد ما ـ للاميركيين. وهناك من يتساءل: لماذا نخفض المساعدات للمشاريع التي تؤمن المزيد من الرفاهية للاميركيين أو تقدم لهم خدمات افضل، ثم نزيد من مساعداتنا لاسرائيل؟ وهناك شعور كامن لدى عدد من الاميركيين بالعداء للسامية. هذه كلها عوامل تثير القلق ـ لدى الاميركيين واليهود في أميركا ـ في المدى البعيد.

وباختصار، أميركا تعتبر أن إسرائيل هي في مدى السنوات العشر أو العشرين المقبلة عامل مساعد لتحقيق بعض الأهداف والخطط الاميركية لكنها في المدى البعيد تشكل عبئاً لا يحتمل.

● الأولوية في السياسة الخارجية عند ريغان هي لمحاولة التوصل إلى اتفاق مع السوفيات للحد من انتشار الأسلحة النووية الاستراتيجية ألا تعتقد أنه ستكون للمفاوضات الاميركية ـ السوفياتية المقبلة انعكاسات على الوضع في الشرق الأوسط ؟ ألا يمكن أن يتم التوصل إلى صفة سرية بين الأميركيين والسوفيات حول الشرق الأوسط ؟

■ هيكل: ليست هناك، حتى الآن، صفقة اميركية ـ سوفياتية حول المنطقة. ولا اعتقد أنه سيتم التوصل إلى مثل هذه الصفقة.

السبب؟ لأن السوفيات ليست لديهم، حتى الآن، اوراق كثيرة رابحة في المنطقة، برغم الظواهر التي قد توحي بعكس ذلك. السوفيات، الآن، متمركزون خصوصاً في اطراف منطقة الشرق الأوسط ـ كما نشاهد ذلك في افغانستان ـ لكن السوفيات خسروا عدة مواقع في قلب الشرق الأوسط. واشير، هنا، إلى قضيتين رئيسيتين:

السوفيات حاولوا تثبيت مواقعهم في مصر وفشلوا.

والسوفيات حاولوا تثبيت مواقعهم في ايران بعد قيام الجمهورية الاسلامية وفشلوا. اضافة إلى ذلك كله، نلاحظ أنه ليست هناك قيادات مستقرة في الاتحاد السوفياتي في السنوات القليلة الماضية، واتصور أن النظام السوفياتي يمر حالياً بمرحلة انتقالية. إذن، السوفيات ليست لديهم اوراق حقيقية كثيرة وقوية في الشرق الأوسط يعقدون على اساسها صفقة مع الولايات المتحدة حول المنطقة. إن كل الأوراق ـ تقريباً ـ في ايدي أميركا.

● تعرف الهند جيداً، كما كنت تعرف انديرا غاندي من سنوات طويلة. ماذا يعني غياب انديرا غاندي؟ ما هي التهديدات التي تواجه الهند بعد اغتيالها؟ هل هناك خطر انقلاب عسكري؟

■ هيكل: هناك قلق كبير جداً على مستقبل الهند بعد اغتيال انديرا غاندي. الواقع أن اسرة نهرو أمنت للهند، خلال الثلاثين والأربعين سنة الماضية، استمرارية على

صعيد السلطة، من نهرو إلى انديرا غاندي. وهذه الأسرة لها موقعها في النضال الوطني، وقد نجحت في أن تؤمن حكماً مركزياً قوياً وفي الوقت نفسه حكماً ديمقراطياً. وهذا امر مهم وأساسي وحيوي بالنسبة إلى بلد كالهند، مقسم إلى مجموعة كبيرة من الطوائف والأديان والأجناس والفئات. هذا الحكم المركزي - الديمقراطي رافقته سياسة تنمية واضحة حولت الهند إلى قوة لا بأس بها، إلى القوة التاسعة في العالم على الصعيد الصناعي، كما حولتها إلى قوة نووية. وهذا أمر مهم جداً بالنسبة إلى دولة كالهند محاطة بدول كبرى معادية لها، ولديها اوضاع داخلية معقدة جداً.

ماذا سيحدث بعد رحيل انديرا غاندي؟

الواقع أن مشكلة إبنها راجيف، الذي ورث الزعامة ورئاسة الحكومة عنها، مشكلة معقدة جداً، لأنه سيواجه في المرحلة المقبلة ضغوطاً كثيرة من الداخل ومن الخارج. ومن المفارقات أن المصاعب التي سيواجهها راجيف هي نتيجة النمو الذي حدث في الهند في ظل حكم اسرته: فهذا النمو اوجد طبقات قادرة على التفكير، كما اوجد فئات تبحث عن هويتها. وهذا يهدد بحدوث انقلاب عسكري؟ الواقع أن خطر الانقلاب العسكري موجود وكامن. لكن حدوث انقلاب عسكري لن يوحد الهند بل على العكس سيؤدي إلى تقسيم هذه الدولة وإلى تمزيقها إلى كيانات صغيرة مبعثرة. فالجيش الهندي ليس مؤلفاً من فئة واحدة بل من عدة فئات وطوائف، وهو صورة مصغرة عن وضع الهند المعقد. إن راجيف غاندي يواجه وضعاً بالغ الدقة والخطورة.

● سؤال اخير لا علاقة له بالأوضاع السياسية بل يتعلق بك وبطموحاتك. سمعت كثيرين يتساءلون، في مصر وخارجها: لماذا لا يصدر محمد حسنين هيكل صحيفة يومية؟ هل يكفي أن يكون هيكل هو الكاتب السياسي العربي الوحيد الذي تنشر كتبه في عدة لغات وفي عدد كبير من دول العالم؟ ألا تفكر جدياً في اصدار صحيفة يومية؟

■ هيكل: لا يمكن أن اكون راضياً كلياً عن وضعي الحالي: اصدر كل عام كتاباً،

اعطي مقابلات بين الحين والآخر اقول فيها رأيي. ايقاع الأحداث والتزامي المهني يفرضان علي اكثر من ذلك. الواقع أنه ليست هناك مؤسسة صحافية في مصر تتحمل وجودي فيها، وتتحمل نشر ارائي في مطبوعاتها بشكل منتظم. نعم، أنا افكر جدياً في اصدار صحيفة يومية، لكنني لن اصدر مثل هذه الصحيفة خارج مصر: مصر هي القاعدة وهي الأساس. لكن اصدار صحيفة يتطلب تصريحاً رسمياً. ولقد تقدمت بطلب شفهي - لا خطي كي لا اضع احداً في موضع حرج - للحصول على تصريح يسمح لي باصدار صحيفة يومية في مصر. ولم اتلق حتى الآن جواباً على طلبي. وأقول لك إنه في اللحظة التي احصل فيها على مثل هذا التصريح، فإنني سأصدر صحيفة يومية خلال ٦ اشهر، توزع في مصر ومختلف انحاء العالم العربي.

الحل في لبنان ليس قريباً

يمكن القول إن حديث الاستاذ الكبير محمد حسنين هيكل عن لبنان، في هذه الحلقة من أهم ما قاله صحافي ـ سياسي مطلع عربياً كان أو غربياً عن مأساة هذا البلد، ولكثرة ما كانت إجابته واضحة وصريحة على اسئلتنا فإنه كان يضطر في كل مرة يرمي فيها فكرة أو يقول رأياً إلى تهدئة خواطرنا بالتساؤل: صدمت أنت مش كده؟

هكذا هيكل دائماً بصراحته المعهودة. وعندما قرأنا الحديث بعد إفراغ كلماته من شريط التسجيل كانت صدمتنا أشد، فلقد أعدنا القراءة مرة إثر الأخرى، حتى إذا ما جلسنا مرة ثانية مع الاستاذ هيكل نقول له نحن رأينا بصراحة عن تشاؤمه بالنسبة لأوضاعٍ فى لبنان. قال: « هذا ما أراه ولا استطيع أن أقول غيره ! »

● مجلة الشراع اللبنانية ـ ٢٤ و ١٩٨٤/١٢/٣١ ـ حسن صبرا

كان السؤال الأول هو:

● **ما هي الصفة التي تعطونها للحرب في لبنان؟**

■ ما هي الحرب في لبنان؟ . . لو حاولنا توصيف الحرب، فإنها تشبه عمليات تطهير الجيوب. لقد كانت الظروف مهيأة تماماً للحرب اللبنانية.

كان الوضع في مصر مضروباً من خلال عملية كامب ديفيد. . وكانت سوريا محاصرة ومعزولة سواء بسبب أخطاء داخلية. أو عن طريق محاولات خارجية. ثم بقية العالم العربي مشغول بمشاكله. . وبقي لبنان وسطهذا كله يمثل بؤرة تحوي المقاومة الفلسطينية. . فما حدث في لبنان محاولة لاقتلاع آخر بؤرة ثورية كانت موجودة في العالم العربي. . والحرب في لبنان إذن هي عملية إحراق أرض وتطهيرها. العملية الاسرائيلية الأميركية هي عملية تصفية حركة ثورية تتصور أو تدعي أو تزعم أنها تمثل بقايا الثورة العربية لكي لا تبقى بقية جذور على الأرض يمكن أن تعود للانتشار أو الأزدهار الخ. إذن معركة لبنان هي محاولة تصفية ما بقي من أوضاع عربية مؤثرة في دائرة الصراع العربي الاسرائيلي المباشرة.

● **ما هو دور القوى الداخلية في لبنان؟**

■ أنتم في لبنان تريدون دائماً ان تتصوروا أن هناك اثراً عربياً جيداً على أوضاعكم.

إنني أتصور أن لبنان واللبنانيين اخطأوا في تشخيص وصفهم. .

إنني أعتقد أن هناك حاجة عربية لوجود لبنان. . فوجود لبنان مستقل وسيد -

كما يقول اللبنانيون ـ ولو أنني اختلف في تفسير معنى السيادة ـ هو ضرورة عربية، وينبغي الحفاظ على لبنان بهذاي الوضع كان هذا صحيحاً في الماضي وهو صحيح فيالحاضر، وسيظل صحيحاً الى فترة طويلة حتى تجد الأمة العربية طريقها الى وحدة أكبر وتستطيع تركيز نفسها بطريقة مختلفة. . إذن هناك دور للبنان لكن هناك فرقاً بين ان تتصور إنك تؤدي وظيفة معينة في وضع أكبر منك، وإن هذه الوظيفة تعطيك قدراً من الحرية كبيراً جداً، وبين أن تتصور إنك طرف فاعل. فهذه مبالغة لا تسمح بها الظروف.

القوى اللبنانية في لبنان هي «موزاييك» أو تركيبة متعددة أو متنوعة، وما يمسك بها في مكانها هو تماسك الوضع العربي حولها.

لو تصورنا الوضع العربي كجدار، وتصورنا أن لبنان موجود وسطهذا الجدار كلوحة جميلة جداً من الزجاج الملون، فإنه عندما ينهار الجدار أو ينكسر فإن الإطار يتأثر، وتلتوي أطرافه، وتقع قطع من الزجاج الملون وتفقد الصورة قيمتها.

البعض في لبنان يتصور أن لبنان بلد متوسطي. . وهذا غير صحيح، والبعض يتصور ان لبنان غربي في توجهه وهذا أيضاً غير صحيح. . والبعض يدعي أحياناً أنه ليست للبنان علاقة بالصراعات العربية. . وهذا بدوره غير صحيح. . ان ما يجعل لبنان، هو لبنان، كونه محصلة للاوضاع العربية، لبنان جزء من العالم العربي، وإن كانت القوى العربية أو المصلحة العربية تتطلب أن يبقى له تمايزه، لأنه بالنسبة لها أرض لقاء، وأرض تفاهم وأرض جس نبض أو إستكشاف نوايا، وأرض تبادل اشياء كثيرة جداً، منها التبادل الحضاري. . .

بهذا الوصف يصبح لبنان وظيفة. . فإذا تغيرت الظروف التي تصنع هذه الوظيفة، أو إذا نسي أصحاب الوظيفة طبيعة هذه الوظيفة، أو تصور لهم شيء آخر غير هذه الوظيفة، عندها فإنهم معرضون لأن يجدوا أنفسهو مختلفين مع التاريخ مع الواقع. . وهذا خطأ

إن ما أمسك بلبنان، وما جعل الصيغة اللبنانية ممكنة من عام ١٩٤٣ حتى الحرب الأهلية، هو محصلة المواقف العربية المحيطة بها، وبالتحديد مصر

وسرويا وعندما أختل الوضع بين مصر وسرويا كان لا بد أن يتأثر الوضع في لبنان. المشكلة أن بعض القوى اللبنانية تصورت ان اختلال الوضع بين سوريا ومصر يسمح للبنان أن ينفلت من وظيفته. . وعلى سبيل المثال فإن ما مثله بشير الجميل. وما مثلته الكتائب اللبنانية في مرحلة من المراحل كان محاولة للقفز فوق الواقع، وتصور أشياء غير صحيحة، منها ان لبنان يستطيع ان يقيم حلفاً مع إسرائيل في مرحلة، ويستطيع ان يعتمد على أميركا في مرحلة. . وهذا كلام غير طبيعي. . فاسرائيل سوف تظل قوة طامعة في لبنان. وأميركا سوف تظل بالنسبة للبنان قوة بر غير قادرة على شيء. إلا أن تستعمل قوة بر محلية. . فاميركا في الشرق الأوسطقوة بحر لا تستطيع أن تفعل الكثير. . وعندما تنزل الئ الشاطىء تكون منسوفة ومعرضة، وهذا حدث. . لذلك فإنني أقول إن حرب لبنان هي أطول حرب دخلتها اسرائيل، وهي أسرع حرب خرجت منها أميركا. إن أميركا في أية بقعة من العالم خارج الاطلنطي، هي قوة بحر، تستطيع ان تؤثر بتفوذها السياسي، وبقوتها الاقتصادية، لكنها في عمليات التدخل المباشر لا تستطيع أن تتدخل إلا كقوة بحر بالاساطيل. . وعندما تنزل الى البر فهي معرضة لأن تمسك بها قوى البر، وتعض في اللحم الحي. . وهذا ما حدث في لبنان ـ أميركا في لبنان، طوال ما كانت موجودة كطرف بعيد، كانت قادرة على التأثير، بل هي في خطر التهديد العسكري من دون استعمال القوة العسكرية. كانت قادرة على الفعل. . وعندما نزلت الى البر، استطاعت بعض القوى في لبنان أن تمسك باللحم الحي الاميركي، وتكبدها في ليلة واحدة خسائر فادحة اضطرت أكبر دولة في الدنيا أن تلم نفسها وتختفي في اليوم الثاني، مثل لص ضبط متلبساً فلاذ بالفرار.

● هل كان نزول اميركا قراراً اميركياً أم هو فخ نصب لها وجرها الى مستنقع؟

■ الاغلب أن هذا هو غرور القوة. وصلافة القوة. . وهو أنه مهما كانت الروادع أمام أي قوة معينة، ومهما كان الثمن الذي تتصور أنها قادرة على دفعه في ظروف طبيعة إن تدخلت في موقف معين، فإنها تأتي في لحظة وتتصور أنه من الممكن أن يكون التدخل سهلاً.

فالوضع الذي كان موجوداً بعد إنسحاب المقاومة الفلسطينية، وبعد اغتيال بشير الجميل، وبعد مذبحة صبرا وشاتيلا، يمكن، أن يكون الأميركيون قد تصوروا أنه لحظة مناسبة، وأن النزول إلى البرلن تكون له تكاليف كبيرة، وبالتالي نزلوا، ولكنه ثبت أن هذا غير صحيح أيضاً. . وثبت أن القاعدة التي تستطيع أن تفرض نفسها في ظروف عادية، قادرة أيضاً على فرض نفسها في ظرف استثنائي. . فمهما تصورنا وجود الفرص فإن ثوابت التاريخ تفرض نفسها في النهاية.

● قلتم أن للبنان وظيفة عربية، فهل يفشل خارجها إذا سعى إلى غيرها؟.

■ لبنان خارج إطار الوظيفة العربية سوف يفشل. . سوف ينفرط ببساطة، لأن لبنان مركب من عناصر كلها عربية. لكن بينها ما بينها تاريخياً، هناك مواريث لا يمكن اجتيازها في سنة أو عشرة أعوام. . وهذه المواريث حقيقية إنسانية وحضارية وسياسية واقتصادية. . وإذا نسينا هذا. وإذا ترك لبنان وشأنه، فإنه بحد ذاته لا يكون أمة. . عندما يقال «الامة اللبنانية» هذا غير صحيح. نعم هناك مشروع للشعب اللبناني. . لكن هذا المشروع للشعب اللبناني جزء من التركيبة العربية ومتداخل ومنسق في لبنان. . أقول هذا ضرورة وينبغي الحفاظ عليه. . لكن يجب أن نعرف أنه موجود كضرورة باعتباره وظيفة. . فإذا اخطأت واعتبرت فاعلاً اصلياً في المنطقة فإنك تقع في الخطأ. . .

● إلى أي مدى يرتبط الصراع في لبنان بالصدام العربي الاسرائيلي؟

■ الصراع في لبنان جزء من الصراع العربي الاسرائيلي. . إذا كنت أقول إن لبنان وظيفة، وإن العالم العربي كله مشتبك في صراع معين، صراع بقاء وصراع حضارة بشكل أو بآخر، صراع شامل اقتصادي، حضاري، إنساني قومي، فلا يمكن للبنان أن يبقى بمعزل عن هذا، خصوصاً إذا كان يؤدي وظيفة.

ما هو الصراع الذي حدث في لبنان؟ . . إن الصراع الذي نتج عن اختلال موازين القوى التي كانت قادرة على أن تعطي لبنان الفرصة لتأدية وظيفته. بعض القوى في لبنان اخطأت حساباتها وتصورت انها تستطيع ان تجد بدائل أخرى لوظيفة لبنان العربية. وبالتالي حدث الخلل الذي نراه اليوم.

وأظن أن هذا كله يؤكد أن لبنان جزء من صراع الأمة، وهو الجزء الأكثر حساسية، فإذا كان هو النقطة التي يلتقي فيها العرب أو يختلف فيها العرب. . إذا كانت وظيفته أنه ملتقى الطرق، ومفترق الطرق. بين الأفكار والتيارات والمذاهب والثقافات والتجارة الخ، فإن ملتقى الطرق أكثر تعرضاً للمشاكل إذا انفرط التماسك من حوله. . ولا ينبغي لاحد أن يخطىء في هذا. . إن فترة انفراط العقد. فترة انفراط كل العناصر التي تؤدي إلى تماسك الوضع اللبناني، كان ينبغي أن تدفع كل الأطراف اللبنانيين، إلى حذر أكبر، وإلى تشبث بالمدافع أكبر. وليس أن تدفع البعض إلى مغامرات لدفع لبنان خارج الوظيفة اللبنانية وخارج الدور اللبناني، وهذا هو الخطأ الذى حدث.

ويجب ان أقول لكي أكون منطقياً إن الخطأ حدث من ناحيتين من الناحية العربية حدث خطأ وهو أن لبنان تحمل وحده ثقل الثورة الفلسطينية. وما كانت تريد أو تتمنى أن تفعله. . دون أن تكون قادرة على تحقيقه. . وفي الوقت نفسه كان بعض أخواننا الموارنة قد تصوروا أيضاً ما يتمنون أن يفعلوه دون أن يكونوا قادرين على تحقيقه. . وبين هذين الخطأين. تعرض لبنان لأكثر مما كان ينبغي أن يتعرض له.

فحتى ضرورات الصراع العربي الاسرائيلي، وحتى آثاره السلبية التي كانت موجودة في تلك المرحلة، وحتى انعكاسات هذا الصراع على الوضع اللبناني. كان من الممكن أن تكون أقل سوءاً مما كانت عليه لو أن كل الاطراف ادركوا حساسية الوضع اللبناني.

فمن ناحية الثورة الفلسطينية والاطراف العربية الأخرى كان ينبغي أن يكون هناك تقدير أكبر لدور الوضع اللبناني.

ومن الناحية اللبنانية أيضاً كان لا بد أن يكون هناك تقدير بأن هذا ليس فرصة سانحة للاستغلال بالهروب من الوظيفة وإنما هو مغامرة غير مأمونة العواقب بين هذين الخطأين في أعتقادي، تحمل لبنان والشعب اللبناني أكثر مما كان ينبغي، وربما بأكثر مما كان يطيق. . ولكن مع الأسف ما يزال الأمر مستمراً، وهذه كلها محصلة اخطاء عربية ولبنانية.

● **هناك وضع يعكسه الموارنة وهو أنه كلما كان الوضع العربي قوياً. تجدهم ينسجمون بالوضع العربي.. وعندما يكون الوضع العربي ضعيفاً..**

■ الأمر ببساطة أن الوضع العربي القوي لا يعطي فرصة لأي وهم.. كلنا نقع ضحايا الوهم. لكن متى تنشأ الأوهام؟.. أنها تنشأ عندما يتصور أي طرف أنه يستطيع أن يفلت من ضرورات موقع. الموقف القوي يفرض عليك معرفة الحدود. والموقف الضعيف يجعل كل طرف راغباً في الانفلات من حدوده. يحاول الانفلات وينسى حقيقة أنه مهما كانت الأوضاع متردية سياسياً حوله، فإن واقع الجغرافيا والتاريخ لا يسمح له بأن يتجاوز خطوطاً معينة، وهذا ما حدث مع بعض الموارنة.

● **هناك من يقول إن الوضع العربي يتردى بسبب حرب لبنان؟**

● هذا غير صحيح.. الوضع اللبناني إنعكاس لتردي الوضع العربي الى جانب الاخطاء التي ارتكبها الاطراف في لبنان. سواء كانت لبنانية أو عربية.

● **كيف يمكن للعرب أن يساعدوا لبنان؟**

■ مع الأسف الشديد، الوضع العربي يجعل كل طرف عربي يهتم بنفسه. وهذا ما يحدث وقت الأزمات. لسوء الحظ أن لبنان في هذه المحنة، وكل طرف عربي يبحث عن خلاصه الخاص. فهذه لحظة هروب.. ونحن نعيش لحظة هروب في التاريخ العربي.. وبالتالي فلبنان لا يحمل همه احد.. وليس هناك احد قادر.. لأن الكل مشغول بنفسه.

● **هل غياب مصدر القرار العربي الواحد هو السبب؟**

■ اختلف معك في كلمة غياب.. إنني أكاد أقول «موات».. وتقول مصدر، ولا أرى وجود مصدر بمعنى كلمة مصدر. فهذا تعبير ثقيل حتى بالنسبة لمصر. وأما القرار. فيا ليت لدينا القدرة حتى على صنع القرار.

مع الأسف إنني أكاد أكون متشائماً. لكنني متشائم سياسياً ولا يمكن أن أكون متشائماً تاريخياً.

إنني أرى أنني في حالة أسوأ من حالة «الغياب».

وإننا في حالة أسوأ لن يكون لدينا «مصدر» مهما كان ضعفه. كما أننا غير قادرين على صنع قرار.

إنكم تحلمون.. وتتحدثون بلغة فترة انقضت.. الوضع اسوأ جداً من الكلمات التي تحاول استخدامها، أدباً ورقة.

● إلى أين الهروب، إلى أين تحاول كل دولة عربية أن تهرب، وهل هناك من أفق لهذا الهروب؟

■ موقف الهرب ليس موقفاً عقلانياً، وإنما هو موقف غريزي.. أحياناً أنت تهرب لتجد نفسك في حضن عدوك.. فعندما يأتي داعي الهرب في أي موقف، فإن أحداً لا يفكر إلى أين؟ كل طرف يرمح هارباً لأي طريق يجده مفتوحاً أمامه.. الكل يهرب، والكل يحاول النفاذ من أية ثغرة مفتوحة.. أما إلى أين، وبأية تكاليف فهذا هدف أو اتجاه.. إنها لحظة معينة يصبح الهدف فيها الابتعاد فقط فأنا للأسف، لا أرى في العالم العربي أحداً قادراً، ولا أحداً لديه القدرة.

● ما هي شروط استعادة الطمأنينة حتى نكف عن العرب المخاطر؟

■ إنني أتصور أن هذا مرتبط بإعادة ترتيب الوضع العربي.. وأكاد أقول إنه مرتبط اساساً وبالدرجة الأولى بمصر. وأنا لا أقصد هنا ان أضخم من دور مصر، لكن دائماً هناك محور لا بد أن تدور من حوله الحركة.. وفي غياب المحور عن أداء دوره، فإن هناك خلخلة في أداء كل حركة تستطيع أن تقول أن الوضع في لبنان وفي غير لبنان، في العالم العربي، يمكن أن يجد أو يبدأ في تلمس طريقه نحو الاستقرار عندما تحاول مصر. أو تنجح في أن تضع نفسها في موضعها الصحيح تاريخياً، وتؤدي دورها..

● كيف تستطيع القوى اللبنانية أن تنهي الحرب في لبنان؟

■ **أنا لا أعتقد أن في مقدرة القوى اللبنانية أن تفعل هذا ولكن في مقدورها أن**

تقلل الخسائر. . ما هو مطلوب من القوى اللبنانية أن تجعل الحياة محتملة بالنسبة للشعب في لبنان، لأن الشعب العربي في لبنان تعرض فعلاً لوضع مأسوي.

الوضع الحالي في رؤيتي ليس له حل. . أو على الأقل ليس له حل قريب. . وفي مثل هذه الظروف إذا طلبت الحل فأنت تطلب المستحيل، خصوصاً إذا كانت عناصر الحل خارجة عن إرادتك، كما هو الوضع في لبنان. . إذن ما هو في طاقة القوى اللبنانية أن تجعل الوضع محتملاً بالنسبة للشعب في لبنان، بأن تحاول أن تدرك الواقع، وأن تتفاهم، وأن تعرف أن الوقت ليس وقت أوهام، ولا وقت صفقات سرية، أو تكتيك. لو أمكن للقوى اللبنانية أن تحاول التمسك بقدر أدنى من الوحدة ليس مجرد «تبييض واجهة»، بل أن تعرف الوصول إلى تفاهم حقيقي يؤكد أن لكل القوى في لبنان نصيباً، وأنا أعرف أن كل قوة في لبنان حريصة على وضع لبنان، ولا شك في هذا. . لكن في لحظة تخلخل في الموازين، كل قوة في لبنان ترغب في زيادة نصيبها من التأثير في لبنان. . وقد يكون بعض التعديل في موازين القوى الموجودة في لبنان ضرورياً ولكن أية محاولة من أي طرف لأن ينتهز فرصة ما هو موجود لكي يكبر نصيبه بما يفوق واقعه، من الممكن أن تؤدي إلى تمزق لبنان. فأنا أتصور، إذن، أنه ليس في طاقة القوى اللبنانية أن تنهي الوضع في لبنان اليوم، لكن في مقدورها، في اعتقادي، أن تقلل خسائره، وأن تجعل تكاليفه محتملة وأن تجعل الحياة في ظله معقولة الى حد ما بالنسبة للشعب اللبناني الذي دفع ثمناً بشعاً.

● سألنا عن كيفية أنهاء القوى اللبنانية للحرب في لبنان، على ضوء ما يبدو من أن هناك قراراً سورياً باغلاق ملف الأزمة اللبنانية، وقراراً اسرائيلياً بالتراجع على الأقل، وقراراً مارونياً بخيار الوظيفة العربية التي أشرتم اليها؟

■ نحن نتحدث عن لبنان. . إذن فإن أي قرار سوري مرهون بالدرجة الأولى بمصالح سوريا وحدها. . وسوريا وهي معرضة، كما هو الحال اليوم، لا تملك ترفاً أن تحمل نفسها مسؤولية الوضع في العالم العربي. . إذن فسوريا في اهتماماتها وفي كل تحركاتها إنما تستهدف سوريا وليس لبنان. . وإذا تصورنا

وضع الحصار المضروب حول سوريا، سنرى أن سوريا تتصرف في لبنان بدواعي الأمن أكثر من أي شيء آخر. . والأمن السوري ليس وحده كفيلاً باعادة تعديل الأوضاع في لبنان، إذن سياسة سوريا محكومة برؤيتها الخاصة، وهذه محكومة بدواعي أمن معينة، فإذا أخذنا انعكاساتها في لبنان قد لا تكون هي الراغبة بالضرورة لقفل ملف لبنان. سوريا تلعب في لبنان لعبة التكتيك وليس الاستراتيجية. لو تحدثنا عن إسرائيل لتساءلنا: لو لم يكن الفلسطينيون موجودين في لبنان ألم تكن اسرائيل لتدخل لبنان؟ . . إنني أقول بلى. . ولنعد إلى كلام بن غوريون، وخلافاته مع شاريت، سنجد أن لبنان في حد ذاته، مطمع اسرائيلي، وحماية لبنان كانت في الوضع العربي العام. ربما لم يكن الاسرائيليون ليدخلوا حتى بيروت لولا وجود الفلسطينيين، لكنه على وجه اليقين خصوصاً في ظل أزمة عربية بهذا الشكل.

إذن سوريا تلعب لعبة الأمن، وإسرائيل تلعب لعبة التوسع. . وإذا قلت لي إن أحدهما ستقفل ملف الأزمة اللبنانية، لاجبتك بأن هذا القفل ليس إلا لعبة تكتيكية بانتظار ظروف مختلفة.

● **في هذه الحالة هل تجد أنه من الصعب أن تنسحب اسرائيل من لبنان نهائياً على الأقل؟**

■ لا اعتقد أن إسرائيل ستنسحب من لبنان نهائياً بالطريقة التي نتصورها نحن. لا أتصور أن إسرائيل ستنسحب نهائياً من لبنان إلا إذا حدث أمران:

١ ـ تصفية الوضع السوري. . بمعنى تصفية الجيب العسكري السوري الباقي، بمعنى أن توجه إسرائيل ضربة نهائية لسوريا، سواء داخل الحدود اللبنانية أو غيرها بما يؤدي إلى تصفية الوضع السوري. وذلك لأن سوريا موجودة حتى هذه اللحظة، ظاهراً وواقعاً، كجبهة تصدٍ، أو حائط تصدٍ.

٢ ـ أن تجد إسرائيل في بيروت حكومة تعمل ضد وظيفة لبنان العربية. بمعنى حكومة تؤمن لاسرائيل مصالح تكاد أن تكون سيادية في جنوب لبنان.

● **كما هو الأمر بالنسبة لاتفاق ١٧ أيار؟**

■ بشكل أو بآخر. . وبدون تحقيق هذين الأمرين، لا اعتقد أن الجيش الاسرائيلي سينسحب من لبنان نهائياً.

إن الوضع الذي يجعل إسرائيل تتحدث عن الانسحاب وإظهار نوايا الانسحاب هو الوضع المالي ـ الاقتصادي المتردي في إسرائيل ـ وهذه قضية أخرى. صحيح أن نسبة الخسائر عالية جداً، لكن تكاليف حملتها في لبنان عالية جداً، خاصة في وضع اقتصادي صعب جداً اضطرتهم إلى الطلب سلفاً. . صحيح أن أميركا موجودة وتضمن باستمرار، إلا أن إسرائيل رجل مفلس ومدين، ووراءه ضامن ابدي، لكن هناك مشكلة أيضاً، وهي ان لهذا الضامن الابدي مشاكله الاقتصادي هو الآخر، لكن كل ما سيفعله على هذا الصعيد هو أن يقول لاسرائيل: أن هناك حدوداً، برغم توافق المصالح. إنني أتصور أن إسرائيل: تلعب لعبة المفاوضات، وتريد أن تظهر أن المفاوضات مستحيلة، وذلك لسببين:

١ ـ لتستطيع أن تقصر خطوطها في لبنان بما هو ضروري لمصالحها الدائمة فيه.

٢ ـ لكي تجد قوى بديلة في لبنان تعوضها عن تأمين مصالحها، سواء كان جيش «لحد» أو قوة طوارىء ولا اعتقد أنها ستقبلها. المهم أنهم يرون ضرورة بقائهم في الجنوب بشكل أو بآخر إلا إذا:

١ ـ صُفّي الوضع السوري تصفية كاملة.

٢ ـ وجدت حكومة في بيروت تمثل بالدرجة الأولى العناصر التي ارادت الانفلات من وظيفة لبنان العربية.

● **هل معنى هذا أن الصدام السوري الاسرائيلي وارد حتماً؟**

■ انا أعتقد أن هذا ضروري: فإما أن توجد تسوية، وهذا معناه أن توافق سوريا على تسوية غير مرضية لها، وإما أن تجد سوريا نفسها مواجهة بعملية عسكرية أو

بعملية استدراج . . الخ . . لكنني اتصور أن تصفية الوضع السوري على نحو أو آخر أصبحت مطلباً يكمل ما تريده إسرائيل لكي تنسحب من لبنان .

● **ما هو الوضع بالنسبة للتوازنات الدولية في هذا الأمر؟**

■ هناك مواقف لا تستطيع فيها التوازنات الدولية أن تفعل شيئاً ـ اننا نتحدث عن الضمان السوفياتي . .

● **نعم . .**

■ أنا لا أعرف ما هي حدود الضمان السوفياتي إذا كان هناك هذا الضمان ، بالتأكيد هناك حد معين من التنسيق بين الاتحاد السوفياتي وسوريا ، لكن إلى أي مدى هناك ضمان سوفياتي مؤكد؟ . . هذا مع علمي بأن التوازنات الدولية من حيث أن سوريا هي آخر موقع للاتحاد السوفياتي فيه تأثير مباشر، لكن يبقى أنه من الممكن لنا أن نتصور توجيه ضربة للجيش السوري في لبنان ، أو بالطيران ، دون ان تتخطى إسرائيل حدود سوريا ، بما يؤدي في النهاية إلى اسقاط سوريا .

لكن ببساطة ، وأنا اتحدث عن الوضع الآن ، إن إسرائيل لا يمكن أن تسمح لنفسها بأن تنسحب من جنوب لبنان مع وجود الجيش السوري قريباً منها بهذا الشكل وعلى درجة التعبئة الموجودة عليها حالياً .

● **يبدو أن إسرائيل بحاجة إلى توجيه ضربة كبيرة، أو القيام بعملية كبيرة لتحقيق انسحاب صغير؟**

■ الموضوع ليس موضوع الانسحاب في حد ذاته . . بل هو مفهوم أو تصور الأمن الاسرائيلي . . إسرائيل لديها اتفاقية صلح مع مصر . . والصدام على الجبهة الاردنية غير مطروح . والثورة الفلسطينية ليست موجودة في بيروت كعنصر ازعاج لها . إذن اسرائيل ترغب في ترتيب بقية الأوضاع حولها :

إذن المطروح ليس ضربة لسوريا ثمناً للانسحاب من الجنوب . . ما هو مطروح ليس الانسحاب من الجنوب . . الانسحاب من الجنوب هو جزء من تصور الأمن الكلي لاسرائيل . .

● **قلتم أن سوريا إما أن تقدم على تسوية أو تتعرض للتصفية هل التسوية ستكون منفردة أم في إطار مشروع عربي؟**

■ مع الأسف ليس هناك مشروع عربي واحد. . ولا مشروع عربي متكامل. .

● **هناك من يقول بعدم وجود رئيس ماروني في لبنان؟**

■ لا اعتقد أن من الخطأ أن يكون هناك رئيس ماروني. . والمشكلة أن الخطأ الذي يقع فيه اخواننا الموارنة أو في «القوات اللبنانية» أنهم يتحدثون عن الديمقراطية وهم غير قادرين على تطبيقها. . إذا كنا نتحدث عن لبنان كشعب. فلننظر أين هي الأغلبية؟. . أما إذا تحدثنا عن وجود لبنان كوظيفة، فإنه يسمح في هذا الاطار بأن تختلف القواعد التقليدية وقيام الحكم والسلطات في لبنان. لأنه حالة استثنائية. في ظل دور لبنان كوظيفة عربية. يمكن أن يكون الرئيس مارونياً. ولماذا لا يكون. .

أما في ظل تصور أن لبنان هو لبنان المستقل لوحده. والمنفلت من الرقعة العربية سواء المتجه إلى أوروبا الغربية متصوراً نفسه أطلسياً أو متوسطياً، أو معتمداً على حماية أميركية متصوراً نفسه كقاعدة. أو لبنان المتجه لاسرائيل متصوراً نفسه أقلية مع أقلية. في هذه الحالات لا يجب أن يكون الرئيس مارونياً. . بل الطبيعي في هذه الحالة ان يكون شيئاً آخر. عندها يجب ان تفرز القوى الشعبية. . وننظر أين هي الأغلبية. . الخ. .

ولسوء الحظ أن هؤلاء الذين يلعبون الالعاب التكتيكية لا يسترسلون مع منطقهم إلى نهايته. .

هؤلاء المنفلتون من وظيفة لبنان لو أنهم يتحدثون عن شعب وعن حدود محدودة، وعن دولة بالمعنى التقليدي. لما بقي لهم مكان في سلطة الدولة العليا. . ويكون لهم المكان في السلطة العليا فقط، وفقط إذا كان هناك توليفة في لبنان تتجاوز الأوضاع التقليدية للدول لأننا نكون ساعتها بصدد الكلام عن وظيفة وليس عن قطعة أرض فقط.

● **إذن شرط وجود الرئيس الماروني هو أداء لبنان لوظيفته العربية؟**

■ طبعاً. . ولا يوجد شيء غير هذا ولنتحدث بوضوح.

إذا أخذنا شعب لبنان، هل الاغلبية فيه مارونية؟ . . هذا غير صحيح إذن لماذا يتحدثون عن وضع خاص متميز للموارنة في لبنان؟ نحن نتحدث عن وضع خاص للموارنة في لبنان لأن للبنان وضعاً خاصاً بصرف النظر عن الأغلبية أو الاقلية فيه. . للبنان إذن وضع خاص، والعالم العربي راغب في الحفاظ على هذا الوضع الخاص، ويجب أن ننتبه إلى أن هذه هي الروح التي وردت في الميثاق. وهي الروح التي دفعت رياض الصلح، وغيره من الزعماء الوطنيين وزعماء الاستقلال لأن يطلبوا من الشيخ بشارة الخوري أن يكون الرئيس، وهم يعلمون أن الرئاسة ستبقى للموارنة إلى ما شاء الله. . لأنهم أدركوا أن المسألة ليست في عدد الأصوات، وليست رقعة الأرض المحددة بطريقة معينة، وليست أرضاً وإناساً يحسبون حسابات وانتهى الموضوع، إنما المسألة هي مسألة حساب امتدادات أوسع من هذا بكثير. .

لا أراهن على تسوية
شاملة للقضية الفلسطينية ٢

● ماذا أعطت المقاومة الفلسطينية لقضيتها وللوطن العربي؟

■ في اعتقادي أن المقاومة اعطت كثيراً جداً للوطن العربي وللقضية الفلسطينية أولاً، منظمة التحرير مثلت في النهاية حقيقة وجود شعب فلسطين تمثيلاً سياسياً ودولياً.. ولو لم تؤد سوى هذا الدور لكفى الأمر. وهذا هو الدور الاساسي الذي ترتبت عليه أمور كثيرة جداً.

● لماذا اختار ياسر عرفات السياسة التي تجعله في مأزق جغرافي سياسي؟

■ لا اعتقد أن ياسر عرفات قد اختار. لكنك تستطيع أن تقول أنه دفع وترك نفسه يُدفَع. حدثت له مضايقات فظيعة، وحدثت عملية تخلٍ عنه.. وكان في حالة فوران.. وحالة جرح فظيع.. لكنني اعتقد أن كل قيادة تاريخية لا بد لها أن تتحمل أحياناً فوق ما يطيقه البشر. أحياناً تضطر بعض القيادات إلى فعل ما يكاد أن يكون مميتاً بالنسبة لها.. لكنها تفعله وهي عازمة.

عبد الناصر مثلاً، اذكر له موقفين في الخرطوم، لا اعتقد أنهما كانا سهلين بالنسبة له أبداً. اعتقد أن هذين الموقفين مثلاً قمة مقدرة جمال عبد الناصر على التحمل.

عندما يأتي عبد الناصر ويقول للملك حسين في الخرطوم بعد المؤتمر: يا أخ حسين أمانة الله، أفعل كل ما تستطيع فعله سياسياً لكي تستعيد الضفة الغربية وغزة، تحدث مع الأميركيين كما تريد وسوف أؤيدك. لأنني لا أخاف على سيناء، فالاسرائيليون لن يستطيعوا ان يغيروا شيئاً في طبيعة سيناء، إن سيناء ليس فيها سكان كثيرون والجيش المصري سيكون قادراً على الضرب وعلى استردادها.. لكنني قلق جداً على الضفة الغربية، وقلق جداً على غزة ولم يكن من السهل لأحد

أن يقول هذا خاصة مع موقف اميركا من عبد الناصر وموقف عبد الناصر ضد الأمبريالية والسيطرة الأميركية.

عندما نأتي للموقف الآخر. وهو موقف عبد الناصر من قبول الدعم، وقد رأيته ولم يكن من السهل عليه أن يقبل دعماً يأتي من خصومه لكنه اعلن بقبول الدعم، لأنه أجرى حساباته وأدرك أنه لا يمكن قطع البترول، فإذا كان لا بد من تدفق البترول، فليذهب جزء من عائداته لتعويض خسائر مصر لتستطيع مواصلة المسير. هذا قرار عقلاني، نحيِّت عنه جميع العواطف الإنسانية، وهنا الاختبار الحقيقي. . هناك مواقف لا تملك فيها أن تغضب مهما كانت جراحك، لأنه تكون هناك دواع أكبر من الغضب، وعليك في هذه الحالة ان ترتفع على نفسك وأن تقبل جراحك، على أساس أن هناك ما هو أكبر وأبعد من لحظة آنية، وشخص بعينه، وبرغم علمي بكل ما تعرض له ياسر عرفات من استفزاز وعراقيل، لكن هناك حقائق لا نستطيع أن نقفز من فوقها.

● **هل تعتقدون ان لدى عرفات مشروعاً سياسياً بمعزل عن سوريا؟**

■ لا . . لا يمكن. . كيف يمكن الابتعاد عن سوريا وليس لديه أرض بديلة يمارس فيها، إضافة إلى أن الدنيا باسرها ضده؟ كيف يمكن له أن يكون بمعزل عن سوريا؟ . . كيف يمكنه أن يكون بمعزل عن مصر؟ كيف يمكنه أن يكون بمعزل عن العراق؟ كيف يمكنه أن يكون بمعزل عن الأردن؟ كيف؟

وهناك سلبية أخرى وقع فيها عرفات، وكلنا نقع فيها، وهي الاشكالية بين ما هو محلي أو وطني وبين ما هو قومي.

كيف يمكن أن أطلب من الآخرين أن يساعدوني في استرداد الأرض الفلسطينية والوطن الفلسطيني المستقل ثم أعرض استقلال الأردن للخطر؟ واعرض استقلال لبنان للخطر. كيف أطلب من الآخرين أن يضحوا باستقلالهم لكي يمكنوني من الحصول على استقلال؟ وهذا ليس عجز الثورة الفلسطينية وحدها، بل عجزنا عن التوفيق بين العنصر الوطني المحلي والعنصر القومي الأكبر والأوسع والاشمل، وهذا مأزق وقعنا فيه، مثلما وقعت فيه المقاومة الفلسطينية، وكما

وقعت فيه سوريا. . ومع الأسف الشديد لم نستطع حتى الآن ان نجد صيغة نحل بها هذه الاشكالية في التناقض بين ما هو قومي وبين ما هو وطني.

السلبية الثالثة التي وقعت بها المنظمة، هي سلبية التصور أن الوسائل مجرد الوسائل. . قادرة على تحقيق الغايات. . مثلاً، هناك دول اعطت المقاومة الفلسطينية بكرم. . مثل السعودية. . لكن الحقيقة أن نفوذ السعودية كان مطلوباً أكثر من نقودها. . لكن الثورة الفلسطينية ـ لأنها تحتاج الوسائل لتعيش بها ـ أخذت النقود من السعودية وبالتالي اعتبرت السعودية أن ما دفعته من نقود يكفي لأن تستبد بنفوذها السياسي، وبالتالي فإن دعم الثورة الفلسطينية كاد أن يكون بديلاً عن استعمال قوة الضغط السعودي والبترولي والمالي وكل الإمكانات العربية. إذن بعض الوسائل عطلت جزءاً مهماً من بعض الغايات. . .

● **هل نستطيع أن نقول أن ياسر عرفات استبدل الجغرافيا السورية المقاتلة بالجغرافيا المصرية والأردنية غير المقاتلة؟**

■ لا. . لا يوجد ما يسمى بالجغرافيا المقاتلة، والجغرافيا غير المقاتلة.

● **هل انتهى دور المقاومة الفلسطينية؟ وماذا تستطيع أن تعطي أكثر من ذلك؟**

■ أنا أعتقد أنها تستطيع أن تعطي كثيراً جداً. . وهناك مسألة مهمة جداً. . أنه مهما كان الثمن، فلا ينبغي أن يترك الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال للهواجس التي تنتابه الآن. . اعرف ما حدث في الضفة الغربية وغزة. . واعرف أن صبر الناس بلغ منتهاه. وما حدث في طرابلس كان مميتاً بالنسبة لهم، المجلس الوطني الفلسطيني الأخير. . لم يغير شيئاً كثيراً. .

لا بد للثورة الفلسطينية اليوم، أن تجعل نفسها قادرة على أن تعطي جزءاً من الأمل للشعب الواقع تحت الاحتلال. . وإلا فإن هذا الشعب لو فقد الأمل لاصبحت النتائج مأساوية.

● **هل هناك تسوية شاملة مقبلة للقضية الفلسطينية؟**

■ التسوية الوحيدة الممكنة في الواقع الراهن أنه لا توجد فلسطين على الاطلاق. . غير مطروحة على الاطلاق. . ولنتساءل لماذا تكون مطروحة؟

لقد كنت في أميركا اثناء الانتخابات. . وقابلت كل من له قيمة في أميركا ما عدا الرئيس ريغان، وذلك على اتساع دائرة القرار أو الفكرة او التصور. . وليس في حساب احد اطلاقاً في حدود ما هو منظور الآن أي دور لمنظمة التحرير الفلسطينية. إلا أن توقع. . بمعنى إنها إذا كانت تريد أن توقع اعترافاً باسرائيل، فسيقولون لها أهلاً وسهلاً. وما عدا ذلك لا شيء. .

وهذا لسبب بسيط جداً وهو أنه ليست هناك قوة ضغط عربية على الاطلاق. .

إن الاستجداء ليس ضغطاً. . وطلب العطف والرضى ليس موقفاً تفاوضياً. . ومع الأسف الشديد، في الوضع العربي الراهن، نحن في أحسن أحوالنا طلاب للعطف والرضى، وفي اسوأ أحوالنا مستجدون. وأنا لا أرى أنه يمكن أن يكون لنا موقف تفاوضي في المسافة بين طلب العطف والاستجداء.

● **ما الذي ينتظره ياسر عرفات إذن إذا لم يكن له أي وجود. هل الحاقه بالاردن أو بمشروع تسوية مصري ـ أردني؟**

■ ما هو المشروع المصري ـ الاردني؟ . . الملك حسين جاء القاهرة، وجميل جداً أنه جاء. . وجميل جداً أن يستطيع فتح الجسور مع مصر، وأن تفتح الجسور معه. . لكن لو أخذنا مشروعه. . فما هو؟ السلام مقابل الأرض؟ أين هي الأرض؟ إسرائيل لن تترك الأرض. . يمكن فقط أن يقوم الأردن ببعض مهام إدارية في جزء من بعض اجزاء الضفة الغربية ـ لكن ليست هناك سيادة. .

إسرائيل واضحة أمامنا. . والكلام الذي يقال في إسرائيل. واضح في منتهى الوضوح. . لكننا لا نريد أن نصدق، ونتصور كلاماً آخر، لأننا لا نريد أن نصدق ما يقال في اسرائيل. . والسبب في ذلك أننا لو صدقنا فسنبقى أمام واقع لا نستطيع أن نواجهه. . فالمسألة تتطلب موقفاً عربياً. .

إسرائيل تقول بوضوح إنها لن تتفاوض مع منظمة التحرير. . شامير يقول «عليكم أن تختاروا بين السلام مع إسرائيل والصداقة مع منظمة التحرير» وهذا حقيقة وليس مزاحاً. . إذا كنا نستطيع تغيير الوضع بالقوة فلنغيره وهذه قضية أخرى. . لكن بينما تقول إسرائيل هذا الكلام، ونراه يطبق عملياً على الأرض، فإن

وصف الهروب ينطبق علينا عملياً إذا لم نأخذ كلام اسرائيل في اعتبارنـا. . وإذا تحدثنا بكلام آخر فهذا يعني أننا نتحدث في موقف جد.

إنني لا أراهن على تسوية شاملة وعادلة مقبلة للقضية الفلسطينية. ولا بمليم واحد. كلام اسرائيل واضح أمامنا. . ثم أن الواقع والافعال تؤيده كل يوم. . ثم إننا لو درسنا الواقع الاسرائيلي لوجدنا أن الإسرائيليين لا يستطيعون أن يفعلوا إلا ما يقولونه بالفعل ولا يستطيعون شيئاً آخر. لنأخذ تركيبة الحكومة الائتلافية في شكلها الراهن في إسرائيل، لنأخذ مجمل الأوضاع الاقتصـادية، لنأخـذ مجمـل الأزمـة الإسرائيلية. . كل هذا يؤدي بنا إلى أنه من غير الممكن أن يقولوا كلاماً آخر. . ولا يوجد بديل إلا إذا استطعنا أن نغير موازين القوى في العالم العربي. . لكن في ظل ما هو موجود لا رهان.

● **هذا السؤال موجه إلى ياسر عرفات؟**

■ قد تكون لياسر عرفات معطياته الخاصة. . وقد يكون لديه ما لا اعلمه. . لكنني أقول يقيناً بكل ما اراه أمامي. . ولا أعتقد أن ياسر عرفات لديه شيء. .

إن الاعتماد كله هو على الطرف الأميركي. . وأنا أدعي وأنا مقبـل لتـوي من أميركا، أنني أعلم عن حقيقة النوايا الأميركية أكثر مما يعلمه أناس كثيرون، وإذا قال ياسر عرفـات إن لديه شيئـاً آخـر، فإننـي سأنـدهش. . وسـأكون سعيداً بأن انـدهش. أقـول ياليت. . لكن التمنـي في حد ذاتـه مع الأسف، حال هروب، أخرى.

● **ما هي مصلحة المقاومة الفلسطينية في أن توحد العالم العربي؟**

■ هذه هي المشكلة، إننا نطلب أحياناً من أنفسنا ومن بعضنا بأكثر مما نستطيع، هل تستطيع المقاومة أن توحد صفوفها أولاً، حتى تستطيع ان توحد العالم العربي؟ هناك أنقسام موجود أمامنا. . صحيح أن الأغلبية فيه لفتـح. . وصـحيح أن ياسـر عرفات هو القيادة التاريخية، لكن هذا لا ينفي أن هناك آخرين مثل جورج حبش مثلاً لا استطيع أن أنكر ما يمثله جورج حبش. . أننـي اختلف مع جورج حبش اختلافاً بيّناً. . لكنني لا أستطيع أن أنكر ما يمثله في الثورة الفلسطينية.

إذن هناك خلاف في الثورة.. فكيف توحد العرب؟.. يا ليت العرب يتركون الفلسطينيين ليتحدوا.. ما هو مطلوب ليس أن توحد الثورة الفلسطينية العالم العربي.. بل أن يترك العرب الفلسطينيين.

● **هل تعتقدون أن من مصلحة الثورة الفلسطينية توحيد العرب؟**

■ إنها لا تستطيع.. من أين لها ان تستطيع..

● **هل لها مصلحة في وحدة العرب**

■ قبل أن تسأل عن المصلحة يجب أن يكون لديك الخيار.. ربما يكون لك مصلحة في أن تكون رئيس الولايات المتحدة الاميركية.. لكن قبل أن تقرر أي شيء فيما يمكن أن يكون مصلحتك، يجب أن تقيس المصالح بالقدرة على تحقيقها.. وبالتالي نفي القدرة على تحقيقها يرفعها مباشرة من دائرة المصالح ويضعها في دائرة الاماني والأحلام والأوهام. لا يمكن أن تتحدث عن مصلحة، وأنت مقدماً، عاجز عن تحقيقها.

● **هناك من يقول أن إسرائيل وصلت المرحلة ما قبل الأخيرة من وجودها؟**

■ إنني واحد من الناس الذي يعتقدون إن إسرائيل وصلت إلى الطريق المسدود.. في كتابي (آفاق الثمانينات) الذي كتبته أواخر / ٧٩ في شكل سلسلة مقالات نشرت مقالة مخصصة للحديث عن إسرائيل.. بعض الناس راجعني فيما كتبت من دون أن يتاح لهم رؤية ان إسرائيل تجاوزت فعلاً امكاناتها.. تجاوزت ما تستطيعه..

حقيقة الأزمة الاسرائيلية بدأت بعد حرب ٦٧.. فاسرائيل بعد ٦٧ تجاوزت حدود الممكن بالنسبة لها.. ووصلت إلى موقف لا تستطيع احتمال تكاليفه ولا اعبائه ولا نتائجه.. وبالتالي بدأ المجتمع الاسرائيلي يتعرض لنوع من الافول.. نعم هو متماسك بالقوة.. لكنه جاء بعد ذلك وتلقى صدمة في حرب أكتوبر.. وبدأت تتضح حقيقة إسرائيل كما بدأت تتضح حدود القدرة، وإن القوة العسكرية ليست هي كل شيء.. وإن قدرة أي شعب وأي دولة في النهاية مرهونة باعتبارات كبيرة جداً.. وأكبر من أعتبارات وجود جيش قوي تعبث دباباته وطائراته هنا وهناك ويحقق في لحظات ضربات هنا أو هناك.

إسرائيل فعلت أقصى ما تستطيع ان تفعله عام ٦٧ . . ثم بدا على الفور عقم الحل العسكري . . لقد وصلت قناة السويس . . لكن ماذا بعد أمام مصر وأمام جيش مصر . . ثم جاء الجيش المصري وعبر قناة السويس في أكتوبر ٧٣ ، وهذه قيمة أكتوبر، إن الأمر ليس بالقوة العسكرية وحدها. وأنا أقول هذا عن أكتوبر مهما كانت الاخطاء السياسية بعد أكتوبر، وهي أخطاء بعضها قاتل، ومع الأسف الشديد إن معظمها أخطاء في فهم القيمة الحقيقية لأكتوبر.

إذن أكتوبر كان معناه سواء على الجبهة السورية ، أو الجبهة المصرية أن القوة العسكرية الاسرائيلية ليست كافية وحدها. بعد ذلك بدأت تداعيات كبيرة جداً، وبعد ذلك ظهر الاغتراب الاسرائيلي.

لنتصور عمق الأزمة في اسرائيل . . إذا تذكرنا أن اسرائيل ٣,٥ مليون نسمة وأن قوة العمل الموجودة فيها لا يمكن ان تزيد عن ١,٥ مليون . . والباقي شيوخ وأطفال ، وأن هناك نصف مليون إسرائيلي في نيويورك وحدها ولديهم تصاريح عمل مؤقتة ويعملون . . لأنه ببساطة لا توجد موارد تكفيهم ولا يجدون في إسرائيل ما يقيم حياتهم المعيشية . . وبالتالي فإسرائيل أمام أزمة وجود . . لقد راحت إسرائيل تبذل المستحيل لاقناع الدنيا أنها أمام أزمة حدود . . لكنها في ٦٧ تجاوزت كل الحدود ثم اكتشفت بعد ٦٧ أن أزمتها الحقيقية هي أزمة وجود. لكن هذه الأزمة لم تكن تختبر. . لقد اختبرت بعض الشيء في حرب الاستنزاف التي كانت ثقيلة على إسرائيل وحاولت إيقافها . . ووقفت بعد أن أخذ كل طرف من حرب الإستنزاف ما يريده، بالنسبة لمصر أخذنا الخبرة، وتطعيم الدم والنار والجو القتالي . . وهم دفعوا التكاليف وبدأوا يدركون شيئاً من عمق أزمتهم . . ثم جاءت اكتوبر . . ثم جاءت محاولة السلام . .

وحتى بعد السلام . . إلى أين؟ . . إنهم يكتشفون في النهاية أن الحلم عقيم . . وإن الأسطورة لا تستطيع أن تصنع تاريخاً. صحيح أنه من الممكن لها في لحظة من اللحظات أن يكون لها قوة فعل ، وأن تؤثر وتفعل وتضرب . . لكن الناس في إسرائيل بدأوا لأول مرة يدركون البعد الحقيقي للازمة ، وأنها ليست أزمة

حدود. . وبدأ أناس آخرون خارج اسرائيل يدركون البعد الحقيقي للازمة. لقد رأيت أناساً في الولايات المتحدة ورأيت فيهم، برغم الصلف والغرور والاوضاع المقبلة في المدى القريب، أناساً يسألون انفسهم اسئلة حتى عن التجربة الإسرائيلية، وهذا لم يكن يسمع في أميركا. . إذن إسرائيل فعلاً أمام أزمة. . لكنها ليست في المرحلة الأخيرة أو ما قبل الأخيرة.

● **ألا يدفعها هذا إلى نقل المعركة إلى الدول العربية حتى تتمكن من الوقوف والتماسك؟**

■ نقل إسرائيل للمعركة يحصرها أيضاً في إطار الحل العسكري.

● **المشاكل الطائفية وغيرها؟**

■ لنفترض أن هناك مليون مشكلة طائفية في لبنان. . ومليون مشكلة من هذا النوع في سوريا. . وغيرها لنفترض أن العرب كلهم انشغلوا عن إسرائيل وابتعدوا عنها. . ثم ماذا بعد؟ إن الأزمة في داخل اسرائيل. . وهي أزمة حقيقية. . إنها أزمة وجود.

● **من من مصادر القرار العربي يستطيع اليوم أن يبادر بأخذ زمام المبادرة لحل القضية الفلسطينية؟**

■ المشكلة اليوم، أن مصادر القرار العربي القريبة أو المؤثرة على ساحة المعركة كلها متهالكة.

● **حرب الخليج، هل مازال مطروحاً أمامنا من البادىء ومن الظالم أم أن هناك مستجداً حصل؟**

■ في بداية الحرب، كان من الممكن لأي شخص، سواء من العالم العربي، أو من خارج العالم العربي، أن يقول أن العراق هو الذي بدأها. . ويكون على هذا النحو يحكم حكماً سطحياً على الأمور، لأن العراق كان معرضاً للاستفزاز وفي اعتقادي أن العراق بلد مفتاح الأزمة العربية. . والبلاد ـ المفاتيح في الأزمة العربية هي مصر وسوريا، ثم العراق والسعودية على مستوى واحد ثم تأتي الجزائر. على مستوى التأثير السياسي، وليس التاريخي.

العراق مهمة جداً لأنها تقف على طرف معين في العالم العربي، وعلى منطقة احتكاك حضاري، وعلى منطقة تناقضات، قد لا نكون نريدها، لكن هي تناقضات لها جذورها، حتى في أيام الخلافة العثمانية، ولكن العراق على أية حال يبقى على منطقة خط-حدود احتكام حضاري وانساني وسياسي وعسكري وفي منتهى الاهمية وجود عراق عربي قومي قوي.

إذن في بداية الحرب. كان من الممكن لأي أحد أن يقول أن العراق هو الذي بدأ الحرب وقد يكون هذا صحيحاً في شكل التحرك الذي رأيناه.. لكن الثورة الايرانية لسوء الحظ، ومع كل الآمال التي كانت موجودة فيها، تجاوزت، وتصورت أنها تستطيع أن تخرج وأن تمتد.. وهذا جيد.. وهناك قوى في العالم العربي، شيعية وغير شيعية، كانت سعيدة بهذه الثورة الإنسانية.. لكن لسوء الحظ كانت هناك ممارسات راغبة في التأثير هنا وهناك.. وبالتالي أحس العراق بالخطر، خاصة وأن لديه شيعة، وأنه لو نجحت عملية مخاطبة الشيعة فسيحدث كذا.. وكذا.. وبالتالي قرر مواجهة هذا الخطر..

لكني اعتقد أن استمرار الحرب بهذه الطريقة، والتصلب الإيراني في عدم تسهيل الوصول إلى نهاية لها، أحدث انقلاباً خطيراً جداً.. ذلك أن الرأي العام العربي الذي كان منقسماً على نفسه في بداية الحرب، اصبح اليوم كله مع العراق، للاسف، وأقول للاسف لأننا لا نريد أستقطاباً على خط التماس بين حضارات وشعوب.. فالتساؤلات حول من بدأ بالعدوان، وما هو تعريف العدوان، وهل التهديد الداخلي يشكل عدواناً.. أم القوة الخارجية فقطهي التي تشكل عدواناً.. هذه كلها قضايا تحتاج إلى بحث طويل جداً.

ما نستطيع قوله، إن العراق أحس بتهديد معين.. ورد على هذا التهديد بشكل معين وبدأ القتال.. لكن ما يجب قوله إن الأمور قد تجاوزت مثل هذه المناقشات البيزنطية الفلسفية.. الواقع أمامنا اليوم هو وجود دولتين متجاورتين تواجهان بعضهما بالحرب، وهما تعلمان أنه ليس في وسع احداهما أن تكسبها، وتعلمان أن القوتين الأعظم لهما مصلحة في استمرارها.. وتعلمان أنه ليس من مستفيد في

هذه الحرب سوى شركات غربية تبيع السلاح، وستذهب هذه الشركات نفسها لاعمال التعمير بعد أن تنتهي الحرب وينتهي بيع السلاح الذي تخرب به.

إذن لا بد من إيقاف الحرب.. وليس المضوع الآن من الذي بدأها. ليكن العراق هو الذي بدأ الحرب.. لنفترض أن أحداً بدأ باشعال عود الكبريت هل ننتظر حتى تأتي النيران على البيت كله، أم نحاول ايقاف النار؟ إن ما يستعصي على الفهم في الموقف الايرانى، هو الاصرار غير المفهوم وغير المبرر على استمرار هذه الحرب التي أصبح ثمنها فادحاً بالنسبة للكل.

● كيف تقف الحرب؟

■ لا يمكن أن تقف الحرب إلا باقتناع الطرفين.. لأنه أولاً، ليس هناك طرف عربي يمتلك مصداقية لدى الطرفين المتحاربين. ثانياً، الأمم المتحدة تتحرك بارادة الدولتين الأعظم، ولا اعتقد أن أحداً منهما مهتم بإيقافها، وأنا أعتقد أن هذه هي الحرب الوحيدة في الحروب المحدودة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية التي كان ينقصها عندما بدأ إطلاق النار فيها ميكانيزم وقف إطلاق النار. فمثلاً في كل حرب عربية إسرائيلية كان هناك ضمان أن مجلس الأمن سيجتمع، وتأخذ الدولتان الاعظم موقفين متعارضين، ينشأ عن تعارضهما، أن تكون هناك إمكانية لوقف إطلاق النار بشكل أو بآخر عندما يريد الأطراف ذلك. في الحرب العراقية الإيرانية لا يوجد أي إرادة راغبة في إيقاف الحرب لأن الكل مستفيد. لنحسب كم تكلفت العراق في هذه الحرب وكم تكلفت إيران فيها.. وكلنا يعلم أين ذهبت تلك التكاليف..

لكن الآن اصبح ضرورياً وقف هذه الحرب مهما كانت الدعاوي والاجتهادات والآراء ولا بد للطرفين أن يقتنعا بايقافها بأية وسيلة.. لأن القواتين الكبريين لا ترغبان في ايقافها نظراً لأن كلاً من العراق وإيران يشكلان خطراً بالنسبة للدولتين الأعظم، فلا أحد يرغب في الثورة الإسلامية من ناحية، ولا أحد يرغب في عراق قومي قوي من ناحية أخرى..

مرة كنت مع الرئيس صدام حسين وسألني عن تقييم الآخرين للحرب . . قلت له . . سمعت تقييماً من أحد العرب البارزين جداً في مناطق البترول يعلق على الحرب العراقية الإيرانية قائلاً: (وربما تموت الأفاعي من سموم العقارب) .

فالأطراف المحلية تكره الطرفين، والأطراف الدولية تكره الأثنين .

ومن ناحية أخرى فإنه من غير المرغوب ان يكبر رالتيار الشعبي المؤيد للعراق وهو التيار نفسه الذي كان محتاراً في الحرب، والذي وجد أن العراق يطلب وقف إطلاق النار، ويريد الوصول إلى تسوية وإلى السلام، بينما إيران مصممة على الرفض وعلى العودة للحديث عما كان في البدء . . وهذه ليست سياسة .

لتقف الحرب ولنتكلم . . الرأي العام العربي الذي يتنامى تعاطفه اليوم مع العراق أمر خطر، لأنه يؤدي إلى عملية أستقطاب، تؤدي الى حالة صراع أو تناقض دائم بين إيران والعالم العربي، وهذا مطلوب تجاوزه وتجنبه . . لا يمكن أن يكون لدينا صراع دائم في المشرق على الخليج . . وصراع دائم مع إسرائيل . . تناقض عدائي دائم هنا . . وتناقض عدائي دائم هناك .

● **هل تعتبران أن هذا جزء من تناقض أو صراع محتمل بين العروبة والاسلام؟**

■ لا . . لا اعتقد ان هذا صراع أو تناقض بين العروبة والإسلام . . وإنما هو بقايا التناقض القديم والحساسيات القديمة في هذه المنطقة من الاحتكاك الحضاري عندما نقترب من إيران، نترك شبه الجزيرة العربية . ونقترب من شبه القارة الهندية . . نحن أمام حضارتين . .

أين وصل الإسلام؟ عندما اصطدم بشبه القارة الهندية، مكث هناك كقوة احتلال ثم عاد، وبقيت عقائد اختلطت باشياء اخرى، وذهب إلى إسبانيا، واصطدم باشياء قوية ثم أمام بيزنطية، وبلاد اليونان حتى دخوله في تركيا. العوامل الحضارية الثقافية محصورة . . يجب أن نسلم أنه في إيران كانت هناك أشياء قديمة ثابتة وموجودة . . صحيح أن الإسلام ذهب هناك وامتدت إلى إيران المسحة

الإسلامية. لكن هناك مواريث حضارية موجودة في أعماق النفوس لا نستطيع الغاءها.

● لو أخذنا الأمر بشكل آخر، في ضوء حالة تراجع القومية العربية الراهنة، وتنامي المد الإسلامي خاصة بعد أن امتلك له قاعدة في إيران؟

■ المدالإسلامي هو الوجه الاخر لعملة الانحسار العربي. . والقومي، عندما نتكلم عن القومية العربية فنحن نتكلم عن ظاهرة سياسية الإسلام يشكل جزءاً كبيراً جداً من جوهرها الحضاري. . والتراجع القومي الموجود هو الذي جعل العنصر الديني يتقدم لكي يغطي التراجع القومي. كل الشباب الذين تراهم متدينين وملتحين، تمثل لحاهم العجز عن حمل السلاح في مواجهة الخصم الحقيقي أو اللجوء إلى الدين بالطريقة الجامدة التي تراها هو عملية التعبير عن حالة الاحباط والفشل. والتعصب الذي نراه أحياناً هو عملية بحث عن معين عن مطلق. . لأن كل ما هو نسبي وإنساني اهتز أمامه. شبابنا في حالة أزمة ومن المعقول أن نراه إذن يحتمي بالدين. لكن يجب ان يعرف أن الإسلام موجود في نفوسنا جميعاً بوجود هذا المد الإسلامي أو بعدمه والإسلام موجود فينا حضارياً وثقافياً. . لا اتحدث عن الإسلام كتدين. . الإسلام كإسلام موجود بين المسلمين والمسيحيين. . والأرض عربية. .

الحركة الإسلامية الموجودة تعبير عن تواصل أمة، بعدها السياسي بمحتواه القومي مضروب فذهبت حيويتها الى حيث لا يمكن ضربها، ذهبت إلى اليقين المطلق.

● هذا عن الجانب العربي. . ماذا عن الجانب الإيراني؟

■ والجانب الإيراني أيضاً إن التدين الشديد في العصر الحديث هو الوجه الاخر لعملة التراجع الوطني. . ففي إيران عندما ضرب الحلم الأمبراطوري للشاه، وجزء كبير منه وهم صدقه قسم من الشعب الإيراني خاصة بعد تنامي عائدات البترول. . ثم اكتشف أن الأمور لا يمكن أن تسير بهذه الطريقة. . وتراجع الحلم القومي. . وكان البديل له هو الدين. .

إذهب للولايات المتحدة اليوم. . وانظر إلى الحركات الدينية فيها. . وسببها أن الحلم الأميركي مقسم وضائع في أجزاء كثيرة منه. . والناس تبحث عن يقين تستريح له. إذا كان الحلم الوطني قادراً على تجنيد كل الناس فإنهم يجندون فيه بمواريثهم الثقافية والدينية والحضارية. . لكن التدين يظهر ويصبح سياسة عندما تعجز السياسة عن دورها.

● ألا يخشى من النزاعات الفارسية أو الشيعية ـ السنية في الوطن العربي نتيجة الحرب العراقية الايرانية؟ متى كان لدينا نغمات شيعية، سنية. . ولماذا ظهرت فجأة؟

■ إن كل أمة تعيش وداخلها تناقضات ثانوية. . لكن يبقى تناقضها الرئيسي هو تناقض بقائها واستقلالها وحريتها وازدهارها. عندما تغذي تناقضاتها الرئيسية أو تعجز، تحدث حالة رجوع إلى الداخل وتظهر تناقضاتها الثانوية.

إنني لا أعتقد أن القضية الشيعية السنية يمكن أن تلعب دوراً في حال يقظة محسوسة للأمة العربية. . لكن في غيبة الحلم الذي يشد كل الناس ويوحدهم ينتقي ما هو رئيسي ويظهر ما هو ثانوي. .

● ألا ترى أن احتمال تناقض شيعي سني. هو تعبير عن تناقض إيراني عربي؟

■ لا، هذا غير وارد.

● ما هو تفسير طفرة النهوض الشيعية حالياً. مع نجاح الثورة الإيرانية؟

■ قل لي أين هو هذا النهوض الشيعي، في العراق مثلاً؟ في العراق ٣٥ بالمئة شيعة طبقاً للتقديرات الرسمية و٥٥ بالماثة طبقاً لتقديرات أخرى، ومع ذلك فلا أعتقد أن هذا عرقل المجهود الحربي العراقي. . أي أن العنصر القومي أقوى. . لكن العنصر المذهبي يظهر عندما يعبر عنه قلق اجتماعي واقتصادي أو فكري، وهذا القلق يحدث في غيبة مشروع على مستوى الأمة أو على مستوى الوطن. . لكن في ظل أوضاع متردية يحاول كل واحد أن يبحث عن هوية. . فإذا عجز عن العثور على هوية كبرى، يلجأ إلى الهويات الصغرى لكي يجد نفسه فيها. .

مصر شيعية أم سنية؟ . . إنني أعتقد ان كل هذا قد ذاب في مصر . . مصر فيها تقاليد شيعية واضحة وتوجيهاتها كلها سنية . . الشعب المصري دليل واضح على أكذوبة التناقض . . يبدو لي الامر وكأننا نريد تبرير عجزنا عن المواجهة الأساسية بأن نفتعل أو بأن نشجع حريقاً داخلياً من السهل اطفاؤه . . فمجرد أن يقوم البيت لن تجد من يتحدث عن الشيعة أو السنة . . فمثل هذه الاحاديث كلها آثار فشل وكل هذا من آثار غيب مشروع قومي تستطيع مصر أن تعبأ من أجله وتمثله . .

● ما هي نقاط التقاطع والاختلاف بين السياستين المصرية والسورية حالياً؟

■ تاريخياً مصر وسوريا المفتاح التوأم الاساسي لهذه المنطقة . . والتلاقي لا مفر منه إذا كنا نتحدث بلغة التاريخ .

في السياسة حالياً نجد أن الخلافات الموجودة بينهما جزء من أزمة العمل العربي كلها منذ قرار الصلح المنفرد للاسف الشديد . . وهذه كارثة .

● هل تتصورون قيام علاقات مصرية عربية، خصوصاً مع وجود علم إسرائيل في القاهرة؟

■ بأمانة . . أنا واحد من الناس الذين لا يجدون سبيلاً للتوفيق بين مصلح مصري منفرد مع إسرائيل، وبين واقع وحقيقة وضرورة وجود مصر عربية . . هذا غير ممكن . . يمكن أن تكون هناك علاقات على المستوى الفردي بأن يأتي العربي للسياحة . . ويمكن أن تكون هناك علاقات ديبلوماسية على مستوى ما .

● ما هو الحل للخروج من مأزق العلم الإسرائيلي؟

■ هذه قضية تحتاج لكلام طويل جداً .

● هناك من يقول إن هناك إمكانية لتجاوز كامب ديفيد عملياً حتى لو بقي العلم الاسرائيلي؟

■ إنني أعلم أن كامب ديفيد ليست موجودة فيما يتعلق بمصر . .

● التساؤل يدور هل كامب ديفيد هي ما نتج عن الاتفاقية، أم هي المقدمات التي بدأت في ٧١، أو ٧٣، أو ٧٤؟

■ تستطيع أن تقول إن كامب ديفيد بدأت عام ٧٤ من فك الارتباط الأول، وهو أول قرار منفرد لعمل ترتيب منفرد لفض الاشتباك . . هذه هي البداية بالتأكيد. لكن يجب أن ندرك، أن علاقة مصر العربية ليست في السياح الذين يقدمون فليس هذا هو الموضوع . . لأنه يأتينا سياح ايطاليون أو أسبان أو ألمان ولا وجود لسفير عربي، لأن نعلم فاعلية أي سفير. الموضوع أكبر جداً من هذا، إنني أعتقد أنه لا يمكن التوفيق بين سلام مصري منفرد مع إسرائيل وبين حقيقة مصر العربية. لو أن الأمر هو في إطار سلام عربي على كل الجبهات العربية مع إسرائيل، فإنه من الممكن أن نتحدث في هذا، ولو أنني أعلم استحالته أيضاً. لأن هذا ضد جوهر العقيدة الصهيونية ومنطق التوسع. نأتي إلى مشكلة علم إسرائيل في القاهرة، وأنا أعلم أنها مشكلة، لكن لا بد للسياسة المصرية أن تجد لها حلاً. وأنا أعتقد من غير تعنت أن الظروف ستتكفل بحلها. عندما نحسب أين كانت مصر وأين أصبحت اليوم. ندرك أن هناك تقدماً كبيراً جداً في الموقف المصري بلا جدال بدءاً من عام ٨١، وهذه هي الفترة التي نستطيع أن نقول فيها إن «كامب ديفيد» سقطت. سواء اختلفنا أو أتفقنا . . نستطيع أن نقول فيها إن السلام الساخن الذي كان قبلها أصبح فيها سلاماً بارداً، ونستطيع أن نقول إن الشعب المصري وقف ورفض التطبيع ولم يقتنع به. إذن هناك تطورات إيجابية. . وأنا أعتقد أنه لا بد من إتاحة الفرصة لأن تؤكد حقائق التاريخ والجغرافيا نفسها من غير انفعال.

في اللحظات الراهنة وفي المستقبل القريب من الصعب علي أن أتصور وجوداً عربياً في مصر بوجود العلم الاسرائيلي، بالسرعة التي يتصورها بعض الناس. . لكنني أتصور أن مجمل الظروف الجارية ستؤدي إلى إمكان طي العلم الاسرائيلي في القاهرة.

● هل ما زالت هذه المسألة شكلية حتى الآن، أو هي جوهرية؟

■ لا أقول إنها من الجوهر. . لكنها لا تزال موجودة بطريقة يصعب قبولها.

● **لا شك أنها تؤثر سلبياً من الناحية المعنوية . . لكن هل إلى درجة أن يقف العرب خلف هذه المسألة؟**

■ نعم يقفون خلف هذه المسألة اذا كان وقوفهم صادراً عن اقتناع ، لكن ليس خلفها إذا كانت المسألة مسألة تكتيك ، كما هو شأن بعض الدول العربية .

إنني لا أفهم كيف يكون اعتماد بعض الدول العربية على أميركا اعتماداً كاملاً في حين أن أميركا تمول إسرائيل بالكامل تقريباً من مصادر هذه الدول . ثم يقال إن هذه الدول تعترض عن العلم الاسرائيلي . . أي علم إسرائيلي هذا الذي يعترضون عليه؟

● **لو تجاوزنا اتفاقية كامب ديفيد، هل ترى أن هناك قوى عربية تعمل ضد عودة مصر؟**

■ نعم يوجد . . والموضوع ليس موضوع كامب ديفيد ، وعندما ياتي الاعتراض على العلم الاسرائيلي من دافع لا يتذرع بالعلل به والذرائع ، وإنما من دافع الحرص على قومية مصر، أقول نعم لكن عندما تكون الذرائع كلاماً حقاً يراد به باطل . . أقول لا . .

● **هل هذا في ذهن النظام في مصر؟**

■ لا أدري . . لست في وضع يسمح لي بالحديث عن النظام المصري . . يمكن أن أتحدث عنه كمراقب .

● **كيف ترون الاتجاه خاصة وأن الحكم في مصر قريب من الأردن والعراق وياسر عرفات؟**

■ الوضع العربي يختلف . . الموضوع في الوضع العربي موضوع تفاوت ظلال . . لأنه أيضاً توجد مصلحة ووحدة . . الخ . لكن لننظر إلى الأرتباطات الخارجية ، فعندما نتكلم عن وضع أي طرف يجب ان نتكلم عن أرتباطاته الخارجية بصراحة . . نعم مصر إرتكبت غلطة كامب ديفيد بالتأكيد . . وأنا أعتقد أن المسؤولية فيها واضحة ومحددة ولا يمكن لاحد أن يقبلها . . ولا بد أن نساعد مصر على تجاوزها من دون أن

تسلم لي، كأخ في الامة العربية، بهذا الحق الذي تجاوزت به كل الحدود.

لكن لا بد أن أكون مطمئناً أنك وأنت تعترض علي إنما تصدر عن حرص على شيء أكبر. . وليس على أن تأخذ مجموعة دول خليجية وتجمعها مع بعضها لتنشىء بها منظمة داخل النظام العربي، وهذا معصوم يحتاج تفكيراً. . ولا يريد أحد أن يناقشه أو يبحث فيه، وهذا وضع غريب جداً.

● **وصفت الوضع العربي أنه في حالة هروب. . أين هي مصر في هذه الحالة؟**

● يمكن أن نقول إن مصر هي الطرف الذي توقف عن حالة الهروب لكنه لم يعد بعد. . مصر الطرف الذي أنهى هروبه ووقف ليرى أين وصل به الأمر. .

التحركات السياسية العربية: «طق حنك»

بصرف النظر عن درجة الاتفاق أو الاختلاف بين تيارات الفكر والسياسة في الوطن العربي حول ما يمثله محمد حسنين هيكل من مواقف وأفكار الا انه، وبمختلف المعايير يبقى ظاهرة بارزة في الحياة العربية، تمثل في أحد جوانبها القدرة على بناء الذات من نقطة الانطلاق إلى القمة، عبر تطور موضوعي واضح، وتمثل في جانب آخر قوة الاحتفاظ بالتأثير الواضح في محيطهلاا دون تأثر بالانتقال من موقع المشاركة في صنع القرار السياسي، أو اتخاذه، إلى خارج ذلك الموقع، بل وتزايد التأثير افقياً ورأسياً في أوسع القطاعات الممتدة من النخبة إلى رجل الشارع العادي.. وأخيراً وليس آخر يمثل الاستاذ هيكل اطلالة متقدمة للعقل العربي على مختلف انجازات العصر والتفاعل معها.. فهما وتحليلا وافادة للأجيال العربية.

انه الرجل «المؤسسة» بكل ما تحمله الأخيرة من مواصفات.

ومنذ ترك جريدة الأهرام - أكثر الصحف العربية تقليدية - التي حولها «قلعة» معاصرة في مجال الصحافة، والفكر، حتى صارت بحق اطلالة مصر على القرن الواحد والعشرين، لم يتوقف عن الانتاج، والابداع، ورغم عشرات المقابلات الصحفية التي أجريت مع محمد حسنين هيكل الا ان الحوار معه ينفذ في كل مرة إلى آفاق جديدة.

جريدة الخليج - ١٣/ ١/ ٨٥ - أحمد الجمال

● **الخليج: الواقع العربي المنهار أصبح أمراً يعلمه الجميع، فماذا عن التفسير وماذا عن الخروج منه على مستوى أنظمة الحكم، ومستوى العقل والانسان العربي، وهل المطلوب «بطل» أم «حركة حزبية» أم «حركة جماهير» أم الثلاثة معاً؟**

■ ضحك هيكل، وتذكر قولاً لهنري كيسنجر: «إذا وجدت أمامك طريقين أحدهما سهل، والآخر صعب، فلماذا لا تختار الصعب»؟!! . . واستطرد قائلاً الناس متفقة على تشخيص ما تراه أمامها في الواقع العربي، وانه حالة انهيار، ولو تتذكر انني قلت في كتابي «آفاق الثمانيات» ان هناك مرحلة قد انتهت في العالم العربي، واننا بصدد مرحلة جديدة، ولأنه في منتصف السبعينات تفشت خرافتان، الأولى هي السلام مع «اسرائيل» والأخرى هي ان الولايات المتحدة الأمريكية قادرة على أن تفعل شيئاً في المنطقة العربية بمفردها.

عندها لم يفهم البعض ما أقول، وظلوا يجادلون في الأمر وقد اتضح عام ١٩٧٩ ـ عام صدور الكتاب ـ ان الرهان على هاتين الخرافتين قد انتهى، وانتهى بالتالي آخر الأنفاس فيما كان قائماً، وعندما تريد أن تشخص ماذا حدث، فإن نقطة البدء لا يجب أن تنطلق من مفهوم خاطىء يقول انه كان هناك عصر بجمال عبد الناصر، وعصر آخر لأنور السادات. . والصحيح أن نتحدث عن عصرين، أحدهما عصر الفكرة القومية والمشروع القومي، الذي كان بطله جمال عبد الناصر، وثانيهما هو عصر البترول، أو عصر السيولة وأموال البترول الذي استهدف ضرب الأمة العربية، بوسائل أخرى غير وسيلة العنف. . العصر الذي كان ضحيته أنور السادات، أو الذي كان شريكاً فيه أنور السادات.

ولو عدنا إلى الوراء قليلاً إلى الفترة العثمانية التي سقط نظامها، وسقطت معه أفكار معينة منها مثلاً فكرة الدولة الدينية، أو على الأقل استخدام الدين كغلالـة للدولة، وتساءلنا لماذا قبلت المنطقة النظام العثماني الذي لم يكن عربياً، ولم يكن من صلب «الداخل الاسلامي» سنعرف انه قد قبل، وباللاوعي أحياناً لأنـه مثـل الحماية ضد الزحف الاوروبي الاستعمـاري، قبلنـاه، وقبلنـا كعـرب أن تنتقـل الخلافة له، لأنه كان قادراً على حماية «دار الاسلام» وعندما ثبت تاريخياً وفعلياً انه غير قادر على القيام بمهمته سقط، وذهبت معه أفكاره.

بعدها جاء النظام الاستعماري، وأقام نظامه، ولسوء حظه، أو حسن حظنا، انه جاء في فترة كانت تشهد نهاية العصر الاستعماري القديم، ووجد أمامه حركات وطنية قادرة على أن تتصدى له، فلم يتمكن من فرض سيطرته الكاملة. . ثم سقط.

وجاءت فترة تالية نستطيع أن نميز فيها بين عصرين متلاحقين أشرنا إليهما من قبل. . عصر الفكرة القومية والمشروع القومي، ثم عصر البترول، أو عصر السيولة وأموال النفط «عصر الكاشيزم».

صحيح ان الفكرة القومية، والسعي لتحقيقها كان سابقاً على جمال عبد الناصر ولعبت أطراف كالبعث والحركات القـومية والـوطنية الرومـانسية دوراً ما، ولـكن عبد الناصر كان له الفضل في صياغة قانون المرحلة القومية وحاول ممارسة هذا القانون عملياً، وفي مواجهة ضغوط بشعة من كل الجهات.

في عصر البترول انقلبت الأمور، ولنتوقف قليلاً. . .

إذا تصور أحد أن العرب هم الذين قرروا رفـع أسعـار البتـرول فهـذا ليس صحيحاً. . وما كنا نتحدث فيه أيام حرب اكتوبـر كان تخفيض الانتـاج أو وقفـه جزئياً، لممارسة ضغوط معينة على الطرف الآخر في الصراع.

. . لا بد أن نميز بين نوعين من القرارات في الساحة العربية، أحدهما عربي في اتخاذه وتنفيذه وفوائده، والآخر يطبق في هذه الساحة ولكنه ليس بالضـرورة عربياً. . ومن يتتبع ما جرى لأسعار البترول وأين تذهب فوائضه، وفيم تستخدم، ومن يستفيد منها أكثر، لعرف من هو الذي اتخذ قرار رفعها.

وليس بعيداً عند ذاكرتي، أنا على الأقل ـ والحديث لازال للاستاذ هيكل ـ ما حكاه لي ميشيل جوبير وزير خارجية فرنسا في فترة رئاسة جورج بومبيدو عندما قال وقد بدا عليه الذهول من الطريقة التي جرت بها عملية تدوير أموال البترول: «لقد قال لي هنري كيسنجر بالحرف الواحد هذه هي نهاية مشروع مارشال». . أي انها نهاية المرحلة التي كانت اوروبا تحصل فيها على البترول رخيصاً، وانه قد آن الأوان كي تقف اوروبا على قدميها، وان تدفع الثمن الحقيقي للبترول.

كان ذلك مرتبطاً بالتحول الذي جرى في مجال الانتاج الغربي. . فالولايات المتحدة كانت تنتج حوالي ٥٥٪ من ذلك الانتاج، وهبطت النسبة لتصل إلى الثلث، بعد أن تحولت اوروبا الغربية واليابان إلى منافس خطير لها. . فقامت ـ أمريكا ـ بوضع حد لذلك كله، وكما تفرضه مصالحها.

هذا من جانب.

ومن جانب آخر، لو انتقلنا إلى العالم العربي فسنجد انه كان مطلوباً «تعويم» المنطقة على بحر من النقود يحدث خللاً جذرياً في حياتها، ويهز مجموعة القيم العليا فيها، ويضرب مرحلة الثورة، ودون أن يحدث أثراً حقيقياً في تحديثها وتطويرها وتقدمها.

أخذ العرب أموالاً طائلة ولكنها انفقت في الاستهلاك ابتداءً من «الفيديو» وحتى «السلاح» وما تبقى من أموال مودع هناك.

لقد استطاع عصر البترول. . عصر «الكاشيزم» ـ السيولة ـ أن يجرف في طريقه كل شيء، وسواء كان أنور السادات متواطئاً معه، أو ضحية من ضحاياه، فإن تلك الموجة المالية العارمة اكتسحت ما تبقى من المرحلة القومية بعدما تصدع منها اثر صدمة ١٩٦٧.

لقد حاول المشروع القومي أن يصمد وأن يقاوم وأن يحارب بعد ١٩٦٧، فإذا بمرحلة جديدة تأتي وبعمل مخطط ومقصود وواضح لاغراق التناقضات كلها في بحر البترول.

تشخيص ما حدث، ودون ظلم لأحد. . يكمن في ان عصر المشروع القومي ووجه بالقوة المسلحة في ١٩٦٧، ثم جرت بعثرة أجزائه بفعل الموجة المادية للنفط.

ما تراه الآن هو ان كل مجموعة القيم التي كانت مطروحة في المشروع القومي تبعثرت وغابت، وحلت محلها قيم أخرى. . حل المشروع الفردي محل المشروع القومي وسادت قيم السيولة النقدية، واستطاع الطرف العربي الآخر المواجهة للمشروع القومي أن يتحلل من المواجهة، بل وان يمتلك القدرة على تحدي ذلك المشروع.

خذ مثلاً يمكن به قياس ما جرى، ميثاق جامعة الدول العربية جرت عليه تعديلات خطيرة. . ستجد انه حتى فكرة الأمة الواحدة قد ضيعت، وستجد ان «وفداً عربياً نفطياً» اعترض على كل سطر وردت فيه كلمة «اجتماعي». . مجرد كلمة اجتماعي وطلب ازاحتها. . ومعها ازيحت كل كلمة «وحدة عربية».

ان قوة السيولة الموجودة في أيدي قوى لا تنتمي إلى المشروع القومي، أصبحت قادرة ليس فقطعلى أن تتحرر من تبعات المشروع القومي، وانما امتلكت القدرة على تحديه، وعلى شراء مؤسساته.

لقد تم اللعب بالتاريخ، وبعد ان كانت هناك فكرة مشروع قومي لأمة، انقلب الحال وأضحى كل واحد بمفرده، ليست أقاليم كل واحد منها يسعى لخلاصة الاقليمي، ولكن وصل الحال إلى داخل الاقليم ذاته. . ذلك ان معادلة «الكاشيزم» ـ السيولة ـ تفرض على أطرافها أن تتناقض مع بعضها البعض إلى أقصى حد. . لقد حل المشروع والخلاص الفردي، محل المشروع والخلاص القومي.

لقد ضاعت أمور كثيرة، فالتناقض الرئيسي الواحد الذي كان يواجهه الوطن العربي تم تمييعه، وبدأت المحاور تحدث أثرها، وانشغل كل محور بأمن مختلف، وعلى حساب فكرة وضرورة الأمن القومي الواحد. . وحتى الاطار أو شبه الاطار المهزوز للمشروع القومي وهو الجامعة العربية يتم العمل على الاطاحة به.

لماذا؟!

لأن نظام القيم انها، والرابطة الواحدة ضاعت حتى في مفهوم الأمن والذي اكتسح كل شيء هو موجة الأموال النفطية.

● **الخليج: وماذا عن العقل العربي في هذه الصورة؟**

■ **هيكل:** المثقفون العرب يقولون كلاماً في الوقت الضائع.. ففي الوقت الذي تعوم فيه المنطقة في الهواء.. أو على «بارفان» تجد من يخرج لك ليتحدث عن معادلات تفاضلية: الفرد، أم الأمة، الأصالة، أم المعاصرة، العروبة أم الاسلام.. ولا يدرك الجميع أنهم لا يمتلكون القدرة على فعل أي شيء.. لا يمكن أن يصنعوا اصالة أو معاصرة.

ان الناس يكثرون من الكلام، حتى أصبحت الكلمة تسبق الفعل، وصارت بديلاً عنه.. وهذا يحدث عندما تغيب امكانية الفعل، ولا يستطيع أحد أن يفعل شيئاً.. عندئذ وفي حالة الفراغ والضياع ينشغل الجميع في قضايا لا يمكن أن تأخذ هذا الحيز الكبير.

لم يسبق أن تكلم أحد قبلنا في قضية التراث، والمعاصرة.. الوضع الصحيح هو انه إذا كان تراثك حياً وحقيقياً فهو موجود فيك، وحي بداخلك، وأنت مستوعب لكافة قيمه.

لم يتحدث أحد مثلاً عن التراث، أو الأصالة، والمعاصرة، قبل محمد علي ورفاعة الطهطاوي، جاء محمد علي، وجاء رفاعة، وحدثت التفاعلات.. التاريخ يصنع تفاعلاته، ثم يحدث حركاته، والحركات تبحث أو تجد أو تسترجع من تاريخها الفكر المناسب لقوتها واستمرار حيويتها.

اننا نجلس الآن ونتحدث في تلك المعادلات التفاضلية.. هذا يحدث فقط في حالة الناس الذين يعجزهم الفعل فيلجأون إلى الكلام.

المشكلة انه قد حدث انقطاع في تراثنا الفكري لفترة طويلة ومحددة، ولكنه ظل باقياً فينا، وعندما ينهض المشروع القومي هو الذي سيستعيد تراثه.

ان هناك تفاعلات تجري الآن، منها مثلاً ان العالم المتقدم من حولنا يشدنا إلى الأمام رغماً عنا. . فنحن نتلقى منه نوعاً معيناً من المعرفة ومن العلم وتطبيقاته، نتلقاه مع من يتلقونه هناك، ولا يستطيع ذلك العالم أن يحجبه عنا بحكم أمور كثيرة. . ولا بد أن يترك أثره التراكمي على المدى الطويل في مجتمعاتنا.

مثال آخر عندما أسمع من نائب رئيس الوزراء المسؤول عن التعليم في مصر ان هناك حوالي ٩,٥ مليون طالب يتعلمون في مراحل التعليم المختلفة من الابتدائي حتى الجامعة، فإن ذلك يعني ان قوة اجتماعية صاعدة تتشكل. . فإذا أضفت إلى ذلك قوة العمل المنظمة في مصر، وحجم مشاركة المرأة في العمل، وارتباط مصر بالعالم العربي، ليس بالفكرة، وانما بالمصالح التي تجسدها. بالثمانية والتسعة بلايين دولار التي يحولها المصريون العاملون في العالم العربي، فإنك ستجد ان الانشغال بقضايا على غرار الاصالة والمعاصرة وغيرها تبدو وكأنها صفير في الظلام. . كل واحد يصفر بنغمته الخاصة ولا يرى الآخرين، بل ولا يرى التفاعلات. . لأن الفعل غائب. . ولو وجد الفعل لانتقى ما هو صالح له وانطلق به.

انها على أي حال حالة مؤقتة. . ومرحلة انتقالية في التاريخ. .

في التاريخ لا تقوم المراحل المنتهية بتسليم المفاتيح للمراحل التالية عليها. . تحدث أحياناً فترات ضياع بين المراحل ثم تترسب قوى وتتركز. . أو خلالها ان هذا التفاعل يترسب، ويتركز وستخرج أشياء جديدة في المقدمة منها ظهور مجتمعات تتحقق فيها ركايز تشكيلها الطبقي. . وهذه مسألة في غاية الأهمية.

● **الخليج: . . . والمستقبل؟**

■ **هيكل: لا حديث عن المستقبل الا وتبرز مصر أولا، لأسباب كثيرة باتت معروفة للجميع. . موقعها ودورها وتأثيرها الذي يمكن أن يعطل ولكنه لا يمكن أن يلغى.**

انني أرى في مصر الآن طبقة متوسطة تتكون. .

عندما يقال ان في مصر حالياً «ربع مليون» مليونير فإن هذا مؤشر على تشكل

طبقة متوسطة عريضة. . أي ان هناك عملية اعادة تشكيل طبقي.

صحيح ان «الربع مليون» مليونير يأخذون حقوق الآخرين، ولكن في الوقت نفسه هناك أيضاً شرائح المحرومين الذي يمكن أن يكونوا يحلمون بأن يأتيهم الدور في الثراء. . وعندما لا يأتيهم الدور فسوف يعون بموقعهم، وسيتحركون أجتماعياً. . أي طبقياً.

انني أتصور ان الخلخلة التي صنعتها أموال البترول، سوف تعقبها عوامل تماسك في مرحلة اجتماعية لاحقة، وبمعايير مختلفة عن تلك التي عرفناها قبل ١٩٥٢. . سنجد في التسعينات مجتمعاً له ركائز جديدة.

يمكن أن تتجه البرجوازية الصاعدة لفرض أوضاع ديكتاتورية مثلاً، لا بأس. . لأن نبض المستقبل قد بدأ. . ولأن ثمة جنيناً سيتشكل بالفعل.

٩,٥ مليون انسان يتعلمون. . بعضهم سيكمل طريقه، وبعضهم سيتسرب في الطريق. . وإذا استمر المعدل بالوتيرة نفسها. . وسيستمر، فإن هذا سيحدث بالتراكم الكمي تغيرات كيفية شئنا أم أبينا.

لقد تابعت مؤتمر رجال الأعمال في مصر، ولاحظت ان المستفيدين من عصر أموال البترول قد انقسموا إلى شقين أحدهما يسعى إلى الاستقرار ويحاول أن يبرر لنفسه ليبعد عنه شبهة الانغماس في الاستهلاك، مطالباً بصناعة وطنية، أو حماية الصناعة الوطنية، أي ان يسير المشروع الفردي جنباً إلى جنب مع المشروع القومي، وثانيهما بعيد عن ذلك تماماً، ويتجسد في تجار العملة مثلاً.

صحيح ان طلباتهم تعبير عن طلبات رأسمالية تريد أن تفرض نفسها على الدولة، والدولة تحاول أن تستجيب، وما يخيفني الآن ان جزءاً هاماً من هذه الطبقة غير مرتبط بأرض، أي غير مرتبط بوسيلة انتاج.

لقد كنا نأتمن البرجوازية القديمة على القضية الوطنية، لأنها كانت مرتبطة بالأرض. . والخطر يكمن في المجتمع السائل غير المتشكل طبقياً. . ان أهم شيء هو ان تترسخ كتل اجتماعية محل هذه الأشباح الهائمة.

تبقى علاقة العقل العربي. . بالمستقبل.

أقول ان أي عقل لا يمكن أن يشحذ همته في عزلة عن التخريب، وما قد يتصوره البعض ان العقل في العالم كله يعاني أزمة أمام تطور وتقدم العلم وتطبيقاته فهذا غير صحيح.

ان كل أمر يبدأ بالتصور، وبالبحث أي بالفلسفة ثم يظهر القانون الذي يحكم الظاهرة.

المشكلة ان هناك فكراً موجوداً الآن في العالم المتقدم ونحن في غيبة عنه.

لا زلنا نقرأ اللغة التي نستطيع أن نفهمها فقط ومن يقرأ منا فإنه لا زال في أدبيات تنتمي في أحسن الحالات الى حقبة الحرب العالمية الثانية أو بعدها بقليل، ولكني أشك ان أحداً يتابع الفكر الفلسفي أو الأفكار الجديدة المطروحة الآن في العالم المتقدم.

لقد تخلفت الجامعة عندنا، ولأسباب كثيرة، وبدأ التلفزيون والصحافة يأخذان دور الجامعة. . أما في العالم المتقدم فهناك اتصال وثيق بين الاثنين فأنت تسمع في هيئة الاذاعة البريطانية معلقاً من أساتذة الجامعة فتجده على صلة بالأخبار، ويحلل تحليلاً له علاقة وثيقة بما يجري.

فإذا انتقلت إلى هناك فإنك قد تسمع أستاذاً في الجامعة يقدم تحليلاً بعيداً عما يجري، وإذا سمعت تحليلاً من صحفي فإنه يبدو بدون عمق. . الفواصل عندنا مقطوعة، ولذا فإن ما يقال عن تخلف الفلسفة عن العلم ليس صحيحاً. .

والصحيح ان هناك فلسفة تكتب بلغة جديدة لا نستطيع أن نفهمها.

نحن في أحسن حالاتنا في مجال البحث عن فهم هذه اللغة الجديدة، ومن يقرأون وينقلون لنا فإنهم ينقلون لغة فات وقتها، ومن يحاولون فك طلاسم اللغة الجديدة لم يتمكنوا منها بعد.

إن تخلف جامعاتنا؛ وسيادة وسائل الاعلام دون العمق الطبيعي لها وهو «عمق

الجامعة والمعاهد والمراكز البحثية» جعل من وسائل الاعلام جيشاً يمكن اختراقه وخلخلة صفوفه، ليحدث بالتالي دوراً عكسياً.

لقد شاهدت في الولايات المتحدة، وزرت الجامعات، ووجدت لغة جديدة تماماً، وللأسف الشديد فإن البعض منا الذي استطاع أن يفك طلاسمها التحق بهم هناك، ولم يعد.

لقد طلب مني «امبو» سكرتير عام اليونيسكو أن أترأس لجنة عن الاعلام في هذه المنظمة، وتصورت انني سأقوم بمهمة تقليدية، وسأدير لجنة بالمعنى السائد عندنا. . وقبل بدء الاجتماعات احضروا لي أبحاثاً كثيرة ففوجئت ـ وادعي انني ممن يقرأون ويتابعون ـ إنني قد تحولت إلى تلميذ، وحاولت أن اتتلمذ على ما جرى في هذه اللجنة. . لقد ظللت أقرأ في أول يوم حتى الثالثة صباحاً، ووجدت نفسي أمام عالم اختلفت فيه أمور كثيرة وأفكار عديدة. . هذا في مجال الاعلام، وأؤكد لك مرة أخرى ـ وبدون تواضع زائف ـ إنني أعتبر نفسي من المجتهدين فيه.

العقل العربي إذن أمامه أن يتحدى العجز، فإذا كان متيقظاً فإنه سيقرأ اللغة الجديدة، وسيتعامل معها وبها. . والجنين الذي أشرت الى تكونه سيولد في ظروف متغيرة وجديدة وبالتالي فسيكون على صلة بعصره.

عجزنا ليس عجز يأس، لأن لدينا حياة، وتراثنا حي، ومن ثم فإن اعترافنا بعجزنا له وجه آخر هو محاولة البحث عن بديل. . وهذا ما جرى في كل مراحل التاريخ. . فعندما جاء عصر البخار مثلاً، كانت الاستجابة واسعة عندنا وان اتسمت بالبطء.

نحن الآن نواجه «الميكنة» الآثمة التي صنعت الشركات المعددة الجنسية التي صارت أقوى من الدول، وتفرض سيطرتها على العالم. . هل تتصور ان رونالد ريجان هو الذي يحكم امريكا؟ لا. . ان سر نجاحه يكمن في تسميته بالموصل الأعظم. . أي المعبر عن القوى الجديدة والقادر على أن ينقل ويوصل بين فكر، ومؤسسات وقوى وعناصر وتركيبات مختلفة.

تسألني هل المطلوب «بطل» أم غيره؟ أقول لك ان هذا اقتراب يضعك فوق

التاريخ، وأنت حر، أما أنا فلست فوق التاريخ.

من منظور عام «ربنا يكفينا شر البطل»، لأننا لسنا في عصر الأبطال، ولا ندري من أين سيأتي البطل، ومواجهة الشركات المتعددة الجنسية لا تتم بالأبطال.

العصر ليس عصر بطولات فردية، يمكن أن يكون عصر حاكم فرد، وآخر بطل فرد هو جمال عبد الناصر الذي قاد مرحلة الانتقال من التبعية إلى عصر المشروع القومي، كما ان الأحزاب بمعناها ووجودها الحقيقي مستحيلة في غياب تشكل كامل للطبقات.

إن السؤال يفترض تصوراً كما لو ان الخيار في يدنا، المشكلة هي اننا ننظر إلى التاريخ وكأننا في «السوبر ماركت» سنختار منه بعض المأكولات.

كل شيء اختلف، حتى الثورة لم تعد كما كانت، بمعناها التقليدي.. محرومون في مواجهة غير محرومين.. هناك طبقات غير محرومة ولكنها تطلب المساواة، لأنها تستفر مما حولها.

في الماضي، وأيام الرومان مثلاً كانوا يقولون: «اشغل الناس برغيف خبز وسيرك» لم يعد ذلك كافياً لنشغل الناس.

● **الخليج: هل يشهد ١٩٨٥ جديداً في البؤر الساخنة لحرب «الخليج» ولبنان والصحراء الغربية، وجنوب السودان؟ وماذا عن الصراع العربي الصهيوني؟**

■ هيكل: لا جديد.. سوف تبقى ساخنة..

إن كل صراع مرهون بعدة عوامل:

أولها: مشروعيته وأخلاقيته.

ثانيها: القدرة على توصيل هذه المشروعية للآخرين.

ثالثها: امتلاك القوة لفرض هذه المشروعية.

إن هذه البؤر الساخنة تعبير عن تفاعلات تجري تحت السطح.. انها أقرب إلى براكين تتفجر هنا وهناك.. تعبيراً عن غليان في باطن الأرض.

وبدون أن أبدو قدرياً فاننا في مرحلة لا نستطيع التخطيطفيها لما نريده مسبقاً، لسبب واحد هو اننا لسنا ملمين بأبعاد ما نواجهه.

نحن أمام عالم متغير في كل شيء، ونحاول اكتشافه وفك طلاسمه ولكننا لم نبدأ المحاولة الحقيقية لقراءة لغته.

انه عالم تسري علينا قوانينه، ونشعر بها، ولا نستطيع أن نفسرها لأننا لا نقرأ اللغة المكتوبة بها.

ان أحد جوانب أزمتنا هي ان الجيل السابق ـ جيلنا ـ قدم لجيلكم الأمور بمنطق يحاول أحياناً أن يبرر بأثر رجعي، أو ان يرثي، أو أن يفاخر، لقد مارسنا كل ألوان الشعر العربي وفنونه . . مرثياته، وفخره، وحماسته، ولم نستطع أن نكتشف خلايا عقلنا اللازمة لعصرنا . . كنا مغرمين بالصياغات واورثناها لكم!!

أما بالنسبة للصراع العربي الصهيوني فباختصار . . الأمة العربية تعاني أزمة وجود حضاري، اسرائيل تعاني أزمة وجود عملي عضوي . . قد تكون لدى اسرائيل بعض اللمحات الحضارية ولكنها بدون أساس عملي وعضوي . . فكلانا في أزمة . . والمطلوب هو العمل، تحقيق الوجود الحضاري للأمة العربية . . أي ان تتجه أزمتنا لتعويض نفسها، وفي الوقت نفسه العمل على أن تؤكد أزمة الوجود في اسرائيل نفسها.

● **الخليج : وماذا عن هذا الذي يجري بين مصر والأردن ومنظمة التحرير؟ وهل هو اعتبار ضمني لما فعله أنور السادات؟! وإلى أين يذهب عرفات؟**

● هيكل : سوف يبقى عرفات ولخمس سنوات قادمة يركب طائرته، ويلف، والله وحده يعلم الباقي . . ومع ـ حزني الشديد ـ سيظل عرفات يركب الطائرة من مطار لآخر يحمل الفكرة الحائرة معه، ولن يعطيه الواقع العربي ما هو أكثر من النزول في مطار والاقلاع منه ولا شيء آخر.

المجلس الوطني، وموقف سوريا . . الخ . . كلها تفاصيل.

اسرائيل في ظل الموازين الراهنة لا تعترف، لا بالأرض ولا بالسيادة، ومنظمة التحرير في ظل الواقع العربي ستظل فكرة وأملاً معلقاً خارج أرضه، يعيش على

هامش ذلك الواقع، وكل الكلام الذي تسمعه هو كما يقول بعض اخواننا العرب «طق حنك»!

لا بد أن نكتشف صيغاً جديدة في الصراع العربي الصهيوني. . ما كنا نتصور في الخمسينات والستينات حول بناء قوة قادرة على أن تضرب اسرائيل في غيبة عن بقية العوامل، لم يعد ممكناً.

فكرة «دولة الطوق» التي ستكسر «دولة البندقة» لم تعد واردة لأنك عاجز تقليدياً عن بناء دولة الطوق، ولأن «دولة البندقة» المحاطة بالطوق أصبحت تمتلك سلاحاً رادعاً، يفوق قدرات العرب، ولديها توازنات دولية أكبر مما لدينا. .

صحيح ان اسرائيل لديها أزمة وجود، وستكتشف انها لا تستطيع الحفاظ على وجودها، ولكن شاغلنا الأكبر يجب أن يكون تركيزنا على أن يستطيع داخلنا اكتشاف نفسه واكتشاف عصره، واكتشاف قوانين هذا العصر، لأننا أمام مرحلة منقطعة الصلة بما قبلها، ومن جوانب معينة.

● **الخليج: . . ومصر العائدة عربياً، ومن سيخطو بعد الأردن؟**

■ هيكل: حسن. . أريد أن تعود مصر عربياً، وان يعود العرب مصرياً ولكن إلى أين؟

عندما يقال لي أن مصر تعود لتلعب دور الوسيط بين العرب وبين اسرائيل، فأنا أظن إن مصر لا تستطيع أن تلعب هذا الدور، لأن المسألة إذا كانت مسألة وساطة مع اسرائيل فإن أمريكا هي المرشح الأفضل والأقوى لذلك. . انه ليس دور مصر، ولا تستطيع مصر القيام به.

والخطوة التالية بعد الأردن. . ليخطها من يشاء.

مصر والأردن ومنظمة التحرير. . لا يمكنهم عمل أي شيء.

القضية الخطيرة هي ان هذه الأطراف التي تتحرك تعي تماماً انه ليس أمامها شيء، ولا بد أن تتظاهر بأنها تؤدي دوراً، والا فالبديل هو أن تترك مواقعها إذا أظهرت عجزها.

و. . . تخيل لو إنني في مكتبي هذا لم أجد شيئاً أكتبه، وقمت بسماع الموسيقى، أو ري هذه الزهور، أوكنس الأرض، هل تسمي هذا عملاً؟ ان عملي هو أن أفكر وأكتب، وإذا قمت بغير ذلك فإنني أتحرك. . هذا صحيح. . ربما كي لا يعرف من يقفون أو ينتظرون خارج مكتبي إنني لا أعمل. . لأنهم إذا عرفوا الحقيقة فسوف ينصرفون عني، ويتساءلون. . لماذا إذن عطلتنا؟!!

وما يجري الآن ليس فيه رد اعتبار لأحد، ويوماً بعد يوم ستكتشف حجم فداحة ما جرى.

● **الخليج: . . . وماذا عن آخر مشاريعك؟**

● هيكل: أولاً أن أنتهي من كتاب زيارة للتاريخ الذي يفترض ان يتم في مارس، ثم أنتهي من كتاب عن السويس بمناسبة مرور ثلاثين عاماً عليها. . كتاب يحمل الحقيقة الكاملة. . والنهائية. . وأن أنتهي من كتابي عن عبد الناصر. . وآخر مشاريعي هو انني مثلك أحاول أن أكتشف ما يجري حولي ليس فقط لأفهمه، وإنما كي لا أتصادم معه على الأقل.

هموم العرب في عام ٨٥

من السهل أن تبدأ المناقشة مع محمد حسنين هيكل، ومن الصعب أن تنهيها. البداية سهلة لأن هنالك أكثر من نقطة وأكثر من قضية يمكن للمرء أن يستشف مدى قدرة شخص له خبرة هيكل ومعلوماته وقراءاته على الخوض فيها. والنهاية تبدو صعبة لأن المناقشة تطول وتتشعب فتلتقي معه أحياناً وتود لو أن الوقت يسمح بالمزيد على مدى ثلاث ساعات تقريباً تواصلت هذه المناقشة التي جرت مع محمد حسنين هيكل خلال وجوده معنا في لندن قبل أيام، وهي بدأت من نقطة كان حولها خلاف: هو يرى أن ما حصل من جراء حرب حزيران (يونيو) العام ١٩٦٧ جرى تجاوزه بما تحقق في حرب تشرين الأول (أكتوبر) العام ١٩٧٣، كيف؟ سألناه، فأجاب أن الارادة تأتي قبل الأرض، إذا كانت هنالك إرادة (وهو ما حدث في حرب ١٩٧٣) فإن تحرير الأرض (ما ضاع في ١٩٦٧) يصبح تحصيل حاصل. نظرياً ليس من خلاف على أن الإرادة شرط للفعل، فمن لا إرادة عنده لا فعل له، لكن عملياً ليس بوسع المرء أن يسقط عام ١٩٦٧ من حسابات الذاكرة أو من التاريخ لمجرد أن حرب ١٩٧٣ حصلت وحققت ما حققت. تلك كانت نقطة خلاف بدأت بها المناقشة التي رأينا أن ننشرها ببداية أخرى تتعلق بما دار حول ما حصل في السودان وما يمكن أن يحدث في مصر والعلاقة بينهما سلباً وإيجاباً لماذا؟ ربما لأنه من نافلة القول أن ما جرى في السودان ما يزال يستحوذ على اهتمام الكثيرين وان هنالك من يرصد بكثير من الدقة تطورات العلاقة المصرية ـ السودانية، وما هو محتمل الحصول في مصر. وهنا وقائع المناقشة.

● مجلة التضامن ـ ١٧/ ٥/ ٨٥ بكر عويضة

● **في ضوء ما حصل في السودان قبل أيام، هل كونت رؤية تقوم ما حصل وتستشف ما سيتبع ذلك بالنسبة لمستقبل السودان؟**

■ هيكل: أعتقد أن السودان كان معرضاً لحكم من أفسد أنواع الحكم في الدنيا. وهذا ليس رأياً لي أقوله اليوم بعدما سقط حكم نميري، بل أن لي رأياً في الرجل يعود إلى أيامه الأولى في الحكم، لم أكن مقتنعاً به، كان غيري مقتنعاً أما أنا فلم أكن، أول مرة قابلته كنا في الطائرة التي أقلت الوفد المصري برئاسة جمال عبد الناصر والوفد السوداني برئاسته (نميري) إلى مؤتمر قمة الرباط. كان ذلك في ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦٩، ويومها ونحن على متن الطائرة روى الرجل حكاية على أنها من مآثره بعد الثورة وخلاصتها أنه كان يحضر مباراة كرة قدم لفريقين سودانيين وكانت النتيجة هدفين مقابل صفر لصالح أحد الفريقين وظلت كذلك إلى ما قبل انتهاء المباراة بقليل فاضطر هو كقائد للثورة أن ينزل إلى أرض الملعب ويسجل هدفين للفريق المغلوب حفاظاً على معنوياته أمام الجماهير.. ما أن سمعت هذه الحكاية يقولها الرجل بنفسه حتى أدركت كم هو ضيق الأفق، وقد قلت هذا الرأي للرئيس عبد الناصر الذي رغم ذلك، طلب مني أن أجامله وأن تهتم «الاهرام» بالسودان وأخباره لكن ما قصدته هو أنني لم أقتنع بالرجل منذ البداية وعلى أي حال لا أظن أنه هو أيضاً اقتنع بي، بمعنى أننا كنا على طرفي نقيض تماماً، ما يعنيني أن الرجل بضيق الافق عنده لم يفهم السودان ولم يعرف كيف يحكم بلداً له تمايزاته الشديدة مثل السودان وانتهى به الأمر إلى أن أوصله إلى حالة مأساوية فعلاً.

● **المستقبل.. مستقبل السودان بعد الذي حصل كيف تراه؟**

■ هيكل: بالنسبة للذي حصل في السودان فإنني ما أزال أحتفظ بأوراقي معلقة،

بمعنى أنه من السابق لاوانه أن نصدر فيه حكماً. أنا أعتقد أننا أمام بداية القصة وليس نهايتها هناك جماهير غضبت ونزلت إلى الشارع وتمكنت من اسقاط الحكم، وهذا الذي حدث ليس ثورة كما أنه ليس انقلاباً وإنما هو تسلم للسلطة، قد يكون بوحي، وقد لا يكون بوحي، لكنه سيبقى في اطاره من حيث أنه تسلم للسلطة إلا إذا أثبت أنه عكس ذلك، علينا أن نتابع بعد ذلك ما الذي سيحدث متابعة موضوعية أي من دون افتراض حسن الظن، ومن دون التلويح بسوء الظن.

● إذا افترضنا أن ما يجري في السودان لا بد وأن يترك ظلاله على مصر، وإن الوضع الاقتصادي البالغ السوء الذي انتهى إليه السودان قد عجل في ذهاب حكم نميري و . . .

■ هيكل: لا . . المسألة ليست، الوضع الاقتصادي صحيح أن سوء الوضع الاقتصادي كان عاملاً مهماً ولكن كان هنالك خنق للحريات وكانت هناك فضيحة «الفالاشا» وهذه ليست مسألة اقتصادية كان هنالك العبث الذي جرى في الجنوب من حيث تقسيمه ضد رغبة وإرادة أهله باختصار كان هناك عجز عن فهم السودان وبالتالى القدرة على انتهاج اسلوب صحيح فى حكمه . أريد أن أقول أن الحكم المطلق لا يمكن أن ينجح فى السودان والذى جرى فى عهد نميرى كان حكماً مطلقاً لدرجة الاستهانة بالناس . كل يوم كان هناك تحالف مع مجموعة لضرب مجموعة أخرى وهكذا

● ما أردت أن أصل إليه من سؤالي، هو أن مصر تتأثر سلباً أو ايجاباً بما يحدث في السودان على الرغم من اختلاف الظروف ومصر اليوم فيها أزمة اقتصادية، كما أن آثار عهد السادات ما تزال قائمة من حيث الهوة الواسعة بين الغني والفقير، وفي مصر اليوم حديث عن بروز نغمة مسلم ومسيحي، فضلاً عن ما يتردد من أن الشارع المصري قد يشهد توترات معينة فما هو تقويمك للأمر وهل أنت خائف على مصر؟

■ هيكل : من دون شك خائف عليها بالطبع. مافى شك أن مصر تعيش فى أزمة أنت أشرت إلى أن الظرف فى مصر يختلف عنه فى السودان، هذا صحيح ولا يجب أن نقيس ماحدث فى السودان على مصر. الحجم السكانى فى مصر أكبر،

مصر لديها عوامل انتاج حقيقية ، الشعب المصرى صبور أكثر لكن هذا لا يمنع أن مصر فعلاً على أبواب أزمة اقتصادية اجتماعية فكرية.. مصر تبحث عن هوية الرئيس حسنى مبارك يحاول العودة بمصر إلى مكانتها العربية بعدما ورث ما ورثه عن أنور السادات. قضية الهوية تلح على المصريين وبالتالى فهى تلح عليه. إضافة إلى ذلك الرجل عنده مشاكل كثيرة ومع ذلك فهو يحاول لكن ما لا ينكره أحد هو أن مصر تواجه أزمة طاحنة متعددة الجوانب. لكننى لا أتوقع ولا أعتقد أن الذى حصل فى السودان يمكن أن يحدث فى مصر لاختلافات موضوعية واضحة بين البلدين.

● السؤال ما يزال قائماً.. هل تعتقد أن مصر مقبلة على انفجار شعبي مثلاً؟

■ **هيكل: ليس بالضرورة لكنني استطيع القول أن مصر مقبلة على توترات إذا لم** تعالج اسبابها بيقظة فإنها قد توصل إلى ماهو أكثر من توترات. إلى انفجارات حقيقية.. فى اعتقادى أن الموقف اليوم فى مصر مايزال منضبطاً لأن هنالك موارد حقيقية. هناك طاقة انتاج حقيقية. هناك الذى انجزه جمال عبد الناصر. مصر مثلاً فيها فقر لكن لا تهددها المجاعة أو القحط بفضل وجود السد العالى ولكى أكون منصفاً لابد أن أقول أن مصر متماسكة لأنها باشرت فى بناء اقتصادها. منذ الاستقلال الوطنى بقيادة البورجوازية الوطنية ثم تكثفت عملية البناء الاقتصادى بعد الثورة ورافقها عملية البناء الحضارى. هل تعلم أن عدد الذين يتلقون التعليم فى مصر الآن يبلغ تسعة ملايين؟ مصر تحدث فيها تغييرات كثيرة ربما أننا لا نلحظها. وما أعتقده أن مصر تتجاوز فى نموها أوضاع الحكم فيها وهذا ما فرض موضوعية الديموقراطية حيث تجد اليوم فى مصر نوعاً من حرية التعبير بصرف النظر عن مداها وهو أمر ليس طوعياً أو منحة من أحد لأن الحركة الشعبية فى مصر نمت بأكبر من وحدانية السلطة إذا كانت ما تزال موجودة فى ذهن أحد أعود إلى السؤال وأقول أن مصر فعلاً تقف على أبواب أزمة لابد من تداركها خصوصاً فى المرحلة المقبلة وإلا فإنها ستؤدى إلى عواقب وخيمة جداً

● نحن الآن على أبواب سنة كاملة مرت على انتخابات أيار (مايو) ١٩٨٤ وهي انتخابات تميزت بأنها أول انتخابات برلمانية تجري بعد عودة الحياة الحزبية، كيف كانت قراءتك لنتائج التجربة؟

■ هيكل: أنا من الذين يعتقدون أن نتائج الانتخابات لم تعبر تعبيراً حقيقياً عن واقع القوى السياسية التي كانت موجودة على الساحة. وأعتقد أيضاً أنه بطريقة ما كان هنالك تدخل في سير هذه الانتخابات. وإلى ذلك أنني أعتقد أنها فرصة ضاعت لأنها لم تعبر عن حقيقة الاوضاع في الشارع المصرى. وبالتالي فإن هنالك تيارات كثيرة أما أنها غابت أو أنه جرى تغييبها. وبالتالي لست أعتقد أن البرلمان الموجود يمثل الشارع المصري تمثيلاً قريباً مما هو قائم على أرض الواقع. مع هذا يبقى أن مصر عندها برلمان يتواجد تحت قبته حوالي ستين نائباً معارضاً وهو ما يسمح بوجود نوع من المحاسبة والحوار والمناقشة الجدية التي ربما لا تكون على المستوى المطلوب، وربما أنها لا تتعرض بالمناقشة لبعض القضايا الاساسية لا بالكم الكافي ولا بالعمق المطلوب، لكن يبقى أنه بشكل أو بآخر هنالك صمامات أمان.

● ورؤيتك لليسار المصري وموقعه من الخارطة السياسية المصرية؟

■ هيكل: أظن أن اليسار المصري شأنه في ذلك شأن اليسار العربي كله عليه مراجعة ما جرى فى الدنيا كلها، ويقوم مواقفه على اساس من هذه المراجعة. . أنا أفهم أن الماركسية تعالج موضوعين أساسيين: وسائل الانتاج وعلاقات الانتاج. فإذا سلمنا بأن وسائل الانتاج حصل فيها تغيير فادح يضعنا على أبواب ثورة أخرى لا تقل عن الثورة الصناعية. فهل نستطيع الاستمرار فى الحديث عن وسائل وعلاقات الانتاج بالطريقة نفسها التى تناولها كارل ماركس عندما كان هنا فى انكلترا؟ اليسار فى العالم العربي للاسف الشديد لا يتابع ما يجرى فى العالم، وليس اليسار وحده بل حتى التيار اليمينى لا يتابع ما يجرى حوله من تغييرات. أى عندنا يسار غير واعٍ بالقدر الكافى، وعندنا يمين فى حالة غيبوبة تماماً. باختصار أن المطلوب من اليسار ومن اليمين ومن الاطراف كلها أن تقرأ وتتابع ما الذى جرى فى الدنيا.

● هل تتخيل مصر دولة تطبق حدود الشريعة الاسلامية من قطع يد السارق إلى جلد شارب الخمر إلى رجم الزاني؟

■ هيكل: هنالك نقطة اساسية في هذا الخصوص تهمني الاشارة إليها وهي أن مصر بلد متدين وشعبها متمسك بدينه . ثم أنني أشير دائماً إلى مقوله فقهاء الأصول المسلمين : « حيثما تكون مصلحة الناس فهناك شرع الله » وأنا أعتقد أن هذه المقوله تتضمن التفسير الجامع المانع لمسألة تطبيق الشريعة الإسلامية . وبالتالى أنا أعتقد أن المشرعين فى مصر أخذوا من الشريعة الإسلامية كل شيء بقي أن تحدث تعديلات فى قوانين العقوبات بما يتيح تطبيق الحدود والسؤال هنا : قبل أن نبحث فى العقوبات إلا يتوجب علينا البحث فى ماهو حاصل لجهة الفرائض ؟ ومنها مثالاً فريضة العدل ، أريد أن أقول أن الإسلام بجلاله كله لا يتلخص فى العقوبات وحدها ، صحيح أنه من المهم أن ننظر إلى العقوبات كما يراها الإسلام ، لكن علينا أن نبحث فى العقوبة بعدما نكون أقمنا النظام . وأول قواعد النظام العدل خلاصة القول هى أن الإسلام لا يتنافى مع تطورات العصر . ولا أظن أن هنالك ديناً أعطى لسلطان العقل مثلما أعطى الإسلام ، ومن هنا أن ربط إسلام مصر بتطبيق الحدود فيه هو نوع من السطحية المرفوضة تماماً .

● **أنت من دون شك، ترصد تطورات ما يجري على مسرح الشرق الاوسط رصداً من نوع خاص ترى في ضوء آخر المعلومات المتوافرة لك، كيف ترى مسار الاحداث في الشرق الاوسط هل هي إلى انفراج أم إلى مزيد من التعقيد الذي يتزايد سنة بعد أخرى منذ العام ١٩٦٧؟**

■ هيكل : اسمح لي أولاً أن أقول أنك تخطىء في الحساب لماذا؟ أنت تقول «منذ سنة ١٩٦٧». صحيح أن ما هو أمامنا اليوم بدأ سنة ١٩٦٧ لكنك تنسى وكثيرون أيضاً ينسون أن ما بدأ سنة ١٩٦٧ صحح أو كان ينبغي أن يصحح سنة ١٩٧٣ ما استغرب له كثيراً أننا نعتبر أن المسافة من سنة ١٩٦٧ إلى الآن هي استمرار واحد لم ينقطع وأنا ادعي اننا بهذا نغفل فترة من أهم فترات التاريخ العربي. أنا أسلم معك ومع الكثيرين بأن ما حدث سنة ١٩٦٧ كان عثرة خطيرة جداً سواء اسمينا ما حدث «نكسة» أو «هزيمة» ولكن أنا أضع ما حدث سنة ١٩٦٧ في اطار استمرار معركة بمعنى أنك وانت تقاتل من أجل هدف قومي كبير قد تواجه فجأة بصدمة كبيرة المهم هنا هو ألا تفقد إرادتك، وإلا تترك للصدمة فرصة النجاح في تغييب إرادة القتال والاستمرار المشكلة أن الكثيرين يعتبرون أن ١٩٦٧ هي خطواحد مستمر إلى الآن

وهذا ليس صحيحاً صحيح ان ما حصل في ١٩٦٧ قد حصل وكانت هنالك هزيمة لكن هذا لم يكن نهاية المطاف كانت صدمة شديدة صدمتنا جميعنا صدمت جيلاً وأمة بكاملها لكنها تكراراً لم تكن نهاية المطاف كان هنالك زعيم مسؤول عن توجهات هذه الأمة وعلى أثر صدمة ١٩٦٧ خرجت الأمة بأكملها تطلب منه الاستمرار في تحمل مسؤولياته القيادية، وهذا ما حدث استمر الرجل واستطاع أن يعيد بناء جيش وسط انقاض الهزيمة بمعنى أن مصر حين قبلت قرار مجلس الأمن في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ (القرار ٢٤٢) كانت تقبله وقد استعادت بناء قوتها العسكرية وأظن أن الشيء نفسه ينطبق على سوريا أي أن مصر اعتباراً من أول تشرين الثاني «نوفمبر» ١٩٦٧ استكملت اعادة بناء قوتها الدفاعية وبدأت تنمي القوة الدفاعية إلى قوة هجومية ـ علماً بأنني أحد الذين يؤمنون بأن الفصل بين القوة الدفاعية والقوة الهجومية هو مسألة مفتعلة بمعنى أنك تستطيع أن تخوض حرباً دفاعية تستنزف فيها عدوك وتكون حرباً منتصرة ـ إذاً نحن في تشرين الثاني «نوفمبر» سنة ١٩٦٧ كنا قد بنينا قوة دفاعية بدأنا ننميها وقبل وفاته في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ كان جمال عبد الناصر قد وقع خطة «جرانيت رقم ١» وهي خطة عبور قناة السويس بخمس فرق على ثلاثة محاور ثم طورت هذه الخطة أثناء حياته لكنه لم يوقع على التطوير (جرانيت رقم ٢) إلى جانب ذلك كان هنالك هم بناء الجبهة الشرقية وذهب جمال عبد الناصر وجاء أنور السادات وأمامه مجمل عمل أمة بأكمله وهو دفع اليوم الذي يمكن أن تصحح فيه ما حدث سنة ١٩٦٧ وهو ما سمي في ذلك الوقت بـ «ازالة آثار العدوان» وما أريد أن أقوله هنا أن «ازالة آثار العدوان» ليس كما يدعي بعض الناس من أنها مهمة مرحلية جداً لأن كل من يتصور أن الصدام الموجود في الشرق الاوسط هو صدام ينتهي في ثلاث أو أربع سنوات أو حتى خلال جيل بأكمله هو شخص واهم هذا صدام طويل جداً ويقرر مصير أمم ومنطقة بأكملها إذن أنت حين تزيل آثار العدوان معنى ذلك أنك استطعت أن تواجه اسرائيل على أرض اختلتها وأن تجبرها على التخلي عن التمسك بتلك الأرض وهذا هدف إذا اسميناه دفاعياً ومحدوداً في عملياته فهو غير محدود في آثاره من هنا أن الذي حدث هو أن جمال عبد الناصر أكمل المسيرة خلال سنوات ٦٧ و ٦٨ و٦٩ و ٧٠ ثم يأتي أنور السادات ويحقق قيام الجبهة الشرقية التي كانت موضوعاً

يشغل جمال عبد الناصر وقد نجح أنور السادات بفضل صداقته مع حافظ الاسد في تحقيق التفاهم على قيام هذه الجبهة ثم تأتي هذه الخطة وتحت ضغوط أقوى من إرادة أي فرد وبحكم ديناميكية قوة وجدت وعندها حركتها الذاتية وهي القوات المسلحة العربية كلها سواء في مصر أو في سوريا بالتحديد إضافة إلى بلدان عربية أخرى بدأ يتبلور موقف لا يستطيع أحد حتى لو أراد أن يتجاوزه وجاءت سنة ١٩٧٣ واستطاعت القوات العربية أن تعبر قناة السويس والقوات السورية تقدمت أي أنه لأول مرة في التاريخ العربي الحديث وجدنا أنفسنا أمام حقيقة قيام التحالف العربي الكبير مصر وسوريا تحاربان في اللحظة نفسها، حتى أن أكثر شيء كان يشغلني يوم ٦ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٧٣ هو ما إذا كانت كل الاطراف ستلتزم بالتوقيت المتفق عليه، وهو ما حدث فعلاً القاهرة ودمشق اطلقتا النار في اللحظة ذاتها، وهذه مسألة مهمة جداً لا ينتبه إليها كثيرون على الرغم مما لها من ايماءات استراتيجية وتاريخية أكثر أهمية في حياتنا والتأثير على مستقبلنا من كل حسابات الارباح والخسائر فالقتال هو في مجمله عمليات عسكرية يسبقها وضع تصور لمفهوم الحرب استراتيجية الحرب والواضح عندي أنه لا يمكن لبلد عربي واحد أن يحارب باستراتيجية تخصه وحده في حين أن الحرب تخص أمة بأكملها من هنا أن معنى دخول سوريا الحرب في اللحظة نفسها مع مصر يفوق في أهميته الكثير مما يمكن أن نتحدث عنه في حساب المعارك كأن نسأل عن حجم الخسائر أو حجم النيران التي اطلقت إلى غير ذلك.

اضافة إلى دخول مصر وسوريا الحرب في وقت واحد برزت الصورة على النحو الآتي: العراق أرسل قواته إلى سوريا، الاردن لم تحارب من حدودها ولكنها أرسلت قوات إلى سوريا، وكذلك فعلت المغرب والجزائر والسودان، أما السعودية من جهتها فاشهرت سلاح البترول، إذن نحن أمام تحالف عربي ضخم أعتقد أنه كان أكثر أهمية من قوة النيران التي كانت متوفرة يومها، وإذا اضفنا إلى هذا التحالف الاستراتيجي ابعاده الدولية، مثل تأثير موضوع البترول، ووقوف الاتحاد السوفياتي الذي كنا نحارب بأسلحته والمفاجأة التي واجهت أميركا التي كانت تقول دائماً أن العرب لن يهاجموا اسرائيل أبداً ثم الصدمة التي حدثت

لاسرائيل نفسها وهي ترى أن العرب قادرون على الاخذ بزمام المبادرة، إذا أخذنا كل هذه الابعاد معاً نستطيع أن نلمس مدى أهمية هذا التحالف الضخم الذي فرض نفسه على خارطة المنطقة يومذاك، ومن هنا انني أعتقد أن ما حدث أيام ٦ و ٧ و ٨ أكتوبر ١٩٧٣ ينبغي أن يسقطمن حساباتنا ما حدث سنة ١٩٦٧ . . . تماماً مثلما هو الحال بالنسبة إلى شخص ماض في طريق طويل، يقع، يتعثر، ثم ينهض ويواصل المسيرة، أنت لا تستطيع أن تقول أن هذا الشخص توقف عند هذه السقطة أو تلك، إلا من حيث التاريخ بمعنى أن نقول تاريخاً أن العام كذا شهد كذا، لكن في حسابات الحروب المسيرة لا تتوقف عند معركة واحدة، ولذلك فإن ١٩٦٧ في اعتقادي انتهت، أو أن آثارها انتهت بقيام هذا التحالف الذي كنت أشير إليه بما حصل في أيام ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ تشرين الاول (أكتوبر) سنة ١٩٧٣.

● كيف تطلب مني أن اعتبر أن ما حصل سنة ١٩٦٧ انتهى وانتهت آثاره بما حصل في حرب ١٩٧٣ في حين أن الارض التي احتلت عام ١٩٦٧ ما تزال محتلة؟

■ هيكل: الارض المحتلة لا تساوي شيئاً في حسابات الإرادة، الارض هي الإرادة أولاً، بمعنى أنني استطيع القول أن اسرائيل كانت موجودة في كل جنوب لبنان لكنها خسرت المعركة هناك بعدما ثبت لها أن هنالك إرادة أخرى موجودة وأن هذه الإرادة قادرة على أن تتحداها فمن الاخطاء التي نتصورها أيضاً أن نتائج المعارك محكومة بحسابات الارض بينما أن الحروب تنتهي إلى خسارة أو إلى نصر حسب احتلال الاجنبي للارادة الوطنية وليس للارض، نعم احتلال الارض هو رمز لاحتلال الارادة، لكن إذا كانت إرادتك قادرة على أن تتحرر من قيد الأرض وتواصل النضال والقتال فأنت إذن مستمر وموجود، وقد يشكل احتلال الارض عبئاً نفسياً عليك، لكنك أنت باستمرار الارادة فيك تكون عبئاً كبيراً يواجه العدو يعني اسرائيل وهي تحتل جنوب لبنان كانت تواجه إرادة اللبنانيين، وبقدر ما كانت الأرض تشكل عبئاً على اللبنانيين من حيث أن أرضهم محتلة، هذا العبء نفسه كان يواجه اسرائيل من حيث أنها تحتل أرضاً فيها إرادة حرة قادرة على أن تتحدى مخططها.

من هنا انني أرفض أن نوقف التاريخ عند لحظة معينة ونقول: هذا هو ما حصل، التاريخ حياة وحركة حية باستمرار وكل لحظة لها أهميتها، وبعد الذي حدث سنة ١٩٧٣ انتهى الحديث عن سنة ١٩٦٧، على الرغم من أن الاسرائيليين ما يزالون في الارض، لكن أشياء كثيرة تغيرت في ١٩٧٣، الموازين تغيرت، الديناميكية تغيرت، حتى السيكولوجية تغيرت، إذن خلاص انتهت ١٩٦٧ ويجب الا نلتفت إليها، لا تقل لي أن الوضع مستمر من سنة ١٩٦٧ وأنه متواصل، وأحب أن أقول هنا أنني لا أدافع عن شخص معين، لأن الذين نفذوا وقادوا ما حصل في ١٩٧٣ هم أنور السادات وحافظ الاسد والملك فيصل بن عبد العزيز، بمعنى أنني لا أدافع عن جمال عبد الناصر الذي اعتبره بطلاً من أبطال هذه الامة، في المحصلة أننا يجب أن نكون منصفين ونقول أن ما حصل سنة ١٩٦٧ وقع تلافيه سنة ١٩٧٣، وعلينا أن نسأل ما الذي حصل من سنة ١٩٧٣ فصاعداً.

● حسناً. . . لماذا ظلت معظم الارض المحتلة محتلة على الرغم من أن ما حصل في ١٩٧٣ يلغي ما حصل في ١٩٦٧، هل ثمة خلل سنة ١٩٧٣ ادى إلى أن الوضع العربي هو على ما هو عليه الآن؟

■ هيكل: الملفت للنظر في ما حصل سنة ١٩٧٣ هو أن العرب المهزومين قوموا أوضاعهم تقويماً صحيحاً، وأدركوا أنهم لا بد لهم من أن يعودوا إلى ممارسة إرادتهم، وهؤلاء العرب الذين مارسوا إرادتهم وحققوا بذلك بعض التقدم، وأعطوا ـ على أقل تقدير ـ إشارات لعدوهم من نوع أنهم لن يقبلوا الاحتلال، وأعطوا إشارات للمجتمع الدولي من نوع أنهم لن يقبلوا الامر الواقع، وأعطوا إشارات أنهم قادرون على الحركة، وأنهم قادرون على التقدم والتضحية واستيعاب تكنولوجيا معقدة وجديدة، هؤلاء أنفسهم عادوا من موقع سوء التقدير من جهة والزهو والتفاؤل من جهة أخرى، فاضاعوا كل شيء.

● كيف؟

■ هيكل: في الحرب، وهي ما تزال دائرة بدأت كل الاطراف العربية، مع الاسف

الشديد، تحاول أن تحصي مكاسبها وغنائمها الذاتية، والنتيجة أنهم خسروا، عندما كانت هنالك هزيمة ادرك العرب كلهم أنهم جميعاً يدفعون ثمن ما جرى، وأول ما حققوا نوعاً من القوة والانتصار تصوروا أن هنالك الكثير من الغنائم وانهمكوا جميعهم في حسابات الغنائم، والنتيجة أن ذلك التحالف الذي كان قائماً بينهم انتهى وضاع منهم أنا أعتقد أن التورط في حسابات الارباح والغنائم كان بداية التفريط بما حصل في ١٩٧٣، وبتعبير آخر أن ما حصل في يناير وفبراير ومارس ١٩٧٤ واستمراراً حتى منتصف ١٩٧٥ كان في تقديري أبشع الجرائم التي ارتكبت في حق هذه الامة.

● **ما الذي تعنيه من أحداث تلك الفترة؟**

■ هيكل: سأقول.. الذي حدث أننا ونحن ننجح في تحقيق العبور، وننجح في أخذ زمام المبادأة، وتحارب مصر وسوريا معاً وفي وقت واحد وبدعم عربي، ونرى أننا نجحنا في تحقيق شيء مختلف عما حدث في ١٩٦٧، بدأ البعض منا يتحدث عن مردود ما حصل لا من الناحية العسكرية، ولا حتى من الناحية السياسية، بل من الناحية الطبقية، بدأ البعض منا يقول: «بلاش السلاح السوفياتي»، ليس ضرورياً أن يكون الاتحاد السوفياتي طرفاً في التسوية، بمعنى أننا بعد ما قاتلنا بالسلاح السوفياتي بدأنا ندير ظهورنا للسوفيات، بل ونعرضهم إلى اذلال وامتهان، وننسى بذلك أننا سنظل بحاجة إلى السلاح السوفياتي، لانني من المؤمنين بأننا لن نحارب اسرائيل، أو لن يسمح لنا أن نحارب اسرائيل بسلاح غير السلاح السوفياتي، ومعنى أن تتخلى عن السلاح السوفياتي وتخرج السوفيات كقوة سياسية من المنطقة، معناه أنك تقبل بمنطق التسوية وتسقط الخيار العسكري، وهو يعني أيضاً القبول بالدخول في مفاوضات لن تنتهي، لأن أية مفاوضات بين طرفين ميزان القوى بينهما مختل هي مفاوضات محكومة بالفشل من حيث أن أطرافها سوف يتفاوضون إلى الابد من دون الوصول إلى نتيجة هذه أول الغلطات.

الخطأ الثاني أننا لم نفهم قيمة التحالف الذي كان قائماً مصر ذهبت إلى توقيع اتفاقية فك ارتباط من جانبها، وسوريا أحست أنها خدعت، وسواء كان الاحساس

السوري صحيحاً أو لم يكن، فأنا أتصور أن الذين أطلقوا الرصاص في وقت واحد من واجبهم أن يمسكوا القلم في وقت واحد أيضاً، بل قبل ذلك أي قبل اتفاقية فك الارتباط حصل اختلاف على القبول بوقف اطلاق النار، مصر وافقت وسوريا رفضت، إذن توقيت الاطلاق الموحد للنار، لم يكن هو توقيت وقف الاطلاق، بمعنى أن اطراف التحالف بدأت مسيرة الشتات بأسرع مما تصور العدو نفسه، علاوة على ذلك جرى اخراج السوفيات من المنطقة بما أخل بالتوازن الاستراتيجي، وأحدث نوعاً من التسليم للولايات المتحدة بأن تصبح وحدها الحكم في المنطقة، وهي، أي أميركا جاءت وطالبت برفع الحظر البترولي بحجة أنها لن تستطيع التحرك سياسياً طالما أنها تحت تهديد بحظر النفط وكانت النتيجة أن الطرف الذي طالب بحظر النفط هو نفسه الذي طلب رفعه، حتى أن مصر ضغطت على سوريا لكي تقبل برفع الحظر، والملك فيصل نفسه سأل دول المواجهة هل أنها متأكدة من أن الوقت بات مناسباً لرفع الحظر، إذن انهمكنا في احصاء الغنائم واخلينا بالتوازن الاستراتيجي، ثم فرطنا بقيمة التحالف الذي حصل، ثم استمرت الاخطاء استمرار فك التحالف استمرار احصاء الغنائم استمرار حساب المكاسب الذاتية العودة إلى تحكيم المنطق الطبقي بدلاً عن المنطق القومي رغم أن اليساري وغير اليساري كان يحارب تحت العلم نفسه، والنفطي وغير النفطي كان يقاتل، أمة بأكملها كانت معبأة ثم حدث أن انقسمت إلى متشددين ومعتدلين دخلنا هذه اللعبة التي قادتنا إلى كامب ديفيد. بمعنى أن مصر لحظة خرجت لتوقع انتفاقية فك اشتباك وحدها ثم أخرجت السوفيات من المعادلة بتصور أن الاميركيين سيقدمون لها حلاً عادلاً وشاملاً، هذه بداية طريق قادت إلى كامب ديفيد، ما الذي كان عند مصر؟ نسأل أنفسنا هذا السؤال لنجد أن مصر كان عندها:

١ ـ التحالف العربي ووجودها داخل اطار عربي كبير.

٢ ـ كان عندها سلاحها.

وعندما حدث التفريط بهذين العاملين، بقي هناك سلاحان كانت اسرائيل تريد

ابطال مفعولهما وهما ورقة انهاء حالة الحرب والاعتراف بها، وورقة المقاطعة العربية ضدها ولحظة ذهب أنور السادات وحطت طائرته في القدس وقبل أن يهبط منها ويصافح مناحيم بيغن، كان في الواقع يسلم بهاتين الورقتين، من تلك اللحظة انتهى كل شيء وكامب ديفيد جاءت نتيجة طبيعية لهذه السلسلة ثم توالت الانهيارات في العالم العربي لأن الذي حدث هو أن البناء الكبير وقع فبدأت الاطراف تعاني من آثار الانهيار لبنان مثلاً انهار لأن البناء الكبير الذي كان يحميه وقع، ثم ان سوريا أرادت ان تؤمن نفسها لأنها وجدت أنها بعد كامب ديفيد في وضع استراتيجي غير مقبول، فكان طبيعياً أن تسعى لتأمين سلامتها في لبنان حيث يمكن أن تطال فصارت لبنان أرض مواجهة، العراق أحس أنه مهدد بما كان يجري في ايران فنشبت الحرب العراقية ـ الايرانية، المغرب العربي زادت فيه حدة الصراع والانقسامات الخليج الذي يبني عمارات وطرقاً من دون بشر بدأ أيضاً يحس بالخطر وحصل في السودان ما حصل النتيجة التي انتهينا إليها أننا بدأنا نعد الغنائم ونحن منتصرون فانتهينا مهزومين والشيء الخطر جداً الذي افرزه تسلسل الانهيار العربي هو أن كل نظام بدأ يتصرف وكأن أمنه معزول عن أمن الامة وهذا مستحيل.

● **ألا ترى أن الصورة تغيرت الآن؟**

■ **هيكل:** الصورة لم تتغير كثيراً.. بمعنى أنك عندما تقدم على اتخاذ موقف معين ثم تترتب على هذا الموقف آثاره فإنك لا تستطيع الغاء هذه الاثار ببساطة، أن تأخذ اليوم قراراً يجعلك في وضع معين ثم تتخذ في اليوم التالي قراراً مختلفاً يضعك في موقف مختلف مع تطور الظروف نحن الآن أمام وضع مختلف عن الذي كان قائماً سنة ١٩٧٤، لأن مصر ذهبت إلى مدى في الشوط لم تكن تريده اطراف عربية أخرى بمعنى أن هذه الاطراف لم تكن تتصور أن السادات سيذهب إلى القدس المحتلة لكن الذي حصل حصل، وكانت النتيجة أننا صرنا أمام وضع أصبحت مصر فيه خارج المعادلة العربية بالكامل، وأصبحت هناك موجة معادية لعروبة مصر داخل مصر نفسها وفي الناحية الثانية كان هنالك كلام لا يمس أنور السادات كشخص ولكنه كان يمس مصر نفسها، إذن مع استمرار هذه التطورات دخلنا في حركية جديدة مختلفة تجعل آثار ما جرى ما تزال موجودة فمصر ما تزال تواجه موقفاً

صعباً وليست قادرة على اتخاذ قرار على الرغم من حسن نيات الرئيس حسني مبارك ورغبته الصادقة في اعادة مصر إلى مكانتها ودورها العربيين لكن هذه العودة إلى العرب لها تكاليفها ولها حساباتها وهو في الوقت نفسه غير قادر على أن يكون في الخطونقيضه أن يكون في القدس المحتلة وفي الجامعة العربية في الوقت نفسه. . مسألة صعبة جداً هناك حقائق موجودة تقيده والآخرون مقيدون بها أيضاً من آثار ما جرى أيضاً أننا في السنوات العشر الاخيرة أهدرنا كمية من الطاقات العربية في غير موضعها الصحيح تعال ننظر إلى العالم العربي اليوم: مصر ووضعها واضح لبنان وكلنا نرى ما هو فيه الارض المحتلة أهلها في وضع صعب لأنهم حاولوا وكانت عندهم آمال يوم كان الواقع العربي في حالة نهوض، لكن أمام حالة الانهيار العربي تواضعت أحلامهم وآمالهم ولولا الذي حصل في جنوب لبنان لكنا كعرب مكشوفين بل وعراة تماماً من الناحية المعنوية العراق مشغول بالحرب التي يشعر أنه يدفع من خلالها عن وجوده المهدد سوريا مشدودة إلى ما يحدث في لبنان من جهة وإلى نيات اسرائيل تجاهها من جهة ثانية، دول الخليج كونت لنفسها منظمة مجلس التعاون لتهتم بمصالحها السودان حصل فيه ما حصل الجزائر بعيدة ووحدها، تونس مثل جزيرة في البحر، هذا كله نتيجة طبيعية لما حصل.

● عودة إلى إشارتك إلى الأرض المحتلة وأن أهلها في موقف صعب، وهو ما يعيدني إلى مناقشة رأيك في أن ما حدث سنة ١٩٧٣ قد ألغي ما حصل سنة ١٩٦٧ . ما أريد أن أشير إليه هو أن الأهل في الأرض المحتلة يعانون احتلالاً استيطانياً بدأ سنة ١٩٦٧ ولم ينته حتى الآن، بل أنهم يستشعرون خطورة الاستيطان والتهويد أكثر منا نحن الموجودين في الخارج، فكيف نقول لهم انسوا ما حصل سنة ١٩٦٧ وهم ما يزالون تحت معاناة آثاره؟

■ هيكل: أليس غريباً أن الاستيطان وابتلاع الضفة الغربية وغزة لم يبدأ إلا بعد سنة ١٩٧٥ . ما أريد أن أقوله هو أن هناك أرضاً محتلة، لكن طالما أن هنالك إرادة فاعلة ومؤثرة في أي بلد عربي أو مجموعة بلاد عربية قادرة، يبقى الكفاح مستمراً، أما الذي يدفع الرازحين تحت الاحتلال إلى الاحساس باليأس، وأن ضوءاً ما

ينطفىء كل يوم هو أن أضواء الأمل تطفأ فعلاً، ما نحن غير قادرين على فهمه أحياناً، ونخطىء فيه كثيراً أن ما يطمئن الرازحين تحت الاحتلال في أية ظروف يعيشونها هو أن يعلموا أن هناك شعلة للحرية في مكان ما، وأن هناك كفاحاً وعملاً وحشداً وجهداً مستمراً في اتجاه تحقيق الهدف القومي. إذن القضية هي قضية غياب الارادة وليست احتلال الأرض، الناس في الأرض المحتلة أحبطوا بعدما رأوا ارادة الكفاح تنطفىء في بلد عربي بعد آخر، أيام حرب الاستنزاف على سبيل المثال كانت معنويات أهل الأرض المحتلة في القمة، كان عندهم احساس أن هنالك بقية في العالم العربي تتحرك بدأ التجاسر على تهويد الأرض وتغيير هويتها عندما اطمأن الكل أنه لم تعد هنالك ارادة قتال، عندما ضاع التحالف العربي الكبير، وبدأت الانهيارات تتوالى.

● هل تعتقد أن الرئيس (الراحل) أنور السادات عندما ذهب إلى القدس المحتلة، ومضى في الطريق إلى نهايته بتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد كان يفعل ذلك انسجاماً مع تكوينه السياسي الذي لم يفصح عنه طوال عهد جمال عبد الناصر؟

■ هيكل: مشكلة أنور السادات، في تقديري، كانت الجهل بالتاريخ، كان رجلاً بعلم محدود وقدرات محدودة، ربما كان خبيثاً أو ذكياً إلى حد ما، لكن فهمه الاستراتيجي للحرب كان قاصراً. أما أن ما حدث كان نتيجة بنية سياسية نشأ عليها فهذه مسألة لا أدعي علماً بها، لكنني أدعي أنه لم يفعل ما فعله لوحده. . . لم يكن يستطيع. أخشى أن أقول أن أنصار الحل الأميركي هم الذين زينوا للسادات الطريق الذي سار عليه، هؤلاء هم الذين ضغطوا لطرد السوفيات من مصر على أساس أن لديهم تطمينات من الولايات المتحدة بأن المشكلة ليست في اسرائيل بل هي في الوجود السوفياتي في المنطقة، وأنه إذا خرج السوفيات من مصر ستخرج اسرائيل من الأراضي العربية التي احتلتها، وهو من جهته، أي السادات، سواء بتصورات قائمة على جهل، أو بغواية آخرين فإنه سار في الحل، وربما أنه فاجأ الأطراف الضاغطة عليه بتوقيت قرار طرد الخبراء السوفيات من مصر، ومع ذلك السوفيات واصلوا تزويد مصر بالسلاح لأنهم لم يشأوا أن يقال أن مصر لا تحارب لأن

السوفيات حجبوا عنها السلاح. إذن القول بأن السادات في الأصل تكوينه السياسي ونزوعه إلى الاتجاه الأميركي والحياة على الطريقة الأميركية كان متأصلاً عنده فردي على ذلك هو أن هنالك مناخاً معيناً هو الذي أيقظ فيه ذلك كله. أنا لا أدافع عنه فالرجل مات وأنا في سجونه، لكن أنا ضد القاء اللوم والمسؤولية عليه وحده، ليس صحيحاً أن أنور السادات فعل ما فعل لوحده، الصحيح أن السادات فعل ما فعل بالاشتراك مع آخرين، لأن الذي حصل إنما حصل في مناخ معين سهل حصول ما حصل.

● **ننتقل إلى نقطة أخرى في السياق نفسه، لو افترضنا أنك أحد الذين يشاركون في صنع القرار الفلسطيني، ما هو القرار الذي ترى أن هنالك ضرورة لاتخاذه إزاء ما يجري الحديث عنه هذه الأيام لجهة التسوية والمفاوضات و. . .**

■ هيكل: هنالك قرار رئيسي لا بد من اتخاذه على المستوى الفلسطيني، وهو قرار توحيد أداة النضال، واعادة تنظيم الثورة الفلسطينية. أما ما يقال عن مؤتمر دولي ومفاوضات، وأن أميركا ستعطي شيئاً ما فهو متوهم، أقول هذا الكلام وأنا كنت في أميركا قبل ثلاثة أشهر وذاهب إليها بعد غد. . . كل ما يقال عن قرب التوصل إلى تسوية أميركية، عن احتمال عقد مؤتمر دولي، ليس صحيحاً بالمرة. الصورة العربية أمام الآخرين هي أن هنالك ضعفاً عربياً عاماً حتى في البؤرة الحية وهي الثورة الفلسطينية، وحتى عندما يتفق الملك حسين وياسر عرفات فإن ذلك لا يعني الكثير وأخشى أن أسمي اتفاقهما اتفاق يأس وليس اتفاق أمل لأن جميع الطرق تبدو مسدودة ولم يبق سوى هذا الملجأ الأخير، وفي السياسة فإن الملاذ الأخير ليس ملاذاً وإنما هو الاستسلام. . . أنا أفهم أن الملجأ الأخير عسكري، أما في السياسة فالملجأ الأخير استسلام!! من هنا، وعودة إلى سؤالك، فإن الأولوية الأولى فلسطينياً الآن هي توحيد المقاومة الفلسطينية، أنا مدرك أن ياسر عرفات وقيادة «فتح» لن يستسلموا ولن يقبلوا بأقل من الأهداف المرحلية للنضال الفلسطيني، ولكن رداً على سؤالك أقول أن الأولوية الأولى هي لتوحيد صفوف المقاومة وليس لأي شيء آخر. ثم أن الأولوية الثانية في تقديري أمام القيادة الفلسطينية هي في

إيجاد صلة بين الثورة الفلسطينية وبين مصر الشعب وليس بالضرورة مصر النظام، لأن مصر هي في صراع مع اسرائيل غصباً عن الجميع وبصرف النظر عن القضية الفلسطينية.. بمعنى أنه حتى لو لم تكن هناك قضية فلسطينية فإن مصر، في اعتقادي، ستدخل في صراع مع اسرائيل يصل إلى حد الحرب، وأنا لا يعنيني أنه مضت حتى الآن عشر سنوات من دون حرب، أنا يعنيني التاريخ، مصر تقع جغرافياً في افريقيا لكن حركتها السياسية عبر التاريخ كانت في آسيا وفي العالم العربي، فإذا ما جاء كيان ليقطع عليها الطريق ويفصلها عن بقية الجسم العربي فإن هذا أمر مرفوض وستحارب به مصر اليوم أو غداً أو بعد كذا سنة.

● **كيف تنفذ القيادة الفلسطينية مسألة التوحيد...**

■ هيكل: هذه ليست مشكلتي...

● **لكن أنت تطالب باتخاذ قرار بتوحيد الثورة، وفي واقع الحال إن شتات الثورة هي في بعض جوانبه انعكاس لتداخلات عربية، وفي جوانب أخرى أن أبواب العمل العسكري مغلقة، والعمل السياسي ليس متفقاً عليه ولا حوله، فكيف يحدث التوحيد إذن؟**

■ هيكل: كل قرار استراتيجي يبدأ بالسؤال عن ما هي ضروراته. ياسر عرفات يختلف مع فلان أو علان، يتفق مع حافظ الأسد أو يختلف معه، يلتقي مع الملك حسين أو لا يلتقي، ليس هذا هو الموضوع، أنا أقول أنه في هذه المرحلة هنالك أولوية أولى لتوحيد الثورة الفلسطينية وإعادت ترتيبها، ثم أعطي الأولوية الثانية لمصر وإمكانية استعادتها، ليس باشتراط الخروج من كامب ديفيد وإنما بالتوأمة القائمة بين مصر وفلسطين، أي بالحضور الفلسطيني في مصر والاهتمام المصري بفلسطين. هذه أولويات في اعتقادي تسبق أي شيء آخر. وما أريد أن أضيفه هنا هو أن الطريق الذي تصوره بعض الأطراف سالكاً أمام التسوية هو طريق معبد بالصخور والأشواك، سواء انعقد مؤتمر دولي أو لم ينعقد، لن يعود شيء لسبب بسيط جداً وهو أنه ليست هنالك إرادات وراء أي هدف، ولو كانت هنالك إرادات فهي منهكة ومستنزفة، ولا تستطيع أن تفعل شيئاً، أي أن المدفوعين إلى الباب

الأخير لا يستطيعون أن يطالبوا بأي شيء سوى أن يفتح لهم الباب ويطلب منهم الجلوس على مقاعد معينة.. بس مش أكثر من كدة!! بمعنى آخر أن القيادة الفلسطينية مطالبة بتجميع القدر الأكبر من القوى الفلسطينية وتحاول أن توحد فيما بينها وتطرح لنفسها أسلوب عمل جديداً متناسباً مع الظروف المتغيرة.

● وهل يمكن أن يحدث هذا من دون تصحيح العلاقة مع سوريا، أي أن الحضور الفلسطيني في سوريا من شأنه أن يساعد على تحقيق نوع من الوحدة ثم البحث في تطوير أسلوب الكفاح المسلح؟

■ هيكل: لنتكلم بصراحة، أظن أن الذين ضربوا «المارينز» في بيروت لم يكن لهم حضور عسكري في سوريا، نحن نتكلم دائماً عن أسلوب عمل واحد، أنا لا أعرف كيف سيحل الخلاف بين حافظ الأسد وياسر عرفات، لكن أعرف أن هنالك ضرورة استراتيجية واحدة وهي ضرورة توحيد أكبر كم ممكن من القوى الفلسطينية، توحيد فكرها واختيار أساليب للنضال السياسي والعسكري تلائم ظروفها حتى لو لم تكن هناك سوريا. يبقى أنه من المهم أن تكون هناك علاقة صحيحة بين سوريا والمقاومة، هذا صحيح، لكن كيف يتحقق، لست أدري!! لكن ما أدريه وأدركه أن هنالك قضايا قومية فوق الأشخاص، ومن هم في مواقع المسؤولية القيادية لا ينظرون إلى كبريائهم الذاتي إلا من خلال كبرياء قضاياهم القومية، هناك قضايا لا يحكم فيها ما يجري لشخص أو لأشخاص أبداً، أعرف أن أي قيادي مفوض من شعب أو من أمة عليه أن يسقط من حساباته كل شيء إلا مصلحة وتحقيق هدف الشعب أو الأمة. لذلك أكرر أن القيادة الفلسطينية مطالبة اليوم بأكبر قدر من الوحدة، بأكبر قدر من نشاطها الذاتي المعتمد على فكرة سياسية معينة وعلى عمل مؤثر. ليس هنالك طريق أو بديل آخر أمامها.

● على ذكر مسؤوليات القائد تجاه مشاعره الشخصية، هل في تقديرك أن ياسر عرفات بعدما قاد معركة الصمود في بيروت سنة ١٩٨٢ أخطأ بخروجه من بيروت إلى اليونان وليس إلى سوريا؟

■ هيكل: أيوه... نعم أعتقد أنه كان يجب أن يذهب إلى سوريا مهما كانت

جراحه، وأنا أعرف أن جراحه كانت كبيرة، يمكن أستطيع أن أزعم أنني أعرف ياسر عرفات أكثر من أي شخص آخر خارج دائرة رفاقه، أعرفه وأحبه وأحترمه وأقدر دوره في تجسيد الدور الفلسطيني ولا أتصور إمكانية استبداله بأحد آخر لأن كمية الاستثمار التي بات يمثلها الرجل، بصرف النظر عن مزاياه أو عيوبه، غير قابلة للالغاء، مع ذلك أقول أنه كان يجب أن يذهب إلى سوريا، وأقول ذلك مع تسليمي بدرجة الاستفزاز التي ربما تكون واجهته من قبل سوريا، لكن خروجه إلى اليونان كان إشارة خاطئة حتى أمام العالم الخارجي أمام المجتمع الدولي، صحيح أنه كان محبطاً من العرب كلهم، لكن كان يجب أن يكون محبطاً من نفسه أيضاً، هنا لا نملك أن نجلس ونضع اللوم على ياسر عرفات وحده، أو على حافظ الأسد وياسر عرفات، كلنا مسؤولون عما حصل، لكن مع الأسف نحن نلجأ دائماً إلى الأسلوب الأسهل، أن نبحث عن شخص واحد، فاعل واحد نحمله المسؤولية ونستريح!!

● عودة إلى القرار الفلسطيني في هذه الظروف، ألا ترى أن هنالك ضرورة أن تتعامل القيادة الفلسطينية مع طروحات التسوية. . . مثل الاعتراف بالقرار ٢٤٢، الاعتراف المتبادل مع اسرائيل، المؤتمر الدولي، إلى غير ذلك، أم أنك ترى أن المنظمة يجب ألا تنتظر شيئاً من هذا كله ومن الولايات المتحدة على وجه التحديد؟

■ هيكل: الذي تستطيع أن تنتظره منظمة التحرير الفلسطينية من الولايات المتحدة هو قرار واحد فقط. قرار بحلها، أما ما يقال عن الاعتراف بالقرار ٢٤٢ كشرط لجلوس أميركا مع المنظمة، وما يقال عن المؤتمر الدولي، والاعتراف المتبادل، كل هذا كلام يشبه إلى حد ما ملء الفراغ في الروايات والمسرحيات، بمعنى أنه عندما يكون هنالك عجز عن العمل تظهر إلى السطح مثل هذه الطروحات. باختصار يمكن القول إما أن الانسان فاعل وقادر وإما أنه غير فاعل وغير قادر، وفي فترات ما بين القدرة على الفعل وما بين العجز يحدث أن المسرح يجب أن يملأ بما يشغل الفراغ. الحقيقة التي لا جدال حولها هي أن هذه الأرض لا تتسع

لوجودين، فهي إما للاسرائيليين أو أنها للفلسطينيين، وهذا ضارب في عمق التاريخ، هو ليس واقعاً نشأ اليوم أو في الأمس، بل هو خلاصة المأساة التي تقول أنه ليس هناك حل، أي حل يطمئن إليه الاسرائيليون هو الحل الذي يلغي الفلسطينيين؛ والعكس أيضاً صحيح، إذن نحن أمام مأزق تاريخي، لكن دعنا نقول أنه ليس من الضروري أن كل المآزق التاريخية تواجه مرة واحدة، إنما على الأقل يكون هنالك تبين للكل، وهنالك محاولة للتأثير في الجزء، وفي سياق التبين ومحاولة التأثير يجب أن نتذكر بعض الثوابت، على سبيل المثال أن اسرائيل لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية مهما قدمت المنظمة، ونحن إذا نظرنا إلى كل الصيغ العربية المطروحة سنجد أننا لن نرضى اسرائيل، أليس غريباً أننا نجهد أنفسنا في البحث عن صيغة ونحن في موقف متناقض مع شروط التفاوض، ولنسأل أنفسنا ما الذي يحدث عادة في المفاوضات؟ عندما تكون راغباً في شيء ولكن لديك العجز عن تحقيقه يحدث أنك تخفض من شروطك، نحن نجري إلى أميركا ونطلب منها أن تهتم وهي لا تهتم والذي يحدث هو أننا لا نرفع من شروطنا بل نخفض منها لأننا الطرف الراغب في الشيء والعاجز عن تحقيقه، هذا يؤدي بدوره إلى أنه في الجانب الاسرائيلي هنالك مزايدة على الأكثر، وفي جانبنا هنالك مناقصة نحو الأقل، وكل الأطراف الأخرى حريصة أن يستمر العرب في تنقيص شروطهم، وفي النهاية فإن ما ستقبله اسرائيل هو الذي يلغي وجودنا.

● وماذا عن لبنان. . . هل تعتقد أنه ما تزال هنالك فرصة أن يتعافى لبنان ويظل دولة واحدة؟

● هيكل: ببساطة أعتقد أن لبنان انتاج عربي، لبنان في هذه المنطقة كان يؤدي دوراً ما، هو ليس دولة جغرافيا، وليس دولة استراتيجية، وليس دولة موارد، لبنان دولة تقوم بدور معين ومشكلتها أن قواعد ممارسة هذا الدور اختلت فلم يعد أحد قادراً على أن يعرف ما الذي يفعله. . . تستطيع القول أن لبنان دولة موزاييك. . . زجاج ملون موضوع في كنيسة أو جامع لكن الجدار الذي كان يستند إليه انهار، فكيف تعيد تثبيته اذن؟ لا يمكن أن يعود لبنان إلى الوضع الذي كان عليه، إلا إذا

الوضع العربي كله جرت إعادة تركيب له، وأخشى أن أقول أنه حتى لو حصل هذا فإن لبنان السابق لن يعود لسبب بسيط وهو أن لبنان كان يمثل محطة مهمة، محطة مالية لعوائد النفط، محطة خدمات، وكان أرض لقاء بين الدول العربية، وبؤرة ثقافية، ومركز اشعاع، وكان وكان وكان، بكل الخصائص الذاتية كان للبنان دور، الآن وبغيابه طول هذه السنين والمصائب التي حصلت له وفيه فإن أصحاب المصالح في الخدمات التي كان يؤديها لبنان أصبحوا يعرفون الطريق إلى الخط الأمامي متجاوزين لبنان، صار كل العرب يعرفون زيورخ وبورصات لندن وعيره وغيره.

● ألا تلاحظ أن تأثيرات ما جرى في لبنان امتدت إلى خارجه في المحيط العربي؟ أعني أن الفرز الطائفي مستمر في الاستشراء عربياً وأصبح التصنيف إلى شيعي وسني ومسلم ومسيحي يبدو كما لو أنه طبيعي؟ هل أن هذا التصنيف يثير فيك نوعاً من القلق؟

■ هيكل: بالطبع يثير هذا الأمر القلق، لكن ما أريد أن أقوله هنا هو أن الفرز الطائفي يبدو نتاجاً طبيعياً لانهيار الحلم القومي، الغطاء العام ضاع، ملابسك ضاعت منك، الهوية كلها ضاعت. نحن أمام المشكلة الطائفية التي ظهرت بعدما انتهى البناء القومي الكبير الذي كان يشدنا جميعاً، المياه إذ توقفت ظهرت عفونتها، التيار القومي الذي كنا مشدودين إليه كان يمنع المشكلة الطائفية من الظهور على الرغم مما كان على سطحه من قش، لكنه كان حركة تكتسح أمامها كل الظواهر السلبية ومنها بل وفي المقدمة منها المشكلة الطائفية.

● وكيف ترى الحرب بين العراق وايران وتأثير غياب العمل القومي العربي عليها؟

■ هيكل: أرى العراق واقفاً، صامداً، والأمة العربية غير قادرة على مساعدته لا حرباً ولا سلماً، كنت أتمنى لو أن أشقاء العراق يساعدونه في إنجاز السلام، مع الأسف الشديد الأمم المتحدة من جانبها تحاول، منظمة المؤتمر الاسلامي من جانبها تحاول، منظمة دول عدم الانحياز من جانبها تحاول، والعرب عاجزون عن

عقد قمة عربية، ولو مصغرة، تكون مخصصة لبحث سبل ايقاف هذه الحرب وتحقيق السلام، هل هذا معقول؟

● **والحل؟ هل ترى لهذه الحرب؟**

■ هيكل: أخشى أن أقول أن هنالك أطرافاً كثيرة لا تريد لهذه الحرب أن تنتهي، ومن هذه الأطراف هناك أطراف عربية، أتدري أن زعيماً عربياً كنت أسأله عن جهد ما يمكن أن يبذله لوقف الحرب، فكان رده نصف بيت من الشعر يقول: «وربما تموت الأفاعي من سموم العقارب» (!!) هل تصدق هذا؟ لقد رويت هذا للرئيس صدام حسين ولم أذكر له اسم الزعيم العربي، لكنني قلت له أن أحداً منهم لن يقف معك، أقصد من الأطراف التي لا تريد عراقاً قومياً مستقراً، كما أنها لا تريد ثورة مستقرة في ايران بصرف النظر عن صحة انتمائها للاسلام أو عدم صحته. بعد ذلك الأسوأ من هذا كله أن تكون هناك أطراف عربية تدعم ايران بالسلاح، أنا أفهم أننا يجب أن نأخذ بالآية الكريمة «وأن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما» أما أن تضرب ايران بغداد بصواريخ وصلتها من دولة عربية فهو ليس أمراً يدعو إلى الاستغراب فقط، بل هو شيء مشين وبشع.

الفهرس

رقم الإيداع : ٨٧/٢٢٨٥
الترقيم الدولى : ٧ـ ٠٨٤ـ ١٤٩ـ ٩٧٧

مطابع الشروق
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٧٧٤٨١٤ - ٧٧٤٥٧٨ - برقيا : شروق - تلكس . 93091 SHROK UN
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ - برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

أحاديث فى العاصفة

... خلال هذا كله ـ الحملات وتحقيق المدعى الاشتراكى والسجن ـ فلقد كان الاتهام الموجه إلىّ وبدون تفاصيل أو أسانيد هو « أننى بما كتبت وقلت خارج مصر أسأت إليها » ـ ولهذا وجب الحساب والعقاب !

ولقد تم الثانى ولم يسبقه الأول ـ أى حل العقاب ولم يقع الحساب.

وشاءت المقادير أن يختصر العقاب قبل أن يأخذ مداه ويستوفى ما كان مكلفا به ، وانقضى عصر ، واختلف جو .. وتغيرت آفاق.

وطوال الوقت فقد كان مناى أن ينشر فى مصر شىء مما قيل أننى أسأت به إلى سمعتها لكى يحكم الناس !

ومع ذلك فلم يخطر ببالى على الفور وقتها أن أبادر بتصحيح أو توضيح ، فقد ظننت أن الأيام كفيلة بأن تضع كل أمر فى نصابه وترد كل حق إلى موضعه.

وأنا فى العادة عزوف عن استعمال حق الرد خصوصا فى ظروف لاتسمح بالحق من أصله ، ومن ثم تصبح ممارسة الفروع ـ أو محاولة ذلك ـ نوعا من ضرب الرؤوس بالجدران ؛ وحتى لو لم تكن كذلك فإن القول المأثور عن « برنارد شو » يبدو مقنعا لى : « إنهم يقولون ـ ماذا يقولون ؟ دعهم يقولون » !

وفى تلك الفترة صال وجال كثيرون ـ أسميهم فى العادة « فرسان الساحات الخالية » ـ هؤلاء الذين يرمحون فى ميادين يعرفون مقدما أنه ليس فيها « عدو » وبالتالى ليس عليها قتال.

وحين وصلت إلىّ من بعيد صرخات « فرسان الساحات الخالية » التى كان مقصودها إرهاب « العدو » قبل ملاقاته لم أجد فيها ما يغرينى أو يدعونى إلى الاصغاء لأصواتها انتظار أصدائها !

محمد حسنين هيكل

